

# مُقَدِّمَةٌ

العلامة ابن خلدون



برخصة مجلس من أرف ولاية سوربه الجلية

منصور حيدر راجه

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت طبعة اولى سنة ١٨٧٦

ثم طبعة ثانية سنة ١٨٨٦

UNIVERSAL  
LIBRARY

**OU\_190235**

UNIVERSAL  
LIBRARY







# مُقَدِّمَةٌ

العلامة ابن خلدون



برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت طبعة اولى سنة ١٨٧٩

تم طبعة ثانية سنة ١٨٨٦

Checked 1965

الجزء الاول

من

كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر

في

ايام العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر

وهو

تاريخ وحيد عصره العلامة

عبد الرحمن ابن خلدون

المغربي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول العبد الفقير الى الله تعالى النبي بلطفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون  
الحضرمي وفقه الله

الحمد لله الذي له العرة والجبروت \* ويده الملك والملايكوت \* وله الاسماء المحسنى  
والنعوت \* العالم فلا يغرب عنه ما تطهره العوى او يحويه السكوت \* الفادر فلا يعجزه  
شيء في السموات والارض ولا يفوت \* أنشانا من الارض نسماً \* واستعمرنا فيها أجيالاً  
وأماً ويسر لنا منها ارزاقاً وقسماً \* تكفنا الارحام والبيوت \* وكفلنا الرزق والقوت \*  
وتلينا الايام والوقوت \* وتغورنا الاجال التي خط عليها كتابها الموقوت \* وله البقاء  
والثبوت \* وهو المحي الذي لا يموت \* والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي  
العربي المكتوب في التوراة والانجيل للمعوت \* الذي نخص لفضاله الكون قبل ان  
تعاقب الاحاد والسوت \* ويتباين زحل واليهوت <sup>(١)</sup> \* وعلى آله واصحابه  
الذين لهم في صحته وابعاده الاثر العيد والصبت \* والشمل الجميع في مظاهرتهم  
ولعدوهم الشمل الشتيت \* صلى الله عليه وعليهم ما انصل بالاسلام جدّه المجتوت \* وانقطع  
بالكفر حلة الميتوت \* وسلم كثيراً

اما بعد فان فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الامم والاجيال وتند الى الركائب  
والرجال \* وتسمو الى معرفته السوقة والاعمال \* وتنافس فيه الملوك والاقبال \*  
وتساوى في فهمه العلماء والجهال \* اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام  
والدول \* والسوايق من القرون الاول \* تنوفاً فيها الاقوال \* وتضرب فيها الامثال \*  
وتطرف بها الاندية اذا غصها الاحتمال \* وتوعدى لنا شأن الحليقة كيف نقلت بها  
الاحوال \* واتسع للدول فيها الطاق والمجال \* وعمروا الارض حتى نادى بهم

اقوله اليهوت هو النون اي الحوت الذي على طهره الارض السابعة ويسمى ايضاً لوتيا كما في  
المزهر وروح البيان واللهفة ومعلوم ان بيته وبين زحل الذي هو في الملك السابع بونا بعيداً قال  
الشهاب الحماسي في حاشيته على البصاوي اه في اول سورة نون اليهوت بفتح المشاة تخنبة وسكون الهاء  
وما اشتهر من انه بالهاء الموحدة غلط على ما ذكره الفاضل الحنفي ومثله في روح البيان قاله نصر الهوري  
اقره الصحيح الثاني



الارتحال \* وجان منه الزوال \* وفي باطنه نظر وتحقيق \* وتعليل للكائنات ومباديها  
دقيق \* وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق \* فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق \* وجدير  
بان يعد في علومها وخليق \* وان فحول المورخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام  
وجمعوها \* وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها \* وخلطها المتطفلون بدسائس من  
الباطل وهم فيها وابتدعوها \* وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها \*  
واقفني تلك الآثار الكثير من بعدهم واتبعوها \* وادّوها اليها كما سمعوها \* ولم يلاحظوا  
اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها \* ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا دفعوها \*  
فالتحقيق قليل \* وطرف التنجيم في الغالب كليل \* والغلط والوهم نسيب للاخبار  
وخليل \* والتقليد عريق في الادميين وسليل \* والتطفل على الفنون عريض طويل \*  
ومرعى الجهل بين الانام وخيم \* وييل \* والحق لا يقاوم سلطانه \* والباطل يقذف بشهاب  
النظر شيطانه \* والناقل انما هو يميل وينقل \* والبصيرة تنفذ الصحيح اذا تمقل \* والعلم  
يجلوها صفحات القلوب ويصقل \*

هذا وقد دون الناس في الاخبار واكثرها \* وجمعوا تواريخ الامم والدول في  
العالم وسطروا \* والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة \* واستفرغوا دواوين  
من قبلهم في صحنهم المتاخرة \* هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل \* ولا  
حركات العوامل \* مثل ابن اسحق والطبري وابن الكلبي ومحمد بن عمر الواقدي  
وسيف بن عمر الاسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير \* المتميزين عن الجاهير \*  
وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغزما هو معروف عند الاثبات \*  
ومشهور بين الحفظة الثقات \* الا ان الكافة اخضعهم بقول اخبارهم \* واقتفاء سنتهم  
في التصنيف واتباع آثارهم \* والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون او  
اعنارهم \* فللعمران طمانع في احواله ترجع اليها الاخبار \* وتحمل عليها الروايات  
والآثار \* ثم ان اكثر التواريخ هولاء عامة المناهج والمسالك \* لعموم الدولتين صدر  
الاسلام في الافاق والممالك \* وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمنازل \* ومن  
هولاء من استوعب ما قبل الملة من الدول والامم \* والامر العم \* كالمسعودي  
ومن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الاطلاق الى التقييد \* ووقف في العموم  
والاحاطة عن الشأ والعيد \* فقيد شوارد عصره \* واستوعب اخبار افقه وقطره \*  
واقصر على تاريخ دولته ومصره \* كما فعل ابو حيان مؤرخ الاندلس والدولة الاموية

بها وابن الرفيق مؤرخ افريقية والدولة التي كانت بالقيروان ثم لم يات من بعد هولاء  
 الأقدمين \* وبلد الطبع والعقل او متبلد \* ينسج على ذلك المنوال \* ويحذني منه بالمثال \*  
 ويذهل عما احالته الايام من الاحوال \* واستبدلت به من عوائد الامم والاجيال \* فيجلبون  
 الاخبار عن الدول \* وحكايات الوقائع في العصور الاول \* صوراً قد تجردت عن  
 موادها \* وصفاً انتضيت من اغمارها \* ومعارف تستنكر للجهل بطارفها وتلاذها \* انما  
 هي حوادث لم تعلم اصولها \* وانواع لم تعتبر اجناسها ولا تحققت فصولها \* يكررون في  
 موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها \* اتباعاً لمن عني من المتقدمين بشانها \* ويفعلون  
 امر الاجيال الناشئة في ديوانها \* بما اعوز عليهم من ترجمانها \* فتستعجم صحنهم عن بيانها \*  
 ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة سقوا اخبارها نسقاً \* محافظين على نقلها وهماً او صدقاً \*  
 لا يتعرون لبدايتها \* ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايها \* واطهر من آيتها \* ولا  
 علة الوقوف عند غايتها \* فيبقي الناظر متطلعاً بعد الى افتقاد احوال مباني الدول  
 ومراتبها \* مفتشاً عن اسباب تراحمها او تعاقبها \* باحثاً عن المنفع في تباينها او تناسبها \*  
 حسبما نذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب ثم جاء آخرون بافراط الاختصار \* وذهبول الى  
 الاكتفاء باسماء الملوك والاقتصار \* مقطوعة عن الانساب والاخبار \* موضوعة عليها اعداد  
 ايامهم بحروف الغبار \* كما فعله ابن رشيقي في ميزان العمل \* ومن اقتفى هذا الاثر من  
 الهمل \* وليس يعتبر لهؤلاء مقال \* ولا يعد لهم ثبوت ولا انتقال \* لما اذهبول من الفوائد \*  
 واخلول بالمذاهب المعروفة للورثين والعوائد

ولما طالعت كتب القوم \* وسبرت غور الامس واليوم \* نهيت عين القريحة من سنة  
 الغفلة والنوم \* وسمت التصنيف من نفسي وانا المفلس احسن السوم \* فانشات في التاريخ  
 كتاباً \* رفعت به عن احوال الناشئة من الاجيال حجاباً \* وفصلته في الاخبار والاعتبار  
 باباً باباً \* واديت فيه لاوية الدول والعمران عللاً واسباباً \* ونبته على اخبار الامم الذين  
 عمرو المغرب في هذه الاعصار \* وملاؤا اكناف الضواحي منه والامصار \* وما كان لهم من  
 الدول الطوال او الفصار \* ومن سلف لهم من الملوك والانصار \* وها العرب والبربر \*  
 اذها الجيلان اللذان عرف بالمغرب ما وها وطال فيه على الاحقاب مثواها \* حتى لا يكاد  
 يتصور فيه ما عداها \* ولا يعرف اهله من اجيال الادميين سواها \* فهذبت مناحية تهذيباً \*  
 وقربتة لافهام العلماء \* والخاصة نقریباً \* وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلکاً غربياً \* واخترعته  
 من بين المناحي مذهباً عجيباً \* وطريقة مبتدعة واسلوباً \* وشرحت فيه من احوال العمران

والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتنع بعامل الكوائن  
 واسبابها\* ويعترف كيف دخل اهل الدول من ابوابها\* حتى تنزع من التقليد يدك\*  
 وتقف على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك وربتته على مقدمة وثلاثة كتب  
 المقدمة في فصل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع بمغالط المؤرخين  
 الكتاب الاول في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك  
 والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلل والاسباب  
 الكتاب الثاني في اخبار العرب واجيالهم ودولهم منذ مبدا الخليفة الى هذا العهد  
 وفيه الاماع ببعض من عاصرهم من الامم المشاهير ودولهم مثل النبط والسرانيين  
 والفرس وبني اسرائيل والقط واليونان والروم والترک والا فرنجية  
 الكتاب الثالث في اخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر اوليتهم واجيالهم وما كان  
 بديار المغرب خاصة من الملك والدول ثم كانت الرحلة الى المشرق لاجننا انواره\*  
 وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره\* والوقوف على آثاره في دواوينه واسفاره\*  
 فزدت ما نقص من اخبار ملوك العجم بتلك الديار\* ودول الترك فيما ملكوه من  
 الاقطار\* واتسعت بها ما كتبت في تلك الاسطار\* وادرجتها في ذكر المعاصرين لتلك  
 الاجيال من ام النواحي\* وملوك الامصار والصواحي\* سالكاً سبيل الاختصار والتلخيص\*  
 مفتدياً بالمرام السهل من العويص\* داخلاً من باب الاسباب على العموم الى الاخبار  
 على الخصوص فاستوعب اخبار الخليفة استيعاباً\* وذل من الحكم النافذة صعباً\* واعطى  
 لحوادث الدول عللاً واسباباً\* فاصبح للحكمة صواباً\* وللتاريخ جراباً  
 ولما كان مشتتاً على اخبار العرب والبربر\* من اهل المدر والور\* والاماع بمن  
 عاصرهم من الدول الكبرى\* وافصح بالذكري والعبر\* في متدا الاحوال وما بعدها من  
 الخبر\* سميت كتاب العبر\* وديوان المتدا والخبر\* في ايام العرب والعجم والبربر\* ومن  
 عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر\* ولم اترك شيئاً في اولية الاجيال والدول\* ونعاصر  
 الامم الاول\* واسباب التصرف والحوال\* في القرون الخالية والملل\* وما يعرض في  
 العمران من دولة وملة\* ومدينة وحلة\* وعزة وذاتة\* وكثرة وقلة\* وعلم وصناعة\*  
 وكسب واصاعة\* واحوال متقلبة مشاعة\* وبدو وحضر\* وواقع ومنتظر\* الا واستوعبت  
 جملة\* واوضحت براهينه وعلله\* فحجاء هذا الكتاب فذا بما ضمنت من العلوم الغربية\* والحكم  
 المحجوبة الغربية\* وانا من بعدها موقن بالفصور\* بين اهل العصور\* معترف بالعجز عن

المضاء\* في مثل هذا القضاء\* راغب من اهل اليد البيضاء\* والمعارف المتسعة النضاء\*  
 في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء\* والتغمد لما يعثرون عليه بالاصلاح والاغضاء\*  
 فالضاعة بين اهل العلم مزجاة\* والاعتراف من اللوم منجاة\* والحسنى من الاخوان مرتجاة\*  
 والله اسأل ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم وهو حسبي ونعم الوكيل  
 وبعد ان استوفيت علاجه\* وارتت مشكاته للسنصرين واذكيت سراجهُ\*  
 واوضحت بين العلوم طريقه ومنهاجهُ\* واوسعت في فضاء المعارف نطاقه وادرت  
 سياجهُ\* اتخفت بهذه النسخة منه<sup>(١)</sup> خزانة مولانا السلطان الامام المجاهد\* الفاتح  
 الماهد\* المتخلي منذ خلع التمام\* ولوث العمام\* بجلى القانت الزاهد\* المتوشح بزكاه  
 المناقب والمحامد\* وكرم الثمائل والشواهد\* باحمل من القلائد\* في نخور الولايد\*  
 المتناول بالعزم القوي الساعد\* والجد الموالي المساعد\* والجد الطارف والتالد\*  
 ذوائب ملصمهم الراسي القواعد\* الكرم المعالي والمساعد\* جامع اشقات العلوم  
 والنوائد\* وناظم شمل المعارف الشوارد\* ومظهر الايات الربانية\* في فصل المدارك  
 الانسانية\* بفكره الثاقب الناقد\* ورايه الصحيح المعاهد\* النير المذاهب والعقائد\*  
 نور الله الواضح المرشد\* ونعمته العذبة الموارد\* ولطفه الكامن بالمرصد للشدائد\*

اقوله اتخعت بهذه النسخة منه الخ وحده في نسخة بخط بعض فصول المعارة زيادة قبل قوله اتخعت  
 وبعد قوله وادرت سياجه وبصها التمسث لهُ الكف الذي يلج بعين الاستنصار صوته . ويلخط بمداركهُ  
 الشريفة معياره الصحيح وقابوه ويميزتنته في المعارف عما دونه . فسرحت فكركي في فضا الوجود . وحلت  
 نظري ليل التمام والهمود بين النهائم والتعود في العلماء الركج . والتعود والحلما اهل الكرم والجمود .  
 حتى وقف ادحتيار ساحة الكلال . وطافت الافكار بموقف الامال . وطمرت ايدي المساعي والاعتقال .  
 بمدى المعارف مشرقة في عر الرحل وحداثق العلوم الوارفة الطلال . عن اليمين والتدل . فاحت  
 مطي الافكار في عرصاتها . وحلوت بحاس الانظار على مصانها واتخمت بدبواها مقاصير ابوابها . واطلعت  
 كوكنا وقادا في افق خزانها وصواها . ليكون آية للعقلاء يهدون بماره . ويعرفون فصل المدارك  
 الاسابية في اثاره . وفي خزانة مولانا السلطان الامام المجاهد . الفاتح الماهد الى احرا نعوت المذكورة ها  
 ثم قال الخليفة امير المومنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن مولانا الامير الظاهر المقدس  
 ابي عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس امير المومنين . ابي يحيى ابي بكر ابن الحلما الراشدين . من  
 ائمة الموحدين الدين حدوا الدين وهجوا السل للمهتدين . ومجوا اثار العاة المسدين من الحسبة  
 والمعندين سلالة ابي المحمص والعاروق . والسعة النامية على تلك المعارس الراكية والعاروق والنور  
 المتلائي من تلك الاشعة والبروق . فاوردته من مودعها الى العلى بحيث مقر الهدى ورياض المعارف  
 حصلة لدى الى احراما ذكر هنا الا انه لم يقيد الامامة بالفارسية لكن النسخة المذكورة مختصرة عن  
 هذه النسخة المنقولة من خزانة الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

ورحمته الكريمة المفالد \* التي وسعت صلاح الزمان الفاسد \* واستقامة المائد من  
الاحوال والعوائد \* وذهبت بالمخطوب الاوابد \* وخلعت على الزمان رونق الشباب  
العائد \* وحجته التي لا يظلمها انكار الجاحد ولا شبهات المعاند \* (امير المومنين) ابن  
فارس عبد العزيز ابن مولانا السلطان المعظم الشهير الشهيد ابي سالم ابراهيم ابن مولانا  
السلطان المقدس امير المومنين \* ابي الحسن ابن السادة الاعلام من ملوك بني مرين \* الذين  
جددوا الدين \* ونهجوا السبيل للهدى \* ومحوا اثار البغاة المفسدين \* افاء الله على الامة  
ظلاله \* وبلغه في نصر دعوة الاسلام اماله \* وبعثه الى خزائنه الموقفة لطلبة العلم بجامع  
القرويين من مدينة فاس حضرة ملكهم \* وكريسي سلطانتهم \* حيث مقر الهدى \* ورياض  
المعارف خضلة الندى \* وفضاء الاسرار الربانية فسح المدي \* والامامة الكريمة الفارسية<sup>(١)</sup>  
العزيزة ان شاء الله بنظرها الشريف \* وفضلها الغني عن التعريف \* تبسط له من العناية  
مهادا \* وتفتح له في جانب القول آمادا \* فتوضح بها ادلة على رسوخه واشهادا \* ففي  
سوقها تنفق بضائع الكتاب \* وعلى حضرتها تعكف ركائب العلوم والآداب \* ومن مدد  
بصائرها المنيرة نتائج الفرائح والالباب \* والله يوزعنا شكر نعمتها \* ويوفر لنا حظوظ  
المواهب من رحمته \* ويعيننا على حقوق خدمتها \* ويجعلنا من السابقين في ميدانها  
المهلين في حومنها \* ويضفي على اهل اباؤها \* وما اوى من الاسلام الى حرم عاملها \*  
لبوس حمايتها وحرمتها \* وهو سبحانه المسئول ان يجعل اعمالنا خالصة في وجهتها \* رتبة  
من شوائب الغفلة وشبهتها \* وهو حسبنا ونعم الوكيل

### المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمورخين  
من المغالط والاهام وذكر شي \* من اسبابها

اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقفنا على  
احوال الماضين من الامم في اخلاقهم . والانبياء في سيرهم . والملوك في دولهم وسياستهم .  
حتى نم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا فهو يحتاج الى ماخذ  
متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت بفيضان بصاحبها الى الحق وينكيان به عن  
المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحم اصول العادة وقواعد

السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد  
والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العنور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق  
وكثيراً ما وقع للمورخين والمفسرين وائمة النقل من المغالطات في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها  
على مجرد النقل غناً او سميئاً ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بمعيار  
الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق  
ونهاوا في بقاء انوهم والغلط سيما في احصاء الاعداد من الاموال والعساكر اذا عرضت  
في الحكايات اذ هي مظنة الكذب ومطية الهدر ولا بد من ردها الى الاصول وعرضها على  
القواعد وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المورخين في جيوش بني اسرائيل وان موسى  
عليه السلام احصاهم في التيه بعد ان اجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين  
فما فوقها فكانوا ستمائة الف او يزيدون ويذهل في ذلك عن نقدير مصر والشام وانساعها  
لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصّة من الحماية تتسع لها ونقوم  
بوظائفها ونضيق عما فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والاحوال المألوفة ثم ان مثل  
هذه الجيوش البالغة الى مثل هذا العدد يبعد ان يقع بينها زحف او قتال لضيق ساحة  
الارض عنها وبعدها اذا اصطفت عن مدى البصر مرتين او ثلاثاً او ازيد فكيف يقتتل  
هذان الفريقان او تكون غلبة احد الصنين وشي من جوانبهم لا يشعر بالجانب الاخر  
والحاضر يشهد لذلك فالماضي اشبه بالآتي من الماء بالماء ولقد كان ملك الفرس ودولتهم  
اعظم من ملك بني اسرائيل بكثير يشهد لذلك ما كان من غلب بجنصرهم والنهائم  
بلادهم واستيلائهم على امرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض  
عمال مملكة فارس يقال انه كان مرزبان المغرب من تخومها وكانت ممالكهم بالعراقين  
وخراسان وما وراء النهر والابواب اوسع من ممالك بني اسرائيل بكثير ومع ذلك لم تبلغ  
جيوش الفرس قط مثل هذا العدد ولا قريباً منه واعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة  
وعشرون الفاً كلهم متبوع على ما نقله سيف قال وكانوا في اتباعهم اكثر من مائتي الف  
وعن عائشة والزهري فان جموع رستم الذين زحف بهم سعد بالقادسية انما كانوا ستين  
الفاً كلهم متبوع وايضاً فلو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى  
دولتهم فان العائلات والممالك في الدول على نسبة الحماية والقبيل القائمين بها في فلها  
وكثرتها حسبنا نيين في فصل الممالك من الكتاب الاول والقوم لم تتسع ممالكهم الى غير  
الاردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف وايضاً

فالذي بين موسى واسرائيل انما هو اربعة آباء على ما ذكره المحققون فانه موسى بن عمران  
 ابن يصر بن قاهت بفتح الهاء وكسرها ابن لاوي بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو  
 اسرائيل الله هكذا نسبة في التوراة والمدة بينها على ما نقله المسعودي قال دخل اسرائيل  
 مصر مع ولده الاساطوا واولادهم حين اتوا الى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم بمصر الى  
 ان خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من  
 الفراعنة وبعد ان يتشعب النسل في اربعة اجيال الى مثل هذا العدد وان زعموا ان  
 عدد تلك الجيوش انما كان في زمن سليمان ومن بعده فعيدها ايضاً اذ ليس بين سليمان  
 واسرائيل الا احد عشر اباً فانه سليمان بن داود بن يشا بن عوفيد ويقال ابن عوفد  
 ابن باعز ويقال بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمنوذب ويقال حمينا ذاب بن رم بن  
 حصرون ويقال حصرون بن نارس ويقال بيرس بن يهوذا بن يعقوب ولا يتشعب  
 النسل في احد عشر من الولد الى مثل هذا العدد الذي زعموه اللهم الى المئين والآلاف  
 وربما يكون واما ان يتجاوز الى ما بعدها من عقود الاعداد فبعيد واعتذر ذلك في المحاضر  
 المشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلاً ونقلهم كاذباً والذي ثبت في الاسرائيليات  
 ان جنود سليمان كانت اثني عشر الفا خاصة وان مقرباته كانت الفأوار بعائة فرس مرتطة  
 على اوابه هذا هو الصحيح من اخبارهم ولا يلتفت الى خرافات العامة منهم وفي ايام  
 سليمان (عليه السلام) وملكه كان عتفون دولتهم واتساع ملكهم هذا وقد نجد الكافة من  
 اهل العصر اذا افاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم او قريباً منه وتفاضوا  
 في الاخبار عن جيوش المسلمين او النصارى او اخذوا في احصاء اموال الجبايات  
 وخراج السلطان ونفقات المترفين ونضائع الاغنياء الموسرين توغلو في العدد وتجاوزوا  
 حدود العوائد وطاوعوا وساسوا الاغراب فاذا استكشف اصحاب الدواوين عن  
 عساكرهم واستنطت احوال اهل الثروة في نضائهم وفوائدهم واستجلبت عوائد المترفين  
 في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدونه وما ذلك الا لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز  
 على اللسان والغفلة على المتعقب والمتقيد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها  
 في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها الى بحث وتفتيش فيرسل عنها ويسم في مراتع  
 الكذب لسانه ويتخذ آيات الله هزواً ويشترى هو الحديث ليضل عن سبيل الله وحسك  
 بها صفقة خاسرة ومن الاخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في اخبار التابعة لملوك  
 اليمن وجزيرة العرب انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والحرر من بلاد

المغرب وإن افريقش بن قيس بن صيفي من اعظم ملوكهم الاول وكان لعهد موسى عليه السلام اوقلة بقليل غزا افريقية وأنحن في البرروانة الذي سماه بهذا الاسم حين سمع رطابته وقال ما هذه البربة فاخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ وإنه لما انصرف من المغرب حمز هنالك قاتل من حمير فاقاموا بها واخنطوا باهلها ومنهم صنهاجة وكنامة ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهي الى ان صنهاجة وكنامة من حمير وتاباه نسبة البررو هو الصحيح وذكر المسعودي ايضاً ان ذا الازغار من ملوكهم قبل افريقش وكان على عهد سليمان (عليه السلام) غزا المغرب ودوَّخه وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وإنه بلغ وادي الرمل من بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلماً لكثرة الرمل فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو اسعد ابوكرب وكان على عهد يستاسف من ملوك الفرس الكيانية انه ملك الموصل واذر بيجان ولقي الترك فهزمهم وأنحن ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وإنه بعد ذلك اغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد ام الترك وراء النهر والى بلاد الروم فملك الاول البلاد الى سمرقند وقطع المنازة الى الصين فوجد اخاه الثاني الذي غزا الى سمرقند قد سبقه اليها فاتحنا في بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنائم وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير فهم بها الى هذا العهد وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها ودوَّخ بلاد الروم ورجع وهذه الاخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط واشبه باحاديث القصص الموضوعية. وذلك ان ملك التباة انما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيم بصنعاء اليمن وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب وبحر فارس الهابط منه الى الصرة من المشرق وبحر السويس الهابط منه الى السويس من اعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصوّر الجغرافيا فلا يجد الساكنون من اليمن الى المغرب طريقاً من غير السويس والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونها وبعدها ان يره هذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير ان تصير من اعماله هذا تمتع في العادة. وقد كان بتلك الاعمال العالقة وكنعان بالشام والقط بمصر ثم ملك العالقة مصر وملك بنو اسرائيل الشام ولم ينقل قط ان التباة حاربوا احداً من هولاء الامم ولا ملكوا شيئاً من تلك الاعمال وايضاً فالشقة من البحر الى المغرب بعيدة والازودة والعلوفة للعساكر كثيرة فاذا ساروا في غير اعمالهم احناجوا الى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يرون عليه ولا يكفي ذلك للازودة والعلوفة عادة وان نقلوا كفايتهم من ذلك من



اعمالهم فلا تفي لهم الراحل بنقله فلا بد وان يبروا في طريقهم كلها باعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها وان قلنا ان تلك العساكر تمر بهؤلاء الامم من غير ان تهيم فتحصل لهم الميرة بالمسالمة فذلك ابعد واشد امتناعاً فدل على ان هذه الاخبار واهية او موضوعة .  
واما وادي الرمل الذي يعجز السالك فلم يسمع قط ذكره في المغرب على كثرة سالكيه ومن يقص<sup>٥</sup> طرقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابية تتوفر الدواعي على نقله . واما غزوه بلاد الشرق وارض الترك وان كانت طريقه اوسع من مسالك السويس الا ان الشقة هنا ابعد وام فارس والروم معترضون فيها دون الترك ولم ينقل قط ان التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وانما كانوا تجار بون اهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الاعمال وقد وقع ذلك بين ذي الازعار منهم وكيكاوس من ملوك الكيانية وبين تبع الاصغرابي كرب ويستاسف منهم ايضاً ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية من بعدهم بمجازة ارض فارس بالغزوا الى بلاد الترك والتبت وهو ممنوع عادة من اجل الامم المعارضة منهم والحاجة الى الازودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مرّ فالاخبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن اسحاق في خبر يثرب والاوز والخزرج ان تبعاً الاخر سار الى المشرق محمولاً على العراق وبلاد فارس واما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوه اليها بوجه لما نقرّ فلا نثقف بما يلقي اليك من ذلك وتامل الاخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها باحسن وجه والله الهادي الى الصواب فصل . وابعده من ذلك واعرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في تفسير سورة والفجر في قوله تعالى ام تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد فيجعلون لفظه ارم اسماً لمدينة وصفت بانها ذات عماد اي اساطين وينقلون انه كان لعاد بن عوص بن ارم ابانها شديد وشداد ملكاً من بعده وهلك شديد فخلص الملك لشداد ودانت له ملوكهم وسمع وصف الجنة فقال لابن مينا مثلها فبنى مدينة ارم في صحارى عدن في مدة ثلاثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وانها مدينة عظيمة قصورها من الذهب واساطينها من الزر جرد والياقوت وفيها اصناف الشجر والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته حتى اذا كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا كلهم ذكر ذلك الطبري والثعالبي والزمخشري وغيرهم من المفسرين وينقلون عن عبد الله بن قلابة من الصحابة انه خرج في طلب ابل

له فوقع عليها وحمل منها ما قدر عليه وبلغ خبره الى معاوية فاحضره وقص عليه فبحث  
 عن كعب الاخبار وساله عن ذلك فقال هي ارم ذات العمام وسيدخلها رجل من  
 المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل  
 له ثم التفت فابصر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل . وهذه المدينة لم يسمع لها خبر  
 من يومئذ في شيء من بقاع الارض . وصحارى عدن التي زعموا انها بنيت فيها هي في وسط  
 اليمن وما زال عمرائه متعاقباً والادلاء نص طرفه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة  
 خبر ولا ذكرها احد من الاخباريين ولا من الامم ولو قالوا انها درست فيما درس من  
 الآثار لكان اشبه الا ان ظاهر كلامهم انها موجودة وبعضهم يقول انها دمشق بناء على  
 ان قوم عاد ملكوها وقد ينتهي الهذيان ببعضهم الى انها غائبة وانما يعثر عليها اهل الرياضة  
 والسحر مزاعم كلها اشبه بالخرافات والذي حمل المفسرين على ذلك ما اقتضته صناعة  
 الاعراب في لظنة ذات العمام انها صفة ارم وحملوا العمام على الاساطين فتعين ان يكون  
 بناء ورشح لهم ذلك قراءة ابن الزبير عاد ارم على الاضافة من غير تنوين ثم وقفوا على  
 تلك الحكايات التي هي اشبه بالافاضيص الموضوعة التي هي اقرب الى الكذب المنقولة  
 في عداد المضحكات والا فالعماد هي عاد الاخبية بل الخيام وان اريد بها الاساطين فلا  
 بدع في وصفهم بانهم اهل بناء واساطين على العموم بما اشتهر من قوتهم لانه بناء خاص في  
 مدينة معينة او غيرها وان اضيفت كما في قراءة ابن الزبير فعلى اضافة الفصيلا الى الفصيلا  
 كما نقول قريش كنانة والياس مضروربيعة نزار واي ضرورة الى هذا الحمل البعيد  
 الذي تحملت لتوجيهه لامثال هذه الحكايات الواهية التي ينزه كتاب الله عن مثلها لبعدها  
 عن الصحة ومن الحكايات المدخولة للمورخين ما ينقلونه كافة في سبب نكحة الرشيد  
 للرامكة من قصة العباسه اخنه مع جعفر بن يحيى بن خالد موله وانه لكلفه بمكانهما من  
 معاقرتيه اباها الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه وان  
 العباسه تحملت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها ( زعموا في حالسكر )  
 فحملت ووثي بذلك للرشيد فاستغضب وهيبات ذلك من منصب العباسه في دينها  
 وابويها وجلالها وانها بنت عبدالله بن عباس ليس بينها وبينه الا اربعة رجال هم اشراف  
 الدين وعطاء الملة من بعده . والعباسه بنت محمد المهدي ابن عبدالله ابي جعفر المنصور  
 ابن محمد السجاد ابن علي ابي الخلفاء ابن عبدالله ترجمان القرآن ابن العباس عم  
 النبي ( صلعم ) ابنة خليفة اخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة

الرسول وعمومته وإقامة الملة ونور الوحي ومهبط الملائكة من سائر جهاتها قريبة عهد  
 ببداوة العروبة وسداجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومرانع الواحش فابن يطلب  
 الصون والنعاف اذا ذهب عنها او ابن توجد الطهارة والذكاء اذا فقدنا من بينها او كيف  
 تعلم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم بملكة جده من الفرس او بولاء  
 جدها من عمومة الرسول وإشراف قريش وغايبته ان جذبت دولتهم بضعه وضع ابيه  
 واستخلفتهم ورقنهم الى منازل الاشراف وكيف يسوغ من الرشيد ان يصهر الى موالي  
 الاعاجم على بعد همتيه وعظم ابائه ولو نظر المتامل في ذلك نظر المنصف وقاس العباسية  
 بابنة ملك من عظماء ملوك زمانه لاستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها وفي  
 سلطان قومها واستنكف ولج في تكذيبه وأبى قدر العباسية والرشيد من الناس وانما نكب  
 اليرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجافهم اموال الحماية حتى كان الرشيد  
 يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلموه على امره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له  
 معهم تصرف في امور ملكه فعظمت اتارهم وبعد صيتهم وعمرها مراتب الدولة وخططها  
 بالروء ساء من ولدهم وصنائعهم واحنازوها عن سواهم من وزارة وكتانة وقيادة وحجابة  
 وسيف وقلم . يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من  
 بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها اهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح  
 لمكان ابيهم يحيى من كماله هارون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشيه  
 وغلب على امره وكان يدعو به يا أبت فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة  
 منهم واسسط الحجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم  
 الآمال ونحطت اليهم من اقصى النجوم هدايا الملوك وتحف الامراء ونسرت الى خرائثهم  
 في سبيل التزلف والاستماله اموال الحماية وافاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء  
 وطوقوهم المنن وكسوا من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بمالم يمدح به  
 خليفتهم واسنوا لعفائهم المجوائز والصلوات واستولوا على القرى والبياع من الضواحي  
 والامصار في سائر الممالك حتى اسفوا الطائفة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت  
 لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية حتى لقد  
 كان نونقطة احوال جعفر من اعظم الساعين عليهم لم تعظهم لما وقر في نفوسهم من  
 الحسد عواطف الرحم ولا ورعهم واوصر القرابة وقارن ذلك عند مخدومهم نواشي الغيرة  
 والاستنكاف من الحجر والانتة وكان الحفود التي بعثتها منهم صفائر الدالة وانتهى بها

الإصرار على شأنهم الى كبراء المخالفة كهصنهم في يحيى بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب اخي محمد المهدي الملقب بالنفس الزكية الحارج على المنصور ويحيى هذا هو الذي استنزله الفضل بن يحيى من بلاد الديلم على امان الرشيد بخطه وبذل له فيه الف الف درهم على ما ذكره الطبري ودفعه الرشيد الى جعفر وجعل اعتقاله بداره والى نظره فحبسه مدة ثم حملته الدالة على تخلية سبيله والاستبداد بجل عقاله حرماً لدماء اهل البيت بزعمه ودالة على السلطان في حكمه . وسأله الرشيد عنه لما وثي به اليه فعضن وقال اطلقتها فابدى له وجه الاستحسان واسرها في نفسه فوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى نل عرستهم والقيت عليهم سماوهم وخسفت الارض بهم ودارهم وذهبت سلفاً ومثلاً للاخرين ايامهم ومن تأمل اخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محقق الاثر مهد الاسباب وانظر ما نقله ابن عد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شان نكثهم وما ذكره في باب الشعراء في كتاب العقد في محاوراة الاصمعي للرشيد وللفضل بن يحيى في سمرهم نفهم انه انما قتلهم الغيرة والمفاضة في الاستدداد من الخليفة فمن دونه وكذلك ما تحيل به اعداؤهم من اللطانة فيما دسوه للمغنين من الشعرا حنياً على اسماعه للخليفة وتحريك حفاظه لهم وهو قوله

ليت هنداً التجزتنا ما نعد      وشفقت انفسا ما نخد  
واستبدت مرة واحدة      انما العاجز من لا يستبد

وان الرشيد لما سمعها قال اي والله اني عاجر حتى نعتوا نامثال هذه كامن غيرته وسلطوا عليهم باس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال      واما ما تموه به الحكاية من معاقرة الرشيد الخمر واقتران سكره بسكر الندمان فحاشا الله ما علمنا عليه من سوء وابن هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والاولياء ومحاوراته للنضيل بن عياض وابن السماك والعمري ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والحفاظة على اوقات الصلوات وشهود الصبح لاول وقتها      حكى الطبري وغيره انه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة وكان يغزو عاماً ويحج عاماً ولقد زجر ابن ابي مريم مضحكة في سمره حين تعرض له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ ومالي لا اعبد الذي فطرني وقال والله ما ادري لم فما تمالك الرشيد ان ضحك ثم التفت اليه مغصاً وقال يا ابن ابي مريم في الصلاة ايضاً اياك اياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدها وايضاً فقد

كان من العلم والسذاجة بمكان لقرب عهده من سلفه المتخلفين لذلك ولم يكن بينه وبين  
 جده ابي جعفر بعيد زمن انما خلفه غلاماً وقد كان ابو جعفر بمكان من العلم والدين قبل  
 الخلافة وبعدها وهو القائل لمالك حين اشار عليه بتأليف الموطأ يا ابا عبد الله انه لم يبق  
 على وجه الارض اعلم مني ومنك واني قد شغلتنى الخلافة فضع انت للناس كتاباً ينتفعون  
 به تجنب فيؤرخص ابن عباس وشدايد ابن عمرو وطه للناس توطئة قال مالك فوالله  
 لقد علمني التصنيف يومئذ ولقد ادركه ابنة المهدي ابو الرشيد هذا وهو يتورع عن كسوة  
 الجديد لعياله من بيت المال ودخل عليه يوماً وهو مجلسه بياشر الحياطين في ارقاع  
 الخلقان من ثياب عياله فاستنكف المهدي من ذلك وقال يا امير المؤمنين علي كسوة هذه  
 العيال عامنا هذا من عطائي فقال له لك ذلك ولم يصدئه عنه ولا سمح بالانفاق فيه من  
 اموال المسلمين فكيف يليق بالرشيد على قرب العهد من هذا الخليفة وأوتوه وما ربي عليه  
 من امثال هذه السير في اهل بيته والتخلق بها ان يعاقر الخمر او يجاهر بها وقد كانت  
 حالة الاشراف من العرب الجاهلية في اجتناب الخمر معلومة ولم يكن الكرم شجرتهم وكان  
 شربها مذمة عند الكثير منهم والرشيد واباؤه كانوا على شج من اجتناب المذمومات  
 في دينهم وديانهم والتخلق بالحمد واوصاف الكمال ونزعات العرب وانظر ما نقله  
 الطبري والمسعودي في قصة جبريل بن بختيشوع الطيب حين احضرت السمك في  
 مائدتيه فحماه عنه ثم امر صاحب المائدة بحمله الى منزله ووطن الرشيد وارتاب به ووس  
 خادمة حتى عابته بتناوله فاعد ابن بختيشوع للاعتذار ثلاث قطع من السمك في ثلاثة  
 اقداح خلط احداها باللحم المعالج بالتوابل والبقول والوارد والحلوى وصب على الثانية  
 ماء مثجاً وعلى الثالثة خمرًا صرفاً وقال في الاول والثاني هذا طعام امير المؤمنين ان  
 خلط السمك بغيره ولم يخلطه وقال في الثالث هذا طعام ابن بختيشوع ودفعها الى صاحب  
 المائدة حتى اذا اتبه الرشيد واحضره للتوبيخ احضر ثلاثة الاقداح فوجد صاحب الخمر  
 قد اخلط واماع وتفتت ووجد الآخرين قد فسدوا وتغيرت رائحتها فكانت له في ذلك  
 معذرة وتبين من ذلك ان حال الرشيد في اجتناب الخمر كانت معروفة عند اطوائته  
 واهل مائدتيه ولقد ثبت عنه انه عهد بجيس ابي نواس لما بلغه من انها كره في المعاصرة حتى  
 تاب واقلع وانما كان الرشيد يشرب نبيذ التمر على مذهب اهل العراق وفتاويهم فيها  
 معروفة واما الخمر الصرف فلا سبيل الى اتهامه به ولا تقليد الاخبار الواهية فيها فلم يكن  
 الرجل يجيئ بواقع محرماً من اكبر الكبائر عند اهل الملة ولقد كان اولئك القوم كلهم

بمخافة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من  
 خشونة البداوة وسذاجة الدين التي لم يفارقوها بعد فما ظنك بما يخرج عن الاباحة الى  
 الحظرو عن الحلية الى الحرمة ولقد اتفق المؤرخون الطبري والمسعودي وغيرهم على ان  
 جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس انما كانوا يركون بالحلية الخفيفة من الفضة  
 في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان اول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو  
 المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم ايضاً في ملابسهم فما ظنك  
 بمشاربهم ويتبين ذلك بآتم من هذا اذا فهمت طبيعة الدولة في اولها من البداوة والعضاضة  
 كما نشرح في مسائل الكتاب الاول ان شاء الله والله الهادي الى الصواب . ويناسب هذا  
 او قريب منه ما ينقلونه كافة عن يحيى بن اكرم قاضي المامون وصاحبه وانه كان يعاقر  
 الخمر وانه سكر ليلة مع شربه فدفن في الریحان حتى افاق وينشدون على لساه  
 ياسيدي وامير الناس كلهم قد جار في حكمه من كان يسقيني  
 اني غفلت عن الساقى فصيرني كما تراني سليم العقل والدين  
 وحال ابن اكرم والمامون في ذلك من حال الرشيد وشرابهم انما كان النبيذ ولم يكن  
 محظوراً عندهم واما السكر فليس من شأنهم وصحابتة للمامون انما كانت خلة في الدين ولقد  
 ثبت انه كلن ينام معه في البيت ونقل في فضائل المامون وحسن عشرته انه انتبه ذات ليلة  
 عطشان فقام يتحسس ويلبس الاناء مخافة ان يوقظ يحيى بن اكرم وثبت انها كما يصلبان  
 الصبح جميعاً فابن هذا من المعاقرة وايضاً فان يحيى بن اكرم كان من علمه اهل الحديث وقد  
 اثني عليه الامام احمد بن حنبل واسماعيل القاضي وخرج عنه الترمذي كتابه الجامع وذكر  
 المزني الحافظ ان البخاري روى عنه في غير الجامع والقدر فيه قدح في جميعهم وكذلك  
 ما ينزهه المجان بالميل الى الغلمان بهتاناً على الله وفرية على العلماء ويستندون في ذلك الى  
 اخبار القصاص الواهية التي لعلها من افتراء اعدائه فانه كان محسوداً في كماله وخلته  
 للسلطان وكان مقامه من العلم والدين منزهاً عن مثل ذلك ولقد ذكر لان حنبل ما  
 يرميه به الناس فقال سبحان الله سبحان الله ومن يقول هذا وانكر ذلك انكاراً شديداً واثني  
 عليه اسماعيل القاضي فقيل له ما كان يقال فيه فقال معاذ الله ان تزول عدالة مثله بتكذيب  
 باغ وحاسد وقال ايضاً يحيى بن اكرم ابراً الى الله من ان يكون فيه شيء مما كان يرمى به  
 من امر الغلمان ولقد كنت اقف على سرائره فاجده شديد الخوف من الله لكنه كانت فيه  
 دعابة وحسن خلق فرمي بما رمي به وذكره ابن حبان في الثقات وقال لا يشتغل بما يحكي

عنه لان اكثرها لا يصح عنه ومن امثال هذه الحكايات ما نقله ابن عبد ربه صاحب العقد من حديث الزنيل في سبب اصهار المامون الى الحسن بن سهل في بنته بوران وانه عشر في بعض الليالي في تطوافه بسكك بغداد في زنيل مدني من بعض السطوح بمعالق وجدل مغارة القتل من الحرير فاعتقه وتناول المعالق فاهتزت وذهب به صعداً الى مجلس شانه كذا ووصف من زينة فرشه وتنضيد ابنته وجمال روثه ما يستوقف الطرف ويملك النفس وان امرأة برزت له من خلل الستور في ذلك المجلس رائفة الجمال فتانة المحاسن فحيتته ودعته الى المادة فلم يزل يعاقرها الخمر حتى الصباح ورجع الى اصحابه بمكانهم من انتظاره وقد شغفته حباً بعثه على الاصهار الى ايها وابن هذا كله من حال المامون المعروفة في دينه وعلوه واقتمائه سنن الخلفاء الراشدين من آباءه واخذ به سيرة الخلفاء الاربعة اركان الملة ومناظرته العلماء وحفظه لحدود الله تعالى في صلواته واحكامه فكيف تصح عنه احوال الفساق المستهترين<sup>(١)</sup> في التطواف بالليل وطروق المنازل وغشيان السمر سبيل عشاق الاعراب وابن ذلك من منصب ائمة المحسنين سهل وشرفها وما كان يدار ايها من الصون والعماف وامثال هذه الحكايات كثيرة وفي كتب المؤرخين معروفة وانما يبعث على وضعها والحديث بها الاتهام في اللذات المحرمة وهتك قناع المخدرات ويتعللون بالتأسي بالقوم فيما ياتونه من طاعة لذاتهم فذلك تراهم كثيراً ما يلهجون باشاء هذه الاخبار وينفرون عنها عند تصفحهم لا وراق الدواوين ولو اتسوا بهم في غير هذا من احوالهم وصفات الكمال اللاتقة بهم المشهورة عنهم لكان خيراً لهم لو كانوا يعلمون ولقد عدلت يوماً بعض الامراء من ابناء الملوك في كلفه بتعلم الغناء وولوعه بالانوار وقلت له ليس هذا من شانك ولا يليق بمنصبك فتال لي افلا ترى الى ابراهيم بن المهدي كيف كان امام هذه الصناعة ورئيس المغنين في زمانه فقلت له يا سبحان الله وهلاً تاسيت بابه او اخيه او ما رأيت كيف قعد ذلك بارهيم عن مناصبهم فقصم عن عذلي واعرض والله يهدي من يشاء ومن الاخبار الواهية ما يذهب اليه الكثير من المؤرخين والاثبات في العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة من نفهم عن اهل البيت صلوات الله عليهم والطعن في نسبهم الى اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق يعتمدون في ذلك على احاديث لفتت للمستضعفين من خلفاء بني العباس ترفناً اليهم بالقدح فيمن ناصبهم وتفنناً في الشتم بعدوهم حسبنا تذكر بعض هذه الاحاديث في اخبارهم ويعفلون عن التفتن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف

المستهتر بالشبه بالفتح المولج به لا يباي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرة باطيله اه قاموس

ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم فانهم متفقون في حديثهم عن مبدا دولة الشيعة ان  
 ابا عبد الله المحنّس لما دعي بكتامة للرّضى من آل محمد واشتهر خبره وعلم تحويه على عبيد  
 الله المهدي وابنه ابي القاسم خشيّا على انفسهما فهربا من المشرق محل الخلافة واجتازا بمصر  
 وانما خرجا من الاسكندرية في زى التجار وفي خبرها الى عيسى النوشري عامل مصر  
 والاسكندرية فسرّح في طلبها الخيالة حتى اذا ادركا خفي حالهما على تابعهما بما لسوا به من  
 الشارة والزي فافلتوا الى المغرب وان المعتضد وعزى الى الاغالبه امراء افرقيبا بالقيروان  
 وبنى مدرار امراء سجلماسة باخذ الافاق عليها واذكاء العيون في طلبها فعثر اليسع صاحب  
 سجلماسة من آل مدرار على خفي مكانها ببلده واعتقلها مرضاة للخليفة هذا قبل ان تظهر  
 الشيعة على الاغالبه بالقيروان ثم كان بعد ذلك ما كان من ظهور دعوتهم بالمغرب  
 وافريقية ثم باليمن ثم بالاسكندرية ثم بمصر والشام والحجاز وقاسموا بني العباس في ممالك  
 الاسلام شق الالهة وكادوا ليجنون عليهم مواطنهم ويزابلون من امرهم ولقد اظهر دعوتهم  
 ببغداد وعراقها الاخير البساسيري من موالي الديلم المتغلبين على خلفاء بني العباس في  
 مغاضة جرت بينه وبين امراء العجم وخطب لهم على ماسرها حولا كاملاً وما زال سنو  
 العباس يغصون بمكانهم ودولتهم وملوك بني امية وراء البحر ينادون بالويل والحرب منهم  
 وكيف يقع هذا كله لدعي في النسب يكذب في اتحال الامروا عند حال الفرطى اذ كان  
 دعياً في انتسابه كيف تلاشت دعوته وتفرقت اتاعه وظهر سر يعاً على خشيهم ومكرهم فساءت  
 عاقبتهم وذاقوا وبال امرهم ولو كان امر العبيدين كذلك لعرف ولو بعد مهلة  
 ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخنى على الناس تعلم

فقد انصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة وملكوا مقام ابراهيم عليه السلام  
 ومصلاًه وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجج ومهبط الملائكة ثم  
 انقض امرهم وشيعتهم في ذلك كله على اتم ما كانوا عليه من الطاعة لهم والمحبة فيهم  
 واعتقادهم بنسب الامام اسماعيل بن جعفر الصادق ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة  
 ودرّوس اثرها داعين الى بدعتهم هاتفين باسماء صبيان من اعقابهم يزعمون استحقاقهم  
 للخلافة ويذهبون الى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الائمة ولو ارتابوا في نسبهم لما  
 ركبو اعناق الاخطار في الانتصار لهم فصاحب البدعة لا يلبس في امره ولا يشبه في بدعته  
 ولا يكذب نفسه فيما ينتحله والعجب من القاضي ابي بكر الباقلاني شيخ النظار من المتكلمين  
 ينجح الى هذه المقالة المرجوحة ويرى هذا الراي الضعيف فان كان ذلك لما كانوا عليه



من الاتحاد في الدين والتعمق في الرافضية فليس ذلك بدافع في صدر دعوتهم وليس اثبات متسهم بالذي يعني عنهم من الله شيئاً في كفرهم فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم وقال صلى الله عليه وسلم لفاطمة يعظها يا فاطمة اعلمي فلن اغني عنك من الله شيئاً ومتى عرف امر و قصة او استيقن امراً وجب عليه ان يصدع به والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والقوم كانوا في مجال لظنون الدول بهم وتحت رقعة من الطغاة لتوفر شيعتهم وانتشارهم في الفاصية بدعوتهم وتكرر خروجهم مرة بعد اخرى فلاذت رجالهم بالاخفاء ولم يكادوا يعرفون كما قيل

فلو تسأل الايام ما سمي ما درت وابن مكاني ما عرفن مكانيا

حتى لقد سمي محمد بن اسماعيل الامام جد عبيد الله المهدي بالمكنوم ستمته بذلك شيعتهم لما انفقوا عليه من اخنائهم حذراً من المتغلبين عليهم فتوصل شيعة بن العباس بذلك عند ظهورهم الى الطعن في نسبهم وازدلتوا بهذا الرأي القائل للمستضعفين من خلفائهم وعجب به اولياؤهم وامراء دولتهم المتولون لحروبهم مع الاعداء يدفعون به عن انفسهم وسلطانهم معرة العجز عن المقاومة والمدافعة لمن غلبهم على الشام ومصر والحجاز من البربر الكتائبين شيعة العبيديين واهل دعوتهم حتى لقد اسجل القضاة ببغداد نسبهم عن هذا النسب وشهد بذلك عندهم من اعلام الناس جماعة منهم الشريف الرضي واخوه المرزقي وابن البطحاوي ومن العلماء ابو حامد الاسفرايني والقنبري والصيمري واس الاكفاني والايوردي وابو عبد الله بن النعمان فقيه الشيعة وغيرهم من اعلام الامة ببغداد في يوم مشهود وذلك سنة ستين واربعمائة في ايام القادر وكاست شهادتهم في ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وغالبها شيعة بني العباس الطاعنون في هذا النسب فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه وحسبوا وعنه والحق من ورائه وفي كتاب المعتضد في شأن عبيد الله الى ان الاغلب بالغير وان وابن مدرار بسجلماسة اصدق شاهد ووضح دليل على صحة نسبهم فالمعتضد اقعده بنسب اهل البيت من كل احد والدولة والسلطان سوق المعالم تجلب اليه بضائع العلوم والصنائع وتلمس فيو ضوال الحكم وتحدي اليه ركائب الروايات والاخبار وما نفق فيها نفق عند الكافة فان تنزهت الدولة عن التعسف والميل والافن والسفسفة وسلكت النهج الامم ولم تجر<sup>(١)</sup> عن قصد السبيل نفق في سوقها الا برز الخالص واللين

١ قوله ولم تجر بضم الجيم مصارع جاراي لم تمل اه

المصفي وإن ذهبت مع الاغراض والمحفود وماجت بهما سنة البغي والباطل نفق الهرج  
والزائف والناقد البصير قسطاس نظره وميزان مجنوه ملتبس ومثل هذا وابعده منه كثيراً  
ما يتناجى به الطاعنون في نسب ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن  
ابن علي بن ابي طالب (رضوان الله عليهم) الامام بعد ابيه بالمغرب الاقصى ويعرضون  
تعريض الحد بالنظن في الحمل الخلف عن ادريس الاكبر انه لراشد مولاهم فبهم الله  
وابعدهم ما اجهلهم اما يعلمون ان ادريس الاكبر كان اصهاره في البربر وانه منذ دخل  
المغرب الى ان توفاه الله عز وجل عريق في البدو وان حال اللادية في مثل ذلك غير  
خافية اذ لا مكان لهم يتأق فيها الرب واحوال حرمهم اجمعين برأى من جارائهم  
وسمع من جيرانهم لتلاصق المجران ونظامن النبيان وعدم الفواصل بين المساكن  
وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم اجمع من بعد مولاه بمشهد من اوليائهم وشيعتهم ومراقبة  
من كافتهم وقد اتفق براسة المغرب الاقصى عامة على بيعه ادريس الاصغر من بعد ابيه  
وانوه طاعته عن رضى واصفاق وابعوه على الموت الاحمر وخاضوا دونه بحار المنايا في  
حروبه وغزواته ولو حدثوا انفسهم بمثل هذه الريبة او قرعت اسماعهم ولو من عدو  
كاشخ او منافق مرتاب لتخلف عن ذلك ولو بعضهم كلا والله انما صدرت هذه الكلمات  
من بني العباس اقتالهم ومن بني الاغلب عالم كانوا بافريقية وولاتهم وذلك انه لما فر  
ادريس الاكبر الى المغرب من وقعة بنج او عز الهادي الى الاغلبة ان يقعدوا له بالمرصد  
ويذكوا عليه العيون فلم يظفروا به وخلص الى المغرب فتم امره وظهرت دعوته وظهر  
الرشيد من بعد ذلك على ما كان من واضح مولاهم وعاملهم على الاسكندرية من دسيسة  
التشيع للعلوية وادهانته في نجاه ادريس الى المغرب فقتله ودرس الشياخ من موالي المهدي  
ايه للتخيل على قتل ادريس فاظهر الحاق به والبراءة من بني العباس مواليه فاشتمل عليه  
ادريس وخطه بنفسه وناولته الشياخ في بعض خلواته سماً اسهلكه به ووقع خبر مهلكه من  
بني العباس احسن المواقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة العلوية بالمغرب واقتلاع  
جرثومتها ولما تأدى اليهم خبر الحمل الخلف لادريس فلم يكن لهم الا كلاً ولا واذا بالدعوة  
قد عادت والشيعه بالمغرب قد ظهرت ودولتهم بادريس بن ادريس قد تجددت فكان  
ذلك عليهم انكى من وقع السهام وكان الفشل والهزم قد نزل بدولة الغرب عن ان يسملوا  
الى القاصية فلم يكن منتهى قدرة الرشيد على ادريس الاكبر بمكانه من قاصية المغرب  
واشتمال البربر عليه الا التخيل في اهلاكوه بالسموم فعند ذلك فرعوا الى اوليائهم من الاغلبة

بأفريقية في سد تلك الفرجة من ناحيتهم وحسم الداء المتوقع بالدولة من قبلهم واقتلاع تلك العروق قبل ان تشجّ منهم بخاطبهم بذلك المأمون ومن بعده من خلفائهم فكان الاغالبه عن برائة المغرب الاقصى اعجز ومثلها من الزبون على ملوكهم احوج لما طرق الخلافة من انتزاع ممالك العجم على سديتها وامتطائهم صهوة التغلب عليها وتصريفهم احكامها طوع اغراضهم في رجالها وجبايتها واهل خططها وسائر نقضها وارامها كما قال شاعرهم

خليفةٌ في قفصٍ بين وصيفٍ وبغا

يقول ما قال له كما تقول البيغا

فخشي هولاء الامراء الاغالبه بوادر السعايات وتلوا بالمعاذير فطوراً باحتقار المغرب واهله وطوراً بالارهاب بشان ادريس الخارج به ومن قام مقامه من اعقابه يخاطبونهم بتجاوزه حدود النجوم من عملوه وينفذون سكتة في تحنهم وهذا ياهم ومرتفع جباياتهم تعريضاً لاستفحالها وتهوياً باشتداد شوكتها وتعظيماً لما دفعوا اليه من مطالبته ومراسه وتهديداً بقلب الدعوة ان الجئوا اليه وطوراً يطعنون في نسب ادريس يمثل ذلك الطعن الكاذب تخنياً لشانه لايبالون بصدقه من كذبه لبعده المسافة وافن عقول من خلف من صبية بني العباس وممالكهم العجم في القبول من كل قائل والسمع لكل ناعق ولم يزل هذا دأبهم حتى انقضى امر الاغالبه فقرعت هذه الكلمة الشنعاء اسماع الغوغاء وصرّ عليها بعض الطاعنين اذنة واعتدوا ذريعة الى النيل من خلفهم عند المناقسة وما لم يفهم الله والعدول عن مقاصد الشريعة فلا تعارض فيها بين المقطوع والمظنون وادريس ولد على فراش ابيه والولد للفراش على ان تنزبه اهل البيت عن مثل هذا من عقائد اهل الايمان فالله سبحانه قد اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً افراش ادريس طاهر من الدنس ومنزه عن الرجس بحكم القرآن ومن اعتقد خلاف هذا فقد باء بائمه وولج الكفر من بابه وانما اظنبت في هذا الردسداً لا بواب الريب ودفعاً في صدر الحاسد لما سمعته اذناي من قائله المعتدي عليهم القادح في نسبهم بفرية وينقله بزعمه عن بعض مورخي المغرب من انحرف عن اهل البيت وارتاب في الايمان بسلفهم والا فالحل منزه عن ذلك معصوم منه ونفي العيب حيث يستحيل العيب عيب لكبي جادلت عنهم في الحياة الدنيا وارجوان يجادلوا عني يوم القيامة ولتعلم ان اكثر الطاعنين في نسبهم انما هم المحسدة لاعتقاب ادريس هذا من متم الى اهل البيت او دخيل فيهم فان ادعاء هذا النسب الكرم دعوى شرف عريض على

الامم والاجيال من اهل الافاق فتعرض التهمة فيه ولما كان نسب بني ادريس هولاء بمواطنهم من فاهيس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغاً لا يكاد يلحق ولا يطع احد في دركه اذ هو نقل الامة والجيل من الخلف عن الامة والجيل من السلف وبيت جدهم ادريس مخنط فاس وموسسها بين بيوتهم ومسجده لصق محلتمهم ودروهم وسيفه منتضى برأس الماذنة العظمى من فرار بلدهم وغير ذلك من اثاره التي جاوزت اخبارها حدود التواتر مرات وكادت تلحق بالعيان فاذا نظر غيرهم من اهل هذا النسب الى ما اتاهم الله من امثاله وما عضد شرفهم النبوي من جلال الملك الذي كان لسلفهم بالمغرب واستيقن انه بمعزل عن ذلك وانه لا يبلغ مد احدهم ولا نصيفه وان غاية امر المنتهين الى البيت الكريم ممن لم يحصل له امثال هذه الشواهد ان يسلم لهم حالهم لان الناس مصدقون في انسابهم وبون ما بين العلم والظن واليقين والتسليم فاذا علم بذلك من نفسه غص بريقه وود كثير منهم لو يردونهم عن شرفهم ذلك سوقة ووضعاء<sup>(١)</sup> حسداً من عند انفسهم فيرجعون الى العناد وارتكاب اللجاج والبهت بمثل هذا الطعن الفائل والقول المكذوب تعلقاً بالمساواة في الظنة والمشابهة في طرق الاحتمال وهيبات لم ذلك فليس في المغرب فيما نعلمه من اهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ اعقاب ادريس هذا من آل الحسن وكبراءهم لهذا العهد بنو عمران بناس من ولد يحيى الحوطي بن محمد بن يحيى العوام بن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نقيب اهل البيت هناك والساكون ببيت جدهم ادريس وهم السيادة على اهل المغرب كافة حسبما نذكرهم عند ذكر الادارسة ان شاء الله تعالى ويلحق بهذه المقالات الفاسدة والمذاهب الفائلة ما يتناوله ضعفة الراي من فقهاء المغرب من القدرح في الامام المهدي صاحب دولة الموحدين ونسبته الى الشعوذة والتليس فيما اتاه من القيام بالتوحيد الحق والنعي على اهل البغي قبله وتكذيبهم لجميع مدعياته في ذلك حتي فيما يزعم الموحدون اتباعه من انتسابه في اهل البيت وانما حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمن في نفوسهم من حسده على شانه فانهم لما رأوا من انفسهم مناهضة في العلم والتتيا وفي الدين بزعمهم ثم امتاز عنهم بانه متبوع الراي مسموع القول موطوء العقب نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدرح في مذاهبه والتكذيب لمدعياته وايضاً فكانوا يونسون من ملوك لمتونة اعدائه تجلة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم لما كانوا عليه من السذاجة وانتحال الديانة فكان لحملة العلم بدولتهم مكان من

الوجاهة والاتصاف للشورى كل في بلده وعلى قدره في قوميه فاصبحوا بذلك شيعة لهم  
وحرماً لعدوهم ونعموا على المهدي ما جاء به من خلافهم والتثريب عليهم والمناسبة لهم تشيعة  
للمتونة وتعصباً لدولتهم ومكان الرجل غير مكانهم وحالة على غير معتادتهم وما ظنك برجل  
نعم على اهل الدولة ما نعم من احوالهم وخالف اجتهاده ففهاؤهم فنأدى في قوميه ودعا الى  
جهادهم بنفسه فاقطع الدولة من اصولها وجعل عاليها سافلها اعظم ما كانت قوة واشد شوكة  
واعز انصاراً وحامية ونساقطت في ذلك من اتباعه نفوس لا يحصيها الا خالقه اقد بايعوه  
على الموت ووقوه بانفسهم من الهلكة وتقربوا الى الله تعالى باتلاف مهجهم في اظهار تلك  
الدعوة والتعصب لتلك الكلمة حتى علت على الكلم ودالت بالعدوتين من الدول وهو  
بمجاله من التشرف والمحصر والصبر على المكاره والتقلل من الدنيا حتى قبضه الله وليس على  
شيء من الحظ والمناج في دنياه حتى الولد الذي ربما تمنح اليه النفوس وتخادع عن تمييه  
فليت شعري ما الذي قصد بذلك ان لم يكن وجه الله وهو لم يحصل له حظ من الدنيا  
في عاجله ومع هذا فلو كان قصده غير صالح لما تم امره وانفسحت دعوته سنة الله التي قد  
خلت في عبادته واما انكارهم نسبة في اهل البيت فلا تعضة حجة لهم مع انه ان ثبت انه  
ادعاه وانتسب اليه فلا دليل يقوم على بطلانه لان الناس مصدقون في انسابهم وان قالوا  
ان الرئاسة لا تكون على قوم في غير اهل جلدتهم كما هو الصحيح حسبما يأتي في الفصل  
الاول من هذا الكتاب والرجل قد رأس سائر المصامدة ودانوا باتباعه والانقياد اليه  
والى عصابته من هرغة حتى تم امر الله في دعوته فاعلم ان هذا النسب الفاطمي لم يكن امر  
المهدي يتوقف عليه ولا اتبعت الناس سببه وانما كان اتباعهم له بعصية الهرغية والمصمودية  
ومكانه منها ورسوخ شجرته فيها وكان ذلك النسب الفاطمي خفياً قد درس عند الناس  
وفي عنده وعند عشيرته يتناقضون بينهم فيكون النسب الاول كما انسلخ منه ولس جلدته  
هولاء وظهر فيها فلا يضره الانتساب الاول في عصبيته اذ هو مجهول عند اهل العصاة  
ومثل هذا واقع كثيراً اذا كان النسب الاول خفياً وانظر قصة عرفجة وجرير في رئاسة  
بجيلة وكيف كان عرفجة من الازد ولس جلدته بجيلة حتى تنازع مع جرير رياستهم عند  
عمررضي الله عنه كما هو مذكور عنهم منه وجه الحق والله الهادي للصواب وقد كدنا ان  
نخرج عن غرض الكتاب بالاطناب في هذه المغالط فقد زلت اقدام كثير من الاثبات  
والمورخين الحماظ في مثل هذه الاحاديث والاراء وعلقت افكارهم ونقلها عنهم الكفاة  
من ضعفة النظر والغفلة عن القياس وتلقوها هم ايضاً كذلك من غير بحث ولا روية

واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهيا مختلطاً وناظرة مرتبكا وعد من مناجي  
العامه فاذا ابحناج صاحب هذا الفن الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف  
الامم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال  
والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق او بون ما بينها  
من الخلاف وتعليل المنفق منها والمختلف والقيام على اصول الدول والملل ومبادي ظهورها  
واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال الفاعلين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب  
كل حادث واقفا على اصول كل خبره وحيث يد عرض خبر المنقول على ما عنده من  
القواعد والاصول فان وافقها وجري على متضاها كان صحيحا والا زيفة واستغنى عنه  
وما استكبر القدماء علم التاريخ الا لذلك حتى انقله الطبري والنجاري وابن اسحاق من  
قبلها وامثالهم من علماء الامة وقد ذهل الكثير عن هذا السرفيه حتى صار انقله مجهولة  
واستخف العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه  
فاختلط المرعي بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب والى الله عاقبة الامور ومن  
الغلظ الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الاحوال في الامم والاجيال بتبدل الاعصار  
ومرور الايام وهو داء دوي شديد الخفا اذ لا يقع الا بعد احتجاب متطاولة فلا يكاد  
يتفطن له الا الاحاد من اهل الخليفة وذلك ان احوال العالم والامم وعوائدهم ونحلهم  
لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من  
حال الى حال وكما يكون ذلك في الاشخاص والاقوات والامصار فكذلك يقع في الافاق  
والاقطار والازمنة والدول سنة الله التي قد خلت في عبادته وقد كانت في العالم امم  
الفرس الاولى والسرانيون والنبط والتبابعة وبنو اسرائيل والقبط وكانوا على احوال  
خاصة بهم في دولهم وممالكهم وسياساتهم وصنائعهم ولغاتهم واصطلاحاتهم وسائر مشاركاتهم  
مع ابناء جنسهم واحوال اعمارهم للعالم تشهد بها آثارهم ثم جاء من بعدهم الفرس الثانية  
والروم والعرب فتبدلت تلك الاحوال وانقلبت بها العوائد الى ما يجانسها او يشابهها  
والى ما يباينها او يباعدها ثم جاء الاسلام بدولة مضر فانقلبت تلك الاحوال اجمع انقلابا  
اخرى وصارت الى ما اكثره متعارف لهذا العهد ياخذة الخلف عن السلف ثم درست  
دولة العرب وابامهم وذهبت الاسلاف الذين شيدوا عزمهم ومهدوا ملكهم وصار الامر في  
ايدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجية بالشمال فذهبت  
بدهابهم امم وانقلبت احوال وعوائد نسي شأنها واغفل امرها والسبب الشائع في تبدل

الاحوال والعوائد ان عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الامثال الحكيمية  
 الناس على دين الملك واهل الملك والسلطان اذا استولوا على الدولة والامر فلا بد من ان  
 يفرغوا الى عوائد من قبلهم وياخذون الكثير منها ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك فيقع  
 في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الاول فاذا جاءت دولة اخرى من بعدهم  
 ومزجت من عوائدهم وعوائدهما خالفت ايضاً بعض الشيء وكانت للاولى اشد مخالفة  
 ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي الى المباينة بالجملة فاما دامت الامم والاجيال  
 نتعاقب في الملك والسلطان لانزال المخالفة في العوائد والاحوال واقعة والقياس  
 والمحاكاة للانسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مامونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن  
 قصده ونوعه<sup>١</sup> يو عن مرامه فربما يسمع السامع كثيراً من اخبار الماضين ولا يتفطن لما  
 وقع من تغير الاحوال وانقلابها فيجريها لاول وهلة على ما عرف ويقيسها بما شهد وقد  
 يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهواة من الغلط فمن هذا الباب ما ينقله المؤرخون من احوال  
 الحجاج وان اباه كان من المعلمين مع ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة  
 من اعتزاز اهل العصبية والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجذم<sup>(١)</sup> فيتشوف الكثير من  
 المستضعفين اهل الحرف والصنائع المعاشية الى نيل الرتب التي ليسوا لها باهل وبعدونها  
 من الممكنات لم فتذهب بهم وساوس المطامع وربما انقطع حبلها من ايديهم فسقطوا في  
 مهواة الهلكة والتلف ولا يعلمون استحالتها في حقهم وانهم اهل حرف وصنائع للعاش  
 وان التعليم صدر الاسلام والدولتين لم يكن كذلك ولم يكن العلم بالجملة صناعة انما كان  
 نقلاً لما سمع مع الشارع وتعليماً لما جهل من الدين على جهة البلاغ فكان اهل الانساب  
 والعصبية الذين قاموا بالمللة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على  
 معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي اذ هو كتابهم المنزل على الرسول منهم و  
 هداياتهم والاسلام دينهم قاتلوا عليه وقتلوا واخصصوا به من بين الامم وشرفوا فيحرفون  
 على تبليغ ذلك وتفهموه لامة لا تصدم عنه لائمة الكبر ولا يزعم عاذل الائمة ويشهد  
 لذلك بعث النبي صلى الله عليه وسلم كبار اصحابه مع وفود العرب يعلمونهم حدود الاسلام  
 وما جاء به من شرائع الدين بعث في ذلك من اصحابه العشرة فمن بعدهم فلما استقر الاسلام  
 ووشجت عروق المللة حتى تناوها الامم البعيدة من ايدي اهلها واستحالت بمرور الايام  
 احوالها وكثرت استنباط الاحكام الشرعية من النصوص لتعدد الوقائع وتلاحقها فاحتاج

ذلك لقانون يحفظه من المخطئ وصار العلم ملكة يحتاج الى التعلم فاصبح من جملة الصنائع والحرف كما ياتي ذكره في فصل العلم والتعليم واشتغل اهل العصية بالقيام بالملك والسلطان فدفع لهم من قام به من سواهم واصبح حرفه للمعاش وشيخت انوف المترفين واهل السلطان عن التصدي للتعليم واخص التحالة بالمستضعفين وصار منتحلة محقرًا عند اهل العصية والملك والحجاج بن يوسف كان ابوه من سادات ثقيف واشرافهم ومكانهم من عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما علمت ولم يكن تعليمه للقرآن على ما هو الامر عليه لهذا العهد من انه حرفه للمعاش وانما كان على ما وصفناه من الامر الاول في الاسلام ومن هذا الباب ايضاً ما يتوهمه المنتصفون لكنيب التاريخ اذا سمعوا احوال القضاة وما كانوا عليه من الرئاسة في الحروب وقود العساكر فترا منيهم وسواس المهم الى مثل تلك الرتب يحسبون ان الشأن خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل ويطنون باين ابي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف باشيلية اذا سمعوا ان اباؤهم كانوا قضاة انهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يفتنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما نبينه في فصل القضاء من الكتاب الاول وابن ابي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الاموية بالاندلس واهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوماً ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد بل انما كان القضاء في الامر القديم لاهل العصية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف وتقليد عظام الامور التي لا تقلد الا لمن له الغنى فيها بالعصية فيغلط السامع في ذلك ويحمل الاحوال على غير ماهي واكثر ما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من اهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواظبتهم منذ اعصار بعيدة بفناء العرب ودولتهم بها وخر وجههم عن ملكة اهل العصبية (١)

١ العصبية بفحش العصب وهو ان يدب الرجل عن حريم صاحبه ويشر عن ساق المجد في نصره مسوبة الى العصية محرمة وهم اقارب الرجل من قبل ابويهم الدابون عن حريم من هو متهاهم وهي بهذا المعنى مدوحة واما العصبية المذمومة في الحديث الجامع الصغير ليس ماس دعالي عصبية وليس ماس قاتل على عصبية وليس ماس من مات على عصبية فهي تعصب رجال لقبيلة على رجال قبيلة اخرى لغير ديانته كما كان يقع من قيام سعد على حرام نسبة الى العصية بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير اقارب طالما كان او مطولاً وفي العناوي والخبرية من موافق قبول الشهادة العصبية وهي ان يفض الرجل الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم في الحديث ليس ماس دعالي عصبية وهو موجب للفسق ولا شهادة لمرتكبه . قاله الاستاذ ابو الوفاء



من البربر فبقيت انسابهم العربية محفوظة والذريعة الى العز من العصبية والتناصر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورثوا للمذلة بحسبون ان انسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم بها الغلب والتحكم فيجد اهل الحرف والصنائع منهم متصدبن لذلك ساعين في نيله فاما من باسراحوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الامم والعشائر فقلما يغلطون في ذلك ويخطئون في اعتبارهم . ومن هذا الباب ايضاً ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسب ملوكها فيذكرون اسمها ونسبها واباء وامه ونسأه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليدً لمورخي الدولتين من غير تفتن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون تواريجهم لاهل الدولة واناؤها منشوفون الى سير اسلافهم ومعرفة احوالهم ليقتنوا آثارهم وينسجوا على منوالهم حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم وتقليد الخطط والمراتب لا بناء صنائعهم وذوئهم والنقضاء ايضاً كانوا من اهل عصبية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك فيحناجون الى ذكر ذلك كله واما حين تباينت الدول وتباعد ما بين العصور ووقف الغرض على معرفة الملوك بانفسهم خاصة ونسب الدول بعضها من بعض في قوتها وغلبتها ومن كان يناهضها من الامم او يقصر عنها فما الفائدة للمصنف في هذا العهد في ذكر الابناء والنساء ونقش الخاتم واللقب والقاضي والوزير والحاجب من دولة قديمة لا يعرف فيها اصولهم ولا انسابهم ولا مقاماتهم انما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المولدين الاقدمين والذهول عن تحري الاغراض من التاريخ اللهم الا ذكر الوزراء الذين عظمت اثارهم وعفت عن الملوك اخبارهم كالحجاج وبنو المهلب والبرامكة وبنو سهل بن نوح وكافور الاخشيدى وابن ابي عامر وامثالهم فغير نكير الاماع بابائهم والاشارة الى احوالهم لانظامهم في عداد الملوك . ولندكر هنا فائدة نختم كلامنا في هذا الفصل بها وهي ان التاريخ انما هو ذكر الاخبار الخاصة بعصر او جيل فاما ذكر الاحوال العامة للافاق والاجيال والاعصار فهو اس للمورخ تنبني عليه اكثر مقاصده وتنبين به اخباره وقد كان الناس يفرءونه بالتاليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه احوال الامم والافاق لعهد في عصر الثلاثين والثلاثمائة غرباً وشرقاً وذكر نظمهم وعوائدهم ووصف البلدان والجمبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار اماماً للمورخين يرجعون اليه واصلاً يعولون في تحقيق الكثير من اخبارهم عليه ثم جاء الكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من

الاحوال لان الامم والاجيال لعهد لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغير واما لهذا العهد  
 وهو اخر المائة الثامنة فقد انقلبت احوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة  
 واعراض من اجيال البربر اهله على القدم بما طرأ فيه من لدن المائة الخامسة من اجيال  
 العرب بما كسروهم وغلّبهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركهم فيما بقي من البلدان  
 للملكهم هذا الى ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون  
 الجارف الذي تحيّف الامم وذهب باهل الجبل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها  
 وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها ففصل من ظلّالها وفلّ من حدها  
 واوهن من سلطانها وتداعت الى الثلاثي والاضمحلال اموالها وانتقض عمران الارض  
 بانتقاص البشر فخربت الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وختت الديار والمنازل  
 وضعفت الدول والقبايل وتبدل الساكن وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب  
 لكن على نسبه ومقدار عمرانه وكأني نادى لسان الكون في العالم بالخمبول والانتقاض فبادر  
 بالاجابة والله وارث الارض ومن عليها واذا تبدلت الاحوال جملة فكأنما تبدل الخلق من اصله  
 وتحول العالم بأسره وكأني خلق جديد ونشأة مستانفة وعالم محدث فاحناج لهذا العهد من  
 يدون احوال الخليفة والافاق واجيالها والعوائد والنحل التي تبدلت لاهلها ويقفومسلك  
 المسعودي لعصره ليكون اصلاً يقتدي به من ياتي من المؤرخين من بعده وانا ذاكر في  
 كتابي هذا ما امكنتي منه في هذا القطر المغربي اما صريحاً او مندرجاً في اخباره وتلويحاً  
 لاخصاص قصدي في التاليف بالمغرب واحوال اجياله وامميه وذكر ممالكه ودوله دون  
 ما سواه من الاقطار لعدم اطلاعي على احوال المشرق وامميه وان الاخبار المتناقلة لاني  
 كنته ما اريده منه والمسعودي انما استوفى ذلك لعد رحلته ونقله في البلاد كما ذكر في  
 كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصر في استيفاء احواله وفوق كل ذي علم عليم ومرد العلم  
 كله الى الله والبشر عاجز قاصر والاعتراف متعين واجب ومن كان الله في عونك تيسرت  
 عليه المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب ونحن آخذون بعون الله فيما رمناه من  
 اغراض التاليف والله المسدد والمعين وعاميه التكلان وقد بقي علينا ان تقدم مقدمة في  
 كيفية وضع الحروف التي ليست من لغات العرب اذا عرضت في كتابنا هذا  
 اعلم ان الحروف في النطق كما ياتي شرحه بعد هي كينيات الاصوات الخارجة من  
 الخنجرة تعرض من تقطيع الصوت بقرع اللهاة واطراف اللسان مع الحنك والحنق  
 والاضراس او بقرع الشفتين ايضاً فتتباير كينيات الاصوات بتغاير ذلك القرع ونجي

الحروف متماثلة في السمع وتتركب منها الكلمات الدالة على ما في الضائمر وليست الام  
كلها متساوية في النطق بتلك الحروف فقد يكون لامة من الحروف ما ليس لامة اخري  
والحروف التي نطقت بها العرب هي ثمانية وعشرون حرفاً كما عرفت ونجد للعبرانيين  
حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروف ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترک  
والبربر وغير هؤلاء من العجم ثم ان اهل الكتاب من العرب اصطلموا في الدلالة على  
حروفهم المسموعة ماوضع حروف مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وباء وجم وراء  
وطاء الى اخر الثمانية والعشرين واذا عرض لم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي  
مهلاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسمه بعض الكتاب بشكل الحرف الذي  
يكتنفه من لغتنا قلة او بعده وليس ذلك تكاف في الدلالة بل هو تغيير للحرف من  
اصله. ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في  
اسمائهم او بعض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا  
الى بيانها ولم نكتف رسم الحرف الذي يليه كما قلناه لانه عندنا غير واف بالدلالة عليه  
فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدل على الحرفين اللذين  
يكتنفانه ليتوسط الفاري بالنطق به بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل ناديتة وانما  
اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاتهام كالصراط في قراءة خلف فان  
النطق بصاده فيها معجم متوسط بين الصاد والراي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل  
الراي ودل ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط  
بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم  
او القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافاً وانقطها بنقطة الجيم واحدة من اسفل او بنقطة القاف  
واحدة من فوق او اثنتين فيدل ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم او القاف وهذا  
الحرف اكثر ما يجيء في لغة البربر وما جاء من غيره فعلى هذا القياس اضع الحرف المتوسط  
بين حرفين من لغتنا بالحرفين معاً ليعلم الفاري انه متوسط فينطق به كذلك فيكون قد  
دلنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جابه لكان قد صرفناه من مخرجه الى  
مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيرنا لغة القوم فاعلم ذلك والله الموفق للصواب بمه وفضله

### الكتاب الاول

في طبيعة العبران في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والمخضرون والغلب والكسب  
والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران  
 العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس والعصبيات  
 واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول  
 ومراتبها وما ينتقله البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر  
 ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الاحوال. ولما كان الكذب متطرقاً للخبر  
 بطبيعته وله اسباب تقتضيه. فمنها التشيعات للاراء والمذاهب فان النفس اذا كانت على  
 حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التحيص والنظر حتى تثبت صدقه من  
 كذبه واذا خامرها تشيع لراي او نخلة قبلت ما يوافقها من الاخبار لاول وهلة وكان ذلك  
 الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتحيص فتقع في قبول الكذب  
 ونقله. ومن الاسباب المتقتضية للكذب في الاخبار ايضاً الثقة بالناقلين وتحيص ذلك  
 يرجع الى التعديل والتخرج. ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد  
 بما عين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهم الصدق  
 وهو كثير وانما يحى في الاكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها المجمل بتطبيق الاحوال  
 على الوقائع لاجل ما يداخلها من التليس والتصنع فينقلها الخبر كما راها وهي بالتصنع على  
 غير الحق في نفسه. ومنها تقرب الناس في الاكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح  
 وتحسين الاحوال واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنوس  
 مولعة بحب الثناء والناس متطلعون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا في الاكثر  
 راغبين في الفضائل ولا متنافسين في اهلها. ومن الاسباب المتقتضية له ايضاً وهي سابقة  
 على جميع ما تقدم المجمل بطبائع الاحوال في العمران فان كل حادث من المحوادث ذاتاً  
 كان او فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من احواله فاذا كان السامع  
 عارفاً بطبائع المحوادث والاحوال في الوجود ومقتضياتها اعانه ذلك في تحيص الخبر على  
 تمييز الصدق من الكذب وهذا المنع في التحيص من كل وجه يعرض وكثيراً ما يعرض  
 للسامعين قبول الاخبار المستعجلة وينقلونها وتوثر عنهم كما نقله المسعودي عن الاسكندر  
 لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية وكيف اتخذ تابوت الخشب وفي باطنه  
 صندوق الزجاج وغاص فيه الى قعر البحر حتى صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها  
 وعمل تماثيلها من اجساد معدنية ونصبها حذاء البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت  
 وعابنتها وتم له بناؤها في حكاية طويلة من احاديث خرافة مستعجلة من قبل اتخاذه التابوت

الزجاجي ومصادمة البحر وماوجه يجرموه ومن قبل ان الملوك لا تحمل انفسها على مثل هذا  
الغرور ومن اعتمده منهم فقد عرض نفسه للهلكة وانتفاض العقدة واجتماع الناس الى غيره  
وفي ذلك اتلافه ولا ينتظرون به رجوعه من غروره ذلك طرفه عين ومن قبل ان  
الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تخصص بها انما هي قادرة على التشكل وما يذكر من  
كثرة الروموس لها فانما المراد به البشاعة والنهويل لانه حقيقة<sup>١</sup>. وهذه كلها قاذحة في تلك  
الحكاية والقادح المحيل لها من طريق الوجود ابين من هذا كله وهو ان المنغس في الماء ولو  
كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي وتسخن بروحه بسرعة لقلته<sup>(١)</sup> فيفقد  
صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلي ويهلك مكانه وهذا هو السبب  
في هلاك اهل الحمامات اذا اطبقت عليهم عن الهواء البارد والمتدلين في الابار والمطامير  
العقيمة المهوى اذا سخن هواؤها بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتخلطها فان المتدلي  
فيها يهلك لحينه وبهذا السبب يكون موت الحوت اذا فارق البحر فان الهواء لا يكفيه  
في تعديل رثه اذ هو حار بافراط والماء الذي يعدله بارد والهواء الذي خرج اليه حار  
فيستولي الحار على روحه الحيواني ويهلك دفعة ومنه هلاك المصعوقين وامثال ذلك  
ومن الاخبار المستحيلة ما نقله المسعودي ايضاً في تمثال الزرزور الذي رومة تجتمع اليه  
الزرارير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم وانظر ما ابعد ذلك  
عن المجري الطبيعي في اتخاذ الزيت ومنها ما نقله البكري في بناء المدينة المساة ذات  
الابواب تحيط باكثر من ثلاثين مرحلة وتشتمل على عشرة الاف باب والمدن انما اتخذت  
للتحصن والاعنصام كما باتي وهن خرجت عن ان يحاط بها فلا يكون فيها حصن ولا  
معتم وكما نقله المسعودي ايضاً في حديث مدينة النحاس وانها مدينة كل بنائها نحاس  
بصحراء سجلماسة ظفر بها موسى بن نصير في غزوته الى المغرب وانها مغلقة الابواب وان  
الصاعد اليها من اسوارها اذا اشرف على الحائط صفق ورعى بنفسه فلا يرجع اخر الدهر  
في حديث مستحيل عادة من خرافات النفاص وصحراء سجلماسة قد نفضاها الركاب  
والادلاء ولم يبقوا هذه المدينة على خبر ثم ان هذه الاحوال التي ذكرها عنها كلها مستحيل  
عادة منافل الامور الطبيعية في بناء المدن واخطاؤها وان المعادن غايبة الموجود منها ان يصرف  
في الآنية والخزفي<sup>(٢)</sup> واما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد وامثال ذلك  
كثيرة ونجيسة انما هو معرفة طبائع العمران وهو احسن الوجوه واوثقها في تخيص الاخبار

وتميز صدقها من كذبها وهو سابق على التخصيص بتعديل الرواية ولا يرجع الى تعديل  
 الرواية حتى يعلم ان ذلك الخبر في نفسه ممكن او ممتنع واما اذا كان مستحيلاً فلا فائدة  
 للنظر في التعديل والتجريح ولقد عدّ اهل النظر من المطاعين في الخبر استحالة مدلول  
 اللفظ وتاويله ان يؤول بما لا يقبله العقل وانما كان التعديل والتجريح هو المعتمد في صحة  
 الاخبار الشرعية لان معظمها تكاليف انشائية اوجب الشارع العمل بها حتى حصل  
 الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواية بالعدالة والوسط . واما الاخبار عن  
 الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب ان ينظر في امكان  
 وقوعه وصر فيها ذلك اهم من التعديل ومقدماً عليه اذ فائدة الانشاء مقتبسة منه فقط  
 وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة واذا كان ذلك فالتانون في تمييز الحق من الباطل  
 في الاخبار بالامكان والاستحالة ان ينظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وتميز ما  
 يلحقه من الاحوال لذاته وبمقتضى طبيعه وما يكون عارضاً لا يعتد به وما لا يمكن ان يعرض  
 له واذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الاخبار والصدق  
 من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحيث قد اذا سمعنا عن شيء من الاحوال  
 الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقوله ما نحكم بتزيفه وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتجرى  
 به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الاول  
 من تاليفنا وكان هذا علم مستقل بنفسه فانه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع  
 الانساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والاحوال لذاته واحدة بعد اخرى  
 وهذا شان كل علم من العلوم وضعياً كان او عقلياً . واعلم ان الكلام في هذا الغرض  
 مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة اعثر عليه البحث وأدّى اليه الغوص وليس  
 من علم الخطابة الذي هو احد العلوم المنطقية فان موضوع الخطابة انما هو الاقوال المقنعة  
 النافعة في استمالة الجمهور الى راي او صدم عنه ولا هو ايضاً من علم السياسة المدنية اذ  
 السياسة المدنية هي تدير المنزل او المدينة بما يجب بمقتضى الاخلاق والحكمة ليجل الجمهور  
 على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقائه فقد خالف موضوعه هذين الفنين  
 اللذين ربما يشبهانه وكانه علم مستنبط النشأة ولعمري لم اقف على الكلام في منجاة لاحد  
 من الخليفة ما ادري لغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم اولعلم كتبوا في هذا الغرض  
 واستوفوه ولم يصل اليها فالعلوم كثيرة والحكام في ام النوع الانساني متعددون وما لم  
 يصل اليها من العلوم اكثر مما وصل فاين علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عنه بحجوها

عند الفتح وابن علوم الكلدانيين والسريانيين واهل بابل وما ظهر عليهم من آثارها ونتائجها  
 وابن علوم القبط ومن قبلهم وإنما وصل اليها علوم امة واحدة وهم يونان خاصة لكثف  
 المامون باخراجها من لغتهم واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين وبذل الاموال فيها  
 ولم تنفق على شيء من علوم غيرهم واذا كانت كل حقيقة متعلقة بطبيعة يصلح ان يبحث عما  
 يعرض لها من العوارض لذاتها وجب ان يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم  
 بمحضه لكن الحكماء لعلم انما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات وهذا انما ثمرته في الاخبار  
 فقط كما رايت وان كانت مسائله في ذاتها وفي اختصاصها شريفة لكن ثمرته تصحيح الاخبار  
 وهي ضعيفة فلها هجره والله اعلم وما اوتيتم من العلم الا قليلاً. وهذا الفن الذي لاح لنا  
 النظر فيه نجد منه مسائل تجري بالعرض لاهل العلوم في براهين علومهم وهي من جنس  
 مسائله بالموضوع والطلب مثل ما يذكره الحكماء والعلما في اثبات النبوة من ان البشر  
 متعاونون في وجودهم فيحتاجون فيه الى الحاكم والوازع ومثل ما يذكر في اصول الفقه  
 في باب اثبات اللغات ان الناس يحتاجون الى العبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون  
 والاجتماع وتبيان العبارات اخف ومثل ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية  
 بالمقاصد في ان الزبا مخلط للاسباب منفسد للنوع وان القتل ايضاً منفسد للنوع وان  
 الظلم موءن بخراب العمران المنفني لفساد النوع وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية  
 في الاحكام فانها كلها مبنية على المحافظة على العمران فكان لها النظر فيما يعرض له وهو  
 ظاهر من كلامها هذا في هذه المسائل المثلة وكذلك ايضاً يقع اليها القليل من مسائله في  
 كلمات متفرقة لحكام الخليفة لكنهم لم يستوفوه من كلام الموبدان بهرام بن بهرام في  
 حكاية النوم التي نقلها المسعودي. ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام  
 لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشرعية الا بالملك ولا عز للملك الا  
 بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا  
 بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب وجعل له قياً وهو الملك .  
 ومن كلام ابوشروان في هذا المعنى عينه الملك بالمجد والجند بالمال والمال بالخراج  
 والخراج بالعمارة والعمارة بالعدل والعدل باصلاح العمال واصلاح العمال باستقامة الوزراء  
 وراس الكل باقتداد الملك حال رعيته بنفسه واقتداره على تاديبها حتى يملكها ولا تملكه .  
 وفي الكتاب المنسوب لارسطو في السياسة المتداول بين الناس جزء صالح منه الا انه غير  
 مستوف ولا معطى حقه من البراهين ومخلط بغيره وقد اشار في ذلك الكتاب الى هذه

الكلمات التي نقلناها عن الموبدان ونوشروان وجعلها في الدائرة القريبة التي اعظم القول فيها وهو قوله . العالم بستان سياجه الدولة الدولة سلطان نجبي به السنة السنة سياسة يسوسها الملك الملك نظام بعضه المجد المجد اعوان يكلمهم المال المال رزق تجمعه الرعية الرعية عبيد يكفهم العدل العدل مالوف وبه قوام العالم العالم بستان ثم ترجع الى اول الكلام . فهذه ثمان كلمات حكيمية سياسية ارتبط بعضها ببعض وارتدت اعجازها الى صدورها وانصلت في دائرة لا يتعين طرفها فخر بعثوره عليها وعظم من فوائدها . وانت اذا تأملت كلامنا في فصل الدول والملك واعطينته حقه من التصحیح والنهم عثرت في اثنائيه على تفسير هذه الكلمات وتفصيل اجماها مستوفى بينا باوعب بيان ووضح دليل وبرهان اطلعنا الله عليه من غير تعليم ارسطو ولا افادة موبدان وكذلك نجد في كلام ابن المقفع وما يستطرد في رسائله من ذكر السياسات الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مبرهنة كما رهناه انما يجليها في الذكر على منغى الخطابية في اسلوب الترسل وبلاغة الكلام وكذلك حوم القاضي او بكر الطرطوشي في كتاب سراج الملوك وبوبه على ابواب نقرب من ابواب كتابنا هذا ومسائله لكنه لم يصادف فيه الرمية ولا اصاب الشاكلة ولا استوفى المسائل ولا اوضح الادلة انما يوب الباب للمسئلة ثم يستكثر من الاحاديث والاثار وينقل كلمات متفرقة لحكماء الفرس مثل بزرجمهر والموبدان وحكماء الهند والماثور عن دانيال وهرمس وغيرهم من اكار الخليفة ولا يكشف عن التحقيق قناعاً ولا يرفع بالبراهين الطبيعية حمماً انما هو نقل وتركيب شبيهه بالمواظ وكأنة حوم على الغرض ولم يصادفه ولا تحقق قصده ولا استوفى مسائله ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهاماً واعتدنا على علم جعلنا بين بكرة وجهينه خيره فان كنت قد استوفيت مسائله وميزت عن سائر الصنائع انظاره وانحاءه فتوفيق من الله وهداية وان فاتني شيء في احصائه واشتبهت بغيره في مسائله فللناظر المحقق اصلاحه ولي الفضل لاني نهجت له السبيل واوضحت له الطريق والله يهدي بنوره من يشاء . ونحن الان نبين في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من احوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصنائع وجوده رهانية يتضح بها التحقيق في معارف الخاصة والعامة ويندفع بها الاوهام وترفع الشكوك . ونقول لما كان الانسان متميزاً عن سائر الحيوانات بخواص اخنص بها فمنها العلوم والصنائع التي هي نتيجة الفكر الذي تميز به عن الحيوانات وشرف بوصفه على المخلوقات ومنها الحاجة الى الحكم الوازع والسلطان الفاهر اذ لا يمكن وجوده دون ذلك من بين الحيوانات كلها الا ما يقال عن النحل والجراد



وهذه وإن كان لها مثل ذلك فبطريق الهاهي لا بفكر وروية ومنها السعي في المعاش والاعتمال في تحصيله من وجوهه واكتساب اسبابه لما جعل الله فيه من الافتقار الى الغذاء في حياته وبقائه وهداه الى التماسه وطلبه قال تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ومنها العمران وهو التساكن والتنازل في مصر او حلة للانس بالعشير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما سبته ومن هذا العمران ما يكون بدوياً وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلال المتجمعة في الفقار اطراف الرمال ومنه ما يكون حضرياً وهو الذي بالامصار والقرى والمدن والمدائر للاعتماد بها والتحصن بجدرانها وله في كل هذه الاحوال امور تعرض من حيث الاجتماع عروضا ذاتياً له فلا جرم انحصر الكلام في هذا الكتاب في ستة فصول. الاول في العمران الشري على الجملة واصنافه وقسطه من الارض. والثاني في العمران البدوي وذكر القبائل والامم الوحشية والثالث في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية. والرابع في العمران الحضري والبلدان والامصار. والخامس في الصنائع والمعاش والكسب ووجوهه والسادس في العلوم واكتسابها وتعلمها. وقد قدمت العمران البدوي لانه سابق على جميعها كما نبين لك بعد وكذا تقدم الملك على البلدان والامصار واما تقدم المعاش فلان المعاش ضروري طبيعي وتعلم العلم كالتى او حاجي والطبيعي اقدم من الكماي وجعلت الصنائع مع الكسب لانها منه ببعض الوجوه ومن حيث العمران كما نبين لك بعد والله الموفق للصواب والمعين عليه

## الفصل الاول

### من الكتاب الاول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الاولى في ان الاجتماع الانساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الانسان مدني بالطبع اي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران وبيانه ان الله سبحانه خلق الانسان وركبه على صورة لا يصح حيايتها وبقاؤها الا بالغذاء وهداه الى التماسه بفطرته وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء غير موفية له بمادة حياته منه ولو فرضنا منه اقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً فلا يحصل الا بعلاج كثير من

الطحن والعجن والطبخ وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والآلات لانتم الا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري هب انه يأكله حياً من غير علاج فهو ايضاً يحتاج في تحصيله ايضاً حياً الى اعمال اخرى اكثر من هذه من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحبوب من غلاف السنبل ويحتاج كل واحد من هذه الآلات متعددة وصناعات كثيرة اكثر من الاولى بكثير ويستحيل ان تفي بذلك كله او ببعضه قدرة الواحد فلا بد من اجتماع القدر الكبيرة من ابناء جنسه ليحصل القوت له ولم فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لاكثر منهم باضعاف وكذلك يحتاج كل واحد منهم ايضاً في الدفاع عن نفسه الى الاستعانة بابناء جنسه لان الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها جعل حظوظ كثير من الحيوانات العجم من القدرة اكمل من حظ الانسان فقدره الفرس مثلاً اعظم بكثير من قدرة الانسان وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الاسد والفيل اضعاف من قدرته . ولما كان العدوان طبيعياً في الحيوان جعل لكل واحد منها عضواً يختص بمدافعته ما يصل اليه من عادية غيره وجعل للانسان عوضاً من ذلك كله الفكر واليد فاليه مهبة للصناعات بخدمة الفكر والصناعات تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة والسيوف النائية عن الخالب المجارحة والتراس النائية عن البشرات الجلسمية الى غير ذلك وغيره مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الاعضاء فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم سيما المتترسة فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ولا تفي قدرته ايضاً باستعمال الآلات المعدة للدفاع اكثرتها وكثرة الصناعات والمواعين المعدة لها فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه باناء جنسه وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ولا نم حياته لما رغبة الله تعالى عليه من الحاجة الى الغذاء في حياته ولا يحصل له ايضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح فيكون فريسة للحيوانات ويعاجلة الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر اذا كان التعاون حصل له القوت للغذاء والسلاح للدفاع وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه فاذا ن هذا الاجتماع ضروري للنوع الانساني والالم يكمل وجودهم وما اراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه ايامهم وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم وفي هذا الكلام نوع اثبات للموضوع في فيه الذي هو موضوع له وهذا وان لم يكن واجباً على صاحب الفن لما نقرر في الصناعة المنطقية انه ليس على صاحب علم اثبات الموضوع في ذلك العلم فليس

ايضاً من المنوعات عندهم فيكون اثباته من التبرعات والله الموفق بفضلوه . ثم ان هذا الاجتماع اذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعة لعدوان الحيوانات العجم عنهم كافية في دفع العدوان عنهم لانها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم والهامة منهم فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد الفاهرة حتى لا يصل احد الى غيره وعدوان وهذا هو معنى الملك وقد تبين لك بهذا ان للانسان خاصة طبيعية ولا بد لهم منها وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء كما في النحل والجراد لما استقرى فيها من الحكم والانقياد والانواع لرئيس من اشخاصها متميز عنهم في خلقه وجنانه الا ان ذلك موجود لغير الانسان بمقتضى الفطرة والهداية لا بمقتضى الفكرة والسياسة اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان حيث يحاولون اثبات النسوة بالدليل العقلي وانها خاصة طبيعية للانسان فيقررون هذا البرهان الى غايته وانه لا بد للبشر من الحكم الوازع ثم يقولون بعد ذلك وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ياتي به واحد من البشر وانه لا بد ان يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ليقع التسليم له والقول منه حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير انكار ولا تزيف وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه اذ الوجود وحياة البشر قد تم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه او بالعصية التي يقدر بها على قهرهم وحملهم على جادته فاهل الكتاب والمتبعون للانبياء قليلون بالنسبة الى الجوس الذين ليس لهم كتاب فانهم اكثر اهل العالم ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والآثار فضلاً عن الحياة وكذلك هي لهم لهذا العهد في الاقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فانه يمتنع وبهذا يتبين لك عظمتهم في وجوب النبوات وانه ليس بعقلي وانما مدركة الشرع كما هو مذهب السلف من الامة والله ولي التوفيق والهداية

### المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاشجار والانهار والاقاليم

اعلم انه قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في احوال العالم ان شكل الارض

كروي وإنما مضمومة بعنصر الماء كأنها عنبة طافية عليه فانحسر الماء عن بعض جوانبها  
 لما اراد الله من تكوين الحيوانات فيها وعمرانها بالنوع البشري الذي له الخلافة على  
 سائرها وقد تبوهم من ذلك أن الماء تحت الأرض وليس بصحيح وإنما تحت الطبيعي  
 قلب الأرض ووسط كرتها الذي هو مركزها والكلمة يطلبه بما فيه من الثقل وما عدا ذلك  
 من جوانبها وإما الماء المحيط بها فهو فوق الأرض وإن قيل في شيء منها أنه تحت الأرض  
 فبالإضافة إلى جهة أخرى منه. وإما الذي انحسر عنه الماء من الأرض فهو النصف من  
 سطح كرتها في شكل دائرة أحاط بالعنصر المائي بها من جميع جهاتها بجزء يسمى البحر  
 المحيط ويسمى أيضاً لبلايه بتفخيم اللام الثانية ويسمى أوقيانوس أسماءً أعجمية ويقال له  
 البحر الأخضر والأسود ثم إن هذا المكتشف من الأرض للعمران فيه القفار والخلاء أكثر  
 من عمرانها والخالي من جهة الجنوب منه أكثر من جهة الشمال وإنما المعمور منه قطعة أميل  
 إلى الجانب الشمالي على شكل مسطح كروي ينتهي من جهة الجنوب إلى خط الاستواء ومن جهة  
 الشمال إلى خط كروي ووراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري الذي بينها  
 سدّاً بجوج وما جوج وهذه الجبال مائلة إلى جهة المشرق وينتهي من المشرق والمغرب  
 إلى عنصر الماء أيضاً بقطعتين من الدائرة المحيطة وهذا المكتشف من الأرض قالوا هو  
 مقدار النصف من الكرة أو أقل والمعمور منه مقدار ربعه وهو المنقسم بالأقاليم السبعة  
 وخط الاستواء يقسم الأرض بنصفين من المغرب إلى المشرق وهو طول الأرض وأكبر  
 خط في كرتها كما أن منطقة فلك الروج دائرة معدل النهار أكبر خط في الملك ومنطقة  
 البروج منقسمة بثلاثمائة وستين درجة والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخاً  
 والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال لأن الميل أربعة آلاف ذراع والذراع أربعة  
 وعشرون أصبغاً والإصبع ست حبات شعير مضمومة ملصق بعضها إلى بعض ظهراً لبطن  
 وبين دائرة معدل النهار التي تقسم الفلك بنصفين وتسامت خط الاستواء من الأرض وبين  
 كل واحد من القطبتين تسعون درجة لكن العارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربع  
 وستون درجة والباقي منها خلافاً لعامة فيو لشدة البرد والجحود كما كانت الجهة الجنوبية  
 خلافاً كلها لشدة الحر كما نبين ذلك كله إن شاء الله تعالى. ثم إن الخبرين عن هذا المعمور  
 وحدوده وما فيه من الأمصار والمدن والجبال والبحار والأنهار والقفار والرمال مثل  
 بطليموس في كتاب الجغرافيا وصاحب كتاب زجار من بعده قسموا هذا المعمور  
 بسبعة أقسام يسمونها الأقاليم السبعة بمحدود وهيبة بين المشرق والمغرب متساوية

في العرض مختلفة في الطول فالاقليم الأول اطول ما بعده وهكذا الثاني الى آخرها فيكون السابع اقصر لما اقتضاه وضع الدائرة الناشئة عن انحسار الماء عن كرة الارض وكل واحد من هذه الاقاليم عندهم منقسم بعشرة اجزاء من المغرب الى المشرق على التوالي وفي كل جزء الخبر عن احواله واحوال عمرانه. وذكروا ان هذا البحر المحيط يخرج منه من جهة المغرب في الاقليم الرابع البحر الرومي المعروف يبدأ في خليج متضيق في عرض اثني عشر ميلاً او نحوها ما بين طنجة وطريف ويسمى الزقاق ثم يذهب مشرقاً وينفتح الى عرض ستائة ميل ونهايته في آخر الجزء الرابع من الاقليم الرابع على الف فرسخ ومائة وستين فرسخاً من مبدئه وعليه هنالك سواحل الشام وعليه من جهة الجنوب سواحل المغرب وهاطنجة عند المخليج ثم افريقية ثم رقة الى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند المخليج ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس الى طريف عند الزقاق قتالة طنجة ويسمى هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كارب مثل افريطش وقبرص وصقلية وميورقة وسردانية ودانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بجران آخران من خليجين. احدها مسامت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضيقاً في عرض رمية السهم ويمر ثلاثة بجانر فيتصل بالقسطنطينية ثم ينسحق في عرض اربعة اميال ويمر في جريه ستين ميلاً ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة اميال فيمد بجرنيطش وهو بحر يخرف من هنالك في يذهبه الى ناحية الشرق فيمر بارض هريقلية وينتهي الى بلاد الخزرية على الف وثلاثائة ميل من فوهته وعليه من الجانبيين امم من الروم والترك ورجان والروس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فاذا انتهى الى سمت الجبل انحرف في سمت المغرب الى بلاد البنادقة وينتهي الى بلاد انكالاية على الف ومائة ميل من مبدئه وعلى حافته من البنادقة والروم وغيرهم امم ويسمى خليج البنادقة. قالوا وينساح من هذا البحر المحيط ايضاً من الشرق وعلى ثلاث عشرة درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر الى الجنوب قليلاً حتى ينتهي الى الاقليم الاول ثم يمر فيه مغرباً الى ان ينتهي في الجزء الخامس منه الى بلاد الحبشة والزيج والى بلاد باب المنذب منه على اربعة الاف فرسخ وخمسة مائة فرسخ من مبدئه ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزيج وبلاد ربر التي ذكرها امرء القيس في شعرة وليسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة

وارض الواق واق وام اخر ليس بعدم الا الففار والخلاء وعليه من جهة الشمال الصين  
من عند مبدئيه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من الاحقاف وزبيد وغيرها ثم بلاد  
الزنج عند نهايته وبعدم الحبشة . قالوا ويخرج من هذا البحر الحبشي بجران آخزان  
احدهما يخرج من نهايته عند باب المنذب فيبدأ متضائفاً ثم يمر مستجراً الى ناحية الشمال  
ومغرباً قليلاً الى ان ينتهي الى مدينة القلزم في الجزء الخامس من الاقليم الثاني على الف  
واربعائة ميل من مبدئيه ويسمى بحر القلزم وبحر السويس وبينه وبين فسطاط مصر  
من هنالك ثلاث مراحل وعليه من جهة الشرق سواحل اليمن ثم الحجاز وجدة ثم مدين  
وايلة وفاران عند نهايته ومن جهة الغرب سواحل الصعيد وعيناب وسواكن وزيلع  
ثم بلاد الحبشة عند مبدئيه واخره عند القلزم يسامت البحر الرومي عند العريش وبينها  
نحو ست مراحل وما زال الملوك في الاسلام وقبله بروموت خرق ما بينها ولم يتم ذلك  
والبحر الثاني من هذا البحر الحبشي ويسمى الخليج الاخضر يخرج ما بين بلاد السند والاحقاف  
من اليمن ويمر الى ناحية الشمال مغرباً قليلاً الى ان ينتهي الى الابله من سواحل البصرة  
في الجزء السادس من الاقليم الثاني على اربعمائة فرسخ واربعين فرسخاً من مبدئيه ويسمى  
بحر فارس وعليه من جهة الشرق سواحل السند ومكران وكرمان وفارس والابله عند  
نهايته من جهة الغرب سواحل البحرين واليامة وعمان والشحر والاحقاف عند مبدئيه  
وفما بين بحر فارس والقلزم جزيرة العرب كانت دخلت من البر في البحر يحيط بها البحر  
الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضي الى العراق  
بين الشام والبصرة على الف وخمسمائة ميل بينها وهنالك الكوفة والقادسية و بغداد  
وابوان كسرى والحيرة ووراء ذلك ام الاعاجم من الترك والخزر وغيرهم وفي جزيرة العرب بلاد  
الحجاز في جهة الغرب منها وبلاد اليامة والبحرين وعمان في جهة الشرق منها وبلاد اليمن  
في جهة الجنوب منها وسواحل على البحر الحبشي . قالوا وفي هذا المعمور بحر اخر منقطع  
من سائر البحار في ناحية الشمال بارض الديلم يسمى بحر جرجان وطبرستان طول الف  
ميل في عرض ستمائة ميل في غربيه اذربيجان والديلم وفي شرقيه ارض الترك وخوارزم  
وفي جنوبيه طبرستان وفي شماليه ارض الخزر واللان . هذه جملة البحار المشهورة التي  
ذكرها اهل الجغرافيا . قالوا وفي هذا الجزء المعمور انهار كثيرة اعطها اربعة انهار وهي  
النيل والفرات ودجلة ونهر بلخ المسمى جيحون . فاما النيل فيبدأ من جبل عظيم وراء  
خط الاستواء بست عشرة درجة على سمت الجزء الرابع من الاقليم الاول ويسمى جبل

القمر ولا يعلم في الارض جبل اعلى منه تخرج منه عيون كثيرة فيصب بعضها في بحيرة  
 هناك وبعضها في اخرى ثم تخرج انهار من البحيرتين فتصب كلها في بحيرة واحدة  
 عند خط الاستواء على عشر مراحل من الجبل ويخرج من هذه البحيرة نهران يذهب  
 احدهما الى ناحية الشمال على سمتهِ ويمر ببلاد النوبة ثم ببلاد مصر فاذا جاوزها تشعب في  
 شعب متقاربة يسمى كل واحد منها خليجاً وتصب كلها في البحر الرومي عند الاسكندرية  
 ويسمى نيل مصر وعليه الصعيد من شرقه والواحات من غربه ويذهب الآخر منعطفاً  
 الى المغرب ثم يمر على سمتهِ الى ان يصب في البحر المحيط وهو نهر السودان وامهم كلهم على  
 ضفتيه. واما الفرات فمبدأهُ من بلاد ارمينية في الجزء السادس من الاقليم الخامس  
 ويمر جنوباً في ارض الروم وملطية الى منبج ثم يمر بصفين ثم بالرقه ثم بالكونة الى ان  
 ينهي الى البطحاء التي بين البصرة واسط ومن هناك يصب في البحر الحبشي وتجلب  
 اليو في طريقه انهار كثيرة وتخرج منه انهار اخرى تصب في دجلة. واما دجلة  
 فمبدأها عين ببلاد خلاط من ارمينية ايضاً وتمر على سمت الجنوب بالموصل واذريجان  
 وبغداد الى واسط فتتفرق الى خليجان كلها تصب في بحيرة البصرة ونقضي الى بحر فارس  
 وهو في الشرق على بين الفرات وتجلب اليو انهار كثيرة عظيمة من كل جانب  
 وفيما بين الفرات ودجلة من اوله جزيرة الموصل قبالة الشام من عدوتي الفرات وقبالة  
 اذريجان من عدوة دجلة. واما نهر جيحون فمبدأهُ من الملح في الجزء الثامن من الاقليم  
 الثالث من عيون هناك كثيرة وتجلب اليو انهار عظام ويذهب من الجنوب الى الشمال  
 فيمر ببلاد خراسان ثم يخرج منها الى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الاقليم الخامس  
 فيصب في بحيرة المرحانية التي باسفل مدينتها وهي مسيرة شهر في مثلها واليها ينصب نهر  
 فرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك وعلى غربي نهر جيحون بلاد خراسان وخوارزم وعلى  
 شرقه بلاد بخارى وترمد وسمرقند ومن هنالك الى ما وراءه بلاد الترك وفرغانة  
 والخزجية وام الاعاجم وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه الشريف في كتاب زجار  
 وصوروا في الجغرافيا جميع ما في المعمور من الجبال والبحار والادوية واستوفوا من ذلك  
 ما لا حاجة لنا به لظولو ولان عنايتنا في الاكثر انما هي بالمغرب الذي هو وطن البربر  
 وبالاطنان التي للعرب من المشرق والله الموفق

## تكملة هذه المقدمة الثانية

في أن الربع الشمالي من الارض أكثر عمراً من الربع الجنوبي وذكر السبب في ذلك

ونحن نرى بالمشاهدة الاخبار المتواترة ان الاول والثاني من الاقاليم المعمورة اقل عمراً مما بعدها وما وجد من عمرائه فيتنخله الخلاء والقفار والرمال والبحر الهندي الذي في الشرق منها وام هذين الاقليمين واناسيها ليست لهم الكثرة البالغة وامصاره ومدنه كذلك والثالث والرابع وما بعدها بخلاف ذلك فالقفار فيها قليلة والرمال كذلك او معدومة وامهما واناسيها تجوز الحد من الكثرة وامصارها ومدنها تجاوز الحد عدداً والعمران فيها مندرج ما بين الثالث والسادس والجنوب خلافاً كلة وقد ذكر كثير من الحكماء ان ذلك لافراط الحر وقلة ميل الشمس فيها عن سمت الروموس فلنوضح ذلك ببرهانه وتبين منه سبب كثرة العارة فيما بين الثالث والرابع من جانب الشمال الى الخامس والسادس. فنقول ان قطبي الفلك الجنوبي والشمالي اذا كانا على الافق فهناك دائرة عظيمة تقسم الفلك بنصفين هي اعظم الدوائر المارة من المشرق الى المغرب ونسي دائرة معدّل النهار وقد تبين في موضعه من الهيئة ان الفلك الاعلى متحرك من المشرق الى المغرب حركة يومية بمرّك بها سائر الافلاك في جوفه قهراً وهذا الحركة محسوسة وكذلك تبين أن للكواكب في افلاكها حركة مخالفة لهذه الحركة وهي من المغرب الى المشرق ويختلف آمادها باختلاف حركة الكواكب في السرعة والبطء وممرات هذه الكواكب في افلاكها تمتاز بها كلها دائرة عظيمة من الفلك الاعلى تقسمه نصفين وهي دائرة فلك البروج منقسمة باثني عشر برجاً وهي على ما تبين في موضعه مقاطعة لدائرة معدّل النهار على نقطتين متقابلتين من البروج هما اول الحمل واول الميزان فتقسمها دائرة معدّل النهار بنصفين نصف مائل عن معدّل النهار الى الشمال وهو من اول الحمل الى آخر السنلة ونصف مائل عن معدّل النهار الى الجنوب وهو من اول الميزان الى اخر المحوت واذا وقع القطبان على الافق في جميع نواحي الارض كان على سطح الارض خط واحد يسامت دائرة معدّل النهار يمر من المغرب الى المشرق ويسمى خط الاستواء ووقع هذا الخط بالرصد على ما زعموا في مبدا الاقليم الاول من الاقاليم السبعة والعمران كلة في الجهة الشمالية عنه والقطب الشمالي يرتفع عن افاق هذا المعمور بالتدرج الى ان ينتهي ارتفاعه الى اربع وستين درجة وهنالك



ينقطع العمران وهو آخر الاقليم الساع واذا ارتفع على الافق تسعين درجة وهي التي بين  
القطب ودائرة معدل النهار صار القطب على سمت الروثوس وصارت دائرة معدل النهار على  
الافق وبقيت ستة من البروج فوق الافق وهي الشمالية وستة تحت الافق وهي الجنوبية  
والعارة فيما بين الاربعة والستين الى التسعين ممتعة لان الحر والبرد حينئذ لا يحصلان  
ممتزجين لبعده الزمان بينهما فلا يحصل التكوين فاذا الشمس تسامت الروثوس على خط  
الاستواء في راس الحمل والميزان ثم تميل عن المسامته الى راس السرطان ورأس الجدي  
ويكون نهاية ميلها عن دائرة معدل النهار اربعا وعشرين درجة ثم اذا ارتفع القطب الشمالي  
عن الافق مالت دائرة معدل النهار عن سمت الروثوس بمقدار ارتفاعه وانخفض القطب  
الجنوبي كذلك بمقدار متساوي في الثلاثة وهو المسمى عند اهل المواقيت عرض البلد واذا  
مالت دائرة معدل النهار عن سمت الروثوس علت عليها البروج الشمالية مندرجة في  
مقدار علوها الى راس السرطان وانخفضت البروج الجنوبية من الافق كذلك الى  
راس الجدي لانحرافها الى الجانبين في افق الاستواء كما قلناه فلا يزال الافق الشمالي  
يرتفع حتى يصير اعد الشمالية وهو راس السرطان في سمت الروثوس وذلك حيث يكون  
عرض البلد اربعا وعشرين في المحازوما يليه وهذا هو الميل الذي اذا مال راس  
السرطان عن معدل النهار في افق الاستواء ارتفع بارفع القطب الشمالي حتي صار  
مسامتا فاذا ارتفع القطب اكثر من اربع وعشرين نزلت الشمس عن المسامته ولا تزال  
في انخفاض الى ان يكون ارتفاع القطب اربعا وستين ويكون انخفاض الشمس عن  
المسامته كذلك وانخفاض القطب الجنوبي عن الافق مثلها فينقطع التكوين لافراط البرد  
والجمد وطول زمانه غير ممتزج بالحر. ثم ان الشمس عند المسامته وما يقاربها تبعث  
الاشعة على الارض على زوايا قائمة وفيما دون المسامته على زوايا منفرجة وحادة واذا  
كانت زوايا الاشعة قائمة عظم الضوء واتشرب بخلافه في المنفرجة والحادة فلهذا يكون الحر  
عند المسامته وما يقرب منها اكثر منه فيما بعد لان الضوء سبب الحر والتسخين  
ثم ان المسامته في خط الاستواء تكون مرتين في السنة عند نقطتي الحمل والميزان  
واذا مالت فغير بعيد ولا يكاد الحر يعتدل في آخر ميلها عند رأس السرطان والجدي  
الا ان صعدت الى المسامته فتبقى الاشعة القائمة الزوايا تلخ على ذلك الافق ويطول  
مكثها او يدوم فيشتعل الهوا حرارة ويرط في شدتها وكذا ما دامت الشمس تسامت  
مرتين فيما بعد خط الاستواء الى عرض اربع وعشرين فان الاشعة ملحة على الافق في

ذلك بقرب من المحاحها في خط الاستواء وافراط الحرّ يفعل في الهواء تخفيفاً ويسبب  
يمنع من التكوين لانه اذا افراط الحرّ جفت المياه والرطوبات وفسد التكوين في المعدن  
والحيوان والنبات اذ التكوين لا يكون الا بالرطوبة ثم اذا مال رأس السرطان عن سمت  
الروّوس في عرض خمس وعشرين فما بعده نزلت الشمس عن المسامته فيصير الحرّ  
الى الاعتدال او يميل عنه ميلاً قليلاً فيكون التكوين وبتزايد على التدرج الى ان يفترط  
البرد في شدته لقلّة الضوء وكون الاشعة منفرجة الزوايا فينقص التكوين ويفسد بيداً أنّ  
فساد التكوين من جهة شدّة الحرّ اعظم منه من جهة شدّة البرد لان الحرّ اسرع تأثيراً  
في التخفيف من تأثير البرد في الجهد فلذلك كان العمران في الاقليم الاول والثاني قليلاً  
وفي الثالث والرابع والخامس متوسطاً لاعتدال الحرّ بقصان الصوء وفي السادس  
والسابع كثيراً لنقصان الحرّ وانّ كيفية البرد لا تؤثر عند اولها في فساد التكوين كما  
يفعل الحرّ اذ لا تخفيف فيها الا عند الافراط بما يعرض لها حيثئذ من اليبس كما بعد  
السابع فلهذا كان العمران في الربع الشمالي اكثر واوفر والله اعلم. ومن هنا اخذ الحكماء  
خلاء خط الاستواء وما وراءه واورد عليهم انه معمور بالمشاهدة والاخبار المتواترة  
فكيف يتم البرهان على ذلك والظاهر انهم لم يريدوا امتناع العمران فيه بالكلية انما  
ادّاهم البرهان الى ان فساد التكوين فيه قوئياً ما فراط الحرّ والعمران فيه اما ممتنع او  
ممكن اقلّي وهو كذلك فان خط الاستواء والذي وراءه وان كان فيه عمران كما نقل  
فهو قليل جداً. وقد زعم ابن رشد ان خط الاستواء معتدل وان ما وراءه في الجنوب  
بمثابة ما وراءه في الشمال فيعمر منه ما عمر من هذا والذي قاله غير ممتنع من جهة فساد  
التكوين وانما امتنع فيما وراء خط الاستواء في الجنوب من جهة ان العنصر المائي غمر وجه  
الارض هنالك الى الحد الذي كان مقابلة من الجهة الشمالية قابلاً للتكوين ولما امتنع المعتدل  
لغيبية الماء تبعه ما سواه لان العمران متدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود لا من جهة  
الامتناع واما القول بامتناعه في خط الاستواء فيرده النقل المتواتر والله اعلم. ولنرسم بعد هذا  
الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زجارتنا ثم نأخذ في تفصيل الكلام عليها الى آخرة

### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

اعلم ان الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة اقسام من الشمال الى  
الجنوب يسمون كل قسم منها اقليماً فانقسم المعمور من الارض كلة على هذه السبعة الاقاليم

كل واحدٍ منها أخذ من الغرب الى الشرق على طوله. فالاول منها مأز من المغرب الى المشرق مع خط الاستواء بمجده من جهة الجنوب وليس وراءه هنالك الا القفار والرمال وبعض عمارة ان صحت فهي كلا عمارة ويبدو من جهة شماليه الاقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع الا الخلاء والقفار الى ان ينتهي الى البحر المحيط كالحال فيما وراء الاقليم الاول في جهة الجنوب الا ان الخلاء في جهة الشمال اقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب. ثم ان ازمة الليل والنهار تتفاوت في هذه الاقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس الليل والنهار لذلك وينتهي طول الليل والنهار في اخر الاقليم الاول وذلك عند حلول الشمس براس المجدي لليل و براس السرطان للنهار كل واحد منها الى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر الاقليم الثاني ما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس راس السرطان وهو منقلبا الصيفي الى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله اطول الليل عند منقلبا الشتوي راس المجدي ويبقى للاقصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف من جملة اربع وعشرين الساعات الزمانية لمجموع الليل والنهار وهي دورة الفلك الكاملة. وكذلك في اخر الاقليم الثالث ما يلي الشمال ايضا ينتهيان الى اربع عشرة ساعة وفي اخر الرابع الى اربع عشرة ساعة ونصف ساعة وفي آخر الخامس الى خمس عشرة ساعة وفي اخر السادس الى خمس عشرة ساعة ونصف وفي آخر السابع الى ست عشرة ساعة وهنالك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الاقاليم في الاطول من ليلا ونهارها بنصف ساعة لكل اقليم يتزايد من اوله في ناحية الجنوب الى اخره في ناحية الشمال موزعة على اجزاء هذا البعد. واما عرض البلدان في هذه الاقاليم وهو عمارة عن بعد ما بين سمت راس البلد ودائرة معدل النهار الذي هو سمت راس خط الاستواء ويمثله سواء بخص القطب الجنوبي عن افق ذلك البلد ويرتفع القطب الشمالي عنه وهو ثلاثة ابعاد متساوية تسمى عرض البلد كما مر ذلك قبل. والمتكلمون على هذه الجغرافيا قسموا كل واحد من هذه الاقاليم السبعة في طوله من المغرب الى المشرق بعشرة اجزاء متساوية ويذكرون ما اشتمل عليه كل جزء منها من البلدان والامصار والجبال والانهار والمسافات بينها في المسالك ونحن الآن نوجز القول في ذلك ونذكر مشاهير البلدان والانهار والبحار في كل جزء منها ونحاذي بذلك ما وقع في كتاب زهرة المشتاق الذي الفه العلوي الادريسي

المحمدي ملك صقلية من الافرنج وهو زجار بن زجار عند ما كان نازلاً عليه بصقلية بعد  
 خروج صقلية من امارة مالقة وكان تاليفه للكتاب في منتصف المائة السادسة وجمع له  
 كتباً جمّة للسعودي وابن خرداذبه والحوقلي والقدري وابن اسحاق المنجم وطلهيموس  
 وغيرهم ونبأ منها بالاقليم الاول الى آخرها والله سبحانه وتعالى يعصنا بمبته وفضله  
 الاقليم الاول . وفيه من جهة غربيه الجزائر الخالدات التي منها بدأ تطلهيموس  
 باخذ اطوال البلاد وليست في سبط الاقليم وإنما هي في البحر المحيط جزر متكثرة  
 اكبرها واشهرها ثلاثة ويقال انها معمورة وقد بلغنا ان سفائن من الافرنج مرت بها في  
 اواسط هذه المائة وقتلهم فغنموا منهم وسوا وباعوا بعض اسراهم بسواحل المغرب الاقصى  
 وصاروا الى خدمة السلطان فلما تعلموا اللسان العربي اخبروا عن حال جزائرهم وانهم  
 يحفرون الارض للزراعة بالقرون وان الحديد مفقود بارضهم وعيشهم من الشعير  
 وماشيتهم المعز وقتلهم بالحجارة يرمونها الى خلف وعبادتهم السجود للشمس اذا طلعت ولا  
 يعرفون ديناً ولم تبلغهم دعوة ولا يوقف على مكان هذه الجزائر الا بالغنور لا بالقصد اليه لان  
 سفر السفن في البحر انما هو بالرياح ومعرفة جهات مهابها والى ابن بوصل اذا مرت على الاستقامة  
 من البلاد التي في ممر ذلك المهب واذا اختلف المهب وعلم حيث يوصل على الاستقامة  
 حودي به القلع محاذة بحمل السفينة بها على قوانين في ذلك محصلة عند النواية والملاحين  
 الذين هم روساء السفن في البحر والبلاد التي في حفا في البحر الرومي وفي عدوته مكتوبة  
 كلها في صحيفة على شكل ما هي عليه في الوجود وفي وضعها في سواحل البحر على ترتيبها  
 ومهاب الرياح وممراتها على اختلافها مرسوم معها في تلك الصحيفة ويسمونها الكنباص  
 وعليها يعتمدون في اسفارهم وهذا كله مفقود في البحر المحيط فلذلك لا تلج فيه السفن لانها  
 ان غابت عن مرأى السواحل فقل ان تهتدي الى الرجوع اليها مع ما يتعقد في جور هذا  
 البحر وعلى سطح مائه من الابخرة المانعة للسفن في مسيرها وهي لعددها لا تدرکها اضاءة  
 الشمس المنعكسة من سطح الارض فتحللها فلذلك عسر الاهتداء اليها وصعب الوقوف على  
 خبرها . واما الجزء الاول من هذا الاقليم ففيه مصب النيل الآتي من مبدئه عند جبل  
 القمر كما ذكرناه ويسمى نيل السودان ويذهب الى البحر المحيط فيصب فيه عند جزيرة  
 اولئك وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور وغانة وكأها لهذا العهد في مملكة ملك مالي  
 من امم السودان والى بلادهم تسافر تجار المغرب الاقصى والقرب منها من شماليها بلاد  
 لمنونة وسائر طوائف الملتين ومفاوز يجولون فيها وفي جنوبي هذا النيل قوم من السودان

يقال لهم الملم وهم كفار ويكتنون في وجوههم وأصدانهم وأهل غانة والتكرور يغيرون  
 عليهم ويسبونهم ويبيعونهم للتجار فيحبونهم الى المغرب وكلهم عامة رقيقهم وليس وراءهم في  
 الجنوب عمران يعتبر الا اناسي اقرب الى الحيوان العجم من الناطق يسكنون الفيافي  
 والكهوف وياكلون العشب والحبوب غير مهياًة وربما يأكل بعضهم بعضاً وليسوا في عداد  
 البشر . وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدرارين  
 ووركلان . فكان في غانة فيما يقال ملك ودولة لقوم من العلوبين يعرفون ببني صالح  
 وقال صاحب كتاب زجاراته صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن ولا يعرف صالح هذا  
 في ولد عبد الله بن حسن وقد ذهبت هذه الدولة لهذا العهد وصارت غانة لسلطان مالي  
 وفي شرقي هذا البلد في الجزء الثالث من هذا الاقليم بلد كوكو على نهر ينبع من بعض  
 الجبال هنالك ويمر مغرباً فيغوص في رمال الجزء الثاني . وكان ملك كوكو قائماً بنفسه  
 ثم استولى عليها سلطان مالي واصبحت في مملكته وخربت لهذا العهد من اجل فتنة وقعت  
 هناك نذكرها عند ذكر دولة مالي في محلها من تاريخ البربر وفي جنوبي بلد كوكو بلاد  
 كاتم من ام السودان وبعدهم ونغارة على ضفة النيل من شماليه وفي شرقي بلاد ونغارة  
 وكاتم بلاد زغاوة وتاجرة المتصلة بارض النوبة في الجزء الرابع من هذا الاقليم وفيه يمر  
 نيل مصر ذاهباً من مبدئه عند خط الاستواء الى البحر الرومي في الشمال ويخرج هذا  
 النيل من جبل القمر الذي فوق خط الاستواء بست عشرة درجة واختلفوا في ضبط  
 هذه اللقطة فسطها بعضهم بفتح القاف والميم نسبة الى قمر السماء لشدة بياضه وكثرة ضوءه  
 وفي كتاب المشترك لياقوت بضم القاف وسكون الميم نسبة الى قوم من اهل الهند وكذا  
 ضبطه ابن سعيد فيخرج من هذا الجبل عشر عيون تجتمع كل خمسة منها في بحيرة وبينهما  
 ستة اميال ويخرج من كل واحدة من البحيرتين ثلاثة انهار تجتمع كلها في بطيحة واحدة  
 في اسفلها جبل معترض يشق البحيرة من ناحية الشمال وينقسم ماؤها بقسمين فيمر الغربي  
 منه الى بلاد السودان مغرباً حتى يصب في البحر المحيط ويخرج الشرقي منه ذاهباً الى  
 الشمال على بلاد الحبشة والنوبة وفيما بينها وينقسم في اعلى ارض مصر فيصبت ثلاثة من  
 جداوله في البحر الرومي عند الاسكندرية ورشيد ودمياط ويصب واحد في بحيرة ملحمة  
 قبل ان يتصل بالبحر في وسط هذا الاقليم الاول . وعلى هذا النيل بلاد النوبة والحبشة  
 وبعض بلاد الواحات الى اسوان وحاضرة بلاد النوبة مدينة دنقلة وهي في غربي هذا  
 النيل وبعدها علوة وبلاق وبعدها جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاق في الشمال

وهو جبل عالٍ من جهة مصر ومنخفض من جهة النوبة فينفذ فيه النيل ويصب في  
مهوى بعيد صبا مهولا فلا يمكن ان تسلكه المراكب بل يحول الوسى من مراكب السودان  
فيحمل على الظهر الى بلد اسوان قاعدة الصعيد وكذا وسق مراكب الصعيد الى فوق  
الجنادل وبين الجنادل واسوان اثنتا عشرة مرحلة والواحات في غربها عدوة النيل وهي  
الآن خراب وبها آثار العارة القديمة. وفي وسط هذا الاقليم في الجزء الخامس منه بلاد  
الحبشة على وادي ياتي من وراء خط الاستواء ذاهبا الى ارض النوبة فيصب هناك في  
النيل الهاط الى مصر وقد وهم فيه كثير من الناس وزعموا انه من نيل القهرو ونطليموس  
ذكره في كتاب الجغرافيا وذكر انه ليس من هذا النيل. والى وسط هذا الاقليم في الجزء  
الخامس ينتهي بحر الهند الذي يدخل من ناحية الصين ويفرعامة هذا الاقليم الى هذا الجزء  
الخامس فلا يبقى فيه عمران الا ما كان في الجزائر التي في داخله وهي متعددة يقال تنتهي  
الى الف جربة او فيا على سواحلها الجنوبية وهي آخر المعمرين في الجنوب او فيا على سواحلها  
من جهة الشمال وليس منها في هذا الاقليم الا اول الاطراف من بلاد الصين في جهة  
الشرق وفي بلاد اليمن. وفي الجزء السادس من هذا الاقليم فيما بين البحرين الهابطين  
من هذا البحر الهندي الى جهة الشمال وها بحر قلزم وبحر فارس وفيها بينهما جربة العرب  
وتشتمل على بلاد اليمن وبلاد الشعر في شرقيها على ساحل هذا البحر الهندي وعلى بلاد  
الحجاز واليامة وما اليهما كما ذكره في الاقليم الثاني وما بعده فاما الذي على ساحل هذا  
البحر من غربيه فبلد زالع من اطراف بلاد الحبشة ومجالات البحجة<sup>(١)</sup> في تنالي الحبشة ما بين  
جبل العلاقي في اعالي الصعيد وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي وتحت بلاد زالع  
من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب يضيق البحر الهابط هنالك بمزاحمة  
جبل المندب المائل في وسط البحر الهندي متدأ مع ساحل اليمن من الجنوب الى الشمال  
في طول اثني عشر ميلا فيضيق البحر بسبب ذلك الى ان يصير في عرض ثلاثة اميال او  
نحوها ويسمى باب المندب وعليه تمر مراكب اليمن الى ساحل السويس قريبا من مصر  
وتحت باب المندب جربة سواكن ودهلك وقبائله من غربيه مجالات البحجة من ام  
السودان كما ذكرناه ومن شرقيه في هذا الجزء تنائم اليمن ومنها على ساحله بلد علي بن  
يعقوب وفي جهة الجنوب من بلد زالع وعلى ساحل هذا البحر من غربيه قرى بربر يتلو  
بعضها بعضا ويعطف من جنوبيه الى آخر الجزء السادس ويليها هنالك من جهة شرقيها

١ و يقال ايضا البحجة واما زالع فهي زبلع اناه

بلاد الرنج ثم بلاد سفالة على ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الاقليم وفي شرقي بلاد سفالة من ساحله الجنوبي بلاد الواق واق متصلة الى آخر الجزء العاشر من هذا الاقليم عند مدخل هذا البحر المحيط . واما جزائر هذا البحر فكثيرة . من اعظمها جزيرة سرنديب مدورة الشكل . وبها الجبل المشهور يقال ليس في الارض اعلى منه وهي قتالة سفالة . ثم جزيرة القهروهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة ارض سفالة وتذهب الى الشرق منحرفة بكثير الى الشمال الى ان تقرب من سواحل اعالي الصين ويحذف بها في هذا البحر من جنوبيها جزائر الواق واق ومن شرقيها جزائر السيلان الى جزائر آخر في هذا البحر كثيرة العدد وفيها انواع الطيب والافاويه وفيها يقال معادن الذهب والزمرد وعامة اهلها على دين الجوسية . وفيهم ملوك متعددون وبهذه الجزائر من احوال العبران عجائب ذكرها اهل الجغرافيا وعلى الضفة الشمالية من هذا البحر في الجزء السادس من هذا الاقليم بلاد اليمن كلها فمن جهة بحر القلزم بلد زيد والمهجم ونهامة اليمن وبعدها بلدصعدة مقر الامامة الزيدية وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر الشرقي وفيما بعد ذلك مدينة عدن . وفي شمالها صنعاء وبعدها الى المشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حصرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس . وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشف عنها البحر من اجزاء هذا الاقليم الوسطى وينكشف بعدها قليل من الجزء التاسع واكثر منه من العاشر فيه اعالي بلاد الصين ومن مدنيه الشهيرة خاكو وقالتها من جهة الشرق جزائر السيلان وقد تقدم ذكرها وهذا اخر الكلام في الاقليم الاول والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق بنيه وفضله الاقليم الثاني . وهو متصل بالاول من جهة الشمال وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر المخالطات التي مر ذكرها وفي الجزء الاول والثاني منه في الجانب الاعلى منها ارض قبورية وبعدها في جهة الشرق اعالي ارض غانة ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الاسفل منها صحراء نيسر متصلة من الغرب الى الشرق ذات مفاوز تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملتين من ضنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كرولة وملتونة ومسراتة ولمطة ووريكة وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً ارض فران ثم مجالات اركار من قبائل البربر ذاهبة الى اعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من ام السودان ثم قطعة من ارض الياجورين وفي اسفل هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض ودان

وعلى سمتها شرقاً ارض سنترية ونسى الواحات الداخلة وفي الجزء الرابع من اعلاه بقية ارض الباجوين ثم يعترض في وسط هذا الجزء بلاد الصعيد حناني النيل الناهب من مبدئيه في الاقليم الاول الى مصبه في البحر فيمتر في هذا الجزء بين الجبلين المحاذين وها جبل الواحات من غريبه وجبل المقطم من شرقيه وعليه من اعلاه بلد اسنا وارمنت ويتصل كذلك حنانيه الى اسبوط وقوص ثم الى صول و يفترق النيل هنالك على شعبين ينتهي الايمن منهما في هذا الجزء عند اللاهون والايسر عند دلاص وفيما بينهما اعالي ديار مصر وفي الشرق من جبل المقطم صحارى عيذاب ذاهبة في الجزء الخامس الى ان تنتهي الى بحر السويس وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي في الجنوب الى جهة الشمال وفي عدوته الشرقية من هذا الجزء ارض الحجاز من جبل بلعم الى بلاد يثرب وفي وسط الحجاز مكة شرفها الله وفي ساحلها مدينة جدة تقابل بلد عيذاب في العدو الغربية من هذا البحر . وفي الجزء السادس من غريبه بلاد نجد اعلاها في الجنوب وتساله وجرش الى عكاظ من الشمال وتحت نجد من هذا الجزء بقية ارض الحجاز وعلى سمتها في الشرق بلاد نجران وخيبر وتحتها ارض اليمامة وعلى سمت نجران في الشرق ارض سبا وما رب ثم ارض الشحر وينتهي الى محرقارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي الى الشمال كما مر ويذهب في هذا الجزء بانحراف الى الغرب فيمر ما بين شرقيه وجوفيه قطعة مثلثة عليها من اعلاه مدينة قلهاث وهي ساحل الشحر ثم تحنها على ساحله بلاد عمان . ثم بلاد البحرين وهجر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الاعلى من غريبه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الاخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبها الاعلى كله وعليه هنالك بلاد السند الى بلاد مكران ويقابلها بلاد الطوران وهي من السند ايضاً فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول المناور بينه وبين ارض الهند ويرفيه نهره الآتي من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي في الجنوب واول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقاً بلاد بلهرا وتحتها الملتان بلاد الصنم المعظم عندهم ثم الى اسفل من السند ثم الى اعالي بلاد سمجستان وفي الجزء الثامن من غريبه بقية بلاد بلهرا من الهند وعلى سمتها شرقاً بلاد القندهار ثم بلاد منيبار وفي الجانب الاعلى على ساحل البحر الهندي وتحتها في الجانب الاسفل ارض كابل وبعدها شرقاً الى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين قشيمر الداخلة وقشيمر الخارجة عند اخر الاقليم وفي الجزء التاسع ثم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الاقصى ويتصل فيه الى الجانب الشرقي فيتصل من اعلاه الى العاشر وتبقي في اسفل



ذلك الجانب قطعة من بلاد الصين فيها مدينة شينغون ثم تتصل بلاد الصين في الجزء  
 العاشر كله الى البحر المحيط والله ورسوله اعلم وبه سبحانه التوفيق وهو لبي الفضل والكرم  
 الاقليم الثالث وهو متصل بالثاني من جهة الشمال ففي الجزء الاول منه وعلى نحو  
 الثلث من اعلاه جبل درن معترض فيه من غزيبه عند البحر المحيط الى الشرق عند  
 اخره ويسكن هذا الجبل من البررام لا يحصيهم الا خالفهم حسبما ياتي ذكره وفي القطعة  
 التي بين هذا الجبل والاقليم الثاني وعلى البحر المحيط منهار باط ماسة ويتصل به شرقاً  
 بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقاً بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة من صحراء نيسر  
 المفازة التي ذكرها في الاقليم الثاني وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها في هذا الجزء  
 وهو قليل الثياب والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر  
 ثياباً ومسالكه الى ان ينتهي وفي هذه الناحية من ام المصامدة ثم هتانة ثم تينملك ثم كدميوه  
 ثم مشكورة وهم اخر المصامدة فيه ثم قنائل صنعها وهم صنعها وفي اخر هذا الجزء منه  
 بعض قنائل زبانه ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كنامة وبعد  
 ذلك ام اخرى من البرارة نذكرهم في اماكنهم ثم ان جبل درن هذا من جهة غربية  
 مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفيه في الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش  
 واغيات ونادلا وعلى البحر المحيط منها رباط اسفي ومدينة سلا وفي الجوف عن بلاد مراکش  
 بلاد فاس ومكناسة ونازا وقصر كنامة وهذه هي التي تسمى المغرب الاقصى في عرف اهلهما  
 وعلى ساحل البحر المحيط منها بلدان اصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقاً بلاد  
 المغرب الاوسط وقاعدتها نلسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هين ووهرا والجزائر  
 لان هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة في الناحية الغربية من الاقليم  
 الرابع ويذهب مشرقاً فينتهي الى بلاد الشام فاذا خرج من الخليج المتضيق غير بعيد  
 انفسع جنوباً وشمالاً فدخل في الاقليم الثالث والخامس فلماذا كان على ساحله من هذا  
 الاقليم الثالث الكثير من بلاده ثم يتصل بلاد الجزائر من شرقها بلاد بجاية في ساحل  
 البحر ثم قسطنطينة في الشرق منها وفي اخر الجزء الاول وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب  
 هذه البلاد ومرتفعاً الى جنوب المغرب الاوسط بلد اشير ثم بلاد المسيلة ثم الزاب وقاعدته  
 بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن كما مر وذلك عند اخر هذا الجزء من جهة  
 الشرق والجزء الثاني من هذا الاقليم على هيئة الجزء الاول ثم جبل درن على نحو الثلث  
 من جنوبه ذاهباً فيه من غرب الى شرق فيقسمه بقطعتين ويفجر البحر الرومي مسافة

من شماله فالقطعة الجنوبية عن جبل درن غربيها كلة مفاوز وفي الشرق منها بلد غدامس  
وفي سمتها شرقاً ارض ودان التي بقيتها في الاقليم الثاني كما مرّ والقطعة الجوفية عن جبل  
درن ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل اوراس وتسنة والابس وعلى  
ساحل البحر بلد بونة ثم في سمت هذه البلاد شرقاً بلاد افريقية فعلى ساحل البحر مدينة  
تونس ثم السوسة ثم المهديّة وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن بلاد المجريد توزر  
وقفصة ونزاة وفيما بينها وبين السواحل مدينة القيروان وجبل وسلات وسيطلة وعلى  
سمت هذه البلاد كلها شرقاً بلد طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل دمر  
ونقرة من قبائل هوارّة متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس التي مر ذكرها في آخر القطعة  
الجنوبية واخر هذا الجزء في الشرق سويقة ان مشكورة على البحر وفي جنوبها مجالات  
العرب في ارض ودان وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم ثم ايضاً فيه جبل درن الا انه  
ينعطف عند اخره الى الشمال ويذهب على سمتيه الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى  
هنالك طرف اوثنان والبحر الرومي من شماليه بغمر طائفة منه الى ان يضايق ما بينه وبين  
جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية ارض ودان ومجالات  
العرب فيها ثم زوبلة ان خطاب ثم رمال وقنار الى اخر الجزء في الشرق وفيما بين الجبل  
والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلاه وقنار تجول فيها العرب ثم اجداية ثم  
برقة عند منعطف الجبل ثم طلوسة على البحر هنالك ثم في شرق المنعطف من الجبل مجالات  
هيب ورواحه الى آخر الجزء وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم وفي الاعلى من غربيه صحارى  
برقيق واسفل منها بلاد هيب ورواحه ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طائفة  
منه الى الجنوب حتى يزاحم طرفه الاعلى ويبقى بينه وبين اخر الجزء قنار تجول فيها العرب  
وعلى سمتها شرقاً بلاد الفيوم وهي على مصب احد الشعين من النيل الذي يمر على اللاهون  
من بلاد الصعيد في الجزء الرابع من الاقليم الثاني ويصب في بحيرة فيوم وعلى سمتيه شرقاً  
ارض مصر ومدينتها الشهيرة على الشعب الثاني الذي يربداص من بلاد الصعيد  
عند اخر الجزء الثاني ويتفرق هذا الشعب افتراقاً ثانية من تحت مصر على شعين آخرين  
من شطنوف وزفقي وينقسم اليمين منها من قرمط بشعين آخرين ويصب جميعها في  
البحر الرومي فعلى مصب الغربي من هذا الشعب بلاد الاسكندرية وعلى مصب الوسط بلد  
رشيد وعلى مصب الشرقي بلد دمياط وبين مصر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية  
اسافل الديار المصرية كلها محشوة عمراناً وفتحاً وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم بلاد

الشام وأكثرها على ما اصف وذلك لان بحر القلزم ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند  
 السويس لانه في ممره مبتدى من البحر الهندي الى الشمال ينعطف آخذاً الى جهة الغرب  
 فتكون قطعة من انعطافه في هذا الجزء طويلة فينتهي في الطرف الغربي منه الى السويس  
 وعلى هذه للقطعة بعد السويس فاران ثم جبل الطور ثم آيلة مدين ثم الحوراء في آخرها  
 ومن هنالك ينعطف بساحله الى الجنوب في ارض الحجاز كما مر في الاقليم الثاني في الجزء  
 الخامس منه وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء قطعة من البحر الرومي غمرت كثيراً من  
 غريبه عليها الفرما والعريش وقارب طرفها بلد القلزم فيضابق ما بينها من هنالك وبقي  
 شبه الباب منضياً الى ارض الشام وفي غربي هذا الباب فحص التيه ارض جرداء  
 لا تنبت كانت محلاً لبني اسرائيل بعد خروجهم من مصر وقبل دخولهم الى الشام  
 اربعين سنة كما قصه القرآن وفي هذه القطعة من البحر الرومي في هذا الجزء  
 طائفة من جزيرة قبرص وبقيتها في الاقليم الرابع كما نذكره وعلى ساحل هذه القطعة عند  
 الطرف المتضيق لبحر السويس بلد العريش وهو اخر الدبار المصرية وعسقلان وبينها  
 طرف هذا البحر ثم تحط هذه القطعة في انعطافها من هنالك الى الاقليم الرابع عند طرابلس  
 وغرة وهنالك ينتهي البحر الرومي في جهة الشرق وعلى هذه القطعة أكثر سواحل الشام في  
 شرقه غزة ثم عسقلان وياخرف يسير عنها الى الشمال بلد قيسارية ثم كذلك بلد عكا ثم  
 صور ثم صيدا ثم ينعطف البحر الى الشمال في الاقليم الرابع ويقابل هذه البلاد الساحلية من  
 هذه القطعة في هذا الجزء جبل عظيم يخرج من ساحل ايله من بحر القلزم ويذهب في ناحية  
 الشمال منحرفاً الى الشرق الى ان يجاوز هذا الجزء ويسمى جبل اللكام وكأنه حاجز بين ارض  
 مصر والشام ففي طرفه عند ايلة العقبة التي يمر عليها الحجاج من مصر الى مكة ثم بعدها في ناحية  
 الشمال مدفن الخليل عليه الصلاة والسلام عند جبل السراة يتصل من عند جبل اللكام  
 المذكور من شمال العقبة ذاهباً على سمت الشرق ثم ينعطف قليلاً وفي شرقه هنالك بلد  
 الحجر وديار نمود وتيماء ودومة الجندل وهي اسفل الحجاز وفوقها جبل رضوى وحصون  
 خيبر في جهة الجنوب عنها وفيما بين جبل السراة وبحر القلزم صحراء تبوك وفي شمال جبل  
 السراة مدينة القدس عند جبل اللكام ثم الاردن ثم طبرية وفي شرقها بلاد الغور الى  
 اذرعات وفي سمتها شرقاً دومة الجندل آخر هذا الجزء وهي اخر الحجاز . وعند منعطف  
 جبل اللكام الى الشمال من اخر هذا الجزء مدينة دمشق مقابلة صيدا ويبروت من  
 القطعة البحرية . وجبل اللكام يعترض بينها وبينها وعلى سمت دمشق في الشرق مدينة

بعلبك ثم مدينة حمص في الجهة الشمالية آخر الجزء عند منقطع جبل اللكام وفي الشرق  
 عن بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء وفي الجزء السادس من  
 اعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليامة ما بين جبل العرج والصمان الى البحرين  
 وهجر على بحر فارس وفي اسافل هذا الجزء تحت المجالات بلد الحيرة والقادسية ومغابض  
 الفرات. وفيما بعدها شرقاً مدينة البصرة وفي هذا الجزء ينتهي بحر فارس عند عبادان  
 والأبلة من اسافل الجزء من شماله ويصب فيه عند عبادان نهر دجلة بعد ان ينقسم  
 بجداول كثيرة وتختلط به جداول اخرى من الفرات ثم تجتمع كلها عند عبادان ونصب  
 في بحر فارس وهذه القطعة من البحر متسعة في اعلاه متضايقة في اخره في شقيه وضيقة  
 عند منتهاه متضايقة للمحد الشمالي منه وعلى عدوتها الغربية منه اسافل البحرين وهجر  
 والاحساء وفي غربها اخطب والصمان وبقية ارض اليمامة وعلى عدوته الشرقية سواحل  
 فارس من اعلاها وهو من عند آخر الجزء من الشرق على طرف قدامتد من هذا البحر  
 مشرقاً ووراءه الى الجنوب في هذا الجزء جبال القفص من كرمان وتحت هرمز على الساحل  
 بلد سيراف ونجبرم على ساحل هذا البحر. وفي شرقيه الى آخر الجزء وتحت هرمز بلاد  
 فارس مثل سابور ودارايمرد ونسا واصطخر والشاهجان وشيراز وهي قاعدتها كلها وتحت  
 بلاد فارس الى الشمال عند طرف البحر بلاد خوزستان ومنها الاهواز ونستر وصدى  
 وسابور والسوس ورام هرمز وغيرها وأرجان وهي حد ما بين فارس وخوزستان وفي  
 شرقي بلاد خوزستان جبال الاكراد متصلة الى نواحي اصبهان وبها مساكنهم ومجالاتهم  
 ووراءها في ارض فارس ونسي الرسوم وفي الجزء السابع في الاعلي منه من المغرب بقية  
 جبال القفص ويلبها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ومن مدنها الرودان  
 والشيرجان وجيرفت ويزدشير والبهرج وتحت ارض كرمان الى الشمال بقية بلاد فارس  
 الى حدود اصبهان ومدينة اصبهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وتماهله في المشرق  
 عن بلاد كرمان وبلاد فارس ارض سجستان وكوهستان في الجنوب وارض كوهستان  
 في الشمال عنها ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سجستان وكوهستان في وسط هذا  
 الجزء المفاوز العظي القليلة المسالك لصعوبتها ومن مدن سجستان بست والطاق واما  
 كوهستان فهي من بلاد خراسان ومن مشاهير بلادها سرخس وقوهستان آخر الجزء  
 وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الملح من أم الترك متصلة بارض سجستان  
 من غربها وبارض كابل الهند من جنوبها. وفي الشمال عن هذه المجالات جبال الغور

وبلادها وقاعدتها غزنة فرضة الهند وفي اخر الغور من الشمال بلاد استراباد ثم في الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد هراة اوسط خراسان وبها اسفراين وقاشان وموشغومرو الروذ والطالقان والمجوزجان وتنتهي خراسان هنالك الى نهر جيحون . وعلى هذا النهر من بلاد خراسان من غربيه مدينة بلخ وفي شرقيه مدينة ترمذ ومدينة بلخ كانت كرسي مملكة الترك وهذا النهر نهر جيحون مخرجه من بلاد وجار في حدود بدخشان ما يلي الهند ويخرج من جنوب هذا الجزء وعند اخره من الشرق فينعطف عن قرب مغرباً الى وسط الجزء ويسمى هنالك نهر خراب ثم ينعطف الى الشمال حتى يمر بخراسان ويذهب على سمنه الى ان يصب في بحيرة خوارزم في الاقليم الخامس كما نذكره وبمده عند انعطافه في وسط الجزء من الجنوب الى الشمال خمسة ايام عظيمة من بلاد الخنل والوخش من شرقيه وانهار اخرى من جبال البتم من شرقيه ايضاً وجوفي الجبل حتى يتسع ويعظم بما لا كفاة له ومن هذه الانهار الخمسة المدة له نهر وخشاب يخرج من بلاد التبت وهي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء فيمر مغرباً بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريباً من شمال هذا الجزء يعترضه في طريقه جبل عظيم يمر من وسط الجنوب في هذا الجزء ويذهب مشرقاً بانحراف الى الشمال الى ان يخرج الى الجزء التاسع قريباً من شمال هذا الجزء فيجوز بلاد التبت الى القطعة الشرقية الجنوبية من هذا الجزء ويجول بين الترك وبين بلاد الخنل وليس فيه الا مسلك واحد في وسط الشرق من هذا الجزء جعل فيه الفضل بن يحيى سدّاً ونى فيه باباً كسدّ يا جوج وما جوج فاذا خرج نهر وخشاب من بلاد التبت واعترضه هذا الجبل فيمر تحته في مدى بعيد الى ان يمر في بلاد الوخش ويصب في نهر جيحون عند حدود بلخ ثم يمر هابطاً الى الترمذ في الشمال الى بلاد المجوزجان وفي الشرق عن بلاد الغور فيما بينها وبين نهر جيحون بلاد الناسان من خراسان وفي العدة الشرقية هنالك من النهر بلاد الخنل واكثرها جبال وبلاد الوخش ويجدها من جهة الشمال جبال البتم تخرج من طرف خراسان غربي نهر جيحون وتذهب مشرقة الى ان يتصل طرفها بالجبل العظيم الذي خلفه بلاد التبت ويمر تحته نهر وخشاب كما قلناه فيتصل به عند باب الفضل بن يحيى ويمر نهر جيحون بين هذه الجبال وانهاراً اخرى نصب فيه منها نهر بلاد الوخش يصب فيه من الشرق تحت الترمذ الى جهة الشمال ونهر بلخ يخرج من جبال البتم من مبدئه عند المجوزجان ويصب فيه من غربيه وعلى هذا النهر من غربيه بلاد آمد من خراسان وفي شرقي النهر من هنالك ارض الصغد وأسر وشنة من

بلاد الترك وفي شرقها ارض فرغانة ايضاً الى آخر الجزء شرقاً وكل بلاد الترك تحوزها  
 جبال البتم الى شمالها وفي الجزء التاسع من غربيه ارض التبت الى وسط الجزء وفي جنوبيها  
 بلاد الهند وفي شرقها بلاد الصين الى آخر الجزء وفي اسفل هذا الجزء شمالاً عن بلاد  
 التبت بلاد الخزجية من بلاد الترك الى آخر الجزء شرقاً وشمالاً ويتصل بها من غربيها  
 ارض فرغانة ايضاً الى آخر الجزء شرقاً ومن شرقها ارض التنغرغر من الترك الى الجزء  
 شرقاً وشمالاً. وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعاً بقية الصين واسافلها وفي الشمال  
 بقية بلاد التنغرغر ثم شرقاً عنهم بلاد خرخير من الترك ايضاً الى آخر الجزء شرقاً وفي  
 الشمال من ارض خرخير بلاد كتمان من الترك وقبالتها في البحر المحيط جزيرة الياقوت  
 في وسط جبل مستدير لا منفذ منه اليها ولا مسلك والصعود الى اعلاه من خارجه  
 صعب في الغاية وفي الجزيرة حيات قتالة وحصى من الياقوت كثيرة فيجئال اهل تلك  
 الناحية في استخراجها بما يلهمهم الله اليه واهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيها  
 وراء خراسان والجبال كلها بمجالات للترك ام لا تحصى وهم ظوا عن رحالة اهل ابل وشاه  
 وبقروخيل للتاج والركوب والاكل وطوائفهم كثيرة لا يحصهم الا خالقتهم وفيهم مسلمون  
 مما يلي بلاد النهر نهر جيحون ويفزون الكفار منهم الدائنين بالمجوسية فيبيعون رقبهم لمن  
 يلبهم ويخرجون الى بلاد خراسان والهند والعراق

الاقليم الرابع \* يتصل بالثالث من جهة الشمال. والجزء الاول منه في غربيه قطعة  
 من البحر المحيط مستطيلة من اوله جنوباً الى آخره شمالاً وعليها في الجنوب مدينة طنجة  
 ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط الى البحر الرومي في خليج متضابق بمقدار  
 اثني عشر ميلاً ما بين طريف والجزيرة الخضراء شمالاً وقصر الحجاز وسنتة جنوباً ويذهب  
 مشرقاً الى ان ينتهي الى وسط الجزء الخامس من هذا الاقليم وينسحق في ذهابه بتدرج الى  
 ان يغمر الاربعة الاجزاء واكثر الخامس ويغمر عن جانبيه طرفاً من الاقليم الثالث  
 والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر البحر الشامي ايضاً وفيه جزائر كثيرة اعظمها في  
 جهة الغرب يابسة ثم مايرقة ثم منرقة ثم سردانية ثم صقلية وهي اعظمها ثم بلونس ثم  
 اقريطش ثم قبرص كما نذكرها كلها في اجزائها التي وقعت فيها ويخرج من هذا البحر  
 الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من الاقليم الخامس خليج البنادقة  
 يذهب الى ناحية الشمال ثم ينعطف عند وسط الجزء من جوفه ويمر مغرباً الى ان ينتهي  
 في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه ايضاً في آخر الجزء الرابع شرقاً من الاقليم الخامس

خليج القسطنطينية يمر في الشمال متصافياً في عرض رمية السهم الى آخر الاقليم ثم يفضي الى  
 الجزء الرابع من الاقليم السادس وينعطف الى بحر نيطش ذاهباً الى الشرق في الجزء  
 الخامس كله ونصف السادس من الاقليم السادس كما نذكر ذلك في اماكنه وعندما يخرج  
 هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجيه وينفسح الى الاقليم الثالث يبقى في الجنوب  
 عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء فيها مدينة طنجيه على مجمع البحرين وبعدها مدينة  
 ستة على البحر الرومي ثم قطاون ثم باديس ثم يغمر هذا البحر بقية هذا الجزء شرقاً ويخرج  
 الى الثالث وأكثر العارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه وهي كلها بلاد الاندلس  
 الغربية منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي اولها طريف عند مجمع البحرين وفي الشرق  
 منها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ثم مالقة ثم المنقب ثم المرية وتحت هذه من  
 لدن البحر المحيط غرباً وعلى مغربة منه شريش ثم لبلبة وقبالتها في جزيرة قادس وفي الشرق  
 عن شريش ولبلبة اشبيلية ثم استجة وقرطبة ومديلة ثم غرناطة وجيان وأبده ثم وادياش وبسطة  
 وتحت هذه شنتمريه وشلب على البحر المحيط غرباً وفي الشرق عنها بطليوس وماردة ويابرة  
 ثم غافق وبرزجاله ثم قلعة رياح وتحت هذه أشبونة على البحر المحيط غرباً وعلى نهر باجة  
 وفي الشرق عنها شنترين وموزية على النهر المذكور ثم قنطرة السيف ويسامت اشبونة من  
 جهة الشرق جبل الشارات يبدأ من المغرب هنالك ويذهب مشرقاً مع آخر الجزء من  
 شماليه فينتهي الى مدينة سالم فيما بعد النصف منه وتحت هذا الجبل طلييرة في الشرق من  
 فورنه ثم طليطلة ثم وادي الحجارة ثم مدينة سالم وعند اول هذا الجبل فيما بينه وبين اشبونة  
 بلد قلمرية هذه غربي الاندلس . واما شرقي الاندلس فعلى ساحل البحر الرومي منها بعد  
 المرية قرطاجنة ثم لفته ثم دانية ثم بلنسية الى طرطوشة آخر الجزء في الشرق وتحتها شمالاً  
 ليورقة وشقورة نتاخمان بسطة وقلعة رياح من غرب الاندلس ثم مرسية شرقاً ثم شاطبة  
 تحت بلنسية شمالاً ثم شقر ثم طرطوشة ثم طركونة آخر الجزء ثم تحت هذه شمالاً ارض منجالة  
 وريدة نتاخمان لشقورة وطليلطة من الغرب ثم افراغة شرقاً تحت طرطوشه وشمالاً عنها  
 ثم في الشرق عن مدينة سالم قلعة ايوب ثم سرقسطة ثم لاردة آخر الجزء شرقاً وشمالاً .  
 والجزء الثاني من هذا الاقليم غير الماء جمبعة الأقطعة من غربيه في الشمال فيها بقية جبل  
 البرنات ومعناه جبل الثنايا والسالك يخرج اليه من آخر الجزء الاول من الاقليم الخامس  
 يبدأ من الطرف المنتهي من البحر المحيط عند آخر ذلك الجزء جنوباً وشرقاً ويمر في  
 الجنوب بانحراف الى الشرق فيخرج في هذا الاقليم الرابع منحرفاً عن الجزء الاول منه الى

هذا الجزء الثاني فيقع فيه قطعة منه تفضي ثناياها الى البر المتصل وتسمى ارض غشكونية وفيه مدينة خریده وقرقشونة وعلى ساحل البحر الرومي من هذه القطعة مدينة برسونة ثم اربونة وفي هذا البحر الذي غمر الجزء جزائر كثيرة والكثير منها غير مسكون لصغرهما ففي غربيه جزيرة سردانية وفي شرقيه جزيرة صقلية متسعة الاقطار يقال ان دورها سبعة ايام ميل وبها مدن كثير من مشاهيرها سرقوسة وبلرم وطرانغة ومازرومسيني وهذه الجزيرة تقابل ارض افريقية وفيما بينهما جزيرة اعدوش وماطنة . والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمور ايضاً بالبحر الاثلاث قطع من ناحية الشمال الغربية منها ارض قلورية والوسطى من ارض ابكردة والشرقية من بلاد البنادقة . والجزء الرابع من هذا الاقليم مغمور ايضاً بالبحر كما مر وجزائره كثيرة واكثرها غير مسكون كما في الثالث والمغمور منها جزيرة بلونس في الناحية الغربية الشمالية وجزيرة اقرطيش مستطيلة من وسط الجزء الى ما بين الجنوب والشرق منه . والجزء الخامس من هذا الاقليم غمر البحر منه مثلثة كبيرة بين الجنوب والغرب ينتهي الضلع الغربي منها الى اخر الجزء في الشمال وينتهي الضلع الجنوبي منها الى نحو الثلثين من الجزء ويبقى في الجانب الشرقي من الجزء قطعة نحو الثلث من الشمالي منها الى الغرب منعطفاً مع البحر كما قلناه وفي النصف الجنوبي منها أسافل الشام وبعدها في وسطها جبل اللكام الى ان ينتهي الى آخر الشام في الشمال فينعطف من هنالك ذاهباً الى القطر الشرقي الشمالي ويسمي بعد انعطافه جبل السلسلة ومن هنالك يخرج الى الاقليم الخامس ويجوز من عند منعطفه قطعة من بلاد الجزيرة الى جهة الشرق ويقوم من عند منعطفه من جهة المغرب جبال متصلة بعضها بعض الى ان ينتهي الى طرف خارج من البحر الرومي متأخراً الى اخر الجزء من الشمال وبين هذه الجبال ثنايا تسمى الدروب وهي التي تفضي الى بلاد الارمن وفي هذا الجزء قطعة منها بين هذه الجبال وبين جبل السلسلة فاما الجهة الجنوبية التي قدمنا ان فيها أسافل الشام وان جبل اللكام معترض فيها بين البحر الرومي واخر الجزء من الجنوب الى الشمال فعلى ساحل البحر بلد انظرطوس في اول الجزء من الجنوب متاخمة لغزة وطرابلس على ساحله من الاقليم الثالث وفي شمال انظرطوس جبلة ثم اللاذقية ثم اسكندرونة ثم سلوقية وبعدها شمالاً بلاد الروم واما جبل اللكام المعترض بين البحر واخر الجزء بخلافه فيصاقبه من بلاد الشام من أعلى الجزء جنوباً من غربيه حصن الحوافي وهو للحشيشة الاسماعيلية ويعرفون لهذا العهد بالفداوية ويسمى الحصن مصيات وهو قبالة انظرطوس وقالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد



سلمية في الشمال عن حمص وفي الشمال عن مصبات بين الجبل والبحر بلد انطاكية ويقالها  
 في شرق الجبل المعرّة وفي شرقها المراغة وفي شمال انطاكية المصيصة ثم ادنة ثم طرسوس  
 آخر الشام وبعدها من غرب الجبل قنسرين ثم عين زربة وقبالة قنسرين في شرق  
 الجبل حلب ويقابل عين زربة منبج آخر الشام . واما الدروب فمن يمينها ما بينها وبين  
 البحر الرومي بلاد الروم التي هي لهذا العهد للتركان وسلطانها ابن عثمان وفي ساحل البحر  
 منها بلد انطاكية والعلايا . واما بلاد الارمن التي بين جبل الدروب وجبل السلسلة  
 ففيها بلد مرعش وملطية والمعرّة الى اخر الجزء الشمالي ويخرج من الجزء الخامس في بلاد  
 الارمن نهر حيجان ونهر سيجان في شرقيه فيمر بها حيجان جنوباً حتى تجاوز الدروب ثم يمر  
 بطرسوس ثم بالمصيصة ثم يعطف هابطاً الى الشمال ومغرباً حتى يصب في البحر الرومي  
 جنوب سلوقية ويمر نهر سيجان موازياً لنهر حيجان فيمازي المعرّة ومرعش ويجاوز جبال  
 الدروب الى ارض الشام ثم يمر بعين زربة ويجوز عن نهر حيجان ثم يعطف الى الشمال  
 مغرباً فيخلط بنهر حيجان عند المصيصة ومن غربها واما بلاد الجزيرة التي يحيط بها  
 منعطف جبل اللكام الى جبل السلسلة ففي جنوبها بلد الرافضة والرقّة ثم حرّان ثم سروج  
 والرها ثم نصيبين ثم سميساط وامتد تحت جبل السلسلة واخر الجزء من شماله وهو ايضاً  
 اخر الجزء من شرقيه ويمر في وسط هذه القطعة نهر الفرات ونهر دجلة يجرجان من الاقليم  
 الخامس ويمران في بلاد الارمن جنوباً الى ان يتجاوزا جبل السلسلة فيمر نهر الفرات من  
 غربي سميساط وسروج ويغرف الى الشرق فيمر بقرب الرافضة والرقّة ويخرج الى الجزء  
 السادس وتمر دجلة في شرق آمد وتنعطف قريباً الى الشرق فيخرج قريباً الى الجزء السادس  
 وفي الجزء السادس من هذا الاقليم من غربيه بلاد الجزيرة وفي الشرق منها بلاد العراق  
 متصلة بها تنتهي في الشرق الى قرب آخر الجزء ويعترض من آخر العراق هنالك جبل  
 اصهبان هابطاً من جنوب الجزء منحرفاً الى الغرب فاذا انتهى الى وسط الجزء من اخره في  
 الشمال يذهب مغرباً الى ان يخرج من الجزء السادس ويتصل على سمته بجبل السلسلة  
 في الجزء الخامس فيقطع هذا الجزء السادس بقطعتين غربية وشرقية ففي الغربية من  
 جنوبها يخرج الفرات من الخامس وفي شمالها يخرج دجلة منه اما الفرات فاول ما  
 يخرج الى السادس يمر بقرقيسيا ويخرج من هنالك جدول الى الشمال ينساب في ارض  
 الجزيرة ويقوس في نواحيها ويمر من قرقيسيا غير بعيد ثم يعطف الى الجنوب فيمر بقرب  
 الخابور الى غرب الرحّة ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوباً ويبقى صفيين في غربيه

ثم ينعطف شرقاً وينقسم بشعوب فيمر بعضها بالكوفة وبعضها بقصر ابن هيرة وبالجامعين  
ويخرج جميعاً في جنوب الجزء الى الاقليم الثالث فيغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية  
ويخرج الفرات من الرحبة مشرقاً على سمتهِ الى هيت من شمالها يمر الى الراب والانبار من  
جنوبها ثم يصب في دجلة عند بغداد. واما نهر دجلة فاذا دخل من الجزء الخامس الى  
هذا الجزء فيمر مشرقاً على سمتهِ ومحاذياً لحل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمتهِ فيمر  
بجزيرة ابن عمر على شمالها ثم بالموصل كذلك وتكرت وينتهي الى الحديثة فينعطف جنوباً  
ونقى الحديثة في شرقه والراب الكبير والصغير كذلك ويمر على سمتهِ جنوباً وفي غرب  
القادسية الى ان ينتهي الى بغداد ويختلط بالفرات ثم يمر جنوباً على غرب جرجرايا الى ان  
يخرج من الجزء الى الاقليم الثالث فتنتشر هنالك شعوبه وجدولة ثم يجتمع ويصب هنالك  
في بحر فارس عند عبادان وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجمعها ببغداد هي بلاد الجزيرة  
ويختلط نهر دجلة بعد مارقته ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية منه وينتهي  
الى بلاد النهر وان قبالة بغداد شرقاً ثم ينعطف جنوباً ويختلط بدجلة قبل خروجه الى  
الاقليم الثالث ويبقى ما بين هذا النهر وبين جبل العراق والاعاجم بلد جلولاو في شرقها  
عند الجبل بلد حلوان وصيرة. واما القطعة الغربية من الجزء فيعترضها جبل يبدأ من  
جبل الاعاجم مشرقاً الى اخر الجزء ويسمى جبل شهر زور ويقسمها بقطعتين وفي الجنوب من  
هذه القطعة الصغرى بلد خوتجان في الغرب والشمال عن اصبهان وتسمى هذه القطعة بلد  
الهلوس وفي وسطها بلد نهاوند وفي شمالها بلد شهر زور غرباً عند ملتقى الجبلين والدينور  
شرقاً عند اخر الجزء وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد ارمينية قاعدتها المراغة  
والذي يقابلها من جبل العراق يسمى باريا وهو مساكن للاكراد والراب الكبير والصغير  
الذي على دجلة من ورائه وفي اخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد اذريجان ومنهاتر بز  
والبيدقان وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر بطش وهو بحر الخزر  
وفي الجزء السابع من هذا الاقليم من غربه وجنوبه معظم بلاد الهلوس. وفيها همدان  
وقزوين وبقينها في الاقليم الثالث وفيها هنالك اصبهان ويحيطها من الجنوب جبل  
يخرج من غربها ويمر بالاقليم الثالث ثم ينعطف من الجزء السادس الى الاقليم الرابع  
ويتصل بجبل العراق في شرقه الذي مر ذكره هنالك وانه يحيط ببلاد الهلوس في القطعة  
الشرقية ويهبط هذا الجبل المحيط باصبهان من الاقليم الثالث الى جهة الشمال ويخرج  
الى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد الهلوس من شرقها وتحته هنالك قاشان ثم قم وينعطف

في قرب النصف من طريقه مغرباً بعض الشيء ثم يرجع مستديراً فيذهب مشرقاً ومخرفاً  
 الى الشمال حتى يخرج الى الاقليم الخامس ويشتمل على منعه و استدارته على بلد الري  
 في شرفيه ويبدأ من منعه جبل آخر يمر غرباً الى آخر هذا الجزء ومن جنوبيه من هنالك  
 قزوين ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهماً الى الشرق والشمال الى  
 وسط الجزء ثم الى الاقليم الخامس بلاد طبرستان فيما بين هذه الجبال وبين قطعة من  
 بحر طبرستان ويدخل من الاقليم الخامس في هذا الجزء في نحو النصف من غربه الى  
 شرقه ويعترض عند جبل الري وعند انعطافه الى الغرب جبل متصل يمر على ستمه مشرقاً  
 وبانحراف قليل الى الجنوب حتى يدخل في الجزء الثامن من غربه ويبقى بين جبل  
 الري وهذا الجبل من عند مدنها بلاد حرجان فيما بين الجبلين ومنها بسطام ووراء  
 هذا الجبل قطعة من هذا الجزء فيها بقية الممازة التي بين فارس وخراسان وهي في شرقي  
 قاشان وفي اخرها عند هذا الجبل بلد استراباد وحقاني هذا الجبل من شرقه الى اخر  
 الجزء بلاد نيسابور من خراسان ففي جنوب الجبل وشرق الممازة بلد نيسابور ثم مرو  
 الشاهجان اخر الجزء وفي شماله وشرقي حرجان بلد مهران وخازرون وطوس آخر  
 الجزء شرقاً وكل هذا تحت الجبل وفي الشمال عنها بلادنسا ويحيط بها عند زاوية  
 الجزئين الشمال والشرق مفاوز معطلة . وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم وفي غربيه  
 نهر جيحون ذاهباً من الجنوب الى الشمال في عدوته الغربية رم وامل من بلاد خراسان  
 والظاهرية والخرجانية من بلاد خوارزم ويحيط بالراوية الغربية الجنوبية منه جبل  
 استراباد المعترض في الجزء السابع قبله ويخرج في هذا الجزء من غربيه ويحيط بهذه  
 الراوية وفيها بقية بلاد هراة وبمر الجبل في الاقليم الثالث بين هراة والجوزجان حتى  
 يتصل بجبل الهم كما ذكرناه هنالك وفي شرقي نهر جيحون من هذا الجزء وفي الجنوب  
 منه بلاد بخاري ثم بلاد الصغد وقاعدتها سمرقند ثم بلاد اسروشنه ومنها تخجندة اخر الجزء  
 شرقاً وفي الشمال عن سمرقند واسروشنه ارض ايلاق<sup>(١)</sup> ثم في الشمال عن ايلاق ارض  
 الشاش الى اخر الجزء شرقاً وياخذ قطعة من الجزء التاسع في جنوب تلك القطعة بقية  
 ارض فرغانة ويخرج من تلك القطعة التي في الجزء التاسع نهر الشاش يمر معترضاً في  
 الجزء الثامن الى ان ينصب في نهر جيحون عند مخرجه من هذا الجزء الثامن في شماله الى  
 الاقليم الخامس ويختلط معه في ارض ايلاق نهر ياتي من الجزء التاسع من الاقليم الثالث  
 ١ في المشترك اقليم ايلاق متصل باقليم الشاش لافعل بينها وهو بكسر الهزة وسكون الياء بعدها ١٠

من تخوم بلاد التبت ويختلط معه قبل مخرجه من الجزء التاسع نهر فرغانة وعلى سمت نهر الشاش جبل جبراغون يبدأ من الاقليم الخامس وينعطف شرقاً ومنحرفاً الى الجنوب حتى يخرج الى الجزء التاسع محيطاً بارض الشاش ثم ينعطف في الجزء التاسع فيحيط بالشاش وفرغانة هناك الى جنوبه فيدخل في الاقليم الثالث وبين نهر الشاش وطرف هذا الجبل في وسط الجزء بلاد فاراب وبينه ارض بخارى وخوارزم مناويز معطلة وفي زاوية هذا الجزء من الشمال والشرق ارض نخجدة وفيها بلاد السنجاب وطرارز. وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في غربيه بعد ارض فرغانة والشاش ارض الخزلبية في الجنوب وارض الخليفة في الشمال وفي شرق الجزء كله ارض الكيماكية ويتصل في الجزء العاشر كله الى جبل قوقيا اخر الجزء شرقاً وعلى قطعة من البحر المحيط هنالك وهو جبل ياجوج وماجوج وهذه الامم كلها من شعوب الترك. انتهى

الاقليم الخامس. الجزء الاول منه اكثره مغهور بالماء الا قليلاً من جنوبه وشرقيه لان البحر المحيط بهذه الجهة الغربية دخل في الاقليم الخامس والسادس والسابع عن الدائرة المحيطة بالاقليم فاما المنكشف من جنوبه فقطعة على شكل مثلث متصلة من هنالك بالاندلس وعليها بقيتها ويحيط بها البحر من جهتين كأنها ضلعان محيطان بزواية المثلث ففيها من بقية غرب الاندلس سعيور على البحر عند اول الجزء من الجنوب والغرب وسلمنكه شرقاً عنها وفي جوفها سمورة وفي الشرق عن سلمنكه ايلة آخر الجنوب وارض قستالية شرقاً عنها وفيها مدينة شقونية وفي شمالها ارض ليون وبرغشت ثم وراءها في الشمال ارض جليقية الى زاوية القطعة وفيها على البحر المحيط في اخر الضلع الغربي بلد شنتياق ومعناه يعقوب وفيها من شرق بلاد الاندلس مدينة شطلية عند اخر الجزء في الجنوب وشرقاً عن قستالية وفي شمالها وشرقها وشفة ونبلونة على سمتها شرقاً وشمالاً وفي غرب نبلونة قسطالة ثم ناجزة فيما بينها وبين برغشت ويعترض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذ للبحر والضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب ويتصل به وبطرف البحر عند نبلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا من قبل ان يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الاقليم الرابع ويصير حجراً على بلاد الاندلس من جهة الشرق وثناياه ابواب لها تنضي الى بلاد غشكونية من أم الفرنج فمنها من الاقليم الرابع برشلونة وارنونة على ساحل البحر الرومي وخريدة وفرقشونة ورائها في الشمال ومنها من الاقليم الخامس طلوشة شمالاً عن خريدة. واما المنكشف في هذا الجزء من جهة الشرق فقطعة على شكل مثلث مستطيل

زاوية الحادة وراء البرنات شرقاً ومبها على البحر المحيط على راس القطعة التي يتصل بها  
 جبل البرنات بلد نيوتة وفي آخر هذه القطعة في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء  
 ارض بنطومن الفرنج الى اخر الجزء. وفي الجزء الثاني من الناحية الغربية منه ارض  
 غشكونية وفي شمالها ارض بنطوو برغشت وقد ذكرناها وفي شرق بلاد غشكونية في شمالها  
 قطعة ارض من البحر الرومي دخلت في هذا الجزء كالضرس مائلة الى الشرق قليلاً وصارت  
 بلاد غشكونية في غربها داخله في جون من البحر وعلى راس هذه القطعة شمالاً بلاد  
 جنوة وعلى سمتها في الشمال جبل نيت جون وفي شماله وعلى سبته ارض برغونة وفي الشرق  
 عن طرف جنوة الخارج من البحر الرومي طرف اخر خارج منه يبقى بينهما جون داخل من  
 البر في البحر في غريبه نيس وفي شرقية مدينة رومة العطي كرسى ملك الافرنجة ومسكن  
 البابا بطركهم الاعظم وفيها من المباني الصخبة والهياكل المهولة والكنائس العادية ما هو  
 معروف الاخبار ومن عجائبها النهر الجاري في وسطها من المشرق الى المغرب مفروش قاعه  
 ببلاط النحاس وفيها كنيسة بطرس وبولس من الحوار بين وهما مدفونان بها وفي الشمال  
 عن بلاد رومة بلاد افرنصيصة الى اخر الجزء وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جنو، رومة  
 بلاد نابل في الجانب الشرقي منه متصلة ببلد فلورية من بلاد الفرنج وفي شمالها طرف من  
 خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مغرباً ومحاذياً للشمال من هذا الجزء  
 وانتهى الى نحو الثلث منه وعليه كثير من بلاد البنادقة دخل في هذا الجزء من جنوبه  
 فيما بينه وبين البحر المحيط ومن شماله بلاد انكلاية في الاقليم السادس. وفي الجزء الثالث  
 من هذا الاقليم في غريبه بلاد فلورية بين خليج البنادقة والبحر الرومي يحيطها من شرقيه  
 يصل من برها في الاقليم الرابع في البحر الرومي في جون بين طرفين خرجا من البحر على  
 سمت الشمال الى هذا الجزء في شرقي بلاد فلورية بلاد انكيدر في جون بين خليج البنادقة  
 والبحر الرومي ويدخل طرف من هذا الجزء في الجون في الاقليم الرابع وفي البحر الرومي  
 ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة من البحر الرومي ذاهباً الى سمت الشمال ثم يعطف الى  
 الغرب محاذياً لآخر الجزء الشمالي ويخرج على سمت من الاقليم الرابع جبل عظيم يواز به  
 ويذهب معه الى الشمال ثم يغرب معه في الاقليم السادس الى ان ينتهي قبالة خليج في شماليه  
 في بلاد انكلاية من ام المانيين كما نذكر وعلى هذا الخليج وبينه وبين هذا الجبل ماداما  
 ذاهبين الى الشمال بلاد البنادقة فاذا ذهبا الى المغرب فينبها بلاد حروايا ثم بلاد  
 الالمانيين عند طرف الخليج. وفي الجزء الرابع من هذا الاقليم قطعة من البحر الرومي

خرجت اليه من الاقليم الرابع مزرسة كلها بقطع من البحر ويخرج منها الى الشمال وبين  
 كل ضربين منها طرف من البحر في الجون بينها وفي آخر الجزء شرقاً قطع من البحر  
 ويخرج منها الى الشمال خليج القسطنطينية يخرج من هذا الطرف الجنوبي وبذهب على  
 سمت الشمال الى ان يدخل في الاقليم السادس وينعطف من هنالك عن قرب  
 مشرقاً الى بحر نيطش في الجزء الخامس وبعض الرابع قبله والسادس بعده من  
 الاقليم السادس كما نذكر وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند اخر الجزء من  
 الشمال وهي المدينة العظيمة التي كانت كرسي القياصرة وبها من آثار البناء والصخامة  
 ما كثرت عنه الاحاديث والقطعة التي ما بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية  
 من هذا الجزء وفيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ومنها ابتداء ملكهم وفي شرقي  
 هذا الخليج الى اخر الجزء قطعة من ارض باطوس واطرها لهذا العهد مجالات للتركان  
 وبها ملك ابن عثمان وقاعدته بها رصة وكانت من قبلهم للروم وعليهم عليها الام الى ان  
 صارت للتركان. وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم من غريبه وجنوبه ارض باطوس  
 وفي الشمال عنها الى اخر الجزء بلاد عمورية وفي شرقي عمورية نهر قباقب الذي يمد الفرات  
 يخرج من جبل هنالك وبذهب في الجنوب حتى يجالط الفرات قبل وصوله من هذا  
 الجزء الى ممره في الاقليم الرابع وهنالك في غريبه اخر الجزء في مبداء نهر سيمان ثم نهر جيمان  
 غريبه الداهيين على سمتهم وقد مر ذكرها وفي شرقه هنالك مبداء نهر دجلة الذاهب  
 على سمتهم وفي موارثه حتى يخالطة عند بغداد وفي الراوية التي بين الجنوب والشرق من  
 هذا الجزء وراء الجبل الذي يمد منه نهر دجلة بلد ميفارقين ونهر قباقب الذي ذكرناه  
 يقسم هذا الجزء بقطعتين احدها غربية جنوبية وفيها ارض باطوس كما قلناه واسافلها  
 الى اخر الجزء شمالاً ووراء الجبل الذي يمد منه نهر قباقب ارض عمورية كما قلناه  
 والقطعة الثانية شرقية شمالية على الثلث في الجنوب منها مبداء دجلة والفرات وفي الشمال  
 بلاد البيلقان متصلة بارض عمورية من وراء جبل قباقب وهي عريضة وفي اخرها عند  
 مبداء الفرات بلد خرشنة وفي الراوية الشرقية الشمالية قطعة من بحر نيطش الذي يمد  
 خليج القسطنطينية. وفي الجزء السادس من هذا الاقليم في جنوبيه وغريبه بلاد ارمينية  
 متصلة الى ان يتجاوز وسط الجزء الى جاسب الشرق وفيها بلدن اردن في الجنوب والغرب  
 وفي شمالها تغليس وديبل وفي شرق اردن مدينة خلاط تم ردة وفي جنوبها بالخراف  
 الى الشرق مدينة ارمينية ومن هنالك مخرج بلاد ارمينية الى الاقليم الرابع وفيها هنالك

بلد المراغة في شرقي جبل الأكراد المسمى بارمى وقد مر ذكره في الجزء السادس منه ويتأخر  
 بلاد ارمنية في هذا الجزء وفي الاقليم الرابع قبله من جهة الشرق فيها بلاد اذربيجان  
 واخرها في هذا الجزء شرقاً بلاد اردبيل على قطعة من بحر طبرستان دخلت في الناحية  
 الشرقية من الجزء السابع ويسمى بحر طبرستان وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من  
 بلاد الخزر وهم التركان وبدا من عند اخر هذه القطعة البحرية في الشمال جبال يتصل  
 بعضها ببعض على سمت الغرب الى الجزء الخامس فتمر فيه منعطفة ومحيطة ببلد ميافارقين  
 ويخرج الى الاقليم الرابع عند امد ويتصل بجبل السلسلة في اسافل الشام ومن هنالك  
 يتصل بجبل اللكام كما مرّ وبين هذه الجبال الشمالية في هذا الجزء ثانياً كالابواب تفضي  
 من الجانيين في جنوبها بلاد الابواب متصلة في الشرق الى بحر طبرستان وعليه من  
 هذه البلاد مدينة باب الابواب وتتصل بلاد الابواب في الغرب من ناحية جنوبها بلد  
 ارمنية وبينها في الشرق وبين بلاد اذربيجان الجنوبية بلاد الزاب متصلة الى بحر طبرستان  
 وفي شمال هذه الجبال قطعة من هذا الجزء في غربها مملكة السريبر في الزاوية الغربية  
 الشمالية منها وفي زاوية الجزء كله قطعة ايضاً من بحر بيطش الذي يمدّه خليج القسطنطينية  
 وقد مرّ ذكره ويحف بهذه القطعة من نيطس بلاد السريبر وعليها منها بلد اطراز يده  
 وتتصل بلاد السريبرين جبل الابواب والجهة الشمالية من الجزء الى ان ينتهي شرقاً الى  
 جبل حاحز بينها وبين ارض الخزر وعند اخرها مدينة صول ووراء هذا الجبل الحاحز  
 قطعة من ارض الحرر تنتهي الى الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء من بحر طبرستان  
 واخر الجزء شمالاً والجزء السابع من هذا الاقليم غربه كله مغور بحر طبرستان وخرج  
 من جنوبه في الاقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هالك ان عليها بلاد طبرستان وجمال  
 الديلم الى قزوين وفي غربي تلك القطعة متصلة بها القطعة التي في الجزء السادس من  
 الاقليم الرابع ويتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس من شرقه ايضاً وينكشف  
 من هذا الجزء قطعة عند زاوية الشمالية الغربية يصب فيها نهراثل في هذا البحر ويبقى  
 من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة منكشفة من البحر في مجلات للغز من امم الترك  
 يحيط بها جبل من جهة الجنوب داخل في الجزء الثامن ويذهب في الغرب الى مادون  
 وسطه فينعطف الى الشمال الى ان يلاقى بحر طبرستان فيحف به ذاهباً معه الى نقيته في  
 الاقليم السادس ثم يعطف مع طرفه ويفارقه ويسمى هنالك جبل سياه ويذهب مغرباً  
 الى الجزء السادس من الاقليم السادس ثم يرجع جنوباً الى الجزء السادس من الاقليم

الخامس وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين ارض السرير وارض  
 الخزر واتصلت ارض الخزر في الجزء السادس والسابع حنفا في هذا الجبل المسمى جبل  
 سياه كما سيأتي . والجزء الثامن من هذا الاقليم الخامس كله مجلات للغز من ام الترك وفي  
 الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جيحون دورها ثلاثمائة ميل  
 ويصب فيها انهار كثيرة من ارض هذه المحلات وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة  
 عرعون دورها اربعمائة ميل وماؤها حلو وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار  
 ومعناه جبل الثلج لانه لا يذوب فيه وهو متصل باخر الجزء وفي الجنوب عن بحيرة  
 عرعون جبل من الحجر الصلد لا ينبت شيئا يسمى عرعون وبه سميت البحيرة ويغلب منه  
 ومن جبل مرغار توالي البحيرة انهار لا تنحصر عدتها فنصب فيها من الجانيين . وفي الجزء  
 التاسع من هذا الاقليم بلاد اركس من ام الترك في غرب بلاد الغز وشرق بلاد الكيماكية  
 ويحف به من جهة الشرق اخر الجزء جل قوقيا المحيط بيا جوج وما جوج يعترض هنالك  
 من الجنوب الى الشمال حتى يتعطف اول دخوله من الجزء العاشر وقد كان دخل اليه  
 من اخر الجزء العاشر من الاقليم الرابع قلة احنف هنالك بالبحر المحيط الى اخر الجزء في  
 الشمال ثم انعطف مغربا في الجزء العاشر من الاقليم الرابع الى مادون نصفه واحاط من  
 اوله الى هنا بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء العاشر من الاقليم الخامس فذهب فيه  
 مغربا الى اخره وقيت في جنوبيه من هذا الجزء قطعة مستطيلة الى الغرب قل اخر  
 بلاد الكيماكية ثم خرج الى الجزء التاسع في شرقيه وفي الاعلى منه وانعطف قريبا الى  
 الشمال وذهب على سمي الى الجزء التاسع من الاقليم السادس وفيه السد هنالك كما  
 نذكره وقيت منه القطعة التي احاط بها جبل قوقيا عد الراوية الشرقية الشمالية من  
 هذا الجزء مستطيلة الى الجنوب وهي من بلاد يا جوج وما جوج وفي الجزء العاشر من  
 هذا الاقليم ارض يا جوج متصلة فيه كله الا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفا في شرقيه  
 من جنوبيه الى شماله الا القطعة التي يفصلها الى جهة الجنوب والغرب جل قوقيا حين  
 مر فيه وما سوى ذلك فارض يا جوج وما جوج والله سبحانه وتعالى اعلم  
 الاقليم السادس . فالجزء الاول منه غير البحر اكثر من نصفه واستدار شرقا مع الناحية  
 الشمالية ثم ذهب مع الناحية الشرقية الى الجنوب وانتهى قريبا من الناحية الجنوبية  
 فاكتشفت قطعة من هذه الارض في هذا الجزء داخله بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية  
 الشرقية من البحر المحيط كالجون فيه وينفسح طولاً وعرضاً وهي كلها ارض بريطانيا وفي



بابها بين الطرفين وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بلاد صاقس متصلة ببلاد  
 بنطو التي مرّ ذكرها في الجزء الاول والثاني من الاقليم الخامس . والجزء الثاني من هذا  
 الاقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله فن غربه قطعة مستطيلة اكبر من نصفه  
 الشمالي من شرق ارض بريطانيا في الجزء الاول وانصلت بها القطعة الاخرى في الشمال  
 من غربه الى شرقه وانفسحت في النصف الغربي منه بعض الشيء وفيه هنالك قطعة من  
 جزيرة انكلترا وهي جزيرة عظيمة مشتملة على مدن وبها ملك ضخم ويقينها في الاقليم  
 السابع وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها في النصف الغربي من هذا الجزء بلاد ارمندية  
 وبلاد افلاش متصلين بها ثم بلاد افرنسية جنوباً وغرباً من هذا الجزء وبلاد برغونية  
 شرقاً عنها وكلها لام الافرنجة وبلاد اللمايين في النصف الشرقي من الجزء فجنوبة بلاد  
 انكلابية ثم بلاد برغونية شمالاً ثم ارض لهويكة وشطوبية وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية  
 الشمالية الشرقية ارض افريرة وكلها لام اللمايين . وفي الجزء الثالث من هذا الاقليم  
 في الناحية الغربية بلاد مرانية في الجنوب وبلاد شطوبية في الشمال وفي الناحية الشرقية  
 بلاد انكوية في الجنوب وبلاد بلونية في الشمال يعترض بينهما جبل بلواط داخلاً من  
 الجزء الرابع ويمر مغرباً بانحراف الى الشمال الى ان يقف في بلاد شطوبية اخر النصف  
 الغربي . وفي الجزء الرابع في ناحية الجنوب ارض جنولية وتحتها في الشمال بلاد الروسية  
 ويفصل بينها جبل بلواط من اول الجزء غرباً الى ان يقف في النصف الشرقي وفي شرق  
 ارض جنولية بلاد جرمانية وفي الراوية الجنوبية الشرقية ارض القسطنطينية ومدينتها  
 عند اخر الخليج الخارج من البحر الرومي وعند مدفعه في بحر بيطش فيقع قطعة من بحر  
 بيطش في اعالي الناحية الشرقية من هذا الجزء ويمدها الخليج وبيهما في الراوية بلد مسيناه  
 وفي الجزء الخامس من الاقليم السادس ثم في الناحية الجنوبية عند بحر نيطش يتصل من  
 الخليج في اخر الجزء الرابع ويخرج من سمتة مشرقاً فبمر في هذا الجزء كلووفي بعض السادس  
 على طول الف وثلاثمائة ميل من مبدئه في عرض ستائة ميله وبقى وراء هذا البحر في  
 الناحية الجنوبية من هذا الجزء في غربها الى شرقها برّ مستطيل في غربه هرقلية على  
 ساحل بحر نيطش متصلة بارض البيلقان من الاقليم الخامس وفي شرقه بلاد اللانية وقاعد  
 سوتني على بحر بيطش وفي شمال بحر بيطش في هذا الجزء غرباً ارض ترخان وشرقاً بلاد الروسية  
 وكلها على ساحل هذا البحر وبلاد الروسية محيطه ببلاد ترخان من شرقها في هذا الجزء من  
 شمالها في الجزء الخامس من الاقليم السابع ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الاقليم . وفي الجزء

السادس في غربيه بقية بحر نيطش ويغرف قليلاً الى الشمال ويبقى بينه هنالك وبين  
اخر الجزء شمالاً بلاد قانية وفي جنوبيه ومنسحاً الى الشمال بما انحرف هو كذلك بقية  
بلاد اللانية التي كانت اخر جنوبيه في الجزء الخامس وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء  
متصل ارض الخزر وفي شرقها ارض سرتاس وفي الزاوية الشرقية الشمالية ارض بلغار  
وفي الزاوية الشرقية الجنوبية ارض بلجر يجوزها هناك قطعة من جبل سياتو المنعطف  
مع بحر الخزر في الجزء السابع بعده ويذهب بعد مفارقتو مغرباً فيجوز في هذه القطعة  
ويدخل الى الجزء السادس من الاقليم الخامس فيمتصل هنالك بجبل الابواب وعليه  
من هنالك ناحية بلاد الخزر. وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في الناحية الجنوبية ما  
جازه جبل سياه بعد مفارقتو بحر طبرستان وهو قطعة من ارض الخزر الى اخر الجزء  
غرباً وفي شرقها القطعة من بحر طبرستان التي يجوزها هذا الجبل من شرقها وشمالها ووراء  
جبل سياه في الناحية الغربية الشمالية ارض سرتاس وفي الناحية الشرقية من الجزء ارض  
شعرب وبخناك وهم ام الترك. وفي الجزء الثامن والناحية الجنوبية منه كلها ارض المورخ  
من الترك في الناحية الشمالية غرباً والارض المنتنة وشرق الارض التي يقال ان ياجوج  
وما جوج خرباها قبل بناء السد وفي هذه الارض المنتنة مبدأ نهر الاثل من اعظم انهار العالم  
ومره في بلاد الترك ومصبة في بحر طبرستان في الاقليم الخامس في الجزء السابع منه وهو  
كثير الانعطاف يخرج من جبل في الارض المنتنة من ثلاثة ينابيع تجتمع في نهر واحد  
ويرتفع على سمت الغرب الى اخر السابع من هذا الاقليم فينعطف شمالاً الى الجزء السابع من  
الاقليم السابع فيمر في طرفه بين الجنوب والمغرب فيخرج في الجزء السادس من السابع  
ويذهب مغرباً غير بعيد ثم ينعطف ثانية الى الجنوب ويرجع الى الجزء السادس من  
الاقليم السادس ويخرج منه جدول يذهب مغرباً ويصب في بحر نيطش في ذلك الجزء  
ويرتفع في قطعة بين الشمال والشرق في بلاد بلغار فيخرج في الجزء السابع من الاقليم  
السادس ثم ينعطف ثالثة الى الجنوب وينفذ في جبل سياه ويرتفع في بلاد الخزر ويخرج  
الى الاقليم الخامس في الجزء السابع منه فيصب هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي  
انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية. والجزء التاسع من هذا الاقليم في  
الجانب الغربي منه بلاد خفساخ من الترك وهم قنجاك وبلاد التركس منهم ايضاً ويغ  
الشرق منه بلاد ياجوج يفصل بينها جبل فوقيا المحيط وقد مر ذكره مبدأ من  
البحر المحيط في شرق الاقليم الرابع ويذهب معه الى اخر الاقليم في الشمال ويفارقه مغرباً

وبانحراف الى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الاقليم الخامس فيرجع الى سمته الاول حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من الاقليم من جنوبيه الى شماله بانحراف الى المغرب وفي وسطه ههنا السد الذي بناه الاسكندر ثم يخرج على سمته الى الاقليم السابع وفي الجزء التاسع منه فيمر فيه الى الجنوب الى ان يلقى البحر المحيطي في شماله ثم ينعطف معه من هنالك مغرباً الى الاقليم السابع الى الجزء الخامس منه فيتصل هنالك بقطعة من البحر المحيطي في غربيه وفي وسط هذا الجزء التاسع هو السد الذي بناه الاسكندر كما قلناه والصحيح من خبره في القرآن وقد ذكر عبد الله بن خرداذبة في كتابه في الجغرافيا ان الواثق رأى في منامه كأن السد انفتح فانتبه فرعاً وبعث سلاما الترجمان فوقف عليه وجاء بخبره ووصفه في حكاية طويلة ليست من مقاصد كتابنا وفي الجزء العاشر من هذا الاقليم بلاد ماجوج متصلة فيه الى اخره على قطعة من هنالك من البحر المحيط احاطت به من شرقه وشماله مستطيلة في الشمال وعريضة بعض الشيء في الشرق

الاقليم السابع . والبحر المحيط قد غمر امانته من جهة الشمال الى وسط الجزء الخامس حيث يتصل بجبل قوقيا المحيط بياجوج وماجوج . فالجزء الاول والثاني مغموران بالماء الا ما انكشف من جزيرة انكلترا التي معظمها في الثاني وفي الاول منها طرف انعطف بانحراف الى الشمال وبقينها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الاقليم السادس وهي مذكورة هناك والحجاز منها الى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلاً ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده مستطيلة من الغرب الى الشرق . والجزء الثالث من هذا الاقليم مغمور اكثره بالبحر الا قطعة مستطيلة في جنوبيه وتوسع في شرقها وفيها هنالك متصل ارض فلوية التي مر ذكرها في الثالث من الاقليم السادس وانها في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء تم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة وتنتصل بالبر من باب في جنوبها يفضي الى بلاد فلونية وفي شمالها جزيرة برعاقبة (وفي نسخة برواقعة) مستطيلة مع الشمال من المغرب الى المشرق . والجزء الرابع من هذا الاقليم شماله كلة مغمور بالبحر المحيط من المغرب الى المشرق وجنوبه منكشف وفي غربيه ارض قيازك من الترك وفي شرقها بلاد طست ثم ارض رسلان الى اخر الجزء شرقاً وهي دائمة الثلوج وعمرانها قليل ويتصل ببلاد الروسية في الاقليم السادس وفي الجزء الرابع والخامس منه وفي الجزء الخامس من هذا الاقليم في الناحية الغربية منه بلاد الروسية وينتهي في الشمال الى قطعة من البحر المحيط التي يتصل بها جبل قوقيا كما ذكرناه من قبل وفي الناحية

الشرقية منه متصل ارض القمانية التي على قطعة بحر نيطش من الجزء السادس من الاقليم السادس وينتهي الى بحيرة طرمى من هذا الجزء وهي عذبة تجلب اليها انهار كثيرة من الجبال عن الجنوب والشمال وفي شمال الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض التارية من الترك (وفي نعه التركان) الى اخره. وفي الجزء السادس من الناحية الغربية الجنوبية متصل بلاد القمانية وفي وسط الناحية بحيرة عثور عذبة تجلب اليها الانهار من الجبال في النواحي الشرقية وهي جامدة دائماً لشدة الرد الا قليلاً في زمن الصيف وفي شرق بلاد القمانية بلاد الروسية التي كان مبدأها في الاقليم السادس في الناحية الشرقية الشمالية من الجزء الخامس منه وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية ارض بلغار التي كان مبدأها في الاقليم السادس وفي الناحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه وفي وسط هذه القطعة من ارض بلغار منعطف نهراثل القطعة الاولى الى الجنوب كما مر وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل قوقيا متصل من غربه الى شرقه. وفي الجزء السابع من هذا الاقليم في غربه بقية ارض بخناك من ام الترك وكان مبدأها من الناحية الشمالية الشرقية من الجزء السادس قبله وفي الناحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء ويخرج الى الاقليم السادس من فوقه وفي الناحية الشرقية بقية ارض سحر ثم بقية الارض المنتنة الى آخر الجزء شرقاً وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قوقيا المحيط متصلاً من غربه الى شرقه. وفي الجزء الثامن من هذا الاقليم في الجنوبية الغربية منه متصل الارض المنتنة وفي شرقها الارض المنصورة وهي من العجائب خرق عظيم في الارض بعيد المهوى فمسح الاقطار ممنوع الوصول الى قعره يستدل على عمراه بالدخان في النهار واليران في الليل نضيه وتخني وربما روي فيها بهر يشقها من الجنوب الى الشمال وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء البلاد الخراب المتاخمة للسد وفي آخر الشمال منه جبل قوقيا متصلاً من الشرق الى الغرب. وفي الجزء التاسع من هذا الاقليم في الجانب الغربي منه بلاد خشاخ وهم قبضي يجوزها جبل قوقيا حين يعطف من شماله عند البحر المحيط ويذهب في وسطه الى الجنوب بانخزاف الى الشرق فيخرج في الجزء التاسع من الاقليم السادس ويمر معترضاً في وسطه هنالك سد يا جوج وما جوج وقد ذكرناه وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء ارض يا جوج وراء جبل قوقيا على البحر قليلة العرض مستطيلة احاطت به من شرقه وشماله والجزء العاشر غير البحر جميعه. هذا آخر الكلام على الجغرافيا واقبالها السبعة وفي خلق السموات والارض واخلاف الليل والنهار آيات للعالمين

## المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمخرف وتأثير الهواء في الوان البشر والكثير في احوالهم قد بينا ان المعبور من هذا المنكشف من الارض انما هو وسطه لافراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال. ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين من الحر والبرد وجب ان تندرج الكيفية من كليهما الى الوسط فيكون معتدلاً فالاقليم الرابع اعدل العران والذي حنافية من الثالث والخامس اقرب الى الاعتدال والذي يليهما والثاني والسادس بعيدان من الاعتدال والاول والسابع اعد بكثير فلماذا كانت العلوم والصنائع والماني والملاس والاقوات والفواكه بل والحيوانات وجميع ما يتكوّن في هذه الاقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال وسكانها من الشر اعدل اجساماً والواناً واخلاقاً وأدياناً حتى السنوات فانما توجد في الاكثر فيها ولم يفسد على خير بعنة في الاقاليم الجنوبية ولا الشمالية وذلك ان الانبياء والرسل انما يختص بهم اكمل النوع في خلقهم واخلقهم قال تعالى كنتم خيراً مية اخرجت للناس وذلك ليمّ القول بما ياتهم به الانبياء من عند الله واهل هذه الاقاليم اكمل لوجود الاعتدال لهم فخدمهم على غاية من التوسط في مساكنهم وملابسهم واقواتهم وصنائعهم يتخذون البيوت المنجدة بالحجارة المنمقة بالصناعة ويتناغون في استخراج الآلات والمواعين ويذهبون في ذلك الى الغاية وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير ويتصرفون في معاملاتهم بالقدنين العزيزين ويبعدون عن الانحراف في عامة احوالهم وهؤلاء اهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقين والهند والسند والصين وكذلك الاندلس ومن قرب منها من الفرنجة والجلالفة والروم واليونانيين ومن كان مع هؤلاء او قريباً منهم في هذه الاقاليم المعتدلة ولهذا كان العراق والشام اعدل هذه كلها لانها وموطن جميع الجهات. واما الاقاليم البعيدة من الاعتدال مثل الاول والثاني والسادس والسابع فاهلها ابعد من الاعتدال في جميع احوالهم فبنائهم بالطين والقصب واقواتهم من الذرة والعشب وملابسهم من اوراق الشجر يخدمونها عليهم او الجلود وأكثرهم عرايا من اللباس وفواكه بلادهم وادما غريبة التكوين ماثلة الى الانحراف ومعاملاتهم بغير المحرمين الشرينيين من نحاس او حديد او جلود بقدر ونها للمعاملات واخلقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم حتى ينقل عن الكثير من السودان اهل الاقليم الاول

انهم يسكنون الكهوف والقباط والسبب في ذلك انهم لبعدهم عن الاعتدال يقرب عرض امزجتهم واخلاقهم من عرض الحيوانات العجم وبيعدون عن الانسانية بمقدار ذلك وكذلك احوالهم في الديانة ايضاً فلا يعرفون نبوة ولا يدبنون بشرية الا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الاقل النادر مثل الحبشة المجاورين للمين الدائنين بالنصرانية فيما قبل الاسلام وما بعده لهذا العهد ومثل اهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لارض المغرب الدائنين بالاسلام لهذا العهد يقال انهم دانوا به في المائة السابعة ومثل من دان بالنصرانية من اُم الصقالية والفرنجة والترك من الشمال ومن سوى هؤلاء من اهل تلك الاقاليم المخرفة جنوباً وشمالاً فالدين مجهول عندهم والعلم منقود بينهم وجميع احوالهم بعيدة من احوال الاناسي قريبة من احوال البهائم ويخلق ما لاتعلمون ولا يعترض على هذا القول بوجود اليمن وحضرموت والاحقاف وبلاد الحجاز واليامة وما اليها من جزيرة العرب في الاقليم الاول والثاني فان جزيرة العرب كلها احاطت بها البحار من الجهات الثلاث كما ذكرنا فكان لرطوبة اثر في رطوبة هوائها فنقص ذلك من اليبس والانحراف الذي يقتضيه الحر وصار فيها بعض الاعتدال بسبب رطوبة البحر. وقد تورم بعض النساين من لا علم لديه بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد حام بن نوح اخلصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من ابيه ظهر اثرها في لونه وفيما جعل الله من الرق في عقبه وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص ودعاء نوح على ابنه حام قد وقع في التوراة وليس فيه ذكر السواد وإنما دعا عليه بان يكون ولده عبداً لولد اخوته لا غير وفي القول نسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرها في الهواء وفيما يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب فان الشمس تسامت روهم مرتين في كل سنة قريبة احداها من الاخرى فتطول المسامنة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها وبلغ الفيض الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط الحر ونظير هذين الاقليمين ما بقا لهما من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانها ايضاً البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال اذا الشمس لاتزال بافهم في دائرة مرأى العين او ما قرب منها ولا ترتفع الى المسامنة ولا ما قرب منها فيضعف الحر فيها ويشدد البرد عامة الفصول فتبيض الوان اهلها وتنتهي الى الزعورة ويتبع ذلك ما يقتضيه مزاج البرد المفرط من زرقة العيون وبرش

الجلود وصهوبة الشعور وتوسطت بينهما الاقاليم الثلاثة الخامس والرابع والثالث فكان لها في الاعتدال الذي هو مزاج المتوسط حظ وافر والرابع بلغها في الاعتدال غاية لنهايتيه في التوسط كما قدمناه فكان لاهله من الاعتدال في خلفهم وخلفهم ما اقتضاه مزاج اهلهم وتبعه من جانبيه الثالث والخامس وان لم يبلغا غاية التوسط لميل هذا قليلاً الى الجنوب الحار وهذا قليلاً الى الشمال البارد الا انهما لم ينتهيا الى الانحراف وكانت الاقاليم الاربعة منحرفة واهلها كذلك في خلفهم وخلفهم فالاول والثاني للحر والسواد والسابع للبرد والبياض ويسمى سكان الجنوب من الاقليمين الاول والثاني باسم الحبشة والزنج والسودان اسما مترادفة على الامم المتفرقة بالسواد وان كان اسم الحبشة مختصاً منهم بمن تجاه مكة واليمن والزنج بمن تجاه بحر الهند وليست هذه الاسماء لهم من اجل اتساعهم الى آدمي اسود لا حام ولا غيره وقد نجد من السودان اهل الجنوب من يسكن الربع المعتدل او السابع المنحرف الى البياض فتبييض اللون اعقابهم على التدرج مع الايام وبالعكس فبين يسكن من اهل الشمال او الرابع بالجنوب فتسود اللون اعقابهم وفي ذلك دليل

على ان اللون تابع لمزاج الهواء قال ابن سينا في ارجوزته في الطب

بالزنج حر غير الاجسادا حتى كسا جلودها سوادا

والصقلب اكتسبت البيضا حتى غدت جلودها بضاضا

واما اهل الشمال فلم يسموا باعتبار الوانهم لان البياض كان لونا لاهل تلك اللغة الواضحة للاسماء فلم يكن فيه غرابة تحمل على اعباره في التسمية لموافقته واعنياده ووجدنا سكاية من الترك والصقالبة والطغرغر والخزر واللان والكثير من الافرنجة وياجوج وماجوج اسما متفرقة واجيالاً متعددة مسمين باسماء متنوعة واما اهل الاقاليم الثلاثة المتوسطة اهل الاعتدال في خلفهم وخلفهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتبار لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم والرتاسات والملك فكانت فيهم النبوات والملك والدول والشرائع والعلوم والبلدان والامصار والمباني والفراسة والصنائع الفاتحة وسائر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والروم وفارس وبني اسرائيل واليونان واهل الهند والصين . ولما رأى النسابون اختلاف هذه الامم بسانها وشعارها حسبوا ذلك لاجل الانساب فجعلوا اهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وبنوهم في الوانهم فتكلموا نقل تلك الحكاية الواهية وجعلوا اهل الشمال كلهم او اكثرهم من ولد يافث واكثر الامم المعتدلة واهل الوسط المتكلمون للعلوم والصنائع والملل

والشرايع والسياسة والملك من ولد سام وهذا الزعم وإن صادف الحق في انتساب هؤلاء فليس ذلك بقياس مطرد إنما هو اخبار عن الواقع لأن تسمية أهل الجنوب بالسودان والحبشان من أجل انتسابهم إلى حام الأسود. وما أذاهم إلى هذا الغلط إلا اعتقادهم أن التمييز بين الأمم إنما يقع بالانتساب فقط وليس كذلك فإن التمييز للجبل أو الأمة يكون بالنسب في بعضهم كما للعرب وبنو إسرائيل والفرس ويكون بالجهة والسمة كما للزنج والحبشة والصفالبة والسودان ويكون بالعوائد والشعار والنسب كما للعرب. ويكون بغير ذلك من أحوال الأمم وخواصهم وميزاتهم فتعميم القول في أهل جهة معينة من جنوب أو شمال بانهم من ولد فلان المعروف لما شملهم من نخلة أولون أو سمة وجدت لذلك الأب إنما هو من الأغاليل التي أوقع فيها الغفلة عن طبائع الأكوان والجهات وإن هذه كلها تتبدل في الاعقاب ولا يجب استمرارها سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً والله ورسوله أعلم بغيبه وأحكم وهو المولى المنعم الرؤوف الرحيم

### المقدمة الرابعة

#### في اثر الهواء في اخلاق البشر

قد رأينا من خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع موصوفين بالحرق في كل قطر والسبب الصحيح في ذلك أنه تقرر في موضعه من الحكمة أن طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني ونفسيه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضه وتكاثفه. وتقرر أن الحرارة مفشية للهواء والبخار محللة له زائدة في كميته ولهذا يجد المنتشي من الفرج والسرور ما لا يعبر عنه وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتشهي الروح وتجيء طبيعة الفرح وكذلك نجد المنتعبين بالحمامات إذا تنفسوا في هوائها وانصلت حرارة الهواء في ارواحهم فتشخت لذلك حدث لهم فرح وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشئ عن السرور. ولما كان السودان ساكنين في الاقليم الحار واستولى الحر على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم فتكون ارواحهم بالقياس إلى اهل الاقليم الرابع اشد حراً فتكون أكثر تشيياً فتكون اسرع فرحاً وسروراً وأكثر انبساطاً ويحيى الطيش على اثر هذه وكذلك يلحق بهم قليلاً أهل البلاد البحرية لما كان هوائها متضاعف الحرارة بما ينعكس عليه من أضواء بسيط



الجعر واشعتو كانت حصنهم من تنوع الحرارة في الفرح والخفة موجودة أكثر من بلاد التلول والجبال الباردة وقد نجد يسيراً من ذلك في اهل البلاد الجزيرية من الاقليم الثالث لتوفر الحرارة فيها وفي هوائها لانها عريقة في الجنوب عن الارياف والتلول واعتبر ذلك ايضاً باهل مصر فانها في مثل عرض البلاد الجزيرية او قريباً منها كيف غلب الفرح عليهم والخفة والغفلة عن العواقب حتى انهم لا يدخرون اقوات سنتهم ولا شهرهم وعامة ما كلهم من اسواقهم ولما كانت فاس من بلاد المغرب بالعكس منها في التوغل في التلول الباردة كيف ترى اهلها مطرفين اطراق الحزن وكيف افرطوا في نظر العواقب حتى ان الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الخنطة ويباكر الاسواق لشراء قوته ليوم مخافة ان يزرأ شيئاً من مدخره وتنبع ذلك في الاقليم والبلدان تجدد في الاخلاق اثرًا من كينيات الهواء والله الخلاق العليم. وقد تعرض المسعودي للبحث عن السبب في خفة السودان وطيشهم وكثرة الطرب فيهم وحاول تعليقه فلم يات بشيء أكثر من انه نقل عن جالينوس ويعقوب بن اسحاق الكندي ان ذلك لضعف ادمغتهم وما نشأ عنه من ضعف عقولهم وهذا كلام لا يحصل له ولا برهان فيه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم

اعلم ان هذه الاقليم المعتدلة ليس كلها يوجد بها الخصب ولا كل سكانها في رغد من العيش بل فيها ما يوجد لاهله خصب العيش من الحبوب والادم والخنطة والفواكه لزكاها المنابت واعندال الطينة ووقور العمران وفيها الارض الحرة التي لا تنبت زرعاً ولا عشباً بالجملة فسكانها في شظف من العيش مثل اهل الحجاز وجنوب اليمن ومثل المشتهين من صنهجة الساكنين بصحراء المغرب واطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هؤلاء يفتقدون الحبوب والادم جملة وانما اغذبتهم واقواتهم الالبان واللحوم ومثل العرب ايضاً المجائلين في التفار فاتهم وان كانوا ياخذون الحبوب والادم من التلول الا ان ذلك في الاحابين وتحت ريفه من حامينها وعلى الاقلال لقله وجددم فلا يتوصلون منه الى سد الحاجة او دونها فضلاً عن الرغد والخصب وتجددم يقتصرون في غالب احوالهم

على الالبان ونعوضهم من الحنطة احسن معاض وتجتمع مع ذلك هولاء الماقدنين للحبوب  
 والادم من اهل القنار احسن حالاً في جسومهم واخلاقهم من اهل التلول المنغمسين في  
 العيش فالوانهم اصفى وابدانهم اتقى واشكالهم اتم واحسن واخلاقهم ابعدهم من الانحراف  
 واذهانهم اتقوا في المعارف والادراكات هذا امر تشهد له التجربة في كل جبل منهم  
 فكثير ما بين العرب والبربر فيما وصفناه وبين الملتقيين واهل التلول يعرف ذلك من  
 خبره والسبب في ذلك والله اعلم ان كثرة الاغذية ورطوبانها تولد في الجسم فضلات  
 رديئة ينشأ عنها بعد اقطارها في غير سببة وكثرة الاخلاط العاسدة العفنة ويتبع ذلك  
 انكساف الالوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم كما قلناه ونغطي الرطوبات على الازدهان  
 والافكار بما يصعد الى الدماغ من انجرتها الردية فتمحي اللادة والعقلة والانحراف عن  
 الاعتدال بالجملة واعتبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب من الغزال والنعام  
 والمها والزرافة والحمر الوحشية والقرمق امثالها من حيوان التلول والارياف والمراعي  
 الخصبه كيف تجذب بينها بوناً بعيداً في صفاء ادبها وحس رونقها واشكالها وتناسب اعضائها  
 وحده مداركها فالغزال اخو المعز والرافة اخو العير والحمير والقراخو الحمير والبقرة  
 والون بينها ما رايت وما ذاك الا لاجل ان الخصب في التلول فعل في ابدان هذه من  
 الفضلات الردية والاخلاط العاسدة ما ظهر عليها اثره والجموع لحيوان القفر حس في  
 خلقها واشكالها ما شاء واعتبر ذلك في الادميين ايضاً فاما نجد اهل الاقاليم الخصبه العيش  
 الكثيرة الزرع والضرع والادم والنواكه يتصف اهلها غالباً باللادة في اذهانهم والخشونة  
 في اجسامهم وهذا شان البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المتقشرين في عيشهم المقتصرين  
 على الشعير والذرة مثل المصامدة منهم واهل غارة والسوس فنجده هولاء احسن حالاً  
 في عقولهم وجسومهم وكذا اهل بلاد المغرب على الجملة المنغمسين في الادم والرمع اهل  
 الاندلس المفقود بارضهم السمن حملة وغالب عيشهم الذرة فمجد لاهل الاندلس من ذكاء  
 العقول وخفة الاجسام وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم وكذا اهل الضواحي من المغرب  
 بالجملة مع اهل المحصر والامصار فان اهل الامصار وان كانوا مكثرين مثلهم من الادم  
 ومحصنين في العيش الا ان استعملوا اياها بعد العلاج بالطبخ والتلطيف بما يخلطون معها  
 فيذهب لذلك غلظها ويرق قوامها وعامة ما كلهم لحوم الصان والدجاج ولا يغطون  
 السمن من بين الادم لثباته فتقل الرطوبات لذلك في اغذيتهم ويخفف ما تود به الى  
 اجسامهم من الفضلات الردية فلذلك تجذب اجسام اهل الامصار الطيف من اجسام البادية

الحشنيين في العيش وكذلك نجد الموعودين بالجوع من اهل البادية لافضلات في جوسهم غليظة ولا لطيفة . واعلم ان اثر هذا الخصب في البدن واحواله يظهر حتى في حال الدين والعبادة فنجد المتقشفين من اهل البادية او المحاضرة ممن ياخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ احسن ديناً وافصلاً على العادة من اهل الترف والخصب بل نجد اهل الدين قليلين في المدن والامصار لما يعها من الفسادة والغفلة المتصلة بالاكتاف من اللحم والادم ولباب البر ويخص وجود العباد والزهاد لذلك بالمتقشفين في غذائهم من اهل البوادي وكذلك نجد حال اهل المدينة الواحدة في ذلك يختلف باختلاف حالها في الترف والخصب وكذلك نجد هولاء المخصين في العيش المنغمسين في طبائته من اهل البادية ومن اهل الحواضر والامصار اذا نزلت بهم السون واخذتهم الجماعات يسرع اليهم الهلاك اكثر من غيرهم مثل برارة المغرب واهل مدينة فاس ومصر فيا بلغنا لا مثل العرب اهل القفر والصحراء ولا مثل اهل بلاد النخل الذين غالب عيشهم التمر ولا مثل اهل افريقية لهذا العهد الذين غالب عيشهم الشعير والزيت واهل الاندلس الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هولاء وان اخذتهم السون والجماعات فلا تنال منهم ما تنال من اولئك ولا يكثرفيهم الهلاك بالجوع بل ولا يندرز والسبب في ذلك والله اعلم ان المنغمسين في الخصب المتعودين للادم والسمن خصوصاً تكتسب من ذلك امعاؤهم رطوبة فوق رطوبتها الاصلية المراجية حتى تجاوز حدها فاذا خولف بها العادة نقلت الاقوات وفقدان ادم واستعمال الحشن غير المألوف من الغذاء اسرع الى المعالييس والانكاش وهو عضو ضعيف في الغاية فيسرع اليه المرض ويهلك صاحبه دفعة لانه من المقاتل فاهالكون في الجماعات انما قتلهم الشح المعتاد السابق لا الجوع الحادث اللاحق . واما المتعودون لقله ادم والسمن فلا تزال رطوبتهم الاصلية واقفة عند حدها من غير زيادة وهي قابلة لجميع الاغذية الطبيعية فلا يقع في معام بتبدل الاغذية ببس ولا انحراف فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالخصب وكثرة ادم في الماكل واصل هذا كله ان تعلم ان الاغذية واثلافها او تركها انما هو بالعادة فمن عود نفسه غذاء ولائمة تناولته كان له مالوفاً وصار الخروج عنه والتبدل به داء ما لم يخرج عن غرض الغذاء بالجملة كالسموم واليتوع<sup>(١)</sup> وما افترط في الانحراف فاما ما وجد فيه

١ قال في القاموس اليتوع كسور او نورنات لانه دار مسهل محرق مقطوع والمشهور منه سعة الشرم واللاعبة والعرطيشا والماهودات والمارزبون والفحلشت والعشروكل اليتوعات اذا استعملت في غير وجهها اهلكته

التغذي والملاءمة فيصير غذاء مالوفاً بالعادة فاذا اخذ الانسان نفسه باستعمال اللين  
والبقول عوضاً عن الحنطة حتى صار له ديدناً فقد حصل له ذلك غذاء واستغنى به عن  
الحنطة والحبوب من غير شك وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن  
الطعام كما ينقل عن اهل الرياضات فانا نسمع عنهم في ذلك اخباراً غريبة يكاد ينكرها  
من لا يعرفها والسبب في ذلك العادة فان النفس اذا ألقت شيئاً صار من جبلتها وطبيعتها  
لايتها كثيرة التلون فاذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدرج والرياضة فقد حصل ذلك  
عادة طبيعية لها وما يتوهمة اطباء من ان الجوع مهلك فليس على ما يتوهونه الا اذا  
حملت النفس عليه دفعة وقطع عنها الغذاء بالكلية فانه حينئذ يغمم المعاء وينال المرض  
الذي يخشى معه الهلاك واما اذا كان ذلك القدر تدريجياً ورياضة باقلال الغذاء شيئاً  
فشيئاً كما يفعله المتصوفة فهو بمنزلة الهلاك وهذا التدرج ضروري حتى في الرجوع  
عن هذه الرياضة فانه اذا رجع به الى الغذاء الاول دفعة خيف عليه الهلاك وانما يرجع  
به كما بدا في الرياضة بالتدرج ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع اربعين يوماً وصلاً  
واكثر وحضراً شياخنا بمجلس السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة  
الحضراء وردة حسناً أنفسها عن الاكل جملة مندسين وشاع امرها ووقع اخبارها  
فصح شائها وانصل على ذلك حالها الي ان ماتتا ورأينا كثيراً من اصحابنا ايضاً من يقتصر  
على حليب شاة من المعز يلتقم نديها في بعض النهار او عند الافطار ويكون ذلك غذاءً  
واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ولا يستكر ذلك . واعلم ان الجوع اصح  
للدن من اكثر الاغذية بكل وجه لمن قدر عليه او على الاقلال منها وان له اثرًا في  
الاجسام والعقول في صفائها وصلاحتها كما قلناه واعتبر ذلك باثار الاغذية التي تحصل  
عنها في الجسم فقد رأينا المتغذين بلحوم الحيوانات الفاخرة العظيمة الجثان تنشأ اجسامهم  
كذلك وهذا مشاهد في اهل البادية مع اهل الحاضرة وكذا المتغذون باللبان الابل  
ولحومها ايضاً مع ما يورث في اخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل الاثقال  
الموجود ذلك للابل وتنشأ امعاؤهم ايضاً على نسبة امعاء الابل في الصحة والغلظ فلا  
يطرقها الوهن ولا الضعف ولا ينالها من مدار الاغذية ما ينال غيرهم فيشربون اليتوعات  
لاستطلاق بطونهم غير محجوبة كالحنظل قبل طبخه والدرياس والقرييون ولا ينال  
امعاؤهم منها ضرر وهي لوتناولها اهل الحضرة الرقيقة امعاؤهم بما نشأت عليه من لطيف  
الاغذية لكان الهلاك اسرع اليهم من طرفة العين لما فيها من السمية ومن تأثر الاغذية في

الابدان ما ذكره اهل الفلاحة وشاهدة اهل التجربة ان الدجاج اذا غذيت بالحبوب المطبوخة في بعر الابل واتخذ بيضها ثم حضنت عليه جاء الدجاج منها اعظم ما يكون وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب بطرح ذلك البعر مع البيض المحض فيحبي دجاجها في غاية العظم وامثال ذلك كثيرة فاذا راينا هذه الاثار من الاغذية في الابدان فلا شك ان للجوع ايضاً آثاراً في الابدان لان الضدين على نسبة واحدة في التأثير وعدمه فيكون تأثير الجوع في نقاء الابدان من الزيادات الفاسدة والرطوبة المختلطة المخلة بالجسم والعقل كما كان الغذاء مؤثراً في وجود ذلك الجسم والله محيط بعلمه

### المقدمة السادسة

في اصناف المدرकिन للغيب من البشر بالفطرة او الرياضة  
ويتقدمه الكلام في الوحي والرويا

اعلم ان الله سبحانه اصطفى من البشر اشخاصاً فصلهم بخطايه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينهم وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم وياخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقيه اليهم من المعارف ويظهره على الستم من الحوارق والاخبار الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل الى معرفتها الا من الله بوساطتهم ولا يعلمونها الا بتعليم الله اياهم قال صلى الله عليه وسلم الا واني لا اعلم الا ما علمني الله واعلم ان خبرهم في ذلك من خاصيته وضرورته الصدق لما تبين لك عند بيان حقية السوء وعلامة هذا الصنف من البشر ان توجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين معهم مع غطيط كانها غشي او اغماء في رأي العين وليست منها في شيء وانما هي في الحقيقة استغراق في لقاء الملك الروحاني بادراكهم المناسب لهم الخارج عن مدارك البشر بالكلية ثم ينزل الى المدارك البشرية ما سماع دوي من الكلام فينتبهه او يتمثل له صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ثم ينجلي عنه تلك الحال وقد وعي ما لقي اليه قال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي احياناً ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشدُّ عليَّ فينصم عني وقد وعيت ما قال واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعني ما يقول ويدركه اثناء ذلك من الشدة والغطر ما لا يعبر عنه في الحديث كان ما يعالج من التنزيل شدة وقالت عائشة كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينصم عنه وان جبينه ليتنصد عرقاً وقال تعالى انا سنلقي عليك قولاً تبلياً ولاجل هذه الحالة في تنزل الوحي كان المشركون

يرمون الانبياء بالجنون ويقولون له ربي اوتابع من الجن وانما لبس عليهم بما شاهدوه  
 من ظاهر تلك الاحوال ومن يضل الله فالة من هادي . ومن علاماتهم ايضاً انه يوجد  
 لهم قبل الوحي خلق الخير والركاء ومحاسبة المذمومات والرجس اجمع وهذا هو معنى  
 العصمة وكأنه منطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها وكانها منافية لجلته وفي  
 الصحيح انه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لثناء الكعبة فجعلها في ازاره فانكشف  
 فسقط مغتصباً عليه حتى استتر بازاره ودعي الى مجنن وليمه فيها عرس ولعب فاصابه غشي  
 النوم الى ان طلعت الشمس ولم يحصر شيئاً من شأنهم بل زهه الله عن ذلك كله حتى انه  
 يجلبته ينزله عن المظعموات المستكرهه فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يقرب الصل والثوم  
 فقيل له في ذلك فقال اني اناحي من لا تناحون وانظر لما اخبر الي صلى الله عليه وسلم  
 خديجة رضي الله عنها بحال الوحي اول ما فجأته وازادت اخناره فقالت اجعلني بينك  
 وبين ثوبك فلما فعل ذلك ذهب عنه فقالت انه ملك وليس شيطان ومعناه انه لا  
 يقرب النساء وكذلك سالت عن أحب الثياب اليه ان ياتيه فيها فقال البياض والخضرة  
 فقالت انه الملك يعني ان البياض والخضرة من اللوان الحبر والملائكة والسواد من اللوان  
 الشر والتميطين وامثال ذلك . ومن علاماتهم ايضاً دعواهم الى الدين والعبادة من الصلاة  
 والصدقة والعماف وقد استدلت خديجة على صدقه صلى الله عليه وسلم بذلك وكذلك  
 ابو بكر ولم يجناجا في امره الى دليل خارج عن حاله وخلق وفي الصحيح ان هرقل حين  
 جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بدعوه الى الاسلام احضر من وجد بلده من قريش  
 وفيهم اوسينان ليسالم عن حاله فكان فيما سأل ان قال بم يامركم فقال اوسينان  
 بالصلاة والركاة والصلة والعماف الى اخر ما سأل فاجابه فقال ان يكن ما نقول حقاً  
 فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين والعماف الذي اشار اليه هرقل<sup>(١)</sup> هو العصمة فانظر  
 كيف اخذ من العصمة والدعاء الى الدين والعبادة دليلاً على صحة نبوته ولم يتخ الى معجزة  
 فدل على ان ذلك من علامات النبوة . ومن علاماتهم ايضاً ان يكونوا ذوي حسب في  
 قومهم وفي الصحيح ما بعث الله نبياً الا في منعة من قوم وفي رواية اخرى في ثروة من قوم  
 استدركه الحاكم على الصحيحين وفي مسألة هرقل لابي سفيان كما هو في الصحيح قال كيف  
 هو فيكم فقال اوسينان هو فينا ذو حسب فقال هرقل والرسل تبعث في احساب  
 قومها ومعناه ان تكون له عصمة وشوكة تمنعه عن اذى الكفار حتى يبلغ رساله ربه ويتم

مراد الله من اكمال دينه وملته . ومن علاماتهم ايضاً وقوع الخوارق لم شهادة بصدقهم وهي افعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وانما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية وقوعها ودلائلها على تصديق الانبياء خلاف فالمتكلمون بناء على القول بالفاعل المختار قائلون بانها واقعة بقدرة الله لا بفعل النبي وان كانت افعال العباد عند المعتزلة صادرة عنهم الا ان المعجزة لا تكون من جنس افعالهم وليس للنبي فيها عند سائر المتكلمين الا التخدي بها باذن الله وهو ان يستدل بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها على صدقه في مدعاه فاذا وقعت تنزلت منزلة القول الصريح من الله بانه صادق وتكون دلائلها حينئذ على الصدق قطعية فالمعجزة الدالة بمجموع الخارق والتخدي ولذلك كان التخدي جزءاً منها وعارة المتكلمين صفة منسوبة وهو واحد لانه معنى الذاتي عندهم والتخدي هو النارق بينها وبين الكرامة والسحر اذ لا حاجة فيها الى التصديق فلا وجود للتخدي الا ان وجد اتناً فان وقع التخدي في الكرامة عند من يجيزها وكانت هادلالة فانما هي على الولاية وهي غير النبوة ومن هنا منع الاستاذ اسامح وغيره وقوع الخوارق كرامة فراراً من الالتباس بالسورة عند التخدي بالولاية وقد اربناك المغايرة بينها وانه يتخدى غير ما يتخدى به النبي فلا لس على ان النقل عن الاستاذ في ذلك ليس صريحاً وربما حمل على انكار لان تقع خوارق الانبياء لم بناء على اختصاص كل من الرقيقين بخوارقه واما المعتزلة فالماع من وقوع الكرامة عندهم ان الخوارق ليست من افعال العباد وفعالهم معتادة فلا فرق واما وقوعها على يد الكاذب تلبساً فهو محال أما عند الاشعرية فلان صفة نفس المعجزة التصديق والهداية فلو وقعت بخلاف ذلك انقلب الدليل شبهة والهداية ضلالة والتصديق كذباً واستحالة الحقائق وانقلبت صفات النفس وما يلزم من فرض وقوعه المحال لا يكون ممكناً واما عند المعتزلة فلان وقوع الدليل شبهة والهداية ضلالة قبيح فلا يقع من الله . واما الحكيمه فالخارق عندهم من فعل النبي ولو كان في غير محل القدرة بناء على مذهبهم في اليجاب الذاتي ووقوع الحادث بعضها عن بعض متوقف على الاسباب والشروط الحادثة مستندة اخيراً الى الواجب الداعل بالذات لا بالاختيار وان النفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر في التكوين والنبي عندهم محمول على التصريف في الاكوان مما توجه اليها واستجمع لها بما جعل الله له من ذلك والخارق عندهم يقع للنبي كان للتخدي ام لم يكن وهو شاهد بصدقهم من حيث دلالتة على تصرف النبي في الاكوان الذي هو من

خواص النفس النبوية لا بانه يتنزل منزلة القول الصريح بالتصديق فلذلك لا تكون دلائلها عندهم قطعية كما هي عند المتكلمين ولا يكون التحدي جزءاً من المعجزة ولم يصح فارقاً لها عن السحر والكرامة وفارقها عندهم عن السحران النبي مجبول على افعال الخبير مصروف عن افعال الشر فلا يلمُّ الشر بخوارقهِ والساحر على الصد فافعاله كلها شرٌّ وفي مقاصد الشر وفارقها عن الكرامة ان خوارق النبي مخصوصة كالصعود الى السماء والنفوذ في الاجسام الكثيفة واحياء الموتى وتكليم الملائكة والطيران في الهواء وخوارق الولي دون ذلك كنتكثير القليل والحديث عن بعض المستقل وامثاله ما هو قاصر عن تصريف الانبياء وياتي النبي بجميع خوارقهِ ولا يقدر هو على مثل خوارق الانبياء وقد قرر ذلك المتصوفة فيما كتبه في طريقهم ولقنوه عن اخبرهم واذا نقرر ذلك فاعلم ان اعظم المعجرات واشرفها واوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانَّ الخوارق في الغالب تقع مغايرةً للوحي الذي يتلقاه النبي وياتي بالمعجزة شاهدةً بصدقهِ والقرآن هو بنفسه الوحي المدعي وهو الخارق المعجز فشاهدته في عينه ولا يفترق الى دليل مغايرة كسائر المعجرات مع الوحي فهو اوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا واتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر واما كان الذي اوتيته وحياً اوحى اليّ فانا ارجوان اكون اكثرهم تابعاً يوم القيامة يشير الى ان المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة وهو كونها نفس الوحي كان الصدق لها اكثر لوضوحها فكثير المصدق المؤمن وهو التابع والامة

ولنذكر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شان العرافين

وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

اعلم . ارشدنا الله واباك انا نشاهد هذا العالم بما فيه من مخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والاحكام وربط الاسباب بالمسببات واتصال الاكوان بالاكوان واستحالة بعض الموجودات الى بعض لا تنفسي عجائنه في ذلك ولا تنهي غاياته وأدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجنائي والاول عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلاً ببعضها وبعض وكل واحد منها مستعد الى ان يستحيل الى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الاوقات والصاعد منها الطف ما قلة الى ان



ينتهي الى عالم الافلاك وهو اللطف من الكل على طبقات انصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها الا الحركات فقط وبها يهتدي بعضهم الى معرفة مقاديرها واورضاعها وما بعد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتداءً من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بدیعة من التدرج آخر افق المعادن متصل باول افق النبات مثل الحشائش وما لا بذرة واخر افق النبات مثل النخل والكرم متصل باول افق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لها الا قوة اللمس فقط ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر افق منها مستعد بالاستعداد الغريب لان يصير اول افق الذي بعده واتسع عالم الحيوان وتعددت انواعه وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والرؤية ترتفع اليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحس والادراك ولم يتب الى الرؤية والفكر بالفعل وكان ذلك اول افق من الانسان بعده وهذا غاية تهودنا ثم اننا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة في عالم الحس آثار من حركات الافلاك والعناصر وفي عالم التكوين آثار من حركة النمو والادراك تشهد كلها بان لها مؤثراً مائناً للجسام فهو روحاني ويتصل بالمكونات لوجود اتصال هذا العالم في وجودها وذلك هو النفس المدركة والحركة ولا بد فوقها من وجود اخر يعطيها قوى الادراك والحركة ويتصل بها ايضاً ويكون ذاته ادراكاً صرفاً وتعقلاً محضاً وهو عالم الملائكة فوجب من ذلك ان يكون للنفس استعداد للاسلاخ من الشريعة الى الملكية ليصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الاوقات في لحظة من اللحظات وذلك بعد ان تكمل ذاتها الروحية بالفعل كما نذكره بعد ويكون لها اتصال بالافق الذي بعدها شان الموجودات المرتبة كما قدمناه فلها في الاتصال جهتا العلو والسفل وهي متصلة بالذن من اسفل منها وتكتسب به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ومتصلة من جهة الاعلى منها بافق الملائكة ومكتسبة به المدارك العلمية والغيبية فان عالم الحوادث موجود في تعقلاتهم من غير زمان وهذا على ما قدمناه من الترتيب المحكم في الوجود بانصال ذواته وقواه بعضها ببعض ثم ان هذه النفس الانسانية غائبة عن العيان واثارها ظاهرة في البدن فكأنه وجميع اجرائه مجنونة ومفترقة آلات للنس ولقواها اما العالعية فالبطش باليد والمشي بالرجل والكلام باللسان والحركة الكلية بالبدن متدافعاً واما المدركة وان كانت قوى الادراك مرتبة ومرنفة الى القوة العليا منها ومن المفكرة التي يعبر عنها بالناطقة فقوى الحس الظاهرة بالآت من السمع والبصر وسائرهما يرتقي الى

الباطن واوله الحس المشترك وهو قوة تدرك المحسوسات مبصرة ومسموعة وملموسة وغيرها في حالة واحدة وذلك فارقت قوة الحس الظاهر لان المحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد ثم يؤديه الحس المشترك الى الخيال وهي قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط والة هاتين القوتين في تصرفها البطن الاول من الدماغ مقدمة للاولى ومؤخره للثانية ثم يرتقي الخيال الى الواهمة والحافظة فالواهمة لا تدرك المعاني المتعلقة بالخصائص كعداوة زيد وصداقة عمرو ورحمة الاب وافتراس الذئب والحافظة لا يداع المدركات كلها متغيرة وهي لها كالحزانة تحمضها لوقت الحاجة اليها والة هاتين القوتين في تصرفها البطن المؤخر من الدماغ اوله للاولى ومؤخره للاخري ثم ترتقي جميعها الى قوة الفكر والة البطن الاوسط من الدماغ وهي القوة التي يقع بها حركة الروية والتوجه نحو العقل فتحرك النفس بها دائماً لما ركب فيها من التزوع للتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية وتخرج الى الفعل في تعقلها متشبهة بالملاء الاعلى الروحاني وتصير في اول مراتب الروحانيات في ادراكها تغير الآلات الجسمانية في متحركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك وقد تنسلخ بالكلية من الشرية وروحانيتها الى الملكية من الافق الاعلى من غير اكتساب بل بما جعل الله فيها من الجبلة والفترة الاولى في ذلك والنفوس البشرية على ثلاثة اصناف صنف عاجز بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني فينقطع بالحركة الى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية وتركيب المعاني من الحافظة والواهمة على قوانين محصورة وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي للفكر في البدن وكما خيالي<sup>١</sup> منحصر نطاقه اذ هو من جهة مبدئه ينتمي الى الاوليات ولا يتجاوزها وان فسد فسد ما بعدها وهذا هو في الاغلب نطاق الادراك البشري الحساني واليه تنتمي مدارك العلماء وفيه ترسخ اقدامهم وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر الى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدان كلها انطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها وهذه مدارك العلماء الاولياء اهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة في البرزخ وصنف مفلور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتها الى الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لحمه من اللحمات ملكاً بالفعل ويحصل له شهود الملائكة الاعلى في افقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الالهي في

تلك اللعجة وهؤلاء الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللعجة وهي حالة الوحي فطهرهم الله عليها وجبله صورهم فيها وزكهم عن موانع البدن وعوائقه ما داموا ملاسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من القصد والاستقامة التي يجاذون بها تلك الوجهة وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة وتسيع نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا بتلك الفطرة التي فطرها عليهم بالاكتساب ولا صناعة فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشرتهم وتلقوا في ذلك الملا الاعلى ما يتلقونه عاجولاً به على المدارك البشرية منزلاً في قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة يسمع دويّاً كأنه رمز من الكلام ياخذ منه المعنى الذي التقي اليه فلا ينفضي الدوي الاوقد وعاءه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذي يلقي اليه رجلاً فيكلمه ويبي ما يقوله والتلقي من الملك والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما التي عليه كلمة كأنه في لحظة واحدة بل اقرب من لمح الصرلانه ليس في زمان بل كلها تقع جميعاً فيظهر كأنها سريرة ولذلك سميت وحيّاً لان الوحي في اللغة الاسراع واعلم ان الاولى وهي حالة الدوي هي رتبة الانبياء غير المرسلين على ما حققه والثانية وهي حالة تمثيل الملك رجلاً يخاطب هي رتبة الانبياء المرسلين ولذلك كانت اكمل من الاولى وهذا معنى الحديث الذي فسره فيه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي لما سألته المحارث بن هشام وقال كيف ياتيك الوحي فقال احياناً ياتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشدُّ عليّ فينصم عنى وقد وعيت ما قال واحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعني ما يقول وانما كانت الاولى اشد لانها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة الى الفعل فيعسر بعض العسر ولذلك لما عاج فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه وعند ما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال فعند ما يعرج الى المدارك البشرية ياتي على جميعها وخصوصاً الاوضح منها وهو ادراك البصر وفي العبارة عن الوعي في الاولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة وهي ان الكلام جاء مجيء التمثيل الخالي الوحي فمثل الحالة الاولى بالدوي الذي هو في المتعارف غير كلام واخبر ان انهم والوعي يتبعه غيب انقضائه فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع ومثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم والكلام يساوقه الوعي فناسب العبارة بالمضارع المتقضي للتجدد . واعلم ان في حالة الوحي كلها صعوبة على المجهلة وشدّة قد اشار اليها القرآن قال تعالى انا سنلقي عليك

قولاً ثقیلاً وقالت عائشة كان ما يعاني من التنزيل شدة وقالت كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فينصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً . ولذلك كان يحدث عنه في تلك الحالة من الغيبة والغطيظ ما هو معروف وسبب ذلك ان الوحي كما قررنا مفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقي كلام النفس فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من أفتها الى ذلك الافق الآخر وهذا هو معنى الغط الذي عبر به في مبدأ الوحي في قوله فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ فقلت ما انا بقارىء وكذا ثانية وثالثة كما في الحديث وقد يفضي الاعنياد بالندرج فيه شيئاً فشيئاً الى بعض السهولة بالقياس الى ما قبله ولذلك كان تنزل نجوم القرآن وسوره وآيه حين كان بمكة اقصر منها وهو بالمدينة وانظر الى ما نقل في نزول سورة براءة في غزوة تبوك وانها نزلت كلها او اكثرها عليه وهو يسير على ناقته بعد ان كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من قصار المفصل في وقت وينزل الباقي في حين اخر وكذلك كان اخر ما نزل بالمدينة آية الدين وهي ما هي في الطول بعد ان كانت الآيه تنزل بمكة مثل آيات الرحمن والذاريات والمدثر والضحى والفلق وامثالها واعتبر من ذلك علامة تميزها بين المكي والمدني من السور والآيات والله المرشد الى الصواب هذا محصل امر النبوة . واما الكهانة فهي ايضاً من خواص النفس الانسانية وذلك انه قد تقدم لنا في جميع ما مر ان للنفس الانسانية استعداداً للانسلاخ من البشرية الى الروحانية التي فوقها وانه يحصل من ذلك لمحة للشر في صنف الاسماء بما فطروا عليه من ذلك وتقرر انه يحصل لهم من غير اكتساب ولا استعانة بشيء من المدارك ولا من التصورات ولا من الافعال البدنية كلاماً او حركة ولا بامر من الامور انما هو انسلاخ من البشرية الى الملكية بالفطرة في لحظة اقرب من لمح الصر واذ كان كذلك وكان ذلك الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية فيعطي التقسيم العقلي ان لها صنفاً اخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الاول نقصان الصد عن ضده الكامل لان عدم الاستعانة في ذلك الادراك ضد الاستعانة فيه وشتان ما بينهما فاذا اعطي تقسيم الوجود الى ما صنفاً آخر من البشر منطوقاً على ان تتحرك قوته العقلية حركتها الفكرية بالارادة عندما يبعثها النزوع لذلك وهي ناقصة عنه بالجملة فيكون لها بالجملة عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبث بامور جزئية محسوسة او متخيلة كالاكاسام الشفافة وعظام الحيوانات وسمج الكلام وما سنج من طير او حيوان فيستدم ذلك الاحساس او التخيل مستعيناً به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون

كالشيع له وهذه القوة التي فيهم مدا ذلك الادراك هي الكهانة ولكون هذه النفوس  
 منطوية على النص والنصور عن الكمال كان ادراكها في الجزئيات أكثر من الكلبيات  
 ولذلك تكون الخيلة فيهم في غاية القوة لانها آلة الجزئيات فتنفذ فيها نفوذاً تاماً في نوم أو  
 يقظة وتكون عندها حاضرة عنيدة تحضرها الخيلة وتكون لها كالمرآة تنظر فيها دائماً ولا  
 يقوى الكاهن على الكمال في ادراك المعقولات لان وجهه من وجهي الشيطان وأرفع  
 احوال هذا الصنف ان يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشغل به عن الحواس  
 ويقوى بعض الشيء على ذلك الاتصال الناقص فيهبس في قلبه عن تلك الحركة والذي  
 يشيعها من ذلك الاجنبي ما يذفقه على لسانه وربما صدق ووافق الحق وربما كذب لانه  
 يتم نقصه بمر اجنبي عن ذاته المدركة وما ين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب  
 جميعاً ولا يكون موثقاً به وربما يفرغ الى الظنون والتخمينات حرصاً على الظنر بالادراك  
 بزعمه وتمويهاً على السائلين واصحاب هذا السمع هم المخصوصون باسم الكهان لانهم ارفع سائر  
 اصنافهم وقد قال صلى الله عليه وسلم في مثله هذا من سجع الكهان فجعل السجع محضاً بهم  
 بمقتضى الاضافة وقد قال لان صياد حين ساله كاشفاً عن حاله بالاخبار كيف باتيك  
 هذا الامر قال باتيني صادق وكاذب فقال خلط عليك الامر يعني ان النبوة خاصتها  
 الصدق فلا يعترها الكذب بحال لانها اهال من ذات النبي بالملا الاعلى من غير  
 مشيع ولا استعانة باجنبي والكهانة لما احتاج صاحبها بسبب عجزه الى الاستعانة بالتصورات  
 الاجنبية كانت داخلة في ادراكه والتبست بالادراك الذي توجه اليه فصار مختلطاً بها  
 وطرقه الكذب من هذه الجهة فامتنع ان تكون نبوة وإنما قلنا ان ارفع مراتب الكهانة  
 حالة السجع لان معنى السجع اخف من سائر المغيبات من المرثيات والمسوعات وتدل  
 خفة المعنى على قرب ذلك الاتصال والادراك والعد فيه عن العجز بعض الشيء وقد  
 زعم بعض الناس ان هذه الكهانة قد انقطعت منذ زمن النبوة بما وقع من شان رجم الشياطين  
 بالشهب بين يدي البعثة وان ذلك كان لمنعم من خبر السماء كما وقع في القرآن والكهان  
 انما يتعرفون اخبار السماء من الشياطين فبطلت الكهانة من يومئذ ولا يقوم من ذلك  
 دليل لان علوم الكهان كما تكون من الشياطين تكون من نفوسهم ايضاً كما قررناه وايضاً  
 فالآية انما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من اخبار السماء وهو ما يتعلق بخبر  
 البعثة ولم ينعوا مما سوى ذلك وايضاً فانما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها  
 عادت بعد ذلك الى ما كانت عليه وهذا هو الظاهر لان هذه المدارك كلها تخمد في

زمن النبوة كما تخمد الكواكب والسرج عند وجود الشمس لان النبوة هي النور الاعظم  
 الذي يخفى معه كل نور ويذهب . وقد زعم بعض الحكماء انها انما توجد بين يدي النبوة  
 ثم تنقطع وهكذا كل نبوة وقعت لان وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه وفي  
 تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها ونقص ذلك الوضع عن التمام يقتضي وجود  
 طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه ناقصة وهو معنى الكاهن على ما قرناه فقبل ان  
 يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع الناقص ويقتضي وجود الكاهن اما واحداً او متعدداً  
 فاذا تم ذلك الوضع تم وجود النبي بكامله وانقضت الازواج الدالة على مثل تلك الطبيعة  
 فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على ان بعض الوضع الملكي يقتضي بعض اثره وهو  
 غير مسلم فعمل الوضع انما يقتضي ذلك الاثر بهيئته الخاصة ولو نقص بعض اجزائها فلا  
 يقتضي شيئاً الا انه يقتضي ذلك الاثر ناقصاً كما قالوه ثم ان هؤلاء الكهان اذا  
 عاصروا زمن النبوة فانهم عارفون بصدق النبي ودلالة معجزته لان لهم بعض  
 الوجدان من امر النبوة كما لكل انسان من امر اليوم ومعنوية تلك النسبة موجودة  
 للكاهن ناشدما للنائم ولا يصددهم عن ذلك ويوقهم في التكذيب الا قوة المطامع في  
 انها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لامية بن ابي الصلت فانه كان يطمع ان  
 يتنا وكذا وقع لابن صياد ولمسيلة وغيرهم فاذا غلب الايمان واقطعت تلك الاماني  
 آمنوا احسن ايمان كما وقع لطليحة الاسدي وسواد بن قارب وكان لها في الفتوحات  
 الاسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الايمان . واما الرؤيا فحققتها مطالعة النفس الناطقة  
 في ذاتها الروحانية لمحمة من صور الواقعات فانها عندما تكون روحانية تكون صور  
 الواقعات فيها موجودة بالفعل كما هو شان الذوات الروحانية كلها وتصير روحانية بان  
 تجرد عن المواد الجسمانية والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لمحمة بسبب النوم كما نذكر  
 فتقتبس بها علم ما تشوف اليه من الامور المستقبلية وتعود به الى مداركها فان كان ذلك  
 الاقتباس ضعيفاً وغير جلي بالمحاكاة والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من اجل هذه المحاكاة  
 الى التعبير وقد يكون الاقتباس قوياً يستغني فيه عن المحاكاة فلا يحتاج الى تعبير لتخلصه  
 من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللحمة للنفس انما ذات روحانية بالقوة  
 مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلاً محضاً وبكل وجودها بالنقل فتكون  
 حينئذ ذاتاً روحانية مدركة بغير شيء من الالات البدنية الا ان نوعها في الروحانيات  
 دون نوع الملائكة اهل الافق الاعلى على الذين لم يستكملوا ذاتهم بشيء من مدارك

البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ومنه خاص كالذي  
للأولياء ومنه عام للبشر على العموم وهو امر الرويا . وإما الذي للأنبياء فهو استعداد  
بالانسلاخ من البشرية الى الملكية المحضة التي هي أعلى الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد  
فيهم متكرراً في حالات الوحي وهو عندما يعرج على المدارك البدنية ويقع فيها ما يقع  
من الإدراك شيئاً بحال النوم شيئاً بيناً وإن كان حال النوم ادون منه بكثير فلاجل  
هذا الشبه عبر الشارع عن الرويا بأنها جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وفي رواية  
ثلاثة واربعين وفي رواية سبعين وليس العدد في جميعها مقصوداً بالذات وإنما المراد  
الكثرة في تفاوت هذه المراتب بدليل ذكر السبعين في بعض طرقه وهو للتكثير عند  
العرب وما ذهب اليه بعضهم في رواية ستة واربعين من ان الوحي كان في مبدئه بالرويا  
سنة اشهر وهي نصف سنة ومدة النبوة كلها بمكة والمدينة ثلاثة وعشرون سنة فنصف  
السنة منها جزء من ستة واربعين فكلام بعيد من التحقيق لانه إنما وقع ذلك للنبي صلى  
الله عليه وسلم ومن اين لنا ان هذه المدة وقعت لغيره من الأنبياء مع ان ذلك إنما يعطي  
نسبة زمن الرويا من زمن النبوة ولا يعطي نسبة حقيقتها من حقيقة النبوة وإذا تبين لك  
هذا ما ذكرناه أولاً علمت ان معنى هذا الجزء نسبة الاستعداد الأول الشامل للبشر الى  
الاستعداد القريب الخاص بصنف الأنبياء الفطري لهم صلوات الله عليهم اذ هو الاستعداد  
البعيد وإن كان عاماً في البشر ومع عوائق وموانع كثيرة من حصوله بالفعل ومن اعظم  
تلك الموانع الحواس الظاهرة ففطر الله البشر على ارتفاع حجاب الحواس بالنوم الذي هو  
جلي لم تتعرض النفس عند ارتفاعه الى معرفة ما تشوف اليه في عالم الحق فتدرك في  
بعض الاحيان منه لمحة يكون فيها الظفر بالمطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات  
فقال لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرويا  
الصاححة يراها الرجل الصالح او ترى له وإما سبب ارتفاع حجاب الحواس بالنوم فعلى ما  
أصنف لك وذلك ان النفس الناطقة انما ادراكها وفعالها بالروح الحيواني الجسماني وهو  
بخار لطيف مركب بالتجويف الأيسر من القلب على ما في كتب التشریح للجاليوس وغيره  
وينبعث مع الدم في الشريانات والعروق فيعطي المحس والحركة وسائر الأفعال البدنية  
ويرتفع لطيفة الى الدماغ فيعدل من برده ونتم افعال القوى التي في بطونه فالنفس  
الناطقة انما تدرك وتعمل بهذا الروح البخاري وهي متعلقة به لما اقتضته حكمة التكوين  
في ان اللطيف لا يهـثر في الكثيف ولما لطف هذا الروح الحيواني من بين المواد البدنية

صار محلاً لآثار الذات المباشرة له في جسمانيته وهي النفس الناطقة وصارت آثارها حاصلة  
 في البدن بواسطته وقد كنا قد علمنا ان ادراكها على نوعين ادراك بالظاهر وهو الحواس  
 الخمس وادراك بالباطن وهو بالقوى الدماغية وان هذا الادراك كله صارف لها عن  
 ادراكها ما فوقها من ذاتها الروحانية التي هي مستعدة له بالنظرة ولما كانت الحواس  
 الظاهرة جسمانية كانت معرضة للوسن والفشل بما يدركها من التعب والكلال وتغشي  
 الروح بكثرة التصرف فخلق الله لها طلب الاستجمام لتجرد الادراك على الصورة الكاملة  
 وانما يكون ذلك بانخس الروح الحيواني من الحواس الظاهرة كلها ورجوعه الى الحس  
 الباطن ويعين على ذلك ما يغشى البدن من البرد بالليل فطلب الحرارة الغريزية  
 اعماق البدن وتذهب من ظاهره الى باطنه فتكون مشبعة مركبها وهو الروح الحيواني  
 الى الباطن ولذلك كان النوم للبشر في الغالب انما هو بالليل فاذا انخس الروح عن  
 الحواس الظاهرة ورجع الى القوى الباطنة وخفت عن النفس شواغل الحس وموانعه  
 ورجعت الى الصورة التي في الحافظة تمثل منها التركيب والتحليل صوراً خيالية وأكثر ما تكون  
 معتادة لانها منتزعة من المدركات المتعاهدة قريباً ثم ينزلها الحس المشترك الذي هو  
 جامع الحواس الظاهرة فيدركها على انحاء الحواس الخمس الظاهرة وربما التفتت النفس  
 لفته الى ذاتها الروحانية مع منازعتها القوى الناطية فتدرك بادراكها الروحاني لانها  
 مبطورة عليه وتقتبس من صور الاشياء التي صارت متعلقة في ذاتها حينئذ ثم ياخذ الخيال  
 تلك الصور المدركة فيمثلها بالحقيقة او المحاكاة في التوالب المعهودة والمحاكاة من هذه هي  
 الحاجة للتعبير وتصرفها بالتركيب والتحليل في صور الحافظة قبل ان تدرك من تلك  
 اللحظة ما تدركه هي اضغاث احلام وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرويا  
 ثلاث رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان وهذا التفصيل مطابق لما  
 ذكرناه فالجلي من الله والمحاكاة الداعية الى التعبير من الملك واضغاث الاحلام من  
 الشيطان لانها كلها باطل والشيطان ينوع الباطل هذه حقيقة الرويا وما يسبها ويشيعها  
 من النوم وهي خواص للنفس الانسانية موجودة في البشر على العموم لا يخلو عنها احد  
 منهم بل كل واحد من الانساني راى في نومه ما صدر له في يقظته مراراً غير واحدة وحصل  
 له على القطع ان النفس مدركة للغيب في النوم ولا بدّ واذا جاز ذلك في عالم النوم فلا  
 يمتنع في غيره من الاحوال لان الذات المدركة واحدة وخواصها عامة في كل حال والله  
 الهادي الى الحق بمنه وفضله\*فصل\* ووقوع ما يقع للبشر من ذلك غالباً انما هو من غير قصد



ولا قدرة عليه وإنما تكون النفس متشوفة لذلك الشيء فيقع لها بتلك اللحمة في النوم لانها  
تقصد الى ذلك فتراه وقد وقع في كتاب الغاية وغيره من كتب اهل الرياضات ذكر  
اسماء تذكر عند النوم فتكون عنها الرؤيا فيما يتشوف اليه ويسمونها الحالومية وذكر منها  
مسلمة في كتاب الغاية حالومية سماها حالومة الطباع التام وهوان يقال عند النوم بعد  
فراغ السر وصحة التوجه هذه الكلمات الاعجمية وهي تماغس بعد ان يسواد وغداس نوفنا  
غادس ويذكر حاجته فانه يرى الكشف عما يسأل عنه في النوم وحكي\* ان رجلاً فعل  
ذلك بعد رياضة ليالٍ في ماكله وذكره فتمثل له شخص يقول له انا طباعك التام فسأله  
واخبره عما كان يتشوف اليه وقد وقع لي انا بهذه الاسماء مرآة عجيبة واطلعت بها على  
امور كنت انشوف عليها من احوالي وليس ذلك بدليل على ان الفصد للرؤيا يجدتها  
وانما هذه الحالومات تحدث استعداداً في النفس لوقوع الرؤيا فاذا قوي الاستعداد  
كان اقرب الى حصول ما يستعد له وللشخص ان يفعل من الاستعداد ما احب ولا  
يكون دليلاً على ايقاع المستعدة فالقدرة على الاستعداد غير القدرة على الشيء فاعلم  
ذلك وتدره فيما تجد من امثاله والله الحكيم الخبير\* فصل\* ثم انما نجد في النوع الانساني اشخاصاً  
يخبرون بالكائنات قبل وقوعها بطبيعة فيهم يتميز بها صنفهم عن سائر الناس ولا يرجعون  
في ذلك الى صناعة ولا يستدلون عليه بأثر من النجوم ولا من غيرها انما نجد مداركهم في  
ذلك بمقتضى فطرته التي فطرها عليها وذلك مثل العرافين والناظرين في الاجسام  
الشفافة كالمرايا وطساس الماء والناظرين في قلوب الحيوانات واكادها وعظامها واهل  
الزجر في الطير والسباع واهل الطرق بالحصى والمحوب من المحطة والنوى وهذه كلها  
موجودة في عالم الانسان لا يسع احداً حمدها ولا انكارها وكذلك المجانين يلقي على السنتهم  
كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والميت لاول موته او نومه يتكلم بالغيب  
وكذلك اهل الرياضات من المتشوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل الكرامة معروفة .  
ونحن الان نتكلم عن هذه الادراكات كلها ونبتدىء منها بالكهانة ثم ناتي عليها واحدة  
واحدة الى اخرها ونقدم على ذلك مقدمة في ان النفس الانسانية كيف تستعد لادراك  
الغيب في جميع الاصناف التي ذكرناها وذلك انها ذات روحانية موجودة بالقوة من بين  
سائر الروحانيات كما ذكرناه قبل وانما تخرج من القوة الى الفعل بالبدن واحواله وهذا  
امر مدرك لكل احد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة . وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها  
هو عين الادراك والتعقل فهي توجد اولاً بالقوة مستعدة للادراك وقبول الصور الكلية

والجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعودها بورود مدركتها المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الادراكات من المعاني الكلية فتتعقل الصور مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الادراك والتعقل بالفعل فتم ذاتها وتبقى النفس كالمهوى والصور متعاقبة عليها بالادراك واحدة بعد واحدة ولذلك نجد الصبي في أوّل نشأته لا يقدر على الادراك الذي لها من ذاتها لا النوم ولا تكشف ولا غيرها وذلك لان صورتها التي هي عين ذاتها وهي الادراك والتعقل لم يتم بعد بل لم يتم لها انتزاع الكليات ثم اذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الادراك ادراك بالآلات الجسم توديه اليها المدارك الدنية وادراك بذاتها من غير واسطة وهي محبوبة عنه بالانفاس في البدن والحواس وشواغلها لان الحواس ابداً جاذبة لها الى الظاهر بما فطرت عليه اولاً من الادراك الجسماني وربما تنغس من الظاهر الى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة اما بالخاصة التي هي للانسان على الاطلاق مثل النوم او بالخاصة الموحودة لبعض البشر مثل الكهانة والطرق او بالرياضة مثل اهل الكشف من الصوفية فتلتفت حينئذ الى الذوات التي فوقها من الملا الاعلى لما بين أفعالهم وأفهامهم من الاتصال في الوجود كما قررناه قبل وتلك الذوات روحانية وهي ادراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحقاقتها كما مرّ فيتعلى فيها شيء من تلك الصور ونقتبس منها علوماً ورماد فعدت تلك الصور المدركة الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس بما ادركت اما مجرداً او في قوليه فتخبر به. هذا هو شرح استعداد النفس لهذا الادراك الغيبي. ولترجع الى ما وعدنا به من بيان اصنافه. فاما الناظرون في الاجسام الشفافة من المرايا وطساس المياه وقلوب الحيوان وكبادهها وعظامها واهل الطرق بالحصى والسوى فكلهم من قبيل الكهان الا انهم اضعف رتبة فيه في اصل خلقهم لان الكهان لا يحتاج في رفع حجاب الحس الى كثير معاناة وهؤلاء يعانونه بالحصار والمدارك الحسية كلها في نوع واحد منها واشرفها البصر فيعكف على المرئي البسيط حتى يبدوله مدركة الذي يخبر به عنه وربما يظن ان مشاهدة هؤلاء لما يرونه هو في سطح المرآة وليس كذلك بل لا يرونه ينظرون في سطح المرآة الى ان يغيب عن البصر ويبدو فيما بينهم وبين سطح المرآة حجاب كأنه غمام يتمثل فيه صور هي مداركهم فيشيرون اليهم باللقصود لما يتوجهون الى معرفته من نفي او اثبات فيخبرون بذلك على نحو ما ادركوه واما المرآة وما يدرك فيها من الصور فلا يدركونه في تلك الحال وانما ينشأ لهم بها هذا النوع الاخر من الادراك وهو نفساني ليس من ادراك

البصر بل يتشكل به المدرك النفساني للحس كما هو معروف ومثل ذلك ما يعرض للناظرين  
 في قلوب الحيوانات وإكبادها وللناظرين في الماء والطساس وأمثال ذلك. وقد شاهدنا  
 من هولاء من يشغل الحس بالجور فقط ثم بالعزائم للاستعداد ثم يخبر كما ادرك ويزعمون  
 انهم برون الصور متشخصة في الهواء تحكي لهم احوال ما يتوجهون الى ادراكه بالمثال  
 والاشارة وغيبة هولاء عن الحس اخف من الاولين والعالم ابو الغرائب . واما الزجر  
 وهو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغييب عند سئو طائر او حيوان والفكر فيه  
 بعد مغيبه وهي قوة في النفس تبعت على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئي او مسموع  
 وتكون قوته المحيطة كما قدمناه قوية فيبعثها في البحث مستعينا بما رآه أو سمعه فيؤديه ذلك  
 الى ادراك ما كما تفعله القوة المتخيلة في النوم وعند ركود الحواس تنوسط بين المحسوس المرئي  
 في يقظته وتجمعه مع ما عقلته فيكون عنها الرؤيا . واما المخائين فنفسهم الباطنة ضعيفة  
 التعلق بالبدن لتساقد امزجتهم غالباً وضعف الروح الحيواني فيها فتكون نفسه غير مستغرقة  
 في الحواس ولا منعسة فيها بما شغلها في نفسها من الم نقص ومرض وور بما زاحمها على التعلق  
 به روحانية أخرى شبيهة تشبث به وتضعف هذه عن ما تعنها فيكون عنه التخط فاذا  
 اصابه ذلك التخط اما لتساقد مراجبه من فساد في ذاتها او لمزاحمة من النفوس  
 الشيطانية في تعلقه غاب عن حسيه فادرك لحظة من عالم نفسه واطع فيها بعض الصور  
 وصرها الخيال وربما نطق عن لسانه في تلك الحال من غير ارادة النطق وادراك  
 هولاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال وان فقدوا الحس الا  
 بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يجيء الكذب في هذه المدارك  
 واما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم ذلك الاتصال فيسلطون الفكر  
 على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن والتخمين بناء على ما يتوهمون من  
 مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة  
 هذا تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي في مروج الذهب فما صادف تحقيقاً  
 ولا اصابه ويظهر من كلام الرجل انه كان بعيداً عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع  
 من اهله ومن غير اهله وهذه الادراكات التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد  
 كان العرب يفرعون الى الكهان في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات  
 ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك غيبهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في  
 الجاهلية شق من انمار بن نزار وسطح بن مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب

ولا عظم فيه الا الحجة ومن مشهور الحكايات عنهما تاويل روي اربعة بن مضر وما  
 اخبراه به من ملك الحشبة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قریش  
 ورويا الموزان التي اولها سطح لما نعت اليه بها كسرى عبد المسبح فخبه بشان النبوة  
 وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير  
 وذكرهم في اشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوئي فانك ان داويتني لطيب

وقال الآخر

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد انها شفياني  
 فقالا شفاك الله والله مالنا بما حملت منك الضلوع بدان

وعراف اليمامة هور ناح من عجلة وعراف نجد الابلق الاسدي . ومن هذه المدارك الغيبية  
 ما يصدر لبعض الناس عند مفارقة اليقظة والتباسه بالنوم من الكلام على الشيء الذي  
 يتشوف اليه بما يعطيه غيب ذلك الامر كما يريد ولا يقع ذلك الا في ماديء النوم عند  
 مفارقة اليقظة وذهاب الاختيار في الكلام فيتكلم كأنه مجبول على الطق وغايته ان يسمعه  
 وبهذه وكذلك يصدر عن المتقولين عند مفارقة رؤوسهم واوساط ادانهم كلام بمنزل  
 ذلك . ولقد بلغنا عن بعض الجسارة الظالمين انهم قتلوا من سمونهم اشخاصا ليتعرفوا من  
 كلامهم عند القتل عواقب امورهم في انفسهم فاعلموه بما يستبشع . وذكر مسلمة في كتاب  
 الغاية في مثل ذلك ان آدميا اذا جعل في دن مملوء بدهس السمسم ومكث فيه اربعين  
 يوما يغذى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يبقى منه الا العروق وشوون راسه فيخرج  
 من ذلك الدهن محين يحيف عليه الهول فيجيب عن كل شيء يسأل عنه من عواقب الامور  
 الخاصة والعامية وهذا فعل من مناكير افعال السحرة لكن يفهم منه عجائب العالم الانساني  
 ومن الناس من يحاول حصول هذا المدرك الغيبي بالرياضة فيحاولون بالجهادة موتا  
 صناعيا بامانة جميع القوى الدنية ثم محو اثارها التي تلونت بها النفس ثم تغذيتها بالذكر  
 لتزداد قوة في نشئها ويحصل ذلك بجمع الفكر وكثرة الجوع ومن المعلوم على التقع انه اذا  
 نزل الموت بالبدن ذهب المحس وحجابه واطلعت النفس على ذاتها وعالمها فيحاولون ذلك  
 بالاكتساب ليقع لهم قبل الموت ما يقع لهم بعده وتطلع النفس على المغيبات ومن هولاء اهل  
 الرياضة السحرية يرتاضون بذلك ليحصل لهم الاطلاع على المغيبات والتصرفات في العوالم  
 واكثر هولاء في الاقاليم المنخرقة جنوبا وشمالا خصوصا بلاد الهند ويسمون هنالك الحوكية وهم

كتب في كينيتها هذه الرياضة كثيرة والاخبار عنهم في ذلك غريبة. واما المتصوفة فرياضتهم دينية وعربية عن هذه المقاصد المذمومة وانما يقصدون جمع الهمة والاقبال على الله بالكلية ليحصل لهم الواق اهل العرفان والتوحيد ويزيدون في رياضتهم الى الجمع والمجوع التغذية بالذكر فيها وتم وجهتهم في هذه الرياضة لانه اذا نشأت النفس على الذكر كانت اقرب الى العرفان بالله واذا عريت عن الذكر كانت شيطانية وحصول ما يحصل من معرفة الغيب والتصرف لهؤلاء المتصوفة انما هو بالعرض ولا يكون مقصوداً من اول الامر لانه اذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله وانما هي لتقصّد التصرف والاطلاع على الغيب واخسر بها صنفقة فانها في الحقيقة شرك قال بعضهم من اثر العرفان للعرفان فقد قال بالثاني فهم يقصدون بوجهتهم المعود لا لشيء سواه واذا حصل اثناء ذلك ما يحصل فالعرض وغير مقصود لهم وكثير منهم يفر منه اذا عرض له ولا يجفل به وانما يريد الله لذاته لا لغيره وحصول ذلك لهم معروف ويسمون ما يقع لهم من الغيب والحديث على الحواطر فراسة وكشفاً وما يقع لهم من التصرف كرامة وليس شيء من ذلك تنكير في حقهم وقد ذهب الى انكاره الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني وابو محمد بن ابي زيد المالكي في آخرين فراراً من الناس المعجزة وغيرها والمعول عليه عند المتكلمين حصول التفرقة بالتخدي فهو كاف. وقد ثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فيكم محدثين وان منهم عمر وقد وقع للصحابة من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك في مثل قول عمر رضي الله عنه ياسارية الجبل وهو سارية بن زيم كان قائداً على بعض جيوش المسلمين بالعراق ايام الفتوحات وتورط مع المشركين في معترك وهم بالانهزام وكان بقرية جبل يحميز اليه فرفع لعمر ذلك وهو يحطّب على المنبر بالمدينة فناده ياسارية الجبل وسمعه سارية وهو بمكانه وراى شخصه هنالك والقصة معروفة ووقع مثله ايضاً لابي بكر في وصيته عائشة ابنته رضي الله عنها في شان ما نخلها من اوسق التمر من حديقته ثم سبها على جذاه لتخوزه عن الورثة فقال في سياق كلامه وانماها اخواك واخناك فقالت انما هي اسماء فمن الاخرى فقال ان ذا بطن بنت خارجه اراها جارية فكانت جارية وقع في الموطأ في باب ما لايجوز من النخل ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولمن بعدهم من الصالحين واهل الاقتداء الا ان اهل التصوف يقولون انه يقل في زمن النبوة اذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي حتى انهم يقولون ان المرید اذا جاء للمدينة النبوية يسلب حالة ما دام فيها حتى يفارقها والله يرزقنا الهداية ويرشدنا الى الحق .

ومن هؤلاء المریدین من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون اشه بالمجانين من العقلاء وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية واحوال الصديقين وعلم ذلك من احوالهم من بهم عنهم من اهل الذوق مع انهم غير مكاتبين ويقع لهم من الاخبار عن المغيبات عجائب لانهم لا يتقيدون بشيء فيظلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب وربما يبكر النقباء انهم على شيء من المقامات لما يرون من سقوط التكليف عنهم والولاية لا تحصل الا بالعبادة وهو غلط فان فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها وادا كانت النفس الاساسية تائتة الوجود فالله تعالى يخصها بما يشاء من مواهب وهؤلاء القوم لم تعدم موسمهم اللطيفة ولا فسدت كمال المجانين وانما فقد لهم العقل الذي يباط به التكليف وهي صفة خاصة للنفس وهي علوم ضرورية للانسان يستند بها نظره ويعرف احوال معاشه واستقامته منزله وكنهه اذا ميز احوال معاشه واستقامته منزله لم يبق له عذر في قول التكليف لاصلاح معاده وليس من فقد هذه الصفة ناقدا لذاته ولا ذاهل عن حقيقته فيكون موحد الحقيقة معدوم العقل التكليفي الذي هو معرفة المعاش ولا استعانة في ذلك ولا يتوقف اصطفاؤه الله عبادة للمعرفة على شيء من التكالييف وادا صح ذلك فاعلم انه ربما يلتبس حال هؤلاء بالمجانين الذين تسد موسمهم اللطيفة ويلتحقون بالبهائم ولك في تمييزهم علامات منها ان هؤلاء البهاليل تجد لهم وجهة ما لا يحلون عنها اصلاً من ذكر وعبادة لكن على غير الشروط الشرعية لما قلناه من عدم التكليف والمجانين لا تجد لهم وجهة اصلاً ومنها انهم يختلفون على اللد من اول نشأتهم والمجانين يعرض لهم الجحون بعد مدة من العمر لعوارض بديية طبيعية فاذا عرض لهم ذلك وفسدت موسمهم اللطيفة ذهبوا بالحجة ومنها كثرة تصرفهم في الناس بالخير والشر لانهم لا يتقيدون على ادن لعدم التكليف في حقهم والمجانين لا تصرف لهم وهذا فصل انتهى بنا الكلام اليه والله المرشد للصواب

وقد برع بعض الناس ان هما مدارك للغيب من دون غيبة عن المحس ففهمهم المعجبون القائلون بالدلالات العمومية ومقتضى اوضاعها في الملك وانارها في العناصر وما يحصل من الامتزاج بين طاعها بالتناظر ويتادى من ذلك المزاج الى الهواء وهؤلاء المنحجبون ليسوا من الغيب في شيء انما هي طوبى حدسية وتخصيمات مديية على التأثير العمومية وحصول المزاج منه للهواء مع مرید حدث يقف به الناظر على تمييزه في التخصيمات في العالم كما قاله بطليموس ونحن

نين بطلان ذلك في محله ان شاء الله وهو لو ثبت فغايبته حدس وتخمين وليس ما ذكرناه  
 في شيء \* ومن هؤلاء قوم من العامة استسطلوا لاستخراجه الغيب وتعرف الكائنات صناعة  
 سموها خط الرمل نسبة الى المادة التي يصنعون فيها عملهم ومحصول هذه الصناعة انهم  
 صيروا من النقط اشكالاً ذات اربع مراتب تختلف باختلاف مراتبها في الزوجية والبردية  
 واستوائها فيها فكانت ستة عشر شكلاً لانها ان كانت ارجاء كلها او افراداً كلها فتشكلان  
 وان كان الفرد فيهما في مرتبة واحدة فقط فاربعة اشكال وان كان الفرد في مرتبتين  
 فستة اشكال وان كان في ثلاث مراتب فاربعة اشكال جاءت ستة عشر شكلاً ميررها كلها  
 باسمائها وارجاعها الى سعود ونحوس ثمان الكواكب وجعلوا لها ستة عشر بيتاً طبيعية  
 برعهم وكانها البروج الاثنا عشر التي للملك والامير والاربعة وجعلوا لكل شكل منها  
 بيتاً وخطوطاً ودلالة على صف من موحودات عالم العناصر يختص به واستسطلوا من  
 ذلك فاجازوا به في النجامة ووجع فوائده الا ان احكام النجامة مستندة الى اوضاع  
 طبيعية كما برعم ظليوس وهذه اما مستندة الى اوضاع تحكيمية واهوالها انما هي ولا دليل  
 يقوم على تبييض منها ويرعمون ان اصل ذلك من السموات القديمة في العالم وربما نسوها الى  
 دانيال او الى ادريس صلوات الله عليهما شان الصنائع كلها وربما يدعون مشروعيتهما  
 ويحتمون بقوله صلى الله عليه وسلم كان نبي يحط من وافق خطه فذاك وليس في الحديث  
 دليل على مشروعية خط الرمل كما برعمه بعض من لا تمصيل لديه لان معنى الحديث كان  
 نبي يحط فينايه الوحي عند ذلك الحط ولا استخالة في ان يكون ذلك عادة لبعض الالياء  
 فمن وافق خطه ذلك النبي فهو ذلك اي فهو صحيح من بين الخطبما عسده من الوحي  
 لذلك النبي الذي كانت عادته ان ياتيه الوحي عند الحط واما اذا اخذ ذلك من الحط  
 مجرداً من غير موافقة وحي فلا وهذا معنى الحديث والله اعلم. فاذا ارادوا استخراجه مغيب  
 بزعمهم عمدوا الى قرطاس او رمل او دقيق فوضعوا النقط سطوراً على عدد المراتب  
 الاربعة ثم كرروا ذلك اربع مرات فتعني ستة عشر سطراً ثم يطرحون النقط ارجاء  
 ويضعون ما بقي من كل سطر زوجاً كان او فرداً في مرتبة على الترتيب فتعني اربعة  
 اشكال يصنعونها في سطر متتالية ثم يولدون منها اربعة اشكال اخرى من جاب الرص  
 باعتبار كل مرتبة وما قالها من الشكل الذي اراهوا ويجمع منها من زوج او فرد فتكون  
 ثمانية اشكال موضوعة في سطر ثم يولدون من كل شكلين شكلاً تختصها باعتبار ما يجمع في  
 كل مرتبة من مراتب الشكلين ايضاً من زوج او فرد فتكون اربعة اخرى تختصها

يولدون من الارادة شكلين كذلك تحبها من التكلين شكلاً كذلك تحبها تم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الاول شكلاً يكون آخر السنة عشر تم يحكمون على الخط كله بما اقتضته اشكاله من السعادة والهموسة بالذات والنظر والحلول والامتراج والدلالة على اصناف الموحودات وسائر ذلك تحكماً غريباً وكثرت هذه الصناعة في العبران ووضعت فيها الباليك واشتهر فيها الاعلام من المتقدمين والمتأخرين وهي كما رايت تحكم وهوى والتخفيق الذي يسعى ان يكون نفس فكرك أن العيوب لا تدرك بصناعة التنة ولا سبيل الى تعرفها الا لتتوارى من الشر المطورين على الرجوع من عالم الحس الى عالم الروح ولذلك يسي المحمون هذا الصنف كلهم بالرهين نسبة الى ما تقتضيه دلالة الرهرة عنهم في اصل مواليدهم على ادراك العيب فالخط وغيره من هذه ان كان الناظر فيه من اهل هذه الخاصية وقصد بهده الامور التي يظن فيها من التناط والعظام او غيرها اشغال الحس لترجع النفس الى عالم الروحانيات لحظة ما فهم من باب الطرق بالخصي والمطر في قلوب الحيوانات والمرايا الشنافة كما ذكرناه وان لم يكن كذلك وانما قصد معرفة العيب بهده الصاعقة وانما تبيده ذلك فهدر من القول والعمل والله يهدي من يشاء . والعلامة لهده النظرة التي فطر عليها اهل هذا الادراك الغيبي انهم عند توحهم الى تعرف الكائنات يعتبرهم خروج عن حالتهم الطبيعية كالنشاوب والتمطط ومبادئ الغيبة عن الحس ويختلف ذلك بالقوة والضعف على اختلاف وحودها فيهم فمن لم توجد له هذه العلامة فليس من ادراك الغيب في شيء وانما هو ساع في تفنيق كديه ومهم طوائف يصعون قوايين لاستخراج العيب ليست من الطور الاول الذي هو من مدارك النفس الروحانية ولا من الحس المسمي على تاثيرات الخوم كما رعمه تظليهور ولا من الظن والتخمين الذي يحاول عليه العرافون وانما هي مغالط يجعلونها كالمصائد لاهل العقول المستصعبة ولست ادكر من ذلك الا ما ذكره المصنفون وولع به الخواص فمن تلك القوايين الحساب الذي يسمونه حساب النيم وهو مذكور في آخر كتاب السياسة المسبوت لارسطو يعرف به الغالب من المغلوب في المتخارين من الملوك وهو ان يحسب الحروف الي في اسم احدها بحسب الجمل المصطلح عليه في حروف ابجد من الواحد الى الالف احاداً وعشرات ومئين والوفاً فاذا حسبت الاسم وتوصل لك منه عدد فاحسب اسم الآخر كذلك تم اطرح كن واحد منها تسعة تسعة واحظ بقية هذا وبقيه هذا تم النظر بين العددين الباقيين من حساب الاسمين فان كان العددين مختلفين في



الكمية وكانا معاً زوجين او فردين معاً فصاحب الأقل منها هو الغالب وان كان احدها زوجاً والاخر فرداً فصاحب الاكثر هو الغالب وان كانا متساويين في الكمية وهما معاً زوجان فالمطلوب هو الغالب وان كانا معاً فردين فالصالب هو الغالب ويقال هنالك بيتان في هذا العمل اشتمرا بين الناس وهما

أرى الراج والافراد يسمو أقلها وأكثرها عند التحالف غالب  
ويغلب مطلوب اذا الراج يستوي وعند استواء البرد يغلب طالب

ثم وضعت لمعرفة ما بقي من الحروف بعد طرحها بتسعة قابلاً معروفاً عندهم في طرح تسعة وذلك انهم جمعوا الحروف الدالة على الواحد في المراتب الاربع وهي (ا) الدالة على الواحد و(ي) الدالة على العشرة وهي واحد في مرتبة العشرات و(ق) الدالة على المائة لانها واحد في مرتبة المئين و(س) الدالة على الالف لانها واحد في مرتبة الآف وليس بعد الالف عدد يدل عليه بالحروف لان الشين هي اخر حروف ابجد تم ترتيبها هذه الاحرف الاربعة على سق المراتب وكان منها كلمة رباعية وهي (ايقش) ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على اثنين في المراتب الثلاث واسقطوا مرتبة الآف منها لانها كانت اخر حروف ابجد فكان مجموع حروف الاثنين في المراتب الثلاث ثلاثة حروف وهي (ب) الدالة على اثنين في الاحاد و(ك) الدالة على اثنين في العشرات وهي عشرون و(ر) الدالة على اثنين في المئين وهي مائتان وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على سق المراتب وهي بكر ثم فعلوا ذلك بالحروف الدالة على ثلاثة فشقّت عنها كلمة جلس وكذلك الى اخر حروف ابجد وصارت تسع كلمات بهاية عدد الاحاد وهي ايقش بكر جلس دمت هنت وصح رعد حظ طضع مرتبة على التوالي الاعداد ولكل كلمة منها عددها الذي هي في مرتبة الواحد لكلمة ايقش واثنان لكلمة بكر والثلاثة لكلمة جلس وكذلك الى التاسعة التي هي طضع فتكون لها التسعة فاذا ارادوا طرح الاسم تسعة نظروا كل حرف منه في اي كلمة هو من هذه الكلمات واخذوا عددها مكانه ثم جمعوا الاعداد التي ياخذونها بدلاً من حروف الاسم فان كانت زائدة على التسعة اخذوا ما فصل عنها والا اخذوه كما هو تم يفعلون كذلك بالاسم الاخر وينظرون بين الحارين بما قدّمناه والسر في هذا القانون بين وذلك ان الباقي من كل عقد من عقود الاعداد بطرح تسعة انما هو واحد فكله يجمع عدد العقود خاصة من كل مرتبة فصارت اعداد العقود كلها احاد فلا فرق بين الاثنين والعشرين والمائتين والالفين وكلها اثنان وكذلك الثلاثة والثلاثون والثلاثمائة

والثلاثة الاف كلها ثلاثة ثلاثة فوضعت الاعداد على التوالي دالة على اعداد العقود لا غير  
وجعلت الحروف الدالة على اصناف العقود في كل كلمة من الاحاد والعشرات والمئين  
والالوف<sup>(١)</sup> وصار عدد الكلمة الموء ربع عليها نائماً عن كل حرف فيها سواء دل على  
الاحاد او العشرات او المئين فيؤخذ عدد كل كلمة عوضاً من الحروف التي فيها وتجمع  
كلها الى اخرها كما قلناه هذا هو العمل المتداول بين الناس منذ الامر القديم وكان بعض  
من لقيناه من شيوخنا يرى ان الصحيح فيها كلمات اخرى تسعة مكان هذه ومتوالية  
كتواليها ويعلون بها في الطرح تسعة مثل ما يعلونه بالاخرى سواء وهي هذه ارب  
يسقك جزلط مدوص هف تخذن عش خع ثضظ نسع كلمات على توالي العدد ولكل  
كلمة منها عددها الذي في مرتبه فيها الثلاثي والرابعي والثماني وليست جارية على اصل  
مطرد كما تراه لكن كان شيوخنا يقلوبها عن شيخ المغرب في هذه المعارف من السيمياء واسرار  
الحروف والنجامة وهو ابو العباس س الساء ويقولون عنه ان العمل بهذه الكلمات في  
طرح حساب النيم اصح من العمل بكلمات ايقس والله يعلم كيف ذلك وهذه كلها مدارك  
للغيب غير مستنده الى برهان ولا تحقيق والكتاب الذي وجد فيه حساب اليم غير معرّف  
الى ارسطو عند المحققين لما فيه من الاراء العبيدة عن التحقيق والرهان يشهد لك ذلك  
تصحح ان كنت من اهل الرسوخاه ومن هذه القواين الصاعية لاستخراج الغيوب فيها  
يرعمون الرابحة المسماة بزايحة العالم المعزوة الى ابي العباس سيدي احمد السني من  
اعلام المتصوفة بالمغرب كان في اخر المائة السادسة بمراكش ولعهد ابي يعقوب المصور  
من ملوك الموحدين وهي غريبة العمل صاعية وكثير من الحواص يولعون بافاداة الغيب منها  
لعملها المعروف الملعوز فيعرضون بذلك على حل رمزه وكشف غامضه وصورتها التي يقع  
العمل عندهم فيها دائرة عظيمة في داخلها دوائر متوازية للافلاك والعناصر والمكونات  
والروحانيات وغير ذلك من اصناف الكائنات والعلوم وكل دائرة مقسومة باقسام  
فلنكها اما الدروج واما العناصر او غيرها وخطوط كل قسم مارة الى المركز ويسمونها  
الاوراق وعلى كل وتر حروف متتاعة موضوعة فيها برشوم<sup>(٢)</sup> الرمام التي هي اشكال  
الاعداد عند اهل الدواوين والحساب بالمغرب لهذا العهد ومنها رشوم الغار المتعارفة  
في داخل الرابحة وبين الدوائر اسماء العلوم ومواضع الاكوان وعلى ظاهر الدوائر

اقوله والالوف فيه نظر لان الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامنا اه  
برشوم اي موضوعة نضم الرام جمع رشم بالشين المعجمة اه

جدول متكرر البيوت المتقاطعة طولاً وعرضاً يشتمل على خمسة وخمسين بيتاً في العرض ومائة وواحد وثلاثين في الطول جواب منه معمورة البيوت تارة بالعدد واخرى بالحروف وجواب خالية البيوت ولا تعلم نسبة تلك الاعداد في اوضاعها ولا النسبة التي عينت البيوت العامرة من الخالية وحنافي الزايرة ايات من عروض الطويل على روي اللام المنصوثة تتضمن صورة العمل في استخراج المطلوب من تلك الزايرة الا انها من قبيل الالغاز في عدم الوضوح والجلال وفي بعض جواب الزايرة بيت من الشعر منسوب لبعض اكار اهل الحدائق بالمغرب وهو مالك بن وهيب من علماء اسبيلية كان في الدولة اللتونية ونص البيت

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن غرائب شك ضطة الجد مثلاً  
وهو البيت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزايرة وغيرها فاذا ارادوا استخراج الجواب عما يسأل عنه من المسائل كتبوا ذلك السؤال وقطعوه حروفاً ثم اخذوا الطالع لذلك الوقت من روج التلك ودرجها وعمدوا الى الزايرة ثم الى الوتر المكنف فيها بالبرج الطالع من اوله ماراً الى المركز ثم الى المحيط الدائرة قالة الطالع في اخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من اوله الى اخره والاعداد المرسومة بينها وبيرونها حروفاً بحسب الجمل وقد ينقلون احادها الى العشرات وعشراتها الى المئتين وبالعكس فيها كما يقتضيه قانون العمل عندهم ويضعونها مع حروف السؤال ويضهون الى ذلك جميع ما على الوتر المكنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والاعداد من اوله الى المركز فقط لا يتجاوزونه الى المحيط وبعلمون بالاعداد ما فعلوه بالاول وبيفونها الى الحروف الاخرى ثم يقطعون حروف البيت الذي هو اصل العمل وقانونه عندهم وهو بيت مالك بن وهيب المتقدم ويضعونها ناحية ثم يضربون عدد درج الطالع في اس البرج واسه عندهم هو بعد البرج عن اخر المراتب عكس ما عليه الاس عند اهل صناعة الحساب فانه عندهم العدد عن اول المراتب ثم يضربونه في عدد اخر يسمونه الاس الاكبر والدور الاصلي ويدخلون بما تجمع لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين معروفة واعمال مذكورة وادوار معدودة ويستخرجون منها حروفاً ويستطون اخرى ويقالون بما معهم في حروف البيت وينقلون منه ما ينقلون الى حروف السؤال وما معها ثم يطرحون تلك الحروف باعداد معلومة يسمونها الادوار ويخرجون في كل دور الحرف الذي ينتهي عنده الدور يعاودون ذلك بعدد الادوار

المعينة عندهم لذلك فيخرج آخرها حروف متقطعة وتؤلف على التوالي فصير كلمات  
 منظومة في بيت واحد على وزن البيت الذي يقابل به العمل ورويه وهو بيت مالك  
 ابن وهيب المتقدم حسبنا ذكر ذلك كله في فصل العلوم عند كنيئة العمل بهذه الزابجة  
 وقد رأينا كثيراً من الخواص ينهاتون على استخراج الغيب منها تلك الاعمال ويحسون  
 ان ما وقع من مطابقة الجواب للسؤال في توافق الخطاب دليل على مطابقة الواقع وليس  
 ذلك صحيحاً لانه قد مر لك ان الغيب لا يدرك بامر صاعى الية وإنما المطابقة التي فيها  
 بين الجواب والسؤال من حيث الافهام والتوافق في الخطاب حتى يكون الجواب مستقيماً  
 او موافقاً للسؤال ووقوع ذلك في هذه الصناعة في تكسير الحروف المجمععة من السؤال والاورار  
 والدخول في الجدول بالاعداد المجمععة من ضرب الاعداد المفروضة واستخراج الحروف  
 من الجدول بذلك وطرح أخرى ومعاودة ذلك في الادوار المعدودة ومقابلة ذلك  
 كلو بحروف البيت على التوالي غير مستنكر وقد يقع الاطلاع من بعض الاذكياء على  
 تناسب بين هذه الاشياء فيقع له معرفة المجهول فالتناسب بين الاشياء هو سبب الحصول  
 على المجهول من المعلوم المحاصل للنفس وطريق لحصوله سيما من اهل الرياضة فانها تفيد  
 العقل قوة على القياس وزيادة في الفكر وقد مرّ تعليل ذلك غير مرة ومن اجل هذا  
 المعنى يسون هذه الزابجة في الغالب لاهل الرياضة فهي مسونة للستي ولقد وقفت  
 على اخرى مسونة لسهل بن عبد الله ولعمري انها من الاعمال الغريبة والمعانة العجيبة  
 والجواب الذي يخرج منها فالسر في خروجه منظوماً يظهر لي انما هو المقابلة بحروف ذلك  
 البيت ولهذا يكون النظم على وزنه ورويه ويدل عليه انا وجدنا اعمالاً اخرى لم في مثل  
 ذلك استقوا فيها المقابلة بالبيت فلم يخرج الجواب منظوماً كما تراه عند الكلام على  
 ذلك في موضعه وكثير من الناس تصبى مداركهم عن التصديق بهذا العمل ونفوذ الى  
 المطلوب فينكر صحتها ويجسب انها من التخيلات والابهامات وان صاحب العمل بها  
 يثبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين اثناء حروف السؤال والاورار ويفعل  
 تلك الصناعات على غير نسبة ولا قانون ثم يجيء بالبيت وبوم ان العمل جاء على طريقة  
 منضبطة وهذا المحسان توهم فاسد حمل عليه الفصور عن فهم التناسب بين الموجودات  
 والمعدومات والتفاوت بين المدارك والعقول ولكن من شان كل مدرك انكار ما ليس  
 في طريقه ادراكه ويكتفينا في رد ذلك مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحسد النطعي  
 فانها جاءت بعمل مطرد وقانون صحيح لا مريه فيه عد من مباشر ذلك ممن له ذكاء

وحس وإذا كان كثير من المعاياة في العدد الذي هو واضح الواضحات يعسر على التهم ادراكه لعد النسبة فيه وحمايتها فما ذلك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابتها فلندكر مسئلة من المعاياة يتضح لك بها شي مما ذكرنا مثالة لوقيل لك خد عدداً من الدراهم واجعل بازاء كل درهم ثلاثة من النلوس ثم اجمع النلوس التي اخذت واشتر بها طائراً ثم اشتر بالدراهم كلها طيوراً اسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدراهم مجواة ان نقول هي تسعة لانيك تعلم ان فلوس الدراهم اربعة وعشرون وان الثلاثة ثمنها وان عدة اثمان الواحد ثمانية فاذا جمعت الثمن من الدراهم الى الثمن الاخر فكان كلة ثمن طائر فهي ثمانية طيور عدة اثمان الواحد وتريد على الثمانية طائراً اخر وهو المشتري بالنلوس الماخوذة اولاً وعلى سعره اشترت بالدراهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج لك الجواب المصبر بسر التناسب الذي بين اعداد المسئلة والوهم اول ما يلقي اليك هذه وامثالها اما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر ان التناسب بين الامور هو الذي يخرج مجهولها من علومها وهذا اما هو في الواقعات الحاصلة في الوجود او العلم واما الكائنات المستقلة اذا لم تعلم اسباب وقوعها ولا يثبت لها خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته واذا تبين لك ذلك فالاعمال الواقعة في الرايرة كلها انما هي في استخراج الجواب من الفاظ السؤال لانها كما رايت استنساط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب اخر وسر ذلك انما هو من تناسب بينهما يطلع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تبسر عليه استخراج ذلك الجواب تلك القوابين والجواب يدل في مقام اخر من حيث موضوع الناظر وتراكيبه على وقوع احد طرفي السؤال من نفي او اثبات وليس هذا من المقام الاول بل انما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل الى معرفة ذلك من هذه الاعمال بل الشر محجوبون عنه وقد استاثر الله بعلمه والله يعلم وانتم لا تعلمون

## الفصل الثاني

في العبران البدوي والام الوحشية والفمائل وما يعرض في ذلك من الاخوال وفيه اصول وتمهيدات

### الفصل الاول

في ان اجيال الدو والحضر طيبة

اعلم \* ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش فان

اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه ونشيط قبل الحاجي والكمالي فممنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة ومنهم من يتنقل القيام على الحيوان من الغنم والقر والمعز والنحل والدود لتنتاجها واستخراج فضلاتها وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولا بد الى الدولانه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والنفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء بالبدو امراً ضرورياً لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفء انما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك ثم اذا اتسعت احوال هؤلاء المتنقلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه دعاهم ذلك الى السكون والدعة وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الاقوات والملاس والتأنيق فيها وتوسعة البيوت واخطاط المدن والامصار للتخضر ثم تزيد احوال الرفه والدعة فتجيء عوائد الترف البالغة سالغها في التأنيق في علاج القوت واستجداء المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في انواعها من الحرير والديباج وغير ذلك ومعالجة البيوت والصروح واحكام وضعها في تيجيدها والانهاء في الصنائع في الخروج من القوة الى الفعل الى غايتها فيخذون القصور والمازل ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها وبيالغون في تيجيدها ويختلفون في استجداء ما يتخذونه لمعاشهم من ملوس او فراش او آية او ماعون وهؤلاء هم الحضرو ومعناه الحاضرون اهل الامصار والبلدان ومن هؤلاء من يتنقل في معاشه الصنائع ومنهم من يتنقل التجارة وتكون مكاسبهم انى وارفه من اهل الدولان احوالهم زائدة على الصروري ومعاشهم على نسبة وجدهم فقد تبين ان اجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منهما كما قلناه

## الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الخلفة طبيعي

قد قدمنا في الفصل قبله ان اهل البدو هم المتنقلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الانعام وانهم مقتصرن على الصروري من الاقوات والملاس والمسكن وسائر الاحوال والعوائد ومقصورون عما فوق ذلك من حاجي او كمالي فيخذون البيوت من الشعروالوبر او الشجر او من الطين والحجارة غير منجدة انما هو قصد الاستظلال والكن لا ما وراءه وقد يابون الى الغيران والكهوف واما اقواتهم فيتناولون بها يسيراً بعلاج

او بغير علاج البتة الا ما مسته النار فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به اولى من الظعن وهؤلاء سكان المداشر والقرى والجبال وهم عامة البربر والاعاجم ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الاعلج لارتباد المسارح والمياه لحيواناتهم فالتقلب في الارض اصح بهم ويسمون شاوية ومعناه القائمون على الشتاء والبر ولا يعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة وهؤلاء مثل البربر والترك واخوانهم من التركمان والصقالبة وامان كان معاشهم في الابل فهم اكثر ظعنًا وبعده في القفر مجالاً لان مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها الابل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالفرو وورود مياهه المحقة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فراراً من اذى البرد الى دفء هوائه وطلباً لما خض النتاج في رماله اذ الابل اصعب الحيوان فصلاً ومخاضاً واحوجها في ذلك الى الدفء فاضطروا الى ابعاد النجعة وربما زادتهم الحامية عن التلول ايضاً فاوغلوا في القفار نفرة عن الضعة منهم فكانوا لذلك اشد الناس توحشاً وينزلون من اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفتسر من الحيوان العجم وهؤلاء هم العرب وفي معانهم ظعون البربر وزناتة بالمغرب والاكرد والتركمان والترك بالمشرق الا ان العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم مخلصون بالقيام على الابل فقط وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشياه والبقر معها فقد تبين لك ان جبل العرب طبيعي لا بد منه في العمران والله سبحانه وتعالى اعلم

### الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران  
والامصار مددها

قد ذكرنا ان البدو هم المفتصرون على الضروري في احوالهم العاجزون عما فوقه وان الحضرة المعتنون بمجالات الترف والكمال في احوالهم وعوائدهم ولا شك ان الضروري اقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ولان الضروري اصل والكمالي فرع ناشى عنه فالبدو اصل للمدن والحضر وسابق عليها لان اول مطالب الانسان الضروري ولا ينتهي الى الكمال والترف الا اذا كان الضروري حاصلًا فحشونة البداوة قبل رقة الحضارة ولهذا نجد المدن غاية للبدوي يجري اليها وينتهي بسعيه الى مقترحه منها ومتى حصل على الرياش الذي يحصل له في احوال الترف وعوائده عاج الى الدعة وامكن نفسه الى قياد المدينة

وهكذا شان القبائل المتبديّة كلهم والحضري لا يتشوّف الى احوال النادية الا للضرورة  
تدعوها اليها او لتقصير عن احوال اهل مدينته وما يتهد لنا ان البدو اصل للحضر  
ومتقدّم عليه انا اذا فتشنا اهل مصر من الامصار وجدنا اولية اكثرهم من اهل البدو  
الذين بناحية ذلك المصروف في قراه وانهم ايسروا فسكنوا المصروعدلوا الى الدعة والترف  
الذي في الحضر وذلك يدل على ان احوال الحضارة ناشئة عن احوال البداوة وانها  
اصل لها فتفهّم . ثم ان كل واحد من البدو والحضر متفاوت الاحوال من جنس قرب  
حيّ اعظم من حيّ وقبيلة اعظم من قبيلة ومصر اوسع من مصر ومدينة اكثر عمراً من  
مدينة فقد تبين ان وجود البدو متقدم على وجود المدن والامصار واصل لها بما ان  
وجود المدن والامصار من عوائد الترف والدعة التي هي متأخرة عن عوائد الضرورة  
المعاشية والله اعلم

### الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر

وسببه ان النفس اذا كانت على النظرة الاولى كانت متهيّئة لقبول ما يرد عليها وينطع  
فيها من خير او شر قال صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فاهو يهوداني  
او نصراني او مجسني وبقدر ما سبق اليها من احد الخلقين تبعد عن الاخر ويصعب  
عليها اكتسابه فصاحب الخير اذا سقت الى نفسه عوائد الخير وحصلت لها ملكة بعد  
عن الشر وصعب عليه طريقه وكذا صاحب الشر اذا سقت اليه ابصاً عوائد اهل  
الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف  
على شهواتهم منها قد تلوّنت انفسهم بكثير من مذمومات الخلق والشر واعدت عليهم طرق  
الخير ومسالكه بقدر ما حصل لهم من ذلك حتى لقد ذهب عنهم مذاهب الحشمة في  
احوالهم فتجد الكثير منهم يقدعون في اقوال الفحشاء في مجالسهم وبين كبرائهم واهل  
محارمهم لا يصدّم عنه وازع الحشمة لما اخذتهم به عوائد السوء في التظاهر بالواحش  
قولاً وعملاً واهل البدو وان كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم الا انه في المقدار الصوري  
لا في الترف ولا في شيء من اسباب الشهوات واللذات ودواعيها فعوائدهم في معاملاتهم  
على نسبتها وما يحصل فيهم من مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة الى اهل الحضر  
اقل بكثير فهم اقرب الى النظرة الاولى والعدما ينطع في النفس من سوء الملكات بكثرة



العوائد المذمومة وقبحها فيسهل علاجهم عن علاج الحضرو وهو ظاهر وقد توضح فيما بعد ان الحصاره في نهاية العمران وخروجه الى الفساد ونهاية الشر والعدن الخير فقد تبين ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة والله يحب المتقين ولا يعترض على ذلك بما ورد في صحيح البخاري من قول المهاج لسلمة بن الاكوع وقد بلغه انه خرج الى سكنى النادية فقال له ارتددت على عقبيك نعرت فقال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي في البدو فاعلم ان الهجرة افترضت اول الاسلام على اهل مكة ليكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم حيث حل من المواطن ينصرونه ويظاهرونه على امره وبجسونه ولم تكن واجبة على الاعراب اهل النادية لان اهل مكة بمسهم من عصية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة والحراسة ما لا يس غيرهم من نادية الاعراب وقد كان المهاجرون يستعيذون بالله من التعرّب وهو سكنى النادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص عند مرضه بمكة اللهم امص لاصحابي هجرتهم ولا تردهم على اعقابهم ومعناه ان يوفهم للملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا عن هجرتهم التي ابتدأوا بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي الى وجه من الوجوه وقيل ان ذلك كان خاصاً بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية الى الهجرة لقلّة المسلمين واما بعد الفتح وحين كثر المسلمون واعتزوا وتكفل الله لنبيه بالعصمة من الناس فان الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقيل سقط انشاؤها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقط وجوبها عن اسلم وهاجر قبل الفتح والكل مجمعون على انها بعد الوفاة ساقطة لان الصحابة اذ اتفقوا من يومئذ في الافاق وانتشروا ولم يبق الافضل السكنى بالمدينة وهو هجرة فقول المهاج لسلمة حين سكن النادية ارتددت على عقبيك نعرت نعى عليه في ترك السكنى بالمدينة بالاشارة الى الدعاء الماثور الذي قد مناه وهو قوله لا تردهم على اعقابهم وقوله نعرت اشارة الى انه صار من الاعراب الذين لا يهاجرون واجاب سلمة بانكار ما الرمة من الامرين وان النبي صلى الله عليه وسلم اذن له في البدو ويكون ذلك خاصاً به كشهادة خزيمه وعناق ابي ردة او يكون المهاج انما نعى عليه ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة واجابة سلمة بان اغننامه لاذن النبي صلى الله عليه وسلم اولى وانضل فما اثره به واخصه الا المعنى عليه فيه وعلى كل نقد برفليس دليلاً على مذمة البدو الذي عر عنه بالتعرّب لان مشروعية الهجرة انما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وحراسته لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا

الواجب بالتعرب دليل على مذمة التعرب والله سبحانه اعلم وبي التوفيق

## الفصل الخامس

في ان اهل الدوا قرب الى الشجاعة من اهل الحصر

والسبب في ذلك ان اهل الحضر القوا حنوتهم على مهاد الراحة والدعة وانفسوا في النعيم والترف ووكلوا امرهم في المدافعة عن اموالهم واز سبهم الى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم واستنماوا الى الاسوار التي تحوطهم والحرب الذي يحول دونهم فلا تهيجهم هبة ولا يبرهم صيد فهم غارون امنون قد القوا السلاح وتوالت على ذلك منهم الاجيال وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على ابي مثوام حتى صار ذلك خلقاً ينزل منزلة الطبيعة واهل الدولته ردم عن الخنوع ونوحتهم في الصواحي وبعدهم عن الحامية وانتاذهم عن الاسوار والابواب قائمون بالمدافعة عن انفسهم لا يكلونها الى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائماً يجلبون السلاح ويتلفتون عن كل جاب في الطرق ويتنافون عن الهجوم الاغراراً في المجالس وعلى الرجال وفوق الاقتاب ويتوجسون للنبات والهيعات ويتفردون في الفقر والبيداء مدلين بياسهم واثقين بانفسهم قد صار لهم اللباس خلقاً والشجاعة سمية يرجعون اليها متى دعاهم داعٍ او استنفرهم صارخ واهل الحصر مها خالطوهم في النادية ارضاحوهم في السفر عيال عليهم لا يملكون معهم شيئاً من امر انفسهم وذلك مشاهد بالعيان حتى في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل وسبب ذلك ما شرحناه واصله ان الانسان ابن عوائد ومالوفه لا ابن طبيعته ومزاجه فالذي النه في الاحوال حتى صار خلقاً ومملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة والحيلة واعتد ذلك في الادميين تجده كثيراً صحيحاً والله يخلق ما يشاء

## الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضر للاحكام مفسدة للباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم وذلك انه ليس كل احد مالك امر نفسه اذ الروءساء والامراء المالكون لامر الناس قليل بالنسبة الى غيرهم فمن الغالب ان يكون الانسان في ملكة غيره ولا بد فان كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا منع وصد كان من تحت يدها

مدلين بما في انفسهم من شجاعة اوجبن واتقين بعدم الوازع حتى صار لهم الادلال جبلة لا يعرفون سواها واما اذا كانت الملكة واحكامها بالفهر والسطورة والاخافة فتكسر حيثئذ من سورة باسمهم وتذهب المعنة عنهم لما يكون من التكاثر في النفوس المضطهدة كما نبينه وقد نبى عمر سعداً رضي الله عنها عن مثلها لما اخذ زهرة بن حوبة سلب الجالنوس وكانت قيمته خمسة وسبعين الياً من الذهب وكان اتبع الجالنوس يوم القادسية فقتله واخذ سلبه فانترعه منه سعد وقال له هلاً أنتظرت في اتاعه اذني وكتب الى عمر يستاذنه فكتب اليه عمر نعمد الى مثل رهرة وقد صلى بما صلى به وبقي عليك ما بقي من حربك وتكسر فوقه وتسد قلته وامضى له عمر سلته واما اذا كانت الاحكام بالعقاب فمذهبة للباس بالكلمية لان وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه يكسه المذلة التي تكسر من سورة بأسه بلاشك واما اذا كانت الاحكام تاديبية وتعليمية واخذت من عهد الصا أثرت في ذلك بعض الشيء لمراباة على المحافة والافتياد فلا يكون مدلاً بأسه ولهذا نجد المتوحشين من العرب اهل الدوا اشدّ بأساً ممن تاخذ الاحكام ونجد ايضاً الذين يعاونوا الاحكام وملكتهما من لدن مرانهم في التاديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ينقص ذلك من ناسهم كثيراً ولا يكادون يدفعون عن انفسهم عادية بوجه من الوجوه وهذا شان طلبة العلم المنحليين للقراءة والاخذ عن المشايخ والائمة الممارسين للتعليم والتاديب في مجالس الوقار والهيبه فيهم هذه الاحوال وذهاجها بالمنعة والبأس ولا تستكر ذلك مما وقع في الصحابة من اخذهم باحكام الدين والشريعة ولم ينقص ذلك من ناسهم بل كانوا اشدّ الناس بأساً لان الشارع صلوات الله عليه لما اخذ المسلمون عنه دينهم كان وارعهم فيه من انفسهم لما نثي عليهم من الترغيب والترهيب ولم يكن بتعليم صامعي ولا تاديب تعليمي اما هي احكام الدين وآدابه المتلقاة نقلاً ياخذون انفسهم بها بما ربح فيهم من عقائد الايمان والتصديق فلم تنزل سورة باسمهم مستحكمة كما كانت ولم تحذشها اظمار التاديب والحكم قال عمر رضي الله عنه من لم يؤدبه الشرع لا أدنه الله حرصاً على ان يكون الوازع لكل احد من نفسه وبقياً مان الشارع أعلم بمصالح العباد ولما تناقص الدين في الناس واخذوا بالاحكام الوارعة تم صار الشرع علماً وصناعة يؤخذ بالتعليم والتاديب ورجع الناس الى المحاصرة وخلق الانقياد الى الاحكام نقصت بذلك سورة البأس فيهم فقد تبين ان الاحكام السلطانية والتعليمية مفسدة للباس لان الوازع فيها اجنبي واما الشرعية فغير مفسدة لان الوازع فيها ذاتي ولهذا كانت هذه الاحكام

السلطانية والتعليمية ما تؤثر في اهل المحاضرات في ضعف نفوسهم وخضد الشوكة منهم  
بمعاناتهم في وليدهم وكهولهم والبدو بمعزل من هذه المنزلة لبعدهم عن احكام السلطان  
والتعليم والآداب ولهذا قال محمد بن أبي زيد في كتابه في احكام المعلمين والمتعلمين  
انه لا ينبغي للمؤدب ان يضرب احداً من الصبيان في التعليم فوق ثلاثة اسواط نقله عن  
شرح القاضي واجتج له بعضهم بما وقع في حديث بدء الوحي من شان الغط وانه كان  
ثلاث مرات وهو ضعيف ولا يصلح شان الغط ان يكون دليلاً على ذلك لبعده عن  
التعليم المتعارف والله الحكيم الخبير

### الفصل السابع

في ان سكنى البدو لا تكون الا للقنائل اهل العصية

اعلم \* ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير والشر كما قال تعالى وهديناه  
النجدين وقال فالهمها فجورها وتقواها والشر اقرب الخلال اليه اذا أهمل في مرعى عوائده  
ولم يهذه الاقتداء بالدين وعلى ذلك الجهم الغفير الا من وفقه الله ومن اخلاق الشرف فيهم  
الظلم والعدوان بعض على بعض فمن امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه  
الا ان يصدّه وازع كما قال

والظلم من شيم النوس فان تجدد ذاعفة فلعلية لا يظلم

فاما المدن والامصار فعدوان بعضهم على بعض تدفعه الاحكام والدولة بما قضوا على  
ايدي من تحتمهم من الكفاية ان يمتد بعضهم على بعض او يعدو عليهم فهم مكوحوون بحكمة  
التهر والسلطان عن النظم الا اذا كان من الحاكم بنفسه واما العدوان الذي من خارج  
المدينة فيدفعه سياج الاسوار عند الغفلة او العرة ليلاً او العجز عن المقاومة نهراً او  
يدفعه زياد الحامية من اعوان الدولة عند الاستعداد والمقاومة واما احياء البدو فيزع  
بعضهم عن بعض مشايخهم وكبرائهم وما قرئ في نفوس الكفاية لهم من الوقار والتخله واما  
حلهم فانما يذود عنها من خارج حامية الحي من التجادم وقتيائهم المعروفين بالشجاعة فيهم  
ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصية واهل نسب واحد لانهم بذلك تشتد  
شوكتهم ويخشى جانبهم اذ عرة كل احد على نفسه وعصيته اثم وما جعل الله في قلوب  
عباده من الشفقة والنعرة<sup>(١)</sup> على ذوي ارحامهم وقرباهم موجودة في الطوائع الشرعية وبها

١ العرة والعار بالضم فيها والعيبر الصراخ والصياح في حرب او شر كما في القاموس

يكون التعاضد والتناصر وعظم رهبة العدو لهم واعتد ذلك فيما حكاه القرآن عن اخوة يوسف عليه السلام حين قالوا لابيهم لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون والمعنى انه لا يتوهم العدوان على احد مع وجود العصبة له واما المتفردون في اسبابهم فقل ان نصيب احد منهم نعمة على صاحبه فاذا اظلم الجو بالتشريع الحروب تسلك كل واحد منهم ببغي النجاة لنفسه خيفة واستيخاشاً من التخاذل فلا يقدر من اجل ذلك على سكي الففر لما انهم حيثذ طعمة لمن يلتمهم من الامم سواهم واذا تبين ذلك في السكنى التي تحتاج للدافعة والحماية فبمثلها يتبين لك في كل امر يحمل الناس عليه من سوء او اقامة ملك او دعوة اذ بلوغ الغرض من ذلك كله انما يتم بالقتال عليه لما في طبائع البشر من الاستعصاء ولا بد في القتال من العصبية كما ذكرناه اننا فاتخذناه اماماً يقتدي به فيما نوره عليك بعد والله الموفق للصواب

### الفصل الثامن

في ان العصبية انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه وذلك ان صلة الرحم طبيعي في البشر الا في الاقل ومن صلتها النعمة على ذوي القربي واهل الارحام ان ينالهم ضمير أو نصيبهم هلكة فالقريب يجد في نفسه غصاصة من ظلم قريبه او العداة عليه و يود لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والممالك نزعة طبيعية في البشر مذ كانوا فاذا كان النسب المتواصل بين المتناصرين قريباً جداً بحيث حصل به الاتحاد والالتحام كانت الوصلة ظاهرة فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها واذا بعد النسب بعض الشيء ربما تنوسي بعضها ويبقى منها شهرة فتحمّل على النصرة لذوي نسه بالامر المشهور منه فراراً من الغصاصة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب اليه بوجه ومن هذا الباب الولاء والحلف اذ نعمة كل احد على اهل ولائهم وولاهم للالفة التي تلحق النفس من اهتمام جارها او قريبها او نسيبها بوجه من وجوه النسب وذلك لاجل اللحمة المحاصلة من الولاء مثل لحمة النسب او قريباً منها ومن هذا تفهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم بمعنى ان النسب انما فائدة هذا الالتحام الذي يوجب صلة الارحام حتى تقع المناصرة والنعرة وما فوق ذلك مستغنى عنه اذ النسب امر وهي لا حقيقة له ونفعة انما هو في هذه الوصلة والالتحام فاذا كان ظاهراً واضحاً حمل النفوس على طبيعتها من النعمة كما قلناه واذا كان انما

يستفاد من الخبر البعيد ضعف فيه الوهم وذهبت فائدته وصار الشغل به مجاناً ومن أعمال اللهو المنهي عنه ومن هذا الاعتبار معنى قولهم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر بمعنى ان النسب اذا خرج عن الوضوح وصار من قبيل العلوم ذهبت فائدة الوهم فيه عن النفس وانتفت النعرة التي تحمل عليها العصبية فلا منفعة فيه حيثئذ والله سبحانه وتعالى أعلم

### الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معانهم وذلك لما اخصوا به من نكد العيش وشظف الاحوال وسوء المواطن حملتهم عليها الضرورة التي غيبت لهم تلك القسمة وهي لما كان معاشهم من القيام على الابل وتاجها ورعايتها والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره وتاجها في رماله كما تقدم والقفر مكان الشظف والسغب فصار لهم الفأ وعادة وريت فيه اجيالهم حتى نمكنت خلقاً وجيلة فلا ينزع اليهم احد من الامم ان يساهمهم في حالهم ولا يانس بهم احد من الاجيال بل لو وجد واحد منهم السبيل الى الفرار من حاله وامكنه ذلك لما تركه فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم وفسادها ولا تزال بينهم محنوظة صريحة واعتبر ذلك في مضر من قريش وكمانه وثقيف وبنو اسد وهذيل ومن جاورهم من خراعة لما كانوا اهل شظف ومواطن غير ذات زرع ولا ضرع وبعدها من ارباب الشام والعراق ومعادن الأدم والحبوب كيف كانت انسابهم صريحة محنوظة لم يدخلها اختلاط ولا عرف فيهم شوب. واما العرب الذين كانوا بالثلول وفي معادن الخصب للمراعي والعش من حمير وكهلان مثل لحم وجذام وغسان وطى وقضاة واباد فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ففي كل واحد من بيوتهم من الخلف عند الناس ما تعرف وانما جاءهم ذلك من قبل العجم ومخالطهم وهم لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم وانما هذا للعرب فقط. قال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا النسب ولا تكونوا كبط السواد اذا سئل احدكم عن اصله قال من قرية كذا هذا اي ما لحق هؤلاء العرب اهل الارباب من الازدحام مع الناس على البلد الطيب والمراعي الخصبة فكثير الاختلاط وتداخلت الانساب وقد كان وقع في صدر الاسلام الانتباه الى المواطن فيقال جند فسر بن جند دمشق جند العواصم وانتفل ذلك الى الاندلس ولم يكن لاطراح العرب امر النسب وانما كان لاخصاصهم بالمواطن بعد النفع حتى عرفوا بها وصارت لهم علامة زائدة على النسب

بتميز ون بها عند امراءهم ثم وقع الاختلاط في الحواضر مع العجم وغيرهم وفسدت الانساب  
بالجملة وفقدت ثمرتها من العصبية فاطرحت تم تلاشت القبائل ودرثت فدرثت العصبية  
بدثورها وبقي ذلك في البدو كما كان والله وارث الارض ومن عليها

### الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعلم . انه من الدين أن بعضاً من اهل الانساب يسقط الى اهل نسب اخر تقرباً  
اليهم أو حلف أو ولاء أو لفرار من قومه بجباية اصحابها فيدعي بنسب هولاء و يعدّ منهم  
في ثمراته من النعرة والفود وحمل الديات وسائر الاحوال واذا وجدت ثمرات النسب  
فكانه وجد لانه لا معنى لكوبه من هولاء ومن هولاء الا جريان احكامهم واحولهم عليه  
وكانه التعميم تم انه قد يتناسى النسب الاول بطول الزمان ويذهب اهل العلم به فيخفي  
على الاكثر وما رالت الانساب تسقط من شعب الى شعب و يتعم قوم باخرين في الجاهلية  
والاسلام والعرب والعجم . وانظر خلاف الناس في نسب آل المنذر وغيرهم يتبين لك  
شيء من ذلك ومنه شان بجيلة في عرقة بن هرثة لما ولاء عمر عليهم فسالوه الاعفاء منه  
وقالوا هو فينا الزبي ابي دخيل ولصيق وطلوا ان يولي عليهم جريراً فسأله عمر عن  
ذلك فقال عرقة صدقوا يا امير المؤمنين انا رجل من الازد اصت دمائي قومي ولحقت  
بهم وانظر منه كيف اختلط عرقة بجيلة ولس جلدتهم ودعي بنسبهم حتى ترشح للرياسة  
عليهم لولا علم بعضهم بوشائجهم ولو غفلوا عن ذلك وامتد الزمن لتسوي بالجملة وعدّ منهم  
بكل وجه ومذهب فافهمه واعلم سرّ الله في خليقته ومثل هذا كثير لهذا العهد ولما قبله  
من العهود والله الموفق للصواب بمنه وفضله وكرمه

### الفصل الحادي عشر<sup>(١)</sup>

في ان الرياسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبية

اعلم . ان كل حي او بطن من القبائل وان كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام ففهم  
ايضاً عصبية اخرى لانساب خاصة هي اشدّ التماماً من النسب العام لهم مثل عشير واحد  
او اهل بيت واحد او اخوة بني اب واحد لا مثل بني العم الاقربين او الابعدين فهولاء  
اقعد بنسبهم المخصوص ويشاركون من سواهم من العصابات في النسب العام والنعرة تقع

١ هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية وموجود في النسخة التونسية واثباته اولي ليطابق كلامه اول  
الفصل ١٢ اه قاله نصر الموريني

من اهل نسبهم المخصوص ومن اهل النسب العام الا انها في النسب الخاص اشد لقرب  
 الحمة والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل ولما كانت الرياسة  
 انما تكون بالغلب وجب ان تكون عصبية ذلك النصاب اقوى من سائر العصائب ليقع  
 الغلب بها ويتم الرياسة لاهلها فاذا وجب ذلك تعين ان الرياسة عليهم لا تزال في ذلك  
 النصاب المخصوص اهل الغلب عليهم اذ لو خرجت عنهم وصارت في العصائب الاخرى  
 النازلة عن عصابتهم في الغلب لما تمت لهم الرياسة فلا تزال في ذلك النصاب متناقلة  
 من فرع منهم الى فرع ولا تنتقل الا الى الاقوى من فروعه لما قلناه من سر الغلب لان  
 الاجتماع والعصبية بمثابة المزاج للمتكون والمزاج في المتكون لا يصلح اذا تكافأت العناصر  
 فلا بد من غلبة احدها والا لم يتم التكوين فهذا هو سر اشتراط الغلب في العصبية ومنه  
 تعين استمرار الرياسة في النصاب المخصوص بها كما قررناه

### الفصل الثاني عشر

في ان الرياسة على اهل العصبية لا تكون في غير نسبهم  
 وذلك ان الرياسة لا تكون الا بالغلب والغلب اما يكون بالعصبية كما قدمناه فلا بد  
 في الرياسة على القوم ان تكون من عصبية غالبية لعصباتهم واحدة واحدة لان كل عصبية  
 منهم اذا احست تغلب عصبية الرئيس لهم اقرروا بالاذعان والاتباع والساقط في نسبهم  
 بالجملة لا تكون له عصبية فيهم بالنسب انما هو ملصق لزريق وغاية التعصب له بالولاء  
 والحلف وذلك لا يوجب له غلباً عليهم البتة واذا فرض انه قد التخم بهم واختلط وتنوسي  
 عهده الاول من الالتصاق ولبس جلدتهم ودعي بنسبهم فكيف له الرياسة قبل هذا الالتحام  
 او لاحد من سلفه والرياسة على القوم انما تكون متناقلة في منبت واحد تعين له الغلب  
 بالعصبية فالاولية التي كانت لهذا الملصق قد عرف فيها التصاقه من غير شك ومنعه  
 ذلك الالتصاق من الرياسة حينئذ فكيف تنقلت عنه وهو على حال الالتصاق والرياسة  
 لا بد وان تكون موروثه عن مستغتها لما قلناه من التغلب بالعصبية وقد يشوف كثير  
 من الروساء على القبائل والعصائب الى انساب بلهجون بها اما لخصوصية فضيلة كانت  
 في اهل ذلك النسب من شجاعة او كرم او ذكر كيف اتفق فينزعون الى ذلك النسب  
 ويتورطون بالدعوى في شعوبه ولا يعلمون ما يوقعون فيه انفسهم من القدرح في رياستهم  
 والطعن في شرفهم وهذا كثير في الناس لهذا العهد فمن ذلك ما يدعي زناة جملة انهم



من العرب ومنه ادعاء اولاد رباب المعروفين بالحجازيين من بني عامر احد شعوب زغبة انهم من بني سليم ثم من الشريد منهم لحق جدهم ببني عامر نجاراً يصنع الحرجان<sup>(١)</sup> واخيلط بهم والتحم بنسبهم حتى رأس عليهم ويسمونه الحجازي . ومن ذلك ادعاء بني عبد القوي بن العباس بن توجين أنهم من ولد العباس بن عبد المطلب زغبة في هذا النسب الشريف وغلطاً باسم العباس بن عطية ابي عبد القوي ولم يعلم دخول احد من العباسيين الى المغرب لانه كان منذ اول دولتهم على دعوة العلويين اعدائهم من الادارسة والعيديين فكيف يسبط العباس الى احد من شيعة العلويين . وكذلك ما يدعيه ابناء زيان ملوك تلمسان من بني عبد الواحد أنهم من ولد القاسم بن ادريس ذهاباً الى ما اشتهر في نسبهم انهم من ولد القاسم فيقولون بلسانهم الرناتي انت القاسم ابي بنو القاسم ثم يدعون ان القاسم هذا هو القاسم بن ادريس او القاسم بن محمد بن ادريس ولو كان ذلك صحيحاً فغاية القاسم هذا انه فر من مكان سلطانه مستخيراً بهم فكيف نتم له الرئاسة عليهم في باديتهم وإنما هو غلط من قبل اسم القاسم فانه كثير الوجود في الادارسة فتوهوا ان قاسمهم من ذلك النسب وهم غير محناجين لذلك فان منا لهم للملك والعزة انما كان بعصيتهم ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من الانساب وإنما يجمل على هذا المتقربون الى الملوك بمآرعمهم ومذاهبهم ويستتر حتى يبعد عن الرد ولقد بلغني عن يغمراسن بن زيان مؤثر سلطانهم انه لما قيل له ذلك انكره وقال بلغني الايانية ما مغناه اما الدنيا والملك فنلناهما سيوفنا لا يهدا النسب واما نفعها في الاخرة فمردود الى الله وأعرض عن التقرب اليهما بذلك . ومن هذا الباب ما يدعيه بنو سعد شيوخ بني بريد من زغبة انهم من ولد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وبنو سلامة شيوخ بني بدلتن من توجين أنهم من سليم والزواودة شيوخ رباح انهم من اعقاب البرامكة وكذا بنو مهني أمراء طيبه بالمشرق يدعون فيما بلغنا انهم من اعقابهم وامثال ذلك كثير ورأيستهم في قومهم مانعة من ادعاء هذا الانساب كما ذكرناه بل نعين ان يكونوا من صريح ذلك النسب واقوى عصيانه فاعنبره واجتنب المغالط فيه ولا تجعل من هذا الباب الحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية فان المهدي لم يكن من منبت الرياسة في هرة قوموه وإنما رأس عليهم بعد اشتهاره بالعلم والدين ودخول قبائل المصامدة في دعوتوه وكان مع ذلك من اهل المنايا المتوسطة فيهم والله عالم الغيب والشهادة

## الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية ويكون لغيرهم بالمجاز والشبه وذلك ان الشرف والحسب انما هو بالخلال ومعنى البيت ان يعد الرجل في ابائه اشرافاً مذكورين يكون له بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجلته في اهل جلدته ولما قرئ في نفوسهم من تجلته سلبه وشرفهم بجلالهم والناس في شائهم وتناسلهم معادن قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فمعنى الحسب راجع الى الانتساب وقد بينا ان ثمره الانتساب وفائدتها انما هي العصبية للنصرة والناصر فحيث تكون العصبية رهونة ومخشية والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب اوضح وثمرتها اقوى وتعدد الاشرف من الاباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف اصليين في اهل العصبية لوجود ثمره النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف تفاوت العصبية لانه سرها ولا يكون للمتبردين من اهل الامصار بيت الا بالمجاز وان توهمه فزخرف من الدعاوى واذا اعتبرت الحسب في اهل الامصار وجدت معناه ان الرجل منهم يعد سلفاً في خلال الخير ومخالطة اهل مع الركون الى العافية ما استطاع وهذا مغاير لسر العصبية التي هي ثمره النسب وتعدد الاباء لكنه يطلق عليه حسب وبيت بالمجاز لعلاقة ما فيه من تعدد الاباء المتعاقبين على طريقة واحدة من الخير ومسالكه وليس حسباً بالحقيقة وعلى الاطلاق وان ثبت انه حقيقة فيها بالوضع اللغوي فيكون من المشكك الذي هو في بعض مواضعه اولى وقد يكون للبيت شرف اول بالعصبية والخلال ثم ينسجون منه لهاجها بالحضارة كما تقدم ويختلطون بالغار ويبقى في نفوسهم وسواس ذلك الحسب يعدون بوانفسهم من اشرف البيوتات اهل العصائب وليسوا منها في شيء لذهاب العصبية جملة وكثير من اهل الامصار الناشئين في بيوت العرب او العجم لاول عهدهم موسوسون بذلك واكثر ما ربح الوسواس في ذلك لبني اسرائيل فانه كان لهم بيت من اعظم بيوت العالم بالمنبت اولاً لما تعدد في سلفهم من الانبياء والرسل من لدن ابراهيم عليه السلام الى موسى صاحب ملتهم وشريعته ثم بالعصبية ثانياً وما اتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم به ثم انسلخوا من ذلك اجمع وضربت عليهم الذلة والمسكنة وكتب عليهم الجلاء في الارض وافردوا بالاستعباد للكفر الاقامن السنين وما زال هذا الوسواس مصاحباً لهم فتقدم يقولون هذا هاروني هذا من نسل يوشع هذا من عقب كالب

هنا من سبط يهوذا مع ذهاب العصبية ورسوخ الذل فيهم منذ احقاب متطاولة وكثير من اهل الامصار وغيرهم المنقطعين في انسابهم عن العصبية يذهب الى هذا الهذيان . وقد غلط ابو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطابة من تلخيص كتاب المعلم الاول والحسب هو ان يكون من قوم قدم نزلهم بالمدينة ولم يتعرض لما ذكرناه وليت شعري ما الذي ينفعه قدم نزلهم بالمدينة ان لم تكن له عصابة يرهب بها جانبه وتحمل غيرهم على القول منه فكانه اطلق الحسب على تعدد الاء فقط مع ان الخطابة انما هي استمالة من توثر استمالاته وهم اهل الحل والعقد واما من لا قدرة له السنة فلا يلتفت اليه ولا يقدر على استمالة احد ولا يستمال هو واهل الامصار من الحصر بهذه المثابة الا ان ابن رشد ربا في جيل وبلد لم يمارسوا العصبية ولا اسوا احوالها فبقي في امر البيت والحسب على الامر المشهور من تعدد الاء على الاطلاق ولم يراجع فيه حقيقة العصبية وسرها في الخليفة والله بكل شيء عليم

### الفصل الرابع عشر

في ان البيت والشرف الموالي واهل الاصطناع انما هو بمولاهم لا بانسابهم وذلك لانا قدما ان الشرف بالاصالة والحقيقة انما هو لاهل العصبية فاذا اصطنع اهل العصبية قوماً من غير نسبهم او استرقوا العبدان والموالي والتحموا به كما قلنا ضرب معهم اولئك الموالي والمصطنعون بنسبهم في تلك العصبية ولسوا جلدتها كأنها عصبتهم وحصل لهم من الاضطام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم مولى القوم منهم وسواء كان مولى رقا او مولى اصطناع وحلف وليس سبب ولادته نافع له في تلك العصبية اذ هي مباينة لذلك النسب وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سرها عند التحامه بهذا النسب الاخر وفقدان اهل عصبيتها فيصير من هولاء ويندرج فيهم فاذا تعددت الاء باء في هذه العصبية كان له بينهم شرف وبيت على سببهم ولا يتم واصطناعهم لا يتجاوز الى شرفهم بل يكون ادور منهم على كل حال وهذا شان الموالي في الدول والخدمة كهم فانهم انما يشرفون بالرسوخ في ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الاء باء في ولايتها الا ترى الى موالي الاتراك في دولة بني العباس والى بني برمك من قلمهم وبني نوبخت كيف ادركوا البيت والشرف وبنوا المجد والاصالة بالرسوخ في ولاء الدولة فكان جعفر بن يحيى بن خالد من اعظم الناس بيتاً وشرفاً بالاتساب الى ولاء الرشيد وقوموه لا بالاتساب في الفرس وكذا موالي

كل دولة وخدمها انما يكون لهم البيت والحسب بالرسوخ في ولائها والاصالة في اصطناعها  
ويضحل نسبة الاقدم من غير نسبها ويبقى ملغى لا عبرة به في اصلته ومجده وانما المعتبر  
نسبة ولائه واصطناعه اذ فيه سر العصبية التي بها البيت والشرف فكان شرفه مشتقاً من  
شرف مواليه وبنائه من بنائهم فلم ينفعه نسب ولادته وانما بنى مجده نسب الولاء في الدولة  
ولحمة الاصطناع فيها والترية وقد يكون نسبة الاول في لحمة عصيته ودولته فانما ذهبت  
وصار ولاؤه واصطناعه في اخرى لم تنفعه الاولى لذهاب عصيتها واتنع بالثانية  
لوجودها وهذا حال بني برمك اذ المنقول انهم كانوا اهل بيت في الفرس من سدة بيوت  
النار عندهم ولما صاروا الى ولائ بني العباس لم يكن بالاول اعنار وانما كان شرفهم من  
حيث ولايتهم في الدولة واصطناعهم وما سوى هذا فوهم توسوس به النفوس الجاحمة ولا  
حقيقة له والوجود شاهد بما قلناه وان اكرمكم عند الله اتقاكم والله ورسوله اعلم

### الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة ابناء

اعلم \* ان العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من احواله فالكونيات  
من المعدن والنبات وجميع الحيوانات الاسان وغيره كائنة فاسدة بالمعاينة وكذلك  
ما يعرض لها من الاحوال وخصوصاً الاسانية فالعلوم تنشأ ثم تدرس وكذا الصنائع  
وامثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن فاسد لا محالة وليس  
يوجد لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في ابائهم من لدن آدم اليه الا ما كان من ذلك  
للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السرفيه واول كل شرف خارجة كما  
قيل وهي الخروج عن الرياسة والشرف الى الضعة والابتذال وعدم الحسب ومعناه ان  
كل شرف وحسب فعدمه سائق عليه شان كل محدث ثم ان نهايته في اربعة ابناء وذلك  
ان باني المجد عالم بما عاناه في بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كويه وبقائه وانه  
من بعده مباشر لابي قد سمع منه ذلك واخذ عنه الا انه مقصر في ذلك نقصير السامع  
بالشيء عن المعاني له ثم اذا جاء الثالث كان حظه الاقتفاء والتقليد خاصة فقصر عن  
الثاني نقصير المقلد عن المجتهد ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقته جملة واضاع الخلال  
الحافظة لبناء مجده واحقرها وتوهم ان ذلك البنين لم يكن بمعاناة ولا تكلف وانما هو  
امر وجب لهم منذ اول النشأة بمجرد اتساخهم وليس بعصاة ولا بخلال لما يرى من التجارة

بين الناس ولا يعلم كيف كان حدودها ولا سببها ويتوهم انه النسب فقط فيربا بنفسه عن  
 اهل عصبته ويرى الفضل له عليهم وثوقاً بما ربي فيه من استنباعهم وجهلاً بما اوجب  
 ذلك الاستنباع من الخلال التي منها التواضع لهم والاخذ بمجامع قلوبهم فيختمهم بذلك  
 فينصون عليه ويحفظونه ويدلون منه سواء من اهل ذلك المنبت ومن فروعه وفي  
 غير ذلك العقب للادعان لعصبيتهم كما قلناه بعد الوثوق بما يرضونه من خلال فتنموا فروع  
 هذا وتذوى فروع الاول وينهدم بناء بيته هذا في الملوك وهكذا في بيوت الفسائل  
 والامراء واهل العصبية اجمع ثم في بيوت اهل الامصار اذا انحطت بيوت نشأت بيوت  
 اخرى من ذلك النسب ان يشأ يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز  
 واشترط الاربعة في الاحساب انما هو في الغالب والا فقد يدثر البيت من دون الاربعة  
 ويتلاشى وينهدم وقد يتصل امرها الى الخامس والسادس الا انه في انحطاط وذهاب  
 واعتبار الاربعة من قبل الاجيال الاربعة بان مباشرة ومقلد وهادم وهو اقل ما  
 يمكن وقد اعتبرت الاربعة في نهاية الحسب في باب المدح والثناء قال صلى الله عليه وسلم  
 انما الكرم اس الكرم اس الكرم اس الكرم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اشارة  
 الى انه بلغ الغلظة من المجد وفي التوراة ما معناه ان الله ربك طائفي غيور مطالب بذنوب  
 الاباء المبين على التوالف وعلى الروابع وهذا يدل على ان الاربعة الاعقاب غاية في  
 الانساب والحسب . ومن كتاب الاغانى في اخبار عزيز الغواني ان كسرى قال للنعمان  
 هل في العرب قبيلة تتسرف على قبيلة قال نعم قال باي شيء قال من كان له ثلاثة ابناء  
 متواليه رساء ثم اتصل ذلك بكال الرابع فالبيت من قبيلته وطلب ذلك فلم يجده الا  
 في آل حذيفة بن بدر الفزاري وهم بيت قيس وآل ذي المجدين بيت شيبان وآل  
 الاشعث بن قيس من كندة وآل حاجب بن زرارة وآل قيس بن عاصم المنقري من بني  
 تميم فجمع هؤلاء الرهط ومن تبعهم من عشائهم واقعد لهم المحكام والعدول فقام حذيفة بن  
 بدر ثم الاشعث بن قيس لقراته من النعمان ثم بسطام بن قيس بن شيبان ثم حاجب بن  
 زرارة ثم قيس بن عاصم وخطبوا وناروا فقال كسرى كلهم سيد يصلح لموضع وكانت  
 هذه البيوتات هي المذكورة في العرب بعد بني هاشم ومعهم بيت بني الذيبان من بني  
 الحرث بن كعب بيت اليمنى وهذا كله يدل على ان الاربعة الاباء نهاية في الحسب والله اعلم

## الفصل السادس عشر

في ان الام الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم \* انه لما كانت البداوة سبباً في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة لاجرم كان هذا الجيل الوحشي اشد شجاعة من الجيل الاخرهم اقدر على التغلب وانتزاع ما في ايدي سواهم من الامم بل الجيل الواحد يختلف احواله في ذلك باختلاف الاعصار فكلما نزلوا الارياق وتفكوا النعيم والفوا عوائد الخصب في المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدوتهم واعتبر ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الطباء والبقر الوحشية والحمر اذا زال توحشها بمخالطة الادميين واخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدّة حتى في مشيتها وحسن ادبها وكذلك الادمي المتوحش اذا انس والف وسببه ان تكون السجايا والطباع انما هو عن المالموفات والعوائد واذا كان الغلب للامم انما يكون بالاقدام والسالة فمن كان من هذه الاجيال اعرق في البداوة واكثر توحشاً كان اقرب الى التغلب على سواه اذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة العصبية وانظر في ذلك شان مصر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين الى الملك والنعيم ومع ربيعة المتوطنين ارياف العراق وبعينه لما بقي مصر في بدوتهم وتقدمهم الاخرون الى خصب العيش وغضارة العييم كيف ارهفت البداوة حدهم في التغلب فغلبوهم على ما في ايديهم وانتزعوهم منهم وهذا حال بني طي \* وبني عامر بن صعصعة وبني سليم بن منصور ومن بعدهم لما تاخروا في باديتهم عن سائر قبائل مصر واليمن ولم يتلبسوا بشيء من دنياهم كيف امسكت حال البداوة عليهم قوة عصبيتهم ولم تخلفها مذاهب الترف حتى صاروا اغلب على الامر منهم وكذا كل حي من العرب يلي بعيماً وعيشاً خصباً دون الحي الاخر فان الحي المبتدىء يكون اغلب له واقدر عليه اذا تكافأ في القوة والعدد سنة الله في خلقه

## الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وذلك لانا قدمنا ان العصبية بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل امر يجمع عليه وقدمنا ان الادميين بالطبيعة الانسانية يحتاجون في كل اجتماع الى اوازع وحكام يزع بعضهم عن بعض فلا بد ان يكون متغلباً عليهم بتلك العصبية والالم ثم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو الملك وهو امر زائد على الرياسة لان الرياسة انما هي سودد

وصاحبها متبوع وليس له عليهم قهر في احكامه واما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحب  
العصية اذا بلغ الى رتبة طلب ما فوقها فاذا بلغ رتبة السؤدد والاتباع ووجد السبيل الى  
التغلب والقهر لا يتركه لانه مطلوب للنفس ولا يتم اقتدارها عليه الا بالعصية التي يكون  
بها متبوعاً فالتغلب الملكي غاية للعصية كما رايت ثم ان القليل الواحد وان كانت فيه  
بيونات متفرقة وعصيات متعددة فلا بد من عصية تكون اقوى من جميعها تغلبها وتستنبعها  
وتلتحم جميع العصيات فيها وتصور كأنها عصية واحدة كبرى والواقع الافتراق المنفصي  
الى الاختلاف والتنازع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسد الارض ثم اذا حصل  
التغلب بتلك العصية على قومها طلعت بطمعتها التغلب على اهل عصية اخرى بعيدة عنها  
فان كافاً ثبها او مانعها كانوا اقتالاً وانظاراً وكل واحد منها التغلب على حوزتها وقومها  
شان القبائل والامم المتفرقة في العالم وان غلبتها واستنبعها التحمت بها ايضاً وزادتها قوة  
في التغلب الى قوتها وطلست غاية من التغلب والتحكم اعلى من الغاية الاولى وابتعد  
وهكذا دائماً حتى تكافى بقوتها قوة الدولة فان ادركت الدولة في هرمها ولم يكن لها مانع  
من اولياء الدولة اهل العصيات استولت عليها وانتزعت الامر من يدها وصار الملك  
اجمع لها وان انتهت الى قوتها ولم يقارن ذلك هرم الدولة وانما قارن حاجتها الى الاستظهار  
باهل العصيات انتظمتها الدولة في اولياءها نستظهر بها على ما يعين من مقاصدها وذلك  
ملك اخر دون الملك المستبد وهو كما وقع للترك في دولة بني العباس ولصنهاجة وزناته  
مع كرامة ولبنى حمدان مع ملوك الشيعة من العلوية والعباسية فقد ظهر ان الملك هو  
غاية العصية وانها اذا بلغت الى غايتها حصل للقبيلة الملك اما بالاستداد او بالمظاهرة  
على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وان عاقبها عن بلوغ الغاية عوائق كما نسينه  
وقفت في مقامها الى ان يقضي الله بامرهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانفاس القبيل في النعيم  
وسبب ذلك ان القبيل اذا غلبت بعصيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره  
وشاركت اهل النعم والخصب في نعمتهم وخصيمهم وضربت معهم في ذلك بسهم وحصه بمقدار  
غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع احد في انتزاع امرها  
ولا مشاركتها فيه اذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون

فيه من جبايتها ولم نسّم امامهم الى شي من منازع الملك ولا اسابه انما همتمهم النعيم والكسب  
 وخصب العيش والسكون في ظل الدولة الى الدعة والراحة والاخذ بمذاهب الملك في  
 المباني والملابس والاستكثار من ذلك والتائق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف  
 وما يدعوا اليه من تواع ذلك فنذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والسالة  
 ويتنعمون فيما اتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم واعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة  
 انفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكثون عن سائر الامور الضرورية في العصبية حتى يصير ذلك  
 خلقاً لهم وبجبة فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الاجيال بعدهم يتعاقبها الى ان تنقرض العصبية  
 فياذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرافهم على الفنا فضلاً عن الملك فان  
 عوارض الترف والغرق في النعيم كاسر من سورة العصبية التي بها التغلب واذا انقرضت  
 العصبية قصر القليل عن المدافعة والحماية فضلاً عن المطالبة والتمتهم الامم سواهم فقد تبين  
 ان الترف من عوائق الملك والله يوءني ملكة من يشاء

### الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم  
 وسب ذلك ان المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدهما فان اقيادهم ومذلتهم  
 دليل على فقدانها فامرؤوا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فاولى ان  
 يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة واعتر ذلك في بني اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام  
 الى ملك الشام واخبرهم بان الله قد كتب لهم ملكها كيف عجزوا عن ذلك وقالوا ان فيها  
 قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها اي يخرجهم الله تعالى منها بصرب من قدرته  
 غير عصبيتنا وتكون من معجراتك يا موسى ولما عزم عليهم لجوا وارتكبو العصيان وقالوا له  
 اذهب انت وربك فقاتلا وما ذلك الا لما انسوا من انفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة  
 كانهنضيه الاية وما يوتر في تفسيرها وذلك بها حصل فيهم من خلق الانقياد ومارثوا من الذل  
 للقبط احقاً حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم يوءنوا حتى الايمان بما اخبرهم به موسى من  
 ان الشام لهم وان العالقة الذين كانوا باربعاً فر يستهم بحكم من الله قدره لهم فاقصر واعن ذلك  
 وعجزوا نعو بلاً على ما علموا من انفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة  
 وطعنوا فيما اخبرهم به نبيهم من ذلك وما امرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهو انهم تاهوا في قفر  
 من الارض ما بين الشام ومصرار بعين سنة لم ياولوا فيها العران ولا نزلوا مصرّاً ولا



خالطوا بشرًا كما قصة القران لغلظة العاقلة بالشام والقطب؛ مصر عليهم للجزم عن مقاومتهم  
 كما زعموه ويظهر من مساق الآية ومنهوما ان حكمة ذلك التيه منصودة وهي فناء الجبل  
 الذين خرجوا من قبضة النذل والقهر والقوة وتخلقوا بيو وأفسدوا من عصيتهم حتى نشأ في  
 ذلك التيه جيل اخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة فنشأت بذلك لهم  
 عصبية اخرى افتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك ان الاربعين  
 سنة اقل ما ياتي فيها فناء جيل ونشأة جيل اخر سبحانه الحكيم العليم وفي هذا اوضح دليل  
 على شان العصبية وانها هي التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وان من  
 فقدها معجز عن جميع ذلك كله ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شان المغارم  
 والضرائب فان القبيل الغارمين ما اعطوا اليد من ذلك حتى رصوا بالمذلة فيلان في المغارم  
 والضرائب ضيًّا ومذلة لا تختملها النفوس الاية الا اذا استهوتته عن القتل والتلف وان  
 عصيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ومن كانت عصبيتها لا تدفع عنه الضيم فكيف  
 له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للنذل والمذلة عاتقة كما قدمناه. ومنه قوله  
 صلى الله عليه وسلم شان الحرث لما رأى سكة المحراث في بعض دور الانصار ما دخلت  
 هذه دار قوم الا دخلهم النذل فهو دليل صريح على ان المغرم موجب للذلة هذا الى ما  
 يصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رايت القبيل بالمعارم  
 في رقة من النذل فلا تطمع لها بملك آخر الدهر ومنها يتبين لك غلط من بزعم ان  
 زنانة المغرب كانوا شايبة بؤدون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش  
 كما رايت اذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولا نمت لهم دولة وانظر فيما قاله شهر برار  
 ملك الباب لعبد الرحمن ابن ربيعة لما اطل عليه وسأل شهر راز امانه على ان يكون  
 له فقال انا اليوم معكم يدي في ايديكم وصعري معكم فرحياً بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا  
 اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا نذلونا بالجزية فتوهونا لعدوكم فاعتبر هذا فيما قلناه  
 فانه كافٍ

## الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس  
 لما كان الملك طبعياً للانسان لما فيه من طبيعة الاجتماع كما قلناه وكان الانسان  
 اقرب الى خلال الخير من خلال الشر باصل فطريته وقوته الناطقة العاقلة لان الشر انما

جاءه من قبل القوى الحيوانية التي فيه وأما من حيث هو إنسان فهو إلى الخير وخلاله  
 أقرب والملك والسياسة إنما كانا له من حيث هو إنسان لانها خاصة للإنسان لا للحيوان  
 فإذا خلال الخير فيه هي التي تناسب السياسة والملك إذا الخير هو المناسب للسياسة وقد  
 ذكرنا أن المجدلة أصل ينسب عليه وتحقق بحقيقته وهو العصبية والعشير و فرع يتم وجوده  
 ويكمله وهو الخلال وإذا كان الملك غاية للعصبية فهو غاية لفرعها ومتماتها وهي الخلال  
 لأن وجوده دون متمات كوجود تخصص مقطوع الأعضاء أو ظهوره عرباناً بين الناس وإذا  
 كان وجود العصبية فقط من غير احتمال الخلال الحميدة نقصاً في أهل البيوت والأحساب  
 فما ظنك بأهل الملك الذي هو غاية لكل مجد ونهاية لكل حسب وإيضاً فالسياسة والملك  
 هي كفالة للخلق وخلافة الله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم وإحكام الله في خلقه وعباده إنما  
 هي بالخير ومراعاة المصالح كما تنهد به الشرائع وإحكام الشرع إنما هي من الجهل والشيطان  
 بخلاف قدرة الله سبحانه وقدره فإنه فاعل للخير والشر معاً ومقدرها إذا فاعل سواء فمن  
 حصلت له العصبية الكديلة بالقدرة وأوست منه خلال الخير المناسبة لتنفيذ أحكام الله  
 في خلقه فقد تهيأ للخلافة في العباد وكفالة الخلق ووجدت فيه الصلاحية لذلك وهذا  
 البرهان أوثق من الأول وأصح مبنى فقد تبين أن خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن  
 وجدت له العصبية فإذا نظرنا في أهل العصبية ومن حصل لهم من الغلب على كثير من  
 النواحي والامم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلالهم الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال  
 من غير القادر والقرى للمصروف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكروه والوفاء  
 بالعهد وبذل الأموال في صون الأعراض وتعظيم الشريعة وإجلال العلماء الحاملين لها  
 والوقوف عند ما يمدونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين  
 والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الأكارم والمشايخ وتوقيرهم وإجلالهم والاعتقاد  
 إلى الحق مع الداعي إليه وإنصاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والاعتقاد  
 للحق والتواضع للمسكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام  
 عليها وعلى أسبابها والتجاني عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد وأمثال ذلك علمنا  
 أن هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستغنوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم  
 أو على العموم وإنه خير ساقه الله تعالى إليهم مناسب لعصبيتهم وغلبيهم وليس ذلك سدى  
 فيهم ولا وجد عبثاً منهم وبالملك أنسب المراتب والخبرات لعصبيتهم فعلما بذلك أن الله  
 تأذن لهم بالملك وساقه إليهم وبالعكس من ذلك إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة

حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة ولا ترال في انتفاص الى ان يخرج الملك من ايديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيماً عليهم في سلب ما كان الله قد اتاهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفياً ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً واستقر ذلك وتبعه في الامم السابقة تجدد كثيراً ما قلناه ورسناه والله يخلق ما يشاء ويختار واعلم ان من خلال الكمال التي يتنافس فيها الفضائل ولو العصية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين والاشرف واهل الاحساب واصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم وذلك ان اكرام القبائل واهل العصيات والعشائر لمن بناهضهم في الشرف ويجاذهم جبل العتير والعصية ويشاركهم في اتساع الجاه امر طبيعي يجمل عليه في الأكثر الرغبة في الجاه او الخفاة من قوم المكرم او الناس مثلها منه واما اسئال هولاء من ليس لهم عصية نتقى ولا جاه يرتجى فيندفع التكب في شان كرامتهم ويتعوض القصد فيهم انه للتعبد وانتحال الكمال في الخلال والاقبال على السياسة بالكلية لان اكرام اقباله وامثاله ضروري في السياسة الخاصة بين قبيله ونظرائه واکرام الطارين من اهل الفضائل والخصوصيات كمال في السياسة العامة فالصالحون للدين والعلماء للجاءي اليهم في اقامة مراسم الشريعة والتجار للترويج حتى نعم المنفعة بما في ايديهم والغرباء من مكارم الاخلاق وانزال الناس منازلهم من الانصاف وهو من العدل فيعلم بوجود ذلك من اهل عصيته انما وهم للسياسة العامة وهي الملك وان الله قد نأذن بوجودها فيهم لوجود علامتها ولهذا كان اول ما يذهب من القبيل اهل الملك اذا نأذن الله تعالى سلب ملكهم وسلطانهم اكرام هذا الصنف من الخلق فاذا رأيت قد ذهب من أمة من الامم فاعلم ان الفضائل قد اخذت في الذهاب عنهم وارنقب زوال الملك منهم واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له والله تعالى اعلم

## الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع وذلك لانهم اقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه واستعباد الطوائف لقدرتهم على محاربة الامم سواهم ولانهم يتنزلون من الاهلين منزلة المفترس من الحيوانات العجم وهولاء مثل العرب وزنانه ومن في معانهم من الاكراد والتركان واهل اللثام من صنهجة

وأيضاً فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يرتافون منه ولا بلد ينجون إليه فنسبة الاقطار والمواطن اليهم على السواء فلماذا لا يقتصرون على ملكة قطرهم وما جاورهم من البلاد ولا يفتنون عند حدود أقطارهم بل يظفرون الى الاقاليم البعيدة ويتغلبون على الامم النائية وانظر ما يحكى في ذلك عن عمر رضي الله عنه لما سويق وقام يحرض الناس على العراق فقال ان الحجاز ليس لكم مدار الاعلى النجعة ولا يقوى عليه اهله الا بذلك ابن القراء المهاجرون عن موعده الله سيروا في الارض التي وعدمكم الله في الكتاب ان يورثكموها فقال ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون واعتبر ذلك ايضاً بمجال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وحمبر كيف كانوا يخطون من اليمن الى المغرب مرة وإلى العراق والهند اخره ولم يكن ذلك لغير العرب من الامم وكذا حال الملثمين من المغرب لما نزعوا الى الملك طفروا من الاقليم الاول ومجالاتهم منه في جوار السودان الى الاقليم الرابع والخامس في ممالك الاندلس من غير واسطة وهذا شأن هذه الامم الوحشية فلذلك تكون دولتهم اوسع نطاقاً واوسع من مراكزها نهاية والله بقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا شريك له

## الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لهم العصبية

والسبب في ذلك ان الملك انما حصل لهم بعد سورة الغلب والاذعان لهم من سائر الامم سواء فيتعين منهم المباشرون للامم الحاملون سرير الملك ولا يكون ذلك لجميعهم لما هم عليه من الكثرة التي يضيق عنها نطاق المراحة والغيرة التي تجدد انوف كثير من المتطاولين للرتبة فاذا تعين اولئك القائمون بالدولة انغمسوا في النعيم وغرقوا في بحر الترف والخصب واستعدوا اخوانهم من ذلك الجيل وافقوهم في وحوه الدولة ومذاهبها وبقي الذين بعدوا عن الامر وكجملوا عن المشاركة في ظل من عرّ الدولة التي شاركوها بنسبهم وبمنجاة من الهرم لبعدهم عن الترف واسبابه فاذا استولت على الاولين الايام وابداد غضراءهم الهرم فطعنهم الدولة واكل الدهر عليهم وشرب بما ارهف النعيم من حدم واشتفت غريزة الترف من مائهم وبلغوا غايتهم من طبيعة التمدن الانساني والتغلب السياسي (شعر)

كدود الفز ينسج ثم يفتي بمركز نسجه في الانعكاس

كانت حينئذٍ عصية الآخرين موفورة وسورة غلبهم من الكاسر محفوظة وشارتهم في الغلب معلومة فتسموا امالم الى الملك الذي كانوا ممنوعين منه بالقوة الغالبة من جنس عصيتهم وترفع المنازعة لما عرف من غلبهم فيستولون على الامر و يصير اليهم وكذا يتفق فيهم مع من بقي ايضاً منبذاً عنه من عشائريهم فلا يزال الملك ملجئاً في الامة الى ان تنكسر سورة العصية منها او يفتى سائر عشائرها سنة الله في الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقضت ملك عاد قام يومئذٍ بعدهم اخوانهم من ثمود ومن بعدهم اخوانهم العماليق ومن بعدهم اخوانهم من حمير ومن بعدهم اخوانهم التبايع من حمير ايضاً ومن بعدهم الاذواء كذلك تم جاءت الدولة لمصر وكذا الفرس لما انقضت امر الكينية ملك من بعدهم الساسانية حتى تاذن الله بانقراضهم اجمع بالاسلام وكذا اليونانيون انقضت امرهم وانتقل الى اخوانهم من الروم وكذا البربر بالمغرب لما انقضت امر مغراوة وكنامة الملوك الاول مهم رجع الى صنهجة ثم المثلثين من بعدهم ثم المصامدة ثم من بقي من شعوب زناتة وهكذا سنة الله في عباده وخلقه واصل هذا كله انما يكون بالعصية وهي متفاوتة في الاجيال والملك بجلته الترف وبذهبه كما سذكره بعد فاذا انقضت دولة فانما يتناول الامر منهم من له عصية مشاركة لعصيتهم التي عرف لها التسليم والانتقاد واوس منها الغلب لجميع العصابات وذلك انما يوجد في النسب القريب منهم لان تفاوت العصية بحسب ما قرب من ذلك النسب التي هي فيه او بعد حتى اذا وقع في العالم تبديل كبير من تحويل ملة او ذهاب عمران او ما شاء الله من قدرته فيجئئذٍ يخرج عن ذلك الجبل الى الجبل الذي ياذن الله بقيامه بذلك التبديل كما وقع لمصر حين غلبوا على الامم والدول واخذوا الامر من ايدي اهل العالم بعد ان كانوا مكبوحين عنه احقاباً

### الفصل الثالث والعشرون

في ان المغلوب مولع ابداً بالافتداء بالغالب في

شعاره وزبه ونخلته وسائر احواله وعوائده

والسبب في ذلك ان النفس ابداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانفادت اليه اما بالنظر بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه او لما تغالط به من ان انتيادها ليس لغلب طبيعي انما هو كمال الغالب فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاداً فانخلت جميع مذاهب الغالب ونشبت به وذلك هو الافتداء او لما تراه والله اعلم من ان غلب الغالب لها ليس

بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما اتخلته من العوائد والمذاهب تغالط ايضاً بذلك عن الغلب وهذا راجع للاول ولذلك ترى المعلوم يتشبه ابدأ بالغالب في ملسه ومركبه وسلاحه في اتخاذها واشكالها بل وفي سائر احواله وانظر ذلك في الاساء مع اباهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً وما ذلك الا لعنادهم الكمال فيهم وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زي الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم العالون لهم حتى انه اذا كانت امة تجاور اخرى ولها العلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير كما هو في الادلس لهذا العهد مع امم الجلافة فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملاسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم الثماثيل في الجدران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر عين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله . وتامل في هذا سر قولهم العامة على دين الملك فانه من باه اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعناد الكمال فيه اعناد الاباء ما انهم والمتعلمين بعلومهم والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق

### الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الصاء والسبب في ذلك والله اعلم ما يحصل في النفوس من التكاثر اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آله لسواها وعالة عليهم فيقتصر الامل ويضعف التماسل والاعتبار انما هو عن جدّة الامل وما يحدث عنه من الشاطئ في القوى الحيوانية فاذا ذهب الامل بالتكاثر وذهب ما يدعوا اليه من الاحوال وكانت العصبية ذاهمة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسمهم ومساعدتهم وعجزوا عن المدافعة عن انفسهم بما خضع الغلب من شوكتهم فاصبحوا مغلبين لكل متعلب وطعمة لكل اكل وسواه كانوا حصلوا على غايتهم من الملك ام لم يحصلوا . وفيه والله اعلم سر آخر وهو ان الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له والرئيس اذا غلب على رياسته وكبح عن غاية عزه تكاسل حتى عن شمع بطنه وري كبده وهذا موجود في اخلاق الاناسي ولقد يقال مثله في الحيوانات المفترسة وانها لا تساند اذا كانت في ملكة الادميين فلا يزال هذا القليل المملوك عليه امره في تناقص واضمحلال الى ان ياخذهم المناء والفاة الله وحده واعتبر ذلك في امة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم في ايام العرب بقي

منهم كثيرٌ واكثر من الكثير يقال ان سعداً أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة الف وسبعة وثلاثين النائم منهم سعة وثلاثون ألفاً رب بيت ولما تحصلوا في ملكة العرب وقبضة الفهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلاً ودثروا كأن لم يكونوا ولا تحسبن ان ذلك لظلم نزل بهم أو عدوان شلمهم فملكه الاسلام في العدل ما علمت وإنما هي طبيعة في الانسان اذا غلب على امره وصار آلة لغيره ولهذا انما تدع للرق في الغالب أمم السودان لنقص الانسانية فيهم وقرتهم من عرض الحيوانات العجم كما قلناه أو من يروح بانتظامه في رقة الرق حصول رتبة او اعادة مال او عركا يقع للمالك الترك بالشرق والعلوج من الجلافة والافرنجة بالاندلس فان العادة جارية باستحلاص الدولة لهم فلا ياتون من الرق لما يملونه من الجاه والرتبة ناصرناه الدولة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

### الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتغلون الا على البسائط

وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم اهل انتهاب وغيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغاللة ولا ركوب خطر و يهرون الى منتجعهم بالهفر ولا يذهبون الى المراحة والمخارة الا اذا دفعوا بذلك عن انفسهم فكل معقل او مستصعب عليهم فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له والقبائل المتسعة عليهم باوعار الجمال بمخافة من عيشهم وفسادهم لانهم لا يتسنون اليهم الهصا ولا يركون الصعاب ولا يجاولون الحظر واما البسائط فتى اقتدروا عليها بنقدان الحامية وضعف الدولة فهي نهب لهم وطعمة لاكلهم يرددون عليها الغارة والنهب والرحف لسهولتها عليهم الى ان يصبح اهلها مغلبين لهم ثم يتعاورونهم باختلاف الايدي وانحراف السياسة الى ان ينقرض عمرانهم والله قادر على خلقه وهو الواحد القهار لا رب غيره

### الفصل السادس والعشرون

في أن العرب اذا تعدوا على اوطان اسرع اليها الحراب

والسبب في ذلك انهم أمة وحنسية باستحكام عوائد التوحش واساسه فيهم فصار لهم خلقاً وجيلة وكان عندهم ملدوداً لما فيه من الخروج عن رقة الحكم وعدم الاقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية العمران ومناقضة له فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلاً انما

حاجتهم اليه لنصوا ثانيا في القدر فينقلونه من المباني ويحربونها عليه و يعدونه لذلك والخشب  
 ايضاً اما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الاوتاد منه ليوتيم فيحربون السقف عليه  
 لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية لنا الذي هو اصل العمران هذا في حاله على العموم  
 وايضاً فطبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس وان رزقهم في ظلال رماحهم وليس عددهم في  
 اخذ اموال الناس حد ينتهون اليه بل كلما امتدت اعينهم الى مال او متاع او ماعون انتهوه  
 فاذا تم اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة في حفظ اموال الناس وخرب  
 العمران وايضاً فلانهم يكتفون على اهل الاعمال من الصنائع والحرف اعمالهم لا يرون لها قيمة  
 ولا قسطاً من الاجر والتمن والاعمال كما سنذكره هي اصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت  
 الاعمال وصارت مجاناً ضعفت الامال في المكاسب وانقضت الايدي عن العمل وابدع  
 الساكن وفسد العمران وايضاً فانهم ليست لهم عناية بالاحكام وزجر الناس عن المناسد  
 ودفاع بعضهم عن بعض اما همهم ما ياخذونه من اموال الناس نهياً او غرامة فاذا توصلوا  
 الى ذلك وحصلوا عليه اعرضوا عما بعد من تسديد احوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم  
 عن اغراض المناسد وربما فرضوا العقوبات في الاموال حرصاً على تحصيل الفائدة والجمالية  
 والاستكثار منها كما هوشانهم وذلك ليس بمغن في دفع المناسد وزجر المتعرض لها بل يكون  
 ذلك رائداً فيها لاستسهال الغرم في جاب حصول الغرض فتتقى الرعايا في ملكتهم كاتها  
 فوضى<sup>(١)</sup> دون حكم والموضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من ان وجود الملك خاصة  
 طبيعية للاسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم الا بها وتقدم ذلك اول الفصل وايضاً فهم  
 متنافسون في الرياسة وقل ان يسلم احد منهم الامر لغيره ولو كان امانة او اخاه او كبير  
 عشيرته الا في الاقل وعلى كره من اجل الحياء فيتعدد الاحكام منهم والامراء وتختلف الايدي  
 على الرعية في الجمالية والاحكام فيفسد العمران وينتقض قال الاعرابي الواقف على عدا الملك  
 لما ساله عن الحجاج فآراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال تركته يظلم وحده  
 وانظر الى ما ملكوه وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف نقوض عمراناه واقفر  
 ساكئو بدلت الارض فيه غير الارض فاليمين قرارهم خراب الا قليلاً من الامصار وعراق  
 العرب كذلك قد خرب عمراناه الذي كان للفرس اجمع والشام لهذا العهد كذلك وافريقية  
 والمغرب لما جاز اليها نوه الال و نوسليم منذ اول المائة الخامسة وتم رسوا بها للثلاثمائة وخمسين  
 من السنين قد لحق بها وعادت سائطه خراباً كلها بعد ان كان ما بين السودان والبحر الرومي  
 ا وما يعرى الي سيدنا علي لا تصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالم سادوا



كله عمرانا تشهد بذلك اثار العمران فيمن المعالم وتمائيل البناء وشواهد القرى والمداشر  
والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

### الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نومة او ولاية واثر عظيم من الدين على الجملة  
والسبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم اصعب الامم اقياداً بعضهم لبعض  
للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجتمع اهلها واهلها فاذا كان الدين  
بالنبوة او الولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منه فسهل  
اقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشبههم من الدين المذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد  
والتنافس فاذا كان فيه النبي او الولي الذي يبعثهم على القيام بامر الله ويذهب عنهم  
مذمومات الاخلاق وياخذهم بمحمودها ويولف كلمتهم لظهار الحق تم اجتماعهم وحصل  
لهم التغلب والملك وهم مع ذلك اسرع الناس قبولاً للحق والهدى لسلامة طباعهم من  
عوج الملكات وبراءتها من ذم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعانة  
التمهيء لقول الخبير ببقائه على الفطرة الاولى وبعد عما ينطع في النفوس من قبيح العوائد  
وسوء الملكات فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث وقد تقدم

### الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب ابعدهم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك انهم اكثر بداهة من سائر الامم وابعدهم مجالاً في الفقر واغنى عن  
حاجات التلؤلؤ وحبوبها لا عن اعيادهم التلؤلؤ وختونة العيش فاستغفوا عن غيرهم فصعب  
اقياد بعضهم لبعض لا يلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالباً للعصية التي بها  
المدافعة فكان مضطراً الى احسان ملكتهم وترك مراغبتهم لئلا يجنل عليه شان عصبيته فيكون  
فيها هلاكة وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي ان يكون السائس وازعاً بالقهر  
والالام تستقم سياسته وايضاً فان من طبيعتهم كما قدمناه اخذ ما في ايدي الناس خاصة  
والتجاني عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض فاذا ملكوا امة من  
الامم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع باخذها في ايديهم وتركوا ما سوى ذلك من الاحكام  
بينهم وربما جعلوا العقوبات على المناسد في الاموال حرصاً على تكثير الجبايات وتحصيل  
النوائد فلا يكون ذلك وازعاً وربما يكون باعثاً بحسب الاغراض الباعثة على المناسد

واستهانة ما يعطي من ماله في جانب غرضه فتنمو المفاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقي تلك الامة كأنها فوضى مستطيلة ايدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعاً شأن الفوضى كما قدمناه فعدت طماع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وإنما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصيغة دينية نحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشريعة واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهراً وباطناً ونتاج فيها الخلفاء عظم حيثئذ ملكهم وقوي سلطانهم كان رستم اذا رأى المسالين يجتمعون للصلاة يقول اكل عمر كبدي يعلم الكلاب الا داب ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نذوا الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قهرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع اهل الدولة ببعدهم عن الاقياد واعطاء الصفة فتوحسوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك الا انهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ولما ذهب امر الخلافة واحيى رسمها انقطع الامر جملة من ايديهم وغلب عليهم العمم دونهم واقاموا في بادية قفارهم لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد يجهل الكثير منهم انهم قد كان لهم ملك في القديم وما كان في القديم لاحد من الامة في الخليفة ما كان لاجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعاقلة وحمير والتبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر في الاسلام بنو أمية وبنو العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى اصلهم من البداوة وقد يحصل لهم في بعض الاحيان غلب على الدول المستضعفة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون ماله وغايته الا تخريب ما يستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يوتي ملكه من يشاء

### الفصل التاسع والعشرون

في ان اللوادي من الفنائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار قد تقدم لنا ان عمران البادية ناقص عن عمران الحواضر والامصار لان الامور الضرورية في العمران ليس كلها موجودة لاهل البدو وإنما توجد لديهم في مواطنهم امور الفلح وموادها معدومة ومعظمها الصنائع فلا توجد لديهم في الكلية من تجار وخياط وحداد وامثال ذلك مما يقيم لهم ضروريات معاشهم في الملح وغيره وكذا الدنانير والدرهم مفقودة لديهم وإنما بايديهم اعواضها من مغل الزراعة واعيان الحيوان أو فضلاته ألباناً واوراراً واشعاراً واهاناً مما يجتاج اليه اهل الامصار فيعوضونهم عنه بالدنانير والدرهم الا ان

حاجتهم الى الامصار في الضروري وحاجة اهل الامصار اليهم في الحاجي والكمالي فهم  
محتاجون الى الامصار بطبيعة وجودهم فاما في البداية ولم يحصل لهم ملك ولا استيلاء  
على الامصار فهم يحتاجون الى اهلها ويتصرفون في مصالحهم وطاعتهم متى دعوه الى ذلك  
وظالبوهم به وان كان في المصر ملك كان خضوعهم وطاعتهم لغلب الملك وان لم يكن في  
المصر ملك فلا بد فيه من رئاسة ونوع استبداد من بعض اهلها على الباقيين والا انتقض  
عمرانه وذلك الرئيس يحمله على طاعته والسعي في مصالحه اما طوعاً ببذل المال لهم ثم  
ييدي لهم ما يحتاجون اليه من الضروريات في مصر فيستقيم عمرانهم واما كرهاً ان تمت  
قدرته على ذلك ولو بالتغريب بينهم حتى يحصل له جانب منهم يغالب به الباقيين فيضطر  
الباقيون الى طاعته بما يتوقعون لذلك من فساد عمرانهم وربما لا يسعهم مفارقة تلك النواحي  
الى جهات اخرى لان كل الجهات معور بالبدو الذين غلبوا عليها ومنعوا من غيرها  
فلا يجد هؤلاء ملجأ الا طاعة المصرفم بالضرورة مغلوبون لاهل الامصار والله قاهر  
فوق عباده وهو الواحد الاحد القهار

### الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك  
كله من الاحوال وفيه قواعد ومنمات

#### الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقيل والعصية  
وذلك اما قررنا في الفصل الاول ان المغاللة والممانعة انما تكون بالعصية لما فيها  
من النعرة والتذامر واستماتة كل واحد منهم دون صاحبه . ثم ان الملك منصب شريف  
ملذود يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملاذ النفسانية فيقع فيه  
التنافس غالباً وقل ان يسلمه احد لصاحبه الا اذا غلب عليه فتقع المنازعة وتفضي الى  
الحرب والقتال والمغالبة وشيء منها لا يقع الا بالعصية كما ذكرناه انفاً وهذا الامر بعيد  
عن افهام الجمهور بالجملة ومتناسون له لانهم نسوا عهد تهديد الدولة منذ اولها وطال امد  
مر بهم في الحضارة وتعاقبهم فيها جيلاً بعد جيل فلا يعرفون ما فعل الله اول الدولة انما  
يدركون اصحاب الدولة وقد استحكمت صيغتهم ووقع التسليم لهم والاستغناء عن العصية  
في تهديد امرهم ولا يعرفون كيف كان الامر من اوله ومالقي اولهم من المتاعب دونه

وخصوصاً أهل الأندلس في نسيان هذه العصبية وإثرها لطول الأمد واستغنائهم في الغالب عن قوة العصبية بما تلاشي وطنهم وخلام العصائب والله قادر على ما يشاء وهو بكل شيء عليم وهو حسبنا ونعم الوكيل

## الفصل الثاني

في أنه إذا استقرت الدولة ونهدت فقد نستغني عن العصبية والسبب في ذلك أن الدول العامة في أولها يصعب على النفوس الاقباد لها الأبقوة قوية من الغلب للغرابة وإن الناس لم يالفوا ملكها ولا اعتادوه فإذا استقرت الرئاسة في أهل النصاب المخصوص بالملك في الدولة وتوا توه وإحدأ بعد آخر في أعقاب كثيرين ودول متعاقبة نسيت النفوس شأن الأولة واستحكمت لأهل ذلك النصاب صفة الرئاسة ورسخ في العقائد دين الاقباد لهم والتسليم وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الأيمانية فلم يجناجوا حينئذ في أمرهم إلى كبير عصانة بل كان طاعتها كتاب من الله لا يبدل ولا يعلم خلافة ولا مر ما يوضع الكلام في الإمامة آخر الكلام على العقائد الأيمانية كأنه من جملة عقودها ويكون استظهارهم حينئذ على سلطانهم ودولتهم المحصورة أما بالموالي والمصطنعين الذين نشأوا في ظل العصبية وغيرها وأما بالعصائب الخارجين عن سبها الداخلين في ولايتها ومثل هذا وقع لبي العباس فإن عصبية العرب كانت فسدت لعهد دولة المعتصم وإسنة الواثق واستظهارهم بعد ذلك إنما كان بالموالي من العمم والترك والديلم والسلجوقية وغيرهم ثم تغلب العمم الأولياء على الواحي وتقلص ظل الدولة فلم تكن تعدوا أعمال بغداد حتى زحف إليها الديلم وملكوها وصار الخلائق في حكمهم ثم انقض أمرهم وملك السلجوقية من بعدهم فصاروا في حكمهم ثم انقض أمرهم وزحف آخر التتار فقتلوا الخليفة ومحو رسم الدولة وكذا صنهاجة بالمغرب فسدت عصبيتهم منذ المائة الخامسة أو ما قبلها واستمرت لهم الدولة متقلصة الطل بالمهدية وبجاية والقلعة وسائر ثغور إفريقية وربما انتزى تلك الثغور من نارعم الملك واعتصم فيها والسليمان والملك مع ذلك مسلم لهم حتى تاذن الله بانقراض الدولة وجاء الموحدون بقوة قوية من العصبية في المصامدة ومحو آثارهم وكذا دولة بني أمية بالأندلس لما فسدت عصبيتها من العرب استولى ملوك الطوائف على أمرها واقتسموا خطتها وتنافسوا بينهم وتوزعوا ممالك الدولة وانتزى كل واحد منهم على ما كان في ولايته وشيخ نائفه وبلغهم شأن

الحجم مع الدولة العباسية فتلقوا بالقباب الملك ولسوا شارته وامنوا من ينقض ذلك عليهم او  
 يغيره لان الاندلس ليس بدار عصائب ولا قبائل كما سنده واستمر لهم ذلك كما قال ابن شرف  
 ما يزهدي في ارض اندلس اسماء معتصم فيها ومعتصد  
 ألقاب مملكة في غير موضعها كاهرب يحيى اتفاخا صورة الاسد  
 فاستظهروا على امرهم بالموالي والمصطنعين والطراء على الاندلس من اهل العدو من  
 قبائل البربر وزناتة وغيرهم اقتداء بالدولة في اخر امرها في الاستظهار بهم حين ضعفت  
 عصية العرب واستبد اس ابي عامر على الدولة فكان لهم دول عظيمة اسندت كل واحدة  
 منها بجانب من الاندلس وحظ كبير من الملك على نسة الدولة التي اقتسموها ولم يزالوا  
 في سلطتهم ذلك حتى جار بهم البحر المرابطون اهل العصية القوية من لثونة فاستدلوا  
 بهم وازالوهم عن مراكزهم ومجوا اثارهم ولم يقتدروا على مدافعهم لفقدان العصية لديهم  
 فبهذه العصية يكون تهديد الدولة وحماتها من اولها وقد ظن الطرطوشي ان حامية  
 الدول باطلاق هم الجند اهل العطاء المفروض مع الاهلة ذكر ذلك في كتابه الذي سماه  
 سراج الملوك وكلامه لا يتناول تاسيس الدول العامة في اولها وانما هو مخصوص بالدول  
 الاخيرة بعد التهديد واستقرار الملك في النصاب واستحكام الصيغة لاهله فالرجل انما ادرك  
 الدولة عند هرمها وخلق جديتها ورجوعها الى الاستظهار بالموالي والصنائع ثم الى  
 المستخدمين من ورائهم بالاجر على المدافعة فانه انما ادرك دول الطوائف وذلك عند  
 اخلال دولة بني امية واقراض عصبيتها من العرب واستبداد كل امير بقطره وكان  
 في ايلة المستعين بن هود وابوه المظفر اهل سرقسطة ولم يكن نفي لهم من امر العصية شي  
 لاستيلاء الترف على العرب منذ ثلاثمائة من السنين وهلاكهم ولم ير الا سلطانا مستددا  
 بالملك عن عشائره قد استحكمت له صيغة الاستبداد منذ عهد الدولة وبقية العصية فهو  
 لذلك لا ينازع فيه ويستعين على امره بالاجراء من المرتزقة فاطلق الطرطوشي القول في  
 ذلك ولم يتفطن لكيفية الامر منذ اول الدولة وانه لا يتم الا لاهل العصية فتفطن انتاة  
 وافهم سر الله فيه والله يوئى ملكة من يشاء

### الفصل الثالث

في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصية  
 وذلك انه انا كانت لعصية غلب كثيرة على الامم والاجيال وفي نفوس القائمين

بامرِه من اهل القاصية اذعان لهم واثبات هذا الخارج وانتبه عن مقر ملكه  
ومنتبت عزه اشمولوا عليه وقاموا بامرِه وظاهره على شأنه وعنا تهديد دولته يرجون  
استقراره في نصايه ونناولة الامر من يد اعياصه وجزائه لهم على مظاهرته باصطفايم  
لرتب الملك وخططه من وزارة او قيادة او ولاية ثغرولا يطمعون في مشاركته في شيء  
من سلطانه تسليماً لعصبيته واثباتاً لما استحك له ولقومه من صبغة الغلب في العالم وعقيدة  
ايمانية استقرت في الاذعان لهم فلوراموها معة او دونه لزلزلت الارض زلزالها وهذا كما  
وقع للادارسة بالمغرب الاقصى والعبيدين بافريقية ومصر لما انتبه الطالبليون من المشرق  
الى القاصية وانتعدوا عن مقر الخلافة وسموا الى طلبها من ايدي بني العباس بعد ان  
استحكمت الصبغة لبني عبد مناف لبني أمية اولاً ثم لبني هاشم من بعدهم فخرجوا بالقاصية  
من المغرب ودعوا لانفسهم وقام بامرهم البراق مرة بعد اخرى فاوربة ومغيلة للادارسة  
وكتامة وصنهاجة وهوارة للعبيدين فشدوا دولتهم ومهدوا باصائبهم امرهم واقتطعوا من  
مالك العباسيين المغرب كله ثم افريقية ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيدين  
يتمد الى ان ملكوا مصر والشام والحجاز وقاسموهم في الممالك الاسلامية شق الابلمة وهوؤلاء  
البرابرة القائمون بالدولة مع ذلك كلهم مسلمون للعبيدين امرهم مذعنون للملكهم وانما  
كانوا يتنافسون في الرتبة عندهم خاصة تسليماً لما حصل من صبغة الملك لبني هاشم ولما  
استحك من الغلب لقريش ومصر على سائر الامم فلم يزل الملك في اعقابهم الى ان انقرضت  
دولة العرب باسرها والله بحكمه لا معقب لحكمه

### الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما من نوة او دعوة حق  
وذلك لان الملك انما يحصل بالتغلب والتغلب انما يكون بالعصية واتفاق الاهواء  
على المطالبة وجمع القلوب وتاليها انما يكون بمعونة من الله في اقامة دينه قال تعالى لو  
انفتحت ما في الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم وسررة ان القلوب اذا تداعت الى اهواء  
الباطل والميل الى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف واذا انصرفت الى الحق ورفضت  
الدنيا والباطل واقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن  
التعاون والتعاقد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة كما نبين لك بعد ان شاء  
الله سبحانه وتعالى وبه التوفيق لا رب سواه

## الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصية التي كانت لها من عددها والسبب في ذلك كما قدمناه ان الصبغة الدينية تذهب بالنفاس والتحاسد الذي في اهل العصية وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف لهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستمتنون عليه واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل وتخاضم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالفادسية واليرموك نضعاً وثلاثين الفاً في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفاً بالفادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعمائة الف فلم يقف للعرب احد من المجانيين وهزمهم وغلبهم على ما بأيديهم واعبر ذلك ايضاً في دولة لمتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصية او يشف عليهم الا ان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء واعبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتفض الامر و يصير الغلب على نسبة العصية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصائب المكافئة لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بمضاعفة الدين لقوتها ولو كانوا اكثر عصبية منها واشد بداوة واعبر هذا في الموحدين مع زناتة لما كانت زناتة ابدى من المصامدة واشد توحشاً وكان للمصامدة الدعوة الدينية اتباع المهدي فلبسوا صبغتها ونضاعفت قوة عصيتهم بها فغلبوا على زناتة اولاً واستبعوهم وان كانوا من حيث العصية والبداوة اشد منهم فلما خلوا عن تلك الصبغة الدينية انتفضت عليهم زناتة من كل جانب وغلبوهم على الامر وانتزعوهم منهم والله غالب على امره

## الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لانتم

وهذا لما قدمناه من ان كل امر تحمل عليه الكفاة فلا بد له من العصبية وفي الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبياً الا في منعة من قومها واذا كان هذا في الانبياء وهم اولى الناس بمخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له العادة في الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا

لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النعلين في التصوف ثار بالاندلس داعياً  
 الى الحق وسبي اصحابه بالمرابطين قبيل دعوة المهدي فاستتب له الامر قليلاً لشغل لمتونة  
 بما دهمهم من امر الموحدين ولم تكن هناك عصائب ولا قبائل يدفعونه عن شانه فلم يلبث  
 حين استولى الموحدون على المغرب ان اذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله  
 بخصن اركش وامكنهم من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة  
 المرابطين ومن هذا الباب احوال الثوار الفئامين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان  
 كثيراً من المتخلفين للعبادة وسلك طرق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من  
 الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر المعروف رجاء في الثواب عليه من الله  
 فيكثر اتباعهم والمتشوثون بهم من الغوغاء والدهاء ويعرضون انفسهم في ذلك للمهالك  
 واكثرهم يهلكون في تلك السبيل مازورين غير ماجورين لان الله سبحانه لم يكتب  
 ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى الله عليه وسلم من راي منك  
 منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسائه فان لم يستطع فبقليه واحوال الملوك والدول  
 راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها الا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل  
 والعشائر كما قدمناه وهكذا كان حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله  
 بالعشائر والعصائب وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه انما اجري الامور على  
 مستقر العادة والله حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محملاً  
 قصر به الافراد عن العصبية فطاح في همة الهلاك واما ان كان من المتلبسين بذلك في  
 طلب الرئاسة فاجدر ان نعوقه العوائق وتنقطع به المهالك لانه امر الله لا يتم الا برضاه  
 واعانتة والاحلاص له والنصيحة للمسلمين ولا يشك في ذلك مسلم ولا يرتاب فيه ذو بصيرة  
 واول ابتداء هذه النزعة في الملة ببغداد حين وقعت فتنة طاهر وقتل الامين وانطأ  
 المامون بخراسان عن مقدم العراق ثم عهد لعلي بن موسى الرضا من آل الحسين فكشف  
 بنو العباس عن وجه التكبر عليه وتداعوا للقيام وخلق طاعة المامون والاستبدال منه  
 وبويع ابراهيم بن المهدي فوق الهرج ببغداد وانطلقت ايدي الزعرة بها من الشطار  
 والحربية على اهل العافية والصون وقطعوا السبيل وامتلأت ايديهم من نهاب الناس  
 وباعوها علانية في الاسواق واستعدى اهلها الحكام فلم يعدوهم فتوا فر اهل الدين والصلاح  
 على منع الفساق وكف عاديهم وقام ببغداد رجل يعرف بخالد الدريوس ودعا الناس  
 الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاجابه خلق وقائل اهل الزعرة فغلبهم واطلق يده



فهم بالضرب والتنكيل ثم قام من بعده رجل اخر من سواد اهل بغداد يعرف بسهل  
 ابن سلامة الانصاري ويكنى ابا حاتم وعلق مصحفاً في عنقه ودعا الناس الى الامر بالمعروف والنهي  
 عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فاتمعه الناس كافة من بين  
 شريف ووضيع من بني هاشم فمن دونهم ونزل قصر طاهر واتخذ الديوان وطاف ببغداد  
 ومنع كل من اخاف المارة وبيع الخفارة لا ورائك الشطار وقال له خالد الدريوس انا  
 لا اعيب على السلطان فقال له سهل لكني اقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائناً من  
 كان وذلك سنة احدى ومائتين ووجهة ابراهيم بن المهدي العساكر فغلبه واسره وانحل  
 امره سريعاً وذهب ونجا بنفسه ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من الموسوسين ياخذون  
 انفسهم باقامة الحق ولا يعرفون ما يجناجون اليه في اقامته من العصبية ولا يشعرون بمغبة  
 امرهم وما آل احوالهم والذي يجناج اليه في امره هو الا اما المداواة ان كانوا من اهل الجنون  
 واما التنكيل بالقتل او الضرب ان احدثوا هرجاً واما اذاعة السخرياً منهم وعدهم من جملة  
 الصفايين وقد ينسب بعضهم الى الفاطمي المنتظر اما بانه هو او بانه داع له وليس مع  
 ذلك على علم من امر الفاطمي ولا ما هو واكثر المتخيلين لمثل هذا تجدهم موسوسين او مجانين  
 او ملبسين يطلبون بمثل هذه الدعوة رياسة امتلاًت بها جوانحهم وعجزوا عن التوصل  
 اليها بشيء من اسبابها العادية فيحسبون ان هذا من الاسباب البالغة بهم الى ما يؤملونه  
 من ذلك ولا يحسبون ما ينالهم فيه من الهلكة فيسرع اليهم القتل بما يحدثونه من الفتنة وتسوء  
 عاقبة مكرهم وقد كان لاول هذه المائة خرج بالسوس رجل من المتصوفة يدعى التوبذري  
 عمد الى مسجد ماسة بساحل البحر هناك وزعم انه الفاطمي المنتظر تديساً على العامة هنالك  
 بما ملأ قلوبهم من المحدثان بانتظاره هنالك وان من ذلك المسجد يكون اصل دعوتيه  
 فتمهنت عليه طوائف من عامة البربر تهافت الفراش ثم خشي رؤسائهم اتساع نطاق  
 الفتنة فدمس اليه كبير المصامدة يومئذ عمر السكسبوي من قتله في فراشه وكذلك خرج  
 في غماره ايضاً لاول هذه المائة رجل يعرف بالعباس وادعى مثل هذه الدعوة واتبع نعيقة  
 الارذلون من سنها تلك القبائل وغمارهم وزحف الى بادس من امصارهم ودخلها عنوة ثم  
 قتل لاربعين يوماً من ظهور دعوتيه ومضى في الهالكين الاولين وامثال ذلك كثير والغلط  
 فيه من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها واء ان كان التليس فاحرى ان لا يتم له امر  
 وان يؤب بائمه وذلك جزاء الظالمين والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب غيره  
 ولا معبود سواه

## الفصل السابع

في ان كل دولة لها حصّة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها  
والسبب في ذلك ان عصابة الدولة وقومها القائمين بها المهديين لها لا بدّ من توزيعهم  
حصصاً على الممالك والثغور التي نصير اليهم ويستولون عليها لحمايتها من العدو وامضاء  
احكام الدولة فيها من جباية وردع وغير ذلك فاذا توزعت العصابات كلها على الثغور  
والممالك فلا بدّ من نفاذ عددها وقد بلغت الممالك حيثنذ الى حدّ يكون ثغراً للدولة  
وتخماً لوطنها ونطاقاً لمركز ملكها فان تكلمت الدولة بعد ذلك زيادة على ما بيدها بقي  
دون حامية وكان موضعاً لانهاز الفرصة من العدو والمجاور ويعود وبال ذلك على  
الدولة بما يكون فيه من التجاسر وخرق سياج الهبة وما كانت العصابة موفورة ولم يند  
عددها في توزيع الحصص على الثغور والنواحي بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية  
حتى ينفس نطاقها الى غايته والعلة الطبيعية في ذلك هي قوة العصبية من سائر القوى  
الطبيعية وكل قوة يصدر عنها فعل من الافعال فتشأنها ذلك في فعلها والدولة في مركزها  
أشدّ ما يكون في الطرف والنطاق واذا انتهت الى النطاق الذي هو الغاية عجزت واقصرت  
عما وراءه شأن الاشعة والابوار اذا اسعجت من المراكر والدوائر المنفسحة على سطح الماء من  
القر عليه ثم اذا ادركها الهرم والضعف فانما تاخذ في التناقص من جهة الاطراف ولا  
يزال المركز محفوظاً الى ان يتأذن الله بانقراض الامر جملة فيحيثنذ يكون انقراض المركز  
واذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء الاطراف والنطاق بل تضحلّ لوقتها فان  
المركز كالقلب الذي تنبعث منه الروح فاذا غلب القلب وملك انهزم جميع الاطراف وانظر  
هذا في الدولة الفارسية كان مركزها المداين فلها غلب المسلمون على المداين انقراض امر فارس  
اجمع ولم ينفع بزجر ما بقي بيده من اطراف ممالكهم وبالعكس من ذلك الدولة الرومية  
بالشام لما كان مركزها القسطنطينية وغلبيهم المسلمون بالشام تحيزوا الى مركزهم بالقسطنطينية  
ولم يضرهم انتزاع الشام من ايديهم فلم يزل ملكهم متصلاً بها الى ان تأذن الله بانقراضها وانظر  
ايضاً شأن العرب اول الاسلام لما كانت عصائبهم موفورة كيف غلبوا على ما جاورهم من  
الشام والعراق ومصر لاسرع وقت ثم تجاوزوا ذلك الى ما وراءه من السند والحيشة وافريقية  
والمغرب ثم الى الاندلس فلما تفرقوا حصصاً على الممالك والثغور ونزلوها حامية ونفذ  
عدهم في تلك التوزيعات اقصروا عن الفتوحات بعد وانتهى امر الاسلام ولم يتجاوز

تلك الحدود ومنها تراجمت الدولة حتى تاذن الله بانقراضها وكذا كان حال الدول  
من بعد ذلك كل دولة على نسبة القائم بها في القلة والكثرة وعند نفاذ عددهم بالتوزيع  
ينقطع لهم الفتح والاستيلاء سنة الله في خلقه

### الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائم بها في القلة والكثرة  
والسبب في ذلك ان الملك انما يكون بالعصية واهل العصية هم الحامية الذين  
ينزلون بممالك الدولة واقطارها وينقسمون عليها فما كان من الدولة العامة قبيلها واهل  
عصابتها اكثر كانت اقوى واكثر ممالك واوطاناً وكان ملكها اوسع لذلك واعتبر  
ذلك بالدولة الاسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الاسلام وكان عدد المسلمين في  
غزوة تبوك آخر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم مائة الف وعشرة الاف من مضر  
وقحطان ما بين فارس وراجل الى من أسلم منهم بعد ذلك الى الوفاة فلما توجهوا لطلب  
ما في ايدي الامم من الملك لم يكن دونه حتى ولا وزير فاستبج حتى فارس والروم اهل  
الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم والترك بالمشرق والافرنجة والبربر بالمغرب والقوط  
بالاندلس وخطوا من الحجاز الى السوس الاقصى ومن اليمن الى الترك باقصى الشمال  
واستولوا على الاقاليم السبعة ثم انظر بعد ذلك دولة صنهجة والموحدين مع العبيديين  
قلهم لما كان كتمامه القائم بدولة العبيديين اكثر من صنهجة ومن المصامدة كانت  
دولتهم اعظم فملكوا أفريقيا والمغرب والشام ومصر والحجاز ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة  
لما كان عددهم اقل من المصامدة قصر ملكهم عن ملك الموحدين لتصور عددهم عن عدد  
المصامدة منذ اول امرهم ثم اعتبر بعد ذلك حال الدولتين لهذا العهد لزنانة بني مرين  
وبني عبد الواد لما كان عدد بني مرين لاول ملكهم اكثر من بني عبد الواد كانت  
دولتهم اقوى منها واوسع نطاقاً وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد اخرى . يقال ان عدد  
بني مرين لاول ملكهم كان ثلاثة آلاف وان بني عبد الواد كانوا ألفاً الا ان الدولة بالرفه  
وكثرة التابع كثرت من اعدادهم وعلى هذه النسبة في اعداد المتغلبين لاول الملك يكون  
اتساع الدولة وقوتها واما طول امدها ايضاً فعلى تلك النسبة لان عمر الحادث من قوة  
مزاجه ومزاج الدول انما هو بالعصية فاذا كانت العصية قوية كان المزاج تابعاً لها  
وكان امد العمر طويلاً والعصية انما هي بكثرة العدد ووفوره كما قلناه والسبب الصحيح في

ذلك ان النقص انما يبدو في الدولة من الاطراف فاذا كانت ممالكها كثيرة كانت اطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة وكل نقص يقع فلا بد له من زمن فتكثر ازمان النقص لكثرة الممالك واختصاص كل واحد منها بنقص وزمان فيكون امدها طويلاً وانظر ذلك في دولة العرب الاسلامية كيف كان امدها اطول الدول لابنو العباس اهل المركز ولا بنو أمية المستندون بالاندلس ولم ينقص امر جميعهم الا بعد الاربعائة من الهجرة ودولة العبيديين كان امدها قريباً من مائتين وثمانين سنة ودولة صنهاجة دونهم من لدن تقليد معز الدولة امر افریقیة لبلكين بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثائة الى حين استيلاء الموحدین على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة ودولة الموحدین لهذا العهد تناهز مائتين وسبعين سنة وهكذا نسب الدول في اعمارها على نسبة الفائمين بها سنة الله التي قد خات في عباده

### الفصل التاسع

في ان الاوطان الكثيرة القائل والعصائب قل ان نستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الاراء والاهواء وان وراء كل راي منها وهوى عصبية تمنع دونها فيكثر الاقتضاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لان كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافریقیة والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد فان ساكن هذه الاوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول الذي كان لاسن ابي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيئاً وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى وعظم الاثمان من المسلمين فيهم ولما استقر الدين عندهم عادوا الى الثورة والخروج والاخذ بدين الخوارج مرات عديدة قال ابن ابي زيد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمران افریقیة مفرقة لقلوب اهلها اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقائل الحاملة لم على عدم الاذعان والانقياد ولم يكن العراق لذلك العهد تلك الصفة ولا الشام انما كانت حاميتهما من فارس والروم والكافة دهاء اهل مدن وامصار فلما غلبهم المسلمون على الامر واتزعوه من ايديهم لم يبق فيها مانع ولا مشاق والبربر قبائلهم بالمغرب اكثر من ان تحصى وكلهم نادية واهل عصائب وعشائر وكلها هلكت قبيلة عادت الاخرى مكانها والى دينها من الخلاف والردة فطال

امر العرب في تهديد الدولة بوطن افريقية والمغرب وكذلك كان الامر بالشام لعهد بني  
 اسرائيل كان فيه من قبائل فلسطين وكنعان وبني عيصو وبني مدين وبني لوط والروم  
 ويونان والعماليق واكريكش والنبط من جانب الجزيرة والموصل ما لا يحصى كثيرة وتنوعاً  
 في العصبية فصعب على بني اسرائيل تهديد دولتهم ورسوخ امرهم واضطرب عليهم الملك  
 مرة بعد اخرى وسرى ذلك الخلاف اليهم فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه ولم يكن لهم  
 ملك موطن سائر ايامهم الى ان عليهم الفرس ثم يونان ثم الروم اخر امرهم عند الجلاء والله  
 غالب على امره وبالعكس هذا الاوطان الخالية من العصبية يسهل تهديد الدولة  
 فيها ويكون سلطانها وازعاقلة الهرج والانتفاض ولا تنجح الدولة فيها الى كثير من العصبية  
 كما هو الشأن في مصر والشام لهذا العهد اذ هي خلوة من القبائل والعصبية كان لم يكن  
 الشام معدناً لهم كما قلناه فملك مصر في غاية الدعة والرسوخ لقلعة الخوارج واهل العصاب  
 انما هو سلطان ورعية ودولتها قائمة بملوك الترك وعصائبهم يغلبون على الامر واحداً بعد  
 واحد وينقل الامر فيهم من منبت الى منبت والخلافة مسماة للعباسي من اغتاب الخلفاء  
 ببغداد وكذا شان الاندلس لهذا العهد فان عصبية ابن الاحمر سلطانها لم تكن لاول دولتهم  
 بقوية ولا كانت كرات انما يكون اهل بيت من بيوت العرب اهل الدولة الاموية بقوا  
 من ذلك القلة وذلك ان اهل الاندلس لما انقرضت الدولة العربية منه وملكهم البربر من  
 لمتونة والموحدين سلبوا ملكتهم وثقلت وطأتم عليهم فاشربت القلوب بغضام وامكن  
 الموحدون والسادة في اخر الدولة كثيراً من الحصون للطاغية في سبيل الاستظهار به على  
 شانهم من تلك الحضرة مراكش فاجتمع من كان بقي بها من اهل العصبية القديمة معادن  
 من بيوت العرب تجاني بهم المنست عن الحاضرة والامصار بعض الشيء ورسخوا في العصبية  
 مثل ابن هودوان الاحمر وان مردنيش وامثالهم فقام ابن هود بالامر ودعا بدعوة الخلافة  
 العباسية بالمشرق وحمل الناس على الخروج على الموحدين فنبذوا اليهم العهد واخرجوهم  
 واستقل ابن هود بالامر في الاندلس ثم سما ابن الاحمر للامر وخالف ابن هود في دعونه  
 فدعا هولاء لابن ابي حفص صاحب افريقية من الموحدين وقام بالامر وتناولوا بعصاة  
 قريبة من قرابته كانوا يسمون الروساء ولم يخرجوا اكثر منهم لقلعة العصاب بالاندلس وانها  
 سلطان ورعية ثم استظهر بعد ذلك على الطاغية بمن يميز اليه البحر من اعياص زنانة  
 فصار معه عصابة على المناغرة والرباط ثم سما لصاحب من ملوك زنانة امل في الاستيلاء  
 على الاندلس فصار اولئك الاعياص عصابة ابن الاحمر على الامتناع منه الى ان تامل

امره ورسخ والفتة النفوس وعجز الناس عن مطالبته وورثه اعتقابه لهذا العهد فلا تظن انه  
 بغير عصابة فليس كذلك وقد كان مبدؤه بعصابة الا انها قليلة وعلى قدر الحاجة فان  
 قطر الاندلس لقلّة العصابات والقبائل فيه يغني عن كثرة العصبية في الغلب عليهم والله  
 غني عن العالمين

## الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالمجد

وذلك ان الملك كما قدمنا: انما هو بالعصبية والعصبية متألّفة من عصات كثيرة  
 تكون واحدة منها اقوى من الاخرى كلها فتغلبها وتستولي عليها حتى تصيرها جميعاً في ضمنها  
 وبذلك يكون الاجتماع والغلب على الناس والدول وسرّه ان العصبية العامة للقبيل هي  
 مثل المزاج للمتكون والمزاج انما يكون عن العناصر وقد تبين في موضعه ان العناصر  
 اذا اجتمعت متكافئة فلا يقع منها مزاج اصلاً بل لا بد من ان تكون واحدة منها هي الغالبة على  
 الكل حتى تجتمعها وتؤلّفها وتصيرها عصبية واحدة شاملة لجميع العصابات وهي موجودة في  
 ضمها وتلك العصبية الكبرى انما تكون لتقوم اهل بيت ورياسة فيهم ولا بد من ان يكون واحد  
 منهم رئيساً لهم غالباً عليهم فيتعين رئيساً للعصبيات كلها الغلب منتوّجاً لجمعها واذا تعين له  
 ذلك فمن الطبيعة الحيوانية خلق الكبر والافئدة فيانف حينئذ من المساهمة والمشاركة في  
 استباعتهم والتحكّم فيهم ويجي خلق التاله الذي في طماع الشر مع ما تقتضيه السياسة من  
 انفراد الحاكم لفساد الكل باختلاف الحكام لو كان فيها الهة الا الله لفسدت فمجتمع حينئذ  
 انوف العصبيات ويفلج شكائهم عن ان يسهوا الى مشاركته في التحكّم وتفرع عصبيتهم عن  
 ذلك وينفرد به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامر لاناقة ولا جملاً فينفرد بذلك  
 المجد بكليته ويدفعهم عن مساهمته وقد يتم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يتم الا  
 للثاني والثالث على قدر مانعة العصبيات وقوتها الا انه امر لا بد منه في الدول سنة الله  
 التي قد خلت في عباده والله تعالى اعلم

## الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وذلك ان الامة اذا تغلبت وملكت ما بايدي اهل الملك قبلها اكثر ياشها ونعمتها فتكثر  
 عوايدهم ويجاوزون ضرورات العيش وخشوتته الى نوافله ورقته وزينتو ويذهبون

الى اتباع من قلمهم في عوائدهم واحوالهم ونصير لتلك النواقل عوائد ضرورية في تحصيلها  
 وبتزوعن مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم والملابس والفرش والانية وبتفاخرون  
 في ذلك وبتفاخرون فيه غيرهم من الامم في اكل الطيب ولبس الانيق وركوب الفارة  
 وبتفاخي خلفهم في ذلك سلفهم الى اخر الدولة وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفهم  
 فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تلغها بحسب قوتها وعوائد من قبلها سنة  
 الله في خلقه والله تعالى اعلم

### الفصل الثاني عشر

في امر من طبيعة الملك الدعة والسكون

وذلك ان الامة لا يحصل لها الملك الا بالمطالمة والمطالمة غابنها الغلب والملك  
 واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها ( قال الشاعر )

عجبت لسعي الدهريبي وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر

فاذا حصل الملك اقتصروا عن المتاعب التي كانوا يتكفنونها في طلبه واثروا الراحة  
 والسكون والدعة ورجعوا الى تحصيل ثمرات الملك من المباني والمساكن والملابس فيسبون  
 القصور ويحرون المياه ويغرسون الرياض ويستمتعون باحوال الدنيا ويوترون الراحة  
 على المتاعب ويتأثنون في احوال الملابس والمطاعم والانية والفرش ما استطاعوا  
 وبالفنون ذلك ويورتونه من بعدهم من اجيالهم ولا يزال ذلك يتزايد فيهم الى ان يتأذّن  
 الله نامره وهو خير الحاكمين والله تعالى اعلم

### الفصل الثالث عشر

في انه اذا تحكمت طبيعة الملك من الافراد بالجد وحصول الترف والدعة اقلت الدولة على الهرم  
 وبيانه من وجوه الاول انها تقتضي الافراد بالجد كما قلناه ومهما كان المجد مشتركاً  
 بين العصابة وكان سعيهم له واحد اكانت همهم في التغلب على الغير والدب عن الحوزة  
 اسوة في طموحها وقوة شكائهم ومرماهم الى العر جميعاً وهم يستطيون الموت في بناء مجدهم  
 ويوترون الملكة على فسادها واذا افرد الواحد منهم بالجد قرع عصبيتهم وكبح من اعتنتهم  
 واستاثر بالاموال دونهم فتكاسلوا عن الغر وفضل رجبهم ورثوا المذلة والاستعداد ثم  
 ربي الجيل الثاني منهم على ذلك يحسون ما ينالهم من العطاء اجراً من السلطان لهم عن  
 الحماية والمعونة لا يجري في عقولهم سواه وقل ان يستاجر احد نفسه على الموت فيصير ذلك

وهنا في الدولة وخضاً من الشوكة وتقبل به على مناحي الضعف والهزم لفساد العصبية  
بذهاب البأس من اهلها . والوجه الثاني ان طبيعة الملك تقتضي الترف كما قدمناه فتكثر  
عوائدهم وتزيد نفقاتهم على اعطياتهم ولا يفي دخلهم بخرجهم فالتقدير منهم يهلك والمترف  
يستغرق عطاءه بترفه ثم يرد ذلك في اجيالهم المتأخرة الى ان يقصر العطاء كله عن  
الترف وعوائده وتسمم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بمحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا  
يجدون وليجة عنها فيوقعون بهم العقوبات ويتزعجون ما في ابدي الكثير منهم يستاثرون  
به عليهم او يوثرون به ابناءهم وصنائع دولتهم فيضعفونهم لذلك عن اقامة احوالهم ويضعف  
صاحب الدولة بصعهم وايضاً اذا كثرت الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقصراً عن حاجاتهم  
ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة الذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم  
ويزيح عنهم واجباية مقدارها معلوم ولا تريد ولا تقص وان زادت بما يستحدث من  
المكوس فيصير مقدارها بعد الريادة محدوداً فاذا وزعت الجباية على الاعطيات وقد  
حدثت فيها الريادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحماية  
حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك  
فينقص عدد الحماية وثالثاً ورابعاً الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحماية  
لذلك وتسقط قوة الدولة ويخاسر عليها من يجاورها من الدول او من هو تحت يديها  
من القبائل والعصائب وياذن الله فيها بالنهائ الذي كتبه على خليفته وايضاً فالترف مفسد  
للخلق بما يحصل في النفس من الوان الشر والسفسفة وعوائدها كما يأتي في فصل الحصاره  
فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلاً عليه ويتصفون بما يناقضها من  
خلال الشر فيكون علامة على الادبار والافتراض بما جعل الله من ذلك في خليفته وتأخذ  
الدولة سادى العطب وتضع احوالها وتنزل بها امراض مزمنة من الهرم الى ان يقضى  
عليها . الوجه الثالث ان طبيعة الملك تقتضي الدعة كاذكرها وإذا اتخذوا الدعة والراحة  
مألماً وخلفاً صار لهم ذلك طبيعة وجملته شان العوائد كلها وايلافها فتربي اجيالهم الحادثة  
في غصارة العيش ومهاد الترف والدعة ويتقلب خلق التوحش وينسون عوائد البداوة التي  
كان بها الملك من شدة البأس وتعود الافتراس وركوب البيداء وهداية القفر فلا يبرق  
بينهم وبين السوقه من الحضرة الا في الثقافة والشارة فتضعف حمايتهم ويذهب بأسهم  
وتخضع شوكتهم ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من ثياب الهرم ثم لا يزالون  
يتلونون بعوائد الترف والحصاره والسكون والدعة ورقة الحاشية في جميع احوالهم ويتغسبون



فيها وهم في ذلك يبعدون عن البداوة والخشونة وينسلفون عنها شيئاً فشيئاً وينسون خلق  
 البسالة التي كانت بها الحماية والمدافعة حتى يعودوا عيالاً على حامية أخرى ان كانت  
 لهم واعتبر ذلك في الدول التي اخبارها في الصحف لديك تجد ما قلته لك من ذلك  
 صحيحاً من غير ريبه وربما يحدث في الدولة اذا طرقتها هذا الهرم بالترف والراحة ان يتغير  
 صاحب الدولة انصاراً وشيعة من غير جلدتهم من تعود الخشونة فيتخذهم جنداً يكون  
 اصبر على الحرب واقدر على معاناة الشدائد من الجوع والشظف ويكون ذلك دواء  
 للدولة من الهرم الذي عساه ان يطرقها حتى ياذن الله فيها بامر وهذا كما وقع في دولة  
 الترك بالمشرق فان غالب جندها الموالي من الترك فتتخير ملوكهم من اولئك الممالك  
 المجلوبين اليهم فرساناً وجنداً تكونون اجراً على الحرب واصبر على الشظف من ابناء الممالك  
 الذين كانوا قبلهم وروا في ماء النعيم والسلطان وظلوه وكذلك في دولة الموحدين بافر بيقية فان  
 صاحبها كثيراً ما يتخذ جنادة من زناته والعرب ويستكثر منهم ويترك اهل الدولة المتعودين  
 للترف فستجد الدولة بذلك عمراً اخر سالمًا من الهرم والله وارث الارض ومن عليها

### الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص

اعلم ان العمر الطبيعي للاشخاص على ما زعم الاطباء والمنجمون مائة وعشرون سنة  
 وهي سنو القمر الكبرى عند المنجمين ويختلف العمر في كل جيل بحسب القرانات فيزيد  
 عن هذا وينقص منه فتكون اعمار بعض اهل القرانات مائة تامة وبعضهم خمسين او ثمانين  
 او سبعين على ما تقتضيه ادلة القرانات عند الناظرين فيها واعمار هذه الملة ما بين الستين  
 الى السبعين كما في الحديث ولا يزيد على العمر الطبيعي الذي هو مائة وعشرون الا في  
 الصور النادرة وعلى الاوضاع الغريبة من الفلك كما وقع في شان نوح عليه السلام وقليل  
 من قوم عاد وثمود واما اعمار الدول ايضاً وان كانت تختلف بحسب القرانات الا ان  
 الدولة في الغالب لا تعدو اعمار ثلاثة اجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط  
 فيكون اربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوا الى غايته قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ  
 اربعين سنة ولهذا قلنا ان عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل وبوء يده ما ذكرناه في حكمة  
 التيه الذي وقع في بني اسرائيل وان المقصود بالاربعين فيه فناء الجيل الاحياء ونشأة  
 جيل اخر لم يهدوا والذل ولا عرفوه فدل على اعتبار الاربعين في عمر الجيل الذي هو

عمر الشخص الواحد وإنما قلنا ان عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة اجيال لان الجيل  
 الاول لم يزلوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس  
 والاشترار في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فخدم مرهف وجانهم  
 مرهوب والناس لهم مغلوبون والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفة من البداوة الى  
 الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به  
 وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية  
 بعض الشيء وتونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما ادركوا الجيل  
 الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم الى المجد ومرامهم في المدافعة والحماية  
 فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة  
 الاحوال التي كانت للجيل الاول او على ظن من وجودها فيهم واما الجيل الثالث فينسبون  
 عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة  
 الفهر وبلغ فيهم الترف غاية بما تنكوه من النعيم وغضارة العيش فيصبرون عيالاً على  
 الدولة ومن جملة النساء والولدان المناجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة  
 وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة ويلبسون على الناس في الشارة والزري وركوب الخيل  
 وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الاكثر اجنب من النسوان على ظهورها فاذا جاء المطالب  
 لهم لم يقاوموا مدافعتهم فيحتاج صاحب الدولة حينئذ الى الاستظهار بسواهم من اهل النجدة  
 ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بانقراضها  
 فتذهب الدولة بما حملت فبهذه كما تراه ثلاثة اجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلقها ولهذا  
 كان انقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في ان المجد والحسب انما هو اربعة اباة وقد  
 اتيناك فيه ببرهان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من المقدمات فتأمل فلن  
 نعدو وجه الحق ان كنت من اهل الانصاف وهذه الاجيال الثلاثة عمرها مائة وعشرون  
 سنة على ما مر ولا نعدو الدول في الغالب هذا العمر بتقريب قبله او بعده الا ان عرض  
 لها عارض اخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلًا مستوليًا والمطالب لم يحضرها ولو  
 قد جاء الطالب لما وجد مدافعاً فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون  
 فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزايد الى سن الوقوف ثم الى سن الرجوع ولهذا  
 يجري على السنة الناس في المشهور ان عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فاعتبره واتخذ منه  
 قانوناً يصح لك عدد الاباء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية

إذا كنت قد استربت في عددهم وكانت السنون الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الأباء فان نفذت على هذا القياس مع نفود عددهم فهو صحيح وإن نقصت عنه يجمل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في عمود النسب وإن زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تاخذ عدد السنين من عددهم إذا كان محصلاً لديك فتاملة تجده في الغالب صحيحاً والله يقدر الليل والنهار

### الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو بالعصية وبما يتبعها من شدة الباس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالباً الا مع البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه وانساع الاحوال والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل واحواله فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتائق فيه تختص به وتتلو بعضها بعضاً وتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم باحوال الترف وما تلتون به من العوائد فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تعية الرفه للملك واهل الدول ابداً يقلدون في طور الحضارة واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب ياخذون ومثل هذا وقع للعرب لما كان النخج وماكول فارس والروم واستخدموا بناتهم وبناتهم ولم يكونوا لذلك العهد في تبي من الحضارة فقد حكى انه قدم لم المرقق فكانوا يحسبونه رقاعاً وعثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحاً وامثال ذلك فلما استعدوا اهل الدول قبلهم واستعملوهم في مههم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك والثومة عليهم افادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في اجواله فبلغوا العاية في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والاسلحة والفرش والاية وسائر الماعون والحرفي وكذلك احوالهم في ايام المباحاة والولائم وليالي الاعراس فانوا من ذلك وراء العاية وانظر ما نقله المسعودي والطبري وغيرها في اعراس المامون بيوران بنت الحسن بن سهل وما بذل ابوها لحاشية المامون حين وافاه في خطبتها الى داره بنم الصلح

وركب اليها في السفين وما انفق في املاكها وما نحلها المامون وانفق في عرسها نقف من ذلك على العجب فمنه ان الحسن بن سهل نثر يوم الاملاك في الصنيع الذي حصره حاشية المامون فنثر على الطبقة الاولى منهم بنادق المسك ملثونة على الرقاع بالضياع والعفرار مسوغة لمن حصلت في يده يقع لكل واحد منهم ما اداة اليه الاتفاق والنجث وفرق على الطبقة الثانية بدر الديناير في كل بدرة عشرة الاف وفرق على الطبقة الثالثة بدر الدراهم كذلك بعد ان انفق على مقامة المامون بداره اضعاف ذلك ومنه ان المامون اعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت واوقد تموع العنبر في كل واحدة مائة من وهورطل وثلاثان<sup>(١)</sup> ووسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجاً بالذهب مكللاً بالدرّ والياقوت وقال المامون حين رآه قاتل الله ابانواس كانه اصبر هذا حيث يقول في صفة الخمر كان صغرى وكبرى من فواقعها حصاة درّ على ارض من الذهب واعد بدار الطنج من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة واربعين نغلاً مدة عام كامل ثلاث مرات في كل يوم وفي الحطب لبيتين واوقدوا الجريد يصون عليه الزيت واوعز الى النواتية باحضار السفن لاجازة الخواص من الناس بدجلة من بغداد الى قصور الملك بمدينة المامون لحضور الوليمة فكانت الحرقاات<sup>(٢)</sup> المعدة لذلك ثلاثين الفاً اجازوا الناس فيها آخريات نهارهم وكثير من هذا وامثاله وكذلك عرس المامون بن ذي النون بطليطلة نقله ابن سام في كتاب الذخيرة وابن حيان بعد ان كانوا كلهم في الطور الاول من البداوة عاجزين عن ذلك جملة لفقدان اسبابه والقائمين على صنائعه في غصاضتهم وسذاجتهم يذكر ان الحجاج اولم في اختتان بعض ولد فاستحضر بعض الدهاقين يسأله عن ولائم الفرس وقال اخبرني باعظم صنيع شهدته فقال له نعم ايها الامير شهدت بعض مرازية كسرى وقد صنع لاهل فارس صنيعاً أحصر فيه صحاف الذهب على أخوة النضة اربعاً على كل واحد ونجملة اربع وصائف ويجلس عليه اربعة من الناس فاذا طعموا اتبعوا اربعتهم المائت بصحافها وصفائفها فقال الحجاج يا غلام انحر الحجزر واطعم الناس وعلم انه لا يستقل بهذه الابهة وكذلك كانت . ومن هذا الباب اعطيت نبي امية وجوائزهم فانما كان اكثرها الابل اخذاً بمذاهب العرب وبادوتهم ثم كانت الجوائز في دولة بني العباس والعبيديين من بعدهم ما علمت من احمال المال ونجوت الثياب واعداد الخيل بمراكبها

١ قوله وثلاثان الذي كتب في اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في السمعة النوسية ثلاثان ٢ الحرقاات بالفتح جمع حرقاة سفينة بها مراعي نار يرمي بها العدو اه مختار

وهكذا كان شان كتامة مع الاغالبية بافريقية وكذا بني طنج بمصر وشان لمنونة مع ملوك الطوائف بالاندلس والموحدين كذلك وشان زناتة مع الموحدين وهلم جرا تنتقل الحضارة من الدول السالفة الى الدول الخالفة فانتقلت حضارة الفرس للعرب بني أمية وبني العباس وانتقلت حضارة بني أمية بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد وانتقلت حضارة بني العباس الى الديلم ثم الى الترك ثم الى السلجوقية ثم الى الترك المماليك بمصر والتمر بالعراقين وعلى قدر عظم الدولة يكون شانها في الحضارة اذا مور الحضارة من تواع الترف والترف من تواع الثروة والنعمة والثروة والنعمة من تواع الملك ومقدار ما يستولي عليه اهل الدولة فعلى نسبة الملك يكون ذلك كلفة فاعنبره وتنهيه وتامله تجده صحيحاً في العمران والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

### الفصل السادس عشر

في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوه الي قوتها

والسبب في ذلك ان القبيل اذا حصل لهم الملك والترف كثر التناسل والولد والعمومية فكثرت العصابة واستكثروا ايضاً من الموالي والصنائع وريت اجباهم في جو ذلك النعيم والرفه فازدادوا به عدداً الى عددهم وقوة الي قوتهم بسبب كثرة العصابات حينئذ بكثرة العدد فاذا ذهب الجبل الاول والثاني واخذت الدولة في الهرم لم تستقل اولئك الصنائع والموالي بانفسهم في تاسيس الدولة وتهديد ملكها لانهم ليس لهم من الامر شيء انما كانوا عيالاً على اهلها ومعونة لها فاذا ذهب الاصل لم يستقل الفرع بالروسخ فيذهب ويتلاشى ولا تبقى الدولة على حالها من القوة واعنبر هذا بما وقع في الدولة العربية في الاسلام كان عدد العرب كما قلنا لعهد النبوة والخلافة مائة وخمسين الفا وما يقار بهامن مضر وقحطان ولما بلغ الترف مبالغته في الدولة وتوفر نموهم بتوفر النعمة واستكثرت الخلفاء من الموالي والصنائع بلغ ذلك العدد الى اضعافه يقال ان المعتصم نازل عمورية لما افتتحها في تسعائة الف ولا يعد مثل هذا العدد ان يكون صحيحاً اذا اعتبرت حايتهم في الثغور الدانية والقاصية شرقاً وغرباً الى الجند الحاملين سرير الملك والموالي والمصطنعين وقال المسعودي احصى بنو العباس ابن عبد المطلب خاصة ايام المامون للاتفاق عليهم فكانوا ثلثين الفا بين ذكران واناث فانظر مبالغ هذا العدد لاقل من مائتي سنة واعلم ان سببه الرفه والنعيم الذي حصل للدولة وري فيه اجباهم والافعدد العرب لا اول الفخ لم يبلغ هذا

ولا قريباً منه والله الخلاق العليم

### الفصل السابع عشر

في اطوار الدولة واختلاف احوالها وخلق اهلها باختلاف الاطوار  
اعلم ان الدولة تنتقل في اطوارٍ مختلفة وحالات متجددة ويكتسب القائمون بها في  
كل طور خلقاً من احوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الاخر لان الخلق تابع بالطبع  
لمزاج الحال الذي هو فيه وحالات الدولة واطوارها لا تعدو في الغالب خمسة اطوار .  
الطور الاول طور الظفر بالغبية وغلب المدافع والممانع والاستيلاء على الملك وانتزاعه من  
ايدي الدولة السالفة قبلها فيكون صاحب الدولة في هذا الطور اسوة قومه في اكتساب  
المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية لا ينفرد دونهم بشيء لان ذلك هو مقتضى  
العصية التي وقع بها الغلب وهي لم تنزل بعد مجالها . الطور الثاني طور الاستبداد على قومه  
والانفراد دونهم بالملك وكبهم عن التطاول للمساهمة والمشاركة ويكون صاحب الدولة  
في هذا الطور معنياً باصطناع الرجال واتخاذ الموالي والصنائع والاستكثار من ذلك لجدع  
أنوف أهل عصيته وعشيرته المقامين له في نسبة الضارين في الملك بمثل سهمه فهن  
يدافعهم عن الامر ويصدّم عن موارده ويردّم على اعقابهم أن يخلصوا اليه حتى يقرّ الامر  
في نصايه ويفرد اهل بيته بما يبني من مجده فيعاني من مدافعهم ومغالبتهم مثل ما عاناه  
الاولون في طلب الامر واشدّ لان الاولين دافعوا الاجانب فكان ظهراؤهم على مدافعهم  
اهل العصية باجمعهم وهذا يدافع الاقارب لا يظاهاه على مدافعهم الا الاقل من الابعاد  
فيركب صعباً من الامر . الطور الثالث طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك ما تنزع  
طباع البشر اليه من تحصيل المال وتخليد الاثار وبعد الصيت فيستفرغ وسعة في الجباية  
وضبط الدخل والمخرج واحصاء النفقات والتصد فيها وتشبيد المباني المحافلة والمصانع  
العظيمة والامصار المتسعة والهيكل المرتفعة واجازة الوفود من اشراف الامم ووجوه القبائل  
وبتا المعروف في اهلها هذا مع التوسعة على صنائعهم وحاشيتهم في احوالهم بالمال والمجاهة واعتراض  
جنوده وادرار ارزاقهم وانصافهم في اعطياتهم لكل هلال حتى يظهر اثر ذلك عليهم في  
ملايسهم وشكيتهم وشاراتهم يوم الزينة فيباهي بهم الدول المسالمة ويرهب الدول المحاربة  
وهذا الطور آخر اطوار الاستبداد من اصحاب الدولة لانهم في هذه الاطوار كلها مستقلون  
بارائهم بانون لعزمهم موضحون الطرق لمن بعدهم . الطور الرابع طور الفروع والمسالمة ويكون

صاحب الدولة في هذا قانعاً بما بنى أولوه سماً لانظاره من الملوك واقتاله مقلداً للماضين من سلفه فينتبع آثارهم حذو النعل بالنعل و يقتني طرقهم باحسن منافع الاقتداء و يرى ان في الخروج عن تقليدهم فساد امره وانهم ابصر بما بنوا من مجده الطور الخامس طور الاسراف والتبذير ويكون صاحب الدولة في هذا الطور متلفاً لما جمع اولوه في سبيل الشهوات والملاذ والكرم على بطائنه وفي مجالسه واصطناع اخدان السوء وخضراء الدمن وتقليدهم عظيما الامور التي لا يستقلون بحملها ولا يعرفون ما باتون و يذرون منها مستفسد الكبار الاولياء من قوميه وصنائع سلفه حتى يضطغنون عليه ويتخاذلوا عن نصرته مضيعاً من جنده بما انفق من اعطياتهم في شهواته ومحجب عنهم وجه مباشرته ونفقده فيكون مخرباً لما كان سلفه يوسسون وهادماً لما كانوا يبنون وفي هذا الطور تحصل في الدولة طبيعة الهرم ويستولي عليها المرض المزمن الذي لا تكاد تخلص منه ولا يكون لها معه برآء الى ان تنقرض كمانينة في الاحوال التي نسردها والله خير الوارثين

### الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها والسبب في ذلك ان الاثار انما تحدث عن القوة التي بها كانت اولاً وعلى قدرها يكون الاثر فمن ذلك ماني الدولة وهياكلها العظيمة فانما تكون على نسبة قوة الدولة في اصلها لانها لا تتم الا بكثرة الفعلة واجتماع الايدي على العمل والتعاون فيه فاذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب كثيرة المالك والرعايا كان الفعلة كثيرين جداً وحشروا من افاق الدولة واقطارها فتم العمل على اعظم هياكله الا ترى الى مصانع قوم عاد وثمود وما قصة القرآن عنها وانظر بالمشاهدة ابوان كسرى وما اقتدر فيه الفرس حتى انه عزم الرشيد على هدمه وتخريبه فتكاد عنه وشرع فيه ثم ادركه العجز وقصة استشارته ليجي بن خالد بن شانه معروفه فانظر كيف تقتدر دولة على بناء لا تستطيع اخرى على هدمه مع بون ما بين الهدم والبناء في السهولة تعرف من ذلك بون ما بين الدولتين وانظر الى بلاط الوليد بدمشق وجامع بني امية بقرطبة والقنطرة التي على واديها وكذلك بناء الحنايا الجلب الماء الى قرطاجنة في القناة الراكبة عليها واثار شرشال بالمغرب والاهرام بمصر وكثير من هذه الاثار الماثلة للعيان يعلم منه اختلاف الدول في القوة والضعف واعلم ان تلك الافعال للاقدمين انما كانت بالهدم واجتماع الفعلة وكثرة الايدي عليها فبذلك شيدت تلك

الهياكل والمصانع ولا تنوهم ما تنوهم العامة ان ذلك لعظم اجسام الاقدمين عن اجسامنا في اطرافها واقطارها فليس بين البشر في ذلك كبير بون كما نجد بين الهياكل والاثار ولقد ولع الفصاح بذلك وتعالوا فيه وسطروا عن عاد وثمود والعمالة في ذلك اخباراً عربية في الكذب من اغربها ما يحكون عن عوج بن عناق<sup>(١)</sup> رجل من العمالة الذين قاتلهم بنو اسرائيل في الشام زعموا انه كان لطوله يتناول السمك من البحر ويشوبه الى الشمس ويزيدون الى جهلهم باحوال البشر الجاهل باحوال الكواكب لما اعتقدوا ان للشمس حرارة وانها شديدة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر هو الضوء وان الضوء فيما قرب من الارض اكثر لانعكاس الاشعة من سطح الارض بمقابلة الاضواء فتتضاعف الحرارة هنالاجل ذلك واذا تجاوزت مطارح الاشعة المنعكسة فلا حر هنالك بل يكون فيه البرد حيث مجاري السحاب وان الشمس في نفسها لا حارة ولا باردة وانما هو جسم بسيط مضي لا مزاج له وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكره من العمالة او من الكعانيين الذين كانوا فريسة بني اسرائيل عند فتحهم الشام واطوال بني اسرائيل وجسامهم لذلك العهد قريبة من هياكلنا يشهد لذلك ابواب بيت المقدس فانها وان خربت وجددت لم تنزل المحافظة على اشكالها ومقادير ابوابها وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين اهل عصره بهذا المقدار وانما مثار غلظهم في هذا انهم استعظموا آثار الامم ولم يفهموا حال الدول في الاجتماع والتعاون وما يحصل بذلك وبالهندام من الاثار العظيمة فصرفوه الى قوة الاجسام وشدها بعظم هياكلها وليس الامر كذلك وقد زعم المسعودي ونقله عن الفلاسفة مزعمًا لا مستند له الا التحكم وهو ان الطبيعة التي هي جبلت للاجسام لما رآ الله الخلق كانت في تمام الكثرة ونهاية القوة والكمال وكانت الاعمار اطول والاجسام اقوى لكمال تلك الطبيعة فان طرء الموت انما هو بانحلال القوى الطبيعية فاذا كانت قوية كانت الاعمار ازيد فكان العالم في اولية نشأته تاماً الاعمار كامل الاجسام ثم لم ينزل يتناقص لنقصان المادة الى ان بلغ الى هذه الحال التي هو عليها ثم لا ينزل يتناقص الى وقت الانحلال وانقراض العالم وهذا رأي لا وجه له الا التحكم كما تراه وليس له علة طبيعية ولا سبب رهائي ونحن نشاهد مساكن الاولين وابوابهم وطرقتهم فيما احدثوه من البنيان والهياكل والديار والمسكن كديار ثمود المنخوتة في الصلدة من الصخر بيوتاً صغاراً وابوابها ضيقة وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انها ديارهم ونهى

١ قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب الجيم عوج بن عوق بالواو والمشهور على السة الناس عنق بالون قاله نصر الهوري في



عن استعمال مياههم وطرح ما عجن به وأُهرق وقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم  
 الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما اصابهم وكذلك ارض عاد ومصر والشام وسائر بقاع  
 الارض شرقاً وغرباً والمحرق ما قررناه ومن آتار الدول ايضاً حالها في الاعراس والولائم كما  
 ذكرناه في وليمة بوران وصنيع الحجاج واسن ذي النون وقد مر ذلك كله ومن اثارها ايضاً  
 عطايا الدول وانها تكون على نسبتها ويظهر ذلك فيها ولو اشرفت على الهرم فان الهمم  
 التي لاهل الدولة تكون على نسبة قوة ملكهم وغلبهم للناس والهمم لاتزال مصاحبة لهم إلى  
 انقراض الدولة واعتبر ذلك بجوائز من ذي بزن لوفد قريش كيف اعطاهم من ابطال  
 الذهب والفضة والاعبد والوصائف عشراً عشراً ومن كرش العنبر واحدة واضعف ذلك  
 بعشرة امثاله لعبد المطلب وانما ملكه يومئذ قرارة اليمن خاصة تحت استبداد فارس وانما  
 حمله على ذلك همة نفسه بما كان لقومو التابعه من الملك في الارض والغلب على الامم  
 في العراقين والهند والمغرب وكان الصنهاجيون بافر بيقية ايضاً اذا اجاز والوفد من امراء  
 زناة الوافدين عليهم فانما يعطونهم المال احمالاً والكساء نحوفاً مملوءة والحملات جنائب  
 عديدة وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك اخبار كثيرة وكذلك كان عطاء البرامكة وجوائزهم  
 ونفقاتهم وكانوا اذا كسبوا معدماً فانما هو الولاية والنعمة آخر الدهر لا العطاء الذي  
 يستنفده يوم او بعض يوم واخبارهم في ذلك كثيرة مسطورة وهي كلها على نسبة الدول  
 جارية هذا جوهر الصقلي الكاتب قائد جيش العبيد بين لما ارتحل الى فتح مصر استعداد من  
 القير وان بالف حمل من المال ولا تنتهي اليوم دولة الى مثل هذا وكذلك وجد بخط  
 احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايام المامون من جميع  
 النواحي نقلته من جراب الدولة (غلات السواد) سبع وعشرون الف الف درهم مرتين  
 وثمانمائة الف درهم ومن الحلل النجيرية مائتا حلة ومن طين الختم مائتان واربعون رطلاً  
 (كنكر) . احد عشر الف الف درهم مرتين وسفائة الف درهم (كور دجلة) . عشرون  
 الف الف درهم وثمانية دراهم (حلوان) . اربعة الاف الف درهم مرتين وثمانمائة الف درهم  
 (الاهواز) خمسة وعشرون الف درهم مرة ومن السكر ثلاثون الف رطل (فارس) .  
 سبعة وعشرون الف الف درهم ومن ماء الورد ثلاثون الف قارورة ومن الزيت الاسود  
 عشرون الف رطل (كرمان) اربعة الاف الف درهم مرتين ومائتا الف درهم ومن المتاع  
 الياني خمسمائة ثوب ومن التمر عشرون الف رطل (مكران) اربعة الف درهم مرة  
 (السند وما يليه) احد عشر الف الف درهم مرتين وخمسمائة الف درهم ومن العود الهندي

مائة وخمسون رطلاً (سجستان) اربعة الاف درهم مرتين ومن الثياب المعينة ثلثمائة  
ثوب ومن الفانيد عشرون رطلاً (خراسان) ثمانية وعشرون الف درهم مرتين ومن نقر  
الفضة الفانقرة ومن البراذين اربعة الاف ومن الرقيق الف راس ومن المتاع عشرون الف  
ثوب ومن الاهلج ثلاثون الف رطل (جرجان) اثنا عشر الف درهم مرتين ومن الابرسم  
الف شقة (قومس) الف الف مرتين وخمسمائة الف من نقر الفضة (طبرستان) والروبان  
ونهاوند (سنة الاف الف مرتين وثلاثمائة الف ومن الفرش الطبري ستائة قطعة ومن  
الأكسية مائتان ومن الثياب خمسمائة ثوب ومن المناديل ثلاثمائة ومن الجامات ثلاثمائة  
(الري) اثنا عشر الف درهم مرتين ومن العسل عشرون الف رطل (همدان)  
احد عشر الف درهم مرتين وثلاثمائة الف ومن ربّ الرمانين الف رطل ومن  
العسل اثنا عشر الف رطل (ما بين البصرة والكوفة) عشرة الاف الف درهم مرتين  
وسبعائة الف درهم (ماسندان والدينار<sup>(١)</sup>) اربعة الاف درهم مرتين (شهرزور)  
سنة الاف الف درهم مرتين وسبعائة الف درهم (الموصل وما يليها) اربعة وعشرون  
الف الف درهم مرتين ومن العسل الابيض عشرون الف الف رطل (اذريجان) اربعة  
الف الف درهم مرتين (الجزيرة وما يليها من اعمال الفرات) اربعة وثلاثون الف الف  
درهم مرتين ومن الرقيق الف راس ومن العسل اثنا عشر الف رقيق ومن البزاه<sup>(٢)</sup> عشرة  
ومن الأكسية عشرون (ارمينية) ثلاثة عشر الف الف درهم مرتين ومن البسط<sup>(٣)</sup> المحفور  
عشرون ومن الزرق خمسمائة وثلاثون رطلاً ومن المساجح السور ما هي عشرة الاف رطل  
ومن الصونج عشرة الاف رطل ومن البغال مائتان ومن المهرة ثلاثون (قنسرين) اربعمائة  
الف دينار ومن الزيت الف حمل (دمشق) اربعمائة الف دينار وعشرون الف دينار  
(الاردن) سعة وتسعون الف دينار (فلسطين) ثلاثمائة الف دينار وعشرة الاف دينار  
ومن الزيت ثلاثمائة الف رطل (مصر) الف الف دينار وتسعمائة الف دينار وعشرون  
الف دينار (برقة) الف الف درهم مرتين (افريقية) ثلاث عشر الف درهم مرتين  
ومن البسط مائة وعشرون (اليمن) ثلاثمائة الف دينار وسبعون الف دينار سوى المتاع  
(الحجاز) ثلاثمائة الف دينار انتهى. واما الاندلس فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها ان  
عبد الرحمن الناصر خلف في بيوت امواله خمسة الاف الف دينار مكررة ثلاث مرات

١ قوله والدينار والطاهرانها الديثور وفي الترجمة التركية ماسندان وربان اه ٢ قوله ومن  
البزاه في التركية ومن السكر عشرة صاديق اه ٣ وفي نسخة القسط

يكون جملتها بالفناطير خمسمائة الف قنطار . ورأيت في بعض نواريج الرشيد ان المحمول الى بيت المال في ايام سعة الاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة فاعتبر ذلك في نسب الدول بعضها من بعض ولا تتكرن ما ليس بمعهود عندك ولا في عصرك شي من امثاله فتضيق حوصلتك عند ملتقط الممكنات فكثير من الخواص اذا سمعوا امثال هذه الاخبار عن الدول السالفة بادر بالانكار وليس ذلك من الصواب فان احوال الوجود والعمران متفاوتة ومن ادرك منها رتبة سفلى او وسطى فلا يحصر المدارك كلها فيها ونحن اذا اعتبرنا ما ينقل لنا عن دولة بني العباس و بني امية والعبيديين وناسبنا الصحيح من ذلك والذي لاشك فيه بالذي شاهده من هذه الدول التي هي اقل بالنسبة اليها وجدنا بينها بوناً وهو لما بينها من التفاوت في اصل قوتها وعمران ممالكها فالانار كلها جارية على نسبة الاصل في القوة كما قدمناه ولا يسعنا انكار ذلك عنها اذ كثير من هذه الاحوال في غاية الشهرة والوضوح بل فيها ما يلحق بالمستعص والمبتواتر وفيها المعاني والمشاهد من اثار البناء وغيره فخذ من الاحوال المقولة مراتب الدول في قوتها او ضعفها ونظامتها او صغرها واعتبر ذلك بما قصه عليك من هذه الحكاية المستظرفة وذلك انه ورد بالمغرب لعهد السلطان ابي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بان بطوطة<sup>(١)</sup> كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه واتصل بمملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان ابي عنان وكان يحدث عن شان رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض واكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند وياتي من احوالها بما يستغربه السامعون مثل ان ملك الهدا اذا خرج الى السفر احصى اهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة اشهر تدفع لهم من عطايه وانه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحقل منجنيقات على الظهر ترمي بها سكاثر الدراهم والدنانير على الناس الى ان يدخل ابوانه وامثال هذه الحكايات فتساحي الناس بتكذيبه ولقيت ايامئذ وريبر السلطان فارس بن وردار العبيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن واريته انكار اخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال لي الوزير فارس اياك ان تستنكر مثل هذا من احوال الدول

١ كان ابتداء رحلته ايس بطوطة سنة ٧٢٥ وانها وسنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة ٧ كراريس اه

بما أنك لم تره فتكون كابين الوزير الناشئ في السجين وذلك ان وزيراً اعتقله سلطنة  
ومكث في السجين سنين ربي فيها ابنة في ذلك الحبس فلما ادرك وعقل سأل عن اللحن  
التي كان يتغنى بها فقال له ابوه هذا لحم الغنم فقال وما الغنم فيصنها له ابوه بشيائها  
ونعوتها فيقول يا أبت تراها مثل الفار فينكر عليه ويقول ابن الغنم من الفار وكذا في لحم  
الابل والبقر اذ لم يعاين في محبسه من الحيوانات الا الفار فيحسبها كلها اساء جنس الفار  
وهذا كثيراً ما يعترى الناس في الاخبار كما يعترهم الوسواس في الزيادة عند قصد  
الاعراب كما قدمناه اول الكتاب فليرجع الانسان الى اصوله وليكن مهيباً على نفسه ومميزاً  
بين طبيعة الممكن والمنع بصريح عقله ومستقيم فطرته فما دخل في نطاق الامكان قلته وما  
خرج عنه رفضه وليس مرادنا الامكان العقلي المطلق فان نطاقه اوسع شيء فلا يفرض  
حداً بين الواقعات واما مرادنا الامكان بحسب المادة التي للشيء فاما اذا نظرنا اصل  
الشيء وجنسه وصفته ومقدار عظمه وقوته اجريننا الحكم من نسبة ذلك على احواله  
وحكمنا بالامتناع على ما خرج من نطاقه وقل رب زدني علماً وانت ارحم الراحمين والله  
سبحانه وتعالى اعلم

### الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين  
اعلم ان صاحب الدولة اما يتم امره كما قلناه قومه هم عصانته وظهر اوقه على شأنه  
وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقلد اعمال مملكته وورارة دولته وجباية امواله لانهم  
اعوانه على الغلب وشركاؤه في الامر ومساهموه في سائر مهماته هذا ما دام الطور الاول  
للدولة كما قلناه فاذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد عنهم والانهاد بالجد ودافعهم عنه  
بالمراح صاروا في حقيقة الامر من بعض اعدائهم واحتاج في مدافعهم عن الامر وصددهم عن  
المشاركة الى اولياء آخرين من غير جلدتهم يستظهر بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون  
اقرب اليه من سائرهم واخص به قرناً واصطناعاً واولى ايثاراً وجاهاً لما انهم يستمتتون دونه  
في مدافعة قومه عن الامر الذي كان لهم والرتبة التي التوها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب  
الدولة حينئذ ويخصهم بمزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقدمهم  
جليل الاعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحجباية وما يخص به لئسه وتكون خالصة  
له دون قومه من القاب المملكة لانهم حينئذ اولياءه الاقربون ونصحاؤه المخلصون وذلك

حيثئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها لفساد العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حيثئذ من الامتهان وعداوة السلطان فيضطغنون عليه و يتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع في برئها من هذا الداء لانه ما مضى يتأكد في الاعقاب الى ان يذهب رسمها واعبر ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انما يستظهرون في حروبهم وولاية اعمالهم برجال العرب مثل عمرو بن سعد ابن ابي وقاص وعبد الله بن زياد بن ابي سفيان والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وخالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة وموسى بن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري وبصر بن سيار وامثالهم من رجالات العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضاً رجالات العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالمجد وكبح العرب عن التطاول للولايات صارت الوزارة للعجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوحث وبني طاهر تم بني نويه وموالي الترك مثل نفا ووصيف ونامش وناكانك وابن طولون وابنائهم وغير هؤلاء من موالي العجم فتكون الدولة لغبر من مهدها والعز لغبر من اجنلته سنة الله في عبادِهِ والله تعالى اعلم

## الفصل العشرون

### في احوال الموالي والمصطنعين في الدول

اعلم ان المصطنعين في الدول يتفاوتون في الالتحام بصاحب الدولة بتفاوت قديمهم وحديثهم في الالتحام بصاحبها والسبب في ذلك ان المقصود في العصبية من المدافعة والمغالبة انما يتم بالنسب لاجل التناصر في ذوي الارحام والقربي والتخاذل في الاجانب والبعداء كما قدمناه والولاية والمخالطة بالرق او بالحلف تنتزل منزلة ذلك لان امر النسب وان كان طبيعياً فانما هو هوهي والمعنى الذي كان به الالتحام انما هو العشرة والمدافعة وطول الممارسة والصحبة بالمرى والرضاع وسائر احوال الموت والحياة واذا حصل الالتحام بذلك جاءت النعرة والتناصر وهذا مشاهد بين الناس واعبر مثله في الاصطناع فانه يحدث بين المصطنع ومن اصطنعه نسبة خاصة من الوصلة تنتزل هذه المنزلة وتؤكد المحبة وان لم يكن نسب فثمرات النسب موجودة فاذا كانت هذه الولاية بين القليل وبين اوليائهم قبل حصول الملك لم كانت عروقها وشجوعقائدها اصح ونسبها اصرح لوجهين احدهما انهم قبل الملك اسوة في حالهم فلا يتميز السبب عن الولاية الا عند الاقل منهم فيتنزلون

منهم منزلة ذوي قرانهم واهل ارحامهم واذا اصطنعوه بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المولى واهل القرابة عن اهل الولاية والاصطناع لما تقتضيه احوال الرئاسة والملك من تميز الرتب وتفاوتها فتميز حالهم ويتنزلون منزلة الاجانب ويكون الالتحام بينهم اضعف والتناصر لذلك ابعد وذلك انقص من الاصطناع قبل الملك . الوجه الثاني ان الاصطناع قبل الملك يبعد عهده عن اهل الدولة بطول الزمان ويخفي شان تلك اللحمة ويظن بها في الاكثر النسب فيقوى حال العصبية واما بعد الملك فيقرب العهد ويستوي في معرفته الاكثر فتنين اللحمة وتميز عن النسب فتضعف العصبية بالنسبة الى الولاية التي كانت قبل الدولة واعتبر ذلك في الدول والرئاسات تجده فكل من كان اصطناعه قبل حصول الرئاسة والملك لمصطنعه تجده اشد التحاماً به واقرب قرابة اليه ويتنزل منه منزلة اسنائه واخوانه وذوي رحمه ومن كان اصطناعه بعد حصول الملك والرئاسة لمصطنعه لا يكون له من القرابة واللحمة ما للاولين وهذا مشاهد بالعيان حتى ان الدولة في اخر عمرها ترجع الى استعمال الاجانب واصطناعهم ولا يبني لهم مجد كما بناه المصطنعون قبل الدولة لقرب العهد حينئذ باوليتهم ومشاركة الدولة على الانقراض فيكونون مغطيين في مهاوي الصعة وانما يحمل صاحب الدولة على اصطناعهم والعدول اليهم عن اوليائهم الاقدمين وصنائعها الاولين ما يعترفهم في انفسهم من العزة على صاحب الدولة وقلة الخضوع له ونظيره بما ينظره به قبيلة واهل نسيه لتأكيد اللحمة منذ العصور المتطاولة بالمربي والاتصال بانائه وسلف قومه والانتظام مع كبراء اهل بيته فيحصل لهم بذلك دالة عليه واعتزاز فينافرهم سببها صاحب الدولة ويعدل عنهم الى استعمال سواهم ويكون عهد استخلاصهم واصطناعهم قريباً فلا يبلغون رتب المجد ويقنون على حالهم من الخارجية وهكذا شان الدول في اواخرها واكثر ما يطلق اسم الصنائع والاولياء على الاولين واما هولاء المحدثون فخدم واعوان والله ولي المؤمنين وهو على كل شيء وكيل

### الفصل الحادي والعشرون

فما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستناد عليه

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القائمين بالدولة وانفردوا به ودفعوا سائر القبيل عنه وتداوله بنوهم واحداً بعد واحد بحسب الترشح فرما حدث التغلب على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير او مضعف

من اهل المنبت يترشح للولاية بعهد ابيه او يترشح ذويه وخوله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء ابيه وحاشيته ومواليه وقبيله ويؤري بمحفظ امره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة لهلك فيجب الصبي عن الناس ويعوده اليه ترف احواله ويسميه في مراعيها متى امكنه وينسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو بما عوده يعتقد ان حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير واعطاء الصنفه وخطاب التهويل والنعوذ مع النساء خلف الحجاب وان الحلال والربط والامر والنهي ومباشرة الاحوال الملوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والمال والثغور انما هو للوزير ويسلم له في ذلك الى ان تستحكمة صبغة الرئاسة والاستبداد ويحول الملك اليه ويؤثر به عشيرته وابناؤه من بعده كما وقع لبني بويه والترك وكافور الاخشيدي وغيرهم بالمشرق والمنصور بن ابي عامر بالاندلس وقد يتعظن ذلك المحجور المغلب لشاؤهم فيحاول على الخروج من رفة الحجر والاستبداد ويرجع الملك الى نصابه ويضرب على ايدي المتغلبين عليه اما بقتل او رفع عن الرتبة فقط الى ان ذلك في النادر الاقل لان الدولة اذا اخذت في تغلب الوزراء والاولياء استمر لها ذلك وقل ان تخرج عنه لان ذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منغمسين في نعيمه قد نسوا عهد الرجولة والنوا اخلاق الدايات والأرطار وروبا عليها فلا يتزعون الى رئاسة ولا يعرفون اسناد امن تغلب انما هم في الفروع بالأمهه والتنفس في اللذات وانواع الترف وهذا التغلب يكون للموالي والمصطنعين عند استبداد عشير الملك على قومهم وانفرادهم به دونهم وهو عارض للدولة ضروري كما قدمناه وهذا مرضان لا برّ للدولة منها الا في الاقل النادر والله يوتي ملكه من يشاء وهو على كل شيء قدير

### الفصل الثاني والعشرون

في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في اللقب الخاص بالملك وذلك ان الملك والسلطان حصل لاوليه مذ اول الدولة بعصية قومو وعصبيته التي استتبعنهم حتى استحكمت له ولقومو صبغة الملك والغلب وهي لم تنزل باقية وبها انحفظ رسم الدولة وبقاؤها وهذا التغلب وان كان صاحب عصية من قبيل الملك او الموالي والصنائع فعصيته مندرجة في عصية اهل الملك وتابعة لها وليس له صبغة في الملك وهو لا يحاول في استبداده انتزاع الملك ظاهراً وانما يحاول انتزاع ثمراته من الامر والنهي والحل والعقد

والأبرام والنقض يوم فيها اهل الدولة انه متصرف عن سطايه منفذ في ذلك من وراء  
الحجاب لاحكامه فهو يتجاني عن سمات الملك وشاراته والقاب جهده ويعد نفسه عن التهمة  
بذلك وان حصل له الاستبداد لانه مستتر في استبداده ذلك بالحجاب الذي ضربه السلطان  
واولوه على انفسهم عن القليل منذ اول الدولة ومغالط عنه بالنيابة ولو تعرض لشيء  
من ذلك لنفسه<sup>(١)</sup> عليه اهل العصية وقبيل الملك وحاولوا الاستئثار به دونة لانه لم تستحكم  
له في ذلك صبغة تحلمهم على التسليم له والاقبياد فيهلك لاول وهلة وقد وقع مثل هذا  
لعبد الرحمن بن الناصر بن منصور بن ابي عامر حين سما الي مشاركة هشام واهل بيته  
في لقب الخلافة ولم يفتح بما فتح به ابوه واخوه من الاستبداد بالحل والعقد والمراسم المتناعة  
فطلب من هشام خليفته ان يعهد له بالخلافة فنفس ذلك عليه بنو مروان وسائر قریش  
و بايعوا لابن عم الحليفة هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر وخرجوا عليهم وكان في  
ذلك خراب دولة العامرين وهلاك المؤيد خليفتهم واستبدل منه سواه من اعياص  
الدولة الى اخرها واختلف مراسم ملكهم والله خير الوارثين

### الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

الملك منصب طبيعي للاسان لا ناقد بينا ان الشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا  
باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورتهم واذا اجتمعوا دعت الضرورة الى المعاملة  
واقضاء الحاجات ومد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها من صاحبه لما في الطبيعة  
الحويوية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض وبمانعة الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة  
ومقتضى القوة البشرية في ذلك فيقع التنازع المفضي الى المقاتلة وهي تودي الى الهرج  
وسفك الدماء وازهاب النفوس المفضي ذلك الى انقطاع النوع وهو ما خصه الباري  
سبحانه بالمحافظة فاستحتمل قواهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض واحتاجوا من اجل  
ذلك الى الوازع وهو الحاكم عليهم وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم ولا بد في  
ذلك من العصية لما قدمناه من ان المطالبات كلها والمدافعات لانتم الا بالعصية  
وهذا الملك كما تراه منصب شريف تتوجه نحوه المطالبات ويحتاج الى المدافعات ولا  
يتم شيء من ذلك الا بالعصبيات كما مر والعصبيات متفاوتة وكل عصية فلها تحكم وتغلب  
على من يليها من قومها وعشيرها وليس الملك لكل عصية وانما الملك على الحقيقة لمن  
١ قوله لنفسه بنفخ اللام والنون وكرر الفا يقال نفس عليه التي كفرح لم يره اهلا له كما في القاموس



يستعبد الرعية ويحبي الاموال وبعث البعوث ويحبي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور فمن قصرت به عصبيته عن بعضها مثل حماية الثغور او جباية الاموال او بعث البعوث فهو ملك ناقص لم يتم حقيقته كما وقع لكثير من ملوك البربر في دولة الاغالمة بالقيروان والملوك العجم صدر الدولة العباسية ومن قصرت به عصبيته ايضاً عن الاستعلاء على جميع العصابات والضرب على سائر الايدي وكان فوقه حكم غيره فهو ايضاً ملك ناقص لم يتم حقيقته وهو لا مثل امراء النواحي وروساء الجهات الذين تجمعهم دولة واحدة وكثيراً ما يوجد هذا في الدولة المتسعة النطاق اعني توجد ملوك على قومهم في النواحي الفاصية يدينون بطاعة الدولة التي جمعهم مثل صنهاجة مع العبيدين وزناتة مع الامويين نارة والعبيدين نارة اخرى ومثل ملوك العجم في دولة بني العباس ومثل امراء البربر وملوكهم مع البرجة قبل الاسلام ومثل ملوك الطوائف من الدرس مع الاسكندر وقومه اليونانيين وكثير من هولاء فاعنبره تجده والله الفاهر فوق عباده

### الفصل الرابع والعشرون

في ان ارهاف الحد مصر بالملك ومسدلة في الاكثر

اعلم ان مصلحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وحسبه من حسن شكله او ملاحه وجهه او عظم جناحه او اتساع علمه او جودة خطه او تقوب ذهنه وانما مصلحةهم فيه من حيث اضافته اليهم فان الملك والسلطان من الامور الاضافية وهي ستة بين متسبين فحقيقة السلطان انه المالك للرعية القائم في امورهم عليهم فالسلطان من له رعية والرعية من لها سلطان والصنة التي له من حيث اضافته اليهم هي التي تسمى الملكة وهي كونه يملكهم فاذا كانت هذه الملكة وتوابعها من الحودة بمكان حصل المقصود من السلطان على اتم الوجوه فانها ان كانت جميلة صالحة كان ذلك مصلحة لهم وان كانت سيئة متعسفة كان ذلك ضرراً عليهم والآن كالمه ويعود حسن الملكة الى الرفق فان الملك اذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات مقبلاً عن عورات الناس وتعدد ذنوبهم شلهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والمخدعة فتخلقوا بها وفسدت نساءهم واخلاقهم وربما خذلوه في مواطن الحروب والمدافعات ففسدت الحماية مساد النبات وربما اجمعوا على قتله لذلك فتنسد الدولة ويخرب السياج وان دام امره عليهم وقهره ففسدت العصبية لما قلناه اولاً وفسد السياج من اصله بالعجز عن الحماية واذا كان رفيقاً بهم متجاوزاً عن سيئاتهم استناموا اليه

ولا ذلوا به وأشربوا محبته واستماتوا دونه في محاربة اعدائه فاستقام الامر من كل جانب وإما  
توابع حسن المملكة فهي النعمة عليهم والمدافعة عنهم فالمدافعة بها تتم حقيقة الملك وإما النعمة  
عليهم والاحسان لهم فمن جملة الرفق بهم والنظر لهم في معاشهم وهي اصل كبير في التحبب  
الى الرعية وإعلم انه كلما تكون ملكة الرفق في من يكون يقظاً شديد الذكاء من الناس  
وأكثر ما يوجد الرفق في الغنل والمتغفل وأقل ما يكون في اليقظ انه يكلف الرعية فوق  
طاقتهم لنفوذ نظره فيما وراء مداركهم وإطلاعهم على عواقب الامور في مادها بالمعينة  
فيهلكون لذلك قال صلى الله عليه وسلم سيروا على سير اضعفتكم ومن هذا الباب اشترط  
الشارع في الحاكم قلة الافراط في الذكاء وما أخذ من قصة زياد بن ابي سفيان لما عزله  
عمر عن العراق وقال له لم عزلتني يا امير المؤمنين العجز ام الحيانة فقال عمر لم اعرك لواحده  
منها ولكني كرهت ان احمل فضل عقلك عن الناس فاخذ من هذا ان الحاكم لا يكون  
مفرط الذكاء والكيس مثل زياد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص لما ينزع ذلك من  
التعسف وسوء المملكة وحمل الوجود على ما ليس في طبعه كما ياتي في اخر هذا الكتاب  
والله خير المالكين ونقرّر من هذا ان الكيس والذكاء عيب في صاحب السياسة لانه  
افراط في الفكر كما ان اللادة افراط في الجهود والطرفان مذمومان من كل صفة انسانية  
والجهد هو التوسط كما في الكرم مع التبذير والبخل وكما في الشجاعة مع الهوج والجنون وغير  
ذلك من الصفات الانسانية ولهذا يوصف الشديد الكيس بصفت الشيطان فيقال  
شيطان ومثيطان وإمثال ذلك والله يخلق ما يشاء وهو العليم القدير

## الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والامامة

لما كانت حقيقة الملك انه الاجتماع الضروري للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان  
هما من آثار الغضب والحويانية كانت احكام صاحبه في الغالب جائرة عن الحق محجفة  
بمن تحت يده من الخلق في احوال دنياهم لحمله اياهم في الغالب على ما ليس في طوقهم  
من اغراضه وشهواته ويختلف ذلك باختلاف المقاصد من الخلف والسلف منهم فتعسر  
طاعته لذلك ونجى العصية المنفضية الى الهرج والقتل فوجب ان يرجع في ذلك الى  
قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة بنقادون الى احكامها كما كان ذلك للفرس وغيرهم  
من الامم واذا خلت الدولة من مثل هذه السياسة لم يستتب امرها ولا يتم استيلاؤها هانسة

الله في الدين خلوا من قبل . فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء و اكابر الدولة و بصرائها كانت سياسة عقلية و اذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها و يشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا و في الآخرة و ذلك ان الخلق ليس المقصود بهم دنياهم فقط فانها كلها عبث و باطل اذ غايتها الموت و الفناء و الله يقول انما خلقناكم عبثا فالمقصود بهم انما هودينهم المنضي بهم الى السعادة في آخرتهم صراط الله الذي له ما في السموات و ما في الارض فجماعت الشرايع بمجملهم على ذلك في جميع احوالهم من عبادة و معاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الانساني فاجرتة على منهاج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع فما كان منه بمقتضى القهر و التغلب و اهل القوة العصبية في مرعاها فمجور و عدوان و مذموم عنده كما هو مقتضى الحكمة السياسية و ما كان منه بمقتضى السياسة و احكامها فمذموم ايضا لانه نظر بغير نور الله و من لم يجعل الله له نورا فانه من نور لان الشارع اعلم بمصالح الكفاية فيما هو مغيب عنهم من امور آخرتهم و اعمال البشر كلها عائدة عليهم في معادهم من ملك او غيره قال صلى الله عليه وسلم انما هي اعمالكم ترد عليكم و احكام السياسة انما تطلع على مصالح الدنيا فقط يعلمون ظاهرا من حياة الدنيا و مقصود الشارع بالناس صلاح آخرتهم فوجب بمقتضى الشرائع حمل الكفاية على الاحكام الشرعية في احوال دنياهم و آخرتهم و كان هذا الحكم لاهل الشريعة و هم الانبياء و من قام فيه مقامهم و هم الخلفاء فقد تين لك من ذلك معنى الخلافة و ان الملك الطبيعي هو حمل الكفاية على مقتضى الغرض و الشهوة و السياسي هو حمل الكفاية على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية و دفع المضار و الخلافة هي حمل الكفاية على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الآخروية و الدنيوية الراجعة اليها اذ احوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع الى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين و سياسة الدنيا به فافهم ذلك و اعتبره فيما نوره عليك من بعد و الله الحكيم العليم

## الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب و شروطه

و اذ قد بينا حقيقة هذا المنصب و انة نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين و سياسة الدنيا به تسمى خلافة و امامة و القائم به خليفة و اماما فاما تسميته اماما فتشبيها امام الصلاة في اتباعه و الاقتداء به و لهذا يقال الامامة الكبرى و اما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في

امته فيقال خليفة باطلاق وخليفة رسول الله واختلف في تسميته خليفة الله فاجازه بعضهم  
 اقتباساً من الخلافة العامة التي للادميين في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله  
 جعلكم خلائف الارض ومنع الجمهور منه لان معنى الاية ليس عليه وقد نهى ابو بكر عنه  
 لما دعي به وقال لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان  
 الاستخلاف انما هو في حق الغائب واما الحاضر فلا ثم ان نصب الامام واجب قد عرف  
 وجوبه في الشرع باجماع الصحابة والتابعين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند  
 وفاته بادروا الى بيعته ابي بكر رضي الله عنه وتسليم النظر اليه في امورهم وكذا في كل عصر  
 من بعد ذلك ولم تترك الناس فوضى في عصر من الاعصار واستقر ذلك اجماعاً دالاً على  
 وجوب نصب الامام وقد ذهب بعض الناس الى ان مدرك وجوبه العقل وان الاجماع  
 الذي وقع انما هو قضاء بحكم العقل فيه قالوا وانما وجب بالعقل لضرورة الاجتماع للشر  
 واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام الاغراض فما  
 لم يكن الحاكم الوازع افضى ذلك الى الهرج المؤذن بهلاك الشر وانقطاعهم مع ان حفظ  
 النوع من مقاصد الشرع الضرورية وهذا المعنى يعنيه هو الذي لحظته الحكماء في وجوب  
 السنوات في الشرع وقد نهينا على فسادها وان احدى مقدماته ان الوازع انما يكون بشرع من  
 الله تسلم له الكفاية لتسليم ايمان واعتقاد وهو غير مسلم لان الوازع قد يكون بسطوة الملك  
 وقهر اهل الشوكة ولو لم يكن شرع كما في امم الجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب او لم تبلغه  
 الدعوة او يقول بكفي في رفع التنازع معرفة كل واحد بتجريم الظلم عليه بحكم العقل فادعاهم  
 ان ارتفاع التنازع انما يكون بوجود الشرع هناك ونصب الامام هنا غير صحيح بل كما يكون  
 بنصب الامام يكون بوجود الروساء اهل التنوكة او بامتناع الناس عن التنازع والتظام  
 فلا ينهض دليلهم العقلي المنبثق على هذه المقدمة فدل على ان مدرك وجوبه انما هو بالشرع  
 وهو الاجماع الذي قدمناه وقد شد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا النصب رأساً  
 لا بالعقل ولا بالشرع منهم الاصم من المعتزلة وبعض الخوارج وغيرهم والواجب عند  
 هؤلاء انما هو امضاء الحكم الشرع فاذا تواطت الامة على العدل وتنفيذ احكام الله تعالى  
 لم يخرج الى امام ولا يجب نصبه وهؤلاء مجموعون بالاجماع والذي حملهم على هذا المذهب  
 انما هو الفرار عن الملك ومذاهبه من الاستطالة والتغلب والاستمتاع بالدنيا لما رأوا  
 الشريعة ممتلئة بدم ذلك والنبي على اهله ومرغبة في رفضه واعلم ان الشرع لم يذم الملك  
 لذاته ولا خطر القيام به وانما ذم المفاسد الناشئة عنه من التهر والظلم والتمتع باللذات ولا

شك ان في هذه مفساد محظورة وهي من توابعه كما اثبت على العدل والنصفة وإقامة مراسم الدين والذَّب عنه وأوجب بازائها الثواب وهي كلها من توابع الملك فاذا اتنا وقع الذم للملك على صفة وحال دون حال اخرى ولم يذمه لذاته ولا طلب تركه كما ذم الشهوة والغضب من الملكين وليس مراده تركهما بالكليّة لدعاية الضرورة اليها واما المراد تصريفها على مقتضى الحق وقد كان لداود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما الملك الذي لم يكن لغيرها وها من اسياء الله تعالى واكرم الخلق عنده ثم يقول لهم ان هذا الفرار عن الملك بعدم وجوب هذا النصب لا يعيكم شيئاً لانكم موافقون على وجوب اقامة احكام الشريعة وذلك لا يحصل الا بالعصية والتسوكة والعصية مقتضية بطبعها للملك فيحصل الملك وان لم ينصب امام وهو عين ما قررتم عنه واذا نقرر ان هذا النصب واجب باجماع فهو من فروض الكفاية وراجع الى اختيار اهل العقد والحل فيتعين عليهم نصبه ويجب على الخلق جميعاً طاعته لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واما شروط هذا المنصب فهي اربعة العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والاعضاء ما يؤثر في الراي والعمل واختلف في شرط خامس وهو السب القرتي فاما اشتراط العلم فظاهر لانه انما يكون منفذاً لاحكام الله تعالى اذا كان عالماً بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها ولا يمكن من العلم الا ان يكون مجتهداً لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال واما العدالة فلانه منصب ديني يظفر في سائر الماصب التي هي شرط فيها فكان اولى باشتراطها فيه ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بسبق الجوارح من ارتكاب المحظورات وامثالها وفي اتعائها بالبدع الاعتقادية خلاف واما الكفاية فهو ان يكون جريئاً على اقامة الحدود وفتحام الحروب بصيراً بها كثيراً بحمل الناس عليها عارفاً بالعصية واحوال الدهاء قوياً على معاناة السياسة ليصح له بذلك ما جعل اليه من حماية الدين وجهاد العدو وإقامة الاحكام وتديبير المصالح واما سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصمم والحرس وما يؤثر فقده من الاعضاء في العمل كفقده اليدين والرجلين والاثنيين فتشترط السلامة منها كلها لتاثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جعل اليه وان كان انما يشين في المنظر فقط كفقده احدى هذه الاعضاء فشرط السلامة منه شرط كمال و يلحق بنقداً الاعضاء المنع من التصرف وهو ضربان ضرب يلحق بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب وهو الثهر والعجز عن التصرف جملة بالاسر وشبهه وضرب لا يلحق بهذه وهو الحجر باستيلاء بعض اعوانه عليه من غير عصيان ولا مشاققة

فينتقل النظر في حال هذا المستولي فان جرى على حكم الدين والعدل وحميد السياسة  
 جاز قراره والا استنصر المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه حتى ينفذ فعل  
 الخليفة واما النسب القرشي فلاجتماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك واحتجت قريش على  
 الا بصار لما هو يومئذ سبعة سعد بن عباد وقالوا منا امير ومنكم امير بقوله صلى الله عليه  
 وسلم الائمة من قريش وبن النبي صلى الله عليه وسلم او صانا بان نحسن الى محسنكم ونجاوز  
 عن مسيئكم ولو كانت الامارة فيكم لم تكن الوصية بكم فنجعلوا الا بصار ورجعوا عن قولهم  
 منا امير ومنكم امير وعدلوا عما كانوا همول به من بيعة سعد لذلك وثبت ايضاً في الصحيح  
 لا يزال هذا الامر في هذا الحى من قريش وامثال هذه الادلة كثيرة الا انه لما ضعف امر  
 قريش وتلاشت عصبيتهم بما نالهم من الترف والعيم وبما اسفقتهم الدولة في ساءراقطار  
 الارض عجز وايدلك عن حمل الخلافة وتغلست عليهم الاعاجم وصار الحل والعقد لهم فاشتبه  
 ذلك على كثير من المخنفين حتى ذهبوا الى نفي اشتراط القرشية وعولوا على ظواهر في ذلك  
 مثل قوله صلى الله عليه وسلم اسمعوا وطيعوا وان ولي عليكم عد حسني ذوزيبة وهذا لانقوم  
 به حجة في ذلك فانه خرج مخرج التمثيل والغرض للمالعة في ايجاب السمع والطاعة  
 ومثل قول عمر لو كان سالم مولى حديفة حياً لوليتة او لما دخلتني فيه الظنة وهو ايضاً لا  
 يفيد ذلك لما علمت ان مذهب الصحابي ليس بحجة وايضاً فولى القوم مهم وعصية الولاء  
 حاصلة لسالم في قريش وهي الفائدة في اشتراط النسب ولما استعظم عمر امر الخلافة ورأى  
 شروطها كانها مفقودة في ظنه عدل الى سالم لتوفر شروط الخلافة عده فيه حتى من النسب  
 المفيد للعصية كما ذكر ولم يبق الا صراحة النسب فراه غير محتاج اليه اذ الفائدة في النسب  
 انما هي العصبية وهي حاصلة من الولاء فكان ذلك حرصاً من عمر رضي الله عنه على النظر  
 للمسلمين ونقلد امرهم لمن لا تلحقه فيه لائمة ولا عليه فيه عهدة ومن القائلين بنفي اشتراط  
 القرشية القاضي ابو بكر الباقلاني لما ادرك عليه عصية قريش من الثلاثي والاضمحلال  
 واستبداد ملوك العجم من الخلفاء فاسقط شرط القرشية وان كان موافقاً لرأي الخوارج لما راي  
 عليه حال الخلفاء لعهد وبقى الجمهور على القول باشتراطها وصحة الامامة للقرشي ولو  
 كان عاجراً عن القيام باور المسلمين ورد عليهم سقوط شرط الكفاية التي يقوى بها على  
 امره لانه اذا ذهب الشوكة بذهاب العصبية فقد ذهب الكفاية واذا وقع الاخلال  
 بشرط الكفاية تطرق ذلك ايضاً الى العلم والدين وسقط اعتبار شروط هذا المنصب  
 وهو خلاف الاجماع ولتلكم الان في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه

المذاهب فنقول ان الاحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها وتشرع لاجلها ونحن اذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في المشهور وان كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلًا لكن التبرك ليس من المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد اذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي المقصودة من مشروعيها واذا سيرنا وقسمنا لم نجد لها الا اعتبار العصبية التي تكون بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة واهلها ويتنظم حل الامة فيها وذلك ان قريشًا كانوا عصبية مضر واصلم واهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك ويستكثرون لغلبهم فلو جعل الامر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر ان يردم عن الخلاف ولا يحملهم على الكره فتفرق الجماعة وتختلف الكلمة والشارع محذر من ذلك حريص على اتفاقهم ورفع النزاع والشتات بينهم لتحصل اللحمة والعصبية وتحسن الحماية بخلاف ما اذا كان الامر في قريش لانهم قادرون على سوق الناس بعصا الغلب الى ما يراد منهم فلا يخشى من احد من خلاف عليهم ولا فرقة لانهم كقيلون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها فاشتراط نسبهم القرشي في هذا المنصب وهم اهل العصبية القوية ليكون المنع في انتظام الملة واتفاق الكلمة واذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر اجمع فاذا عن لهم سائر العرب واتقادت الامم سواهم الى الاحكام الملة ووطئت جنودهم قاصية البلاد كما وقع في ايام الفتوحات واستمر بعدها في الدولتين الى ان اضمحل امر الخلافة وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقريش من الكثرة والتغلب على بطون مضر من مارس اخبار العرب وسيرهم وتفطن لذلك في احوالهم. وقد ذكر ذلك اس اسحاق في كتاب السير وغيره فاذا ثبت ان اشتراط القرشية انما هو لدفع النزاع بما كان لهم من العصبية والغلب وعلمنا ان الشارع لا يخص الاحكام بجبل ولا عصر ولا امة علمنا ان ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتبهة على المقصود من القرشية وهي وجود العصبية فاشتراطنا في القائم بامور المسلمين ان يكون من قوم اولي عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها ليستعملوا من سواهم وتجنم الكلمة على حسن الحماية ولا يعلم ذلك في الاقطار والافاق كما كان في القرشية اذ الدعوة الاسلامية التي كانت لهم كانت عامة وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الامم وانما يخص لهذا العهد كل قطر من تكون له فيه العصبية الغالبة واذا

نظرت سر الله في الخلافة لم تعد هذا لانه سبحانه انما جعل الخليفة نائباً عنه في القيام بامور عبادته ليجلبهم على مصالحهم ويردهم عن مضارهم وهو مخاطب بذلك ولا يخاطب بالامر الا من له قدرة عليه الا ترى ما ذكره الامام ابن الخطيب<sup>(١)</sup> في شان النساء وانهن في كثير من الاحكام الشرعية جعلن تبعاً للرجال ولم يدخلن في الخطاب بالوضع وانما دخلن عنده بالقياس وذلك لما لم يكن لهن من الامر شيء وكان الرجال قوامين عليهن اللهم الا في العبادات التي كل احد فيها قائم على نفسه فخطابهن فيها بالوضع لا بالقياس ثم ان الوجود شاهد بذلك فانه لا يقوم بامر امة او جيل الا من غلب عليهم وقل ان يكون الامر الشرعي مخالفاً للامر الوجودي والله تعالى اعلم

### الفصل السابع والعشرون

#### في مذاهب الشيعة في حكم الامامة

اعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والاتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على اتباع علي وبنو رضي الله عنهم ومذاهبهم جميعاً متفقين عليه ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لني اغفاله ولا تفويضه الى الامة بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوماً من الكائنات والصغائر وان علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص ينقلونها ويؤلفونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة بل اكثرها موضوع او مطعون في طريقه او بعيد عن تاويلاتهم الفاسدة وتنقسم هذه النصوص عندهم الى جلي وخفي فالجلي مثل قوله من كنت مولاه فعلي مولاه قالوا ولم تطرد هذه الولاية الا في علي وهذا قال له عمر اصبحت مولى كل مؤمن ومومنة ومنها قوله افضاكم علي ولا معنى للامامة الا القضاء باحكام الله وهو المراد باولي الامر الواجبة طاعتهم بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والمراد الحكم والقضاء ولهذا كان حكماً في قضية الامامة يوم السقيفة دون غيره ومنها قوله من يباعدني على روجه وهو وصي وولي هذا الامر من بعدى فلم يبايعه الا علي ومن الخفي عندهم بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً لقراءة سورة براءة في الموسم حين انزلت فانه بعث بها اولاً ابا بكر ثم اُوحى اليه ليلعه رجل منك او من قومك فبعث علياً ليكون الفاري المبلغ قالوا وهذا يدل على تقديم علي وايضاً فلم يعرف انه قدم احداً على علي واما ابو بكر

١ - قوله الامام ابن الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر



وعمر فقدم عليها في غزاتين أسامة بن زيد مرة وعمر وبن العاص أخرى وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين علي للخلافة دون غيره فمنها ما هو غير معروف ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم ثم منهم من يرى ان هذه النصوص تدل على تعيين علي وتخصيصه وكذلك تنتقل منه الى من بعده وهؤلاء هم الامامية وتبراً<sup>١</sup> ون من الشيخين حيث لم يقدموا علياً وبياعوه بمقتضى هذه النصوص ويغصون في امامتها ولا يلتفت الى نقل القدح فيها من غلاتهم فهو مردود عندنا وعندهم ومنهم من يقول ان هذه الأدلة انما اقتضت تعيين علي بوصف لا بالتخص والناس مقصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعاً وهؤلاء هم الزيدية ولا يتبرأون من الشيخين ولا يغصون في امامتها مع قولهم بان علياً افضل منها لكنهم يجوزون امامة المنفصول مع وجود الافضل ثم اختلفت نقول هولاء الشيعة في مساق الخلافة بعد علي فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واحداً بعد واحد على ما يذكر بعد هولاء يسمون الامامية نسبة الى مقالهم باسئراط معرفة الامام وتعيينه في الايمان وهي اصل عندهم ومنهم من ساقها في ولد فاطمة لكن بالاختيار مع التسيخ ويستتر ان يكون الامام منهم عالمًا زاهدًا جوادًا شجاعاً ويخرج داعياً الى امامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة الى صاحب المذهب وهوزيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر اخاه محمداً الباقر على اشتراط الخروج في الامام فيلزمه الباقر ان لا يكون اوهاز بن العابدين اماماً لانهم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعي عليه مذاهب المعتزلة واخذها اياها عن واصل بن عطاء ولما ناظر الامامية زيدا في امامة الشيخين ورأوه يقول امامتها ولا يتبرأ منها رفضوه ولم يجعلوه من الائمة وبذلك سمول ارفضه ومنهم من ساقها بعد علي وابنيه السبطين على اخلائهم في ذلك الى اخيهما محمد بن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه وبين هذه الطوائف اختلافات كثيرة تركناها اختصاراً ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوز واحد العقل والايمان في القول بالوهية هولاء الائمة اما على انهم بشر انصفوا بصفات الالوهية او ان الاله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصراني في عيسى صلوات الله عليه ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه الى ذلك منهم وسخط محمد بن الحنفية المختار بن ابي عميد لما بلغه مثل ذلك عنه فصرح ببعثته والبراءة منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم من يقول ان كمال الامام لا يكون لغيره فاذا مات انتقلت روحه الى امام اخر ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هولاء الغلاة من يقف عند واحد من الائمة لا يتجاوز

الى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية فبعضهم يقول هو حي لم يميت  
الا انه غائب عن اعين الناس ويستشهدون لذلك بقصة المخضر قيل مثل ذلك في علي  
رضي الله عنه وانه في السحاب والرعد صوته والبرق في سوطه وقالوا مثله في محمد بن  
الحنفية وانه في جبل رضوى من ارض الحجاز وقال شاعرهم

الا ان الائمة من قریشِ ولاة الحق اربعة سواء  
علي والثلاثة من بيته هم الاسباط ليس بهم خفاء  
فسط سسط ايمان و سر وسبط غيبته كربلاء  
وسط لا يدوق الموت حتى يقود الجيش بقدمه اللواء  
تغيب لا يرى فيهم زماناً رضوى عنده غسل وماء

وقال مثله غلاة الامامية وخصوصاً الاتنا عشرية منهم يزعمون ان الثاني عشر من أئمتهم  
وهو محمد بن الحسن العسكري وبقبوه المهدي دخل في سرداب ندارهم في الحلة وتغيب  
حين اعتقل مع امه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الرمان فيملاً الارض عدلاً يشيرون  
بذلك الى الحديث الواقع في كتاب الترمذي في المهدي وهم الى الان ينتظرونه ويسمونه  
المنتظر لذلك ويقفون في كل ليلة بعد صلاة المغرب ساجد هذا السرداب وقد قدموا  
مركباً فيهنون باسمه ويدعونه للخروج حتى تستنك النجوم ثم ينفصون ويرجئون الامر  
الى الليلة الاتية وهم على ذلك لهذا العهد وبعض هؤلاء الواقفية يقول ان الامام الذي مات  
يرجع الى حياته الدنيا ويستشهدون لذلك بما وقع في القرآن الكريم من قصة اهل الكهف  
والذي مر على قرية وقتيل بني اسرائيل حين ضرب بعضهم القفرة التي امروا بذبحها ومثل  
ذلك من الحواري التي وقعت على طريق المعجزة ولا يصح الاستشهاد بها في غير مواضعها  
وكان من هؤلاء السيد الحبيري ومن شعره في ذلك

اذا ما المرء شاب له قذالٌ وعلله المواشط بالخضابِ  
فقد ذهبت ساشته واودى فقم يا صاح نك على الشابِ  
الى يومٍ تثوب الناس فيه الى ديارهم قبل الحسابِ  
فليس تعائده ما فات منه الى احدٍ الى يوم الايابِ  
أدين بان ذلك دين حقٍ وما انا في الشور بذي اربابِ  
كذلك الله أخر عن الناس حيوا من بعد درس في الترابِ

وقد كفانا مؤونة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة فانهم لا يقولون بها ويطالون احتجاجاتهم عليها

وإما الكيسانية فساقلوا الامامة من بعد محمد بن الحنفية الى ابنه ابي هاشم وهؤلاء هم الهاشمية  
 ثم افرقوا فمنهم من ساقها بعده الى اخيه عليّ ثم الى ابنه الحسن بن علي واخرون يزعمون  
 ان ابا هاشم لما مات بارض السراة منصرفاً من الشام اوصى الى محمد بن علي بن عبد  
 الله بن عباس واوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام واوصى ابراهيم الى اخيه عبد  
 الله بن الحارثية الملقب بالسفاح واوصى هو الى اخيه عبد الله ابي جعفر الملقب بالمنصور  
 وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحداً بعد واحد الى اخرهم وهذا مذهب الهاشمية القايين  
 بدولة بني العباس وكان منهم ابو مسلم وسليمان بن كثير واوسامة الخلال وغيرهم من شيعة  
 العباسية وربما يعضدون ذلك بان حقه في هذا الامر يصل اليهم من العباس لانه كان  
 حياً وقت الوفاة وهو اولى بالوراثة بعصية العمومة واما الزيدية فساقلوا الامامة على مذهبيهم  
 فيها وانها باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص فقالوا بامامة علي ثم ابنه الحسن ثم اخيه  
 الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب وخرج  
 بالكوفة داعياً الى الامامة فقتل وصلب بالكناسة وقال الزيدية بامامة ابنه يحيى من  
 بعده فمضى الى خراسان وقتل بالمجوزجان بعد ان اوصى الى محمد بن عبد الله بن حسن  
 ابن الحسن السبط ويقال له النفس الزكية فخرج بالحجاز وتلقب بالمهدي وجاءته عساكر  
 المنصور فقتل وعهد الى اخيه ابراهيم فقام بالصرة ومعه عيسى بن زيد بن علي فوجه  
 اليهم المنصور عساكره فهزم وقتل ابراهيم وعيسى وكان جعفر الصادق اخبرهم بذلك كله  
 وهي معدودة في كراماته وذهب اخرون منهم الى ان الامام بعد محمد بن عبد الله النفس  
 الزكية هو محمد بن القاسم بن علي بن عمر وعمر هو اخو زيد بن علي فخرج محمد بن القاسم  
 بالطالقان فقبض عليه وسبق الى المعتصم فحبسه ومات في حبسه وقال آخرون من  
 الزيدية ان الامام بعد يحيى بن زيد هو اخوه عيسى الذي حضر مع ابراهيم بن عبد الله  
 في قتاله مع منصور ونقلوا الامامة في عقبه واليه انتسب دعي الزنج كما تذكره في اخبارهم  
 وقال آخرون من الزيدية ان الامام بعد محمد بن عبد الله اخوه ادريس الذي فرّ  
 الى المغرب ومات هنالك وقام بامر ابنه ادريس واخطأ مدينة فاس وكان من بعده  
 عقبه ملوكاً بالمغرب الى ان انقرضوا كما تذكره في اخبارهم وبقي امر الزيدية بعد ذلك  
 غير منتظم وكان منهم الداعي الذي ملك طبرستان وهو الحسن بن زيد بن محمد بن  
 اسماعيل بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين السبط واخوه محمد بن زيد ثم قام بهذه  
 الدعوة في الديلم الناصر الاطروش منهم واسلموا على يده وهو الحسن بن علي بن الحسن

بن علي بن عمر وعمر اخوزيد بن علي فكانت لبنيه بطبرستان دولة وتوصل الديلم من نسبهم  
 الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد كما نذكر في اخبارهم . واما الامامية فساوقوا الامامة  
 من علي الرضى الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه علي زين العابدين  
 ثم الى ابنه محمد الباقر ثم الى ابنه جعفر الصادق ومن هنا افترقوا فرقتين فرقة ساقوها الى  
 ولده اسماعيل ويعرفونه بينهم بالامام وهم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه موسى الكاظم  
 وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثاني عشر من الائمة وقولهم بغيبته الى اخر الزمان كما مر  
 فاما الاسماعيلية فقالوا بامامة اسماعيل الامام بالنص من ابيه جعفر وفائدة النص عليه  
 عندهم وان كان قد مات قبل ابيه انما هو بقاء الامامة في عقبه كقصة هارون مع موسى  
 صلوات الله عليهما قالوا ثم انتقلت الامامة من اسماعيل الى ابنه محمد المكنوم وهو اول  
 الائمة المستورين لان الامام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر وتكون دعائه ظاهرياً  
 اقامة للجمعة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر واظهر دعوته قالوا وبعد محمد المكنوم ابنة  
 جعفر الصادق وبعده ابنة محمد الحبيب وهو اخر المستورين وبعده ابنة عبد الله  
 المهدي الذي اظهر دعوته ابو عبد الله السعدي في كنانة وتنازع الناس على دعوته ثم اخرجه  
 من معتقله بسجلماسة وملك القير وان والمغرب وملك بنوه من بعد مصر كما هو معروف  
 في اخبارهم ويسمى هولاء الاسماعيلية نسبة الى القول بامامة اسماعيل ويسمون ايضاً بالباطنية  
 نسبة الى قولهم بالامام الباطن اي المستور ويسمون ايضاً المخذة لما في ضمن مقالهم من  
 الاتحاد ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا اليها الحسن بن محمد الصباح في اخر المائة  
 الخامسة وملك حصوناً بالشام والعراق ولم تنزل دعوته فيها الى ان توزعها الهلاك بين  
 ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت ومقالة هذا الصباح في دعوته مذكورة  
 في كتاب الملل والنحل للشهرستاني \* واما الاثنا عشرية فرمما خصلوا باسم الامامية عند  
 المتأخرين منهم فقالوا بامامة موسى الكاظم بن جعفر الصادق لوفاة اخيه الاكبر اسماعيل  
 الامام في حياة ابيه جعفر فنص على امامة موسى هذا ثم ابنه علي الرضا الذي عهد اليه  
 المأمون ومات قبله فلم يتم له امر ثم ابنة محمد النبي ثم ابنة علي الهادي ثم ابنة محمد الحسن  
 العسكري ثم ابنة محمد المهدي المنتظر الذي قد مناه قبل وفي كل واحدة من هذه المقالات  
 للشيعنة اختلاف كثير الا ان هذه اشهر مذاهبهم ومن اراد استيعابها ومطالعتها فعليه  
 بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرها ففيها بيان ذلك والله يضل من  
 يشاء ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

## الفصل الثامن والعشرون

في انقلاب الخلافة الى الملك

اعلم ان الملك غاية طبيعية للعصية ليس وقوعه عنها باختيار انما هو بضرورة الوجود وترتيبها كما قلناه من قبل وان الشرائع والديانات وكل امر يحمل عليه الجمهور فلا بد فيه من العصية اذ المطالبة لانتم الاربها كما قد مناه. فالعصية ضرورية للملة وبوجودها يتم امر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبياً الا في منعة من قومهم وجدنا الشارع قد ذم العصية ونادى الى اطراحها وتركها فقال ان الله اذهب عنكم عيبة<sup>(١)</sup> الجاهلية وفخرها بالابا انتم بنوا آدم وآدم من تراب وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم ووجدناه ايضاً قد ذم الملك واهله ونعى على اهله احوالهم من الاستمتاع بالخلاف والاسراف في غير القصد والتنكب عن صراط الله وانما حض على الالفنة في الدين وحذر من الخلاف والفرقة \* واعلم ان الدنيا كلها واحوالها عند الشارع مطية للاخق ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مرادة فيما ينهى عنه او يذمه من افعال البشر او يندب الى تركها اهالة بالكلية او اقتلاعه من اصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكلية اما قصد تصريفها في اغراض الحق جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقاً وتعد الوجهة كما قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فلم يدم الغضب وهو يقصد نزعه من الانسان فانه لو زالت منه قوة الغضب لقد منه الانتصار للحق وبطل الجهاد واعلاء كلمة الله وانما يذم الغضب للشيطان وللاغراض الذميمة فاذا كان الغضب لذلك كان مذموماً واذا كان الغضب في الله ولله كان ممدوحاً وهو من تماثله صلى الله عليه وسلم وكذا ذم الشبهوات ايضاً ليس المراد ابطالها بالكلية فان من بطلت شهوته كان نقصاً في حقه وانما المراد تصريفها فيما ايج له باشتماله على المصالح ليكون الانسان عبداً متصرفاً طوع الاوامر الالهية وكذا العصية حيث ذمها الشارع وقال لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم فانما مرادة حيث تكون العصية على الباطل واحواله كما كانت في الجاهلية وان يكون لاحد فخر بها او حق على احد لان ذلك مجاز من افعال العتلاء وغيره رافع في الآخرة التي هي دار القرار فاما اذا كانت العصية في الحق واقامة امر الله فامر مطلوب ولو بطل لبطلت الشرائع اذ لانتم قوامها الا بالعصية كما قلناه من قبل وكذا الملك لما ذمه الشارع لم يذم منه الغلب اعمية بضم العين وكسرها وكسر الموحدة مشددة وتشدب البناء التخبية الكبر والحمر والنخوة اه قاموس

بالحق وقهر الكافة على الدين ومراعاة المصالح وإنما ذمها لما فيه من التغلب بالباطل  
 وتصريف الأدميين طوع الاغراض والشهوات كما قلناه فلو كان الملك مخلصاً في غلبه  
 للناس انه لله وللحلم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مدموماً وقد قال سليمان  
 صلوات الله عليه رب هب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي لما علم من نفسه انه يعرل عن  
 الباطل في النسوة والملك \* ولما لقي معاوية عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عند قدميه الى  
 الشام في أبهة الملك ورثه من العبد والعدوة استنكر ذلك وقال اكسروية يا معاوية  
 فقال يا امير المؤمنين انا في تغرتجاه العدو وبنا الى مهاياتهم سرينة الحرب والجهاد حاجة  
 فسكت ولم يخطئه لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين فلو كان القصد رفض  
 الملك من اصله لم يقع هذا الجواب في تلك الكسروية وبما حالها بل كان يحرض على خروجه  
 عنها بالحيلة وإنما اراد عمر بالكسروية ما كان عليه اهل فارس في ملكهم من ارتكاب الباطل  
 والظلم والغي وسلوك سبله والغلبة عن الله واجابه معاوية بان القصد بذلك ليس كسروية  
 فارس وناظرهم وإنما قصده بها وجه الله فسكت \* وهكذا كان شأن الصحابة في رفض  
 الملك واحواله وسبان عوائده حذراً من التماسها بالباطل فلما استخضر رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم استخلف انا نكره الصلاة اذ هي اثم امور الدين وارتضاة الناس للخلافة  
 وهي حمل الكافة على احكام الشريعة ولم يجر للملك ذكر لما انه مظنة للباطل وتخلت يومئذ  
 لاهل الكفر واعداء الدين فقام بذلك ابو بكر ما شاء الله متعاسين صاحبه وقاتل اهل  
 الردة حتى اجتمع العرب على الاسلام ثم عهد الى عمر فاقتنى اثره وقاتل الامم فعلمهم واذن  
 للعرب في انتراع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبهم عليه وانتزعه منهم ثم صارت الى  
 عثمان بن عفان ثم الى علي رضي الله عنها والكل متبرئون من الملك مكبون عن طريقه  
 وأكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غصاصة الاسلام وبنائة العرب فقد كانوا اعد الامم  
 عن احوال الدنيا وترهبها لا من حيث دينهم الذي يدعوم الى الرهد في العيم ولا من حيث  
 ساوتهم ومواطنهم وما كانوا عليه من خشونة العيش وتظفنه الذي النوه فلم تكن امة من  
 الامم اسغب عيشاً من مصر لما كانوا بالبحار في ارض غير ذات ررع ولا ضرع وكانوا  
 مموعين من الارياف وحبوبها لعدوها واخصاصها بهم وليها من ربيعة وليس فلم يكونوا  
 يتطاولون الى خصبها ولقد كانوا كثيراً ما ياكلون العقارب والحنافس ويفترون ماكل  
 العلم وهو وسط لابل يهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه وقريباً من هذا كانت حال قريش  
 في مطاعهم ومساكلهم حتى اذا اجتمعت عصبية العرب على الدين بما اكرمهم الله من نبوة

محمد صلى الله عليه وسلم زحفوا الى ام فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الارض  
 بوعد الصدق فابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم فرخرت بحار الرقة لديهم حتى كان الفارس  
 الواحد يقسم له في بعض الغزوات ثلاثون الفاً من الذهب او نحوها فاستولوا من ذلك  
 على ما لا ياخذهُ المحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم فكان عمر يرقع ثوبه بالجلد وكان  
 علي يقول يا صفراء ويا بيضاء غزوي غيري وكان ابو موسى يتجافى عن اكل الدجاج لانه  
 لم يعهد لها للعرب لقلتها يومئذ وكانت المناخل مفقودة عندهم بالجحيلة وانما كانوا يأكلون  
 الحنطة بنخالها ومكاسنهم مع هذا اتم ما كانت لاحد من اهل العالم قال المسعودي في ايام  
 عثمان اقتنى الصحابة الصباغ والمال فكان له يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف  
 دينار والف درهم وقيمة ضياعه بوادي القرى وحين وغيرها مائتا الف دينار وخلف  
 ابلاً وخيلاً كثيرة وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار وخلف  
 الف فرس والف امة وكادت غلة طلحة من العراق الف دينار كل يوم ومن ناحية السراة  
 اكثر من ذلك وكان على مر بطعبيه الرحمن بن عوف الف فرس وله الف بعير وعشرة  
 الاف من الغنم وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته اربعة وثمانين الفاً وخلف زيد بن ثابت  
 من النضة والذهب ما كان يكسر بالثوبوس غير ما خلف من الاموال والضياع بمائة الف  
 دينار ونى الزبير داره بالمصرة وكذلك سى بمصر والكوفة والاسكندرية وكذلك سى  
 طلحة داره بالكوفة وشيد داره بالمدينة وبنائها بالجص والاجر والساج ونى سعد اس  
 ابي وقاص داره بالعقيق ورفع سمكها واوسع فضاءها وحعل على اعلاها شرفات ونى  
 المقداد داره بالمدينة وحعلها محصنة الظاهر والباطن وخلف لعلي بن مسه خمسين الف  
 ديناراً وعقاراً وغير ذلك ما قيمته ثلاثمائة الف درهم اه كلام المسعودي فكانت مكاسب  
 القوم كما تراه ولم يكن ذلك معيياً عليهم في دينهم اذ هي اموال حلال لانها غنائم وبيوتهم ولم  
 يكن تصرفهم فيها ناسرافاً انما كانوا على قصد في احوالهم كما قلناه فلم يكن ذلك بقادح فيهم  
 وان كان الاستكثار من الدنيا مدموماً فانما يرجع الى ما اشرنا اليه من الاسراف والحروج  
 به عن التصدق اذا كان حاله قسداً وبقاتهم في سبل الحق ومذاهيبه كان ذلك الاستكثار  
 عواناً لهم على طرق الحق واكتساب الدار الآخرة فلما تدرجت البداوة والغصاضة الى نهايتها  
 وجاءت طبيعتها للملك التي هي مقتضى العصبية كما قلناه وحصل التغلب والتهر كان حكم ذلك  
 الملك عندهم حكم ذلك الرقة والاستكثار من الاموال فلم يصر فوا ذلك الغلب في باطل  
 ولا خرجوا به عن مقاصد الديانة ومذاهب الحق \* ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية

وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد ولم يكونوا في محاربتهم لغرض دينوي  
او لا يثار باطل او لاستشعار حقد كما قد يتوهمه متوهم وينزع اليه لمحدوا ما اختلف اجتهادهم  
في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاده في الحق فاقتتلوا عليه وان كان المصيب  
علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل انما قصد الحق واخطأ والكل كما في مقاصدهم  
على حق ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستثنى الواحد به ولم يكن لمعاوية ان  
يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو امر طبيعي ساقته العصبية بطبعها واستشعرته بأمية ومن  
لم يكن على طريقة معاوية في اقتناء الحق من اتباعهم فاعصوا عليه واستأنوا دونه  
ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالامر لوقوع في افتراق الكلمة  
التي كان جمعها وتاليها اهم عليه من امر ليس وراءه كبير مخالفة وقد كان عمر بن عبد  
العزير رضي الله عنه يقول اذا راى القاسم بن محمد بن ابي بكر لو كان لي من الامر شي  
لويته الخلافة ولو اراد ان يعهد اليه لفعل ولكنه كان يخشى من بني امية اهل الحل والعقد  
لما ذكرناه فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لثلاث نفع الفرقة وهذا كله انما حمل عليه منازع  
الملك التي هي مقتضى العصبية فالملك اذا حصل وفرضنا ان الواحد انفرد به وصرفه في  
مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه ولقد انفرد سليمان وابوه داود صلوات  
الله عليهما بملك بني اسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به وكانوا ما علمت  
من النسوة والحق وكذلك عهد معاوية الى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت نوامية  
لم يرضوا تسليم الامر الى من سواهم فلو قد عهد الى غيره اخلفوا عليه مع ان ظنهم كان  
به صالحاً ولا يرتاب احد في ذلك ولا يطن بمعاوية غيره فلم يكن ليعهد اليه وهو يعتقد  
ما كان عليه من الفسق حاشا الله لمعاوية من ذلك وكذلك كان مروان من الحكم واسه  
وان كانوا ملوكاً لم يكن مذهبهم في الملك مذهب اهل الطالطة والغنى انما كانوا متحريين  
لمقاصد الحق جهدهم الا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشيبة افتراق الكلمة الذي هو  
اهم لديهم من كل مقصد يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والافتداء وما علم السلف  
من احوالهم فقد احتج مالك في الموطأ بعمل عبد الملك واما مروان فكان من الطبقة  
الاولى من التابعين وعدلهم معروفة ثم تدرج الامر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين  
بالمكان الذي كانوا عليه وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فتزع الى طريقة الخلفاء الاربعة  
والصحابية جهده ولم يهمل ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في اغراضهم الدنيوية  
ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري المقصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها فكان



ذلك ما دعا الناس الى ان فعول عليهم افعالهم وادالوا بالدعوة العباسية منهم وولي رجالها  
 الامر فكانوا من العدالة بمكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى  
 جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم افضى الامر الى بنينهم فاعطوا الملك  
 والترف حقة وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونذوا الدين وراءهم ظهرياً فتأذن الله محرمهم  
 وانتزاع الامر من ايدي العرب حملة وامكس سواهم منه والله لا يظلم مثقال ذرة ومن  
 تأمل سيرهؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه  
 وقد حكى المسعودي مثله في احوال بني امية عن ابي جعفر المنصور وقد حصر عمومته  
 وذكروا بني امية فقال اما عند الملك فكان جباراً لا يبالي بما صنع واما سليمان فكان  
 همة نطفة وفرجه واما عمر فكان اعور بين عميان وكان رجل القوم هشام قال ولم يزل  
 بنو امية ضاطين لما مهد لهم من السلطان بحوطونه ويصوبون ما وهب الله لهم معه  
 نسنتهم معالي الاسور ورفصهم ديبانها حتى افضى الامر الى انائهم المترفين فكانت همتهم  
 قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي الله جهلاً باستدراجهم وامنأ مكره مع اطراحهم  
 صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعهم عن السياسة فسلمهم الله العزو والسهم  
 الذل وبى عنهم العمة ثم استخصر عبد الله<sup>(٢)</sup> اس مروان فقص عليه خيرة مع ملك التنوة  
 لما دخل ارضهم فاراً ايام السجاح قال اتمت ملياً ثم اتاني مالكمم فقعده على الارض وقد  
 بسطت لي فرش ذات قيمة فقلت له ما معك عن القعود على تباينا فقال ابي ملك وحق  
 لكل ملك ان يتواضع لعظمة الله اذ رفعه الله ثم قال لي لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم  
 في كتابكم فقلت احترأ على ذلك عبيدا واتاعنا قال فلم تطؤون الررع بدواكم والفساد  
 محرّم عليكم قلت فعل ذلك عبيدا واتباعا بجهلهم قال فلم تلبسون الدباج والذهب  
 والحبر وهو محرّم عليكم في كتابكم قلت ذهب منا الملك واتصربا بقوم من العجم دخلوا في  
 ديننا فلبسوا ذلك على الكهن منا فاطرق بيكت يده في الارض ويقول عبيدا واتاعنا  
 واعام دخلوا في ديسا تم رفع راسه الي وقال ليس كما ذكرت بل انتم قوم استخلتهم ما حرّم  
 الله عليكم واتيتهم ما عنه نهيتهم وظلتم فيما ملكتم فسلدكم الله العزو والسكم الذل بذوبكم والله  
 نعمة لم تبلغ غايتها فيكم وانا خائف ان يحل بكم العذاب وانتم بيلدي فينا لئلي معكم واما الصيافة  
 ثلاث فتزود ما احتمت اليه وارتحل عن ارضي فتعجب المنصور واطرق فقد تبين لك  
 كيف انقلبت الخلافة الى الملك وان الامر كان في اوله خلافة ووازع كل احد فيها من

ا قوله عبد الله كذا في السمحة التونسية وبعض العباسية وفي بعضها عند الملك واطه نصيحاً قاله نصر

نفسه وهو الدين وكانوا يوثرونه على امور دنياهم وان افضت الى هلاكهم وحدهم دون الكافة فهذا عثمان لما حصر في الدار جاءه الحسن والحسين وعبدالله بن عمر وابن جعفر وامثالهم يريدون المدافعة عنه فابى ومنع من سلّ السيوف بين المسلمين مخالفة للفرقة وحميلاً للالفة التي بها حفظ الكلمة ولو أدى الى هلاكه وهذا علي أشار عليه المغيرة لاول ولايته باستبقاء الزبير ومعاوية وطلحة علي اعمالهم حتى يجتمع الناس على بيعته وتنفق الكلمة وله بعد ذلك ما شاء من امره وكان ذلك من سياسة الملك فابى فراراً من الغش الذي ينافيه الاسلام وغدا عليه المغيرة من الغداة فقال لقد اشرت عليك بالامس بما اشرت ثم عدت الى نظري فعلمت انه ليس من الحق والنصيحة وان الحق فيما رايتك انت فقال علي لا والله بل اعلم انك نصحتني بالامس وغششتني اليوم ولكن منعتي ما اشرت به زائد الحق وهكذا كانت احوالهم في اصلاح دينهم بفساد دنياهم ونحن

سرقع دنياها تمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما سرقع

فقد رايت كيف صار الامر الى الملك وبقيت معاني الخلافة من تحريّ الدين ومناهبه والحجري على مهاج الحق ولم يظهر التغيير الا في الوازع الذي كان ديناً ثم انقلب عصبية وسيفاً وهكذا كان الامر لعهد معاوية ومروان وابنه عبد الملك والصدر الاول من خلفاء بني العباس الى الرشيد وبعض ولده تم ذهبت معاني الخلافة ولم يبق الا اسمها وصار الامر ملكاً محتلاً وجرت طبيعة التغلب الى غايتها واستعملت في اغراضها من الفهر والتقلب في النهوات والملاذ وهكذا كان الامر لولد عبد الملك ولمن جاء بعد الرشيد من بني العباس واسم الخلافة باقياً فيهم لبقاء عصبية العرب والخلافة والملك في الطورين ملتبس بعضهما ببعض ثم ذهب رسم الخلافة واثرها نذهب عصبية العرب وفناء جيلهم وتلاشي احوالهم ونفي الامر ملكاً محتلاً كما كان الشأن في ملوك العجم بالمشرق يدينون بطاعة الخليفة تبرُّوا بالملك يجتمع القابيه وما حيه لهم وليس للخليفة منه شيء وكذلك فعل ملوك زناتة بالمغرب مثل صنهجة مع العبيدين ومغراوة وني بفرن ابصامع خلفاء بني امية بالاندلس والعبيدين الفيروان فقد تبين ان الخلافة قد وجدت بدون الملك اولاً ثم التبس معانيها واختلطت ثم انفرد الملك حيث افرقت عصبية من عصبية الخلافة والله مقدر الليل والنهار وهو الواحد القهار

## الفصل التاسع والعشرون

في معنى البيعة<sup>(١)</sup>

اعلم ان البيعة هي العهد على الطاعة كان المبايع يعاهد اميره على انه يسلم له النظر في امر نفسه وامور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من الامر على المنشط والمكروه وكانوا اذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا ايديهم في يده تأكيداً للعهد فاشبه ذلك فعل البائع والمشتري فسمي بيعة مصدر باع وصارت البيعة مصالحة بالايدي هذا مدلولها في عرف اللغة ومعهود الشرع وهو المراد في الحديث في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وعند الشجرة وحيثما ورد هذا اللفظ ومنه بيعة الخلفاء ومنه ايمان البيعة كان الخلفاء يستخلفون على العهد ويستوعون الايمان كلها لذلك فسمي هذا الاستيعاب ايمان البيعة وكان الاكراه فيها اكثر واغلب ولهذا لما افتى مالك رضي الله عنه بسقوط يمين الاكراه انكرها الولاة عليه وراواها قاذحة في ايمان البيعة ووقع ما وقع من محنة الامام رضي الله عنه واما البيعة المشهورة لهذا العهد فهي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل أطلق عليها اسم البيعة النبي هي العهد على الطاعة مجازاً لما كان هذا الخضوع في التحية والتزام الآداب من لوازم الطاعة وتوابعها وغلب فيه حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها من مصالحة ايدي الناس التي هي الحقيقة في الاصل لما في المصافحة لكل احد من التنزل والابتدال المنافيين للرياسة وصون المنصب الملوكي الا في الاقل ممن يقصد التواضع من الملوك فياخذ به نفسه مع خواصه ومشاهير اهل الدين من رعيتهم فافهم معنى البيعة في العرف فانه أكد على الانسان معرفته لما يلزمه من حق سلطانه واما موه ولا تكون افعاله عبثاً ومجاناً واعندر ذلك من افعالك مع الملوك والله القوي العزيز

## الفصل الثلاثون

في ولاية العهد

اعلم اننا قدمنا الكلام في الامامة ومشروعيتها لما فيها من المصلحة وان حقيقتها للنظر في مصالح الامة لدينهم ودينهم فهو وليهم والامين عليهم ينظر لهم ذلك في حياتهم ويتبع ذلك ان ينظر لهم بعد مائته ويقم لهم من يتولى امورهم كما كان هو يتولاها ويتنون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل وقد عرف ذلك من الشرع باجماع الامة على جوازها وانعقادها

١ البيعة بفتح الموحدة اما بكسرها على وزن شيعة بسكون الياء فيها فهي معد الصارى . اهـ

اذ وقع بعهد ابي بكر رضي الله عنه لعمر بمحض من الصحابة واجازوه وواجبوا على انفسهم  
 بوطاعة عمر رضي الله عنه وعنهم وكذلك عهد عمر في الشورى الى الستة بقية العشرة وجعل  
 لهم ان يختاروا للمسلمين فتوى بعضهم الى بعض حتى افضى ذلك الى عبد الرحمن بن  
 عوف فاجتهد وناظر المسلمين فوجدهم متفقين على عثمان وعلى علي فاتر عثمان بالبيعة على  
 ذلك لموافقته اياه على لزوم الاقتداء بالشيخين في كل ما يعنى دون اجتهاده فانهقد  
 امر عثمان لذلك وواجبوا طاعته والملا من الصحابة حاضرون للاولى والثانية ولم ينكره  
 احد منهم فدل على انهم متفقون على صحة هذا العهد عارفون بمشروعيته والاجماع حجة كما  
 عرف ولايتهم الامام في هذا الامر وان عهد الى ابيه او ابنه لانه مامون على النظر لهم في  
 حياته فالولى ان لا يجنم فيها تبعة بعد ماته خلافاً لمن قال بانها في الولد والوالد او  
 لمن خصص التهمة بالولد دون الوالد فانه بعيد عن الظنة في ذلك كله لاسيا اذا كانت  
 هناك داعية تدعو اليه من ايثار مصلحة او توقع مفسدة فتنتفي الظنة عند ذلك راساً  
 كما وقع في عهد معاوية لابنه يزيد وان كان فعل معاوية مع وفاق الناس له حجة في الباب  
 والذي دعا معاوية لا يثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه انما هو مراعاة المصلحة في اجتماع  
 الناس واتفاق اهوائهم باتفاق اهل الحل والعقد عليه حيثئذ من بني أمية اذ نوامية يومئذ  
 لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش واهل الملة اجمع واهل الغلب منهم فآثره بذلك دون  
 غيره من يظن انه اولى بها وعدل عن الفاضل الى المنفصل حرصاً على الاتفاق واجتماع  
 الاهواء الذي شانه اثم عند الشارع وان كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحته  
 مانعة من سوى ذلك وحضور اكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب  
 فيه فليسوا ممن ياخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تاخذة العزة في قول الحق  
 فانهم كلهم اجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه وقرار عبد الله بن عمر من ذلك انما هو  
 محمول على تورعهم عن الدخول في شيء من الامور مباحاً كان او محظوراً كما هو معروف  
 عنه ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور الا ابن الزبير وندور المخالف  
 معروف ثم انه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتخرون الحق  
 ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من  
 بني العباس وامثالهم من عرفت عدالتهم وحسن رايهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم  
 ايثار ابنائهم واخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الاربعة في ذلك فشأنهم غير شأن  
 اولئك الخلفاء فانهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً فعند كل

احد وازع من نفسه فعهدها الى من يرتضيه الدين فقط وآثروا على غيره ووكلوا كل من  
 يسمو الى ذلك الى وازعه واما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصية قد اشرفت على  
 غايتها من الملك والوارع الديني قد ضعف واحتجج الى الوازع السلطاني والعصاني فلو  
 عهد الى غير من يرتضيه العصية لردت ذلك العهد وانتقض امره سريعاً وصارت الجماعة  
 الى الفرقة والاختلاف . سأل رجل علياً رضي الله عنه ما نال المسلمين اختلفوا عليك ولم  
 يخلعوا على ابي بكر وعمر فقال لان ابا بكر وعمر كانا واليبين على مثلي واما اليوم وال على  
 مثلك يشير الى وازع الدين افلا ترى الى المامون لما عهد الى علي بن موسى جعفر  
 الصادق وسماه الرضا كيف اكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وابعوا العمير ابراهيم بن  
 المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد ان يصطلم  
 الامر حتى يادر المامون من خراسان الى بغداد ورد امرهم لمعاودة فلا بد من اعتبار ذلك  
 في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقائل والعصيات وتختلف  
 باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم مخصوص لظفاً من الله بعباده واما ان يكون القصد  
 بالعهد حفظ التراث على الاساء فليس من المقاصد الدينية اذ هو امر من الله يخص به من  
 يشاء من عباده ينبغي ان تحسن فيه النية ما امكن خوفاً من العتث بالمناصب الدينية  
 والملك لله بيوتيه من يشاء وعرضها امور تدعو الضرورة الى بيان الحق فيها فلا اول  
 منها ما حدث في يزيد من الفسق ايام خلافته فاياك ان تظن بمعاوية رضي الله عنه انه  
 علم ذلك من يريد فانه اعدل من ذلك وافضل بل كان يعدله ايام حياته في سماع الغناء  
 وبنهاه عنه وهو اقل من ذلك وكادت مذاهبهم فيه مختلفة ولما حدث في يزيد ما حدث  
 من الفسق اختلف الصحابة حينئذ في شانه فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من  
 اجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتعها في ذلك  
 ومنهم من اباه لما فيه من اتارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لان شوكة يزيد  
 يومئذ هي عصابة بني امية وجمهور اهل الحل والعقد من قریش ونستدع عصية مصر  
 اجمع وهي اعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فاقصروا عن يزيد بسبب ذلك واقاموا  
 على الدعاء بهدائته والراحة منه وهذا كان شان جمهور المسلمين والكل مجتهدون ولا ينكر  
 على احد من الفريقين فمقاصدهم في البرر وتحري الحق معرفة وفقنا الله للاقتداء بهم \*  
 والامر الثاني هو شان العهد من النبي صلى الله عليه وسلم وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي  
 رضي الله عنه وهو امر لم يصح ولا نقله احد من أئمة النقل والذي وقع في الصحيح من طلب

الدواة والقرطاس، لكتب الوصية وإن عمر منع من ذلك فدلليل واضح على أنه لم يقع وكذا قول عمر رضي الله عنه حين طعن وسئل في العهد فقال إن العهد فقد عهد من هو خير مني يعني أنا بكر وإن اترك فقد ترك من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم لم يعهد وكذلك قول عليٍّ للعباس رضي الله عنهما حين دعاه للدخول إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه عن شأنهما في العهد فأبى علي من ذلك وقال أنه إن منعنا منها فلانطمع فيها آخر الدهر وهذا دليل على أن علياً علم أنه لم يوص ولا عهد إلى أحد وشبهة الامامية في ذلك إنما هي كون الامامة من أركان الدين كما يزعمون وليس كذلك وإنما هي من المصالح العامة المعوضة إلى نظر الحلق ولو كانت من أركان الدين لكان شأنها شأن الصلاة ولكن يستغفل فيها كما استغفل أبا بكر في الصلاة وكان يشتهر كما اشتهر أمر الصلاة واحتجاج الصحابة على خلافة أبي بكر بقياسها على الصلاة في قولهم ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أهلاً مرضاه لديننا دليل على أن الوصية لم تقع وبطل ذلك أيضاً على أن أمر الامامة والعهد بهما لم يكن مهماً كما هو اليوم وشأن العصبية المراعاة في الاجتماع والافتراق في محاري العادة لم يكن يومئذٍ بذلك الاعتبار لأن أمر الدين والاسلام كان كله بمحورق العادة من تاليف القلوب عليه واستماتة الناس دونه وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يشاهدونها في حضور الملائكة لنصرهم وتردد خبر السماء بينهم وتجدد خطاب الله في كل حادثة تنلى عليهم فلم يفتح إلى مراعاة العصبية لما تميل الناس من صبغة الانقياد والاذعان وما يستفهم من تنابع المعجزات المخارقة والأحوال الالهية الواقعة والملائكة المترددة التي وجمول منها ودهشوا من تناعبها فكان أمر الخلافة والملك والعهد والعصبية وسائر هذه الأنواع مندرجاً في ذلك القليل كما وقع فلما انحصر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات تم بفناء الفرون الذين شاهدوها فاستحالة تلك الصفة قليلاً قليلاً وذهت الحوارق وصار الحكم للعادة كما كان فاعتبر أمر العصبية ومحاري العوائد فيما يشاعتها من المصالح والمناسد وأصبح الملك والخلافة والعهد بهما مهماً من المهمات الأكيدة كما زعموا ولم يكن ذلك من قبل فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي صلى الله عليه وسلم غير مهمة فلم يعهد فيها ثم تدرّجت الالهية زمان الخلافة بعض الشيء بما دعت الضرورة إليه في الحماية والجهاد وشأن الردة والفتوحات فكانوا بالخيار في الفعل والترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه ثم صارت اليوم من أهم الأمور للالفة على الحماية والقيام بالمصالح فاعتبرت فيها العصبية التي هي سرُّ الوازع عن الفرقة والتخاذل ومنشأ الاجتماع والتوافق الكفيل بمقاصد

الشريعة واحكامها\* والامر الثالث شان الحروب الواقعة في الاسلام بين الصحابة والتابعين  
 فاعلم ان اختلافهم انما يقع في الامور الدينية وينشأ عن الاجتهاد في الادلة الصحيحة والمدارك  
 المعتبرة والمجتهدون اذا اختلفوا فان قلنا ان الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين  
 ومن لم يصادفه فهو مخطيء فان جهته لان تعين باجماع فيبقى الكل على احتمال الاصابة ولا  
 يتعين المخطيء منها والتائيم مدفوع عن الكل اجماعاً وان قلنا ان الكل حق وان كل مجتهد  
 مصيب فاحرى بنفي الخطاء والتائيم وغاية الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين انه خلاف  
 اجتهادي في مسائل دينية ظنية وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في الاسلام انما هو واقعة  
 علي مع معاوية ومع الزبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزبير مع  
 عد الملك فاما واقعة علي فان الناس كانوا عند مقتل عثمان مفتريقين في الامصار فلم  
 يشهدوا بيعة علي والذين شهدوا ففهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا  
 على امام كسعد وسعيد وابن عمر واسامة بن زيد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن سلام  
 وقدامة بن مظعون وابي سعيد الخدري وكعب بن عجرة وكعب بن مالك والنعمان بن  
 بشير وحسان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وامثالهم من اكار الصحابة والذين  
 كانوا في الامصار عدلوا عن بيعته ايضاً الى الطلب بدم عثمان وتركوا الامر فوضى حتى  
 يكون شورى بين المسلمين لمن يولونه وظنوا بعلي هو اداة في السكوت عن نصر عثمان  
 من قاتليه لا في المبالاة عليه فحاش لله من ذلك ولقد كان معاوية اذا صرح بلامته انما  
 يوجهها عليه في سكوتيه فقط ثم اختلفوا بعد ذلك فرأى علي ان بيعته قد انعقدت ولزمت  
 من تاخر عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي صلى الله عليه وسلم وموطن  
 الصحابة وارجا الامر في المطالبة بدم عثمان الى اجتماع الناس واتفاق الكلمة فيمكن حينئذ  
 من ذلك وراى الآخرون ان بيعته لم تنعقد لافتراق الصحابة اهل الحل والعقد بالافاق  
 ولم يحضر الا قليل ولا تكون البيعة الا باتفاق اهل الحل والعقد ولا تلزم بعقد من تولاهما  
 من غيرهم او من اقليل منهم وان المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون اولاً بدم عثمان ثم  
 ينجسعون على امام وذهب الى هذا معاوية وعمر بن العاص وامم المؤمنين عائشة والزبير  
 وابنة عبد الله وطلحة وابنة محمد وسعد وسعيد والنعمان بن بشير ومعاوية بن خديج ومن  
 كان على رايهم من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة علي بالمدينة كما ذكرنا الا ان اهل  
 العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين اجمعين وتصويب  
 رايه فيما ذهب اليه وتعين المخطا من جهة معاوية ومن كان على رايه وخصوصاً طلحة

والزبير لا تتقاضها على عي بعد البيعة له فيما نقل مع دفع التائب عن كل من الفريقين كالشان في المجتهدين وصار ذلك اجماعاً من اهل العصر الثاني على احد قولي اهل العصر الاول كما هو معروف ولقد سئل علي رضي الله عنه عن قتلى الجمل وصفين فقال والذي نفسي بيده لا يموتن احد من هولاء وقلبه نقي الا دخل الجنة يشير الى الفريقين نقله الطبري وغيره فلا يقنع عندك ريب في عدالة احد منهم ولا قدح في تبي من ذلك فهم من علمت واقولهم وافعالهم انما هي عن المستندات وعدالتهم مفروغ منها عند اهل السنة الا قولاً للمعتزلة فيمن قائل علياً لم يلفت اليه احد من اهل الحق ولا عرج عليه واذا نظرت بعين الانصاف عذرت الناس اجمعين في شان الاختلاف في عمان واختلاف الصحابة من بعد وعلت انها كانت فتنة اتلى الله بها الامه بينا المسلمون قد اذهب الله عدوهم وملكهم ارضهم وديارهم ونزلوا الامصار على حدودهم بالنصرة والكوفة والشام ومصر وكان اكثر العرب الذين نزلوا هذه الامصار جفاة لم يستكثروا من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ولا هذبهم سيرته وادابه ولا ارتاضوا بخلفه مع ما كان فيهم من الجاهلية من الجفاء والعصية والتناخر والبعد عن سكينة الايمان واذا بهم عند استحلال الدولة قد اصبحوا في ملكة المهاجرين والانصار من قريش وكثبان وثقيف وهذيل واهل الحجاز ويثرب السائقين الاولين الى الايمان فاستنكفوا من ذلك وغصوا به لما يرون لانفسهم من التقدم بانسابهم وكثرتهم ومصادمة فارس والروم مثل قبائل بكر بن وابل وعبد القيس بن ربيعة وقبائل كندة والازد من اليمن ونيم وقيس من مصر فصاروا الى الغض من قريش والانتفا عليهم والتمريض في طاعتهم والتعلل في ذلك بالتظلم منهم والاستعداد عليهم والطعن فيهم بالمعجز عن السرية والعدل في القسم عن السوية وفست القالة بذلك وانتهت الى المدينة وهم من علمت فاعظموه وبلغوه عثمان فبعث الى الامصار من يكشف له الخبر بعث ابن عمرو ومحمد بن مسلمة واسامة بن زيد وامثالهم فلم ينكروا على الامراء شيئاً ولا راوا عليهم طعناً وادوا ذلك كما علموه فلم ينقطع الطعن من اهل الامصار وما زالت الشناعات نتمو رمى الوليد بن عقبه وهو على الكوفة بشرب الخمر وشهد عليه جماعة منهم وحده عثمان وعزله ثم جاء الى المدينة من اهل الامصار يسالون عزل العمال وشكوا الى عائشة وعلي والزبير وطه وعزل لهم عثمان بعض العمال فلم تنقطع بذلك السنتم بل وقد سعيد ابن العاصي وهو على الكوفة فلما رجع اعترضوه بالطريق وردوه معزولاً ثم تنقل الخلف بين عثمان ومن معه من الصحابة بالمدينة ونقبوا عليه امتناعه من العزل فابي الا ان يكون



على جرحه ثم نقلوا النكير الى غير ذلك من افعاله وهو متمسك بالاجتهاد وهم ايضاً  
كذلك ثم تجمع قوم من الغوغاء وجاءوا الى المدينة يظهرن طلب النصبة من عثمان وهم  
يظهرون خلاف ذلك من قتلهم وفيهم من النصرة والكوفة ومصر وقام معهم في ذلك علي<sup>ع</sup>  
وعائشة والزبير وطلحة وغيرهم يحاولون تسكين الامور ورجوع عثمان الى اراهم وعزل لهم  
عامل مصر فانصرفوا قليلاً ثم رجعوا وقد لسوا بكتاب مدلس يزعمون انه لقوة في يد  
حامله الى عامل مصر بان يقتلهم وحلف عثمان على ذلك فقالوا مكاننا من مروان فانه كاتبك  
فحلف مروان فقال عثمان ليس في الحكم اكثر من هذا فحاصروه وداره ثم بيتوه على حين  
غفلة من الناس وقتلوه وانفتح باب الفتنة فلكل من هولاء عذر فيما وقع وكلهم كانوا مهتمين  
بامر الدين ولا يصعبون شيئاً من تعلقاته ثم نظروا بعد هذا الواقع واجتهدوا والله مطلع على  
احوالهم وعالم بهم ونحو لا نظن بهم الا خيراً لما شهدت به احوالهم ومقالات الصادق فيهم  
واما الحسين فانه لما ظهر فسق يزيد عبد الكافة من اهل عصره بعثت شيعة اهل البيت  
الكوفة للحسين ان ياتيهم فيقوموا بامره فرأى الحسين ان الخروج على يزيد متعين  
من اجل فسقه لاسيا من له القدرة على ذلك وظنها من نفسه باهليته وشوكه فاما الاهلية  
فكانت كما ظن وزيادة واما الشوكة فغلظ برحمه الله فيها لان عصبية مضر كانت في قريش  
وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف انما كانت في بني امية تعرف ذلك لهم  
قريش وسائر الناس ولا ينكرونه وانما سب ذلك اول الاسلام لما شغل الناس من  
الذهول بالخورق وامر الوحي وتردد الملائكة لنصرة المسلمين فاغفلوا امور عواندهم  
وذهمت عصبية الجاهلية ومنازعتها وسيت ولم يبق الا العصبية الطبيعية في الحماية والدفاع  
يتنفع بها في اقامة الدين وجهاد المشركين والدين فيها محكم والعادة معزولة حتى اذا انقطع  
امر النوة والخورق المهولة تراجع الحكم بعض الشيء للعوائد فعادت العصبية كما كانت  
ولن كانت واصبحت مصر اطوع لسي امية من سواهم بما كان لهم من ذلك قبل فقد تيسر لك  
غلظ الحسين الا انه في امر ديوي لا بصرة الغلظ فيه واما الحكم الشرعي فلم يغلظ فيه لانه  
منوط بظنه وكان ظنه القدرة على ذلك ولقد عدله ابن العباس واس الزبير وابن عمر  
وابن الحنفية اخوه وغيره في سيره الى الكوفة وعلموا غلظته في ذلك ولم يرجع عما هو بسبيله  
لما اراده الله واما غير الحسين من الصحابة الذين كانوا بالحجاز ومع يزيد بالشام والعراق  
ومن التابعين لهم فراوا ان الخروج على يزيد وان كان فاسقاً لا يجوز لما ينشأ عنه من  
الهرج والدماء فاقصروا عن ذلك ولم يتابعوا الحسين ولا اتكروا عليه ولا اثموا لانه مجتهد

وهو أسوة المجتهدين ولا يذهب بك الغلط ان تقول بتأثير هولاء بمخالفة الحسين وقعودهم  
عن نصره فانهم اكثر الصحابة وكانوا مع يزيد ولم يروا الخروج عليه وكان الحسين  
يستشهد بهم وهو يقاتل بكر بلاء على فصله وحفه ويقول سلوا جارس عبدالله واباسعيد  
المخدري وأنس بن مالك وسهل بن سعيد وزيد بن ارقم وامثالهم ولم ينكر عليهم قعودهم  
عن نصره ولا تعرض لذلك لعلمه انه عن اجتهاد منهم كما كان فعله عن اجتهاد منه وكذلك  
لا يذهب بك الغلط ان تقول تصويب قتله لما كان عن اجتهاد وان كان هو على اجتهاد  
ويكون ذلك كما يحد الشافعي والمالكي والحنفي على شرب البيذواعلم ان الامر ليس كذلك  
وقتاله لم يكن عن اجتهاد هولاء وان كان خلافه عن اجتهادهم وانما انفرد قتاله بريد واصحابه  
ولا تقول ان يزيد وان كان فاسقاً ولم يجر هولاء الخروج عليه فافعاله عندهم صحيحة واعلم  
انه اما بعد من اعمال الناس ما كان مشروعا وقتال البغاة عندهم من شرطه ان يكون  
مع الامام العادل وهو منقود في مسئلتنا فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا يزيد بل  
هي من فعلاته المؤكدة النسبة والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والصحابة  
الذين كانوا مع يزيد على حق ايضاً واجتهاد وقد غلط القاضي ابو بكر بن العربي المالكي  
في هذا فقال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ان الحسين قتل شرع  
جده وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الامام العادل ومن اعدل من الحسين  
في زمانه في امامته وعدالته في قتال اهل الاراء واما ابن الزبير فانه رأى في منامه ما رآه  
الحسين وظر كما ظر وعطلة في امر السوكة اعظم لان بني اسد لا يقاومون بني امية في  
جاهلية ولا اسلام والقول بتعيين الخطاء في جهة مخالفة كما كان في جهة معاوية مع علي  
لا سبيل اليه لان الاحماع هنالك قصى لنا به ولم تحدها هنا . واما يزيد فعين خطاه  
فسقه وعبد الملك صاحب اس الرير اعظم الناس عدالة وابهيك بعدالته احتجاج مالك  
بفعله وعدول ابن عداس واس عمر الى بيعته عن اس الزبير وهم معه بالحجاز مع ان الكثير  
من الصحابة كانوا يرون انبيعة ابن الربير لم تعقد لانه لم يحصرها اهل العقد والحل  
كبيعة مروان واس الرير على خلاف ذلك والكل مجتهدون محمولون على الحق في  
الظاهر وان لم يتعين في جهة منها والقتل الذي نزل به بعد تقرير ما قرراه يحيى على قواعد  
الفقه وقوانينه مع انه شهيد مثاب باعتبار قصده وتحرره الحق هذا هو الذي ينبغي ان  
تحمل عليه افعال السلف من الصحابة والتابعين فهم خيار الامة واذا جعلناهم عرضة للقدح  
فمن الذي يختص بالعدالة والنبي صلى الله عليه وسلم يقول خير الناس قرني ثم الذين

يلوثهم مرتين او ثلاثاً ثم يفسو الكذب فجعل الخيرة وهي العدالة محنصة بالقرن الاول والذي يليه فايك ان تعود نبتك او لسانك التعرض لاحد منهم ولا يشوش قلبك بالريب في شيء مما وقع منهم والتسليم مذاهب الحق وطرقها استطعت فهم اولى الناس بذلك وما اختلفوا الا عن بينة وما قاتلوا او قتلوا الا في سبيل جهاد او اظهار حق واعنقد مع ذلك ان اختلفهم رحمة لمن بعدهم من الامة ليقندي كل واحد من بخاره منهم ويجعله امامة وهاديه ودليلاً فانهم ذلك وتبين حكمة الله في خلقه واكوابه واعلم انه على كل شيء قدير واليه المرجأ والمصير والله تعالى اعلم

## الفصل الحادي والثلاثون

### في المخطط الدينية الخلافة

لما تبين ان حقيقة الخلافة بيانه عن صاحب الشرع في حفظ الدين وسياسة الدنيا فصاحب الشرع متصرف في الامرين اما في الدين فمقتضى التكاليف الشرعية الذي هو مأمور بتليغها وحمل الناس عليها واما سياسة الدنيا فبمقتضى رعايته لمصالحهم في العمران الشرعي وقد قدمنا ان هذا العمران ضروري للنشروان رعاية مصالحهم كذلك لئلا يفسد ان اهملت وقد ما ان الملك وسلطوته كاف في حصول هذه المصالح نعم انما تكون اكمل اذا كانت بالاحكام الشرعية لانه اعلم بهذه المصالح فقد صار الملك يندرج تحت الخلافة اذا كان اسلامياً ويكون من تواعها وقد يبرد اذا كان في غير الملة وله على كل حال مراتب خادمة ووظائف ناعمة تتعين خططاً وتنوزع على رجال الدولة ووظائف فيقوم كل واحد بوظيفته حسبما يعينه الملك الذي تكون يده عالية عليهم فيتم بذلك امره ويحسن قيامه وسلطانه واما المصعب الخلافي وان كان الملك يندرج تحته بهذا الاعتبار الذي ذكرناه فتصرفه الديني يختص بمخطط ومراتب لا تعرف الا للخلفاء الاسلاميين فلندكر الان المخطط الدينية المختصة بالخلافة وارجع الى المخطط الملوكية السلطانية فاعلم ان المخطط الدينية الشرعية من الصلاة والتبتي والقضاء والجهاد والحسنة كلها مندرجة تحت الامامة الكبرى التي هي الخلافة فكانتها الامام الكبير والاصل الجامع وهذه كلها متفرعة عنها وداخله فيها لعموم نظر الخلافة وتصرفها في سائر احوال الملة الدينية والديوية وتنفيذ احكام الشرع فيها على العموم فاما امامة الصلاة فهي ارفع من المخطط كلها وارفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شان ابي

بكرضِيَّ الله عنه باستخلافه في الصلاة على استخلافه في السياسة في قولهم ارتضاء رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا يرضاه لدينا فلو لا ان الصلاة ارفع من السياسة لما صح  
 القياس واذا ثبت ذلك فاعلم ان المساجد في المدينة صنفان مساجد عظيمة كثيرة الغاشية  
 معدة للصلوات المتهودة واخرى دونها مخصصة بقوم او محلة وليست للصلوات العامة فاما  
 المساجد العظيمة فامرها راجع الى الخليفة او من يتوَّض اليه من سلطان او من وزير او  
 قاضي فينصب لها الامام في الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والخسوفين والاستسقاء  
 وتعين ذلك انما هو من طريق الأولى والاستحسان وثلاثا يفتات الرعايا عليه في شيء من  
 النظر في المصالح العامة وقد يقول بالجواب في ذلك من يقول بوجوب اقامة الجمعة  
 فيكون نصب الامام لها عنده واجباً واما المساجد المخصصة بقوم او محلة فامرها راجع الى  
 الجيران ولا تحتاج الى نظر خليفة ولا سلطان واحكام هذه الولاية وشروطها والمولى فيها  
 معروفة في كتب الفقه ومسبوطة في كتب الاحكام السلطانية للماوردي وغيره فلا نضول  
 بذكرها ولقد كان الخلفاء الاولون لا يقلدونهم لغيرهم من الناس وانظر من طعن من  
 المحلّاء في المسجد عند الاذان بالصلاة وترصد لهم لذلك في اوقاتها يشهد لك ذلك  
 بما شرتهم لها وانهم لم يكونوا مستخدمين فيها وكذا كان رجال الدولة الاموية من بعدهم  
 استئثاراً بها واستعظماً لمرتبتها يحكى عن عبد الملك انه قال لحاجبه قد جعلت لك حجابة  
 يا بني الاعس ثلاثة صاحب الطعام فانه يفسد بالتاخير والاذان بالصلاة فانه داع الى الله  
 والبريد فانه في تاخيره فساد القاصية فلما جاءت طبيعة الملك وعوارضه من الغلظة  
 والترفع عن مساواة الناس في دينهم وديناهم استناموا في الصلاة فكانوا يستأثرون بها في  
 الاحيان وفي الصلوات العامة كالعيدين والجمعة اشادة وتنويهاً فعل ذلك كثير من  
 خلفاء بني العباس والعبيدين صدر دولتهم واما الفتيا فللمعلمة نصيح اهل العلم والتدريس  
 ورد الفتيا الى من هو اهلها واعانتة على ذلك ومنع من ليس اهلاً لها وزجره لانها من  
 مصالح المسلمين في اديانهم فتجب عليه مراعاتها اثلاً بتعرض لذلك من ليس له ناهل فيفضل  
 الناس والمدرس الانتصاب لتعليم العلم ونه والجلوس لذلك في المساجد فان كانت  
 من المساجد العظام التي للسلطان الولاية عليها والنظر في ائمتها كما مر فلا بد من استئذائه  
 في ذلك وان كانت من مساجد العامة فلا يتوقف ذلك على اذن على انه ينبغي ان يكون  
 لكل احد من المفتين والمدرسين زاجر من نفسه يمنع عن التصدي لما ليس له ناهل  
 فيفضل به المستهدي ويضل به المسترشد وفي الاثر أجراً كم على الفتيا أجراً كم على جرائم

جهنم فللسلطان فيهم لذلك من الظر ما توجه المصلحة من اجازة اوردت واما القضاء  
فهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة لانه منصب النصل بين النيات في الخصومات  
حسماً للتداعي وقطعاً للتنازع الا انه بالاحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة فكان  
لذلك من وظائف الخلافة ومدرباً في عمومها وكان الخلفاء في صدر الاسلام مباشرون  
بانفسهم ولا يجعلون القضاء الى من سواهم واول من دفعه الى غيره وفوضه فيه عمر رضي  
الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحاً بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري  
بالكوفة وكتب له في ذلك الكتاب المشهور الذي تدور عليه احكام القضاة وهي مستوفاة  
فيه يقول اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متعة فافهم اذا ادعى اليك فانه لا ينفع  
تكلم بحق لانه اذ له واس بين الناس في وجهك ومحلسك وعدلك حتى لا يطع شريف في  
حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك النية على من ادعى واليمين على من انكر والصلح  
جائز بين المسلمين الا صلحاً احل حراماً او حرم حلالاً ولا يبعك قضاة قضيتهم امس  
فراجعت اليوم فيه غفلك وهديت فيد لرسدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم  
ومراجعة الحق خير من التماذي في الناطل اللهم اللهم فيما تلجج في صدرك ما ليس في كتاب  
ولا ستتم اعرف الامتال والاشاه وقس الامور سائرهما واجعل لمن ادعى حقاً عائناً  
او بيعة امداً ينهي اليه فان احصر بيته اخذت له بمجته ولا استعملت القضيبة عليه فان ذلك  
ابى للشك واحلى للعلماء المسلمون عدون بعضهم على بعض الا محموداً في حدٍ او مهرباً  
عليه تهادة رور او طيباً في سب او ولا فان الله سبحانه عنا عن الايمان ودرأ بالنيات  
واباك والقلق والصحر والتأفف بالخصوم فان استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به  
الاحر ويحس به الذكر والسلام انتهى كتاب عمر واما كانوا يقلدون القضاء لغيره وان  
كان مما يتعلق بهم لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة اشغالها من الجهاد والتوحات وسد  
الثغور وحماية البيضة ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظم العاية فاستحقوا القضاء في  
الواقعات بين الناس واستحلوا فيه من يقوم به تخيلاً على انفسهم وكانوا مع ذلك انما  
يقلدونه اهل عصبيتهم بالنسب او الولاء ولا يقلدونه لمن بعد عنهم في ذلك واما احكام  
هذا المنصب وشروطه ومعرفة في كتب النقب وخصوصاً كتب الاحكام السلطانية الا  
ان القاضي انما كان له في عصر الخلفاء النصل بين الخصوم فقط ثم دفع لهم بعد ذلك  
امور اخرى على التدرج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسياسة الكبرى واستقر منصب  
القضاء اخر الامر على انه يجمع مع النصل بين الخصوم استيلاء بعض الحقوق العامة

للمسلمين بالنظر في اموال المحجور عليهم من المجائيس واليتامى والممسكين واهل السفه وفي  
 وصايا المسلمين واوليائهم وتزويج الايامى عند فقد الاولياء على رأي من رآه والنظر في  
 مصالح الطرقات والابنية ونسخ الشهود والاسماء والنواب واستنباء العلم والخبرة فيهم  
 بالعدالة والمجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته وتوابع  
 ولايته وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي الطرقي المظالم وهي وظيفة ممتزجة من  
 سطوة السلطنة ونصفه القضاء وتحتاج الى علو يد وعظيم رهنة تسمع الظالم من المحصبين  
 وتزجر المتعدي وكأ انه يضي ما عجز القضاة او غيرهم عن امضائه ويكون نظره في البيات  
 والتقير واعتماد الامارات والقراش وتاخير الحكم الى استجلاء الحق وحمل المحصبين  
 على الصلح واستخلاف الشهود وذلك اوسع من نظر القاضي \* وكان الخلفاء الاولون  
 يباشرونها بانفسهم الى ايام المهدي من بني العباس وربما كانوا يجعلونها لقضاة كما فعل  
 عمر رضي الله عنه مع قاضيه ابي ادريس الخولاني وكما فعله المأمون يحيى بن اكنم والمعتصم  
 لاحمد بن ابي داود وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطوائف وكان  
 يحيى بن اكنم يخرج ايام المأمون بالطائفة الى ارض الروم وكذا منذ بن سعيد قاضي  
 عبد الرحمن الناصر من بني امية بالاندلس فكانت تولية هذه الوظائف انما تكون للخلفاء  
 او من يجعلون ذلك له من وزير مفوض او سلطان متغلب وكان ايضاً النظر في الجرائم  
 واقامة الحدود في الدولة العباسية والاموية بالاندلس والعبيدين بمصر والمغرب راجعاً  
 الى صاحب الشرطة وهي وظيفة اخرى دبية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول  
 توسع النظر فيها عن احكام القضاء قليلاً فيجعل للنهمة في الحكم مجالاً ويفرض العقوبات  
 الزاحرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثالثة في محالها ويحكم في القود والنقصان ويقيم  
 التعزير والتأديب في حق من لم يتوب عن الجريمة ثم تنوسي شأن هاتين الوظيفتين في الدول  
 التي تنوسي فيها امر الخلافة فصار امر المظالم راجعاً الى السلطان كان انة تنويض من  
 الخليفة اولم يكن وانقسمت وظيفة الشرطة قسمين منها وظيفة النهمة على الجرائم واقامة  
 حدودها ومباشرة القطع والنقصان حيث يتعين وهب لذلك في هذه الدول حاكم  
 يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الاحكام الشرعية ويسمى تارة باسم الوالي وتارة  
 باسم الشرطة وبقي قسم التعاريف واقامة الحدود في الجرائم الثالثة شرعاً فجمع ذلك للقاضي  
 مع ما تقدم وصار ذلك من توابع وظيفة ولايته واستقر الامر لهذا العهد على ذلك وخرجت  
 هذه الوظيفة عن اهل عصبية الدولة لان الامر لما كان خلافة دبية وهذه الخطة من

مراسم الدين فكانوا لا يولون فيها الا من اهل عصبيتهم من العرب ومواليهم بالخلف او بالرق او بالاصطاع ممن يوثق بكفايته او غنايته فيما يدفع اليه \* ولما انقضى شأن الخلافة وطورها وصار الامر كله ملكاً او سلطاناً صارت هذه المخطط الدينية بعيدة عن بعض الشيء لانها ليست من القاب الملك ولا مراسيمه ثم خرج الامر جملة من العرب وصار الملك لسواهم من امم الترك والبربر فاردادت هذه المخطط الخلافية بعداً عنهم بمخاها وعصبيتها وذلك ان العرب كانوا يرون ان الشريعة دينهم وان النبي صلى الله عليه وسلم مهم واحكامه وشرائعه نخلهم بين الامم وطريقهم وغيرهم لا يرون ذلك اما يولونها جانباً من التعظيم لما كانوا بالملّة فقط فصاروا يقلدونها من غير عصائهم ممن كان تاهل لها في دول الحلفاء السالفة وكان اولئك المتاهلون بما اخذهم ترف الدول منذ مئتين من السنين قد سوا عهد البداوة وخشونتها والتبسوا بالحضارة في عوائد ترفهم ودعوتهم وقلة الممانعة عن انفسهم وصارت هذه المخطط في الدول الملوكية من بعد الحلفاء مخصصة بهذا الصنف من المستضعفين في اهل الامصار وبرل اهلها عن مراتب العزلة نقد الاهلية بانسابهم وما هم عليه من الحضارة لمختمهم من الاحتقار ما لم يحن الحصر المعيسين في الترف والذعة البعداء عن عصبيّة الملك الدين هم عيال على الحامية وصار اعشارهم في الدولة من اجل قيامها بالملّة واخذها باحكام الشريعة لما اهم الحاملون للاحكام المقتدون بها ولم يكن ايتارهم في الدولة حينئذ اكراماً لدوائهم وانما هو لما يتلخ من التعليل بمكاتبهم في محالس الملك لتعظيم الرتب الشرعية ولم يكن لهم فيها من الخل والعقد شيء وان حصره محصور رسمي لا حقيقة وراءه اد حقيقة الخل والعقد انما هي لاهل القدرة عليه من لا قدرة له عليه فلا حل له ولا عقد لديه اللهم الا اخذ الاحكام الشرعية عنهم وتلقي التناوى مهم فعم والله الموفق وربما يظن بعض الناس ان الحق فيما وراء ذلك وان فعل المملوك فيما فعلوه من احرار الذنبا والقضاة من الشورى مرحوح وقد قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان ذلك ليس كما طه وحكم الملك والسلطان انما يجري على ما تقتضيه طبيعة العبران والا كان بعيداً عن السياسة فطبيعة العبران في هؤلاء لا تقتضي لهم شيئاً من ذلك لان الشورى والخل والعقد لا تكون الا لصاحب عصبيّة يقتدر بها على حل او عقد او فعل او ترك وانما من لا عصبيّة له ولا يملك من امر نفسه شيئاً ولا من حمايتها وانما هو عيال على غيره فاني مدخل له في الشورى او ابي معنى يدعو الى اعناره فيها اللهم الا شوراه فيما يعلمه من الاحكام الشرعية فموحودة في الاستثناء خاصة واما شوراه

في السياسة فهو بعيد عنها لفقدانه العصبية والقيام على معرفة احوالها واحكامها وانما اكرامهم من ترشعات الملوك والامراء الشاهدة لهم بجميل الاعتقاد في الدين وتعظيم من ينتسب اليه باي جهة انتسب واما قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء فاعلم ان الفقهاء في الاغلب لهذا العهد وما احف به انما حملوا الشريعة اقوالاً في كيفية الاعمال في العادات وكيفية القضاء في المعاملات بصورتها على من يحتاج الى العمل بها هذه غاية اكارهم ولا يتصفون الا بالاقل منها وفي بعض الاحوال والسلف رضوان الله عليهم واهل الدين والورع من المسلمين حملوا الشريعة انصافاً بها وتحققاً بمذاهبها من حملها انصافاً وتحققاً دون نقل فهو من الوارثين مثل اهل رسالة القشيري ومن اجتمع له الامران فهو العالم وهو الوارث على الحقيقة مثل فقهاء التابعين والسلف والائمة الاربعة ومن اقتنى طريقهم وجاء على اثرهم واذا انفرد واحد من الامة باحد الامرين فالعائد احق بالوراثة من الفقيه الذي ليس بعائد لان العائد ورث صفة والفقيه الذي ليس بعائد لم يرث شيئاً اما هو صاحب اقوال ينصبها عليا في كيهيات العمل وهو لا اكثر فقهاء عصرنا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم

(العدالة) \* وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن مواد نصرية وحقيقية هذه الوظيفة القيام عن اذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم تحملاً عند الاشهاد واداء عند التنازع وكتماً في السجلات تحفظ به حقوق الناس واملاكهم ودونهم وسائر معاملاتهم وشرط هذه الوظيفة الانصاف بالعدالة الشرعية والعراءة من الجرح ثم القيام بكتب السجلات والعقود من جهة عمارتها وانتظام فصولها ومن جهة احكام شروطها الشرعية وعقودها فيحتاج حينئذ الى ما يتعلق بذلك من الفقه ولاجل هذه الشروط وما يحتاج اليه من المران<sup>(١)</sup> على ذلك والممارسة له اخضع ذلك لبعض العدول وصار الصف النائمون به كانوا ممنصون بالعدالة وليس كذلك وانما العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة ويجب على القاضي تصفح احوالهم والكشف عن سيرهم رعاية لشرط العدالة فيهم وان لا يهمل ذلك لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس فالعهدة عليه في ذلك كله وهو ضامن دركته واذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة عميت النائدة في تعيين من تحفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الامصار واشتداد الاحوال واضطرار القضاة الى النصل بين المتنازعين بالبينات الموثوقة فبعولون غالباً في التوق بها على هذا الصف ولهم في سائر الامصار



دكاكين ومصاطب يحنصون بالجلوس عليها فيتعاهدهم اصحاب المعاملات للشهاد ونقيده  
بالكتاب وصار مدلول هذه اللفظة مشتركاً بين هذه الوظيفة التي تين مدلولها وبين  
العدالة الشرعية التي هي اخت المرح وقد بتواردان ويفترقان والله تعالى اعلم

### الحسبة والسكة

اما الحسبة فهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو  
فرض على القائم بامور المسلمين يعين لذلك من يراه اهلاً له فيتعين فرضه عليه ويتخذ  
الاعوان على ذلك ويبحث عن المنكرات ويعزرو ويؤدب على قدرها ويحمل الناس على  
المصالح العامة في المدينة مثل المنع من المضايقة في الطرقات ومنع الخالين واهل السفن  
من الاكثار في الحمل والحكم على اهل الماني المتداعية للسقوط بهدمها وارالة ما يتوقع من  
ضررها على السابلة والصرب على ايدي المعلمين في المكاتب وغيرها في الابلاغ في ضررهم  
للصبيان المتعلمين ولا يتوقف حكمه على تنازع او استعداد بل له النظر والحكم فيما يصل الي  
عليه من ذلك ويرفع اليه وليس له امضاء الحكم في الدعاوي مطلقاً بل فيما يتعلق بالعيش  
والتدليس في المعاييس وغيرها وفي المكابيل والملازير وله ايضاً حمل الماطلين على الانصاف  
وامثال ذلك مما ليس فيه سماع بيعة ولا اسناد حكم وكاها احكام يوزه القاضي عنها العمومها  
وسهولة اغراضها فتدفع الى صاحب هذه الوظيفة ليقوم بها فوضعها على ذلك ان تكون  
خادمة لمصعب القضاء وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية مثل العبيدين بمصر  
والمغرب والامويين بالاندلس داخلية في عموم ولاية القاضي بولي فيها باختياره ثم لما  
انفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار طرهُ عاماً في امور السياسة ادرجت في  
وظائف الملك وافردت بالولاية

واما السكة . فهي النظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها مما يداخلها من  
الغش او النقص ان كان يتعامل بها عدداً او ما يتعلق بذلك ويوصل اليه من جميع  
الاعتبارات ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجداء والخلوص برسم تلك  
العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدبنار  
بعد ان يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش وتكون علامة على جودته  
بحسب الغاية التي وقف عندها السبك والتخليص في متعارف اهل القطر ومذاهب  
الدولة الحاكمة فان السبك والتخليص في النقود لا يقف عند غاية وانما ترجع غايته الى

الاجتهاد فاذا وقف اهل افق او قطر على غاية من التخليص وقفوا عندها وسموها اماماً  
وعباراً يعتبرون به نفودهم و ينتقدونها بما تلتوه فان نقص عن ذلك كان زيفاً والنظر في  
ذلك كله لصاحب هذه الوظيفة وهي دينية بهذا الاعتبار فنندرج تحت الخلافة وقد  
كانت تندرج في عموم ولاية القاضي ثم امردت لهذا العهد كما وقع في الحسبة هذا آخر  
الكلام في الوظائف الخلافية و بقيت منها وظائف ذهبت بذهاب ما ينظر فيه واخرى  
صارت سلطانية فوظيفة الامارة والوزارة والحرب والمخراج صارت سلطانية تتكلم عليها  
في اماكنها بعد وظيفة الجهاد ووظيفة الجهاد بطلت ببطلان الا في قليل من الدول يمارسونه  
و يدرجون احكامه غالباً في السلطانيات وكذا نقابة الاساب التي يتوصل بها الى الخلافة  
او الحق في بيت المال قد بطلت لدثور الخلافة ورسومها وبالمحملة قد اندرجت رسوم  
الخلافة ووظائفها في رسوم الملك والسياسة في سائر الدول لهذا العهد والله مصرف الامور  
كيف يشاء

### الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب نامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء  
وذلك انه لما نوبع ابو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم وسائر  
المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الامر على ذلك الى ان هلك  
فلما نوبع لعمر بعده اليه كانوا يدعون خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانهم  
استغفلوا هذا اللقب بكثرته وطول اضافته وانه يتزايد فيما بعد دائماً الى ان ينتهي الى العجينة  
ويذهب منه التمييز تعدد الاضافات وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب  
الى ما سواه مما يناسبه ويدعى به مثله وكانوا يسمون قواد العوث باسم الامير وهو فعيل  
من الامارة وقد كان الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم امير مكة وامير الحجاز وكان  
الصحابة ايضاً يدعون سعد بن ابي وقاص امير المؤمنين لامارتة على جيش القادسية وهم  
معظم المسلمين يومئذ وانفق ان دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه يا امير المؤمنين  
فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال ان اول من دعاه بذلك عبد الله بن جحش  
وقيل عمر بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل يريد جاء بالفتح من بعض العوث ودخل  
المدينة وهو يسال عن عمر ويقول ابن امير المؤمنين وسمعا صحابة فاستحسنوه وقالوا  
اصبت والله اسمه انه والله امير المؤمنين حقاً فدعوه بذلك وذهب لقناله في الناس وتوارثه

الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون فيها احد سواهم ساء دولة بني امية ثم ان الشيعة خصوا  
 علياً باسم الامام نعتاً له بالامامة التي هي اخت الخلافة وتعريراً بذهبهم في انه حق بامامة  
 الصلاة من ابي بكر لما هو مذهبيهم وبتدعيم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون اليه منصب  
 الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالامام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء حتى اذا  
 يستولون على الدولة يجولون اللقب فيما بعده الى امير المؤمنين كما فعله شيعة بني العباس  
 فانهم ما زالوا يدعون ائمتهم بالامام الى ابراهيم الذي جهروا بالدعاء له وعقدوا الرايات  
 للحرب على امره فلما هلك دعي اخوه السامع بامير المؤمنين وكذا الرافضة باقر يقياً فانهم  
 ما زالوا يدعون ائمتهم من ولد اسماعيل بالامام حتى انتهى الامر الى عميد الله المهدي وكانوا  
 ايضاً يدعون بالامام ولاسيما ابي القاسم من بعده فلما استوتق لهم الامر دعوا من بعدها  
 بامير المؤمنين وكذا الادارسة بالمغرب كانوا يلقون ادريس بالامام واسه ادريس  
 الاصغر كذلك وهكذا شانهم وتوارث الخلفاء هذا اللقب بامير المؤمنين وجعلوه سمة لمن  
 يملك الحجاز والشام والعراق المواطن التي هي ديار العرب ومراكز الدولة واهل الملة  
 والفتح وازداد لذلك في عنوان الدولة وبذخها لقب اخر للخلفاء يتميز به بعضهم عن بعض  
 لما في امير المؤمنين من الاشتراك بينهم فاستحدث ذلك بنو العباس حجاً لاسمائهم الاعلام  
 عن امتهانها في السنة السوقية وصوباً لها عن الاتبدال فتلقوا بالسفاح والمنصور والمهدي  
 والهادي والرشيدي الى اخر الدولة واقفني اثرهم في ذلك العبيديون بافريقية ومصر وتجايف  
 بنو امية عن ذلك بالمشرق قبلهم مع الغضاضة والسداجة لان العروبية ومنار عهالهم  
 فارقهم حينئذ ولم يتحول عنهم شعار الندوة الى شعار الحصاره واما بالاندلس فتلقوا  
 كسلبهم مع ما علموه من انفسهم من القصور عن ذلك بالقصور عن ملك الحجاز اصل العرب  
 والملة والعدعس دار الخلافة التي هي مركز العصبية وانهم اما معولاً بامارة القاصية انفسهم  
 من مهالك بني العباس حتى اذا جاء عبد الرحمن الداخل الاخر منهم وهو الناصر بن  
 محمد بن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الاوسط لاول المائة الرابعة واشتهر ما  
 نال الخلافة بالمشرق من الحجر واستداد الموالي وعيتمهم في الخلفاء بالعرل والاستبدال  
 والقتل والسمل ذهب عبد الرحمن هذا الى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وافريقية ونسبوا  
 بامير المؤمنين وتلقب بالناصر لدين الله واخذت من بعده عادة ومذهب لقب عنه ولم  
 يكن لا بائيه وسلف قومه واستمر الحال على ذلك الى ان افرضت عصبية العرب اجمع  
 وذهب رسم الخلافة وتغلب الموالي من العجم على بني العباس والصنائع على العبيديين

بالقاهرة وصنهاجة على امراء افريقية وزناتة على المغرب وملوك الطوائف بالاندلس على امرسي امية واقسموه واقترق امر الاسلام فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والمشرق في الاختصاص بالالقباب بعد ان تسموا جميعاً باسم السلطان . فاما ملوك المشرق من العجم فكان الخلفاء يخصونهم بالقباب تشرية حتى يستشعر منها اقيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم مثل شرف الدولة وعسد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة وبصير الدولة ونظام الملك وبياء الدولة وذخيرة الملك وامثال هذه وكان العبيديون ايضاً يخصون بها امراء صنهاجة فلما استبدوا على الخلافة قنعوا بيده الالقباب وتجاوزوا عن القاب الخلافة ادباً معها وعدولاً عن سماها المختصة بها شان المتغلبين المستبدين كما قلناه وبرع المتأخرون اعاحم المشرق حين قوي استدادهم على الملك وعلا كعبهم في الدولة والسلطان وتلاشت عصبية الخلافة واضمحلت بالجملة الى انخزال الالقباب الخاصة بالملك مثل الناصر والمنصور وزيادة على القباب يخصون بها قبل هذا الانخزال مشعرة بالحروج عن رقة الولاة والاصطناع بما اضافوها الى الدين فقط فيقولون صلاح الدين اسد الدين نور الدين . واما ملوك الطوائف بالاندلس فاقسموا القباب الخلافة وتوزعوها لقوة استدادهم عليها بما كانوا من قبيلها وعصبيتها فتلقوا بالناصر والمنصور والمعتمد والمظفر وامثالها كما قال ابن ابي شرف ينعي عليهم

ما يزهدي في ارض اندلس اسما معتمد فيها ومعتمد  
القباب مملكة في غير موضعها كاهر بحكي اتماخاً صورة الاسد

واما صنهاجة فاقترقوا عن الالقباب التي كان الخلفاء العبيديون يلقنون بها للتنبؤ به مثل نصير الدولة ومعز الدولة واتصل لهم ذلك لما ادالوا من دعوة العبيديين بدعوة العباسيين ثم عدت الشقة بينهم وبين الخلافة وسوا عهدها فنسوا هذه الالقباب واقترقوا على اسم السلطان وكذا شان ملوك مغراة بالمغرب لم يتحلوا شيئاً من هذه الالقباب الاسم السلطان جرباً على مذاهب الداوة والغصاضة ولما محي رسم الخلافة ونعطل دستها وقام بالمغرب من قبائل المرير يوسف بن شامين ملك لمتونة فملك العدوتين وكان من اهل الحير والافتداء نزعته به همتة الى الدخول في طاعة الخليفة تكبيراً لمراسم دينه فحاطب المستظهر العاسي وارفع عليه بعثة عدالله بن العربي وانه القاضي انا نكر من مشيخة اشيلية بطلان توليته اياها على المغرب ونقله ذلك فافلسوا اليه عهد الخلافة له على المغرب واستشعار زهم في لوسه ورتبه وخطبه فيه يا امير المؤمنين تشريفاً واختصاصاً فاتخذها لقباً

ويقال انه كان دعي له بامير المؤمنين من قبل محمد با مع رتبة الخلافة لما كان عليه هو وقومه المرابطون من اتحال الدين واتباع السنة وجاء المهدي على اثرهم داعياً الى الحق آخذاً بمذاهب الاشعرية ناعياً على اهل المغرب عدوهم عنها الى تقليد السلف في ترك التناويل لظواهر الشريعة وما يؤول اليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الاشعرية وسعى اتباعه الموحدون تعريصاً بذلك التكبير وكان يرى اهل البيت في الامام المعصوم وانه لا يد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسي بالامام لما قلناه اولاً من مذهب الشيعة في القاب خلفائهم واردف بالمعصوم اشارة الى مذهبه في عصمة الامام وتزده عدد اتباعه عن امير المؤمنين اخذاً بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الاغمار والولدان من اعقاب اهل الخلافة يومئذٍ بالمشرق ثم اتحل عبد المؤمن ولي عهد اللقب بامير المؤمنين وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن وآل ابي حفص من بعدهم استثنائاً به عن سواهم لما دعا اليه شيخهم المهدي من ذلك وانه صاحب الامر واولياؤه من بعده كذلك دون كل احد لاتفاء عصبية قريش وتلاشيها فكان ذلك داهمهم ولما انتقض الامر بالمغرب وانتزعه زبانة ذهب اولهم مذاهب البداوة والسذاجة واتع لتونة في اتحال اللقب بامير المؤمنين أدياً مع رتبة الخلافة التي كانوا على طاعتها لبني عبد المؤمن اولاً ولبنينا ابي حفص من بعدهم ثم نزع المتأخرون منهم الى اللقب بامير المؤمنين واتخلوه لهذا العهد استدلاً بما في منازع الملك وتتمياً لمذاهبه وسمائه والله غالب على امره

### الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود اعلم ان الملة لا بد لها من قائم عند غيبة النبي بحملهم على احكامها وشرائعها ويكون كالتحليفة فيهم للنبي فيما جاء به من التكليف والنوع الانساني ايضاً بما تقدم من ضرورة السياسة فيهم للاجتماع الشرعي لاندلهم من تنخص بحملهم على مصالحهم ويزعم عن مفاسدهم بالقهر وهو المسمى بالملك والملة الاسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعاً وعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام طوعاً او كرهاً اتحدت فيها الخلافة والملك لتوجه الشوكة من القائمين بها اليهما معاً واما ما سوى الملة الاسلامية فلم تكن دعوتهم عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً الا في المدافعة فقط فصار القائم بامر الدين فيها لا يعنيه شيء من سياسة الملك

وإنما وقع الملك لمن وقع منهم بالعرض ولامر غير ديني وهو ما اقتضته لهم العصبية لما فيها  
 من الطلب للملك بالطبع لما قدمناه لانهم غير مكلفين بالتغلب على الام كما في الملة  
 الاسلامية وإنما هم مطلوبون باقامة دينهم في خاصتهم ولذلك بقي بنو اسرائيل من بعد  
 موسى ويوشع صلوات الله عليهم نحو اربع مائة سنة لا يعنون بشيء من امر الملك انما هم  
 اقامة دينهم فقط وكان القائم به بينهم يسمى الكوهن كانه خليفة موسى صلوات الله عليه يقيم  
 لهم امر الصلاة والقربات ويشترطون فيه ان يكون من ذرية هارون صلوات الله عليه  
 لان موسى لم يعقب ثم اختاروا لاقامة السياسة التي هي للشر بالطبع سبعين شيخاً كانوا  
 يتلون احكامهم العامة والكوهن اعظم منهم رتبة في الدين وابتعد عن تغلب الاحكام  
 وانصل ذلك فيهم الى ان استحكمت طبيعة العصبية ونحضت الشوكة للملك فغلبوا  
 الكنعانيين على الارض التي اورثهم الله بيت المقدس وما جاورها كما بين لهم على لسان  
 موسى صلوات الله عليه فحاربهم امم الفلسطينيين والكنعانيين والارمن واوردن وعمان  
 ومارب ورثاسهم في ذلك راحة الى شيوخهم واقاموا على ذلك نحواً من اربعة مائة سنة ولم  
 تكن بهم صولة الملك وضجربنوطالوت وعلب الامم وقتل جالوت ملك الفلسطينيين  
 ثم ملك بعده داود ثم سليمان صلوات الله عليهما واستغفل ملكة وامتدالى الحجاز ثم اطراف  
 اليمن ثم الى اطراف بلاد الروم ثم افترق الاساط من بعد سليمان صلوات الله عليه  
 بمقتضى العصبية في الدول كما قدمناه الى دولتين كانت احدهما بالجزيرة والموصل  
 للاسباط العشرة والاخرى بالقدس والشام لبني يهوذا وبنيامين ثم غلبهم بخت نصر ملك  
 بابل على ما كان بايديهم من الملك اولاً الاسباط العشرة ثم ثانياً بني يهوذا وبيت  
 المقدس بعد اتصال ملكهم نحو الف سنة وخراب معبدهم واحرق توراتهم وامات دينهم  
 ونقلهم الى اصبهان وبلاد العراق الى ان ردهم بعض ملوك الكيانية من الفرس الى بيت  
 المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم من المسجد واقاموا امر دينهم على الرسم الاول  
 للكهنة فقط والملك للفرس ثم غلب الاسكندر ونوبوان على الفرس وصار اليهودي في ملكهم  
 ثم قتل امراليونانيين فاعتز اليهود عليهم بالعصبية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء عليهم  
 وقام بملكهم الكهنة الذين كانوا فيهم من بني حشمتاي وقاتلوا يونان حتى انقض امرهم  
 وغلبهم الروم فصاروا تحت امرهم ثم رجعوا الى بيت المقدس وفيها بنو هيرودس اصهار  
 بني حشمتاي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتتحوها عنوة والغشول في القتل والهدم والتعريق  
 وخرابوا بيت المقدس واجلوهم عنها الى رومة وما راءها وهو الخراب الثاني للمسجد ويسميه

اليهود بالجلوة الكبرى فلم يبق لهم بعدها ملك لفقدان العصية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم من بعدهم يقيم لهم امردينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن \* ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ لبعض احكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق العجيبة من اراء الاكاهمة والارض واحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس وامنوا به واكثرهم الخواريون من اصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلاً الى الافاق داعين الى دينه وذلك ايام اوغسطس اول ملوك القياصرة وفي مدة هيرودس ملك اليهود الذي انتزع الملك من بني حشمناي اصهاره فحسده اليهود وكذبوه وكان هيرودس ملكهم ملك القياصرة اوغسطس يغريه به فاذن لهم في قتله ووقع ما تلاه القرآن من امره واقترب الخواريون شيعاً ودخل اكثرهم بلاد الروم داعين الى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فقتل برومة دار ملك القياصرة ثم كتبوا الانجيل الذي انزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ اربع على اختلاف رواياتهم فكتب متى الانجيل في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي منهم الى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم الانجيل باللاتيني الى بعض اكار الروم وكتب يوحنا بن زبدي منهم الانجيل برومة وكتب بطرس الانجيل باللاتيني ونسبه الى مرقاس تلميذه واختلفت هذه النسخ الاربعة من الانجيل مع انها ليست كلها واحياً صرفاً بل متشعبة بكلام عيسى عليه السلام وكلام الخواريين وكلها مواظ وقصص والاحكام فيها قليلة جداً واجتمع الخواريون الرسل لذلك العهد برومة ووضعوا قوايين الملة النصرانية وصيروها بيد اقليسطس تلميذ بطرس وكتبوا فيها عدد الكتب التي يجب قولها والعمل بها فمن شريعة اليهود القديمة التوراة وهي خمسة اسفار وكتاب يوشع وكتاب الفصاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك اربعة وسفر نيامين وكتب المقايين لان كريبون ثلاثة وكتاب عزرا الامام وكتاب اوشير وقصة هامان وكتاب ايوب الصديق ومزامير داود عليه السلام وكتب ابنه سليمان عليه السلام خمسة وسوات الانبياء الكبار والصغار ستة عشر وكتاب يتسوع بن شارخوزبر سليمان ومن شريعة عيسى صلوات الله عليه المتلفة من الخواريين نسخ الانجيل الاربعة وكتب القناليقون سبع رسائل وتامنها الابريكسيس في قصص الرسل وكتاب بولس اربع عشرة رسالة وكتاب اقليسطس وفيه الاحكام وكتاب ابوغالمسيس وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي واختلف شان القياصرة في الاخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم اهلها ثم تركها اخرى والتسلط عليهم بالقتل والنفي الى ان جاء قسطنطين واخذ بها واستمر واعليها وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه ويسمونه

البطرك وهو رئيس الملة عندهم وخليفة المسيح فيهم يبعث نوابه وخلفاءه الى ما بعد عنه من ام النصرانية ويسمونه الاسقف اي نائب البطرك ويسمون الامام الذي يقيم الصلوات ويفتيهم في الدين بالقسيس ويسمون المقطع الذي حبس نفسه في الخلوقة للعبادة بالراهب واكثر خلواتهم في الصوامع وكان بطرس الرسول راس الحواريين وكبير التلاميذ برومة يقيم بهادين النصرانية الى ان قتله يرون خامس القياصرة فيس قتل من الطارق والاساقفة ثم قام بخلافته في كرسى رومة اربوس وكان مرقاس الانجيلي بالاسكندرية ومصر والمغرب داعياً سبع سنين فقام بعده حنايا ونسى بالطرك وهو اول الطاركة فيها وحمل معه اثني عشر قساً على انه اذا مات الطرك يكون واحداً من الاثني عشر مكانه ويختار من المومنين واحداً مكان ذلك الثاني عشر فكان امر الطاركة الى الفسوس ثم لما وقع الاختلاف بينهم في قواعد دينهم وعقائده واجتمعوا سبعة ايام قسطنطين لتحرير الحق في الدين وانفق ثلاثمائة وثمانية عشر من اساقفتهم على راي واحد في الدين فكتبوه وسموه الامام وصيره اصلاً يرجعون اليه وكان فيما كتبه ان البطرك القائم بالدين لا يرجع في تعيينه الى اجتهاد الاقصة كما قرره حنايا تلميذ مرقاس واطلوا ذلك الراي واما يقدم عن ملاء واختيار من ائمة المؤمنين وروسائهم فبقي الامر كذلك ثم اختلفوا بعد ذلك في تقرير قواعد الدين وكانت لهم مجتمعات في تقريره ولم يجتمعوا في هذه القاعدة فبقي الامر فيها على ذلك واتصل فيهم بياضة الاساقفة عن الطاركة وكان الاساقفة يدعون الطرك بالاب ايضاً تعظيماً له فاشتبه الاسم في اعصار متطاولة يقال آخرها نطركية هرقل ماسكندرية فارادوا ان يميزوا الطرك عن الاسقف في التعظيم فدعوه البابا ومعناه ابو الاماء وطهر هذا الاسم اول ظهوره بمصر على ما رعم حرجيس بن العميد في تاريخه ثم نقلوه الى صاحب الكرسى الاعظم عندهم وهو كرسى رومة لانه كرسى بطرس الرسول كما قدمناه فلم ينزل سبعة عليه الى الان ثم اختلفت الصارى في دينهم بعد ذلك وفيما يعتقدونه في المسيح وصاروا طوائف وفرقا واستظهروا بملوك النصرانية كل على صاحبه فاختلف الحال في العصور في ظهور فرقة دون فرقة الى ان استقرت لهم ثلاثة طوائف هي فرقة ولا يلتفتون الى غيرها وهم الملكية واليعقوبية والسطورية ولم يران نسيم اوراق الكتاب بذكر مذهب كفرهم في الجملة معروفة وكلها كفر كما صرح به القرآن الكريم ولم ينسبوا وبهم في ذلك جدال ولا استدلال انما هو الاسلام او الجزية او القتل ثم اخضعت كل فرقة منهم بطرك فطرك رومة اليوم المسمى بالبا على راي الملكية ورومة للفرنجة وملكهم قائم تلك الناحية وبترك



المعاهدین بمصر علی رأی الیعقوبیة وهو ساکن بین ظهرا بیهم والحسنة یدینون یدینهم  
ولطرك مصرفیهم اساقفة ینوبون عنه فی اقامة دینهم هنالك واخص اسم البابا بطرك  
رومة لهذا العهد ولا نسی الیعاقبة نظرکم بهذا الاسم وضط هذه اللفظة ساءین موحدين  
من اسفل والنطق بها مخمبة والثانیة مشددة ومن مذاهب البابا عند الافرنجة انه یخضمهم  
علی الاقیاد للملك واحد یرجعون الیه فی اختلافهم واجتماعهم تحرجاً من افتراق الکلمة  
ویخترى به العصبیة التي لا فوقها مهم لتكون یدیه عالیة علی جمیعهم ویسمونه الانرذور<sup>(١)</sup>  
وحرقة الوسط بین الدال والطاء المجبتین ومشاره یضع التاج علی رأسه للتترك فیسمى  
المتوج ولعله معنی لفظه الانرذور وهذا ملخص ما اوردها من شرح هذین الاسمین  
للذین هما البابا والكوهن والله یصل من یشاء ویهدی من یشاء

### الفصل الرابع والثلاثون

فی مراتب الملك والسلطان والقابها

اعلم ان السلطان فی نفسه صعب یحمل امرأً ثقیلاً فلا بد له من الاستعانة باناء  
جنسه وإذا كان یستعین بهم فی ضرورة معاشه وسائر مهته<sup>(٢)</sup> فما ظلك سیاسة بوعه ومن  
استرعه الله من خلفه وعماده وهو محتاج الی حمایة الكفاة من عدوهم والمدافعة عنهم والی  
كف عدوان بعضهم علی بعض فی انفسهم بامضاء الاحكام الوازعة فیهم وكف العدوان  
علیهم فی اموالهم باصلاح سائلتهم والی حملهم علی مصالحتهم وما نعمهم به البلوی فی معاشهم  
ومعاملاتهم من تفقد المعایس والمكابیل والموارین حذراً من التطیف والی النظر فی  
السكة بمنظ النقود التي یعاملون بها من الغش والی سیاستهم بما یریده مهم من الاقیاد  
له والرصى بمقاصد مهم وانراده للمجد دونهم فیتحمل من ذلك فوق الغایة من معاناة  
القلوب قال بعض الاشراف من الحكماء لمعاناة نقل الجبال من اماكنها اهون علی من  
معاناة قلوب الرجال ثم ان الاستعانة اذا كانت باولی القرین من اهل السب او التریبة او  
الاصطاع القديم للدولة كانت اكمل لما یقع فی ذلك من مجاسة خلفهم لخلفه فتمت المشاکلة  
فی الاستعانة قال نعالی واجعل لی وزیراً من اهلی هارون اخي اتدد به أزری وأشركه  
فی امری وهو اما ان یستعین فی ذلك نسیه او قلمه او رایه او معارفه او بحجابیه عن الناس  
ان یردحموا علیه فیشعلوه عن النظر فی مهامهم او یدفع النظر فی الملك کلده ویعول علی

(١) المشهور صی امپراطور بالقنا المہملة والمرسیس نقول امپرور ومعناها عدمه ملك الملوك او

(٢) المہنة الخدمة وحمها من بکسر المیم

كفائته في ذلك واصطلاحه فلذلك قد توجد في رجل واحد وقد تفرق في اشخاص وقد يتفرع كل واحد منها الى فروع كثيرة كالقلم يتفرع الى قلم الرسائل والمحاطبات وقلم الصكوك والاقطاعات والى قلم المحاسبات وهو صاحب الجباية والعطاء وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب الشرطة وصاحب البريد وولاية التفوير ثم اعلم ان الوظائف السلطانية في هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة لاحتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدمناه فالاحكام الشرعية متعلقة بجميعها وموحد لكل واحدة منها في سائر وحوها العموم تعلق الحكم الشرعي بجميع افعال العباد والفقهاء ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط نفاذها استناداً على الخلافة وهو معنى السلطان او تعويصاً منها وهو معنى الوزارة عندهم كما ياتي وفي نظره في الاحكام والاموال وسائر السياسات مطلقاً او مقيداً وفي موحدات العزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من وزارة او جباية او ولاية لاند للفقهاء من النظر في جميع ذلك كما قدمناه من السحاب حكم الخلافة الشرعية في الملة الاسلامية على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في وظائف الملك والسلطان ورتبته انما هو بمقتضى طبيعة العمران ووجود الشر لا بما يخصها من احكام الشرع فليس من غرض كنا سنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعية مع انها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل كتاب القاضي ابي الحسن الماوردي وغيره من اعلام الفقهاء فان اردت استنباطها فعليك بمطالعتهما هنالك وانما تكلمنا في الوظائف الخلفية واورداها ليميز بينها وبين الوظائف السلطانية فقط لا لتحقيق احكامها الشرعية فليس من غرض كنا سنا وانما نتكلم في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الاساسي والله الموفق

الوزارة \* وهي أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة الماخودة اما من الموارد وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع معاملة اوزار و اتقائه وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كما قدما في اول الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة لانها اما ان تكون في امور حماية الكافة واسبابها من النظر في الجدد والسلاح والحروب وسائر امور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب وانما ان تكون في امور مخاطباته لم تعد عنه في المكان او في الزمان وتنفيذه الاوامر من هو محبوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب وانما ان تكون في امور جباية المال وانفاقه وضبط

ذلك من جميع وجوهه ان يكون بمصيعة وصاحب هذا هو صاحب المال والحماية وهو  
المسي بالنوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان يكون في مدافعة الناس ذوي الحاجات عنه  
ان يزدحموا عليه فيستعلوه عن فهمه وهذا راجع لصاحب الباب الذي يحجه فلا تعدو  
احواله هذه الاربعة بوجه وكل خطية او رتبة من رتب الملك والسلطان فالها يرجع  
الا ان الرفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف اذ  
هو يقتضي مباشرة السلطان دائماً ومشاركته في كل صف من احوال ملكه واما ما كان  
خاصاً ببعض الناس او بعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة تغراو ولاية  
حماية خاصة او النظر في امر خاص كحسنة الطعام او النظر في السكة فان هذه كلها نظر  
في احوال خاصة فيكون صاحبها تعلقاً لاهل النظر العام وتكون رتبته مروسة لا وائلك وما  
زال الامر في الدول قبل الاسلام هكذا حتى جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت  
تلك الخطط كلها بدهاب رسم الملك الى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأي والمناوضة فيه  
فلم يمكن رواله اذ هو امر لادمه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويأوصهم في  
مهاتبه العامة والخاصة ويخص مع ذلك انا بكر بمخصوصيات اخرى حتى كان العرب الذين  
عرفوا الدول واحوالها في كسرى وقيصر والتغاني يسمون انا بكر وريرة ولم يكن لنظر  
النور يعرف بين المسلمين لدهاب رتبة الملك بسداحة الاسلام وكذا عمر مع ابي بكر  
وعلي وعثمان مع عمر واما حال الحماية والائناق واحسان فلم يكن عندهم رتبة لان القوم  
كانوا عرباً يمين لا يجسسون الكتاب والحساب فكانوا يستعملون في الحساب اهل  
الكتاب او افراداً من موالى العمدة من يحمده وكان قليلاً فيهم واما اشراهم فلم يكونوا  
يحمده لان الامية كانت صنيتهم التي امتازوا بها وكذا حال المحاطبات وتعيد الامور  
لم تكن عندهم رتبة خاصة للامية التي كانت فيهم والامانة العامة في كتابان القول وتأديته  
ولم تخرج السياسة الى اختياره لان الخلافة انا هي دين ليست من السياسة الملكية في تني  
من يضا فلم تكن الكتانة صاعقة فيستجد للحليمة احسنها لان الكل كانوا يعرون عن مقاصدهم  
بالع عبارات ولم يبق الا الخط فكان الحليمة يستنذب في كتابته متى عن له من يحسنه  
واما مدافعة ذوي الحاجات عن اموالهم فكان محظوراً بالشريعة فلم يعلموه فلما اقلقت  
الخلافة الى الملك وحاجت رسوم السلطان والقائه كان اول تني يد في الدولة شان  
الباب وسده دون الجمهور بما كانوا يجسسون عن انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم كما  
وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمر بن العاصي وغيرهم مع ما في فتحه من ارجام الناس عليهم

وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب وقد جاء ان عبد الملك  
 لما ولي جاجه قال له قد ولت لك حجابة نبي الاعن ثلاثة المودن للصلاة فانه داعي الله  
 وصاحب البريد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد ثم استنحل الملك بعد ذلك  
 فظهر المشاور والمعين في امور القنائل والعصائب واستنلافهم واطلق عليه اسم الوربروني  
 امر الحسنان في الموالي والذميين واتخذ للسجلات كاتب مخصوص حوطة على اسرار  
 السلطان ان تشتهر فتمسد سياسته مع قومه ولم يكن بمثابة الوربر لانه انما احتجج لانه حيث  
 الخط والكتاب لا من حيث اللسان الذي هو الكلام اذ اللسان لذلك العهد على حاله  
 لم يفسد فكانت الورارة لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذا في سائر دولة بني أمية فكان النظر  
 للوربر عاماً في احوال التدبير والمناوصات وسائر امور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من  
 النظر في ديوان الحمد وفرص العطاء بالاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بني العباس  
 واستنحل الملك وعلمت مراتبه وارتفعت عظم شأن الوربر وصارت اليه الليانة في اناذان الحل  
 والعقد تعينت مرتبته في الدولة وعمت لها الوحوه وخصعت لها الرقاب وحعل لها النظر  
 في ديوان الحسنان لما تخناح اليه خلته من قسم الاعطيات في الحمد فاحتاج الى النظر في جميعه  
 ونهريقه واصيب اليه النظر فيه تم جعل له النظر في القلم والترسيل لصور اسرار السلطان  
 ولحفظ البلاعة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وحعل الحاتم لسجلات السلطان ليحفظها  
 من الدباغ والتباعد ودفع اليه بصار اسم الوربر جامعاً لحظتي السيف والقلم وسائر معاني الورارة  
 والمعونة حتى اتد دعى جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره وقيامه  
 بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة التي هي القيام على الباب فلم تكن له  
 لاستكافه عن مثل ذلك ثم جاء في الدولة العباسية شان الاستناد على السلطان وتعاور  
 فيها استناد الورارة مرةً والسلطان اخرى وصار الوربر اذا استند محتاجاً الى استناد الخليفة  
 اياً ذلك لتصح الاحكام الشرعية وتحي على حالها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى  
 وزارة تنفيذ وهي حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه والى وزارة توبيخ وهي حال ما  
 يكون الوربر مستنداً عليه تم استمر الاستناد وصار الامر للملك العبد وتعتل رسم الخلافة  
 ولم يكن لاولئك المعلمين ان يتخطوا القاب الخلافة واستنكها من مشاركة الورراء في  
 اللقب لانهم حول لهم فتسمى بالامارة والسلطان وكان المستند على الدولة يسمى امير الامراء  
 او بالسلطان الى ما يليه في الخليفة من القاب كما تراه في القاموس وتركوا اسم الورارة الى من  
 يتولاها للخليفة في خاصته ولم يرل هذا السان عداهم الى اخر دولتهم وفسد اللسان حلال

ذلك كله وصارت صاعة يتغلها بعض الناس فامتنت وترفع الوزراء عنها لذلك  
 ولانهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات  
 واخصت به وصارت خادمة للوزير واخص اسم الامير بصاحب الحروب والجند وما  
 يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ في الكل اما يابا واسباندا  
 واستمر الامر على هذا ثم جاءت دولة الترك اخراً بمصر فراءوا ان الوزارة قد اشدت بترفع  
 اولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخدمة المحجور ونظره مع ذلك تعقب بنظر الامير  
 فصارت مروسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة  
 وصار صاحب الاحكام والنظر في الجديسي عدمه بالنائب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب  
 في مدلوله واخص اسم الوزير عدمه بالطرفي الجمالية . واما دولة سي امية بالاندلس  
 فاهوا اسم الوزير في مدلوله اول الدولة تم قسموا خطته اصافاً وافردوا لكل صنف وزيراً  
 فعملوا لحسان المال وزيراً وللترسيل وزيراً وللظرفي حواش المتظلمين وزيراً وللظرفي  
 احوال اهل الثغور وزيراً وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش مصدهم وبيدون امر  
 السلطان هالك كل فيما جعل له وافرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم مباشرة  
 السلطان في كل وقت فانزع محلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يرل الشان هذا  
 الى اخر دولتهم فانزعت خطة الحاجب ومرنته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف  
 يتعملون لقبها فاكثرهم يومئذ يسمى الحاجب كما تذكره ثم جاءت دولة الشيعة نافر يقية  
 والقير وان وكان للقاءين بها رسوخ في الداوة فاغفلوا امر هذه الخطط اولاً وتنبع اسمائها  
 حتى ادركت دولتهم الحصاره فصاروا الى تقليد الدولتين قلمهم في وضع اسمائها كما تراه في  
 اخبار دولتهم \* ولما جاءت دولة الموحدين من بعد ذلك اغفلت الامر اولاً للبداءة ثم صارت  
 الى انفعال الاسماء واللقاب وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامو بين وقلدها في  
 مذاهب السلطان واخبار واسم الوزير لمن يحب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين  
 على السلطان عند الحدود وفي تحيتهم وخطابهم والاداب التي تلزم في الكون بين يديه ورفوعوا  
 خطة الحجامة عنه ما شاءوا ولم يرل الشان ذلك الى هذا العهد واما في دولة الترك بالمشرق  
 فيسهون هذا الذي يقف بالناس على حدود الاداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان  
 والتقدم بالوفود بين يديه والودار ويضيفون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البريد  
 المتصرفين في حاجات السلطان بالقافية وبالخاضرة وحالم على ذلك لهذا العهد والله  
 مولي الامور لمن يشاء \* ( الحجامة ) \* قد قد منا ان هذا اللقب كان مخصوصاً في الدولة

الاموية والعباسية من بحجب السلطان عن العامة و يغلق باب دولتهم او يفتح لهم على قدره  
 في موافقته وكانت هذه منزلة يومئذ عن الحطط مروءة لها اد الورر متصرف فيها بما  
 يراه وهكذا كانت سائر ايام بني العباس والى هذا العهد فمن صدر مروءة وسعة لصاحب  
 الحطة العليا المسمى بالنائب\* واما في الدولة الاموية بالاندلس فكانت الحجة لمن  
 بحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الورراء فمن دولتهم فكانت  
 في دولتهم ربيعة غاية كما تراه في اخبارهم كان حديد وغيره من سخاهم ثم لما جاء الاستناد  
 على الدولة اخضع المستند باسم الحجة لشرفها فكان المصور من الي عامر وابناؤه كذلك  
 ولما بدا في مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم من ملوك الضوائف فلم يتركوا لقبها  
 وكانوا يعدونه شرفاً لهم وكان اعظمهم ملكاً بعد اتخا القاب الملك واسماؤه لاندله من  
 ذكر الحاجب وذي الوزارتين يعون به السيف والقلم ويدلون بالحجة على حجة  
 السلطان عن العامة والخاصة وذي الوزارتين على جمعه لحظتي السيف والقلم ثم لم يكن  
 في دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للنداء التي كانت فيهم وربما يوجد في دولة  
 العبيديين بمصر عند استعظامها وحصارها الا انه قليل\* ولما جاءت دولة الموحدين  
 لم تستمكن فيها الحصار الداعية الى اتخا الالقاب وتمييز الحطط وتعيينها بالاسماء الا  
 اخراً فلم يكن عندهم من الرتب الا الورر فكانوا اولاً يحضون بهذا الاسم الكتاب  
 المتصرف المشارك للسلطان في خاص امره كان عطية وعند السلام الكومي وكان له  
 مع ذلك النظر في الحساب والاتعال المالية ثم صار بعد ذلك اسم الورر لاهل سب  
 الدولة من الموحدين كان جامع وغيره ولم يكر اسم الحاجب معروفاً في دولتهم يومئذ\*  
 (واما سنوحي حصص بافريقية فكانت الرئاسة في دولتهم اولاً والتقدم لورر والراي  
 والمشورة وكان يخص باسم شيخ الموحدين وكان له النظر في الولايات والعزل وقود  
 العساكر والحروب واخص الحسان والديوان برتبة اخرى ويسمى متوليها بصاحب  
 الاشغال ينظر فيها النظر المطلق في الدخل والخرج وبجاسد ويستخلص الاموال  
 ويعاقب على التهرب وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واخص عنهم القلم ايضاً  
 من يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار لان الكتابة لم تكن من متعل النوم ولا الترسيل  
 بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المترفين بداره الى  
 قهرمان خاص بداره في احواله يجرها على قدرها وترتيبها من ررق وعطاء وكسوة  
 وبنقة في المطابخ والاصطلات وغيرها وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على

اهل الجباية فنحسوه باسم الحاجب وربما اضافوا اليه كتابه العلامة على السجلات اذا اتفق  
انه يحس صناعة الكتانة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه  
عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له اخر  
الدولة السيف والحرب ثم الراي والمثورة فصارت الخطة ارفع الرتب واوعبها للخطط  
ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثاني عشر منهم ثم استبد بعد ذلك  
حميدة السلطان ابو العباس على نفسه وازهد اثار الحجر والاستبداد باذهاب خطة  
الحجابة التي كانت سلمًا اليه وباشر اموره كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر على  
ذلك لهذا العهد

واما دولة رنانه بالمغرب واعطبها دولة سي مزين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما  
رياسة الحرب والعساكر فهي للوزير ورتبة العلم في الحسان والرسائل راجعة الى من  
يحسبها من اهلها وان اخنصت بعض البيوت المصطفيين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد  
تفرق واما ناب السلطان وحججه عن العامة فهي رتبة عندهم فيسي صاحبها عندهم بالمرور  
ومعاه المتقدم على الحاضرة المتصرفين ناب السلطان في تنفيذ اوامره وتصريف  
عقوباته واهمال سلطوانته وحفظ المعتقلين في سجونه والعريف عليهم في ذلك فالناب له  
واحد الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة راجع اليه فكاتبها وراة صعري واما  
دولة سي عبد الواد فلا اثر عندهم لسي من هذه الالقب ولا تمييزًا للخطط لدواع دولتهم  
وقصورها واما يجمعون باسم الحاجب في بعض الاحوال منذ الحسان بالسلطان في داره  
كما كان في دولة سي ابي حص وقد يجمعون له الحسان والسجل كما كان فيها حملهم على  
ذلك تقليد الدولة بما كانوا في تبعها وقائين بدعوتها منذ اول امرهم

واما اهل الاندلس لهذا العهد فالخصوص عندهم بالحسان وتعيين حال السلطان  
وسائر الامور المالية يسبون بالوكيل واما الوزير فكالوزير الا انه قد يجمع له الترسل  
والسلطان عندهم يضع خطه على السجلات كلها فليس هناك خطة العلامة كما لغيرهم من  
الدول واما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من اهل الشوكة وهم  
الترك بسن الاحكام بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت  
وظيفة الياية التي لها احكم في اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق وللنائب التولية  
والعرل في بعض الوظائف على الاحيان ويقطع القليل من الارزاق ويشتها وتنفذ  
اوامره كما تنفذ المراسم السلطانية وكان له الياية المطلقة عن السلطان وللحاجب الحكم فقط

في طبقات العامة والجند عند الترافع اليهم واجبار من ابي الانقياد للحكم وطورهم تحت  
 طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف  
 اصنافها من خراج او مكس او جزية تم في نصريتها في الانفاقات السلطانية او الجرايات  
 المقدرة ولة مع ذلك التولية والعزل في سائر العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على  
 اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عوائدهم ان يكون هذا الوزير من صنف القبط  
 الفناءين على ديوان الحسان والجباية لاخصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد  
 يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك او ابتائهم على حسب  
 الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصر فيها بحكمته لا اله الا هو رب الاولين والاخرين

### ديوان الاعمال والجبايات

اعلم ان هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على اعمال الجبايات  
 وحفظ حقوق الدولة في الدخل والحرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير ارزاقهم  
 وصرف اعطياتهم في امانتها والرحوع في ذلك الى القوايين التي يرئها قومة تلك  
 الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد تماصيل ذلك في الدخل  
 والحرج مسمى على حرك كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من اهل تلك الاعمال  
 ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها \* ويقال  
 ان اصل هذه التسمية ان كسرى نظر يوماً الى كتاب ديوانه وهم يجلسون على انفسهم  
 كانوا يجادثون فقال ديوانه اي مجايين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحدث الهاء  
 لكثرة الاستعمال تحميماً فقبل ديوان تم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه الاعمال المتضمن  
 للقوايين والحسابات وقيل انه اسم للشياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة  
 نموزهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلي منها والحبي وجمعهم لما شد وتترق تم نقل الى  
 مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا فيتناول اسم الديوان كتاب الرسائل ومكان  
 جلوسه باب السلطان على ما ياتي بعد وقد تفرّد هذه الوظيفة ساظر واحد يظرفي  
 سائر هذه الاعمال وقد يهرد كل صنف منها بناظر كما يهرد في بعض الدول المظرفي  
 العساكر واقطاعاتهم وحسان اعطياتهم او غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما  
 قرره اولوها . واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عد تمكر العلب والاستيلاء  
 والنظر في اعطاف الملك وفنون التمهيد واول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية



عمر رضي الله عنه يقال لسبب مال أتى به ابو هريرة رضي الله عنه من البحرين  
 فاستكثروه وتعبوا في قسمه فسموا الى احصاء الاموال وصبط العطاء والحقوق فاشار  
 خالد بن الوليد بالديوان وقال رايت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر وقيل بل  
 اشار عليه به الهرمران لما راهُ يبعث الدعوث بغير ديوان فقبل له ومن يعلم نغمة من  
 يغيب مهم فان من تخلف اخلَّ بمكابه واما بصبط ذلك الكتاب فاثبت لهم ديواناً وسأل  
 عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك امر عقيل ابن ابي طالب ومحرمه اس نوفل  
 وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب  
 الانساب متدا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب  
 هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الرهريُّ بن سعيد بن المسيب ان ذلك كان في  
 المحرم ستة عشرين واما ديوان الحجاج والجماليات فبقي بعد الاسلام على ما كان عليه  
 من قبل ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب الدواوين من اهل  
 العهد من الثريقين ولما جاء عبد الملك بن مروان واستخال الامر ملكاً وانتقل القوم من  
 غصاصة الدواقي الى رونق الحصاره ومن سداجة الامية الى حذق الكتابة وظهر في  
 العرب ومواليهم مهرة في الكتاب والحسان فامر عبد الملك سليمان بن سعد والي الاردن  
 لعهد ان ينقل ديوان الشام الى العربية فاكمله لسة من يوم ابتداءه ووقف عليه  
 سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم اطلوا العيش في غير هذه الساعة فقد  
 قطعها الله عنكم . واما ديوان العراق فامر الحجاج كاتبه صالح بن عبد الرحمن وكان  
 يكتب بالعربية والفارسية ونقل ذلك عن رادان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل  
 زادان في حرب عبد الرحمن بن الاشعث استخلف الحجاج صالحاً هذا مكانه وامره ان  
 ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم لذلك كتاب الارس وكان عبد  
 الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب ثم جعلت هذه الوظيفة في  
 دولة بني العباس مصافة الى من كان له النظر فيه كما كان شان بني برمك وبني سهل بن  
 بونخت وغيرهم من وزراء الدولة . واما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الاحكام الشرعية مما  
 يختص بالجيش او بيت المال في الدخل والخرج وتمييز السواحي بالصلح والعنوة وفي تقليد  
 هذه الوظيفة لمن يكون وشروط الناظر فيها والكتاب وقوانين الحسانات فامر راجع الى  
 كتب الاحكام السلطانية وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا واما نتكلم فيها  
 من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك

بل هي ثالثة اركانها لان الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان في امر السيف وامر القلم وامر المال فيمرد صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك وكذلك كان الامر في دولة بني امية الاندلس والظواهر بعدم واما في دولة الموحدين فكان صاحبها اما يكون من الموحدين يستقل بالظفر في استخراج الاموال وجمعها ووضعتها وتعقب نظار الولاة والعمال فيها تم تبيذها على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان ربما يلجأ في الجهات غير الموحدين ممن يحسبها . ولما استند نواى حفظ نافر بيقية وكان شان الجالية من الاندلس فقدم عليهم اهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل ذلك في الاندلس مثل بني سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة المعروفين سي اي الحسن فاستكفوا بهم في ذلك وجعلوا لهم الظفر في الاشغال كما كان لهم بالاندلس ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها اهل الحسان والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلظ امر الحاجب ونفذ امره في كل شان من شؤن الدولة تعطل هذا الرسم وصار صاحبه مرؤساً للحاجب واصبح من جملة الجباة وذهبت تلك الرياسة التي كانت له في الدولة واما دولة بني مرين هذا العهد فحسان العطاء والخراج مجموع لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسانات كلها ويرجع الى ديوانه ونظره معقب نظر السلطان او الوزير وخطه معقب في صحة الحسان في الخارج والعطاء هذه اصول الرتب والمخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة النظر ومباشرة للسلطان . واما هذه الرتبة في دولة الترك فمنوعة وصاحب ديوان العطاء يعرف ساطر الجيش وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان الجباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال لان النظر في الاموال عدمه يتنوع الى رتب كثيرة لا تسامح دولتهم وعظيمة ساداتهم واتساع الاموال والحمايات عن ان يستقل بصطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية مبالغه فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى من موالى السلطان واهل عصبيته وارباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويحتهد جهده في متاعته ويسمى عدمه استاذ الدولة وهو احد الامراء الاكارم في الدولة من الحد واراناب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عدمه اخرى كلها راجعة الى الاموال والحسان مقصورة النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه او سهايه من اموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من اموال المسلمين

العامه وهو تحت يد الامير استاذ الدار وان كان الوزير من المجد فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لاموال السلطان من ماله المسمى خازن الدار لا اختصاص وطبعتهما بمال السلطان الخاص . هذا بيان هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعد ما قدمناه من امرها بالمغرب والله مصرف الامور لا رب غيره

### ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها راساً كما في الدول العربية في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الاسلامية شان اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يؤدي كنه الحاجة نابغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكاتب للامير يكون من اهل نسه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وامراء الصحابة بالنمام والعراق لعظم امانتهم وخلوص اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اخنص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس ربيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان او شارته يغمس في طين احمر مذاب بالماء ويسمي طين الختم ويطبع به على طرفي السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدّر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته اولاً او اخرًا على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من اهل المراتب في الدولة او استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب بلغة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم بعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شان المحجاجة وصار امرها الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابته اتباعاً لما سلف من امرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امصاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويغير له من صيغ الالهاده ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يخنص السلطان نفسه موضع ذلك اذا كان مستعداً بامرره قائماً على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته \* ومن خطط الكتابة التوقيع وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على الفصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها متلفاة من السلطان باو جرح لفظه وبلغه فاما ان تصدر كذلك واما ان يحدو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد

صاحب القصة وبمخارج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه وقد كان جعفر ابن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة الى صاحبها فكاست توقيعاته يتنافس البلاغ في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تناع كل قصة منها بدينار وهكذا كان 'شار الدول' \* واعلم ان صاحب هذه المحطة لا بد من ان يتغير من ارفع طبقات الناس واهل المروءة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاصد احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعوا اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل مع ما يضطر اليه في الترسل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى ارباب السيوف لما يقتضيه طبع الدولة من العد عن معاناة العلوم لاجل سداجة العصبية فيخص السلطان اهل عصبته بحطط دولته وسائر رتبته فيفقد المال والسيف والكتانة منهم فاما رتبة السيوف فتستغني عن معاناة العلم واما المال والكتانة فيضطر الى ذلك البلاغة في هذه والحسان في الاخرى فيخاضون لها من هذه الطبقة ما دعت اليه الصرورة ويقلدونه الا انه لا تكون يد اخر من اهل العصبية غالبه على يده ويكون نظره منصرفاً عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فان الكتانة عندهم وان كانت لصاحب الانشاء الا انه تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالدو يدار وتعويل السلطان ووقوفه به واستنامته في غالب احواله اليه وتعويلة على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وكمثال الاسرار وغير ذلك من توانعها \* واما الشروط المعتدة في صاحب هذه الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من اصناف الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عند الحميد الكاتب في رسالته الى الكتاب وهي اما بعد حفظكم الله يا اهل صناعة الكتانة وحاطكم ووقفكم وارشدكم فان الله عز وجل جعل الناس بعد الاسباء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اصنافاً وان كانوا في الحقيقة سواء وصرّفهم في صنوف الصناعات وضروب المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فمحلّكم معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمرؤات والعلم والريانة بكم ينتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها وبنصحتكم يصلح الله للخلق سلطانهم وتعتبر بلدانهم لا يستغني الملك عنكم ولا يوجد كاف الا منكم فموقعكم من الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون واصارهم التي بها يبصرون والسنتم التي بها ينطقون وايدبهم

التي بها يطاشون فامتعمك الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تنزع عنكم ما اضاءه من  
 السمعة عليكم وليس احد من اهل الصناعات كلها احوج الى اجتماع خلال الخبير المحموده  
 وخصال الفصل المذكوره المعدوده منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في هذا  
 الكتاب من صنعتكم فان الكتاب يحتاج من نفسه ويحتاج منه صاحبه الذي يثق به في  
 مهمات اموره ان يكون حليماً في موضع الحزم فهيراً في موضع الحكم مقدماً في موضع الاقدام  
 محجماً في موضع الاحجام موثراً للعنف والعدل والانصاف كتنوماً للاسرار وفيما عند  
 الشدائد عالماً بما ياتي من الدوائر يصع الامور مواضعها والطوارق في اماكمها قد نظر في  
 كل فن من فنون العلم فاحكمه وان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما يكتفي به يعرف بغريزة  
 عقله وحس اديه وفصل تمر به ما يرد عليه قبل وروده وعاقبه ما يصدر عنه قبل  
 صدوره فيعد لكل امر عدته وعيادته وبهي لكل وجه هيئته وعادته فتفاضلوا بامعشر  
 الكتاب في صوف الاداب وتبها في الدين والادبوا بعلم كتاب الله عز وجل والدرائض  
 ثم العربية فانها تناف الستمكم ثم اعيدوا الحظ فانه حلية كتبكم وارووا الاشعار واعرفوا  
 غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسبق  
 اليه هممكم ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام الحجاج وارغبوا بانفسكم عن  
 المضامع سنيها ودينها وسنساف الامور ومحافرها فانها مدلة للرقاب مسددة للكتاب  
 وبرهوا صناعتكم عن الدناءة وارانوا بانفسكم عن السعاية والنميمة وما فيه اهل  
 الجهالات واياكم والكدر والسحق والعظمة فانها عداوة مجنونة من غير احوية وتحاموا في الله  
 عز وجل في صانعتكم وتواصوا عليها بالذي هو البقي لاهل النصل والعدل والنبل من  
 سلنكم وان بنا الرمان برجل منكم فاعظموا عليه واوسوه حتى يرجع اليه حاله ويشوب اليه  
 امره وان اتعد احدكم منكم الكبر عن مكسبه ولفاء اخوانه فروروه وعظموه وشاوروه  
 واستنظروا ونصل تمرته وقدم معرفته وليكن الرجل منكم على من اصطنعه واستنظريه  
 ليوم حاجته اليه احوط منه على والدي واخيه فان عرضت في الشغل محبدة فلا يصنها الا  
 الى صاحبه وان عرضت مذمة فليحياها هو من دونه وليحذر السقطه والزلة والمثل عند  
 تغير الحال فان العيب اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى الفناء وهو لكم افسد منه لها  
 فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحه من بذل له من نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب  
 عليه ان يعتقد له من وفائه وشكره واحتماله وخبره ونصيحته وكنان سره وتديبر امره ما هو  
 جزاء لحقه ويصدق ذلك نعا له عند الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا

ذلك وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدّة والحرمات والمؤاساة والاحسان والسراء  
 والصراء فنعمت النعمة هذه من وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل  
 منكم او صير اليه من امر خلق الله وعياله امر فليراقب الله عز وجل وليوثر طاعته  
 وليكن على الضعيف رفيقاً والمظلوم منصماً فان المخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله  
 ثم ليكن بالعدل حاكماً وللانصراف مكرماً وللنيء موءثراً وللبلاد عامراً وللرعية مثاباً وعن  
 اذام متعلفاً وليكن في مجلسه متواضعاً حليماً وفي سجلات خراجهِ واستقضاء حقوقهِ رفيقاً  
 واذا صحب احدكم رجلاً فليحذر خلايقه فاذا عرف حسنها وقيبحها اعانه على ما يوافقهُ من  
 المحسن واحتمل على صرفه عما يهواه من الفج بالطف حيلة واحمل وسيلة وقد علمت ان  
 سائس البهيمة اذا كان بصيراً سياستها التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحاً يهجمها  
 اذا ركبها وان كانت شموماً اتقاها من بين يديها وان خاف منها شروداً توقاها من  
 ناحية راسها وان كانت حروماً تقع رفق هواها في طرفها فان استمرت عظها يسيراً  
 فيسأس له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لم ساس الناس وعاملهم  
 وجرهم وداخلهم والكتاب لفضل اديه وشريف صنعته ولطيف حيلته ومعاملته لمن  
 يحاوله من الناس وينظره ويفهم عنه اوتخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته  
 وتقويم اوده من سائس البهيمة التي لا تخير حواً ولا تعرف صواباً ولا تنهم خطايا الا  
 بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب عليها الا فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا ما  
 امكنكم فيه من الروية والفكر تامنوا باذن الله من صحنه السوء والاستئفال والجنون  
 ويصير منكم الى الموافقة وتصير امانة الى المواخاة والشفقة ان شاء الله ولا يجاورن  
 الرجل منكم في هيئة مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وساله وخدمه وغير ذلك  
 من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فصلكم الله به من شرف صنعتم خدمة لانتمهلون في  
 خدمتكم على التقصير وحنطة لانتحمل منكم افعال التضييع والتبذير واستعسوا على عنافكم  
 بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف  
 فانها يعقمان الفقر ويذلان الرقاب ويضعان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الاداب  
 وللأمور اشياء ونعصها دليل على بعض فاستدلوا على موتف اعمالكم بما سقت اليه  
 تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير واصحها محبة واصدقها حجة واحمدا عاقبة واعملوا  
 ان للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن اتفاد علمه ورويته فليقصد  
 الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقهِ وليوجرفي ابتداءه وجوابه ولياخذ بمجامع

محجبه فان ذلك مصلحة لهعله ومدفعة للشاغل عن اكله الى الله في صلة توفيقه  
 وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر سديه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظان  
 او قال قائل ان الذي برز من حبل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حبلته وحسن  
 تديره فقد تعرض بحسن ظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها  
 الى غير كاف وذلك على من تامله غير خاف ولا يقول احد منكم انه ابصر بالامور  
 واحمل لعب التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته فان اعقل الرجلين  
 عند ذوي الالاب من رمى بالعجب وراء ظهره ورأى ان اصحابه اعقل منه واجمل في  
 طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار  
 برأيه ولا تركية لفسه ولا يكثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب  
 على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتذلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول في كتابي  
 هذا ما سقى به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه  
 بعد الذي فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته اخره وتميته به تولانا الله واياكم  
 يامعشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سقى علمه باسعاد وارشاده فان ذلك اليه ويده  
 والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته\* (الشرطة) ويسمى صاحبها لهذا العهد نافرية الحاكم  
 وفي دولة اهل الادلس صاحب المدينة وفي دولة الترك الوالي وهي وظيفة مروسة  
 لصاحب السيف في الدولة وحكمه نافذ في صاحبها في بعض الاحيان وكان اصل وضعها  
 في الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم في حال استبدائها اولاً ثم الحدود بعد  
 استيفائها فان النهم التي تعرض في الجرائم لانظر للشرع الا في استيلاء حدودها والسياسة  
 الضرف في استيلاء موحاتها باقرار بكرهه عليه الحاكم اذا احضت به الفرائض لما توجبه  
 المصلحة العامة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبداء واستيلاء الحدود بعده اذا  
 تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة وربما جعلوا اليه النظر في الحدود والدماء  
 باطلاق وافردوها من نظر القاضي ونزهاها هذه المرتبة وقلدها كبار القواد وعظماء  
 الخاصة من مواليهم ولم تكن عامة التنفيذ في طبقات الناس انما كان حكمهم على الدهاء  
 واهل الريب والضرب على ايدي الرعاع والنجرة ثم عظمت سباهتها في دولة بني امية  
 بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى وجعل حكم الكبرى على الخاصة  
 والدهاء وجعل له الحكم على اهل المراتب السلطانية والضرب على ايديهم في الظلمات  
 وعلى ايدي اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه وجعل صاحب الصغرى مخصوصاً بالعامه

ونصب لصاحب الكبري كرسى ساب دار السلطان ورجال يتوؤون المقاعد بين يديه  
فلا يرحون عنها الا في نصريفه وكانت ولايتها للاكا من رجالات الدولة حتى كانت  
ترشيحاً للوزارة والتجامة

واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التسيب وان لم يجعلوها عامة وكان  
لا يلبها الا رجالات الموحدين وكراؤهم ولم يكن له التحكم على اهل المراتب السلطانية  
تم فسد اليوم منصبها وخرجت عن رجال الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من  
المصطعين . واما في دولة بني مرين لهذا العهد بالمشرق فولانيتها في بيوت من مواليهم  
واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك او اعقاب اهل الدولة  
قلهم من الترك بتغيير ونهم لها في النظر بما يظهر منهم من الصلانة والمصافى الاحكام لقطع  
مواد الفساد وحسم ابواب الذعارة وتخريب مواطن السوق وتفرق مجامعهم مع اقامة  
الحدود الشرعية والسياسية كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل  
والنهار وهو العزيز الجبار والله تعالى اعلم

قيادة الاساطيل وهي من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب وافريقية ومروسة  
لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم المند متخيم  
اللام مقولاً من لغة الافرنجة فانه اسما في اصطلاح لغتهم واما اخنصت هذه المرتبة بملك  
افريقية والمغرب لانها جميعاً على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوته الجيوبية  
بلاد انبربر كلهم من ستة الى الاسكدرية الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس  
والافرنجة والصفالية والروم الى بلاد الشام ايضاً ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة  
الى اهل عدوته والساكين بسيف هذا البحر وسواحلهم من عدوتيه يعاونون من احوالهم ما  
لا تعايه امة من امم البحار فقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا  
البحر الرومي وكانت اكثر حرورهم ومتاخرهم في السن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب  
في اساطيله ولما اسف من أسف منهم الى ملك العدو الجيوبية مثل الروم الى افريقية  
والقوط الى المغرب واجازوا في الاساطيل وملكوها وتعلموا على التربها وانتزعوا من  
ايديهم امرها وكان لها بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسيبظة وجلولا ومرناق وشرشال  
وظنجة وكان صاحب قرطاجنة من قدام بحارب صاحب رومة وبيعت الاساطيل لحرية  
مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفافيه معروفة  
في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص



رضي الله عنها ان صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم بركة خلق ضعيف دود على عود فاوعر حينئذ بمع المسلمين من ركوبه ولم بركة احد من العرب الا من افتات على عمر في ركوبه وبال من عقابه كما فعل بعرفجة من هرة الاردني سيد بجيلة لما اغزاه عمان فلغته غزوة في البحر فانكر عليه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم يزل الشان ذلك حتى اذا كان لعهد معاوية ابدن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعدائه والسبب في ذلك ان العرب لبداواتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والافرنجة لما رستهم احواله ومرامهم في الثقل على اعدائه مروا عليه واحكموا الدراية ثقافته فلما استقر الملك للعرب وتوسع سلطانهم وصارت امم العجم خولاً لهم وتحت ايدهم وتقرت كل ذي صنعة اليهم بمباع صاعده واستخدموا من النوازية في حاجاتهم البحرية اُمماً وتكررت ممارستهم للبحر وتقادوا استخدموا بصراها فاشترهوا الى الجهاد في وانشاء السفن وبيوت الشرايخ وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من اُمم الكفر واخصوا بذلك من ممالكهم وتغورهم ما كان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والاندلس واوعر الحليفة عند الملك الى حسان السعان عامل افريقية اتخاذ دار صناعة تتوس لانشاء الآلات البحرية حرصاً على مراسم الجهاد ومهما كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول ان ابراهيم بن الاعلب على يد اسد بن الفرات شيخ النيبا وفتح قوصرة ايضاً في ايامه بعد ان كان معاوية بن حديج اغزى صقلية ايام معاوية بن ابي سفيان فلم يتخ الله على يديه وفتح على يد اسد بن الاعلب وقائدة اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك اساطيل افريقية والاندلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى ملادها في سبيل التينة فتحوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الاندلس ايام عبدالرحمن الناصر الى مائتي مركب او نحوها واسطول افريقية كذلك مثله او قريباً منه وكان قائد الاساطيل بالاندلس اسد بن رماحس ومرافقها للحظ والاقلاع بجاية والمرية وكانت اساطيلها مجهزة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النوازية يد رماحس حربه وسلاحه ومقاتلته ورئيس يد رماحس جريته بالريج او بالمخايف وامر ارسائه في مرفئه فاذا اجتمعت الاساطيل لعرو ومخفل او غرض سلطاني مهم عسكرت برفاها المعلوم وشحنها السلطان برحاله ويجاد عساكره ومواليه وحعلم لظرامير واحد من اعلى طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوحظهم وينتظر اياهم بالفتح والغنيمه وكان

المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جواسه وعظمت صولتهم  
وسلطانهم فيه فلم يكن للام النصرانية قبل باساطيلهم بشي من حواسه وامتطوا ظهره  
للمفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من النخ والغنائم وملكو سائر انجرائر المقطعة  
عن السواحل فيه مثل ميورقة ومورقة وباسه وسردانية وصفيلية وقوصرة ومالطة  
واقربطش وقبرس وسائر ممالك الروم والافرنج وكان ابو القاسم الشيبعي وانا في يغزون  
اساطيلهم من المهدي حريه حنة فتقلب بالظفر والغنيمة وافتتح مجاهد العامري صاحب  
داية من ملوك الطوائف حريه سردانية في اساطيله ستة خمس واربعائة وارتفع بها النصراني  
لوقتها والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لحة هذا البحر وسارت اساطيلهم  
فيهم جائية وذاهمة والعساكر الاسلامية تحبز البحر في الاساطيل من صفيلية الي البرالكبير  
المقابل لها من العدو الشمالية فتوقع ملوك الافرنج وتحم في ممالكهم كما وقع في ايام بني  
الحسين ملوك صفيلية الفايين فيها بدعوة العبيديين واهارت امم النصرانية باساطيلهم الي  
الحاسب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصفالقة وحزائر الرومانية لا بعدونها  
واساطيل المسلمين قد صربت عليهم ضراء الاسد على فرسته وقد ملأت الاكثر من  
سيط هذا البحرية وعددا واختلفت في طريقه سلما وحرنا فلم تظهر للنصرانية فيه الواح  
حتى اذا ادرك الدولة العبيدية والاموية النشل والوهن وطرقها الاعتلال مد النصراني  
ايدهم الي حرائر البحر الشرقية مثل صفيلية واقربطش ومالطة فملكوها ثم الحوا على سواحل  
الشم في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور  
سواحل الشام وعلوا على بيت المقدس وسوا عليه كيسة لمظهر دينهم وعبادتهم وغلبوا  
بني خررون على طرابلس ثم على قاس وصفاقس ووضعوا عليهم الحريه ثم ملكوا المهديه مقر  
ملوك العبيديين من يد اعقاب بلكين بن زيري وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا  
البحر وضعف شان الاساطيل في دولة مصر والشام الي ان انقطع ولم يعتنوا بشي من  
امره لهذا العهد بعد ان كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف  
في اخبارهم فظل رسم هذه الوظيفة هالك ونيت بافرقية والمغرب فصارت مخصصة  
بها وكان الحاسب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفورا اساطيل تانت القوة لم تحيية  
عدو ولا كانت لهم به كره فكان قائد الاسطول به لعهد لمتونة بني هيمون رؤساء حريه  
قانس ومن ايدهم اخدها عد المومس تسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم الي المائة  
من بلاد العدوتين جميعا \* ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا

العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اسطولهم  
 احمد الصقلي اصله من صد غيار المواطنين بجزيرة جربة من سرو يكش اسره النصراري من  
 سواحلها وربي عندهم واستخضة صاحب صفلية واستكفاه تم هلك وولي ابنة فاسخطة بعض  
 النزعات وخشي على نفسه ولحق تنوس ونزل على السيد بها من بني عبد المومس واجاز  
 مراكنش فنلقاه الحايمة يوسف بن عبد المومس من بالمرعة والكرامة واجزل الصلة وقلده  
 امر اساطيله فجلى في جهاد ام النصرانية وكانت له اثار واخار ومقامات مذكورة في دولة  
 الموحدين \* وانتهت اساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجابة ما لم تبلغه من  
 قبل ولا بعد فيما عهدناه ولما قام صلاح الدين يوسف بن ابوب ملك مصر والشام لعهد  
 باسترجاع ثغور الشام من يد امم النصرانية ونظير بيت المقدس من رجس الكفر ونائيه  
 لناعت اساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة لبيت المقدس الذي  
 كانوا قد استولوا عليه فامدوهم بالعدد والاقوات ولم تقاومهم اساطيل الاسكدرية  
 لاستمرار العلب لم في ذلك الجباب الشريقي من البحرية ونعدت اساطيلهم فيبوصعف المسلمين  
 منذ زمان طويل عن ما عنتم هناك كما اشربا اليه قبل فاو فد صلاح الدين على ابي يعقوب  
 المصور سلطان المغرب نعهده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن مقذ من بيت بني  
 مقذ ملوك تيرر وكان ملكها من ايديهم وابق عليهم في دولته فبعث عبد الكريم منهم هذا  
 الى ملك المغرب طالبا مدد الاساطيل لتحول في البحرين اساطيل الكثرة وبين مرامهم  
 من امداد النصرانية ثغور الشام واصحمة كنانة اليه في ذلك من انشاء الفاضل اليبساني  
 يقول في افتتاحه فتح الله لسيدنا ابواب المباحح والميامن حسنا نقلة العماد الاصبهاني في كتاب  
 الفتح القسي فمقم عليهم المصور تجافيمهم عن خطابه بامير المومس واسرها في نسج وحلمهم  
 على مناهج البر والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجهه الى حاجته من ذلك وفي هذا دليل  
 على اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجباب الشريقي من هذا  
 البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده لشان  
 الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدولة ولما هلك ابو يعقوب المصور واعثلت دولة  
 الموحدين واستولت امم الجلالقة على الاكثر من بلاد الاندلس والجزا والمسلمين الى سيف  
 البحر وملكوا الحرائر التي بالحانب الغربي من البحر الرومي قويت رجبهم في سبطهد البحر  
 وانتدت شوكتهم وكثرت في اساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما  
 وقع لعهد السلطان ابي الحسن ملك زمانه بالمغرب فان اساطيله كانت عند مرامه الجهاد

مثل عدة النصرانية وعديدهم تم تراخعت عن ذلك قوة المسلمين في الاساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد الدوية بالمغرب وانهطاع العوائد الاندلسية ورحع الصارى فيه الى دينهم المعروف من الدرنة فيه والمران عليه والصبر باحواله وغلب الامم في لجنه على اعواده وصار المسلمون فيه كالاغانب الا قليلاً من اهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وحدها كثره من الانصار والاعوان وقوة من الدولة تستغيش لهم اعواناً وتوضح لهم في هذا الغرض مسلکاً وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدولة الغربية محفوظة والرسم في معاناة الاساطيل بالانتشاء والركوب معهوداً لما عساه ان تدعو اليه الحاحتمس الاغراض السلطانية في البلاد البحرية والمسلمون يستهون الرج على الكفر واهله من المشتهر بين اهل المغرب عن كتب الحدتان انه لا بد للمسلمين من الكرة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد افريقية وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي المؤمنين وهو حسبنا وبم الوكيل

## الفصل الخامس والثلاثون

في التماوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على امره الا ان الحاجة في اول الدولة الى السيف ما دام أهلها في تهديد امرهم اشد من الحاجة الى القلم لان القلم في تلك الحال خادم فقط مهذ للحكم السلطاني والسيف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصيتها كما ذكرناه ويقل اهلها ما يبالغ من الهرم الذي قدمناه فتمتاج الدولة الى الاستظهار بآداب السيوف وتقوى الحاجة اليهم في حمانه الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تهديدها فيكون للسيف مرتبة على القلم في الحالتين ويكون ار باب السيف حينئذ اوسع جاهاً واكثر نعمة واسى اقطاعاً واما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لانه قد تهجد أمره ولم يبق همة الا في تحصيل ثمرات الملك من الحماية والوسط وماهاته الدول وتمتد الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريبه وتكون السيوف مهملة في مصاحح اعوانها الا اذا ماتت ائمة أو دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فتكون آداب الاقلام في هذه الحاجة اوسع جاهاً واعلى رتبة واعظم نعمة وتروة واقرب من السلطان مجلساً واكثر اليه تردداً وفي خلواته نجياً لانه حينئذ الته التي بها تستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والظفر اعطافه وتغيب اطرافه والمهااة باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستعنى

عنهم معدين عن ناطق السلطان حذرين على انفسهم من بوادره \* وفي معنى ذلك ما كتب به ابو مسلم للصور حين امره بالقدوم اما بعد فانه ما حفظناه من وصايا الفرس اخوف ما يكون الورراء اذا سكبت الدهاء سنة الله في عباده والله سبحانه وتعالى اعلم

## الفصل السادس والثلاثون

في اشارات الملك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان اشارات واحوالاً تقتضيها الأبهة والذخ فيمنحس بها ويتميز بانهاها عن الرعية والطائفة وسائر الروساء في دولته فلذلك ما هو مستنهر منها يبلغ المعرفة وفوق كل ذي علم عليم

الآلة . فمن اشارات الملك اتخاذ الآلة من نسر الالوية والرايات وقرع الطبول والتمخ في الانواق والقرون وقد ذكر ارسطوي في الكتاب المنسوب اليه في السياسة ان السر في ذلك ارهاب العدو في الحرب فان الاصوات الهائلة لها تاثير في النفوس بالروعة ولعمري انه امر وجداني في مواطن الحرب يجده كل احد من نفسه وهذا السبب الذي ذكره ارسطوان كان ذكره فهو صحيح بعض الاعنارات \* واما الحق في ذلك فهو ان النفس عند سماع الغم والاصوات يدركها الفرح والظرب بلا شك فيصيب مزاج الروح بشوة يستسهل بها الصعب ويستमित في ذلك الوحد الذي هو فيوه وهذا موحد حتى في الحيوانات العجم ما نعمال الابل بالحداء والحيل بالصير والصرح كما علمت ويرد ذلك تاثيراً اذا كانت الاصوات متناسمة كما في الغناء وانت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى لاجل ذلك تغد العجم في مواطن حروبهم الآلات الموسيقية<sup>(١)</sup> لا طبل ولا بوقاً فيجذب المغنون بالسلطان في موكبهم ولا يتم ويغنون فيحركون نفوس السجعان بصرهم الى الاستماتة ولندرايبا في حروب العرب من يتغنى امام الموكب بالشعرو يطرب فيجيش هم الابطال بما فيها ويسارعون الى مجال الحرب وينعت كل قرن الى قرينه وكذلك زانته من ام المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصوف ويتغنى فيجرب غنائهم الجبال الراسي وينعت على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء ناصوكايت واصلة كلة فرح يحدث في النفس فتسعت عنه الشجاعة كما تبعث عن شوة الحمير بما حدث عنها من الفرح والله اعلم واما نكثير الرايات وتلوها واطالها فالقصد به التحويل لا اكثر وربما تحدث في

١ قوله موسيقية وفي نسخة الموسيقارية وهي صحيحة لان الموسيقى بكسر القاف بين التختين اسم للعلم والاحان وتوقيعها ويقال فيها موسيقير ويقال لصارت الآلة موسيقار انطراول سبعة الشجع شجهد شهاب

النفوس من التحويل زيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوناتها غريبة والله المخلوق  
العليم \* ثم ان الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات منهم اكثر ومنهم مقلد بحسب  
انساع الدولة وعظمتها فاما الرايات فانها شعار الحروب من عهد الخليفة ولم تنزل الامم  
تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من  
الخلفاء \* واما قرع الطبول والنفخ في الابواق فكان المسلمون لاول الملة متجافين عنه تنزهاً  
عن غلظة الملك ورفضاً لاحواله واحتماراً لاهتبه التي ليست من الحق في نبي حتى اذا  
انقلبت الخلافة ملكاً ونجموا زهرة الدنيا ونعيمها ولاسهم الموالي من الدرر والروم اهل  
الدول السالفة واروم ما كان اولئك يتخلوه من مذاهب البذخ والترف فكان مما  
استحسنوه اتخاذ الآلة فاخذوها اذوب العالم في اتخاذها تنوياً بالملك واهله فكثيراً ما كان  
العامل صاحب الثغر او قائد الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواءً  
ويخرج الى عهده او عمله من دار الخليفة وداره في موكب من اصحاب الرايات والآلات  
فلا يميز بين موكب العامل والخليفة الا بكثرة الآلوية وقتلها او بما اخص به الخليفة من  
الالوان لرايته كالسواد في رايات بني العباس فان راياتهم كانت سوداً حزناً على شهدائهم  
من بني هاشم ونعياً على بني امية في قتلهم ولذلك سمي السودة \* ولما افترق امر الهاشميين  
وخرج الطالبيون على العباسيين في كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا  
الرايات بيضاً وسهوا المبيضة لذلك سائر ايام العبيديين ومن خرج من الطالبيين في ذلك  
العهد بالمشرق كالداغي بطرستان وداغي صعدة او من دعا الى بدعة الرافضة من غيرهم  
كالقرامطة ولما نزع المامون عن لس السواد وشعاره في دولته عدل الى لون الخضرة  
فجعل رايته خضراء واما الاستكثار منها فلا ينهي الى حد وقد كانت آلة العبيديين لما  
خرج العزيز الى فتح الشام خمسمائة من البنود وخمسمائة من الابواق واما ملوك الدرر  
بالمغرب من صنهاجة وغيرها فلم يقتصروا بلون واحد بل وشوها بالذهب واتخذوها من  
الحرير الخالص ملونة واستمروا على الاذن فيها لعالمهم حتى اذا جاءت دولة الموحديين ومن  
بعدهم من زنانية قصر والآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها على من سواه  
من عماله وجعلوا لها موكباً خاصاً يتبع اثر السلطان في مسيره يسمى الساقفة وهم فيو بين اكثر  
ومقلد باختلاف مذاهب الدول في ذلك فمنهم من يقتصر على سبع من العدد تبركاً  
بالسبعة كما هو في دولة الموحديين وبني الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين  
كما هو عند زنانية وقد بلغت في ايام السلطان ابي الحسن فيما ادركناه مائة من الطبول

ومائة من السود ملونة بالحزير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وياذنون للولادة والعمال والنفاد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبل صغير أيام الحرب لا يتجاوزون ذلك واما دولة الترك لهذا العهد بالمترق فيتخذون اولاً راية واحدة عظيمة وفي راسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالطس والجزر وهي شعار السلطان عندهم ثم تتعدد الرايات ويسمونها الساجق واحدها سنخق وهي الراية لسانهم واما الطول فيبالغون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويسمونها لكل امير او قائد عسكري ان يتخذ من ذلك ما يشاء الا الجزر فانه خاص بالسلطان واما المجلافة لهذا العهد من امم الافرنجة وبالاندلس فاكثرت منهم اتخذ الالوية القليلة ذاهة في الجوع صعداً ومعها قرع الاوتار من الطنابير ونوع الغبطات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقه في مواطن حروبهم هكذا يبلغنا عنهم وعن وراهم من ملوك العجم ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السمك والواكيم ان في ذلك لايات للعالمين

السريز واما السريز والمسر والنخت والكرسي فهي اعواد منصونة او ارائك منصدة لجلوس السلطان عليها مرتعاً عن اهل مجلسه ان يساوهم في الصعيد ولم يرل ذلك من سنن الملوك قبل الاسلام وفي دول العجم وقد كانوا يجلسون على اسرة الذهب وكان لسليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه كرسي وسريز من عاج معشى بالذهب الا انه لا تاخذ به الدول الا بعد الاستئصال والترف شان الابهة كلها كما قلناه واما في اول الدولة عند الداوة فلا يتسوقون اليه واول من اتخذه في الاسلام معاوية واستاذن الناس فيه وقال لهم ابي قد بدت فاذنوا له فاتخذه واتعمه الملوك الاسلاميون فيه وصار من سارع الابهة ولقد كان عمرو بن العاصي بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب وياتيه المقوقس الى قصره ومعته سريز من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شان الملوك فيجلس عليه وهو امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الدمق واطراحاً لابهة الملك ثم كان بعد ذلك لسلي العباس والعبيديين وسائر ملوك الاسلام شرقاً وغرباً من الاسرة والماسر والنخوت ما عمن عن الاكاسرة والقياصرة والله مقلب الليل والنهار السكة وهي الختم على الديناير والدرهم المتعامل بهما بين الناس بطابع حديد يفتش فيه صور او كلمات منلونة ويصرب بها على الدينار او الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الختم في خلوصه بالسك مرة بعد اخرى وبعد تدبير اتحاص الدرهم والدينار بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون

التعامل بها عدداً وان لم نقدر اشخاصها يكون التعامل بها وزناً ولفظ السكة كان اسماً  
 للطابع وهي الحديدية المتخذة لذلك تم نقل الى انرها وهي النقوش المائلة على الدناير  
 والدرهم تم نقل الى القيام على ذلك والنظري استيفاء حاجته وشروطه وهي الوظيفة  
 فصار علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها يتغير المحالض من  
 المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها الغش بحتم السلطان  
 عليها تلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل تكون  
 مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لعهداها او تمثيل حصن او حيوان او مصنوع او غير  
 ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى اخراهم . ولما جاء الاسلام اغفل ذلك  
 اسداجة الدين وداوة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والنصه ورناً وكانت دناير  
 الفرس ودرهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن ويتصارفون بها بينهم الى ان  
 تفاحش الغش في الدناير والدرهم لغفلة الدولة عن ذلك وامر عبد الملك الحجاج على  
 ما نقل سعيد بن المسيب وابو الزناد بصرب الدرهم وتمييز المغشوش من المحالض وذلك  
 ستة اربع وسعين وقال المدايمي ستة خمس وسعين ثم امر بصرفها في سائر النواحي ستة  
 ست وسعين وكتب عليها الله احد الله الصمد ثم ولي اس هبنة العراق ايام يزيد بن  
 عبد الملك مجود السكة تم بالغ خالد الفسري في تحويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل  
 اول من صرب الدناير والدرهم مصعب بن الزبير بالعراق ستة سعين بامر اخيه  
 عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها في احد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها  
 الحجاج بعد ذلك ستة وكتب عليها اسم الحجاج وقد رورنهما على ما كانت استقرت ايام  
 عمر وذلك ان الدرهم كان ورنه اول الاسلام ستة دنانق والمثقال وزنه درهم وتلاثة  
 اسباع درهم فتكون عشرة دراهم بسعة متاقيل وكان السبب في ذلك ان اوران الدرهم  
 ايام الفرس كانت مختلفة وكان معها على وزن المثقال عشرون قيراطاً ومهما انا عشر  
 ومنها عشرة فلما احتجج الى تقديره في الركاة اخذ الوسط وذلك انا عشر قيراطاً فكان  
 المثقال درهماً وتلاثة اسباع درهم وقيل كان معها البغلي ثمانية دنانق والظري اربعة  
 دنانق والمغربي ثمانية دنانق والبيمي ستة دنانق فامر عمر ان ينظر الاعلب في التعامل  
 فكان البغلي والظري وهما انا عشر دانقاً وكان الدرهم ستة دنانق وان ردت ثلاثة  
 اسباعه كان متقلاً واذا انقصت ثلاثة اعشار المثقال كان درهماً ولما رأى عبد الملك  
 اتخاذ السكة لصيانة القديس الحجازيين في معاملة المسلمين من الغش عين مقدارها على



هذا الذي استقر لعهد عمر رضي الله عنه واتخذ طابع الحديد واتخذ فيه كلمات لاصوراً  
لان العرب كان الكلام والبلغة اقرب مناحيم واطهرها مع ان الشرع ينهي عن الصور  
فلما فعل ذلك استمر بين الناس في ايام الملة كلها وكان الدينار والدرهم على شكلين  
مدورين والكتابة عليهما في دوائر متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تهليلة  
وتحيداً وصلاة على النبي وآله وفي الوجه الثاني التاريخ واسم الخليفة وهكذا ايام  
العباسيين والعبديين والامويين واما صنهاجة فلم يتخذوا سكة الا اخر الامر اتخذها  
منصور صاحب بجماية ذكر ذلك ابن حماد في تاريخه ولما جاءت دولة الموحدون كان  
مما س لهم المهدي اتخذ سكة الدرهم مربع الشكل وان يرسم في دائرة الدينار شكل مربع  
في وسطه ويملاً من احد الجاسين تهليلةً وتحيداً ومن الجاس الاخر كتماً في السطور  
باسم واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون وكات سكتهم على هذا الشكل لهذا  
العهد ولقد كان المهدي فيما يقبل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نعتاً بذلك  
المتكلمون بالحدثان من قبله المحزون في ملاحمهم عن دولته واما اهل المشرق لهذا  
العهد فسكتهم غير مقدره وانما يتعاملون بالدينار والدرهم ورناً بالصنجات المقدره بعدة  
مها ولا يطعون عليها بالسكة فوش الكلمات بالتهليل والصلاة واسم السلطان كما يفعله  
اهل المغرب ذلك تقدير العزيز العليم

ولنظم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيين وبيان حقيقة مقدارها  
وذلك ان الدينار والدرهم مختلفا السكة في المقدار والموازين والافاق والامصار  
وسائر الاعمال والشرع قد تعرض لذكرها وعلق كثيراً من الاحكام بهما في الزكاة  
والايكة والحدود وغيرها فلا بد لها عنده من حقيقة ومقدار معين في تقدير تجري عليهما  
احكامه دون غير الشرعي منها فاعلم ان الاجماع منعقد منذ صدر الاسلام وعهد  
الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي هو الذي ترن العشرة منه سبعة مثاقيل من  
الذهب والاقية منه اربعين درهماً وهو على هذا سعة اعشار الدينار ووزن المثقال  
من الذهب اثنتان وسبعون حبة من الشعير فالدرهم الذي هو سبعة اعشاره خمسون  
حبة وخمسة وستة والاربعون حبة تامة بالاجماع فان الدرهم الجاهلي كان بينهم على  
انواع اجودها الطري وهو اربعة دوانق والبغلي وهو ثمانية دوانق فجعلوا الشرعي بينهما  
وهو ستة دوانق فكانوا يوجبون الزكاة في مائة درهم بغلية ومائة طبرية خمسة دراهم  
وسطاً وقد اختلف الناس هل كان ذلك من وضع عبد الملك او اجماع الناس بعد

عليه كما ذكرناه . ذكر ذلك الخطام في كتاب معالم السنن والماوردية في الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين لما يلزم عليه ان يكون الدينار والدرهم الشرعيان مجهولين في عهد الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية بهما في الزكاة والالتحمة والحدود وغيرها كما ذكرناه والحق انها كانا معلومي المقدار في ذلك العصر لجران الاحكام يومئذ بما يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارها غير مشخص في الخارج وانما كان متعارفاً بينهم بالحكم الشرعي على المقدار في مقدارها وزنتها حتى استفحل الاسلام وعظمت الدولة ودعت الحال الى تضييقها في المقدار والوزن كما هو عند الشرع ليستريحوا من كلمة التقدير وقارن ذلك ايام عبد الملك فتمتخص مقدارها وعينها في الخارج كما هو في الذهب ونقش عليها السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين الايمائيتين وطرح النقود الجاهلية راساً حتى خلصت ونقش عليها سكة وتلاشى وجودها فهذا هو الحق الذي لا محيد عنه ومن بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة في الدول على مخالفة المقدار الشرعي في الدينار والدرهم واختلفت في كل الاقطار والافات ورجع الناس الى تصور مقاديرها الشرعية ذهناً كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل امة يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية واما وزن الدينار باثنين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ان حزم خالف ذلك وزعم ان وزنه اربعة وثمانون حبة . نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردة المحققون وعدوه وهما وغلطاً وهو الصحيح والله يحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهناً لا باختلاف فيها والله خلق كل شيء فقدره تقديراً (الخاتم) واما الخاتم فهو من الحطط السلطانية والوظائف الملكية والحتم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى قيصر فقبل له ان العجم لا يقبلون كتاباً الا ان يكون مخنوماً فاتخذ خاتماً من فضة ونقش فيه . محمد رسول الله . قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر وختم به وقال لا يقش احد مثله قال وتختم به ابو بكر وعمو وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر اريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم عثمان وتطير منه وصنع اخر على مثله وفي كيفية نقش الخاتم والحتم به وجوه وذلك ان الحاتم يطلق على الآلة التي تجعل في الاصبع ومنه تختم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه ختمت الامر

اذا بلغت اخره وختمت القران كذلك ومنه خاتم النبيين وخاتم الامر و يطلق على  
 السداد الذي يسد به الاوابي والديان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى خنامة مسك  
 وقد غلط من فسره هذه بالهياة والتمام قال لان اخر ما يجوده في شراهم ربح المسك  
 وليس المعنى عليه وإنما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها في الدن سداد  
 الطين او الفار يحفظها و يطيب عرفها وذوقها فيبلغ في وصف خمر الجنة بان سدادها  
 من المسك وهو اطيب عرفاً وذوقاً من الفار والطين المهودين في الدنيا فاذا صح  
 اطلاق الخاتم على هذه كلها صح اطلاقه على اثرها الناشئ عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشت  
 به كلمات او اشكال ثم غمس في مداف من الطين او مداد ووضع على صمغ القرطاس بقي  
 اكثر الكلمات في ذلك الصمغ وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالصمغ فانه يبقى نقش  
 ذلك المكتوب مرتسماً فيه واذا كانت كلمات وارتست فقد يقرأ من الجهة اليسرى اذا  
 كان النقش على الاستقامة من اليمنى وقد يقرأ من الجهة اليمنى اذا كان النقش من  
 الجهة اليسرى لان الختم يقبل جهة المخط في الصمغ عما كان في النقش من يمين او يسار  
 فيجتمل ان يكون الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد او الطين ووضع على الصمغ فتنتش  
 الكلمات فيه ويكون هذا من معنى النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذ كأن  
 الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامات وهو من دونها ملغى ليس بتمام وقد يكون هذا  
 الختم بالمخط اخر الكتاب او اوله بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح او باسم السلطان  
 او الامير او صاحب الكتاب من كان او شيء من بعونه يكون ذلك المخط علامة على صحة  
 الكتاب ونفذه ويسمى ذلك في المتعارف علامة ويسمى ختماً تشبيهاً لانه باثر الخاتم الاصني  
 في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذي يبعث به للخصوم اي علامته وخطه الذي ينفذ  
 بهما احكامه ومنه خاتم السلطان او الخليفة اي علامته قال الرشيد ليحيى بن خالد لما اراد  
 ان يستوزر جعفرًا ويستبدل به من الفضل اخيه فقال لا يبيها يحيى يا است اني اردت ان  
 احول الخاتم من يميني الى شمالي فكما له بالخاتم عن الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل  
 والصكوك من وظائف الوزارة لهدم ويشهد لصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبري ان  
 معاوية ارسل الى الحسن عند مرادته اياه في الصلح صحيفة بيضاء ختم على اسفلها وكتب  
 اليه ان اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت فبولك ومعنى الختم هنا علامة  
 في اخر الصحيفة بخطه او غيره ويحتمل ان يختم به في جسم لين فتنتش فيه حروفه ويجعل  
 على موضع الختم من الكتاب اذا حزم وعلى المودوعات وهو من السداد كما مر وهو في

الوجهين اثار الخاتم فيطلق عليه خاتم واول من اطلق الختم على الكتاب اي العلامة معاوية لانه امر لعمر بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة الف ففتح الكتاب وصير المائة مائتين ورفع زياد حسابه فانكرها معاوية وطلب بها عمر وحسبه حتى قضاها عنه اخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم ذكره الطبري وقال اخره وحزم الكتب ولم تكن تحزم اي جعل لها السداد وديوان الختم عبارة عن الكتاب الفائمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها اما بالعلامة او بالحرم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس هولاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الاعمال والحرم للكتب يكون اما بدس الورق كما في عرف كتاب المغرب واما بلصق راس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في عرف اهل المشرق وقد يجعل على مكان الدس او اللصاق علامة يوم من معها من فتحه والاطلاع على ما فيه فاهل المغرب يجعلون على مكان الدس قطعة من الشمع ويختمون عليها بخاتم نقشت فيه علامة لذلك فيرسم القش في الشمع وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش ايضاً قد غمس في مداف من الطين معدة لذلك صبغة احمر فيرسم ذلك القش عليه وكان هذا الطين في الدولة العباسية يعرف بطين الختم وكان يجلب من سيراف فيظهر انه مخصوص بها فهذا الخاتم الذي هو العلامة المكتوبة او القش للسداد والحرم للكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن اليه الترسل وديوان الكتاب في الدولة ثم صاروا في دول المغرب يعدون من علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيستجيدون صوغه من الذهب ويرصعونه بالفصوص من الباقوت والفيروزج والرمرد ويلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة والقصيب في الدولة العباسية والمظلة في الدولة العبيدية والله مصرف الامور بحكمه

الطارز . من أبهة الملك والسلطان ومذاهب الدول ان ترسم اسماؤهم او علامات تخص بهم في طراز اثارهم المعدة للناسم من الحرير او الدياتج او الاريسم تعتبر كتابته خطها في نسج الثوب الحاماً وسدى بخيط الذهب او ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملونة من غير الذهب على ما يحكمه الصناع في نقد بذلك ووضعه في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوكة معلمة بذلك الطراز قصد التشويه بلاسهام السلطان فمن دونه او التشويه من بخنصة السلطان بلبوسه اذا قصد تشريفه بذلك او ولايته لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم من قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز

بصور الملوك واشكالهم وصور معينة لذلك ثم اعتناض ملوك الاسلام عن ذلك بكتيب اسمائهم مع كلمات اخرى تجري مجرى المال او السجلات وكان ذلك في الدولتين من ابهة الامور ونجم الاحوال وكانت الدور المعدة لنسخ انوائهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في امور الصباغ والآلة والحماكة فيها واجراء ارزاقهم ونسهيل آلتهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يفقدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بني امية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العمم بالمشرق لم يوافق بطاق الدول عن الترف والتفنن فيه لضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول تعطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من اكثر الدول بالجملة ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني امية اول المائة السادسة لم يخذوا بذلك اول دولتهم لما كانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من تومرت المهدي وكانوا يتورعون عن لباس الحرير والذهب فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم اخر الدولة طرفاً لم يكن بتلك النباهة واما لهذا العهد فادركنا بالمغرب في الدولة المرينية لعنوانها وشمورها رسماً جليلاً لفتوة من دولة ابن الاحمر معاصروهم بالاندلس واتع هو في ذلك ملوك الطوائف فاتي منه بلهجة شاهدة بالانثر . واما دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيها من الطراز تحبير اخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع في دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما ينسج ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير ومن الذهب الخالص ويسمونه المزرکش لفضلة اعجمية ويرسم اسم السلطان او الامير عليه وبعده الصاع لهم فيما يعدونه للدولة من طرف الصناعة اللاتفة بها والله مقدر الليل والنهار والله خير الوارثين

### الفساطيط والسياج

اعلم ان من شارات الملك وترويه انخاذ الاخبية والفساطيط والغازات من ثياب الكتان والصوف والقطن بجدل الكتان والقطن فيباهي بها في الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وانما يكون الامر في اول الدولة في بيوتهم التي جرت عاداتهم باتخاذها قبل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بني امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياماً من الوبر والصوف ولم تزل

العرب لذلك العهد بادين الا الاقل منهم فكانت اسفارهم لغراوتهم وحرورهم بظعونهم  
وسائر حلهم واحيائهم من الاهل والولد كما هو شان العرب لهذا العهد وكانت عساكرهم  
لذلك كثيرة الحبل بعيدة ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها عن نظر  
صاحبه من الاخرى كشان العرب ولذلك ما كان عبد الملك يحجاج الى ساقه تحشد  
الناس على اثره ان يقبوا اذا ظعن ونقل انه استعمل في ذلك الحجاج حين اشار به روح  
ابن زبياع وقصتها في احراق فساطيط روح وخيامه لاول ولايته حين وجدهم مقيمين  
في يوم رحيل عبد الملك قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب  
فانه لا يتولى ارادتهم على الظعن الا من يامن بوادر السفهاء من احبيائهم بما له من العصية  
الحائلة دون ذلك ولذلك اخضعت عبد الملك بهذه الرتبة ثقة بغنائهم فيها بعصيتهم  
وصرامتهم فلما تفتتت الدولة العربية في مذاهب الحضارة والبذخ ونزلوا المدن والامصار  
وانقلوا من سكنى الخيام الى سكنى القصور ومن ظهر الخف الى ظهر الحافر اتخذوا للسكنى  
في اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتاً مختلفة الاشكال مقدره الامثال من  
التوراء والمستطيلة والمرعة ويختمون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والريسة ويدبر  
الامير والقائد للعساكر على فساطيطه وفازاته من بينهم سياجاً من الكتان يسمى في المغرب  
بلسان البربر الذي هو لسان اهله افراك بالكاف التي بين الكاف والفاء ويخص به  
السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره . واما في المشرق فيتخذ كل امير وان كان دون  
السلطان ثم جنحت الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخج لذلك  
ظهورهم ونقاربت السياح بين منارل العسكر واجتمع الجيش والسلطان في معسكر واحد  
بمحصره البصر في بسيطة زهواً ايضاً لا اختلاف الوايه واستمر الحال على ذلك في مذاهب  
الدول في بدخها وترفها وكذا كانت دولة الموحدين وزمانه التي اظلمتنا كان سفرهم  
اول امرهم في بيوت سكاهم قبل الملك من الخيام والقباطن حتى اذا اخذت الدولة في  
مذاهب الترف وسكنى القصور وعادوا الى سكنى الاخبية والفساطيط وبلغوا من ذلك  
فوق ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير عرضة للبيات لاجتماعهم في  
مكان واحد تشملهم فيه الصيحة والحمنهم من الاهل والولد الذين تكون الاستمانه دونهم  
فيحجاج في ذلك الى تحفظ اخر والله القوي العزيز

## المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وهامس الامور الخلافية ومن اشارات الملك الاسلامي ولم يعرف في غير دول الاسلام . فاما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتخذ سباجاً على المحراب فيجوزهُ وما يليه فاوّل من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعمه الخارجي والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها مروان بن الحكم حين طعمه اليمني ثم اتخذها الخلفاء من بعدها وصارت سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة وهي انما تحدث عند حصول الترف في الدول والاستئجال شان احوال الابهة كلها وما زال الشان ذلك في الدول الاسلامية كلها وعند افتراق الدولة العباسية وتعدد الدول بالمشرق وكذا بالاندلس عند انقراض الدولة الاموية وتعدد ملوك الطوائف واما المغرب فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم الخلفاء العبيديون ثم ولاتهم على المغرب من صنهاجة بنو ناديس بنفاس وبنو حماد بالقلعة ثم ملك الموحدون سائر المغرب والاندلس ومحملاً ذلك الرسم على طريقة البداوة التي كانت شعارهم ولما استئجلت الدولة واخذت بحفظها من الترف وجاء ابو يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة وبقيت من بعده ستة ملوك المغرب والاندلس وهكذا كان الشان في سائر الدول سنة الله في عباده . وما الدعاء على المنابر في الخطبة فكان الشان اولاً عند الخلفاء ولاية الصلاة بانفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضى عن اصحابه واول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص لما بنى جامعه بمصر واول من دعا للخليفة على المنبر ابن عباس دعا لعلي رضي الله عنهما في خطبته وهو بالصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر علياً على الحق واتصل الحق على ذلك فيما بعد وبعد اخذ عمرو بن العاص المنبر بلغ عمر بن الخطاب ذلك فكتب اليه عمرو بن الخطاب اما بعد فقد بلغني انك اتخذت منبراً ترتقي به على رقاب المسلمين او ما يكفيك ان تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك الا ما كسرتهُ فلما حدثت الابهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة استنابوا فيها فكان الخطيب يشيد بذكر الخليفة على المنبر تنويهاً باسمه ودعاء له بما جعل الله مصلحة العالم فيه ولان تلك الساعة مظنة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة صالحة فليضعها في السلطان وكان الخليفة يفرّد بذلك فلما جاء الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيراً ما يشاركون الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم

عقب اسمه وذهب ذلك بذهاب نك الدول وصار الامر الى اختصاص السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه وحظر ان يشاركه فيه احد او يسمو اليه وكثيراً ما يغفل الماهدون من اهل الدول هذا الرسم عندما تكون الدولة في اسلوب الغضاضة ومناحي الداوة في التغافل والخشونة ويقعون بالدعاء على الابهام والاحمال لمن ولي امور المسلمين ويسمون مثل هذه الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك ان الدعاء على الاحمال انما يتناول العباسي تقليداً في ذلك لما سلف من الامر ولا يجملون بما وراء ذلك من تعيينه والتصريح باسمه بحكي ان يغمراسن بن ريان ما هد دولة بني عبد الواد لما غلته الامبرازوز كريا يحيى بن ابي حفص على نلسان تم بدالة في اعادة الامر اليه على شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على ماسر عمله فقال يغمراسن تلك اعوادهم يذكرون عليها من شاءوا وكذلك يعقوب بن عبد الحق ما هد دولة بني مرين حصره رسول المنتصر الخليفة تنوس من بني ابي حفص وثالث ملوكهم وتختلف بعض ايامه عن شهودا الجمعية فقيل له لم يحصر هذا الرسول كراهية لخلو الخطبة من ذكر سلاطيه فاذن في الدعاء له وكان ذلك سبباً لا خذهم بدعوتيه وهكذا شان الدول في بدايتها وتمكها في الغضاضة والبداوة فاذا انتهت عيون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم واستتموا اشياء الحضارة ومعاني الذخ والابهة اتخلوا جميع هذه السمات وتمنوا فيها وتجاروا الى غايتها واسلوا من المشاركة فيها وحزعوها من افتقادها وخلو دولتهم من آثارها والعالم بستان والله على كل شيء رقيب

## الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الامم وترتيبها

اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تنزل واقعة في الخليفة مد برأها الله واصلها ارادة انتقام بعض الشر من بعض ويتعصب لكل منها اهل عصبيته فاذا تدامروا ذلك ونواقفت الطائفتان احدها تطلب الانتقام والاخرى تدافع كانت الحرب وهو امر طبيعي في الشر لا تخلو عنه امة ولا جيل وسبب هذا الانتقام في الاكثر اما غيرة ومنافسة واما عدوان واما غضب لله ولدينه واما غضب للملك وسعي في تمهيد الاول اكثر ما يجري بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة والثاني وهو العدوان اكثر ما يكون من الامم الوحشية الساكنين بالفقر كالعرب والترك والتركان والاكراد واشباههم لانهم جعلوا



ارضاقهم في رماحهم ومعاشهم فيما بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه آذنه بالحرب ولا  
 بغية لهم فيما وراء ذلك من رتبة ولا ملك وإنما هم ونصب اعينهم غلب الناس على ما بي  
 ايديهم والثالث هو المسي في الشريعة بالجهاد والرابع هو حروب الدول مع الخارجين  
 عليها والمنايعن لطاعتها فهذه اربعة اصناف من الحروب الصنفان الاولان منها حروب  
 بغية وقتنة والصنفان الاخيران حروب جهاد وعدل وصفة الحروب الواقعة بين اهل  
 الخليفة منذ اول وجودهم على نوعين نوع بالزحف صنفوا ونوع بالكر والفر اما الذي  
 بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب اجيالهم واما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب  
 والبربر من اهل المغرب وقتال الزحف اوثق واشد من قتال الكر والفر وذلك لان  
 قتال الزحف ترتب فيه الصفوف ونسوي كما نسوي القداح او صفوف الصلاة ويمشون  
 بصفوفهم الى العدو قدماً فلذلك تكون اثنت عند المصارع واصدق في القتال وارهب  
 للعدولانه كالحائط المتد والفصر المشيد لا يطمع في ازالته وفي التنزيل ان الله يحب  
 الذين يقاتلون في سبيله صمًا كانوا من نبيان مرضوص اي يشد بعضهم بعضاً بالثبات وفي  
 الحديث الكريم الموءم للمومن كالنبيان يشد بعضه بعضاً ومن هنا يظهر لك حكمة ايجاب  
 الثبات وتحريم التولي في الزحف فان المقصود من الصف في القتال حفظ النظام كما قلناه  
 فمن ولي العدو ظهره فقد اخل بالمصاف ويا باثم الهزيمة ان وقعت وصار كانه جرها  
 على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعديتها الى الدين بمخرق  
 سياجه فعدس الكفاير ويظهر من هذه الادلة ان قتال الزحف اشد عند الشارع واما  
 قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا انهم قد  
 يتخذون وراءهم في القتال مصافاً ثابتاً يلجأون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال  
 الزحف كما ذكره بعد ثم ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة المالك كانوا يقسمون  
 الجيوش والعساكر اقساماً يسمونها كراديس ويسوون في كل كرادوس صفوة وسبب  
 ذلك انه لما كثرت جيودهم الكثيرة البالغة وحشدوا من قاصية النواحي استدعى ذلك  
 ان يجهل بعضهم بعضاً اذا اختلفوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب  
 فيخشى من تدافعهم فيما بينهم لاجل التكرار وجهل بعضهم بعضاً فلذلك كانوا يقسمون  
 العساكر جمعوا ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض ويرتبونها قريباً من الترتيب الطبيعي  
 في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ويسنون هذا  
 الترتيب التعبية وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين وصدرا الاسلام فيجعلون

بين يدي الملك عسكرياً منفرداً تصفوفه متميزاً بقائده ورايته وشعاره ويسمونه المقدمة ثم عسكرياً اخر ناحية اليمين عن موقف الملك وعلى سمتيه يسمنونه الميمنة ثم عسكرياً اخر من ناحية الشمال كذلك يسمنونه الميسرة ثم عسكرياً اخر من وراء العسكر يسمنونه الساقية ويقف الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربعة ويسمنون موقفة القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدى واحد للصر او على مسافة بعيدة اكثرها اليوم واليومان بين كل عسكرين منها او كيفما اعطاه حال العساكر في الفلته والكثرة فيمتد يكون الزحف من بعد هذه التعية وانظر ذلك في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين بالشرق وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تخلف عن رحيله لعدا المدي في التعية فاحتج لمن يسوقها من خلفه وعين لذلك الحجاج بن يوسف كما اشربا اليه وكاهو معروف في اخباره وكان في الدولة الاموية بالاندلس ايضاً كثير منه وهو مجهول فيما لديا لانا انما ادركنا دولا قليلة العساكر لا تنتمي في مجال الحرب الى التناكر بل اكثر الجيوش من الطائفتين معاً يجتمعهم لديا حلة او مدينة ويعرف كل واحد منهم قرنه ويناديه في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التعية

ومن مذاهب اهل الكرك والفر في الحروب ضرب المصاف ورا عسكريهم من الجمادات والحيوانات العجم فيتخذونها ملجأ للخيالة في كرمهم وفرهم يطلون به ثبات المقاتلة ليكون أدم للحرب واقرب الى العلب وقد يفعلها اهل الزحف ايضاً ليزيدهم ثباتاً وشدة فقد كان النرس وهم اهل الزحف يتخذون الثيلة في الحروب ويحملون عليها ارجاء من الخشب امثال الصروح مشعوبة بالمقاتلة والسلاح والرايات ويصنونها وراءهم في حومة الحرب كأنها حصون فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم وانظر ما وقع من ذلك في القادسية وان فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فحاطوهم ويعجوها بالسيف على خراطيمها فموتت ونكست على اعقابها الى مراياها بالمدائن فجمها معسكر فارس لذلك وانهمزوا في اليوم الرابع \* واما الروم وملوك النوط بالاندلس واكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة ينصبون للملك سريره في حومة الحرب ويحف به من خدمه وحاشيته وجنوده من هوزعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في اركان السرب ويحرق به سياج اخر من الرماة والرجال فيعظم هيكل السرب ويصير فتهلة مقاتلة وملجأ للكرك والفر وجعل ذلك الفرس ايام القادسية وكان رسم جالساً فيها على سريره نضبة جلوسه حتى اختلفت صفوف فارس وخالطة العرب في سيره ذلك فتحول عنه

الى الفرات وقتل \* واما اهل الكرك والفر من العرب واكثر الامم الدوية الرحالة فيصنون لذلك اهلهم والظهر الذي يحمل طعائهم فيكون فئة لهم ويسمون بها المجودة وليس امة من الامم الا وهي تعمل ذلك في حروبها وتراه اوتق في الجولة وامن من الغرة والهزيمة وهو امر متشاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعناضواعنه بالظهر الحامل للانتقال والنساطيط يجعلونها ساقفة من خلفهم ولا نغي غناء القبلة والابل فصارت العساكر بذلك عرصة المهرايم ومستشعرة للفرار في المواقف \* وكان الحرب اول الاسلام كله رحماً وكان العرب انما يعرفون الكرك والفر لكن حملهم على ذلك اول الاسلام امران احدهما ان اعداءهم كانوا يقاتلون زحماً فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم الثاني انهم كانوا مستهينين في جهادهم لما رغوا فيه من الصبر ولما ربح فيهم من الابل والرحف الى الاستماتة اقرب \* واول من اطلق الصف في الحروب وصار الى التعمية كراديس مروان من المحكم في قتال الصحاك الحارثي والحبيري بعده قال الطبري لما ذكر قتال الحبري فولى الحوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري وبلغ ابا الدلماء قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس واطل الصف من يومئذ انتهى فتوسى قتال الرحف واطال الصف ثم توسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف وذلك انها حينما كانت بدوية وسكنها الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكى النساء والولدان معهم في الاحياء فلما حصلوا على ترف الملك والنوا سكى القصور والحواضر وتركوا تان النادية والقرسوا لذلك عهد الابل والطعاش وصعب عليهم اتحادها فحملوا النساء في الاسنار وحملهم الملك والترف على اتخاذ النساطيط والاخية فاقصروا على الظاهر الحامل للانتقال<sup>(١)</sup> والاسية وكان ذلك صفتهم في الحرب ولا يعني كل الغناء لانه لا يدعو الى الاستماتة كما يدعو اليها الاهل والمال فيخف الصبر من اجل ذلك وتصرفهم الهيعات وتحرم صفوفهم . ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العساكر وتاكده في قتال الكرك والفر صار ملوك المغرب يتحدون طائفة من الافرنج في حدهم واخصوا بذلك لان قتال اهل وطهم كله بالكرك والفر والسلطان بتاكده في حقه ضرب المصاف ليكون رداً له مقاتلة امانه فلا يد من ان يكون اهل ذلك الصف من قوم متعودين للنبات في الرحف والاجنلوا على طريقة اهل الكرك والفر فانهزم السلطان والعساكر باحفاهم فاحتاج الملوك بالمغرب ان يتحدوا اجداً من هذه الامة المتعوده للنبات في الرحف وهم الافرنج ويرتبون مصاهم المحدث بهم منها هذا على ما اقوله للاتفال والاسية مراد بالاسية احرام كابدل لانه قوله في فصل المحدث الذي قربنا ادا نزلوا وصرىوا استماتاه

فيه من الاستعانة باهل الكفر وانهم استخفوا ذلك للضرورة التي اربنا كما من صنوف الاجفال  
 على مصاف السلطان والافرنج لا يعرفون غير الثبات في ذلك لان عاداتهم في القتال  
 الزحف فكانوا اقوم بذلك من غيرهم مع ان الملوك في المغرب انما يفعلون ذلك عند  
 الحرب مع امم العرب والبربر وقتالهم على الطاعة واما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذراً  
 من ممالئهم على المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا العهد وقد ابدى سببه والله بكل  
 شيء علم \* وبلغنا ان امم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهم وان نعية الحرب  
 عندهم بالمصاف وانهم يقسمون ثلاثة صنوف بصرىون صفاً وراء صف وبترجلون  
 عن خيولهم ويفرغون سهامهم بين ايديهم ثم يتناضلون جلوساً وكل صف ردة للذي امامه ان  
 يكسهم العدو الى ان يتهبوا الصر لاحدى الطائفتين على الاخرى وهي نعية محكمة غريبة \*  
 وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على معسكرهم عندما يتقاربون للزحف  
 حذراً من معرفة الليالي والهجوم على العسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من مصاعبة الخوف  
 فيلوذ الجيش بالحرار وتجد العوس في الظلمة سترام عاره فاذا تساوا في ذلك ارجف  
 العسكر ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك ينجرون الخنادق على معسكرهم اذ ارلوا وضربوا اسنهم  
 ويدبرون الحناير بطاقاع عليهم من جميع جهاتهم حرصاً ان يخاطبهم العدو بالليالي فينقادوا  
 وكانت للدول في امثال هذا قوة وعلية اقتدار باحتشاد الرجال وجمع الايدي علي وفي كل  
 منزل من منازلهم مما كانوا عليه من وفور العمران وصحامة الملك فلما خرب العمران وتعمه  
 ضعف الدول وقلة الجبود وعدم العلة نسي هذا الشأن حملة كانه لم يكن والله حير القادريين  
 وانظرو صبة علي رضي الله عنه وتجر بضة لاصحاح يوم صهين تجدد كثيراً من علم الحرب ولم  
 يكن احد اصبرها منه قال في كلام له فسووا صهوفكم كالسبايا المرصوص وقدموا  
 الدارع واخروا الحاسر وعصوا على الاضرار فانه ابى للسيف عن الهام والتوا على  
 اطراف الرماح فانه اصون للاستنة وغصوا الاضرار فانه اربط للجاس واسكن للقلوب  
 واختتموا الاصوات فانه اطرد للثقل واولى بالوقار واقبوا رايانكم فلا تميلوا ولا تتجمعوها  
 الا بايدي سمعناكم واستعينوا بالصدق والصبر فانه بقدر الصبر ينزل النصر وقال الاستر  
 يومئذ يجرص الارذ عصوا على التواجد من الاضرار واستنموا القوم بهامكم وتدنوا تدة  
 قوم موتورين يشارون بانائهم واخوانهم حناقاً على عدوهم وقد وطنوا على الموت انفسهم لئلا  
 يسبقوا بوتور ولا يلحقهم في الدنيا عار وقد اشار الى كثير من ذلك ابو بكر الصيرفي شاعر  
 لثبوتة واهل الاندلس في كلمة يمدح بها ناشئين من علي بن يوسف ويصف ثباته في حرب

شدها ويذكره بامور الحرب في وصاياها تحذيرات تنبهك على معرفة كثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها المملأ الذي يتفنع	من منكم الملك الهمام الاروغ
ومن الذي غدر العدو ودجى	فانقض كل وهو لا يتزعزع
تمضي الفوارس والطعان يصدها	عنه ويدمرها الوفاء فترجع
والليل من وضح الترائك انه	صبع على هام الجيوش يابع
اني فرعم يا بني صنهاجة	واليكم في الروع كان المنزع
اسان عين لم يصبه منكم	حضن وقلب اسلمته الاضلع
وصدتمو عن ناشين وانه	لعفابه لو شاء فيكم موضع
ما اشمو الا اسود خفية	كل لكل كرهية مستطلع
ياناشين اقم لجيشك عذره	بالليل والعذر الذي لا يدفع

ومنها في سياسة الحرب

اهدبك من ادب السياسة ما به	كأت ملوك الفرس قبلك تولع
لا اني ادري بها لكنها	ذكرى تحض المومنين وتنفع
والس من الخلق المضاعفة التي	وصى بها صنع الصنائع تبع
والهندواني الرقيق فانه	امضى على حد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابق عدة	حصناً حصيناً ليس فيو مدفع
خندق عليك اذا ضربت محلة	سيان تشع ظافراً او تشع
والواد لا نعهده وانزل عنده	بين العدو وبين جيشك يقطع
واجعل مناخزة الجيوش عشية	وراءك الصدق الذي هو امنع
واذا تضابقت الجيوش بمعرك	ضنك فاطراف الرماح توسع
واصدمة اول وهلة لا تكترث	شياً فاطهار النكول يضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة	للصدق فيهم شية لا تخدع
لا تسع الكذاب جاءك مرجئاً	لا راي للكذاب فيما يصنع

قوله واصدمة اول وهلة لا تكترث البيت مخالف لما عليه الناس في امر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفي لما ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع واطع من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واشركهم في الامر ولا تخيبين مسرعاً حتى تنبين فانها الحرب

ولا يصلح لها الا الرجل المكيث الذي يعرف العرصة والكف وقال له في اخرى انه لن  
يمعني ان اوامر سليطاً الا سرعته في الحرب وفي التسرع في الحرب الا عن بيان ضياع  
والله نولا ذلك لامرته لكن الحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد  
بان الثاقل في الحرب اولى من المحموف حتى يتبين حال تلك الحرب وذلك عكس ما  
قاله الصبري الا ان يريد ان الصدم بعد البيان فله وجه والله تعالى اعلم \* ولا  
وثوق في الحرب بالظفرواں حصلت اسائه من العدة والعديد واما الظفر فيها والغلب  
من قبيل البحث والاتفاق وبيان ذلك ان اسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من امور  
ظاهرة وهي الجيوش ووفورها وكال الاسلحة واستجادتها وكثرة الشجعان وترتيب المصاف  
ومنة صدق القتال وما جرى مجرى ذلك ومن امور خفية وهي اما من خدع السر وحيلم  
في الارجاف والتشايخ التي يقع بها التخذيلى وفي التقدم الى الاماكن المرتفعة ليكون الحرب  
من اعلى فينتوهم المنخص لذلك وفي الكمون في الغياض ومطمن الارض والتواري بالكدي  
عوا العدو حتى يتداولهم العسكر دفعة وقد تورطوا فيتلهمون الى الحماة وامثال ذلك واما  
ان تكون تلك الاسباب الخفية اموراً ساوية لاقدرة للشر على اكتسابها تلقى في القلوب  
فيستولي الرهب عليهم لاجلها فتخل مراكرهم فتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهزائم عن هذه  
الاسباب الخفية لكثرة ما يعتمد لكل واحد من الفريقين فيها حرصاً على الغلب فلا بد  
من وقوع التاثير في ذلك لاحدهما ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة  
ومن امثال العرب رب حيلة ابع من قبيلة فقد تبين ان وقوع الغلب في الحروب غالباً  
عن اسباب خفية غير ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البحث كما نقرر  
في موضعه فاعثره ونهم من وقوع الغلب عن الامور السماوية كما شرحناه معنى قوله صلى  
الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين في حياته بالعدد  
القليل وغلب المسلمين من بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكفل لبيبه  
بالقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولي على قلوبهم فينهموا بمعجزة لرسوله صلى الله  
عليه وسلم فكان الرعب في قلوبهم سبباً للهزائم في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي عن  
العيون \* وقد ذكر الطرطوشي ان من اسباب الغلب في الحرب ان تنصل عدة الفرسان  
المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد  
الجانبين فيه عشرة او عشرون من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية او ستة عشر  
فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب واعاد في ذلك وابدى وهو راجع الى الاسباب

الظاهرة التي قد منا وليس بصحيح وإنما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان يكون في احد الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الآخر عصاب متعددة لان العصاب اذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل ما يقع في الوجدان المتفرقين الفاقدين للعصبية تنزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجاسب الذي عصابته متعددة لا يقاوم الجاسب الذي عصبته واحد لاجل ذلك فنذهب واعلم انه اصح في الاعشار ما ذهب اليه الطرطوشي ولم يجمله على ذلك لاسيما شان العصبية في حلقه وبلده وانهم انما يرون ذلك الدفاع والحماية والمطالبة الى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم لا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نساً وقد يسنا ذلك اول الكتاب مع ان هذا ومثاله على نقد بصححه انما هو من الاسباب الظاهرة مثل انفاق الجيش في العدة وصدق القتال وكثرة الاسلحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك كميلاً بالغلب ونحن قد قررنا لك الان ان شيئاً منها لا يعارض الاسباب الحمية من الخيل والمخداع ولا الامور السماوية من الرعب والخدلان الالهي فافهمه ونفهم احوال الكون والله مقدر الليل والنهار \* ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمتخلين للنصائل على العموم وكثير من اشهر بالشر وهو بخلافه وكثير من تجاوزت عنه الشهرة وهو احق بها واهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقاً على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هما الاخبار والاخبار يدخلها الدهول عن المقاصد عند الناقل ويدخلها التعصب والتسبيح ويدخلها الاوهام ويدخلها المحمل بمطابقة الحكايات للاحوال لحنائها بالتلبس والتصنع او الجهل الناقل ويدخلها التقرب لاصحاب التجارة والمراتب الديوية بالنشاء والمدح وتحسين الاحوال واساعة الذكر بذلك والهوس مولعة بحجب التناء والناس متظاولون الى الدنيا واسبابها من حاه او ثروة وليسوا من الاكثر راغبين في النصائل ولا منافسين في اهلها وابس مطابقة الحق مع هذه كلها فتخلل الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل سبب خفي فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما نقرر والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل الثامن والثلاثون

في الجبائية وسبب قلتها وكثرتها

اعلم ان الجبائية اول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة و آخر الدولة تكون

كثيره الوزائع قليلة الجملة والسبب في ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليست الا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة الوزائع لان مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج وجميع المغارم الشرعية وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن التغلب والعصية فلا بد من البداءة في اولها كما تقدم والبداءة تقتضي المسامحة والمكارمة وخص الجناح والتجاني عن اموال الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الا في النادر فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التي تجمع الاموال من مجموعها واذا قلت الوزائع والوظائف على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه فيكثر الاعتمار وبتزايد الحصول الاغناط قلقة للمعرم واذا كثرت الاعتمار كثرت اعداد تلك الوظائف والوزائع فكثرت الحماية التي هي جعلتها فاذا استمرت الدولة وانصلت وتعاقب ملوكها واحداً بعد واحد وانصفوا بالكيس وذهب سرُّ البداءة والسذاجة وخلقتها من الاغصاء والتخافي وجاء الملك العصوص والحصارة الداعية الى الكيس وتخلق اهل الدولة حينئذٍ بخلق التخلدق وتكثرت عوائدهم وحوالهم بسبب ما انغمسوا فيه من العيم والترف فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذٍ على الرعايا والاكثرة والفلاحين وسائر اهل المغارم ويريدون في كل وظيفة ووزيعة مقداراً عظيماً لتكثر لهم الحماية ويصعون المكوس على المبيعات وفي الابواب كما يذكر بعد ثم تدرج الريادات فيها بمقدار بعد مقدار لتدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والاماق بسببه حتى تنقل المغارم على الرعايا وتنهضم وتصير عادة مبروسة لان تلك الريادة تدرجت قليلاً قليلاً ولم يشعر احد بهن زادهما على التعيين ولا من هو واصعبها اما نت على الرعايا في الاعتمار لذهاب الامل من نفوسهم بقلة النفع اذا قال بين نفعه ومغارميه وبين تمريره وفائده فتتقص كثير من الايدي عن الاعتمار جملة فتتقص حملة الحماية حينئذٍ بتقص تلك الوزائع منها وربما يريدون في مقدار الوظائف اذا راوا ذلك النقص في الحماية ويحسونه حراً لما نقص حتى تنهي كل وظيفة ووزيعة الى عاية ليس وراءها مع ولا فائدة لكثرة الاتفاق حينئذٍ في الاعتمار وكثرة المغارم وعدم فناء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجملة في نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من حبر الجملة بها الى ان يتقص العمران بذهاب الامال من الاعتمار ويعود وبال ذلك على الدولة لان فائدة الاعتمار عائدة اليها واذا فهمت ذلك علمت ان اقوى الاسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف علي المعتمرين ما امكن فذلك تبسط النفوس اليه لتقننها بادراك المنفعة فيه والله سبحانه وتعالى



مالك الامور كلها ويده ملكوت كل شيء

## الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس واخر الدولة

اعلم ان الدولة تكون في اولها بدوية كما قلنا فتكون لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون خرجهما وافاقها قليلاً فيكون في الحماية حينئذٍ وفاءً ما يزيد منها بل بهصل منها كثير عن حاجاتهم ثم لانتلث ان تاخذ بدس الحصاره في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج اهل الدولة ويكثر خراج السلطان خصوصاً كثرة البغية بنفقتيه في خاصته وكثرة عطائه ولا تبي بذلك الحماية فتحجاج الدولة الى الريادة في الحماية لما تحتاج اليه الحماية من العطاء والسلطان من النفقة فيزيد بمقدار الوظائف والورائع اولاً كما قلناه ثم يزيد الخراج والحاجات والتدريج في عوائد الترف وفي العطاء للحماية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصاتها عن جباية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الحماية وتكثر العوائد ويكثر بكثيرها اوراق الجهد وعطاؤهم ويستحدث صاحب الدولة انواعاً من الحماية بصرفها على البياعات ويفرض لها قدرًا معلومًا على الايمان في الاسواق وعلى اعيان السلع في اموال المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بمادعاء اليه ظرف الناس من كثرة العطاء من ريادة الجيوش والحامية ورما يريد ذلك في اواخر الدولة ريادة الباغية فتكسد الاسواق لسداد الامال ويؤذن ذلك ماختلال العمران ويعود على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى ان تصحل وقد كان وقع منه ما صار المشرق في اخريات الدولة العباسية والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم واسقط صلاح الدين ابواب تلك الرسوم حملة واعاصها باثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف حتى محي رسمه يوسف بن تاشفين امير المرابطين وكذلك وقع ما صار الجريد نافر يقية لهذا العهد حين استند بها رؤسائها والله تعالى اعلم

## الفصل الاربعون

في ان التجارة من السلطان مصرة بالرعايا ومهسدة للحماية

اعلم ان الدولة اذا صاقت جبايتها بما قدمناه من الترف وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحاصل من جبايتها على الوفاء بمحاجاتها وبقائها واحناجت الى مريد المال والحماية فتارة توضع المكوس على بيعات الرعايا واسواقهم كما قدمنا ذلك في الفصل قبله

ونارة بالزيادة في القاب المكوس ان كان قد استحدث من قبل ونارة بمقاسمة العمال  
 والحياة وامتلاك عظامهم لما يرون انهم قد حصلوا على شيء طائل من اموال الحماية  
 لا يظهرون المحسان ونارة باستحداث التجارة والملاحة للسلطان على تسمية الحماية لما يرون  
 التجار والفلاحين يحصلون على العوائد والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على  
 نسبة رؤوس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله في شراء الضائع  
 والتعرض بها لحالة الاسواق ويمسسون ذلك من اضرار الحماية وتكثير العوائد وهو غلط  
 عظيم وادخال الصرر على الرعايا من وحوه متعددة فالاولا مصايقة الفلاحين والتجار في  
 شراء الحيوان والضائع وتيسير اسباب ذلك فان الرعايا متكافئون في اليسار متقاربون  
 ومزاحمة بعضهم بعضا تنهي الى غاية موحودهم او قرب واذا رافقهم السلطان في ذلك  
 وماله اعظم كثيرا منهم فلا يكاد احد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل  
 على النوس من ذلك غم وكند ثم ان السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك اذا تعرض له  
 غصا او بايسرثم او لا يجد من يباشره في شرايه فيبغض ثمنه على ائنه ثم اذا حصل فوائد  
 الفلاحة ومغلبها كله من ررع او حربر او غسل او سكر او غير ذلك من انواع الغلات  
 وحصلت صنائع التجارة من سائر الانواع فلا ينتظرون به حوالة الاسواق ولا مناق  
 البياعات لما يدعومهم اليه تكاليف الدولة فيكلمون اهل تلك الاصناف من تاجر او فلاح  
 بشراء تلك الصنائع ولا برصون في اتمانها الا القيم وارىد فيستوعمون في ذلك باض  
 اموالهم وتبقى تلك الصنائع بايديهم عروضا جامدة وبمكثون عطلا من الادارة التي فيها  
 كسبهم ومعاشهم وربما تدعومهم الصرورة الى شيء من المال فيبيعون تلك السلع على كساد  
 من الاسواق بالحس ثم وربما يتكرر ذلك على التاجر والملاح منهم بما يذهب راس ماله  
 فيقعده عن سوقه ويتعدد ذلك ويتكرر ويدخل به على الرعايا من العنت والمصايقة  
 وفساد الارباح ما يقص اموالهم عن السعي في ذلك حملة وبودي الى فساد الحماية فان  
 معظم الحماية انما هي من الملاحين والتجار لاسيما بعد وضع المكوس ونحو الحماية بها فاذا  
 انقض الملاحون عن الملاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الحماية جملة او دخلها  
 النقص المتماثل واذا قايس السلطان بين ما يحصل له من الحماية وبين هذه الارباح  
 القليلة وجدها بالنسبة الى الحماية اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيدا فيذهب له بحظ  
 عظيم من الحماية فيما يعانیه من شراء او بيع فانه من البعيدين ان يوجد فيه من المكس ولو  
 كان غيره في تلك الصفقات لكان تكسبها كلها حاصلا من جهة الحماية ثم فيه التعرض

لاهل عمراؤه واختلال الدولة بفسادهم ونقصه فان الرعايا اذا تعدوا عن تمييز اموالهم  
 بالفلاحة والتجارة نقصت وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلاف احوالهم فافهم ذلك وكان  
 العرس لا يملكون عليهم الا من اهل بيت المملكة ثم يختارونه من اهل الفضل والدين  
 والادب والسجاء والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان لا يتخذ صنعة  
 فيصر بجيرايه ولا يتاجر فيجب غلاء الاسعار في البصائع وان لا يستخدم العبيد فانهم  
 لا يتبرون بجيرو ولا مصلحة . واعلم ان السلطان لا يبي ماله ولا يدبر موجوده الا الحجابة  
 وادرارها اما يكون بالعدل في اهل الاموال والنظر لم بذلك فذلك تنسب اموالهم  
 وتشرح صدورهم للاخذ في تمييز الاموال وتمييزها فتعظم منها جباية السلطان واما غير  
 ذلك من تجارة او فلاح فاما هو مصرة عاجلة للرعايا وفساد للحجابة ونقص للعمارة وقد ينتهي  
 الحال بهؤلاء المستحقين للتجارة والفلاحة من امراء والمتغلبين في اللدان انهم يتعرضون  
 لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما  
 يشاءون ويبعونها في وقتها لم تحت ايديهم من الرعايا بما يعرضون من الثمن وهذه  
 اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم وربما يجمل السلطان على ذلك  
 من بداخلة من هذه الاصناف اعني التجار والبلابين لما هي صناعته التي شأ عليها  
 فيجمل السلطان على ذلك ويصرب معه سهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال  
 سريعا سيما مع ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها اجدر سمو الاموال  
 واسرع في تمييزه ولا ينهم ما يدخل على السلطان من الصرر نقص حمايته فينغي  
 للسلطان ان يجذر من هولاء ويعرض عن سعاينهم المضرة بحمايته وسلطانه والله يلهينا  
 رشد انفسنا ويعتصمنا صالح الاعمال والله تعالى اعلم

### الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة  
 والسبب في ذلك ان الحجابة في اول الدولة تنوزع على اهل القبيل والعصية  
 بمقدار غنائمهم وعصبيتهم ولان الحاجة اليهم في تهديد الدولة كما فلاءه من قبل فرئيسهم في  
 ذلك مخافة لم عما يسمون اليه من الحجابة معتاض عن ذلك بما هو يروم من الاستبداد  
 عليهم فله عليهم عرة وله اليهم حاجة فلا يطير في سهاوه من الحجابة الا الاقل من حاجتو  
 فتجد حاشيته لذلك واذباله من الوزراء والكتاب والموالي ملتئين في الغالب وجاهم

متفصل لانه من جاه مخدومهم وبطاقة قد ضاق من يزاحمه فيه من اهل عصبته فاذا استفلحت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستداد على قومه قبض ايديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين الناس في سهامهم ونقل حظوظهم اذ ذاك لقله غنائمهم في الدولة بما اكبح من اعنتهم وصار الموالي والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة ونهيد الامر فينورد صاحب الدولة حينئذ بالجباية او معطها ويجنوي على الاموال ويحجبها للنفقات في مهمات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلي خزائنه ويتسع نطاق جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال حاشيته وذويه من وزير و كاتب وحاجب ومولى وشرطي ويتسع جاههم ويقتنون الاموال ويتأثلونها ثم اذا اخدت الدولة في الهرم تلاشي العصبية وفناء القليل الماهدين للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والاصار لكثرة الخوراج والممازعين والثوار وتوهم الانتفاض فصار خراجهم لظهوره واعوايه وهم ارباب السيوف واهل العصبية وافق خزائنه وحاصله في مهمات الدولة وقلت مع ذلك الجباية لما قدمه من كثرة العطاء والاساق فيقل الحراج وتنتد حاجة الدولة الى المال فيمتلص ظل النعمة والترف عن الخواص والحجاب والكتائب تنقلص الجاه عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تستد حاجة صاحب الدولة الى المال وتنفق ابناء البطانة والحاشية ما تاتله اناؤهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب الدولة و يقبلون على غير ما كان عليه اناؤهم وسلمهم من المماصحة ويرى صاحب الدولة انه احق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجاههم فيصطلها ويتزعمها منهم لنفسه شيئاً فثبثاً واحداً بعد واحد على سببه رتبهم وتنكر الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها ورجالها واهل الثروة والنعمة من بطانها وبنفوس ذلك كثير من ماني الحد بعد ان يدعه اهله ويرفعوه . وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني قحطمة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انحلالها ايام الطوائف في بني تميد وبني ابي عدة وبني حديرو وبني برد وامثالهم وكذا في الدولة التي ادركها لعهد ناسه الله التي قد خلت في عاده

\* فصل \* ولما يتوقعه اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخلص من رقة السلطان بما حصل في ايديهم من مال الدولة الى قطر اخر ويرون انه اهانهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاوهم المفسدة لاجوالهم ودينهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول

فيه عسير ممنوع فان صاحب هذا الغرض اذا كان هو الملك نفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك طرفة عين ولا اهل العصبية المزاحمون له بل في ظهور ذلك منه هدم ملكه واتلاف لنفسه بجاري العادة بذلك لان ربة الملك بعسر الخلاص منها سيما عند استئصال الدولة وضيق نطاقها وما يعرض فيها من العد عن المجد والخلال والتخلق بالشر واما اذا كان صاحب هذا الغرض من نطانة السلطان وحاشيته واهل الرتب في دولته فقل ان بجلي بسه و بين ذلك اما اولاً فلما براه الملك ان ذوبهم وحاشيتهم بل وسائر عاياهم ممالك لم مطلعون على ذات صدورهم فلا يسحون بحل رقبته من الخدمة ضمناً باسرارهم واحوالهم ان يطلع عليها احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد كان بنو امية بالاندلس يمعون اهل دولتهم من السفر لفرصة الحج لما يتوهمونه من وقوعهم بايدي بني العباس فلم يحج سائرا يامهم احد من اهل دولتهم وما اتج الحج لاهل الدول من الاندلس الا بعد فراغ شان الاموية ورجوعها الى الطوائف واما تانياً فلانهم وان سحوا بحل رقبته هو فلا يسحون بالتحج عن ذلك المال لما يرون انه حرة من ما لهم كما يرون انه جزء من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها وفي ظل جاهها فتحوم بهموسم على انتزاع ذلك المال والتفام كما هو حرة من الدولة يتفقون به ثم اذا توهمنا انه خلس بذلك المال الى قطر اخروه في الدار الاقل فتمتد اليه اعين الملوك بذلك القطر ويتزعمونه بالارهاب والتخويف تعريصاً او بالظهر ظاهر المبرون انه مال الحماية والدول وانه مستحق للانفاق في المصالح واذ كانت اعينهم تمتد الى اهل الثروة واليسار المتكسبين من وجوه المعاش فاحرى بها ان تمتد الى اموال الحماية والدول التي تجد السبيل اليه بالشرع والعادة ولقد حاول السلطان ابو يحيى زكريا بن احمد اللخمي تاسع او عاشر ملوك الحنفية بفاريقة الخروج عن عهدة الملك والحقاق بمصر فراراً من طلب صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغرو تونس فاستعمل اللخمي الرحلة الى تغرط ابلس يوربي تهبيده وركب السفين من هالك وخلص الى الاسكندرية بعد ان حمل جميع ما وجدته ببيت المال من الصامت والدخيرة و باع كل ما كان بخراثنهم من المتاع والعقار والمجوهر حتى الكتب واحتمل ذلك كاهة الى مصر و برل على الملك الناصر محمد بن قلاوون ستة سبع عشر من المائة الثامنة فاكرم نزله ورفع مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شيئاً فشيئاً بالتعريض الى ان حصل عليها ولم يبق معاش ابن اللخمي الا في جرابته التي فرض له الى ان هلك سنة ثمان وعشرين حسبها بذكره في اخباره فهذا وامثلة من جملة الوسواس الذي يعتري

اهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من المعاطب وانما يخلصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوهمون من الحاجة فغلط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كافٍ في وجدان المعاش لهم بالمجرايات السلطانية او بالجواهر في التحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول اسباب لكن .

النفس راغمة اذا رغبتها واذا تردت الى قليل نفع

والله سبحانه هو الرزاق وهو الموفق بمنه وفصله والله اعلم

## الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الحماية

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجمن السلطان الاموال والحمايات او فقدت فلم يصر فيها في مصارفها قل حينئذ ما يبدي الحاشية والحامية وانقطع ايضاً ما كان يصل منهم للحاشينهم وذويهم وقلت نفقاتهم حملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيقل الخراج لذلك لان الخراج والحماية انما تكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للفوائد والارباح ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقله اموال السلطان حينئذ قلته الخراج فان الدولة كما قلناه هي السوق الاعظم ام الاسواق كلها واصلها ومادتها في الدخل والخرج فان كسدت وقلت مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واتد منه وايضاً فالمال انما هو متردد بين الرعية والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حسه السلطان عنده فقدته الرعية سنة الله في عماده

## الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم موذن بخراب العمران

اعلم ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بامالهم في تحصيلها واكتسابها لما يروونه حينئذ من ان عاينها ومصيرها انتهاجها من ايديهم واذا ذهبت امالهم في اكتسابها وتحصيلها انقضت ايديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعنداء وسببه يكون اقتباس الرعايا عن السعي في الاكتساب فاذا كان الاعنداء كثيراً عاماً في جميع اسباب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالامال جملة بدخوله من جميع اسبابها وان

كان الاعتداء يسيراً كان الانقراض عن الكسب على سببه والعمران ووفورة ونفاق  
 اسواقه انما هو بالاعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين وجائين فاذا قعد  
 الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق العمران وانتقضت  
 الاحوال واندعر الناس في الافاق من غير تلك الايالة في طلب الرزق فيما خرج عن  
 نطاقها فخف ساكن القطر وخلت دياره وخرجت امصاره واختل باخلاقه حال الدولة  
 والسلطان لما انها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة وانظر في ذلك ما حكاؤه  
 المسعودي في اخبار الفرس عن الموبدان صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما  
 عرض به للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدولة بضرب  
 المثال في ذلك على لسان اليوم حين سمع الملك اصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال له  
 ان يوماً ذكراً يروم تكاح يوم انثى وانها شرطت عليه عشرين قرية من الخراب في ايام  
 بهرام فقبل شرطها وقال لها ان دامت ايام الملك اقطعتك الف قرية وهذا سهل مرام  
 فتنه الملك من غمته وخلا بالموبدان وسأله عن مراده فقال له ايها الملك ان الملك  
 لا يتم عزه الا بالشرعية والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام للشرعية  
 الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى المال الا  
 بالعمارة ولا سبيل للعمارة الا بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب  
 وجعل له قيساً وهو الملك وانت ايها الملك عمدت الى الضياع فانتزعتها من اربابها  
 وعمارها وهم ارباب الخراج ومن توخذ منهم الاموال واقطعتها الحاشية والخدم واهل  
 البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الصياع وسومحوا في الخراج لفرهم  
 من الملك ووقع الحيف على من بقي من ارباب الخراج وعمار الصياع فاجلوا عن ضياعهم  
 واخلوا ديارهم واووا الى ما تعذر من الصياع فسكنوها فقلت العمارة وخرت الضياع  
 وقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من جاورهم من الملوك  
 لعلمهم بانفطاع المواد التي لانستقيم دعائم الملك الا بها فلما سمع الملك ذلك اقبل على  
 النظر في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت على اربابها ونخلوا على رسومهم  
 السالفة واخذوا في العمارة وقوي من ضعف منهم فعمرت الارض واخصبت البلاد وكثرت  
 الاموال عند جباة الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد الاعداء وشحنت الثغور واقبل  
 الملك على مباشرة اموره بنفسه فحسنت ايامه وانتظم ملكه فتنهم من هذه الحكايات ان  
 الظلم مخرب للعمران وان عائدة الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض

ولا تنظر في ذلك الى ان الاعنداء قد يوجد بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعنداء واحوال اهل المصر فلما كان المصر كبيراً وعمراً كثيراً واحواله متسعة بما لا ينحصر كان وقوع النقص فيه بالاعنداء والظلم يسيراً لان النقص انما يقع بالتدريج فاذا اخفي بكثرته الاحوال واتساع الاعمال في المصر لم يظهر اثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من اصلها قبل خراب المصر ونجبي الدولة الاخرى فترفعه مجدتها وتجبر النقص الذي كان خفياً فيه فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل النادر والمراد من هذا ان حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لما قد مناه ووباله عائد عليه الدول ولا تحسن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد ما لكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ ملك احد او غصبة في عمله او طالبه بغير حق او فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه فجماعة الاموال بغير حقها ظلمة والمعتدون عليها ظلمة والمتهمون لها ظلمة ولما نعون لحقوق الناس ظلمة وخصاب الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لاذها به الامال من اهله واعلم ان هذه هي الحكمة المنصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك موذن بانقطاع النوع الشري وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة من حفظ الدين والنفس والعقل والسل والمال فلما كان الظلم كما رايت موذناً بانقطاع النوع لما ادى اليه من تخريب العمران كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهماً وادلتنا من القرآن والسنة كثير اكثر من ان ياخذها قانون الضبط والمحصر ولو كان كل واحد قادراً على لوضع يازاته من العقوبات الزاجرة ما وضع بازاء غيره من المفسدات للوع التي يقدر كل احد على اقترافها من الزنا والقتل والسكر الا ان الظلم لا يقدر عليه الا من يقدر عليه لانه انما يقع من اهل القدرة والسلطان فيبلغ في ذمه وتكبير الوعيد فيه عسى ان يكون الوازع فيه للقادر عليه في نفسه وما ربك بظلام للعبيد ولا تقولن ان العقوبة قد وضعت بازاء المحاربة في الشرع وهي من ظلم القادر لان المحارب زمن حرابته قادر فان في الجواب عن ذلك طريقين احدهما ان نقول العقوبة على ما يقترفه من الجنابات في نفس اموال على ما ذهب اليه كثير وذلك انما يكون بعد القدرة عليه والمطالب بتجنيته واما نفس المحاربة فهي خلو من العقوبة . الطريق الثاني ان نقول المحارب لا يوصف



بالقدرة لانا اما بعني نفرة الظالم اليد المبسوطة التي لا تعارضها قدرة فهي المودنة  
 بالخراب واما قدرة المحارب فانما هي اخافة يجعلها ذريعة لاخذ الاموال والمدافعة عنها  
 بيد الكل موجودة شرعاً وسياسة فليست من القدر المودن بالخراب والله قادر على ما  
 يشاء . ومن اشد الظلامات واعظهما في افساد العمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا  
 بغير حق وذلك ان الاعمال من قبيل المتمولات كما سنبين في باب الرزق لان الرزق  
 والكسب انما هو قيم اعمال اهل العمران فاذا مساعيم واعمالهم كلها متمولات ومكاسب  
 لهم بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعية المعتملين في العمارة انما معاشهم ومكاسبهم من  
 اعمالهم ذلك فاذا كلفوا العمل في غير شانهم واتخذوا سخرياً في معاشهم بطل كسبهم  
 واغتنصوا قيمة عملهم ذلك وهو متبولهم فدخل عليهم الضرر وذهب لهم حظ كبير من  
 معاشهم بل هو معاشهم بالجملة وان تكرر ذلك عليهم افسد امالهم في العمارة وقعدوا عن  
 السعي فيها حتملة فادى ذلك الى انتفاص العمران وتخريبه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق  
 واعظم من ذلك في الظلم وفساد العمران والدولة التسلط على اموال الناس بشراء  
 ما بين ايديهم بالبحس الاثمان ثم فرص الصائع عليهم برفع الاثمان على وجه الغصب  
 والاكراه في الشراء والبيع وربما نهض عليهم تلك الاثمان على النواحي والتاجيل فيتعللون  
 في تلك الحسارة التي تلحقهم بما تحذتهم المطامع من جبر ذلك بحجالة الاسواق في تلك  
 الصائع التي فرضت عليهم بالغلاء الى بيعها بالبحس الاثمان وتعود خسارة ما بين  
 الصفتين على رؤوس اموالهم وقد يعم ذلك اصناف التجار المقيمين بالمدينة والواردين  
 من الافاق في الصائع وسائر السوق واهل الدكاكين في الماكل والنواكح واهل الصنائع  
 فيما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الحسارة سائر الاصناف والطلقات وتناول على  
 الساعات ونحف رؤوس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا القعود عن الاسواق  
 لذهاب رؤوس الاموال في جبرها بالارباح ويتناقل الواردون من الافاق لشراء الصائع  
 وبيعها من اجل ذلك فتكسد الاسواق ويبطل معاش الرعايا لان عامته من البيع  
 والشراء واذا كانت الاسواق عطلاً منها بطل معاشهم ونقص جباية السلطان او نفسد  
 لان معظمها من اوسط الدولة وما بعدها انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه  
 ويؤول ذلك الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الحال على التدرج  
 ولا يتعبر به هذا ما كان نامثال هذه الذرائع والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها  
 مجاناً والعدوان على الناس في اموالهم وحرمتهم ودمائهم واسرارهم واعراضهم فهو يقضي الى

الخلل والفساد دفعة وتنفض الدولة سريعاً بما يستأ عنه من الهرج المفضي الى الانتفاض  
ومن اجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكابسة في البيع والشراء وحظر  
أكل اموال الناس بالباطل سداً لابواب المفاسد الممصية الى انتفاض العيران بالهرج  
او بطلان المعاش واعلم ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى الاكثر  
من المال بما يعرض لهم من الترف في الاحوال فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يبي به  
الدخل على القوانين المعتادة يستحدثون القاناً ووجوهاً يوسعون بها الحماية ليفي لهم الدخل  
بالخرج ثم لا يزال الترف يريد والخرج يسببه يكثر والحاجة الى اموال الناس تشتد  
ويطاق الدولة بذلك يزيد الى ان ننسجي دائرتها ويذهب رسمها ويغلبها طالبها والله اعلم

### الفصل الرابع والاربعون

في ان التحاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم  
اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه لانه لا يد  
لها من العصبية التي بها يتم امرها ويحصل استيلاؤها والبداءة هي شعار العصبية والدولة  
ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعز الغلب فقط  
فالبداءة التي بها يحصل الغلب بعيدة ايضاً عن منازع الملك ومذاهبه فاذا كانت  
الدولة في اول امرها ندوية كان صاحبها على حال الغضاضة والبداءة والقرب من  
الناس وسهولة الاذن فاذا رشح عزه وصار الى الافراد بالجد وإحتياج الى الافراد بنفسه  
عن الناس للحدوث مع اوليائه في خواص شؤونه لما يكثر حينئذ بحاشيته فيطلب  
الافراد من العامة ما استطاع ويتخذ الاذن سابه على من لا يمانه من اوليائه واهل  
دولته ويتخذ حاجلاً له عن الناس بقيمة سابه لهذه الوظيفة ثم اذا استعمل الملك وجاءت  
مذاهه ومنازعه استعملت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة  
يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بما يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من  
ياشرهم فوقع فيما لا يرضهم فتمخطوا وصاروا الى حالة الانتقام منه فانفرد بمعرفة هذه  
الاداب الخواص من اوليائهم وحججوا غير اولئك الخاصة عن لقاءهم في كل وقت  
حفظاً على انفسهم من معاينة ما يستغظهم على الناس من التعرض لعقابهم فصار لهم تحاب  
اخر اخص من التحاب الاول ينضي اليهم منه خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من  
سواهم من العامة والتحاب الثاني يضي الى مجالس الاولياء ويحجب دونه من سواهم من

العامه والمحجبا الاول يكون في اول الدولة كما ذكرنا كما حدث لا يام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني امية وكان القائم على ذلك المحجبا يسمى عندهم المحجبا جريا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة بني العباس وجدت الدولة من الترف والعزما هو معروف وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعا ذلك الى المحجبا الثاني وصار اسم المحجبا اخص به وصار سباب الخلفاء داران للعاسية دار الخاصة ودار العامة كما هو مسطور في اخبارهم ثم حدث في الدول حجاب ثالث اخص من الاولين وهو عند محاولة المحجر على صاحب الدولة وذلك ان اهل الدولة وخواص الملك اذا بصوا الاساء من الاعقاب وحاولوا الاستناد عليهم فاول ما يدا به ذلك المستبدان يحجب عنه نظارة ائمه وخواص اوليائه بوجهه ان في مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون الادب ليقطع بذلك لفاء العير ويعوده ملاسة اخلاقه هو حتى لا يتبدل به سواء الى ان يستحكم الاستيلاء عليه فيكون هذا المحجبا من دواعيه وهذا المحجبا لا يقع في الغالب الا اواخر الدولة كما قدمناه في المحجرو يكون دليلا على هرم الدولة وبما ذقونها وهو ما يجتساه اهل الدول على انفسهم لان الفايين بالدولة يجاولون على ذلك تطاعمهم عند هرم الدولة وذهاب الاستناد من اعقاب ملوكهم لما ركب في النفوس من محبة الاستناد بالملك وخصوصا مع الترتيح لذلك وحصول دواعيه وماديه

### الفصل الخامس والاربعون

#### في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم ان اول ما يقع من اثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك ان الملك عندما يستعمل و يبلغ احوال الترف والعيم الى عاينها ويستند صاحب الدولة بالمجد وينتد به وياف حينئذ عن المشاركة و يصير الى قطع اساهما ما استطاع باهلاك من استرأب به من ذوي قرانه المرتحين لمصبه فرما رتاب المساهمون له في ذلك بانفسهم ورعوا الى القاصية اليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاعتراض والاسترأب ويكون نطاق الدولة قد اخذ في التضيق ورجع عن القاصية فيستند ذلك النارع من القرانة فيها ولا يزال امره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى ية اسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان امرها حريزا محمدا ونطاقها ممتدا في الانساع وعصبة بني عبد مناف واحدة غالبه على سائر مضر فلم ينصب عرق من الخلافة سائرا يامه الا ما كان من بدعة الخوارج

المستميتين في شان مدعنتهم لم يكن ذلك لتزعة ملك ولا رئاسة ولم يتم امرهم لئلا حنهم العصبية  
 القوية ثم لما خرج الامرن بني امية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد  
 بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالتفلس عن القاصية سرع عبد الرحمن الداخل  
 الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكاً واقطعها عن دولتهم وصير الدولة  
 دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج به وقام بامرؤ وامرأته من بعده البربرية من  
 اوربة ومغيلة وزنانة واستولى على ناحية المغربين ثم اردادت الدولة نقلاً فاضطرب  
 الاغالة في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بامرهم كتامة وصنهاجة واستولوا على افريقية  
 والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وعلوا على الادارسة وسموا الدولة دولتين اخريين وصارت  
 الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب واصلمهم وماذتهم الاسلام ودولة بني  
 امية المجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة العبيديين بافريقية ومصر  
 والشام والحجاز ولم ترل هذه الدولة الى ان افراضها متفارقاً او جميعاً وكذلك انقسمت  
 دولة بني العباس بدول اخرى وكان بالقاصية سوساسان فيما وراء النهر وخراسان  
 والعلوية في الديلم وطبرستان وآل ذلك الى استيلاء الديلم على العراقين وعلى بغداد  
 والحلفاء ثم جاء السلجوقية بمكوا جميع ذلك ثم انقسمت دولتهم ايضاً بعد الاستئجال كما هو  
 معروف في اخبارهم وكذلك اعتره في دولة صهاجة بالمغرب وافريقية لما بلغت الى عاينها  
 ايام ناديس بن المصور خرج عليه عمه حمادوا فقتل مالكة العرب لنفسه ما بين حل اوراس  
 الى تلمسان وملوية واخطت القلعة بجبل كتامة حبال المسيلة ونزلها واستولى على مركزهم اشير  
 بجبل نيطرى واستحدث ملكاً آخر قسماً لملك آل ناديس ونقي آل ناديس بالخير وان  
 وما اليها ولم يرل ذلك الى ان انقرض امرها جميعاً وكذلك دولة الموحدين لما نقلت طلبها  
 تار افريقية سواني حصن فاستقلوا بها واستحدثوا ملكاً لا عقابهم سواحيها ثم لما استئجل امرهم  
 واستولى على الغاية خرج على المملك العربية من اعقابهم الامير اوروكر يايجي بن السلطان  
 ابي اسحاق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث ملكاً بجمايتة وقسطية وما اليها اورنة سيو وفسول  
 به الدولة قسيمين ثم استولوا على كرسي الحضرة تنوس ثم انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد  
 الاستيلاء فيهم وقد بنيت الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاث وفي غير اعياص الملك  
 من قوميه كما وقع في ملوك الطوائف بالاندلس وملوك العجم بالمشرق وفي ملك صهاجة  
 بافريقية فقد كان لاخر دولتهم في كل حصن من حصون افريقية تاثر مستقل بامرهم كما  
 تقدم ذكره وكذا حال الحريد والزاب من افريقية قبيل هذا العهد كما يدكره وهكذا

شان كل دولة لا بد وان يعرض فيها عوارض الهرم بالتترف والدعة ونقلص ظل الغلب فينقسم اعياصها ومن يغلب من رجال دولتها الامر ويتعد فيها الدول والله وارث الارض ومن عليها

## الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا رل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم واسانه واحداً بعد واحد و سبب انها تحدث للدولة بالطبع وانها كلها امور طبيعية لها واذا كان الهرم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الامور الطبيعية كما يحدث الهرم في المراج الحيواني والهرم من الامراض المرمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها لما انة طبيعي والامور الطبيعية لا تتبدل وقد يتسه كثير من اهل الدول ممن له بقظة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم من عوارض الهرم ويظن انه ممكن الارتفاع فياخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك الهرم وبحسنة انه لحنها تنصير من قلة من اهل الدولة وعملتهم وليس كذلك فانها امور طبيعية للدولة والعوائد هي المانعة له من تلافياها والعوائد منزلة طبيعية اخرى فان من ادرك مثلاً اناه واكثر اهل بيته بلبسون الحرير والديباغ ويخلون بالذهب في السلاح والمراكب ويختجبون عن الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه محالفة سلبه في ذلك الى الخشونة في الناس والري والاختلاط بالناس اذ العوائد حينئذ تمنعه وتقيع عليه مرتكة ولو فعله ارمي بالجبون والسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشي عليه عاتدة ذلك وعاقنته في سلطاه واطرسان الاسباء في انكار العوائد ومحالفتها لولا التأييد الالهي والنصر السماوي وربما تكون العصبية قد ذهبت فتكون الابهة تعوض عن موقعها من العوس فاذا اريلت تلك الابهة مع ضعف العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بدهاب اوهام الابهة فتندرع الدولة بتلك الابهة ما امكنها حتى يقضي الامر وربما يحدث عند اخر الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذناها ايماضة الخموض كما يقع في الذبال المشتعل فانه عند مقاربة الطوائف يومض ايماضة توهم انها اشتعال وهي اطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله تعالى وحكمته في اطراد وجوده على ما قدر فيه ولكل اجل كتاب

## الفصل السابع والاربعون

في كيفية طروق الخلل للدولة

اعلم ان منى الملك على اساسين لا بد منها فالاول الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه

بالمجند والثاني المال الذي هو قوام اولئك المجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من الاحوال  
 والمخلل اذا طرق الدولة طرفها في هديس الاساسين فلذا ذكر اولاً طرق المخلل في التسوكة  
 والعصية ثم رجع الى طريقه في المال والحماية واعلم ان تمهد الدولة وتاسيسها كما قلناه  
 اما يكون بالعصية وانه لا بد من عصية كبرى جامعة للعصائب مستتعة لها وهي عصية  
 صاحب الدولة الخاصة من عشيرة وقبيلة فاذا جاءت الدولة لطبيعة الملك من الترف  
 وجدع اوف اهل العصية كان اول ما يجدع اوف عشيرته ودوي قرناه المتفاسمين له في  
 اسم الملك فيستند في جدع اوفهم بما بلغ من سوادهم وباخذهم الترف ايضاً اكثر من سوادهم  
 لما كانهم من الملك والعرف والغلب فيحيط بهم هادما وما الترف والقهر ثم يصير النهر احراً  
 الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك لصاحب الامر فيقلب غيرته منهم  
 الى الحوف على ملكه فياخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والترف الذي تعودوا الكثير  
 منه فيهلكون ويقولون وتفسد عصية صاحب الدولة منهم وهي العصية الكبرى التي كانت  
 تجمع بها العصائب وتستتبعها فتفعل عرونها وتضعف شكينتها وتسندل عنها بالظالة  
 من موالي النعمة وصنائع الاحسان وتتخذ منهم عصية الا انها ليست مثل تلك الشدة  
 الشكسية لتفقد الرحمة والقراءة منها وقد كما قدما ان شان العصية وقوتها انما هي بالقراءة  
 والرحم لما جعل الله في ذلك فيبدر صاحب الدولة عن العتير والانصار الطبيعية ويجس  
 بذلك اهل العصائب الاخرى فيجتاسرون عليه وعلى نظائره تخاسراً طبيعياً فيهلكهم صاحب  
 الدولة ويتعمم بالقتل واحداً بعد واحد ويقتل الاخر من اهل الدولة في ذلك الاول  
 مع ما يكون قد رل بهم من مهلكة الترف الذي قدما فيستولي عليهم الملاك بالترف  
 والقتل حتى يجرحوا عن صفة تلك العصية وينشوا بعريها وشورتها و يصير ما اوحى على  
 الحماية ويقولون لذلك فتقل الحماية التي تنزل بالاطراف والتعور فتتخاسر الرعايا على  
 بعض الدعوة في الاطراف وينادر الحوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى تلك  
 الاطراف لما يرجون حينئذ من حصول عرصهم بما يبعه اهل القاصية لهم وامنهم من وصول  
 الحماية اليهم ولا يزال ذلك بتدرج ونطاق الدولة يتصابق حتى نصير الحوارج في اقرب  
 الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاث على قدر قوتها  
 في الاصل كما قلناه ويقوم بامرها غير اهل عصيتها لكن اذا دعانا لاهل عصيتها ولعلمهم المعبود  
 واعتر هذا في دولة العرب في الاسلام انتهت اولاً الى الادلس والهند والصين وكان امر بني  
 امية نافذاً في جميع العرب بعصية بني عبد مناف حتى لقد امر سليمان بن عبد الملك بدمشق

يقتل عد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد أمره ثم تلاشت عصبية بني أمية بما  
 أصابهم من الترف فاقروا وجاء سوا العباس فغصوا من اعنة بني هاشم وقتلوا الطالبين  
 وشردوهم فانحلت عصبية عد مناف وتلاشت وتجاسر العرب عليهم فاستند عليهم اهل القاصية  
 مثل بني الاغلب نافر يقية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم خرج بنو ادريس  
 بالمغرب وقام البربر بامرهم اذعانا للعصية التي لهم وامنا ان نصلهم مقاتلة او حامية للدولة  
 فاذا خرج الدعاة اخرافيتغلبون على الاطراف والقاصية وتحصل لهم هناك دعوة وملك تنقسم  
 به الدولة ورمبا بر يد ذلك متى رادت الدولة نقلصا الى ان ينتهي الى المركز وتضعف الطائفة  
 بعد ذلك بما اخذ منها الترف وتهلك وتصحل وتضعف الدولة المتقسمة كلها ورمبا طال  
 أمدها بعد ذلك فتستغي عن العصبية بما حصل لها من الصغرة في بنو اهل ابا التهاوي  
 صبغة الاقياد والتسليم منذ السنين الطويلة التي لا يعقل احد من الاجيال مدأها ولا  
 اوليتها فلا يعقلون الا التسليم لصاحب الدولة فيستغي بذلك عن قوة العصائب ويكفي  
 صاحبها بما حصل لها في تهديد امرها الاحراء على الحامية من حدي ومرترق ويعصد ذلك  
 ما وقع في النوس عامة من التسليم فلا يكاد احد ان يتصور عصبيا او خروحا والجمهور  
 مكرون عليه محالون له فلا يقدر على التصدي لذلك ولو جهد جهده ورمبا كانت الدولة  
 في هذا الحال اسلم من الحوارج والمارة لاستحكام صعة التسليم والاقبياد لهم فلا تكاد  
 النوس تحدث سرها مخالفة ولا يتخلج في صميرها انحراف عن الطاعة فيكون اسلم من  
 الهرج والانتفاص الذي يحدث من العصائب والعشائر ثم لا يزال امر الدولة كذلك  
 وهي تلتاش في دانها شان الحرارة الغربية في الدس العادم للغذاء الى ان تنهي الى  
 وقتها المقدور ولكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله يقدر الليل والنهار وهو الواحد  
 الفهار. واما الحلل الذي يتطرق من حنة المال فاعلم ان الدولة في اوها تكون بدوية  
 كما مر فيكون خلق الرفق بالرعايا والنصد في النفقات والتعفف عن الاموال فتتجاني عن  
 الامعان في الجباية والتخلق والكيس في جمع الاموال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ  
 الى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثرة المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم  
 ويستعمل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الامتاع بسببه فتعظم نفقات السلطان واهل  
 الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر و يدعو ذلك الى الريادة في اعطيات  
 المحند وارزاق اهل الدولة ثم يعظم الترف فيكثر الاسراف في النفقات وينشر ذلك في  
 الرعية لان الناس على دين ملوكها وعوائدها ويحتاج السلطان الى صرب المكوس على

اثمان البياعات في الاسواق لادارار الجباية لما يراه من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطايه وارزاق جده تم تريد عوائد الترف فلا نفي بها المكوس وتكون الدولة قد استعملت في الاستطالة والظهر لمن تحت يدها من الرعايا فتمتد ايديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او نقد في بعض الاحوال شبهة او غير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسر على الدولة بما لحقها من النسل والهرم في العصبية فتتوقع ذلك منهم وتداوى بسكينة العطايا وكثرة الامايق فيهم ولا تجند عن ذلك وليجة وتكون جنة الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثره الجباية وكونها بايديهم وبما اتسع لذلك من جاههم فيتوجه اليهم باحتياج الاموال من الجباية وتشوش السعاية فيهم بعضهم من بعض المنافسة والحقد فتعمم النكبات والمصادرات واحداً واحداً الى ان تذهب ثروتهم وتبلاشى احوالهم ويفقد ما كان للدولة من اليدوية والمجال بهم وادا اصطلمت بعينهم تحاورتهم الدولة الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا الطور قد لحق التوكة وضعت عن الاستطالة والظهر فتتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مداراة الامور من ذل المال وبراءه ارفع من السيف لقلة غنائم فتعظم حاجته الى الاموال زيادة على النفقات وارزاق الجند ولا يغنى فيما يريد ويعظم الهرم بالدولة ويحاصر عليها اهل السواحي والدولة تتحل عراها في كل طور من هذه الى ان تنضي الى الهلاك وتنعوض من الاستيلاء الكليل فان قصدها طالب ابتزعتها من ايدي القائمين بها والاقبيت وهي تنلتنى الى ان تصحبل كالذبال في السراج اذا في زينة وطني والله مالك الامور ومدبر الاكوان لا اله الا هو

### الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتجدها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وباديتها اذا أخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتفاص يكون على نوعين اما بان يستند ولاة الاعمال في الدولة بالفاقصية عند ما يتفاص ظلها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وما يستقر في نصابه برته عنه اناؤه او مواليه ويستعمل لهم الملك بالتدرج وربما يزدحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه ويتسارعون في الاستئثار به ويغلب مهم من يكون له فصل قوة على صاحبه ويتزعم ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقلص ظلها عن الفاقصية



واستند نوساسان بما وراء النهر و بو حمدان بالموصل والشام و نوطولون بمصر و كما وقع بالدولة الاموية بالاندلس و افترق ملكها في الطوائف الدين كانوا ولائها في الاعمال و انفسمت دولاً و ملوكاً و اورتوها من بعدهم من قرابتهم او مواليهم و هذا النوع لا يكون بينهم و بين الدولة المستقرة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب و انما الدولة ادركها الهرم و نقلص طلبها عن القاصية و عجزت عن الوصول اليها و النوع الثاني ما يخرج على الدولة خارج من يحاورها من الامم و القبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها كما اشرنا اليه او يكون صاحب شوكة و عصية كبيراً في قومه قد استغل امره فيسويهم الى الملك و قد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة و ما رل بها من الهرم فيتعين له و لقومه الاستيلاء عليها . يمارسوها بالمطالنة الى ان يظفروا بها و يربون " امرها كما يتبين والله سبحانه و تعالى اعلم

### الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستقرة اما تستولي على الدولة المستقرة بالمطالنة لا بالمناحرة قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتحددة نوعان نوع من ولاية الاطراف ادا نقلص ظل الدولة عنهم و انحسر تيارها و هولاء لا يقع منهم مطالنة للدولة في الاكثر كما قدمناه لان قصبارهم الفروع بما في ايديهم و هو نهاية قوتهم و النوع الثاني نوع الدعاة و الخوارج على الدولة و هولاء لا د لهم من المطالنة لان قوتهم و اقية بها فان ذلك اما يكون في نصاب يكون له من العصية و الاعتزاز ما هو كفاه ذلك و واف به فيقع بينهم و بين الدولة المستقرة حروب سجال تنكرر و تنصل الى ان يقع لهم الاستيلاء و الظفر بالمطلوب و لا يحصل لهم في العالظ ظفر بالمناحرة و السبب في ذلك ان الظفر في الحروب اما يقع كما قدمناه بامور نسائية و هيمية و ان كان العدد و السلاح و صدق القتال كهيلاً به لكنه قاصر مع تلك الامور الوهيمية كما مر و لذلك كان الحداع من ارفع ما يستعمل في الحرب و اكثر ما يقع الظفر به و في الحديث الحرب خدعة و الدولة المستقرة قد صيرت العوائد المألوفة طاعتها ضرورة و اجهة كما تقدم في غير موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستقرة و يكثر من هم اتناعه و اهل شوكنه و ان كان الاقربون من نطائنه على بصيرة في طاعته و موازرتيه الا ان الاخرين اكثر و قد داخلهم النشل بتلك العقائد في التسليم

للدولة المستقرة فيحصل بعض الثغور منهم ولا يكاد صاحب الدولة المستقرة يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع الى الصبر والمطاولة حتى يتضح هزم الدولة المستقرة فتصحل عقائد التسليم لها من قومه وتنعث منهم اليهم لصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضاً فالدولة المستقرة كثيرة الرزق بما استحكّم لهم من الملك وتوسع من النعيم واللذات واخصوا به دون غيرهم من اموال الحماية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستعادة الاسلحة وتعظم فيهم الابهة الملكية ويفض العطاء بينهم من ملوكهم اختياراً واضطراراً فيرهون بذلك كله عدوهم واهل الدولة المستقرة بمعزل عن ذلك لما هم فيه من الداوة واحوال الفقر والخصاصة فيسقى الى قلوبهم اوهام الرعب بما يبلغهم من احوال الدولة المستقرة ويحرمون عن قتالهم من اجل ذلك فيصير امرهم الى المطاولة حتى تاخذ المستقرة ماخدها من الهرم ويستحكّم الحبل فيها في العصبية والحماية فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستقرة فرصته في الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالمة سنة الله في عبادته وايضاً فاهل الدولة المستقرة كلهم ميايوس للدولة المستقرة باسبابهم وعوائدهم وفي سائر مناحبهم ثم هم مفخرون لهم ومنايوس بما وقع من هذه المطالمة وطمعهم في الاستيلاء عليه فتتمكن الماعدة بين اهل الدولتين سرّاً وحرراً ولا يصل الى اهل الدولة المستقرة خسر عن اهل الدولة المستقرة يصيرون منه غيرة<sup>(١)</sup> ناطماً وظاهراً لا تقطاع المداخلة بين الدولتين فيقيسون على المطالمة وهم في الاحمام وينكفون عن المجاورة حتى يادس الله سرّوا الدولة المستقرة وفناء عمرها ووفور الحبل في جميع جهاتها وانصح لاهل الدولة المستقرة مع الايام ما كان يجنبى منهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من اعمالها ونقصوه من اطرافها فتسعت همهم يداً واحدة للمساحة ويذهب ما كان يث في عرائهم من التوهجات وتنتهي المطاولة الى حدها ويقع الاستيلاء آخرها بالمعاينة واعتبر ذلك في دولة بني العباس حين ظهورها حين قام الشيعة بجراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالمة عشرين او تزيد وحينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية ثم لما انقضى امر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقيين فكثرت سبب كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصهبان ثم استولوا على الخليفة سعاد وكذا العبيديون اقام داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي سبي كناية من قبائل البربر عشرين ويزيد تطاول

(١) قوله غيرة بكسر العين اي عملة

بني الاغلب بافريقية حتى ظفروهم واستولوا على المغرب كله وسموا الى ملك مصر فمكثوا ثلاثين سنة او نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ومجيء المدد لمدافعهم برأ وبجرأ من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والنيوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقامت بالبحرين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب بعساكره مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بني طنج من اصولها واخذ الفاهرة فجاء الخليفة بعد المعز لدين الله ففتحها لستين سنة او نحوها منذ استيلاء نهم على الاسكندرية وكذا السلجوقية ملوك الترك لما استولوا على بني ساسان واجازوا من وراء النهر مكثوا نحواً من ثلاثين سنة بطاولون بني سبكتكين بخراسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد ايام من الدهر وكذا التتر من بعدهم خرجوا من المنارة اعوام سبعة وعشروستائة فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد اربعين سنة وكذا اهل المغرب خرج بالمرايطون من لمتونة على ملوكه من مغراوة فطاولوهم سين ثم استولوا عليه ثم خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة فمكثوا نحواً من ثلاثين سنة بجارنوبهم حتى استولوا على كرسيم براكش وكذا نو مريم من زبانة خرجوا على الموحدين فمكثوا بطاولونهم نحواً من ثلاثين سنة واستولوا على فاس واقتطعوها واعمالها من ملكهم ثم اقاموا في محاربتهم ثلاثين اخرى حتى استولوا على كرسيم براكش حسبما يذكر ذلك كله في تواريخ هذه الدول فهكذا حال الدول المستجدة مع المستقرة في المطالمة والمطاولة سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تدبيراً ولا يعارض ذلك بما وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان استيلاؤهم على فارس والروم لثلاث او اربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واعلم ان ذلك اما كان معجزة من معجزات بيضا صلى الله عليه وسلم سرها استماتة المسلمين في جهاد عدوهم استبعاداً بالايمان وما اوقع الله في قلوب عدوهم من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقاً للعادة المقررة في مطاولة الدول المستقرة والمستقرة واذا كان ذلك خارقاً فمن من معجزات سينا صلوات الله عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

### الفصل الخمسون

في وفور العمران اخر الدولة وما يقع فيها من كثرة الموتى والمجاعات اعلم انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدولة في اول امرها لا بد لها من الرفق في

ملكيتها والاعتدال في ايمانها اما من الدين ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة  
والحماسة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول واذا كانت الملكة رفيقة محسنة انسطت  
امال الرعايا وانتشطوا للعبان واساءه فتوفرو ويكثر التناسل واذا كان ذلك كله  
بالترجيح فانما يظهر اثره بعد جيل او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين تسرف الدولة  
على نهاية عمرها الطبيعي فيكون حينئذ العمران في غاية الوفور والماء ولا نقول انه قد  
مرّك ان اواخر الدولة يكون فيها الاحجاف بالرعايا وسوء الملكة فذلك صحيح ولا يعارض  
ما قلناه لان الاحجاف وان حدث حينئذ وقلت الجبايات فانما يظهر اثره في تناقص  
العمران بعد حين من اجل التدرج في الامور الطبيعية ثم ان المجاعات والموتان تكثر  
عد ذلك في اواخر الدول والسبب فيه اما المجاعات فلقص الناس ايديهم عن الملح في  
الاكثر سبب ما يقع في اخر الدولة من العدوان في الاموال والجبايات او البن الواقعة  
في انتفاص الرعايا وكثرة الخواارج لهرم الدولة فيقل احنكار الررع غالباً وليس صلاح  
الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار وقلتها  
مختلفة والمطريةوى ويضعف ويقل ويكثر والزرع والثمار والصرع على سببه الا ان  
الناس واتقون في اقواتهم ، لاحنكار فاذا فقد الاحنكار عظم توقع الناس للمجاعات فعلا  
الزرع وعجز عنه اولو الحفاصة فهلكوا وكان بعض السنوات والاحنكار مفقود فسهل  
الناس المجمع واما كثرة الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه او كثرة  
الفتن لاختلال الدولة فيكثر الهرج والقتل او وقوع الوباء وسبه في الغالب فساد  
الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء  
وهو غذاء الروح الحيواني وملاسه دائماً فيسرى الفساد الى مراحه فان كان الفساد  
قوياً وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وامراضها مخصوصة بالرئة وان كان الفساد  
دون القوي والكثير فيكثر العفن ويتضاعف فتكثر الحميات في الامزجة وتمرض  
الابدان وتهلك وسبب كثرة العفن والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران  
ووفوره اخر الدولة لما كان في اوائلها من حس الملكة ورفتها وقلة المعرم وهو ظاهر  
ولهذا تبين في موضعه من الحكمة ان تخلل الخلاء والفقر بين العمران ضروري ليكون  
تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بخالطة الحيوانات وياتي  
بالهواء الصحيح ولهذا ايضاً فان الموتان يكون في المدن الموقورة العمران اكثر من غيرها  
بكثير كصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله بقدر ما يشاء

## الفصل الحادي والخمسون

في ان العبران النشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره  
 اعلم انه قد تقدم لما في غير موضع ان الاجتماع للشعر ضروري وهو معنى العبران  
 الذي يتكلم فيه وانه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة  
 يكون مستنداً الى شرع منزل من عند الله بوجوب انقيادهم اليه بايمانهم بالشواب والعقاب  
 عليه الذي جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية بوجوب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من  
 ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والاخرة لعلم  
 الشارع بالمصالح في العاقبة والمراعات بحجة العباد في الاخرة والثانية انما يحصل نفعها في  
 الدنيا فقط وما نسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانما معناه عند الحكماء  
 ما يجب ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع في نسبه وخلقه حتى يستغنوا عن  
 الحكماء راساً ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما يسمى من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين  
 المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع  
 بالمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عديم نادرة او بعيدة الوقوع  
 وانما يتكلمون عليها على جهة العرض والتقدير ثم ان السياسة العقلية التي قدمناها تكون  
 على وجهين احدهما يراعى فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على  
 الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على جهة الحكمة وقد اغناها الله تعالى عنها في  
 الملة ولعهد الخلافة لان الاحكام الشرعية مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والافات  
 واحكام الملك مندرجة فيها. الوجه الثاني ان يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم  
 له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً وهذه السياسة التي  
 يحمل عليها اهل الاجتماع التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وكافر الا ان ملوك المسلمين  
 يجرؤن منها على ما تقتضيه الشريعة الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها اذاً مجتمعة من  
 احكام شرعية واداب خلفية وقوانين في الاجتماع طبيعية واشياء من مراعاة الشوكة  
 والعصية ضرورة والافتدائ فيها بالشرع اولاً ثم الحكماء في ادايتهم والملوك في سيرهم ومن  
 احسن ما كتب في ذلك واودع كتاب طاهر بن الحسين لانه عدل الله من طاهر  
 لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينها فكتب اليه ابوه طاهر كتابه المشهور عهد اليه فيه  
 ورواه مجيع ما يحتاج اليه في دولته وسلطانه من الاداب الدينية والخلقية والسياسة

الشرعية والملوكية وحنه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا  
 سوقة . وبص الكتاب ( بسم الله الرحمن الرحيم ) اما بعد فعليك تقوى الله وحده  
 لاشريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايله تحفظه واحفظ رعيتك في الليل والنهار  
 والنزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما انت صائر اليه وموقوف عليه  
 ومستول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من  
 عقابه واليم عذابه فان الله سبحانه قد احسن اليك واوجب الرافة عليك بمن استرعاك  
 امره من عماده والرمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع  
 عن حريمهم ومصيبهم والحقق لدمائهم والامن لسرهم وادخال الراحة عليهم ومواخذك بما  
 فرض عليك وموقفك عليه وسائلك عنه ومثيبك عليه بما قدمت واخرت ففرغ لذلك  
 فهمك وعقلك وبصرك ولا يتعلك عنه شاغل وانه راس امرك وملاك شانك واول ما  
 يوقمك الله عليه وليكن اول ما تلزم به نفسك وتسب اليه ففعلك المواظبة على ما فرض  
 الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوابعها على  
 سننها من اسراع الوضوء لها واقتناح ذكر الله عز وجل فيها ورتل في قراءتك وتمكن في  
 ركوعك وسجودك وتسهلك وتصرف فيه رايك وبتك واحضض عليه جماعة ممن  
 معك وتحث يدك واداب عليها فانها كما قال الله عز وجل نهى عن الفحشاء والمسكر  
 ثم اتبع ذلك بالاخذ بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنارة على خلافته واقتناء اثر  
 السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه  
 وبلزوم ما امر الله عز وجل في كتابه من امره ونهيه وحلاله وحرامه وانتهام ما جاءت  
 به الاتار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بالحقى لله عز وجل ولا تملن عن  
 العدل فيما احببت او كرهت لفريب من الناس او لبعيد واثر الفقه واهله والدين وحملة  
 وكتاب الله عز وجل والعاملين به فان افضل ما يتزين به المرء الفقه في الدين والطلب  
 له والبحث عليه والمعرفة بما يتقرب به الى الله عز وجل فانه الدليل على الحير كله والفائد  
 اليه والامر به والنهي عن المعاصي والموقوفات كلها ومع توفيق الله عز وجل يزداد المرء  
 معرفة واجلالاً له ودرجاً للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير  
 لامرك واهمية لسلطانك والاسمتك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد في الامور كلها  
 فليس تبيها ولا اخص امأ ولا اجمع فضلاً منه والقصد داعية الى الرشده والرشد  
 دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنة الهادية بالاقتصاد

وكذا في دنياك كلها ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن  
المعروفة ومعالم الرشد والإعانة والاستكثار من البر والسعي له إذا كان يطلب به وجه  
الله تعالى ومرضائه ومرافقة أولياء الله في دار كرامته أما تعلم أن القصد في شأن الدنيا  
يورث العز ويحض من الذنوب وإنك لن تحوط نفسك من قائل ولا تنصلح أمورك  
بأفضل منه فأتبه وإهد به ثم أمورك وترد مقدرتك و يصلح عامتك وخاصتك واحسن  
ذلك بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم به  
النعمة عليك ولا تنهن أحد من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فان  
ايقاع التهم بالبراء والظنون السيئة بهم آثم اثم فاجعل من شامتك حسن الظن باصحابك  
وإطرد عنك سوء الظن بهم وإرفضة فيهم بعنك ذلك على استطاعتهم ورباضتهم ولا  
تخذن عدو الله الشيطان في أمرك معداً فانه انما يكتفي بالقليل من وهناك ويدخل  
عليك من الغم سوء الظن بهم ما يقص لداذة عيشك واعلم انك تجد بحسن الظن قوة  
وراحة وتكتفي به ما احببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محنتك والاستقامة في  
الأمور كلها ولا يمنحك حسن الظن باصحابك والرافة برعيتك ان تستعمل المسئلة والبحث  
عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء وحياطة الرعية والنظر في حوائجهم وحمل مؤانهم  
يسر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيا للسنة واخلص بيتك في جميع هذا وتفرد  
بتقوم نفسك نرد من يعلم انه مسئول عما صنع ومجزى بما احسن ومواخذ بما اساء فان  
الله عز وجل جعل الدنيا حرزاً ووعراً ورفع من اتعه وعززه واسلك بمن نسوسه وترعاه  
بهدى الدين وطريقة الاهدى واقم حدود الله تعالى في اصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما  
استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تنهاون به ولا توخر عقوبة اهل العقوبة فان في تهريطك  
في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب  
المدح والتبيلات يسلم لك ديك ونتم لك مروتك وإذا عاهدت عهداً فاوف به وإذا  
وعدت الحيز فاحجزه واقبل الحسنة وادفع بها واغض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك  
واشدد لسالك عن قول الكذب والزور وابغض اهل التهمة فان اول فساد أمورك  
في عاجلها وآجلها تقرب الكذب والجراءة على الكذب لان الكذب راس المآثم والزور  
والتهمة خاتمها لان التهمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم له امر  
واحبب اهل الصلاح والصدق واعن الاشراف بالحق واعن الضعفاء وصل الرحم وابتغ  
بذلك وجه الله تعالى واعزاز امره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجنب سوء الأهواء

والجور واصرف عنهما رايك واطهر براءتك من ذلك لرعيك وانعم بالعدل سياستهم  
 وقم بالحق فيهم وبالعرفه التي تنتمي لك الى سبيل الهدى واملك نفسك عند الغضب  
 وآثر الحلم والوقار وياك والحدة والطيش والغرور فيما است بسبيله وياك ان تقول انا  
 مسلم افعل ما اشاء فان ذلك سريع الى نقص الراي وقلة اليقين لله عزوجل واخلص لله  
 وحده النية فيه واليقين واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يوتيهِ من يشاء وينزعه ممن  
 يشاء ولن تجد تغير النعمة وحلول النعمة الى احد اسرع منه الى جهلة العمة من اصحاب  
 السلطان والمسووط لهم في الدولة اذا كفر واكرم الله واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله  
 عزوجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخايرك وكوزك التي تدخرون وتكتر  
 العر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاعانة  
 للمهفوم واعلم ان الاموال اذا اكتنزت وادخرت في الخزائن لانتموا واذا كانت في صلاح  
 الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاذية عنهم تمت وزكيت وصلحت به العامة وترنت به  
 الولاية وطاب به الزمان واعنفد فيه العز والمنفعة فليكن كزخرائك تبريق الاموال في  
 عمارة الاسلام واهله ووفرته على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم واوف من ذلك  
 حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت قررت العمة لك واستوجبت  
 المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على جباية اموال رعيك وخراجك اقدر وكان  
 الجمع لما تمهلهم من عدلك واحسانك اسلس لطاعتك وطب نفساً لكل ما اردت واجهد  
 نفسك فيما حدثت لك في هذا الباب وليعظم حقدك فيه وانما يبقى من المال ما اتفق في  
 سبيل الله وفي سبيل حقه واعرف للشاكرين حقهم واثمهم عليه وياك ان تنسيك الدنيا  
 وغرورها هول الاخرة فتنهاون بما يحق عليك فان النهاون يورث التفريط والتفريط  
 يورث الهوار وليكن عملك لله عزوجل وفيه وارج الثواب فان الله سبحانه قد اسغ عليك  
 فضله واعنصم بالشكر عليه فاعتمد بزك الله خيراً واحساناً فان الله عزوجل يكتب  
 بقدر شكر الشاكرين واحسان المحسنين ولا تحقر ذساً ولا تمالئ حاسداً ولا ترحمن  
 فاجراً ولا تصلن كهوراً ولا تدهن عدواً ولا تصدقن ماماً ولا تامنن عدواً ولا  
 توالين فاسقاً ولا تدعن غاوباً ولا تحمدن مرأياً ولا تحقرن اسماً ولا تردن سائلاً فقيراً  
 ولا تحسنن باطلاً ولا تلاحظن مضحكاً ولا تحلفن وعداً ولا تذهبن فخراً ولا تظهرن  
 غضباً ولا تباينن رجاءً ولا تمشين مرحاً ولا تركبن سفياً ولا تفرطن في طلب الاخرة  
 ولا ترفع للنمام عيناً ولا تغبض عن ظالم رهبة منه او محاباة ولا تطلن ثواب الاخرة في



الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن اهل التجارب وذوي  
 العقل والرأي والحكمة ولا تدخل في مشورتك اهل الرفه والبلبل ولا تسعن لم قولاً  
 فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شيء أسرع فساداً لما استقبلت فيه امر رعيتك من  
 الشخ واعلم انك اذا كنت حريصاً كنت كثير الاخذ قليل العطية واذا كنت كذلك لم  
 يستقم امرك الا قليلاً فان رعيتك انما تعتقد على محنتك بالكف عن اموالهم وترك الجور  
 عليهم ووال من صمالك من اولئك بالانصال اليهم وحسن العطية لهم واجنب الشخ  
 واعلم انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحري وهو قول الله عز وجل  
 ومن يوق تح نسو فاولئك هم المملحون فسهل طريق الجود بالحق واحعل للمسلمين كلهم  
 في بيتك حظاً ونصيباً وايمن ان الجود افضل اعمال العباد فاعده لنفسك خلقاً وارض  
 به عملاً ومدهباً وتقد المجد في دواوهم ومكاتبهم وادّر عليهم اوراقهم ووسع عليهم في  
 معاشهم يذهب الله عز وجل بذلك فاقتمه فيقوى لك امرهم وتريد قلوبهم في طاعتك  
 وامرك خلوصاً واستراحاً وحسب ذي السلطان من السعادة ان يكون على حنديه ورعيته  
 رحمة في عدله وعطيته واصافيه وعمايته وشهيقته وبره وتوسعته فذلك مكره احد اللابن  
 باستشعار فصله الباب الاخر ولروم العمل به تلق ان شاء الله تعالى به نجاحاً وصالحاً  
 وفلاحاً واعلم ان الفناء من الله تعالى بالمكان الذي ليس له به شيء من الامور لانه  
 ميزان الله الذي يعدل عليه احوال الناس في الارض وبقامة العدل في القضاء والعمل تصلح  
 احوال الرعية وتأم من السل و يتصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة  
 ويؤدي حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة ويقم الدين ويجري السنن  
 والشرائع في مجاريها واستند في امر الله عز وجل وتورع عن النطق وامض لاقامة الحدود  
 واقلل العلة واعد عن الصجر والقلق واقمع بالقسم وانتع بتجرتك واتنه في صحتك  
 واسدد في مطلقك واصف المحصم وقف عند الشهية وابلغ في المحجة ولا ياخذك في احد  
 من رعيتك محاماة ولا مجاملة ولا لومة لائم وثبت وتأن وراقب وانظر وتذكر وتدر  
 واعتر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سلك  
 الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان عظيم انتها كما لها غير حقها وانظر هذا الخراج  
 الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزاً وورعة ولاهله توسعة ومغنة ولعدوه  
 كئناً وغيظاً ولاهل الكثير من معاديبهم ذلاً وصغاراً فورعه بين اصحابه بالحق والعدل  
 والتسوية والعزم ولا تدفع شيئاً منه عن شريف لشرفه ولا عن عبي لغناه ولا عن

كاتب لك ولا لاحد من خاصتك ولا حاشيتك ولا تاخذن منه فوق الاحتمال له ولا  
 تكلف امرًا فيه شطط واحمل الناس كلهم على امر الحق فان ذلك اجمع لانتمهم والرم  
 ارضاء العامة واعلم انك جعلت بولايتك خازناً وحافظاً وراعياً واما سمي اهل عملك  
 رعيتك لانك راعيتهم وفيهم فخذ منهم ما اعطوك من عمومهم وبعده في قوام امرهم وصلاتهم  
 ونقوم اودهم واستعمل عليهم اولى الراي والتدبير والتجربة والخبرة بالعلم والعدل بالسياسة  
 والعتاف ووسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما نقلت واسند  
 اليك فلا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقيمت فيه بالواجب  
 استدعيت به زيادة العمة من ربك وحسن الاحدوتة في عملك واستجرت به المحمة من  
 رعيتك واعمت على الصلاح فدرت الخيرات سلك وفتت العارة ساحيتك وطهر  
 المخصب في كورك وكثر خراحك وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتباط حنك  
 وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرصي العدل في  
 ذلك عند عدوك وكنت في امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة وفتافس فيها ولا تقدم  
 عليها شيئاً ثم جد عاقبة امرك ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك امياً يخبرك  
 خبر عمالك ويكتب اليك سيرهم واعمالهم حتى كالك مع كل عامل في عمله معايناً لاموره  
 كلها واذا اردت ان تامرهم بامر فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة فيه  
 والعافية ورحوت فيه حسن الدفاع والصع فامض به والافتوقف عنه وراجع اهل الضرر والعم  
 به ثم قد فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في امره وقد اتاه على ما يهوى فاغواه ذلك واعمه  
 فان لم يطر في عواقبه اهلكة ونقص عليه امره فاستعمل الحرم في كل ما اردت وباشره  
 بعد عون الله عروجل بالقوة واكثر من استمارة ربك في جميع امورك وافرع من عمل يومك  
 ولا توجهه واكثر مباشرته بنفسك فان لغد اموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك  
 الذي اخرت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب بما فيه فاذا اخرت عملة احنع عليك  
 عمل يومين فيشغلك ذلك حتى ترضى منه واذا امضت لكل يوم عملة ارحت بذلك  
 ونفسك وجمعت امر سلطائك وانظر احرار الناس وذوي النصل منهم من بلوت صفاء  
 طوبيتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على امرك فاستخلصهم واحسن  
 اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة واحتمل موبتهم واصلح حالهم حتى  
 لا يجدوا لحنهم مسافراً وافردي نفسك بالنظر في امور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على  
 رفع مظلمته اليك والمحققر الذي لا علم له بطلب حقه فسل عنه اخي مسئلة وكل بامثاله

اهل الصلاح في رعيتك ومرهم سرف حوائجهم وخالاهم لتنظر فيما يصلح الله به امرهم وتعاهد  
 ذوي اللأساء ويتاماهم واراملهم واجعل لهم ارزاقاً من بيت المال اقتداءً بامير المؤمنين  
 اعزه الله تعالى في العطف عليهم والصلة لهم ليصلح الله بذلك عيشتهم ويرزقك به ركة  
 وزيادة واجر للامراء من بيت المال وقدم حملة القرآن منهم والمحافظين لاكثره في  
 الجرائد على غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دوراً تاوهم وقواماً يرفقون بهم واطباء  
 يعالجون اسقامهم واسعفهم نشهوانهم ما لم يود ذلك الى سرف في بيت المال واعلم ان الناس  
 اذا اعطوا حقوقهم وفضل امانتهم لم ترمهم وربما تبرم المنتصم لامور الناس لكثرة ما يرد  
 عليه ويتعل ذكره وفكره منها ما ينال به موبة ومشقة وليس من يرغب في العدل  
 ويعرف محاسن اموره في العاجل وفصل ثواب الاجل كالذي يستنز ما يقره الى  
 الله تعالى وتلتس رحمة واكثر الاذن للناس عليك وارهم وجهك وسكن حراسك  
 واختص لهم جناحك واطهر لهم شرك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف عليهم بمجودك  
 وفضلك واذا اعطيت فاعط سماحة وطيب ناس والناس للصنعة والاجر من غير  
 تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترى من  
 امور الدنيا ومن مضى من قبلك من اهل السلطان والرياسة في القرون الحالية  
 والامم البائدة تم اعنصم في احوالك كلها بالله سبحانه وتعالى والوقوف عند محنته والعمل  
 بتريعه وسنته وبقامته ديبه وكتابه واجنب ما فارق ذلك وخاله ودعا الى سخط الله  
 عز وجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال وما ينفقون منها ولا تجمع حراماً ولا تنفق  
 اسرافاً واكثر مجالس العلماء ومشاورتهم ومخاطبتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها  
 واظهار مكارم الاخلاق ومقالتها وليكن اكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا راى عيباً  
 لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في ستر واعلامك بما فيه من النقص فان اولئك الصبح  
 اولياك ومظاهريك لك وانظر عمالك الذين يحضرتك وكتابتك فوقت لكل رجل مهم  
 في كل يوم وقتاً يدخل فيه بكتبه وموامرتيه وما عده من حوائج عمالك وامور الدولة  
 ورعيتك ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر  
 فيه والتدبير له فما كان موافقاً للحق والحرم فامضه واستخر الله عز وجل فيه وما كان مخالفاً  
 لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه والثبت ولا تمن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف توتيه  
 اليهم ولا تقبل من احد الوفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضع المعروف  
 الاعلى ذلك ونهم كتابي اليك وامع النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع

امورك واستخره فان الله عزوجل مع الصالح واهله وليكن اعظم سيرتك وافضل رغبتك ما كان لله عزوجل رضى ولدينه نظاماً ولاهله عراً وتمكيناً وللهمة والذمة عدلاً وصلاًحاً وانا اسال الله عزوجل ان يحبس عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءتك والسلام .  
 وحدث الاخباريون ان هذا الكتاب لما ظهر وشاع امره اعجب به الناس وانصل بالمؤمن فلما قرىء عليه قال ما اتى ابو الطيب يعني طاهراً شيئاً من امور الدنيا والدين والتدبير والراي والسياسة وصلاح الملك والرعية وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء ونقوم الخلافة الا وقد احكمه واوصى به ثم امر المأمون فكتب به الى جميع العمال في النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا احسن ما وقتت عليه في هذه السياسة والله اعلم

### الفصل الثاني والخمسون

في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في تناه وكشف الغطاء عن ذلك اعلم ان المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على ممر الاعصار انه لاند في اخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت بويد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدي ويكون خروج الدجال وابعده من اشراط الساعة الثالثة في الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله وياتم بالمهدي في صلاته ويحججون في الباب باحاديث خرجها الائمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها بعض الاخبار وله المتصوفة المتأخرين في امر هذا الفاطمي طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو اصل طرائقهم . ونحس الا ان تذكرها الاحاديث الواردة في هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم في انكارهم من المستند تم تتعنه نذكر كلام المتصوفة ورايهم ليتبين لك الصحيح من ذلك ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة من الائمة خروا جوار احاديث المهدي منهم الترمذي وابوداود والنزار واس ماجه والحاكم والطبراني وابو يعلى الموصلي واسندوها الى جماعة من الصحابة مثل علي وابن عباس واس عمرو وطحمة واس مسعود واي هريرة واس واي سعيد الخدري وام حبيسة وام سلمة وثوانان وقره بن اياس وعلي الهلالي وعبدالله بن الحارث بن جزء باسايد ربما يعرض لها المنكرون كما نذكره الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على التعديل فاذا وجدنا طعناً في بعض رجال الاسايد بغفلة او سوء حفظ او ضعف او سوء راي نظرق ذلك الى صححة

الحديث واوهن منها ولا نقول مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال الصحيحين فان الاجماع  
قد اتصل في الامة على تلقيها بالقول والعمل بما فيها وفي الاجماع اعظم حماية واحسن  
دفع وليس غير الصحيحين بمنانتهما في ذلك فقد نخذ محملاً للكلام في اسايدها بما نقل عن  
ائمة الحديث في ذلك . ولقد توغل ابو بكر س ابى خيشمة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه  
للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اساداً ما ذكره ابو بكر الاسكاف في  
فوائد الاخبار مستنداً الى مالك س اس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالرجال فقد كذب وقال  
في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما احسب وحسبك هداً علواً والله اعلم بالصحة طريقه  
الى مالك اس اس على ان ابا بكر الاسكاف عندهم منهم وضاع . واما الترمذي فخرج هـ  
وابو داود بسنديهما الى اس عباس من طريق عاصم س ابى النخود احد القراء السبعة الى رر س  
حديث عن عبد الله اس مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم  
لطول الله ذلك اليوم حتى يعبت الله فيه رجلاً مي او من اهل بيتي بواطى اسمه اسبي  
واسم ابيه اسم ابى . هذا لفظ ابى داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما  
سكت عليه في كتابه فهو صالح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل  
من اهل بيتي بواطى اسمه اسبي وفي لفظ اخر حتى يلي رجل من اهل بيتي وكلاهما حديث  
حسن صحيح ورواها بصاً من طريق موقوفاً على ابى هريرة وقال الحاكم رواه الثوري وشعبة  
وزائدة وغيرهم من ائمة المسلمين عن عاصم قال وطرق عاصم عن رر عن عبد الله كلها  
صحيحة على ما اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من ائمة المسلمين انتهى الا ان  
عاصماً قال فيه احمد س حمل كان رجلاً صالحاً قارئاً للقرآن خيراً ثقة والاعمش احفظ  
منه وكان شعبة بخنار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال العجلي كان يخلف عليه في  
زرراً وائل يشير بذلك الى ضعف روايته عنها وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه  
كثير الخطاء في حديثه وقال يعقوب س سيبان في حديثه اضطراب وقال عبد الرحمن  
س ابى حاتم قلت لابي ان انا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محمله هذا وقد تكلم فيه اس  
عليه فقال كل من اسمه عاصم سيء الحفظ وقال ابو حاتم محله عدي محل الصدق صالح  
الحديث ولم يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال اس حراش في حديثه  
بكرة وقال ابو حمزة العقلي لم يكن فيه الا سوء الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شيء  
وقال يحيى القطان ما وجدت رجلاً اسمه عاصم الا وجدته ردىء الحفظ وقال ايضا

سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم بن ابي الجعوف وفي الناس ما فيها وقال الذهبي ثبت في  
 القراءة وهو في الحديث دون الثابت صدوق فهم وهو حسن الحديث وان احتج احد  
 بان الشيخين اخرجاه لانه فنقول اخرجاه مقروباً بغيره لا اصلاً والله اعلم وخرج ابوداود  
 في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية قطن بن خليفة عن القاسم بن ابي مرة عن ابي  
 الطويل عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لعنت الله  
 رجلاً من اهل بيتي بملاها عدلاً كما ملئت جوراً وقطن بن خليفة وان ثقة احمد وبجي  
 اس القطان وان معين والسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه تسبع  
 قليل وقال اس معين مرة ثقة شيعي وقال احمد بن عبد الله بن يونس كما مر على قطن  
 وهو مطروح لا نكتب عنه وقال مرة كنت امر به وادعه مثل الكلب وقال الدارقطني  
 لا يخرج به وقال ابونكر بن عياش ما تركت الرواية عنه الا لسوء مذهبه وقال الجرجاني  
 زائع غير ثقة انتهى وخرج ابوداود ايضاً بسنده الى علي رضي الله عنه عن مروان بن  
 المغيرة عن عمر بن ابي قيس عن شعيب بن ابي خالد عن ابي اسحاق السنفي قال قال  
 علي ونظر الى ابيه الحسن ان اني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيخرج  
 من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق بملاً الارض عدلاً  
 وقال هارون حدثنا عمر بن ابي قيس عن مطرف بن طرف عن ابي الحسن عن  
 هلال بن عمر سمعت علياً يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من وراء النهر  
 يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له مصور يوطىء او يمكن لآل محمد كما مكنت  
 قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مومن نصرته او قال اجابته سكنت  
 ابوداود عليه وقال في موضع اخر في هارون هومن ولد الشيعة وقال السليابي فيه  
 نظر وقال ابوداود في عمر بن ابي قيس لاباس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدق  
 له او هام واما ابواسحاق الشيعي وان خرج عنه في الصحيحين فقد ثبت انه اخطأ اخر  
 عمره وروايته عن علي منقطع وكذلك رواية ابي داود عن هارون بن المغيرة . واما  
 السند الثاني فابو الحسن فيه وهلال بن عمر مجهولان ولم يعرف ابوالحسن الا من رواية  
 مطرف بن طرف عنه انتهى وخرج ابوداود ايضاً عن ام سلمة وكذا ابن ماجه والحاكم  
 في المستدرک من طريق علي بن نقيب عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة قالت سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من ولد فاطمة ولنظ الحاكم سمعت رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يذكر المهدي فقال نعم هو حق وهو من بني فاطمة ولم يتكلم عليه

بالصحيح ولا غيره وقد ضعفه ابو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي بن نفيل عليه ولا يعرف  
 الا به وخرج ابو داود ايضا عن ام سلمة من رواية صالح ابي الخليل عن صاحب له عن  
 ام سلمة قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من اهل المدينة هارباً الى  
 مكة فيأتيه ناس من اهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيسابعونه بين الركن والمقام فيبعث  
 اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبداء بين مكة والمدينة فاذا راي الناس ذلك اتاه  
 ابدال اهل الشام وعصاب اهل العراق فيسابعونه ثم ينشأ رجل من قريش اخوالة  
 كلب فيبعث اليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والحية لمن لم يشهد غيمية  
 كلب فيسقم المال ويعمل في الناس سنة سبهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الاسلام بجرانه  
 على الارض فيلث سبع سنين وقال بعضهم تسع سنين ثم رواه ابو داود من رواية ابي  
 الخليل عن عبد الله بن الحارث عن ام سلمة فتبين بذلك المهيم في الاساد الاول  
 ورجاله رجال الصحيحين لامطعن فيهم ولا معبر وقد يقال انه من رواية قتادة عن ابي  
 الخليل وفتادة مدلس وقد عمنه والمدلس لا يقبل من حديثه الا ما صرح فيه بالسماع  
 مع ان الحديث ليس فيه تصريح بذكر المهدي نعم ذكره ابو داود في ابوابه وخرج ابو  
 داود ايضا ونالعه الحاكم عن ابي سعيد الخدري من طريق عمران النطان عن قتادة عن  
 ابي نصر عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مي  
 اجلي الجبهة اقبى الانف بملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع  
 سنين هذا النقط ابي داود وسكت عليه ونقط الحاكم المهدي منا اهل البيت اسم الانف  
 اقبى اجلي بملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يعيش هكذا او سبط يساره  
 واصعبين من يمينه السان والابهام وعند ثلاثة قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط  
 مسلم ولم يخرجاه ٥٠٠. وعمران النطان مختلف في الاحتجاج به اما اخرج له البخاري استشهاداً  
 لا اصلاً وكان ينجي النطان لا يتحدث عنه وقال ينجي بن معين ليس بالتوي وقال مرة  
 ليس بشيء وقال احمد بن حنبل ارجوان يكون صالح الحديث وقال يزيد بن ربيع  
 كان حرورياً وكان يرى السيف على اهل القنات وقال السائي ضعيف وقال ابو عميد  
 الآجري سألت ابا داود عنه فقال من اصحاب الحس وما سمعت الا خيراً وسمعت مرة  
 اخرى ذكره فقال ضعيف اقبى في اراهم بن عبد الله بن حسن بن شوية شديدة فيها  
 سفك الدماء وخرج الترمذي واسماحة والحاكم عن ابي سعيد الخدري من طريق  
 زيد العمي عن ابي صديق التاجي عن ابي سعيد الخدري قال ختينا ان يكون بعض

شيء حدث فسالنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان في امي المهدي يخرج ويعيش خمساً  
او سبعا او تسعا زيد الشاك قال قلنا وما ذاك قال سبين قال فيحي اليه الرجل فيقول  
يا مهدي اعطني قال فيخثوله في ثوبه ما استطاع ان يحملة لفظ الترمذي وقال هذا  
حديث حسن وقد روى من غير وجه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولنظ  
ان ما جه والحاكم يكون في امي المهدي ان قصر فسبع والا فتسع فتسع امي فيه نعمة لم  
يسمعوا بمثلها قط توفي الارض اكلها ولا يدخر منه شيء والمال بومئذ كدوس فيقوم  
الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ انتهى وزيد العي وان قال فيه الدارقطني  
واحمد بن حنبل ويحي بن معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقاني وفصل  
اس عيسى الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه ولا يخرج به وقال يحيى بن معين  
في رواية اخرى لاشيء وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف وقال الجرجاني متمسك  
وقال ابو زرعة ليس بثويء واي الحديث ضعيف وقال ابو حاتم ليس بذلك وقد حدثت  
عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما برويه ومن بروى عنهم ضعفا  
على ان شعبة قد روى عنه ولعل شعبة لم يرو عنه اضعف منه وقد يقال ان حديث  
الترمذي وقع تفسيراً للمارواه مسلم في صحيحه من حديث جابر قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يكون في اخرا امي خليفة يحنو المال حنواً لا يعده عدداً ومن حديث ابي  
سعيد قال من خلفناكم خليفة يحنو المال حنواً ومن طريق اخرى عنها قال يكون في  
اخر الرمان خليفة يتسم المال ولا يعده انهن واحاديت مسلم لم تقع فيها ذكر المهدي ولا  
دليل يقوم على انه المراد منها ورواه الحاكم ايضاً من طريق عوف الاعرابي عن ابي  
الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم  
الساعة حتى تملأ الارض جوراً وظلماً وعدواناً ثم يخرج من اهل بيتي رجل يملأها  
قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً وقال فيه الحاكم هذا صحيح على شرط الشيخين ولم  
يخرجاه ورواه الحاكم ايضاً من طريق سليمان بن عبيد عن ابي الصديق الناجي عن ابي  
سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج في اخرا امي المهدي يستقيه  
الله الغيت وتخرج الارض سائها ويعطي المال صحاحاً وتكثر المشية وتعظم الامة يعيش  
سبعا او ثمانية يعني تحمجا وقال فيه حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن عبيد  
لم يخرجه له احد من السنة لكن ذكره ابن حبان في الثقات ولم يرد ان احداً تكلم فيه ثم  
رواه الحاكم ايضاً من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق واي



هارون العبدي عن ابي الصديق الناجي عن ابي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نملأ الارض جوراً وظلماً يخرج رجل من عترتي فيملك سبعاً او تسعاً فيملاً الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً وقال الحاكم فيه هذا حديث صحيح على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه الاخر وهو ابو هارون العبدي فلم يخرج له وهو ضعيف جداً منهم بالكذب ولا حاجة الى سطر اقوال الائمة في تضعيه . واما الراوي له عن حماد بن سلمة فهو اسد بن موسى بلقب اسد السنة وان قال التجار به مشهور الحديث واستشهد به في صحيحه واحتج به ابو داود والسنائي الا انه قال مرة اخرى ثقة لولم يصنف كان خيراً له وقال فيه محمد بن حرم مكر الحديث ورواه الطبراني في معجمه الاوسط من رواية ابي الواصل عبد الحميد بن واصل عن ابي الصديق الناجي عن الحسن بن يزيد السعدي احد بني يهدلة عن ابي سعيد الحدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج رجل من امتي يقول نسني بربل الله عروجل له النظر من السماء وتخرج الارض ركنها ونملا الارض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً يعمل على هذه الامة سبع سنين ويزل على بيت المقدس وقال الطبراني فيه رواه جماعة عن ابي الصديق ولم يدخل احد منهم بيته وبين ابي سعيد احداً الا ابا الواصل فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد انتهى وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن ابي حاتم ولم يعرفه ما اكثرهما في هذا الاسناد من روايته عن ابي سعيد ورواية ابي الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره ابن حبان في الثقات واما ابو الواصل الذي رواه عن ابي الصديق فلم يخرج له احد من الستة وذكره ابن نشروخرج اس ما جة في كتاب السنن عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي زياد عن ابراهيم بن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قل فتية من بني هاتم فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم درفت عيابون وغير لونه قال فقلت ما سرال سرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال اما اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً حتى ياتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسالون الخبر فلا يعطونه فيقاتلون وينصرون فيعطون ما سألوا فلا يتلون حتى يدعونها الى رجل من اهل بيتي فيملاًها قسطاً كما ملأوها جوراً فمن ادرك ذلك مسك فليأتمهم ولو حبلوا على الثلج انتهى . وهذا الحديث يعرف

عند المحدثين بمحدث الرايات ويزيد س ابى زياد رايه قال فيه شعبة كان رفعاً يعني  
 يرفع الاحاديث التي لا تعرف مرفوعة وقال محمد ابن العصيل كان من كبار ائمة الشيعة  
 وقال احمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة حديثه ليس بذلك وقال يحيى بن  
 معين ضعيف وقال العجلي جائر الحديث وكان ماخره يلقن وقال ابو زرعة ليس يكتب  
 حديثه ولا يفتح به وقال ابو حاتم ليس بالقوي وقال الجرجاني سمعتم يصغفون حديثه  
 وقال ابو داود لا اعلم احداً ترك حديثه وغيره احب اليّ منه وقال اس عدي هو من  
 شيعة اهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه وروى له مسلم لكن مقروناً وغيره وبالجملة  
 فالاكثرون على ضعفه وقد صرح الائمة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه عن ابراهيم  
 عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات وقال وكعب بن الحراح فيه ليس بشيء  
 وكذلك قال احمد بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول في حديث يزيد  
 عن ابراهيم في الرايات لو حلف عدي حمسين ميمناً قسامة ما صدقته اهنا مذهب  
 ابراهيم اهنا مذهب علقمة اهنا مذهب عبد الله واورد العجلي هذا الحديث في الضعفاء  
 وقال الدهي ليس بصحيح وخرّج اس ماجه عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين  
 العجلي عن ابراهيم بن محمد بن الحنفية عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم المهدي من اهل البيت يصلح الله به في ليلة وياسين العجلي وان قال فيه ابن  
 معين ليس به باس فقد قال البخاري فيه نظر وهذه اللفظة من اصطلاحه قوية في  
 التضعيف جداً واورد له اس عدي في الكامل والدهي في الميزان هذا الحديث على  
 وجه الاستدكار له وقال هو معروف به وخرّج الطبراني في معجمه الاوسط عن علي  
 رضي الله عنه انه قال للبي صلى الله عليه وسلم اما المهدي ام من غيرنا يارسول الله  
 فقال بل منا ننايختم الله كما ننافتح وسايستفدون من الشرك وسايولف الله بين قلوبهم  
 بعد عداوة بينة كما سالف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال علي امومنون ام كافرون  
 قال مفتون وكافرا انتهى . وفيه عبد الله اس لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه  
 عمر بن جابر المحضري وهو اضعف منه قال احمد بن حنبل روي عن جابر ما كبر وبلغني  
 انه كان يكذب وقال النسائي ليس بثقة وقال كان اس لهيعة شيخاً احمق ضعيف العقل  
 وكان يقول علي في السحاب وكان يجلس معاً فيبصر سخامة فيقول هذا علي قد مر في  
 السحاب وخرّج الطبراني عن علي رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قال يكون في اخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما يحصل الذهب في المعدن فلا

تسوا اهل الشام ولكن سوا اشرارهم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل على اهل الشام  
 صيب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج  
 من اهل بيتي في ثلاث رايات المكثري يقول بهم خمسة عشر ألفاً والمقلل يقول بهم اثنا  
 عشر ألفاً وامارتهم امت امت يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب الملك  
 فيقتلهم الله جميعاً ويرد الله الى المسلمين النعم ونعمتهم وقاصبتهم وراهم . اه . وفيه عند الله  
 ان لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد  
 ولم يجره في روايته ثم يظهر الهاتمي فيرد الله الناس الى النعم المح وليس في طريقه ابن  
 لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكره وخرج الحاكم في المستدرک عن علي رضي الله عنه من رواية  
 ابي الطليل عن محمد بن الحبيبة قال كما عد علي رضي الله عنه فساله رجل عن المهدي  
 فقال له هيات تم عقد يده سبعا فقال ذلك يخرج في اخر الرمان اذا قال الرجل  
 الله الله قتل ويجمع الله له قوماً قرع<sup>(١)</sup> كقرع السحاب يولف الله بين قلوبهم فلا  
 يستوحشون الى احد ولا يهرحون باحد دخل فيهم عدتهم على عدة اهل بدر لم يسبقهم  
 الاولون ولا يدركهم الاخرون وعلى عدد اصحاب طابوت الذين جاوزوا معه النهر  
 قال ابو الطليل قال اس الحنفية اتريده قلت نعم قال فانه يخرج من بين هذين  
 الاخشين قلت لاجرم والله ولا ادعها حتى اموت ومات بها يعني مكة قال الحاكم هذا  
 حديث صحيح على شرط التبيين انتهى واما هو على شرط مسلم فقط فان فيه عماراً الذهبي  
 ويوس بن ابي اسحاق ولم يخرج لها البخاري وفيه عمرو بن محمد العنقري ولم يخرج له  
 البخاري احتجاجاً بل استشهداً مع ما يضم الى ذلك من تشيع عمار الذهبي وهو وان وثقه  
 احمد وان معين وابو حاتم السائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن سفيان ان بشر  
 ابن مروان قطع عرقوبية قلت في اي شيء قال في التشيع وخرج ابن ماجه عن اس  
 بن مالك رضي الله عنه في رواية سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن علي بن زياد  
 اليامي عن عكرمة بن عمار عن اسحاق بن عبد الله عن انس قال سمعت رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم يقول يحسن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة اما وحمرة وعلي وجعفر  
 والحسن والحسين والمهدي انتهى وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متناعة  
 وقد ضعفه بعض وثقه اخرون وقال ابو حاتم الرازي هو مدلس فلا يعل الى ان  
 يصرح بالسماع علي بن زياد قال الذهبي في الميزان لا تدري من هو ثم قال الصواب فيه

(١) قرع بضم اوله ونح الزاي موع من الصرف كاحراه

عند الله بن زياد وسعد بن عبد الحميد وان وثقه يعقوب بن ابي شيبة وقال فيه يجي  
 ابن معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لانه رآه يتي في مسائل ويخطي فيها  
 وقال ابن حبان كان ممن فحس عطاؤه فلا ينجح وقال احمد بن حنبل سعيد ابن عبد  
 الحميد يدعي انه سمع عرض كتب مالك والناس ينكرون عليه ذلك وهو ههنا بغداد  
 لم ينجح فكيف سمعها وجعله الذهبي ممن لم يقدر فيه كلام من تكلم فيه وخرج الحاكم في  
 مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفاً عليه قال مجاهد قال لي ابن عباس  
 لولم اسمع انك مثل اهل البيت ما حدثتك بهذا الحديث قال فقال مجاهد فانه في ستر  
 لا اذكره لمن يكره قال فقال ابن عباس ما اهل البيت اربعة ما السباح وما المنذر  
 وما المنصور وما المهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الاربعة فقال ابن عباس اما  
 السباح فربما قتل اصابةً وعما عن عدوه واما المنذر اراه قال فانه يعطي المال الكثير  
 ولا يتعاطى في نفسه ويمسك القليل من حقه واما المنصور فانه يعطي النصر على عدوه  
 الشطر مما كان تعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهرب منه عدوه على مسيرة شهرين  
 والمنصور يهرب منه عدوه على مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلاً كما ملئت  
 جوراً وتامس البهائم السباع وتلقي الارض افلاذ كدها قال قلت وما افلاذ كدها قال امثال  
 الاسطوانة من الذهب والنصه وقال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه وهو من رواية  
 اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن ابيه واسماعيل ضعيف وابراهيم اوه وان خرج للمسلم  
 فالأكثر من على تصعيبه . اهـ . وخرج ابن ماجه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يقتل عند كبركم ثلاثة كلهم اس خليفة تم لا يصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل  
 المشرق فيقتلونهم قتلاً لم يقتله قوم ثم ذكر شيئاً لا احبظله قال فاذا رايتهم فما يعوهُ ولو  
 حوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي . اهـ . ورجاله رجال الصحيحين الا ان فيه انا قلانة  
 الجرمي وذكر الذهبي وغيره انه مدلس وفيه سببان الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل  
 واحد منهما عمن ولم يصرح بالسماع فلا يقبل وفيه عبد الرزاق بن همام وكان مشهوراً  
 بالشماع وعي في اخر وقتيه فحفظ قال ابن عدي حدثنا حديث في الصائل لم يوافقهُ  
 عليها احد وسوءهُ الى التشيع انتهى . وخرج ابن ماجه عن عبد الله بن الحارث بن  
 جزء الزبيدي من طريق ابن لهيعة عن ابي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن  
 عبد الله بن الحارث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من  
 المشرق فيوطنون للمهدي يعني سلطانه قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في

حديث عليّ الذي خرّجه الطبراني في معجمه الاوسط ان اس لهيعة ضعيف وان شيخة عمر  
 ابن جابر اضعف منه وخرّج الزنار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني  
 عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في امي المهدي ان قصر فسع  
 والا فثمان والا فتسع نعم فيها امي نعمة لم يعملوا بمنها ترسل السماء عليهم مدراراً ولا  
 تذخر الارض شيئاً من السمات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول  
 خذ قال الطبراني والبرار تفرّد به محمد بن مروان العجلي زاد الزنار ولا يعلم انه تابعه  
 عليه احد وهو وان وثقه ابو داود واس حبان ايضاً بما ذكره في الثقات وقال فيه يجي  
 ابن معين صالح وقال مرة ليس به ناس فقد اخذوه فيهم وقال ابو زرعة ليس عندي  
 ذلك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي حدثنا با حديث  
 وابا شاهد لم يكتبها تركتها على عمد وكتب بعض اصحابنا عنه كانه ضعفه وخرّجه ابو  
 يعنى الموصلي في مسنده عن ابي هريرة وقال حدثني خليفي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم  
 قال لانقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل بيتي فيصيرهم حتى يرجعوا الى الحق  
 قال قلت وكم يملك قال خمساً واثنتين قال قلت وما خمساً واثنتين قال لا ادري اه .  
 وهذا السد وان كان فيه ستير من نهيك وقال فيه ابو حاتم لا يخرج به فقد احتج به الشيخان  
 ووثقه الناس ولم يلتفتوا الى قول ابي حاتم لا يخرج به الا ان فيه رجاء الشكري  
 وهو مختلف فيه قال ابو زرعة ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال ابو داود ضعيف  
 وقال مرة صالح وعلق له الجباري في صحيحه حديثاً واحداً وخرّج ابو بكر الزنار في مسنده  
 والطبراني في معجمه الكبير والايوسط عن قرّة بن اياس قال قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم لتملأ الارض حوراً وظلمة فادامت حوراً وظلمة لعن الله رجلاً من امي اسمه اسي واسم  
 ابيه اسم ابي بلال هادلاً وقسطاً كما ملئت حوراً وظلمة فلا تمنع السماء من قطرها شيئاً ولا تذخر  
 الارض شيئاً من نباتها بلت فيكم سبعاً او ثمانية او تسعاً يعني سنين . اه . وفيه داود بن المحبي  
 ابن المجرم عن ابيه وها ضعيفان جداً وخرّج الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عمر قال  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من المهاجرين والانصار وعلي ابن ابي طالب عن  
 يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحى العباس ورجل من الانصار فاغلا الا نصاري للعباس  
 فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد العباس وبهد علي وقال سيخرج من صلب هذا حتى يملأ  
 الارض حوراً وظلمة وسيخرج من صلب هذا حتى يملأ الارض قسطاً وعدلاً فاذا رايتم ذلك  
 فعليكم بالنفي التيمسي فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي . انتهى . وفيه

عند الله من عمر العبي وعبد الله من طيبة وها ضعيفان . ٥١٠ . وخرج الطبراني في معجمه  
 الاوسط عن طلحة بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة لا يسكن منها  
 جانب الا تساجر جاب حتى يبادي سادي من السماء ان اميركم فلان . ٥١٠ . وفيه المنى من الصاح  
 وهو ضعيف جداً وليس في الحديث تصريح بذكر المهدي وإنما ذكره في انبائه وترجمته  
 استثناساً فهدى حملة الاحاديث التي خرجها الائمة في شان المهدي وخر وجه آخر الرمان  
 وهي كما رايت لم يخلص منها من القدر الا القليل والاقبل منه وربما تسك المنكرون لسانه  
 بما رواه محمد بن خالد المجدي عن ابان بن صالح بن ابي عياش عن الحسن المصري  
 عن أس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لامهدي الاعمسي من مرع  
 وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد انه ثقة وقال البيهقي تعهد به محمد بن خالد وقال  
 الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اسناده فمرة برويه كما تقدم وينسب ذلك  
 لمحمد بن ادريس الشافعي ومرة برويه عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم رسلاً قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول  
 عن ابان اس ابي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو منقطع  
 وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب وقد قيل ان لامهدي الاعمسي اي لا يتكلم في المهدي  
 الاعمسي يحاولون بهذا التاويل رد الاحتجاج بد او الجمع بينه وبين الاحاديث وهو  
 مدفوع بحديث جريح ومثله من الحوارق . واما المتصوفة فلم يكن المتفردون منهم بمخوضون  
 في شيء من هذا وإنما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من نتائج المواجد  
 والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل علي رضي الله تعالى عنه  
 والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبي صلى الله عليه وسلم والتبري من الشيعين  
 كما ذكرناه في مذاهيمهم ثم حدث فيهم بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرة التاكيف  
 في مذاهيمهم وحاء الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام سوع من الحلول واخرون  
 يدعون رجعة من مات من الائمة سوع الناسخ واخرون مستطرون مجيء من يقطع بموته  
 منهم واخرون منتظرون عود الامري اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدمناه من  
 الاحاديث في المهدي وغيرها ثم حدث ايضاً عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف  
 وفيما وراء الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فناركنوا فيها  
 الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الائمة وحلول الاله فيهم وظهر منهم ايضاً القول بالقطب  
 والابدال وكأنه يجامكي مذهب الرافضة في الامام والنقاء واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا

في الديانة بمذاهبهم حتى جعلوا مستند طريقتهم في لبس الخرق ان علياً رضي الله عنه السها الحسن  
 البصري واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة وانصل ذلك عنهم بالجند من شيوخهم ولا يعلم هذا  
 عن علي من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه بل الصحابة كلهم أسوة  
 في طريق الهدى وفي تخصيص هذا بعلي دونهم راحة من التشيع قوية بينهم منها ومن غيرهم من  
 القوم دخلوا في التشيع وانخرطوا في سلكه وظهر منهم ايضاً القول بالقطب وامتلأت كتب  
 الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة يمثل ذلك في الفاطمي المتظرو كان  
 بعضهم يلبس على بعض ويلقبه بعضهم عن بعض وكانه مني على اصول واهية من الفريقيين  
 وربما يستدل بعضهم بكلام المنجبيين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتي الكلام  
 عليها في الباب الذي يلي هذا واكثر من تكلم من هؤلاء المتصوفة المتأخرين في شان الفاطمي  
 ابن العربي الحنفي في كتاب عقائد مغرب وابن قسي في كتاب خلع العلين وعبد الحق بن  
 سعدي واس ابى واطيل تلميذه في شرحه لكتاب خلع العلين واكثر كلماتهم في شابه الغاز  
 وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرح مفسرو كلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما  
 ذكر اس ابى واطيل ان النسوة بها طهر الحق والهدى بعد الصلال والعي وانها تعقبها  
 الخلافة تم يعقب الخلافة الملك تم يعود تجبراً وتكراراً واطلاً قالوا ولما كان في المعهود  
 من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يجبا امر النسوة والحق بالولاية تم بخلافها  
 ثم يعقبها الدجل مكان الملك والتسلط تم يعود الكفر بحاله يتبير ون بهذا لما وقع من شان  
 النسوة والخلافة بعدها والملك بعد الخلافة هذه ثلاث مراتب وكذلك الولاية التي هي  
 لهذا الفاطمي والدجل بعدها كناية عن خروج الدجال على اثره والكفر من بعد ذلك  
 فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث المراتب الاولى قالوا ولما كان امر الخلافة لفريرش  
 حكماً شرعياً بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن  
 هو اخص من فريرش بالنبي صلى الله عليه وسلم اما ظاهراً كني عند المطلب واما باطناً  
 ممن كان من حقيقة الآل والآل من اذا حصر لم يلق من هو آله وابن العربي الحنفي ساءه  
 في كتابه عقائد مغرب من تاليه خاتم الاولياء وكفى عنه بلبنة الهضة اشارة الى حديث  
 البخاري في باب خاتم النبيين قال صلى الله عليه وسلم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابني  
 بيتاً واكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لينة فانا تلك اللينة فيفسرون خاتم النبيين باللينة حتى  
 اكملت النبيان ومعناه النبي الذي حصلت له النسوة الكاملة ويمثلون الولاية في تفاوت  
 مراتبها بالنسوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتم الاولياء اي حائز الرتبة التي هي خاتمة

الولاية كما كان خاتم الانبياء حائزاً للمرنة التي هي خاتمة السورة فكفى الشارح عن تلك  
 المرنة الخاتمة لسنة البيت في الحديث المذكور وها على ستة واحدة فيها فخي لبنة واحدة في  
 التمثيل ففي السورة لسنة ذهب وفي الولاية لسنة فضة للتفاوت بين الرتبتين كما بين الذهب  
 والنضة فيعملون لسنة الذهب كناية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولبنة النضة كناية عن  
 هذا الولي الناطقي المنتظر وذلك خاتم الاسباء وهذا خاتم الاولياء وقال ابن العربي فيما  
 نقل اس ابي واطيل عنه وهذا الامام المنتظر هو من اهل البيت من ولد فاطمة وظهوره  
 يكون من بعد مصي خ ف ج من العجوة ورسم حروفاً ثلثة يريد عددها بحساب الجمل  
 وهو الحاء المعجمة الواحدة من فوق ستمائة والفاء تحت الفاء وتماين والجيم المعجمة الواحدة  
 من اسفل ثلاثة وذلك ستمائة وثلاث وتماين ستة وهي اخر القرن السابع ولما انصرم  
 هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك بعض المقلدين لهم على ان المراد تلك المدة مولده وعبر  
 بظهوره عن مولده وان خروجه يكون بعد العشر والسعمائة فانه الامام الناجم من ناحية  
 المغرب قال واذا كان مولده كما زعم اس العربي ستة ثلاث وتماين وستمائة فيكون عمره  
 عند خروجه ستاً وعشرين سنة قال ورعنا ان خروج الدجال يكون سنة ثلاث واربعين  
 وسبعائة من اليوم المحمدي وابتداء اليوم المحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلى الله عليه  
 وسلم الى تمام الف سنة قال اس ابي واطيل في شرحه كتاب خلع العليين الولي المنتظر  
 القائم بامر الله المنتار اليه محمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هوسي وانما هو ولي ابنته  
 روحه وحييته قال صلى الله عليه وسلم العالم في قومه كالسي في امتي وقال علماء امتي  
 كانباء بني اسرائيل ولم ترل الشرى نافع به من اول اليوم المحمدي الى قبيل الخمسمائة  
 نصف اليوم وناكدت وتضاعفت شمشير المشايخ بتقريب وقته وار دلاف رمايه سد انقصت  
 الى هلم حراً قال وذكر الكندي ان هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلاة الظهر ويجدد  
 الاسلام ويظهر العدل وينفع جريئة الاذلس ويصل الى رومية فيفتحها ويسير الى المشرق  
 فيفتحها وينفع القسطنطينية ويصير له ملك الارض فيفتوى المسامون ويعلو الاسلام  
 ويظهر دين الخنيفية فان من صلاة الظهر الى صلاة العصر وقت صلاة قال عليه الصلاة  
 والسلام ما بين هذين وقت وقال الكندي ايضاً الحروف العربية غير المعجمة يعني المتفتح  
 بها سور القرآن جملة عددها سعمائة وثلاثة واربعون وسعة دجالية ثم ينزل عيسى في  
 وقت صلاة العصر فيصلح الدنيا وتمشي الشاة مع الذئب ثم ملغ ملك العجم بعد اسلامهم  
 مع عيسى مائة وستون عاماً عدد حروف المعجم وهي ق ي ن دولة العدل منها ار بعون



عاماً قال اس ابى واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فمعناه لا مهدي نساوسه  
 هدايته هدايته وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا مدفوع بحديث جريج وغيره وقد  
 جاء في الصحيح انه قال لا يزال هذا الامر قائماً حتى تقوم الساعة او يكون عليهم اشاعرة خليفة  
 يعني قرشياً وقد اعطى الوحدون منهم من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون في  
 آخره وقال الحلافة بعدي ثلاثون او احدى وثلاثون اوست وثلاثون وانقضائها في  
 خلافة الحسن واول امر معاوية فيكون اول امر معاوية خلافة اخداً ما وانزل الاسماء فهو  
 سادس اهل البيت واما سابع الحلائف فعمرو بن عبد العزيز والماقون خمسة من اهل البيت من  
 ذرية علي بؤيده قوله لك لذوق قريبها يريد الامة اي انك لحليفة في اولها وذريتك في  
 آخرها وربما استدل بهذا الحديث الفائلون بالرجعة فالاول هو المشار اليه عدم بطلوع  
 الشمس من مغربها وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا  
 هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نسي يده لتفق كوزها في سبيل الله وقد اتفق  
 عمر بن الخطاب كوز كسرى في سبيل الله والذي يهلك قيصر وينفق كوزة في سبيل  
 الله هو هذا المنتظر حين ينقح التسططانية فعم الامير اميرها وعم الجيش ذلك الجيش  
 كذا قال صلى الله عليه وسلم ومدة حكمه نضع والصع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر  
 وجاء ذكر اربعين وفي بعض الروايات سبعين واما الاربعون فانها مدته ومدة الخلفاء  
 الاربعة الناقين من اهله القائمين بامر من بعده على جميعهم السلام قال وذكر اصحاب  
 النجوم والقرانات ان مدة قاء امره واهل بيته من بعده مائة وتسعة وحسون عاماً فيكون  
 الامر على هذا جارياً على الخلافة والعدل اربعين او سبعين ثم تختلف الاحوال فتكون  
 ملكاً انتهى كلام اس ابى واطيل وقال في موضع اخر رول عيسى يكون في وقت صلاة  
 العصر من اليوم المهدي حين تمضي ثلاثة ارباعه قال وذكر الكندي يعقوب بن اسحاق  
 في كتاب الجبر الذي ذكر فيه القرانات انه اذا وصل القران الى الثور على راس ضخ  
 بحرفين الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية وتسعين وستائة من الهجرة ينزل المسيح  
 فيحكم في الارض ما شاء الله تعالى قال وقد ورد في الحديث ان عيسى ينزل عند المنارة  
 البيضاء شرقي دمشق ينزل بين مهرودتين يعني حلين مزعنتين صراوين ممصرتين  
 واضعاً كعبه على اجنحة الملكين لمة كما ما خرج من ديماس اذا طأ طأ راسه قطر واذا رفعة  
 تحدر منه حمان كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث اخر مر بوع الخلق والى النياض

والحمة وفي آخره يتزوج في الغرب والغرب دلو النادية يريد انه يتزوج منها وتلد  
 زوجته وذكر وفاته بعد اربعين عاماً وجاء ان عيسى يموت بالمدينة ويدفن الى جانب  
 عمر ابن الخطاب وجاء ان انا نكر وعمر يحشرا بين بيبي قال اس الى اصيل والتبعية  
 نقول انه هو المسيح مسيح المساح من آل محمد قلت وعليه حمل بعض المتصوفة حديث  
 لا مهدي الا عيسى اي لا يكون مهدي الا المهدي الذي سبته الى الشريعة المحمدية ستة  
 عيسى الى الشريعة الموسوية في الاتباع وعدم السخ الى كلام من امثال هذا يعينون فيه  
 الوقت والرجل والمكان بادلة واهية وتحكات مختلفة فيقضي الرمان ولا اترلتي من ذلك  
 فيرجعون الى تجديد راي اخر منتحل كما تراه من مبهومات لغوية واتشاء تحيلية واحكام  
 نجومية في هذا انقص اعمار الاول مهم والاخر. واما المتصوفة الذين عاصروا ما اكثرهم  
 يشيرون الى ظهور رجل محدد لاحكام الملة ومراسم الحق ويقيمون ظهوره لما قرب من  
 عصرنا فمعظم يقول من ولد فاطمة وعضهم يطلق القول فيه سمعاه من جماعة كرههم  
 ابو يعقوب النادسي كبير الاولياء بالغرب كان في اول هذه المائة الثامنة واخبرني عنه  
 حادثة صاحبا ابو يحيى ركريا عن ابيه محمد عبد الله عن ابيه الولي ابو يعقوب  
 المذكور هذا اخر ما اطلعنا عليه او بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما ورد اهل الحديث  
 من اخبار المهدي قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا والحق الذي يسعي ان يتقرر لديك  
 انه لائم دعوة من الدين والملك الا بوحود شوكة عصبية ظاهرة وتدافع عنه من يدفعه  
 حتى يتم امر الله فيه وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي اريكها هالك  
 وعصبية الناطقين بل وقريش اجمع قد تلاشت من جميع الافاق ووجد امم اخرون  
 قد استعلت عصبيتهم على عصبية قريش الا ما بقي بالمحجار في مكة ويسع بالمدينة من  
 الظالمين من بني حس وبني حسين وبني جعفر منتشرون في تلك البلاد وعالون عليها  
 وهم عصائب بدوية متعرقون في مواطنهم وامارتهم وارائهم يبلغون الافا من الكثرة فان  
 صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوتيه الا بان يكون مهم ويولف الله بين قلوبهم  
 في اتباعه حتى يتم له شوكة وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها واما على غير  
 هذا الوجه مثل ان يدعو فاطمي منهم الى مثل هذا الامر في افاق من الافاق من غير  
 عصبية ولا شوكة الا بمجرد نسبة في اهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن لما اسلمناه من  
 البراهين الصحيحة واما ما تدعيه العامة والاغار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك الى عقل  
 يهديه ولا علم يبيده فيجسبون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان نقليدا لما اشتهر من ظهور

فاطمي ولا يعلمون حقيقة الامر كما يباهُ واكثر ما يجيئون في ذلك القاصية من الممالك  
 واطراف العبران مثل الزاب بافريقية والسوس من المغرب ونجد الكثير من ضعفاء  
 النصائر يقصدون رباطاً بما ساء لما كان ذلك الرباط بالمغرب من الملتهمين من كدالة  
 واعتقادهم انه منهم او قائمون بدعوته زعماء لا مستند لهم الا غرابة تلك الامم واعداهم على  
 يقين المعرفة باحوالها من كثرة اوقلة او ضعف او قوة ولعد القاصية عن منال الدولة  
 وخر وحما عن نطاقها فتقوى عديم الاوهام في ظهوره هياك بجروجه عن رنقة الدولة  
 ومنال الاحكام والتبر ولا محصول لديهم في ذلك الا هذا وقد يقصد ذلك الموضوع كثير  
 من ضعفاء العنول للتليس بدعوة يبيو تمامها وسواساً وحمقاً وقتل كثير منهم اخبرني شيخنا  
 محمد بن اراهيم الابلي قال خرج رباط ماسة لاول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف  
 ابن يعقوب رجل من متخلي التصوف يعرف بالتويري نسبة الى نور مصغراً وادعى انه  
 الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من اهل السوس من صالته وكرولة وعظم امره وخافه  
 روساء المصامدة على امرهم فندس عليه السكسوي من قتله تناً وإجمل امره وكذلك ظهر  
 في غمارة في اخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعماس وادعى انه  
 الفاطمي واتبعه الدهاء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرقت اسواقها وارتمل الى  
 بلد المرمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط واخبرني شيخنا المذكور بغربية  
 في مثل هذا وهو انه صحب في حجة في رباط العباد وهو مدس السنج ابي مدين في جبل  
 تلمسان المظلل عليها رجلاً من اهل البيت من سكان كربلاء كان يتسوعا يعظماً كثيراً  
 التلميد والخدام قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالدفقات في اكثر البنادان قال  
 وتاكدت الصحة ببسا في ذلك الطريق فانتكف لي امرهم وانهم انما جاءوا من موطنهم  
 بكر بلاء لطلب هذا الامر بائتمال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عين دولة بني مرين  
 ويوسف بن يعقوب يومئذ مبارل تلمسان قال لاصحابه ارجعوا فقد ارر بئنا العلط  
 وليس هذا الوقت وقتنا وبدل هذا القول من هذا الرجل على انه مستنصر في ان الامر  
 لا يتم الا بالعصبة المكافئة لاهل الوقت فلهذا علم انه عربي في ذلك الوطن ولا شوكة  
 له وان عصبة بني مرين لذلك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان ورجع الى  
 الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن ان عصبة النواظم وقريش اجمع قد  
 ذهبت لاسيا في المغرب الا ان التعصب لسانه لم يبركه لهذا القول والله يعلم وانتم لا  
 لاتعلون وقد كانت بالمغرب هذه العصور القريبة برعة من الدعاة الى الحق والقيام

بالسنة لا يتخلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وإنما ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد  
 فالواحد الى اقامة السنة وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تاعه وأكثر ما يعنون  
 باصلاح السائلة لما ان أكثر فساد الاعراب فيها لما قدمناه من طبيعة معاشهم فياخذون  
 في تغيير المنكر بما استطاعوا الا ان الصفة الديبة فيهم لم نستحکم لما ان تونة العرب  
 ورجوعهم الى الدين انما يقصدون بها الاقصار عن الغارة والهب لا يعقلون في تونهم  
 واقبالهم الى ماضي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي كانوا عليها قبل المقربة ومنها  
 تونتهم فيجد ذلك المتخل للدعوة والقائم برعته بالسنة غير متعقبين في فروع الاقضاء  
 والانواع انما دبرهم الاعراض عن النهب والنهي واصساد السائلة ثم الاقبال على طلب الدنيا  
 والمعاش باقصى جهدهم وتتنافس بين هذا الاخر من اصلاح الخلق ومن طلب الدنيا  
 فاتفاقها ممتنع لاستحکامه انه صغذ في الدين ولا يكمل له روع عن الناظر على الجبهة ولا  
 يكثر ون ويختلف حال صاحب الدعوة معهم في استحکام ديبه وولايته في نفسه دون تاعه  
 فاذا هلك احل امرهم وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك ما فرقية لرجل من كعب من  
 سليم يسمى قاسم بن مرة بن احمد في المائة السابعة ثم من بعده لرجل اخر من نادبة رياح  
 من نطن منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشد ديباً من الاول واقوم طريقة  
 في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امر تاعه كما ذكرناه حسماً يأتي ذكر ذلك في موضعه عند  
 ذكر قبائل سليم ورياح وبعد ذلك طهر ناس بهذه الدعوة يتشبهون بمثل ذلك ويلبسون  
 فيها ويتخلون اسم السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا من بعدهم شيء من امرهم انتهى

### الفصل الرابع والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الخمر  
 اعلم ان من خواص السوس البشرية التثوق الى عواقب امورهم وعلم ما يحدث لهم  
 من حياة وموت وحير وشر سبب الحوادث العامة كنعرفه ما بقي من الدنيا ومعرفة مدد  
 الدول او تقاوتها والتطلع الى هدا طبيعة مجبولون عليها ولذلك تجد الكثير من الناس  
 يتشوقون الى الوقوف على ذلك في المام والاخبار من الكهان من قصدهم بمثل ذلك من  
 الملوك والسوقة معروفة ولقد تجد في المدن صنفاً من الناس يتخلون المعاش من ذلك  
 لعلمهم بحرص الناس عليه فيبتصون لهم في الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم غم  
 فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبياتها وكثير من صنعاء العقول يستكشمون

عواقب امرهم في الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط  
في الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر في المرايا  
والمياه ويسمونه ضارب المنديل وهو من المنكرات العاشية في الامصار لما تقرر في الشريعة  
من ذم ذلك وان السحر محجوبون عن الغيب الا من اطلعه الله عليه من عنده في نوم  
او ولاية واكثر ما يعنى بذلك ويتطلع اليه الامراء والملوك في امداد دولتهم ولذلك  
انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم يوجد لهم كلام من كاهن او مجيم  
او ولي في مثل ذلك من ملك يرتفعونه او دولة يحدثون انفسهم بها وما يحدث لهم من  
الحرب والملاحم ومدة نفاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض لاسمائهم ويسمى مثل  
ذلك الحدتان وكان في العرب الكهان والعرفاءون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبروا  
بما سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لثقي وسطح في تاويل روياربيعة بن  
نسر من ملوك اليمن اخبرهم بملك المحسنة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهر الملك والدولة  
للعرب من بعد ذلك وكذا تاويل سطح لرويا الموندان حين بعث اليه كسرى بهامع  
عد المسيح واخبرهم بظهور دولة العرب وكذا كان في حيل الدرر كهان من اشهرهم  
موسى صالح من بني يفرن ويقال من غمرة له كلمات حدتانية على طريقة الشعر  
برطانتهم وفيها حدثان كبير ومعظمة فيما يكون لزبانة من الملك والدولة بالمغرب وهي  
متداولة بين اهل الجبل وهم يزعمون تارة انه ولى وتارة انه كاهن وقد يزعم بعض مراعيهم  
انه كان سبأ لان تاريخه عنهم قبل الهجرة بكثير والله اعلم وقد يستند الجبل الى خبر  
الاسياء ان كان لعهدهم كما وقع لني اسرائيل فان اسياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يخبرونهم  
بمثل ما يعنونهم في السؤال عنه . واما في الدولة الاسلامية فوقع منه كثير فيما يرجع  
الى نفاء الدنيا ومدتها على العموم وفيما يرجع الى الدولة واعمارها على الخصوص وكان  
المعتمد في ذلك في صدر الاسلام اثار منقولة عن الصحابة وخصوصاً مسلمة بنى اسرائيل  
مثل كعب الاحبار ووهب بن منه وامثالها وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر  
ماثورة وتاويلات محتملة ووقع لجمعهم وامثاله من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم  
فيه والله اعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من  
الاولياء في ذوبهم واعقابهم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس  
بهذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة وحين علق الناس على  
العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربي فاكثر معتمدهم في ذلك

كلام المنجيين في الملك والدول وسائر الامور العامة من القرانات وفي المواليذ  
والمسائل وسائر الامور الخاصة من الطوالع لها وهي شكل الفلك عند حدوثها فلنذكر  
الآن ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع لكلام المنجيين . اما اهل الاثر فلم في مدة  
الملل وبقاء الدنيا على ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضي ان مدة  
بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة ونقص ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك انه  
نقل عن اس عمار ان الدنيا جمعة من جمع الاخرة ولم يذكر لذلك دليلاً وسره والله  
اعلم تقدير الدنيا بايام خلق السماوات والارض وهي سبعة ثم اليوم بالف سنة لقوله وان  
يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون قال وقد ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال اجلكم في اجل من كان فلكم من صلاة العصر الى غروب الشمس  
وقال بعثت انا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر  
وغروب الشمس حين صيرورة ظل كل شيء مثليه يكون على التقريب نصف سبع  
وكذلك وصل الوسطى على الساعة فتكون هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها وهو خمسمائة  
سنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم ليعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم فدل  
ذلك على ان مدة الدنيا قبل الملة خمسة الاف وخمسمائة سنة وعن وهب بن منبه انها  
خمس الاف وستمائة سنة اعني الماضي وعن كعب بن عرفة ان مدة الدنيا كلها ستة الاف ستة قال  
السهيلي وليس في الحديثين ما يشهد لشيء مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فاما قوله ان  
يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم فلا يقتضي نفي الريادة على النصف واما قوله  
بعثت انا والساعة كهاتين فاما فيه الاشارة الى القرب وابنه ليس بينه وبين الساعة نبي  
غيره ولا شرع غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين امد الملة من مدرك اخر لو ساعده  
التحقيق وهوانه جمع الحروف المقطعة في اوائل السور بعد حذف المكرر قال وهي اربعة  
عشر حرفاً بجمعها قولك (الم يسطع بص حق كره) فاخذ عددها بحسب الجمل فكان  
سبعائة وثلاثة<sup>(١)</sup> اضافته الى المنتقضي من الالف الاخرة قبل بعثته فانه هي مدة الملة قال  
ولا يبعد ذلك ان يكون من مقتضيات هذه الحروف وفوائدها قلت وكونه لا يبعد  
لا يقتضي ظهوره ولا التعويل عليه والذي حمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في كتاب  
السير لابن اسحاق في حديث ابي اخطب من احبار اليهود وهما ابو ياسر واخوه يحيى حين

١ هذا العدد غير مطابق كما ان المرحوم التركي لم يطابق في قوله ٩٢ وانما المطابق للحروف المذكورة ٦٩٢ وعن  
الموافق لما سبذكره عن يعقوب الكندي في اول الصفحة ١٦٤ داهب اليه قاله نصر

سمعا من الاحرف المقطعة الم وتاولاها على بيان المدة بهذا الحسب فلغت احدى  
 وسعين فاستقلا المدة وجاء حي الى النبي صلى الله عليه وسلم يساله هل مع هذا غيره  
 فقال المص تم استزاد الرتم استزاد المر فكات احدى وسعين ومائتين فاستطال المدة  
 وقال قد لس علينا امرك يا محمد حتى لا ندري اقليلاً اعطيت ام كثيراً تم ذهبوا عنه  
 وقال لهم ابو ياسر ما بدر بكم لعله اعطى عددها كلها تسعمائة واربع سنين قال ابن  
 اسحاق وبل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهاً اه. ولا يقوم  
 من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد  
 ليست طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي يسموه حساب الجمل نعم  
 انه قدم مشهور وقدم الاصطلاح لا يصير حجة وليس ابو ياسر واخوه حي من بوخذ راية  
 في ذلك دليلاً ولا من علماء اليهود لانهم كانوا نادية بالحجاز غلباً عن الصانع والعلوم حتى  
 عن علم شريعتهم وفقه كتابهم وملتهم وانما يتلقون مثل هذا الحسب كما تتلقفه العوام في  
 كل ملة فلا يهضم للسبيلي دليل على ما ادعاه من ذلك ووقع في المنة في حدتان دولتها  
 على الخصوص مسد من الاتراحمالي في حديث خرجه ابو داود عن حديفة بن اليان من  
 طريق شيخه محمد بن يحيى الذهبي عن سعيد بن ابي مريم عن عبد الله بن فروخ عن  
 اسامة بن زيد اللبتي عن ابي قبيصة بن ذؤيب عن ابيه قال قال حديفة بن اليان والله  
 ما ادري انسي الاصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فئة  
 الى ان تقضي الدنيا يبلغ من معه ثمانمائة فصاعداً الا قد ساءه انما باسمه واسم ابيه وقبيلته  
 وسكت عليه ابو داود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكت عليه في كتابه فهو صالح  
 وهذا الحديث اذا كان صحيحاً فهو مجمل وينتقري بيان احواله وتبيين مهماته الى انار  
 اخرى يجوز اسايدها وقد وقع اساد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا  
 الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حديفة ايضاً قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فينا خطيباً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث عنه حنظلة من  
 حنظلة ونسبه من نسبه قد علمه اصحابه هولاء اه. وانظر البخاري ما ترك شيئاً الى قيام الساعة  
 الا ذكره وفي كتاب الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم  
 صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر سهارتم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون الى قيام الساعة  
 الا اخبرنا به حنظلة من حنظلة ونسبه من نسبه اه. وهذه الاحاديث كلها محمولة على ما  
 ثبت في الصحيحين من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعهود من التارخ صلوات

الله وسلامه عليه في امثال هذه العمومات وهذه الزيادة التي تفرّد بها ابو داود في هذه  
 الطريق شاذة منكورة مع ان الائمة اختلفوا في رجاله فقال ابن ابي مريم في ابن فروخ  
 احاديثه مناكير وقال البخاري يعرف منه ويذكر وقال ابن عدي احاديثه غير مضمومة  
 واسامة بن زيد وان خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فالماخرج له البخاري استنبهاداً  
 وضعفه يحيى بن سعيد واحمد بن حنبل وقال ابن حاتم يكتب حديثه ولا يتخج به وابن  
 قبيصة ابن ذويب مجهول فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لابي داود في هذا الحديث  
 من هذه الجهات مع شدوذها كما مر . وقد يستندون في حدثان الدول على الخصوص  
 الى كتاب الجفرو يزعمون ان فيه علم ذلك كله من طريق الانار والعموم لا يزيدون  
 على ذلك ولا يعرفون اصل ذلك ولا مسنده واعلم ان كتاب الحفر كان اصلاً ان  
 هارون بن سعيد العملي وهو راس الريدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق وفيه  
 علم ما سبق لاهل البيت على العموم ولععض الاشخاص منهم على الخصوص وقع ذلك  
 للحمد ونظائره من رحالاتهم على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الاولياء  
 وكان مكتوباً عند جعفر في جلد تور صغير فرواه عنه هارون العملي وكنته وسماه الحفر  
 باسم الجلد الذي كتب منه لان الجفر في اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علماً على هذا  
 الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر  
 الصادق وهذا الكتاب لم تنصل روايته ولا عرف عينه وانما يظهر منه شواذ من الكلمات  
 لا يصحها دليل ولو صح السند الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نسبه او من  
 رجال قومه فهم اهل الكرامات وقد صح عنه انه كان يحذر بعض قرائته بوقائع تكون لهم  
 فتصح كما يقول وقد حذر يحيى بن عمير من مصر عنه وعصاه مخرج وقتل بالبحر حان  
 كما هو معروف واذا كانت الكرامة تقع لعيرهم فما تلك بهم علماً وديماً واناراً من السوة  
 وعناية من الله بالاصل الكريم تشهد لروع الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من  
 هذا الكلام غير مسبوب الى احد وفي اخبار دولة العبيد بين كثير منه وانظر ما حكاه ابن  
 الرقيق في لقاء ابي عبد الله الشيعي لعبيد الله المهدي مع ابيه محمد الحبيب وما حدثناه به  
 وكيف بعثاه الى ابن حوشب داعينهم باليمن فامر بالخرج الى المغرب وبث الدعوة  
 فيه على علم لقبة ان دعوته ثم هناك وان عميد الله لما نسي المهدي بعد استعمال دولتهم  
 باور بقية قال سبنيها ليعتصم بها العواطم ساعة من نهار واراهم موقف صاحب الحجار ابي  
 يزيد بالهدية وكان يسال عن منتهى موقفه حتى جاءه الحمر بلوغه الى المكان الذي



عينه جدّه عيد الله فايقن بالظفر ورر من البلد فزيمه واتبعه الى ناحية الزراب  
 فظفر به وقتله ومثل هذه الاخبار عندهم كثيرة . واما النجمون فيستندون في حدثان  
 الدول الى الاحكام النجومية اما في الامور العامة مثل الملك والدول فمن القران  
 وخصوصاً بين العلويين وذلك ان العلويين زحل والمشتري يقتربان في كل عشرين  
 سنة مرة ثم يعود القران الى برج اخر في تلك المثلثة من الثلث الايمن ثم بعده الى اخر  
 كذلك الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة اثني عشرة مرة تستوي بوجه الثلاثة في ستين  
 سنة ثم يعود فيستوي بها في ستين سنة ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوي في المثلثة شتوي  
 عشرة مرة واربع عودات في مائتين واربعين سنة ويكون انتقاله في كل برج على الثلث  
 الايمن وينتقل من المثلثة الى المثلثة التي تليها اعني الريح الذي يلي البرج الاخير من  
 القران الذي قبله في المثلثة وهذا القران الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير  
 ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من الفلك الى ان يعود اليها بعد  
 تسعمائة وستين سنة مرة واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة اثني عشرة مرة وبعد  
 مئتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى والصغير هو اقتران العلويين في درجة برج وبعد  
 عشرين سنة يقتربان في برج اخر على ثلثيه الايمن في مثل درجة او دقائق مثال ذلك وقع  
 القران اول دقيقة من الحمل وبعد عشرين يكون في اول دقيقة من القوس وبعد عشرين  
 يكون في اول دقيقة من الاسد وهذه كلها بارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول  
 الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وعود القران وبعد مائتين واربعين ينتقل  
 من النارية الى الترابية لانها بعدها وهذا قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية ثم المائية ثم  
 يرجع الى اول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران الكبير يدل على عظام  
 الامور مثل تغيير الملك والدولة وانتقال الملك من قوم الى قوم والوسط على ظهور  
 المتغلبين والظالمين للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن او عمرانها  
 ويقع اثناء هذه القرانات قران النخسين في برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى  
 الرابع ورجح السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريح فتعظم دلالة هذا  
 القران في الفتن والحروب وسفك الدماء وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان  
 الجند والوباء والقحط ويدوم ذلك او ينتهي على قدر السعادة والنخوسة في وقت قرانها  
 على قدر تيسير الدليل فيه قال جراس بن احمد الحاسب في الكتاب الذي الفه لنظام  
 الملك ورجوع المريح الى العقب له اثر عظيم في الملة الاسلامية لانه كان دليلها فالمولد

النبي كان عند قران العلويين ببرج العقرب فلما رجع هنالك حدث التشويش على  
 الخلفاء وكثر المرض في اهل العلم والدين ونقصت احوالهم وربما انهدم بعض بيوت  
 العبادة وقد يقال انه كان عند قتل علي رضي الله عنه ومروان من بني امية والمتوكل  
 من بني العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت في غاية الاحكام.  
 وذكر شاذان البلخي ان الملة تنتهي الى ثلاثمائة وعشرين وقد ظهر كذب هذا القول وقال  
 ابو معشر يظهر بعد المائة والحسين منها اختلاف كثير ولم يصح ذلك وقال جراس رايت  
 في كتب القدماء ان المنجمين اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة فيهم وان  
 دليلهم الرهرة وكانت في شرفها فيقتي الملك فيهم اربعين سنة وقال ابو معشر في كتاب  
 القرانات القسمة اذا انتهت الى الساعة والعشرين من الحوت فيها شرف الزهرة ووقع  
 القران مع ذلك برج العقرب وهو دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم  
 نبي ويكون قوة ملكه ومدته على ما بقي من درجات شرف الزهرة وهي احدى عشرة  
 درجة تقرب من برج الحوت ومدة ذلك ستائة وعشر سنين وكان ظهور ابي مسلم عند  
 انتقال الرهرة ووقع القسمة اول الحمل وصاحب الجند المشتري وقال يعقوب ابن  
 اسحاق الكندي ان مدة الملة تنتهي الى ستائة وثلاث وتسعين سنة قال لان الزهرة كانت  
 عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة وثلاثين دقيقة من الحوت فالماقي احدى عشرة  
 درجة وثمان عشرة دقيقة ودقائقها ستون فيكون ستائة وثلاثاً وتسعين سنة قال وهذه مدة  
 الملة باتفاق الحكماء وبعضه الحروف الواقعة في اول السور بحذف المكرر واعناره  
 بحساب الجمل قلت وهذا هو الذي ذكره السهيلي والغالب ان الاول هو مستند السهيلي  
 فيما قلناه عنه قال جراس سأل هرمز افريد الحكيم عن مدة اردشير وولده ملوك  
 الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى اطول السنين واجودها  
 اربعمائة وسعاً وعشرين سنة ثم تزيد الرهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون  
 لان طالع القران الميزان وصاحبه الرهرة وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون  
 الف سنة وستين سنة وسأل كسرى ابوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم عن خروج  
 الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القائم منهم بولد الخمس واربعين من دولته وبملك  
 المشرق والمغرب والمشتري بغوص الى الرهرة وينتقل القران من الهوائية الى العقرب  
 وهو مائي وهو دليل العرب فهذه الادلة نقضي للملة بمدة دور الزهرة وهي الف وستون  
 سنة وسأل كسرى ابوزيد ابيوس الحكيم عن ذلك فقال مثل قول بزرجمهر وقال

توفيل الرومي المنجم في ايام بني امية ان ملة الاسلام تبقى مدة القران الكبير تسعائة وستين سنة فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فحينئذ اما ان يفترا العمل به او يتعدد من الاحكام ما يوجب خلاف الظن قال جراس وانفقوا على ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك سائر المكونات وذلك عد ما يقطع قلب الاسد اربعاً وعشرين درجة وهي حد المريج وذلك بعد مضي تسعائة وستين سنة وذكر جراس ان ملك زابلستان بعث الى المامون بحكيمه ذو بان اتحمه به في هديته وانما تصرف للمامون في الاختيارات بحروب اخيه ونعقد اللواء لظاهره وان المامون اعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فاخبره بانقطاع الملك من عقبه وانصالحه في ولد اخيه وان العجم يتغلبون على الخلافة من الديلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريد الله ثم يسوء حالهم ثم يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الى الشام والفرات وسجيمون وسيملكون بلاد الروم ويكون ما يريد الله فقال للمامون من اين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن احكام صهس داهر الهندي الذي وضع السطرنج قلت والترك الذين اشار الى طهورهم بعد الديلم هم السلجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن السابع قال جراس وانتقال القران الى المثلثة المائتة من برج الحوت يكون ستة ثلاث وتلاثين وثمانمائة ليزد حرد وبعدها الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث وخمسين قال والذي في الحوت هو اول الانتقال والذي في العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وتحويل السنة الاولى من القران الاول في الثلثات المائتة في ثاني رجب ستة ثمان وستين وثمانمائة ولم يستوف الكلام على ذلك . واما مستند المنجمين في دولة على الخصوص فمن القران الاوسط وهيئة الملك عد وقوعه لانه دلالة عدمه على حدوث الدولة وجهاتها من العمران والقائمين بها من الامم وعدد ملوكهم واسمائهم واعمارهم ونحلهم واديانهم وعملائهم وحرورهم كما ذكر ابو معشر في كتابه في القرانات وقد توحد هذه الدلالة من القران الاصحرا اذا كان الاوسط دالاً عليه فمن هذا يوجد الكلام في الدول . وقد كان يعقوب ابن اسحاق الكندي منجم الرشيد والمامون وضع في القرانات الكائنة في الملة كتاباً سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان دولة نبي العباس وانها نهايته وأشار الى انقراضها والحادثة على بغداد انها تقع في انتصاف المائة الساعة وان انقراضها يكون انقراض الملة ولم يقف على شيء من خبر هذا الكتاب ولا رايها من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي طرحها

هلاكو ملك النتر في دجلة عند استيلائهم على بغداد وقتل المستعصم اخرا الخلفاء وقد  
 وقع بالمغرب جرماً منسوب الى هذا الكتاب بسمونه الجبر الصغير والظاهر انه وضع لني  
 عبد المومس لذكر الاولين من ملوك الموحدين فيه على التفصيل ومطابقة من تقدم عن  
 ذلك من حدثائه وكذب ما بعده وكان في دولة سي العباس من بعد الكندي منجبون  
 وكتب في الحدتان وانظر ما نقله الطبري في اخبار المهدي عن ابي بديل من اصحاب  
 صنائع الدولة قال بعث الي الربيع والحسن في غراتهما مع الرشيد ايام ابيه فجتتها جوف  
 الليل فاذا عندها كتاب من كتب الدولة يعني الحدتان واذا مدة المهدي فيه عشر  
 سنين فقلت هذا الكتاب لا يخفى على المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا وقف  
 عليه كنتم قد بعثتم اليه نسخة قالوا فما الحيلة فاستدعيت عبسة الوراق مولى آل بديل  
 وقلت له اسخ هذه الورقة واكتب مكان عشرين عيين ففعل فوالله لولا ابي رابت العشرة  
 في تلك الورقة والاربعين في هذه ما كنت اشك انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك  
 في حدتان الدول مظلوماً ومشوراً ورحزاً ما شاء الله ان يكتبوه ونايدي الناس متفرقة  
 كثير منها ونسب الملاحم وبعضها في حدتان الملة على العموم وبعضها في دولة على  
 الخصوص وكلها منسوبة الى مشاهير من اهل الحليقة وليس منها اصل يعتمد على روايته  
 عن واضعه المنسوب اليه فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة اس مرانة من بحر الطويل على  
 روى الراء وهي متلاوة بين الناس وتحسب العامة انها من الحدتان العام فيطلقون  
 الكثير منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونة  
 لان الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبتة من يد موالى بني حمود  
 وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم يد اهل المغرب ايضاً قصيدة تسمى التبعية اولها  
 طربت وما ذاك مني طرب وقد يطرب الطائر المغتصب  
 وما ذاك مني للهو اراه ولكن لتدكار بعض السبب

قريباً من خمسمائة بيت اوالف فيما يقال ذكر فيها كثيراً من دولة الموحدين و اشار  
 فيها الى العاطي وغيره والظاهر انها مصوغة ومن الملاحم بالمغرب ايضاً ملحمة من الشعر  
 الرجز منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والنخسين وغيرها  
 وذكر ميتة قتيلاً ناس وكان كذلك فيما رعموه واوله

في صغ ذا الازرق لتسرفه خيارا فافهموا يا قوم هذي الاشارا  
 نجم زحل اخبر بذب العلاما وبذل الشكلاوهي سلاما

شاشية زرقا بدل العاما وشاش أزرق بدل الفرارا  
يقول في آخره

قد تم هذا التجنيس لانسان يهودي يصلب ببلد فاس في يوم عيد  
حتى يجبه الناس من الوادي وقتله ياقوم على الفراد  
وايانية نحو الخمسة وهي في الفرانات التي دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم  
المغرب ابصاً قصيدة من عروض المتقارب على روي الباء في حدثان دولة بني ابي حنص  
بتونس من الموحدين منسوبة لاسن الامارو قال لي قاضي قسنطينة الخطيب الكبير ابي  
علي بن باديس وكان بصيراً بما يقوله وله قدم في التنجيم فقال لي ان هذا ابن الابار ليس  
هو الحافظ الاندلسي الكاتب مقتول المستنصر وإنما هو رجل خياط من اهل تونس  
تواطأت شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدي رحمه الله تعالى يشد هذه الايات من  
هذه المحمة وبقي بعضها في حنظلي مطلعها

عذيري من زمن قلب يغز ببارقو الاشنب

ومنها

ويبعث من جيشه قائداً وينفي هناك على مرقب  
فتاتي الى الشيخ اخاره فيقبل كالجمل الاجرب  
ويظهر من عدله سيرة وتلك سياسة مستجلب

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فأما رأيت<sup>(١)</sup> الرسوم انحمت ولم برع حق لذي منصب  
فخذ في الترحل عن تونس وودع معالمها واذهب  
فسوف تكون بها فتنة تضيف البري الى المذنب

ووقعت بالمغرب على ملحمة اخرى في دولة بني ابي حنص هولاء بتونس فيها بعد  
السلطان ابي يحيى الشهير عاشر ملوكهم ذكر محمد اخيه من بعده يقول فيها  
وبعد ابي عبد الاله شقيقة ويعرف بالوثاب في نسخة الاصل  
الا ان هذا الرجل لم يملكها بعد اخيه وكان يعني بذلك نفسه الى ان هلك ومن  
الملاحم في المغرب ايضاً الملحمة المنسوبة الى الهونتي على لغة العامة في عروض البلدا التي اولها

١ ا قوله فاما رايت اصله فان رايت زبدت ما وادعت في ان الشرطة المحذوف بها خطأ وفي نسخة لها رايت  
والا في المرحودة في نسخة التوسية اه فالة نصر

دعني بدمعي الهتان  
 واستفتت كلها الويدان  
 فاولى ما ميل ما تدري  
 والعام والربيع تجر بے  
 قال حين صحت الدعوى  
 دعنى نبكى ومن عذر  
 انادي من ذي الازمان  
 ذا القرن اشند وتمرى

وهي طويلة ومحموظة بين عامة المغرب الاقصى والغالب عليها الوضع لانه لم يصح منها قول الاعلى تاويل تحرفة العامة او الحارف فيوم من يتخلها من الخاصة ووقفت بالمشرق على ملحمة منسوبة لان العربي الحاتمي في كلام طويل شه الاغاز لا يعلم تاويله الا الله لتخلله اوراق عديدة ورموز مغنوزة واشكال حيوانات تامة وروس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة وفي اخرها قصيدة على روي اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل علمي من نجامة ولا غيرها وسمعت ايضاً ان هناك ملاحم اخرى منسوبة لان سناء وابن عقب وليس في شيء منها دليل على الصحة لان ذلك انما يوخد من القرانات ووقفت بالمشرق ايضاً على ملحمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الضوفية يسمى الباجري وكلمها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سراجهم ياسوئلي  
 فافهم وكن واعياً حرفاً وحملته  
 اما الذي قبل عصري لست اذكره  
 لشهر بيمرس يبقى بجاء بعد خمستها  
 شين له اثر من تحت سرته  
 فمصر والشام مع ارض العراق له  
 من علم جبر وصي والد الحسن  
 والوصف فافهم كفعل الحاذق الفطن  
 لكنني اذ عكر الاتي من الزمن  
 وحاء ميم بطيش نام في الكسنين  
 له القضاء قضى اية ذلك المنين  
 واذريجان في ملك الى اليمن

ومنها

وآل بوران لما نال ظاهرم  
 لمخلع سين ضعيف السن سين اتى  
 قرم شجاع له عقل ومشورة  
 الفاتك الباتك المعنى بالسمن  
 لا لوفاق وبون ذي قرن  
 يبقى بجاء وابن بعد ذو سمن

ومنها

من بعد باء من الاعوام قتلته  
 يلي المشورة ميم الملك ذو اللسن

ومنها

هذا هو الاعرج الكلي فاعن به  
 ياتي من الشرق في جيشي يقدمهم  
 عار عن القاف قاف وجد بالفتن  
 ادت نشجوي على الاهلين والوطن  
 زلزال ما زال حاء غير مقتطن  
 هلكتا وينفق اموالاً بلائس  
 هون به ان ذاك الحص في سكن  
 لاسلم الالف سين لذاك سي  
 من السنين يدالي الملك في الزمن  
 ويقال انه اشار الى الملك الظاهر وقدم ابيه عليه بمصر

ياتي اليه امه بعد هجرته وطول غيبته والنظف والررن

واياتها كثيرة وانغالبانها موضوعة ومتل صنعها كان في القديم كثير ومعروف الاثقال  
 حكي المورخون لخبار بغداد انه كان بها ايام مقتدر وراق ذكي يعرف بالداياي  
 بل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسماء اهل الدولة ويشير بها  
 الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والحاه كانها ملاحم ويحصل على ما يريد منهم  
 من الدنيا وانه وضع في بعض دفاتره ميم مكررة ثلاث مرات وجاء به الى مفلح مولى المقتدر  
 فقال له هذا كتابة عنك وهو مفلح مولى المقتدر وذكر عنه ما برضاة وبناله من الدولة  
 ونصب لذلك علامات بموه بها عليه فذل له ما اغناه به تموضعة للوزير ابن القاسم بن  
 وهب على مفلح هذا وكان معرولاً فحاهه ناوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف  
 وعلامات ذكرها وانه يلي الوزارة للثاني عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر  
 الاعداء وتعمر الدنيا في ايامه واقف مفلحاً هذا على الاوراق وذكر فيها كوائن اخره  
 وملاحم من هذا النوع مما وقع وما لم يقع وسب جميعه الى داياي فاعجب به مفلح ووقف  
 عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان ذلك سبباً لوزارته  
 بمثل هذه الحيلة العريفة في الكذب والجهل بمثل هذه الالغاز والظاهرات هذه المحمة  
 التي ينسونها الى الناجري من هذا النوع . ولقد سألت اكمل الدين ابن شيخ الحنفية  
 من العجم بالديار المصرية عن هذه المحمة وعن هذا الرجل الذي تنسب اليه من الصوفية  
 وهو الناجري وكان عارفاً بطرائقهم فقال كان من القلندرية المبتدعة في خلق المحمة

وكان يتحدث عما يكون نظري الكشف ويومي الى رجال معينين عنده وبلغز عليهم بحروف يعينها في صحتها لمن يراه منهم وربما يظهر نظم ذلك في آيات قليلة كان يتعاهدها فتتوكلت عنه وولع الناس بها وحملوها الحممة رموزة وراد فيها الحراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل العامة فك رموزها وهو امر متسع اذ الرمز انما يهدي الى كسفه قانون يعرف قبلة ويوضع له واما مثل هذه الحروف فدلائلها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزة فزابت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من امر هذه الحممة وما كالمهتدي لولا ان هدانا الله والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل الرابع

### من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه سوانق ولواحق

### الفصل الاول

في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانها انما توجد ثابتة عن الملك . وبيان ان البناء واخطاط المارل انما هو من مزارع الحصار التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متاخر عن البداوة ومزارعها وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل واجرام عظيمة و بناء كبير وهي موصوطة للعموم لا للخصوص فتحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور الضرورية للناس التي تعم بها اللوى حتى يكون نزوعهم اليها اضطرارا بل لابد من اكرامهم على ذلك وسوقهم اليه مصطهدين بعصا الملك، او مرغبين في الثواب والاجر الذي لا يبي بكثرتة الا الملك والدولة فلا بد في تمصير الامصار واخطاط المدن من الدولة والملك ثم اذا بيت المدينة وكل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فعمل الدولة حينئذ عمرها فان كان عمر الدولة قصيرا ووقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخرت وان كان امد الدولة طويلا ومدنها منسحة فلا تزال المصانع فيها نشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتعدد وبطاق الاسواق يتباعد وينفسح الى ان تنسع الحطة وتبعد المسافة وينفسح ذرع المساحة كما وقع بغداد وامثالها. ذكر الخطيب في تاريخه ان الحمامات بلغ عددها بعداد العهد المامون خمسة وستين الف حمام وكات مستتمة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة



تجاوز الاربعين ولم تكن مدينة وحدها يجمعها سور واحد لافراط العمران وكذا حال  
 القيروان وقرطبة والمهديّة في الملة الاسلاميّة وحال مصر القاهرة بعدها فيما بلغنا لهذا العهد  
 واما بعد انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما ان يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها  
 من الجبال والسائط بادية يمدّها العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستبرعها  
 بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الموجود لها العمران  
 من الجبال لان اهل الدواة اذا انتهت احوالهم الى غاياتها من الرفه والكسب تدعو الى  
 الدعة والسكون الذي في طبيعة الشر فينزلون المدن والامصار ويتاهلون واما اذا لم  
 يكن لتلك المدينة المؤسسة مادة تنفيذها العمران بترادف الساكن من بدوها فيكون  
 انقراض الدولة خرقاً لسياحها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيئاً فشيئاً الى ان يذعر  
 ساكنها ويخرب كما وقع بمصر و بغداد والكوفة بالمشرق والقيروان والمهديّة وقلعة بني  
 حماد بالمغرب وامثالها ففهمه وربما ينزل المدينة بعد انقراض مخنطها الاولين ملك اخر  
 ودولة ثانية يخذها قراراً وكريساً يستغني بها عن اخنطاط مدينة ينزلها فتحفظ تلك الدولة  
 سياجها وتتزايد منابها ومصابها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفها وتسجد بعمرانها  
 عمراً اخر كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعوا الى نزول الامصار

وذلك ان القنائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اصطرث واللاسنيلاء على الامصار  
 لامرين احدهما ما يدعوا اليه الملك من الدعة والراحة وحط الانتقال واستكمال ما كان  
 ناقصاً من امور العمران في الدو والثاني دفع ما يتوقع على الملك من امر المنازعين  
 والمتناغيب لان المصر الذي يكون في سواحيهم ربما يكون ملجأ لمن يروم مازعهم والخروج  
 عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سمو اليه من ايديهم فيعتصم بذلك المصر ويغال بهم  
 ومغالة المصر على نهاية من الصعوبة والمشقة والمصر يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه  
 من الامتناع وكفاية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم  
 شوكة لان الشوكة والعصابة انما احتيج اليها في الحرب للنبات لما يقع من بعد كرة القوم  
 بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هولاء بالجدران فلا يضطرون الى كبير عصابة ولا  
 عدد فيكون حال هذا الحصن ومن يعتصم به من المنازعين مما بنت في عضد الامة التي

تروم الاستيلاء ويخضع شوكه استيلائها فاذا كانت بين اجنابهم امصار انتظوها في استيلائهم للامن من مثل هذا الانحزام وان لم يكن هناك مصر استحدثوه ضرورة لتكميل عمرانهم اولاً وحط انقالمه وليكون شجاً في خلق من بروم العرة والامتناع عليهم من طول انهم وعصائهم فتعين ان الملك يدعو الى نزول الامصار والاستيلاء عليها والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواهُ

### الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يتسدها الملك الكثير قد قدمنا ذلك في اثار الدولة من الماني وغيرها وانما تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل باحتماع النقلة وكثرتهم ونعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة متمسعة الممالك حتر النقلة من اقطارها وجمعت ايديهم على عملها وربما استعين في ذلك في اكثر الامر بالهندام الذي يصاعف القوي والقدر في حمل انتقال البناء لعجز القوة الشريفة وضعها عن ذلك كالحمال وغيره وربما يتوهم كثير من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل ابوان كسرى واهرام مصر وحنايا المعلقة وشرشال بالمغرب انما كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتحيل لهم اجساماً تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير في طولها وقدرها لتناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك الماني عنها ويفغل عن شان الهدام والحال وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتغلبين في البلاد يعابن في شان البناء واستعمال الحيل في نقل الاحرام عند اهل الدولة المعتمدين بذلك من العجم ما يتهد لة بما قلناه عياناً واكثر اثار الاقدمين لهذا العهد تسميها العامة عادية نسبة الى قوم عاد لتوهم ان ماني عاد ومصانعهم انما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم وليس كذلك فقد نجد اثاراً كثيرة من اثار الذين تعرف مقادير اجسامهم من الامم وهي في مثل ذلك العظم او اعظم كابوان كسرى وماني العبيديين من الشيعة بافريقية والصنهاجين واثرم باد الى اليوم في صومعة قلعة بني حماد وكذلك بناء الاغالبية في جامع القبروان وبناء الموحديين في رباط الفتح ورباط السلطان ابي سعيد لعهد اربعين سنة في المنصورة بازاء تلمسان وكذلك الحنايا التي جلب اليها اهل قرطاجنة الماء في القناة الراكمة عليها ماثلة لهذا العهد وغير ذلك من الماني والهياكل التي نقلت اليها اثار اهلها قريباً وبعيداً وتبقنا انهم لم يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذا راي ولع به

الفضاص عن قوم عاد وتمود والعالفقة ونجد بيوت ثمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت في الحديث الصحيح انها بيوتهم يمر بها الراكب الحجازي اكثر السنين وبشاهدونها لا تزيد في حوتها ومساحتها وسبكها على المتعاهد وانهم ليمالعون فيما يعتقدون من ذلك حتى انهم ليزعمون ان عوج س عناق من جبل العالفقة كان يتناول السمك من البحر طرباً فيستويه في الشمس يزعمون بذلك ان الشمس حارة فيما قرب منها ولا يعلمون ان الحر فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابلة سطح الارض والهواء واما الشمس في نفسها فغير حارة ولا ماردة وانما هي كوكب مضي لا امراج له وقد تقدم شي من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا ان اتار الدولة على ستة قوتها في اصلها والله بخلق ما يشاء ويحكم ما يريد

### الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جداً لا تستقل سائها الدولة الواحدة والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومصاعمة القدر البشرية وقد تكون الممالي في عظمها اكثر من القدر مفردة او مصاعمة الهدام كما قلناه فيمناج الى معاودة قدر اخرى مثلها في ارمته متعاقبة الى ان نتم فيبتدىء الاول منهم بالنساء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر النعلة وجمع الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ماتلاً للعبان بطئة من يراه من الاخرين انه سناء دولة واحدة واضر في ذلك ما نقله المؤرخون في ساء سد مارب وان الذي سناه ساء اس يستحق وساق اليه سبعين وادياً وعاقته الموت عن اتمامه فأتته ملوك حمير من بعده ومثل هذا ما نقل في نساء قرطاجنة وقناتها الراكبة على الحمايا العادية واكثر الممالي العظيمة في الغالب هذا شأنها ويتهد لذلك ان الممالي العظيمة لعهدنا محمد الملك الواحد يشرع في اخنطاطها وناسيسها فاذا لم يتبع اثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بجالها ولم يكمل القصد فيها ويتهد لذلك ايضاً اننا محمد اتاراً كثيرة من الممالي العظيمة تعجز الدول عن هدمها وتجر بهما مع ان الهدم ايسر من البناء بكثير لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والنساء على خلاف الاصل فاذا وجدنا ساء تصعف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم علمنا ان القدرة التي استسنت مفرطة القوة وانها ليست اثر دولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب في ابوان كسرى لما اعتزم الرتيبة على هدمه وبعث الى ينجي اس خالد وهو في محبس يستشير في ذلك فقال يا امير المؤمنين لاتفعل واتركه ماتلاً

يستدل به على عظم ملك امالك الذي سلبوا الملك لاهل ذلك الهيكل فاتهمه في النصيحة وقال اخذته المعرة للعجم والله لاصرعته وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذة النوس وحماه بالنار وصب عليه الحل حتى اذا ادركه العجر بعد ذلك كله وخاف النصيحة بعث الى يحيى يستشيره ثانياً في التجافي عن الهدم فقال يا امير المؤمنين لا تعمل واستمر على ذلك لثلاثا يقال عجم امير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصع من مصاع العجم فعرفها الرشيد واقصر عن هدمه وكذلك اتفق للمامون في هدم الاهرام التي بمصر وجمع العلة لهدمها فلم يجمل بطائل وشرعوا في نفيه فاتهموا الى جور بين الحائظ والظاهر وما بعد من الحيطان وهنالك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منهد ظاهر ويزعم الراعمون انه وجد ركاراً بين تلك الحيطان والله اعلم وكذلك حايا المعلقة الى هذا العهد تحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة لنائهم وتسيجيد الصاع حجارة تلك الحيايا فيجاولون على هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصعير من جدرانها الا بعد عصب الربق وتجمع له المحافل المشهورة شهدت منها في ايام صباي كثيراً والله خلقكم وما تعملون

### الفصل الخامس

فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة اعلم ان المدن قرار يتعدده الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتوزر الدعة والسكون ويتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار والماوى وحب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على مازها جميعاً سيما حيا الاسوار وان يكون وضع ذلك في متمتع من الامكنة اما على هصنة متوعرة من الحمل واما باستدارة حجر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العمور على حسر او قنطرة فيصعب ما لها على العدو ويتصاعف امتناعها وحصنها وما يراعى في ذلك للحماية من الافات السماوية طيب الهواء السلامة من الامراض فان الهواء اذا كان راكناً خبيثاً او مختوراً بالياه الناسدة او مفاعع متعنتة او مروج حبيثة اسرع اليها العبر من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكئاس فيدلا بمحالة وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيما طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب وقد استنهر بذلك في قطر المغرب باد قاس من بلاد الحريد اذ ربيفة فلا يكاد ساكها او طارقتها يخلص من حمى العفر وجهه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل

ونقل البكري في سبب حدوثه انه وقع فيها حفر ظهر فيه اناء من نحاس مخنوم بالرصاص فلما فض خنائه سعد منه دخان الى الجو وانقطع وكان ذلك مبدء امراض الحميات فيه واراد بذلك ان الاء كان مستملاً على بعض اعمال الطلسمات لوائه وانه ذهب سره بذهابه فرجع اليها العفن والوباء وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة والبكري لم يكن من سباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا او يتبين خرفة فنقله كما سمعه والذي يكشف لك الحق في ذلك ان هذه الاهوية العفة اكثر ما يهيتها لتعفن الاجسام وامراض الحميات ركودها فاذا تخللها الريح وتشتت وزهبت بها يمياً وشمالاً خف شأن العفن والمرض البادي منها للحيوانات والبلد اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات اهله فيتموج الهواء ضرورة وتحدث الريح المتخللة للهواء الراكدة ويكون ذلك معيناً له على الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجد الهواء معيناً على حركته وتموجِه وبقى ساكناً راکناً وعظم عفته وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند ما كانت افريقية مستجدة العمران كثيرة الساكن تموج باهلها موجاً فكان ذلك معيناً على تموج الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كثير عس ولا مرض وعند ما خف ساكنها ركدها وها المتعفن بفساد مياهها فكثير العفن والمرض فهذا وجهه لاغير وقد راينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء وكانت اولاً قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما اكثر ساكنها انتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بناس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتمهته تجد ما قلته لك واما جلب المرافق والمرافق للبلد فيراعى فيه امور منها الماء بان يكون البلد على نهر او بازائها عيون عذبة ثرة فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورة فيكون لهم في وجوده مرفقة عظيمة عامة وما يراعى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائمتهم اذ صاحب كل قرار لاند له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من المرعى فاذا كان قريباً طيباً كان ذلك ارفق بحالمه لما يعاونون من المشقة في بعده وما يراعى ايضاً المزارع فان الزروع هي الاقوات فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك اسهل في اتخاذها واقرب في تحصيله ومن ذلك الشجر للحطب والبناء فان الحطب مما نعم اللوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاح والطبخ والحشب ايضاً ضروري لسقنهم وكثير ما يستعمل فيه الحشب من ضرورياتهم وقد يراعى ايضاً قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات وما

تدعو اليه ضرورة الساكن وقد يكون الواضع غافلاً عن حسن الاختيار الطبيعي او انما يراعي ما هو اثم على نفسه وقومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق وافر يقية فانهم لم يراعوا فيها الا الامم عندهم من مراعي الابل وما يصلح لها من الشجر والماء الملح ولم يراعوا الماء ولا المراعي ولا الحطب ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقبروان والكوفة والصرة وامثالها ولهذا كانت اقرب الى الخراب لما لم تراعى فيها الامور الطبيعية

وما يراعى في البلاد الساحلية التي على السجرات تكون في جبل او تكون بين امة من الامم موفورة العدد تكون صريحاً للمدينة متى طرفها طارق من العدو والسبب في ذلك ان المدينة اذا كانت حاصرة البحر ولم يكن ساحتها عمراناً للقائل اهل العصابات ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للبيات وسهل طرفها في الاساطيل البحرية على عدوها وتحميه لها لما يامس من وجود الصريح لها وان الحصر المتعودين للدعة قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذه كلاسكدرية من المشرق وطرالس من المغرب وبنو وسلا ومتى كانت القائل والعصائب موطنين بقربها بحيث يبلغهم الصريح والعيور وكانت متوعرة المسالك على من يرومها باختطاطها في هصاب الحمال وعلى استنمها كان لها بذلك معة من العدو ويسولها من طرفها لما يكادونه من وعرها وما يتوقعونه من احاطة صريحها كما في سبتة وبجاية وبلد القل على صغرها فانهم ذلك واعنبره في اختصاص الاسكدرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية مع ان الدعوة من ورائها بركة وافر يقية وانما اعنبر في ذلك الخفاة المتوقعة فيها من البحر سهولة وضعها ولذلك والله اعلم كان طرف العدو للاسكدرية وطرالس في الملة مرات متعددة والله تعالى اعلم

## الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعاً اخنصها تشريفه وجعلها مواطن لعبادته يصاعف فيها الثواب وينوبها الاجور واخبرنا بذلك على السن رسله واسيائه لطفاً بعباده وتسهيلاً لطرق السعادة لهم . وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع الارض حسبما نمت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس اما البيت الحرام الذي بهكة فهو بيت ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه امره الله ببنائه وان يوذن في الناس بالحج

اليه فبناه هو وابنه اسماعيل كما نصه القرآن وقام بما امره الله فيه وسكن اسماعيل به مع  
 هاجر ومن نزل معهم من جرمهم الى ان قضى الله بهم ودفنوا بالحجر منه . وبيت المقدس بناه  
 داود وسليمان عليهما السلام امرها الله بناء مسجده ونصب هياكله ودفن كثير من  
 الانبياء من ولد اسحاق عليه السلام حواليه . والمدية مهاجر بيننا محمد صلوات الله وسلامه  
 عليه امره الله تعالى بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها فبني مسجده الحرام بها وكان  
 لمحمد الشريف في ترنيها هذه المساجد الثلاثة قرعة عين المسلمين ومهوى اقتديهم وعظمة  
 دينهم وفي الاثار من فصلها ومصاعمة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فليستر  
 الى شيء من الخبر عن اولوية هذه المساجد الثلاثة وكيف تدرجت احوالها الى ان اكمل  
 ظهورها في العالم فاما مكة فاوليتها فيما يقال ان آدم صلوات الله عليه ساها قباله البيت  
 المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خير صحيح يعول عليه وإنما اقتسوه من  
 محمل الاية في قوله واذ برع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ثم بعث الله ابراهيم وكان  
 من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرتها من هاجر ما هو معروف واوحى الله اليه ان يترك  
 ابنة اسماعيل وامه هاجر بالثلاثة فوضعها في مكان البيت وسارعهما وكيف جعل الله لها  
 من اللطف في سعة ماء زمزم ومرور الرفقة من جرمهم بها حتى احملوها وسكنوا اليها وبرلوا  
 معها حوالي زمزم كما عرف في موضعه فانخذ اسماعيل بموضع الكعبة يتأبواى اليه وادار  
 عليه سياجاً من الردم وحعله رماً لنفسه وجاء ابراهيم صلوات الله عليه مراراً لريارته من  
 الشام امر في اخرها ساء الكعبة فكان ذلك الرب فبناه واستعان فيه بانو اسماعيل  
 ودعا الناس الى محبه وبي اسماعيل ساكناً به ولما قصت امه هاجر وقام بهوه من بعده  
 بامر البيت مع اخوالهم من جرمهم تم العالقي من بعدهم واستمر الحال على ذلك والناس  
 يهرعون اليها من كل ارض من جميع اهل الحايقة لا من بني اسماعيل ولا من غيرهم من دنيا  
 او نأى فقد نقل ان النابغة كانت تحج البيت وتعظمه وان تعكساها الملائكة والوصائل  
 وامر بتطهيرها وجعل لها متباحاً ونقل ايضاً ان النرس كانت تحببه وتقرب اليه وان غرالي  
 الذهب للدين وجدها عند المطلب حين احننه زمزم كانا من قراييمهم ولم يرل لجرهم  
 الولاية عليه من بعد ولد اسماعيل من قبل خوولتهم حتى اذا خرجت خراعة واقاموا بها  
 بعدهم ما شاء الله ثم كثروا واسموا وتنسروا وتنعوا الى كنانة تم كنانة الى قريش  
 وغيرهم وساءت ولاية خراعة فغانتهم قريش على امره واخرجوهم من البيت وملكوا عابدهم  
 يومئذ قصي بن كلاب فبني البيت وسقفه بجشب الدوم وجريد النخل وقال الاعشى

خلفت بثوبي راهب الدور والتي بناها قصي والمصاض من جرم  
 ثم اصاب البيت سيل ويقال حريق وتهدم واعادوا ساءه وجمعوا النفقة لذلك  
 من اموالهم وانكسرت سفينة ساحل جدة فاشترى خستها للسقف وكانت جدرانه فوق  
 القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعاً وكان الباب لاصفاً بالارض فجعلوه فوق القامة لثلاث  
 تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة اذرع  
 وشبرا اداروها بمجدار قصير يطاف من ورائه وهو المحر ونبي البيت على هذا البناء الى  
 ان تخصص الربير بمكة حين دعا لمسه وزحمت اليه جيوش بربريدس معاوية مع  
 الحصين بن نمير السكوبي ورمي البيت سنة اربع وستين فاصابه حريق يقال من اللفظ  
 الذي رموا به على س الربير فاعاد بناءه احسن مما كان بعد ان احتلفت عليه الصحابة في  
 بنائه واحجج عليهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لولا قومك  
 حديثو عهد بكم لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له باين شرقياً وغريباً  
 فهدمه وكتف عن اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والاكار حتى عابوه واثار  
 عليه بن عباس بالتحري في حيط القبلة على الناس فادار على الاساس الخشب ونصب  
 من فوقها الاستار حيطاناً للقبلة وبعث الى صنعاء في الفضة والكلس فحماها وسال عن  
 مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم عليه السلام  
 ورفع جدرانها سعاءً وعشرين ذراعاً وجعل لها باين لاصقين بالارض كما روى في حديثه  
 وجعل فترتها وارها بالرخام وصاع لها المنائج وفتاح الابواب من الذهب . ثم جاء  
 الحجاج لحصاره ايام عبد الملك ورمي على المسجد بالمنجنيقات الى ان تصدعت حيطانها ثم  
 لما ظفر بان الربير شاوور عبد الملك فيما ساءه وراده في البيت فامر بهدمه ورد البيت  
 على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال انه دم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الربير  
 لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حملت انا خبيب في امر البيت وبنائه ما تحمل  
 فهدم الحجاج منها ستة اذرع وشبرا مكان الحجر وساه على اساس قريش وسد الباب  
 الغربي وما تحت عنقه باينها اليوم من الباب الشرقي وترك سائرهما لم يغير منه شيئاً فكل  
 البناء الذي فيه اليوم ساء من الربير وبنائه الحجاج في الحائط صلة ظاهرة للعيان لحمية  
 ظاهرة بين البناءين والبناء متميز عن البناء بمقدار اصبع شبه الصدع وقد لم . ويعرض  
 ههنا اشكال قوي لمنافاته لما يقوله الفقهاء في امر الطواف ويحذر الطائف ان يميل على  
 الشاذروان الدائر على اساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه داخل البيت ساءه على ان



الجدر اما قامت على بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان وكذا قالوا في  
 تقميل الحجر الاسود لاند من رجوع الطائف من التقميل حتى يستوي قائماً لثلاثا يقع بعض  
 طوافه داخل البيت واذا كانت الجدران كلها من بناء اس الزبير وهو اما بي على اساس  
 اراهيم فكيف يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من هذا الا واحد امرين احدها اما ان يكون  
 الحجاج هدم جميعه واعاده وقد نقل ذلك جماعة الا ان العيان في سواهد البناء بالحمام  
 ما بين البناءين وتميز احد الشقيين من اعلاه على الاخر في الصعاعة برد ذلك واما ان  
 يكون اس الزبير لم يرد البيت على اساس اراهيم مع جميع جهاته واما فعل ذلك في الحجر  
 فقط ليدخله في الان مع كونها من بناء اس الزبير ليست على قواعد اراهيم وهذا بعيد  
 ولا محيص من هذين والله تعالى اعلم . ثم ان مساحة البيت وهو المسجد كان فضاء  
 للضائعين ولم يكن عليه جدر ايام النبي صلى الله عليه وسلم واي بكر من بعده ثم كثر الناس  
 فاشتري عمر رضي الله عنه دوراً هدمها ورادها في المسجد وادار عليها جداراً دون القامة  
 وفعل مثل ذلك عثمان ثم اس الزبير ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعد الرخام ثم  
 زاد فيه المصور وابنه المهدي من بعده ووقعت الزيادة واستقرت على ذلك لعهدنا .  
 وتشريف الله لهذا البيت وعمايته به اكثر من ان يحاط به وكفى من ذلك ان جعله مهبطاً  
 للوحي والملائكة ومكاناً للعبادة وفرض شعائر الحج ومناسكه ووجب لحرمه من سائر  
 سواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب له غيره فمع كل من خالف دين الاسلام من  
 دخول ذلك الحرم ووجب على داخله ان يتجرد من الخيط الا اراراً يستتره وحى العائد  
 به والرائع في مسارحه من مواقع الافات فلا يرام فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يجتذب  
 له شجر . وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمه من طريق المدينة ثلاثة اميال الى التميم  
 ومن طريق العراق سبعة اميال الى الثنية من جبل المنقطع ومن طريق الطائف سبعة  
 اميال الى بطن غمرة ومن طريق جدة سبعة اميال الى منقطع العتائر . هذا شان مكة  
 وخبرها ونسي ام القرى ونسي الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها ايضاً نكة قال  
 الاصمعي لان الناس ينك بعضهم بعضاً اليها اي يدفع وقال مجاهد نكة اي نكته اندلوهاميا كما  
 قالوا لارب ولازم لقرب المخرجين وقال النخعي نالء البيت وبالميم البلد وقال الزهري  
 بالياء للمسجد كله وبالميم للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تمنعت  
 اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة الاسيف وغزالي الذهب اللذين وجدها  
 عبد المطلب حين احترم زمرم معروفة وقد وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

افتتح مكة في الحب الذي كان فيها سبعين ألف اوقية من الذهب ما كان الملوك يهدون  
 للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمائتي فنطار وزناً وقال له علي بن ابي طالب  
 رضي الله عنه يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر  
 فلم يجر كفه هكذا قال الازرقي وفي البخاري بسنده الى ابي وائل قال قال جلست الى تيبنة بن  
 عثمان وقال جلس اليّ عمر بن الخطاب فقال هميت ان لا ادع فيها صفراء ولا بيضاء  
 الا قسمتها بين المسلمين قلت ما انت ففاعل قال ولم قلت فلم يعمله صاحبك فقال لها  
 اللدان يفتدي بها وخرّجه اوداود واس ماحه واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة  
 الافطس وهو المحسب الحسين بن علي بن علي بن ربن العاديين سنة تسع وتسعين ومائة  
 حين علب على مكة عمد الى الكعبة فاخذ ما في خرائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال  
 موضوعاً فيها لا يتنفع به نحن احق به نستعين به على حربنا واخرجه وتصرف فيه ونظمت  
 اللدخيرة من الكعبة من يومئذ (واما بيت المقدس) وهو المسجد الاقصى فكان اول  
 امره ايام الصائفة موضع الرهرة وكانوا يقرنون اليه الريت فيما يقرنونه بصوئته على الصخرة  
 التي هناك ثم دثر ذلك الهيكل واتحدتها بنو اسرائيل حين ملكوها قبله اصلاتهم . وذلك  
 ان موسى صلوات الله عليه لما خرج سني اسرائيل من مصر لتخليقهم بيت المقدس كما وعد  
 الله اباهم اسرائيل واناذ استحق من قبله واقاموا نارص التيه امره الله بالتحاذقة من خنتب  
 السنط عين بالوحي مقدارها وصمتها وهياكلها وتماتيلها وان يكون فيها التانوت ومائدة  
 بصحافها ومنارة فناديها وان يصنع مديجاً للقربان وصف ذلك كله في التوراة اكمل وصف  
 فصع القنة ووضع فيها تانوت العهد وهو التانوت الذي فيه الالواح المصووعة عوصاعن  
 الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ووضع المديج عندها . وعهد الله الى موسى بان  
 يكون هارون صاحب القربان ويصوم تلك القنة بين خيامهم في التيه يصلون اليها  
 ويتقربون في المديج امامها ويتعرضون للوحي عندها . ولما ملكوا الشام ونقبت تلك القنة  
 قبلتهم ووضعوها على الصخرة سبت المقدس واراد داود عليه السلام بناء مسجده على  
 الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابيه سليمان فساءه لاربع سنين من ملكه ولخمسائة  
 سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصفر وجعل به صرح الزجاج وغشى  
 ابوانه وحيطانه بالذهب وصاع هياكله وتماتيله واوعيته ومنارته ومناحاه من الذهب  
 وجعل في ظهره قنراً ليضع فيه تانوت العهد وهو التانوت الذي فيه الالواح وجاء به من  
 صهيون لداود تحمله الاساذ والكهونية حتى وضعه في القنر ووضعت القنة والاعية

والمذبح كل واحد حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء الله ثم خرته بجث نصر  
 بعد ثمانمائة سنة من بنائه واحرق التوراة والعصا وصاع الھياكل وشر الاحجار ثم لما اعادهم  
 ملوك العرس بناء عزيزي بني اسرائيل لعهد باعانة يھمن ملك الفرس الذي كانت  
 الولادة لبني اسرائيل عليه من سبي بجث نصر وحد لهم في بنائه حدوداً دون بناء سليمان  
 بن داود عليها السلام فلم يجاوروها ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستنحل الملل  
 لبني اسرائيل في هذه المدة ثم لبني خسان من كهنتم ثم لصهرهم هيردوس ولبييه من بعده  
 وبي هيردوس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام وتاثر فيه حتى اكمله في ست  
 سنين فلما جاء ظيطش من ملوك الروم وعليهم وملك امرهم خرب بيت المقدس ومسجدها  
 وامراة يزرع مكانه ثم اخذ الروم يدين المسيح عليه السلام ودانوا تعظيمه ثم اختلف حال  
 ملوك الروم في الاخذ بدين الصاري تارة وتركه اخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت  
 امة هيلانة وارتملت الى المقدس في طلب الختبية التي صلب عليها المسيح بزعمهم فاخبرها  
 القساسة بانها رمي بخبثته على الارض والتي عليها القمامات والقاذورات فاستخرجت الختبية  
 وبنيت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة كانها على قبره بزعمهم وهربت ما وجدت من  
 عمارة البيت وامرت بطرح الزبل والقمامات على الصحرة حتى غطاها وخبى مكانها جزاء  
 بزعمها لما فعلوه بقبر المسيح ثم ناولا نازاء القمامة بيت لحم وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه  
 السلام وفي الامر كذلك الى ان جاء الاسلام وحصر عمر لفتح بيت المقدس وسال عن  
 الصحرة فاري مكانها وقدها الزبل والتراب فكشف عنها وبنى عليها مسجداً على طريق  
 الدابة وعظم من شأنه ما اذن الله من تعظيمه وما سبق من ام الكتاب في فصله حسبما  
 ثبت ثم احتفل الوليد بن عبد الملك في تشييد مسجده على سنين مساجد الاسلام بما شاء الله  
 من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وفي  
 مسجد دمشق وكانت العرب تسميه بلاط الوليد والزعم ملك الروم ان يعث الفعلة بالمال  
 لبناء هذه المساجد وان يثقفوها بالنسيب فاطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه ثم لما  
 ضعف امر الخلافة اعوام الخمسمائة من الهجرة في اخرها وكانت في ملكة العبيديين خلفاء  
 القاهرة من الشيعة واخذ امرهم زحف الفرنجة الى بيت المقدس فملكوه وملكوه معه عامة  
 ثغور الشام ونالوا على الصحرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظمونها ويفتخرون سناها حتى اذا  
 استقل صلاح الدين من ايوب الكردي بملك مصر والشام ومحاذ اثر العبيديين وبدعمهم  
 زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم على بيت المقدس وعلى ما كانوا

ملكوه من تغور الشام وذلك لثو ثمانين وخمسة من الهجرة وهم تلك الكنيسة واظهر  
الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو عليه اليوم لهذا العهد ولا يعرض لك الاشكال  
المعروف في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن اول بيت وضع فقال  
مكة قيل ثم ابي قال بيت المقدس قيل فكيف بينهما قال اربعون سنة فان المدة بين بناء  
مكة وبين بناء بيت المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان نبيه وهو يصف  
على الالف بكثير . واعلم ان المراد بالوضع في الحديث ليس البناء وانما المراد اول بيت  
عين للعبادة ولا بعد ان يكون بيت المقدس عين للعبادة قل بناء سليمان بمثل هذه المدة  
وقد نقل ان الصائفة سوا على الصخرة هيكل الزهرة فلعل ذلك انها كانت مكاناً للعبادة  
كما كانت الجاهلية تصنع الاصنام والتماثيل حوالي الكعبة وفي جوفها والصائفة الذين بنوا  
هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام فلا تبعد مدة الاربعين سنة بين وضع  
مكة للعبادة ووضع بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان اول من  
بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فتنهه ففيه حل هذا الاشكال . واما المدينة وهي  
المسماة يثرب فهي من بناء يثرب ابن مهلائيل من العاقلة وملكها بنو اسرائيل من ايديهم  
فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاورهم بنو قبيلة من غسان وغلوه عليها وعلى حصونها . ثم  
امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله بها فهاجر اليها ومعه ابي  
بكر وتعه اصحابه ونزل بها وبنى مسجده وبيوته في الموضع الذي كان الله قد اعده لذلك  
وشرفه في سابق ازله واولاه ابناء قبيلة ونصروه فلذلك سموا الانصار وتمت كلمة الاسلام  
من المدينة حتى علت على الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها وظن الانصار انه  
يتحول عنهم الى بلده فاهمهم ذلك فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبرهم انه غير  
يتحول حتى اذا قبض صلى الله عليه وسلم كان ملحده الشريف بها وجاء في فضلها من  
الاحاديث الصحيحة ما لا يخفى به ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة وبه قال  
مالك رحمه الله لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان النبي  
صلى الله عليه وسلم قال المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة الى احاديث  
اخرى تدل نظاهرها على ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعي . واصبحت على كل حال ثانية  
المسجد الحرام وجمع اليها الامم بافدتهم من كل اوب فانظر كيف تدرجت العصلة في هذه  
المساجد المعظمة لما سبق من عناية الله لها ونعم سر الله في الكون وتدرجه على ترتيب  
محكم في امور الدين والدنيا . واما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلم في الارض الا ما

يقال من شان مسجد ادم عليه السلام سرنديب من جرائر الهند لكنه لم يثبت فيه شيء  
 يعول عليه وقد كانت للامم في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت  
 النار للفرس وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز التي امر النبي صلى الله عليه وسلم بهدمها  
 في غرवानه وقد ذكر المسعودي منها بيوتاً لسنا من ذكرها في شيء اذ هي غير مشروعة ولا  
 هي على طريق ديني ولا بلغت اليها ولا الى المخبر عنها ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ  
 فمن اراد معرفة الاختار فعليه بها والله يهدي من يشاء سبجانه

## الفصل السابع

في ان المدس والامصار افريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ الاف من السنين قبل الاسلام  
 وكان عمرانها كله بدوياً ولم تستمر فيهم الحصار حتى تستكمل احوالها والدول التي ملكهم  
 من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى ترسخ الحصار منها فلم تزل عوائد البداوة  
 وشؤونها فكانوا اليها اقرب فلم تكثر مساكنهم وايضاً فالصنائع بعيدة عن البربر لانهم  
 اعرق في البدو والصنائع من تواع الحصار وانما تم المباني بها فلا بد من الخندق في  
 تعلمها فلما لم يكن للبربر اتحال لها لم يكن لهم تشوق الى المباني فصلاً عن المدن وايضاً  
 فهم اهل عصبية وانساب لا يخلعون ذلك جمع منهم والانساب والعصبية احنج الى البدو  
 وانما يدعو الى المدس الدعة والسكون ويصير ساكنها عيلاً على حاميتها فتجد اهل البدو  
 لذلك يستكفون عن سكنى المدينة او الاقامة بها ولا يدعو الى ذلك الا الترف والغنى  
 وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افريقية والمغرب كله او اكثره بدوياً اهل  
 خيام وطواعن وقياطن وكنن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله او اكثره قري  
 وامصاراً ورساتيق من بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق العجم وامثالها لان العجم في  
 الغالب ليسوا ناهل انساب يحافظون عليها ويتساغون في صراحتها والتحامها الا في الاقل  
 واكثر ما يكون سكنى البدو لاهل الاساب لان لحمه النسب اقرب واشد فتكون عصبته  
 كذلك وتنزع بصاحبها الى سكنى البدو والتجافي عن المصر الذي يذهب بالسالة ويصيره  
 عيلاً على غيره فانهمه وقس عليه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل الثامن

في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها والى من كان قبلها من الدول

والسبب في ذلك ما ذكرنا مثله في الدرر بعينوا اذ العرب ايضاً اعرق في البدو  
وابعد عن الصنائع وايضاً فكانوا اجاب من الممالك التي استولوا عليها قبل الاسلام ولما  
تملكوها لم ينفخ الامد حتى تستوفي رسوم الحضارة مع انهم استغفوا بما وجدوا من ماني  
غيرهم وايضاً فكان الدين اول الامر مانعاً من المغلاة او النيان والاسراف في غير  
النصد كما عهد لهم عمر حين استأذنه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب  
الذي كانوا ينزلون به من قبل فقال افعلو ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات ولا تطالوا  
في النيان والرمول الستة تلممكم الدولة وعهد الى الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا  
بنياناً فوق القدر قالوا وما القدر قال مالا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن النصد  
فلما بعد العهد بالدين والتخرج في امثال هذه المقاصد وغلت طبيعة الملك والترف  
واستخدم العرب امة الفرس واخذوا عنهم الصنائع والماني ودعتهم اليها احوال الدعة  
والترف محيئذ تبيدوا الماني والمصانع وكان عهد ذلك قريباً بانقراض الدولة ولم  
ينفخ الامد لكثرة البناء واخطاط المدن والامصار الا قليلاً وليس كذلك غيرهم من  
الام فالفرس طالت مدتهم الاقام من السنين وكذلك القبط والنبط والروم وكذلك  
العرب الاولى من عاد وثمود والعالمقة والتساعة طالت آمادهم ورستخت الصنائع فيهم  
فكاست مسايمهم وهياكلهم اكثر عدداً وابقى على الياام انراً واستنصر في هدا تجده كما  
قلت لك والله وارث الارض ومن عليها

### الفصل التاسع

في ان الماني التي كانت تخطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل  
والسبب في ذلك شان الداء والبعد عن الصنائع كما قدمناه فلا تكون الماني وثيقة  
في تشييدها وله والله اعلم وجه اخر وهو أمس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في  
اخطاط المدن كما قلناه في المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي فانه بالتفاوت  
في هذا تفاوت جودة المصنوع ورياءته من حيث العمران الطبيعي والعرب بمعزل عن هذا  
وانما يراعون مراعي الماه خاصة لبايالنون بالماء طاب او خث ولا قل او كثير ولا يسالون  
عن زكاء المزارع والمناات والاهوية لا تتقالم في الارض وقلمهم المحبوب من البلد المعيد  
واما الرياح فالقفر مختلف للمهاات كلها والظعن كفيف لم يطيبه الا ان الرياح انما تحث مع  
القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما اخطوا الكوفة والصرة والقيروان كيف لم

براعوا في اخنطاطها الا مراعي البلم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قد منا انه يجناح اليه في حفظ العمران فقد كانت مواطها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الام فيعبرها الناس فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبينهم التي كانت سياجاً لها اتى عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكمكم لامعقب لحكمه

### الفصل العاشر

في مادي الخراب في الامصار

اعلم ان الامصار اذا اخنطت اولاً تكون قليلة المساكن وقليلة الآلات البناء من الحجر والحجر وغيرها مما يعلى على المحيطان عند التابق كالزليج والرخام والريج والزجاج والفسيفسا والصدف فيكون ساؤها يومئذ بدوياً والانبها فاسدة فاذا عظم عمران المدينة وكثر ساكها كثرت الآلات بكثرة الاعمال حينئذ وكثرت الصناعات الى ان تبلغ غايتها من ذلك كما سبق نشانها فاذا ترجع عمرانها وخف ساكنها قلت الصناعات لاجل ذلك فقدت الاجادة في البناء والاحكام والمعالجة عليه بالتنسيق ثم نقل الاعمال لعدم الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرها فتفقد ويصير بناؤهم وتشييدهم من الآلات التي في مابنهم فينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاء اكثر المصانع والقصور والمنازل نقلة العمران وقصوره عما كان اولاً ثم لا تزال تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى ان يفقد الكثير منها حملة فيعودون الى الداوة في البناء واتخاذ الطوب عوضاً عن الحجارة والقصور عن التنسيق بالكلية فيعود بناء المدينة مثل ساء القرى والمداشرو يظهر عليها سيما الداوة ثم تمر في التناقص الى غايتها من الخراب ان قدر لها به سة الله في خلقه

### الفصل الحادي عشر

في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من الشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في عايشه وانهم متعاونون جميعاً في عمرانهم على ذلك والحاجة التي تحصل بتعاون طائفة منهم تشتد ضرورة الاكثر من عددهم اضعافاً بالقوت من الحنطة مثلاً لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه واذا اتدب لتحصيله السنة او العشرة من حداد ونجار للآلات وقائم

على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل وسائر مؤن الفلح وتوزعوا على تلك الاعمال او اجتمعوا وحصل بعضهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت لاضعافهم مرّات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم فاهل مدينة او مصر اذا وزعت اعمالهم كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالاقبل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها رائدة على الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج اليه غيرهم من اهل الامصار ويستعملونه منهم باعواضه وفيه فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق ان المكاسب اما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت فيها يسهم فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعمهم احوال الرفه والغنى الى الترف وحاجاته من التناق في المساكن والملابس واستحادة الآبة والماعون واتخاذ الخدم والمرآكب وهذه كلها اعمال تستدعي بقيتها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها فتتفق اسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر وخرجه ويحصل اليسار لمتعلي ذلك من قبل اعمالهم ومتى راد العمران رادت الاعمال تايه تم زاد الترف ناعاً للكسب وزادت عوائده وحاجاته واستنطت الصنائع لتحيصلها فزادت فيها وتضاعف الكسب في المدينة لذلك تايه وسفت سوق الاعمال بها اكثر من الاول وكذا في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص بالمعاش فالمصر اذا فصل بعمران واحد فصله بزيادة كسب ورفه وعوائد من الترف لا توجد في الاخر فما كان عمرانه من الامصار اكثر واوفر كان حال اهله في الترف ابلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الاصناف الفاضية مع الفاضي والتاجر مع الناحر والصانع مع الصانع والسوقي مع السوقي والامير مع الامير والشرطي مع الشرطي \* واعبر ذلك في المغرب مثلاً بحال فاس مع غيرها من امصاره مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجدد بينها سوناً كثيراً على الجملة تم على الخصوصيات فحال الفاضي ناس اوسع من حال الفاضي تلمسان وهكذا كل صنف مع صنف اهله وكذا ايضاً حال تلمسان مع وهران او الجزائر وحال وهران والجزائر مع ما دونها الى ان تنهى الى المباشرة الذين اعتملهم في ضروريات معاشهم فقط ويقصرون عنها وما ذلك الا لتفاوت الاعمال فيها فكانها كلها اسواق للاعمال والخرج في كل سوق على سببته فالقاضي ناس دخله كفاء خرجيه وكذا الفاضي تلمسان وحيث الدخل والخرج اكثر تكون الاحوال اعظم وها ناس اكثر لتناق سوق الاعمال بما يدعوا اليه الترف فالاحوال اضخم ثم كذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنهى كما قلناه الى



الامصار التي لا توفي اعمالها بصروراتها ولا تعد في الامصار اذ هي من قبيل القرى والمداش  
 فذلك تجد اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الاحوال متقار بين في الفقر والخصاصة  
 لما ان اعمالهم لا تفي بصروراتهم ولا يوصل ما يتأثرونه كسباً فلا تنمو مكاسبهم وهم لذلك  
 مساكين محجوج الا في الاقل النادر واعتبر ذلك حتى في احوال الفقراء والسؤال فان  
 السائل يماس احسن حالاً من السائل تلهسان او وهران ولقد شاهدت تماس السؤال  
 يسألون ايام الاصاحي اثمان صحايهم ورايتهم يسألون كثيراً من احوال الترف واقتراح  
 المآكل مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملاس والماعون كالغرنال والابسة  
 ولو سأل سائل مثل هذا تلهسان او وهران لاستنكر وعنف ورحرو يبلغنا لهذا العهد عن  
 احوال القاهرة ومصر من الترف والعبي في عوائدهم ما يقصي منه العجب حتى ان كثيراً  
 من الفقراء بالمغرب يرفعون من التقلد الى مصر لذلك ولما يبلغهم من ان شان الرفق بمصر  
 اعظم من غيرها ويعتقد العامة من الناس ان ذلك لريادة ايثار في اهل تلك الافاق على  
 غيرهم او اموال محترمة لديهم وانهم اكثر صدقة وايتاراً من جميع اهل الامصار وليس كذلك  
 وانما هو لما تعرفه من ان عمران مصر والقاهرة اكثر من عمران هذه الامصار التي لديك  
 فعظمت لذلك احوالهم. واما حال الدخل والخرج فمتكافئ في جميع الامصار ومتى  
 عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت احوال الساكن  
 ووسع المصر كل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تنكره واعتبره بكثره العمران وما  
 يكون عنه من كثرة المكاسنة التي يسهل سبها الدل ولا يتارع على متغيبه ومثله شان  
 الحيوانات العجم مع بيوت المدينة الواحدة وكيف يختلف احوالها في هجرانها او غشيانها  
 فان بيوت اهل العم والثروة والموائد الحصة منها تكثر ساحتها واقبيتها تنثر  
 الحبوب وسواقط الثبات فيزدحم عليها غواتي النمل والحشاش ويلحق فوقها عصائب  
 الطيور حتى تروح بضائماً وتمتلي شبعاً ورياً وبيوت اهل الخصاصة والفقر الكاسدة اراقهم  
 لا يسري ساحتها ديب ولا يبلق بحوها طائر ولا تاوى الى زوايا بيوتهم فارة ولا هرة كما  
 قال الشاعر

تسقط الطير حيث تلتقط الحب وتغشى منازل الكرماء

فتامل سر الله تعالى في ذلك واعتبر عاشية الاناسي لغاشية العجم من الحيوانات وفنات  
 الموائد بمصلات البرق والترف وسهولتها على من يبدلها لاستعنائهم بها في الاكثر  
 لوجود امثالها لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة العم في العمران تابع لكثرتهم والله

## الفصل الثاني عشر

## في اسعار المدن

اعلم ان الاسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الاقوات من الخنطة وما في معناها كالنفاقاء والصل والثوم واشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الادم والنواكه والملابس والماعون والمرابك وسائر المصاع والمالي فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت اسعار الضروري من القوت وما في معناه وعلت اسعار الكمالي من الادم والنواكه وما يتبعها واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانها كان الامر بالعكس والسبب في ذلك ان الخبث من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت ماله لشهره اوسنته فيعم اتخاذها اهل المصر اجمع او الاكثر منهم في ذلك المصر او فيما قرب منه لاند من ذلك وكل متخذ لقوته فتصل عنه وعن اهل بيته فصالة كبيرة تسد خلة كثيرين من اهل ذلك المصر فتتصل الاقوات عن اهل المصر من غير شك فتروح اسعارها في الغالب الا ما يصيبها في بعض السنين من الآفات السماوية ولولا احتكار الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لدلت دون تم ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران. واما سائر المرافق من الادم والنواكه وما اليها فانها لاتعم بها اللوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصر اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا كان مستجراً موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواعي على طلب تلك المرافق والاستكنار منها كل بحسب حاله فيقصر الموجود منها على الحاجات قصوراً بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها فتزدحم اهل الاغراض ويندل اهل الرفه والترف اثمانيها باسراف في العلاء لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء كما تراه. واما الصائع والاعمال ايضاً في الامصار الموفورة العمران فسبب العلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة لمكان الترف في المصر بكثرة عمرانها والثاني اعتزاز اهل الاعمال لخدمتهم وامتنانهم لسهولة المعاش في المدينة بكثرة اقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم الى امتنان غيرهم والى استعمال الصاع في مهمهم فيذلون في ذلك لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مراحمه ومافسة في الاستئثار بها فيعتز العمال والصاع واهل المحرف وتغلو اعمالهم وتكثر نفقات اهل المصر في ذلك. واما الامصار الصغيرة والقليلة الساكن

فأقواتهم قليلة لقلّة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرفهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منه في أيديهم ويحكرونه فيعز وجوده لديهم ويغلو ثمنه على مستامه وأما مرافقهم فلا تدعو إليها أيضاً حاجة بقلّة الساكن وضعف الأحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيخصن بالرخص في سعره وقد يدخل أيضاً في قيمة الأقوات قيمة ما يعرض عليها من المكوس والمغارم للسلطان في الأسواق وأبواب الحمر والحياة في منافع ووصولها عن البيوعات لما يسهم وبذلك كانت الأسعار في الأمصار أعلى من الأسعار في البادية إذ المكوس والمغارم والفرائض قليلة لديهم أو معدومة وكثرتها في الأمصار لاسيما في آخر الدولة وقد تدخل أيضاً في قيمة الأقوات قيمة علاجها في الطبخ وبمحافظة على ذلك في أسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك أنهم لما الجأهم النصارى إلى سيف البحر وبلاد المتوعدة الخبيثة الرعاة الكدة النبات وملكو عليهم الأرض الرابية واللد الطيب فاحتاحوا إلى علاج المزارع والبدن لإصلاح نباتها ولحمها وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيم ومواد من الزبل وغيره لها مؤنة وصارت في الفحم تنفقت لها خطر فاعترضها في سعرهم واخصن قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطروهم النصارى إلى هذا المعور بالاسلام مع سواحلها لاجل ذلك وبحسب الناس إذا سمعوا بغلاء الأسعار في قطرهم انها لقلّة الأقوات والحبوب في أرضهم وليس كذلك فهم أكثر اهل المعور ولحمها فيما علمناه واقومهم عليه وقل ان يخلوهم سلطان أو سوقة عن فدان أو مزرعة أو فح الاقليل من اهل الصناعات والمهن أو الطراء على الوطن من الغرة المجاهدين ولهذا يخصهم السلطان في عطايتهم بالعوالة وهي اقواتهم وعلوفاتهم من الررع وإنما السبب في علاء سعر الحبوب عدم ما ذكرناه. ولما كانت بلاد الدرر بالعكس من ذلك في زكاء مسانهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤن حملة في الطبخ مع كثرته وعمومته فصار ذلك سبباً لرخص الأقوات سلبهم والله مفدّر الليل والنهار وهو الواحد القهار لا رب سواه

### الفصل الثالث عشر

في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر حاجات ساكنيه من اجل الترف وتعماد تلك الحاجات لما يدعو اليها فتتقلب ضرورات ونصير فيه الاعمال كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية ازدهام الانغراض عليها من اجل الترف

والمغارم السلطانية التي توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر لذلك نفقات ساكنيه كثيرة بالغة على نسبة عمرائه ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى المال الكثير للنفقة على نفسه وعياله في ضرورات عيشتهم وسائر مؤنهم والبدوي لم يكن دخله كثيراً اذا كان ساكناً بمكان كاسد الاسواق في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأتل كسباً ولا مالاً فيتعذر عليه من اجل ذلك سكني المصر الكبير لغلاء مرافقه وعرة حاجاته وهو في بدو يسد خلته ناقل الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه سائر موته فلا يضطر الى المال وكل من يتشوف الى المصر وسكناه من اللادية فسريراً ما يظهر عجزه ويتنزع في استيطانه الامن يقدم مهم تأتل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجري الى الغاية الطبيعية لاهل العمران من الدعة والترف فيحيد يتقل الى المصر ويتنظم حاله مع احوال اهله في عوائدهم وترفهم وهكذا شأن بدايه عمران الامصار والله بكل شئ محيط

### الفصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرقة والفقر مثل الامصار

اعلم ان ما توفر عمرائه من الاقطار وتعددت الامم في جهاته وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله وكثرت اموالهم وامصارهم وعظمت دولهم ومما لكمهم . والسبب في ذلك كله ما ذكرناه من كثرة الاعمال وما سياتي ذكره من انها سبب للثروة مما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن من الفصلة النالعة على مقدار العمران وكثرت فيعود على الناس كسباً يتاتلونه حسباً نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرق والكسب فيتريد الرقة لذلك وتنسج الاحوال ويجي الترف والغنى وتكثر الحماية للدولة سفاق الاسواق فيكثر ماها ويشيخ سلطانها وتنفس في اتخاذ المعامل والحصول واختطاط المدن وتسييد الامصار . واعتبر ذلك ناقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين وباحية الشمال كلها واقطارها وراء البحر الرومي لما كثر عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولتهم وتعددت مدنهم وحواضرهم وعظمت متاجرهم واحوالهم فالذي شاهده لهذا العهد من احوال تحار الامم النصرانية الواردين على المسلمين بالمغرب في رفهم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط به الوصف وكذا تحار اهل المشرق وما بلغنا عن احوالهم وابلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى من عراق العجم والهند والصين فانه بلغنا عنهم

في باب الغني والرفه غرائب تسير الركبان مجدثها وربما نلتقي بالانكار في غالب الامر  
ويحسب من يتبعها من العامة ان ذلك لريادة في اموالهم اولان المعادن الذهبية والفضية  
اكثر بارضهم اولان ذهب الاقدمين من الامم اشتأثروا به دون غيرهم وليس كذلك  
فمعدن الذهب الذي نعرفه في هذه الاقطار انما هو من بلاد السودان وهي الى المغرب  
اقرب وجميع ما في ارضهم من الضاعة فانما يجلوه الى غير بلادهم للتجارة فلو كان المال  
عنيداً موفوراً لديهم لما جلولوا بصائهم الى سواهم يتغنون بها الاموال ولا استغنوا عن  
اموال الناس بالجملة . ولقد ذهب المنجبون لما راوا مثل ذلك واستغربوا ما في المشرق  
من كثرة الاحوال واتساعها ووفور اموالها فقالوا ان عطايا الكواكب والسهم في  
مواليد اهل المشرق اكثر منها حصصاً في مواليد اهل المغرب وذلك صحيح من جهة  
المطابقة بين الاحكام النجومية والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب  
النجمي وبقي عليهم ان يعطوا السبب الارضي وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه  
بارض المشرق واقطاره وكثرة العمران تبيد كثرة الكسب لكثرة الاعمال التي هي سببه  
فلذلك اخضع المشرق بالرفه من بين الافاق لا ان ذلك لمجرد الاثر النجمي فقد فهمت  
ما اشركنا اولاً انه لا يستقل بذلك وان المطابقة بين حكمه وعمران الارض وطبيعتها  
امر لا بد منه . واعتبر حال هذا الرفه من العمران في قطر افريقية وقرقة لما خف سكنها  
وتناقص عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى الفقر والحصاصة وضعفت جباياتها  
فقلت اموال دولها بعد ان كانت دول الشيعة وصنهاجة بها على ما بلغك من الرفه  
وكثرة الحمايات واتساع الاحوال في نفاقهم واعطياتهم حتى لقد كانت الاموال ترفع من  
الفيروان الى صاحب مصر لحاجته ومهاتيه وكانت اموال الدولة بحيث حمل جوهر الكنان  
في سفره الى فخر مصر الف حمل من المال يستعد بها لارزاق الجنود واعطياتهم ونفقات الغزاة  
وقطر المغرب وان كان في القدم دون افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت احواله  
في دول الموحد بن متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد اقصر عن ذلك لتفوق  
العمران فيه وتناقصه فقد ذهب من عمران البربر فيه اكثره ونقص عن معهوده نقصاً  
ظاهراً محسوساً وكاد ان يلحق في احواله بمثل احوال افريقية بعد ان كان عمرانه متصلاً  
من البحر الرومي الى بلاد السودان في طول ما بين السوس الاقصى وقرقة وهي اليوم  
كلها او اكثرها قفار وخلاء وصحار الا ما هو منها سيف البحر او ما يقاربه من التلول  
والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

## الفصل الخامس عشر

في نائل العقار والصباغ في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها  
 اعلم ان نائل العقار والصباغ الكثيرة لاهل الامصار والمدن لا يكون دفعة واحدة ولا  
 في عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم من الثروة ما يملك به الاملاك التي تخرج قيمها عن  
 الحد ولو بلغت احوالهم في الرفه ما عسى ان تبلغ وانما يكون ملكهم وتأنلهم لها تدرجاً ما  
 بالوراثة من اباؤهم وذوي رحمة حتى تنأدى املاك الكثيرين منهم الى الواحد واكثر لذلك  
 او ان يكون بحوالة الاسواق فان العقار في اخر الدولة واول الاخرى عد فناء الحماية  
 وخرق السياج وتداعي المصر الى الحراب نقل الغبطة به لقللة المنفعة فيها تلاشي الاحوال  
 فترخص قيمها وتملك بالاثمان اليسيرة وتغطي بالميراث الى ملك اخر وقد استجد المصر  
 شبابة باستعمال الدولة الثانية وانظمت له احوال رائقة حسنة تحصل معها الغبطة في  
 العقار والصباغ لكثرة ما فيها حينئذ فتعظم قيمها ويكون لها خطر لم يكن في الاول وهذا  
 معنى الحوالة فيها ويصبح مالها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بسعيه واكتسابه اذ قدرته  
 تعجز عن مثل ذلك . واما فوائدهم العقار والصباغ فهي غير كافية للملكها في حاجات معاشه  
 اذ هي لا تفي بعوائد الترفه واسباغها وانما هي في الغالب لسد الحاجة وضرورة المعاش والذي  
 سمعناه من مشيخة البلدان ان القصد باقتناء الملك من العقار والصباغ انما هو الخشية  
 من يترك خلفه من الذرية الصعفاء ليكون مرثاهم به ورزقة فيه ويستوفهم ما تدرته ما داموا  
 عاجزين عن الاكتساب فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بانفسهم وربما  
 يكون من الولد من يعجز عن التكسب لضعف في بدنه او آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك  
 العقار قواماً لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائه واما التمول منه واجراء احوال المترفين  
 فلا وقد يحصل ذلك منه للقليل او النادر بحوالة الاسواق وحصول الكثرة البالغة منه  
 والعالي في جنسه وقيمته في المصر الا ان ذلك اذا حصل ربما امتدت اليه عين الامراء  
 والولاة واغضبوه في الغالب او ارادوه على بيعه منهم ونالت الصحابة منه مضار ومعاطب  
 والله غالب على امره وهو رب العرش العظيم

## الفصل السادس عشر

في حاجات المتمولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة  
 وذلك ان الخصري اذا عظم تموله وكثر للعقار والصباغ تأتله واصبح اغنى اهل المصر

ورمقته العيون بذلك وانعمت احواله في الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والملوك وغصوا به ولما في طباع الشرمن العدوان تمتد اعينهم الى تملك ما يده وبنافسونه فيه ويغلبون على ذلك بكل ممكن حتى يحصلونه في رنفة حكم سلطاني وسبب من المواخذة ظاهر ينتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة في الغالب اذ العدل المحص انما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة اللث قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكاً عوصاً فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة التهيبة في العمرن من حامية تدود عنه وجاه ينتخب عليه من ذي قرابة الملك او خالصة له او عصبية يتعامها السلطان فيستظل ظلها ويرنع في امها من طوارق التعدي وان لم يكن له ذلك اصبح همها بوحوه التحيلات واساب الحكام والله بحكم لامعقب لحكمه

### الفصل السابع عشر

في ان الحصاره في الامصار من قبل الدول وانها ترشح بانصال الدولة ورسوخها والسبب في ذلك ان الحصاره هي احوال عادية رائدة على الصروري من احوال العمران زيادة تماوت الرعه وتماوت الامم في القلة والكثرة تماوتنا غير منحصرون تقع فيها عند كثرة الثمنن في اواعنها واصنافها فتكون بمنزلة الصنائع وبمخارج كل صنف منها الى القومة عليه والمهرة فيه وقد ما يتزيد من اصنافها تتزيد اهل صاعنها وبتلون ذلك الجبل بها ومتى انصلت الايام وتعاقت تلك الصاعات حدق اولئك الصانع في صاعنها ومهروا في معرفتها والاعصار بطولها وانساح امدها وتكرير امتالها تزيدها استحكاماً ورسوخاً واكثر ما يقع ذلك في الامصار لاستبحار العمران وكثرة الرعه في اهلها وذلك كله انما يجيء من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال الرعية وتعمقها في ثمنانها ورحالها وتوسع احوالهم بالمجاه اكثر من انساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرحها في اهل الدولة ثم في من تعلق بهم من اهل المصر وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غنائمهم وتتزيد عوائد الترف ومداهمة وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فروعها وهذه هي الحصاره . ولهذا تجد الامصار التي في القاصية ولو كانت موفورة العمران تعلق عليها احوال البداوة وتعد عن الحصاره في جميع مداها بخلاف المدن المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما دك الا لجاورة السلطان لهم وفيض اموالهم فيهم كالماء بخصر ما قرب منه فاقرب من الارض الى ان ينهي الى الخنوف على البعد وقد قدمنا ان

السلطان والدولة سوق للعالم بالبصائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه وإذا ابعدت عن السوق افتقدت البصائع جملة ثم انه اذا انصلت تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك المصر واحداً بعد واحد استحكمت المحاصرة فيهم وزادت رسوخاً واعتبر ذلك في اليهود لما طال ملكهم بالشام نحواً من الف واربعائة سنة رسمت حصارهم وحدقوا في احوال المعاش وعوائده والتفنن في صاعاته من المطاعم والملابس وسائر احوال المنزل حتى انها لتؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورسمت المحاصرة ايضاً وعوائدها في الشام منهم ومن دولة الروم بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية المحاصرة . وكذلك ايضاً القبط دام ملكهم في الخليفة ثلاثة الاف من السنين فرسمت عوائد المحاصرة في بلادهم مصر واعقبهم بها ملك اليونان والروم ثم ملك الاسلام الناسخ للكل فلم ترل عوائد المحاصرة بها متصلة وكذلك ايضاً رسمت عوائد المحاصرة باليمن لاتصال دولة العرب بها مند عهد العمانية والتابعة الاقاً من السنين واعقبهم ملك مصر وكذلك المحاصرة بالعراق لاتصال دواته السط والفرس بها من ادب الكلدانيين والكيميائية والكسروية والعرب بعدهم الاقاً من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احصر من اهل الشام والعراق ومصر وكذا ايضاً رسمت عوائد المحاصرة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما اعقبها من ملك بني امية الاقاً من السنين وكننا الدولتين عظيمة فانصلت فيها عوائد المحاصرة واستحكمت . واما افريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الاسلام ملك صمم اما قطع الافرنجة الى افريقية البحر وملكو الساحل وكانت طاعة البراهل الصاحبة لم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قلعة واوفار واهل المغرب لم تحاورهم دولة وابها كانوا يعتبرون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله بالاسلام وملك العرب افريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب الا قليلاً اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في طور النداوة ومن استقر منهم بافريقية والمغرب لم يحد بها من المحاصرة ما يفلد فيه من سلته اذ كانوا راى منغمسين في النداوة ثم انتقص براية المغرب الاقصى لا قرب اليهود على يد ميسرة المظفري ايام هشام بن عبد الملك ولم يراجعوا امر العرب بعد واستقبلوا بامر انفسهم وان بايعوا لادريس فلا تعد دولته فيهم عربية لان الدراهم الدين تولوها ولم يكن من العرب فيها كثير عدد وبقية افريقية للعالمه ومن اليهم من العرب فكان لهم من المحاصرة بعض التي بما حصل لهم من ترف الملك وبعيمه وكثرة عمران القير وان وورت ذلك عنهم كمنامة تم صنهاجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغار بعائة سنة وانصرفت دولتهم واستخالت



صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقي  
 اثر خفي من حضارة العبران فيها والى هذا العهد بنوس فيمن سلف له بالقلعة او القيروان  
 او المهديّة سلف فجد له من الحضارة في شؤون منزله وعوائده احواله اثاراً ملتبسة بغيرها  
 يميزها الحضري الصير بها وكذا في اكثر امصار افريقية وليس ذلك في المغرب وامصار  
 لرسوخ الدولة بافريقية اكثر امدًا مند عهد الاغالبة والشيعية وصنهاجة واما المغرب  
 فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها  
 بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم طوعاً  
 وكرهاً وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها حظ صالح من الحضارة واستحكماها  
 ومعظمها من اهل الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية النصارى الى افريقية  
 فانقلوا فيها واما صرارها من الحضارة اثاراً ومعظمها بتونس امتزجت بحضارة مصر وما  
 ينقله المسافرون من عوائدها فكان بذلك للمغرب وافريقية حظ صالح من الحضارة عني  
 عليه الخلاء ورجع الى اعقاب وعاد البربر بالمغرب الى اديانهم من الدواة والخثونة وعلى  
 كل حال فان اثار الحضارة بافريقية اكثر منها بالمغرب وامصارها لما تداول فيها من الدول  
 السالفة اكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد اهل مصر كثرة المتردد بينهم .  
 فنظن لهذا السر فانه خفي عن الناس واعلم انها امور متناسية وهي حال الدولة في القوة  
 والضعف وكثرة الامة او الجليل وعظم المدينة او المصر وكثرة النعمة واليسار وذلك ان  
 الدولة والمملك صورة الخليفة والعبران وكلها مادة لها من الرعايا والامصار وسائر الاحوال  
 واموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في الغالب من اسواقهم ومتاجرهم واذا افاض السلطان  
 عطاءً وامواله في اهلها انبت فيهم ورجعت اليو ثم اليهم منه فهي ذاهبة عنهم في الجباية  
 والخراج عانده عليهم في العطاء فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة  
 يسار الرعايا وكثرتهم يكون مال الدولة واصلة كلة العبران وكثرتهم فاعين وتامل في  
 الدول تجده والله يحكم لا معقب لحكمه

### الفصل الثامن عشر

في ان الحضارة غاية العبران ونهاية عمره وانها مودنة بفساده  
 قد بينا لك فيما سلف ان المملك والدولة غاية للعصيبة وان الحضارة غاية للدواة وان  
 العبران كلة من بدواة وحضارة ومملك وسوقة له عمر محسوس كما ان للشخص الواحد من

اشخاص المكونات عمراً محسوساً وتبين في المعقول والمنقول ان الاربعين للانسان غاية في تزايد قواه ونموها وانه اذا بلغ سن الاربعين وقفت الطبيعة عن اثر النشوء والنمو ببرهه ثم تاخذ بعد ذلك في الانحطاط فلتعلم ان الحضارة في العمران ايضاً كذلك لانه غاية لا مزيد وراءها وذلك ان الترف والنعمة اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطعه الى مذاهب الحضارة والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي الترف واستجمادة احواله والكلف بالصنائع التي تونق من اصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابخ او الملابس او الماني او العرش او الالية ولسائر احوال المنزل وللتناق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يجناج اليها عند البداوة وعدم التناق فيها واذا بلغ التناق في هذه الاحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشبهوات فتتلون النفس من تلك العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اما دينها فلا استحكام صفة العوائد التي يعسر نزعها واما دنياها فلكثرة الحاجات والموبات التي تطالب بها العوائد ويعجزو يكسب عن الوفاء بها . وبيان ان المصر بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فمتى كان العمران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كنا قد منا ان المصر الكثير العمران يخصص بالغلاء في اسواقه واسعار حاجته ثم تزيد المكوس غلاء لان الحضارة اما تكون عند انتهاء الدولة في استئصالها وهوزمن وضع المكوس في الدول اكثره خرجها حينئذ كما تقدم والمكوس تعود الى البياعات بالغلاء لان السوقه والتجار كلهم يحسبون على سلعمهم وصابعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة انفسهم فيكون المكس لذلك داخلآ في قيم المبيعات واثانها فتعظم نفقات اهل الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليحة عن ذلك لما ملكهم من اثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتناهبون في الاملاق والخاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للمسايع فتكسد الاسواق وينسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدات في المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما فساد اهلهما في ذاتهم واحداً واحداً على المخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بمحصول لون اخر من الوانها فلذلك يكثر منهم النسق والشرو والفسفة والتجمل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فيجدهم اجراء على الكذب والمقامة والغش والخلافة والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم

انصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به و بدواعيه واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى  
بين الاقارب وذوي المحارم الدين تقتضي البداوة الحياء منهم في الاقذاع بذلك ونجدهم  
ايضاً انصر بالمكر والتخديعة يدفعون بذلك ما عساه يباله من القهر وما يتوقعونه من  
العقاب على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقاً لاكثرهم الا من عصمة الله ويموج بحر  
المدينة بالسفلة من اهل الاخلاق الذميمة و يجار بهم فيها كثير من باشئة الدولة وولدانهم  
من اهل عن التاديب وعلب عليه خلق الجوار وان كانوا اهل اسباب وبيونات وذلك  
ان الناس شرمتمثلون وانما تفاصلوا وتميزوا بالخلق واكتساب النصائل واجتناب الرذائل  
فمن استحكمت فيه صبغة الرذائل باي وجه كان وفسد خلق الخير فيه لم ينفعه زكاه نسبه  
ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيراً من اعقاب البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل  
الدول مطرحين في العمار متخلين للعرف الدينية في معاشهم بما فسد من اخلاقهم ومانلوبوا  
به من صفة الشر والسفسفة و اذا كثر ذلك في المدينة او الامة تاذن الله بحرابها وانقراضها  
وهو معنى قوله تعالى و اذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفها فمسقوا فيها فحق عليها القول  
فدمرناها ندميراً ووجهه حيثئذ ان مكاسبهم حيثئذ لاني محاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة  
النفس بها فلا تستقيم احوالهم و اذا فسدت احوال الاشخاص واحداً واحداً اختل نظام  
المدينة وخرت . وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس  
النارنج نادنت بالحراب حتى ان كثيراً من العامة يتحامي غرس النارنج بالدور وليس  
المراد ذلك ولا انه خاصية في النارنج وانما معناه ان البساتين و اجراء المياه هو من نواع  
الحصارة ثم ان النارنج والليم والسرور وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غاية  
الحصارة اذ لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد الثمن في مذاهب  
الترف وهذا هو الظهور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك  
في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين  
احمر وابيض وهو من مذاهب الترف . ومن معاسد الحصارة الانهماك في الشهوات  
والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع الثمن في شهوات الطم من المآكل والملاذ ويتبع  
ذلك الثمن في شهوات الفرج بانواع المآكح من الزنا واللواط فيفضي ذلك الى فساد النوع  
اما بواسطة اختلاط الاسباب كما في الزنا فيجهل كل واحد انه اذ هو لاغير رشدة لان  
المياه مختلطة في الارحام فتتعد السمعة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويودي  
ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع كاللواط اذ هو يودي الى ان لا يوجد النوع

والزنا يودي الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مالك رحمه الله في اللواط اظهر من مذهب غيره ودل على انه ابصر بمقاصد الشريعة واعنارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به وان غاية العمران هي الحصار والترف وانه اذا بلغ غاية انقلاب الى السواد واخذ في الهرم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الاخلاق الحاصلة من الحصار والترف هي عين النساد لان الانسان انما هو اسان باقتداره على جلب منفعته ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والمحصري لا يقدر على مباشرته حاجاته اما محرراً لما حصل له من الدعة او ترفعاً لما حصل له من المرئى في التعم والترف وكلا الامرين ذميم وكذا لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والمحصري بما قد فقد من خلق الانسان بالترف والتعم في قهر التاديب فهو بذلك عيال على الحماية التي تدافع عنه ثم هو فاسد ايضاً عالمياً بما فسدت منه العوائد وطاعتها وما تلوث به النفس من مكائنها كما قررناه الا في الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته على اخلاقه وديبه فقد فسدت اسانته وصار مسجاً على الحقيقة وبها الاعنار كان الذين يتربون على الحصار وخلقها موجودين في كل دولة فقد تبين ان الحصار هي سن الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شان لا يستغله شان عن شان

### الفصل التاسع عشر

في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تحرب بخراب الدولة وانتقاضها قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا اخلت وانتقضت فان المصير الذي يكون كرسياً لسلطانها ينتقص عمرانه وربما ينهي في انتقاضه الى الحراب ولا يكاد ذلك يتخلف والسبب فيه امور. الاول ان الدولة لا تد في اولها من الداوة المقتضية للتجاني عن اموال الناس والبعد عن التخلدق ويدعو ذلك الى تحييف الجباية والمغارم التي منها مادة الدولة فنقل النفقات ويقل الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسياً للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقضت احوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت ايديها من اهل المصير لان الرعايا تنع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة اما طوعاً لما في طباع البشر من تقليد متسوعهم او كرهاً لما يدعوا اليه خلق الدولة من الانقراض عن الترف في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فنقص لذلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب المصير. الامر الثاني ان الدولة انما يحصل لها الملك

والاستيلاء بالغلب وإنما يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين اهل الدولتين وتكثر احدها على الاخرى في العوائد والاحوال وغلب احد المتنافيين يذهب بالمنا في الاخر فتكون احوال الدولة السابقة منكراً عند اهل الدولة الجديدة ومستبشعة وقيحة وخصوصاً احوال الترف فتفقد في عرفهم بنكير الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد اخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستانفة وفيما بين ذلك قصور الحضارة الاولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في مصر. الامر الثالث ان كل امة لا بد لهم من وطن وهو منشأهم ومنه اولى ملكهم واذا ملكوا ملكاً اخر صار تبعاً للاول وامصاراً تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط الكرسي نحو الممالك التي للدولة لانه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الاول وهموي افئدة الناس من اجل الدولة والسultan فينتقل اليه العمران ويخف من مصر الكرسي الاول والحضارة انما هي توفر العمران كما قدمناه فتنقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسجوقية في عدولهم بكرسيهم عن بغداد الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن المدائن الى الكوفة والبصرة ولبني العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ولبني مرين بالغرب في العدول عن مراكش الى فاس والجملة فاتخاذ الدولة الكرسي في مصر يجلب لعمران الكرسي الاول. الامر الرابع ان الدولة الثانية لا بد فيها من تبع اهل الدولة السابقة واشياعها بتحويلهم الى قطر اخر يومن فيه غائلهم على الدولة واكثر اهل مصر الكرسي اشباع الدولة اما من الحامية الذين نزلوا به اول الدولة او اعيان المصر لان لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشئ في الدولة فهم شبيعة لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم بالميل والحمية والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو آثار الدولة السابقة فينقلهم من مصر الكرسي الى وطنها الممكن في ملكها فبعضهم على نوع التفریب والحس وبعصم على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدي الى التنفد حتى لا يبقى في مصر الكرسي الا الداعة والهمل من اهل الفلح والعيارة وسواد العامة وينزل مكانهم حاميتها واشياعها من يشتد به المصر واذا ذهب من مصر اعيانهم على طبقاتهم نقص ساكنه وهو معنى اختلال عمرائه ثم لا بد من ان يستجد عمران اخر في ظل الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة اخرى على قدر الدولة وانما ذلك بمثابة له بيت على اوصاف مخصوصة فظاهر من قدرته على تغيير تلك الاوصاف واعادة بنائها على ما يجناره ويقترحه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانية وقد وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي

للملك وشاهدناه وعلمناه والله بقدر الليل والنهار والسبب الطبيعي<sup>٥</sup> الاول في ذلك على الجملة ان الدولة والملك للعبان بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها وقد نقرر في علوم الحكمة انه لا يمكن انفكاك احدهما عن الاخر فالدولة دون العمان لا تتصور والعمان دون الدولة والملك متعذر لما في طباع البشر من العدوان الداعي الى الوازع فنتعين السياسة لذلك اما الشرعية او الملكية وهو معنى الدولة واذا كانا لا ينفكان فاخلال احدهما موثر في اخلال الاخر كما ان عدمه موثر في عدمه والخلل العظيم اما يكون من خلل الدولة الكلية مثل دولة الروم او الفرس او العرب على العموم او بني أمية او بني العباس كذلك واما الدولة الشخصية مثل دولة انوشروان او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرسيد فانتخاصها متعاقبة على العمان حافظة لوجوده وبقائه وقرينة الشبه بعضها من بعض فلا توثر كثيرا اخلال لان الدولة بالحقيقة الفاعلة في مادة العمان انما هي العصبية والشوكة وهي مستمرة على اثخاض الدولة فاذا ذهبت تلك العصبية ودفعتمنا عصبية اخرى موثرة في العمان ذهبت اهل الشوكة باجمعهم وعظم الخلل كما قررناه اولاً والله سبحانه وتعالى اعلم

### الفصل العشرون

في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض وذلك انه من البين ان اعمال اهل المصر يستدعي بعضها بعضاً لما في طبيعة العمان من التعاون وما يستدعي من الاعمال يختص ببعض اهل المصر فيقومون عليه ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم فيوزقهم منه لعموم البلوى به في المصر والحاجة اليه وما لا يستدعي في المصر يكون غنائماً اذ لا فائدة لمنتهله في الاحتراف به وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش فيوجد في كل مصر كالتخياط والحديد والنجار وامثالها وما يستدعي لعوائد الترف واحواله فانما يوجد في المدن المستعمرة في العمارة الآخذة في عوائد الترف والحاصرة مثل الزجاج والصانغ والدهان والطباخ والفسار والفراش والذباح وامثال هذه وهي متفاوتة وقدر ما تزيد عوائد الحاصرة وتستدعي احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد بذلك المصر دون غيره ومن هذا الباب المحامات لانها انما توجد في الامصار المستعمرة المستعمرة العمان لما يدعو اليه الترف والضي من التعم ولذلك لا تكون في المدن المتوسطة وان نزع بعض

الملوك والروساء اليها فيخطها ويمجى احوالها الا انها اذا لم تكن لها داعية من كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرب وتفرغ عنها القومة لقلته فائدتهم ومعائتهم منها والله يقبض ويبسط

## الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض

من الدين ان الالتحام والانصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا اهل سب واحد الا انه كما قدمناه اضعف مما يكون بالسب وانه تحصل به العصبية بعضاً مما تحصل بالسب واهل الامصار كثير منهم ملتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضاً الى ان يكونوا لحمياً لحمياً وقرابة قرابة وتجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله فيفترقون تبعاً وعصائب فادا نزل الهرم بالدولة ونقلص ظل الدولة عن الفاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والظفر في حماية بلدهم ورحعوا الى الشورى وتميز العلية عن السملة والنفوس بطباعها متطاوله الى الغلب والرياسة فتطعم المشيخة لخلاء الجوع من السلطان والدولة القاهرة الى الاستعداد وينازع كل صاحبه ويستوصلون بالانتاع من الموالي والشيع والاحلاف ويبدلون ما في ايديهم للاوغاد والاشاب فيعصوب كل لصاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكفائه ليقتص من اعنتهم ويتتبعهم بالقتل او التغريب حتى يحصدهم الشوكات اللافذة ويقلم الاظفار الحادشة ويستند بمصره اجمع وبرى انه قد استحدث ملكاً بورتة عقته فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعاظم اصحاب القبائل والعشائر والعصبيات والزخوف والحروب والاقطار والممالك فينتقلون بها من الجلوس على السرير واتخاذ الآلة واعداد المراكب للسير في اقطار البلد والتختم والحسية والخطاب بالتحويل ما يسخر منه من يشاهد احوالهم لما انتقلوه من شارات الملك التي ليسوا لها اهل اما دفعهم الى ذلك نقلص الدولة والتحام بعض القربان حتى صارت عصبية وقد يتزده بعضهم عن ذلك ويمجى على مذهب السداجة فراراً من التعريض بنفسه للشعرية والعبث وقد وقع هذا ما فريقية لهذا العهد في اخر الدولة الحفصية لاهل بلاد الجريد من طرابلس وقابس ونوزر ونفطة وقفصة وبسكرة والزاب وما الى ذلك سواء الى مثلها عند نقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلوا على امصارهم واستبدوا بامرها على الدولة في الاحكام والحماية واعطوا طاعة معروفة وصفقة

ممرضة واقطعوها جانباً من الملاينة والملاطفة والانقياد وهم بعزل عنه واورثوا ذلك اعفاهم  
لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجمر ما يحدث لاعتقاب الملوك وخلصهم ونظمو  
انفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقه حتى محاذ ذلك مولانا امير المومنين  
ابو العباس وانتزع ما كان بايديهم من ذلك كما نذكره في اخبار الدولة وقد كان مثل  
ذلك وقع في اخر الدولة الصنهاجية واستقل بمصار الجريد اهلها واستبدوا على الدولة  
حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المومن س علي ونقلهم كلهم من امارتهم بها  
الى المغرب ومحامس تلك البلاد اثارهم كما نذكر في اخباره وكذا وقع سببته لآخر دولته في  
عبد المومن وهذا التغلب يكون غالباً في اهل السرورات والليونات المرشيين للمشيخة  
والرياسة في المصروق ويحدث التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدهاء وإذا حصلت  
له العصبية والاتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدار في تغلب على المشيخة والعلية اذا  
كانوا فاقدين للعصانة والله سبحانه وتعالى غالب على امره

## الفصل الثاني والعشرون

### في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون لسان الامة او الجبل الغالين عليها او  
المخنطين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالشرق والمغرب لهذا العهد  
عربية وان كان اللسان العربي المصري قد فسدت ملكته وتغير اعراؤه والسبب في ذلك  
ما وقع للدولة الاسلامية من العلب على الامم والدين والملة صورة للوحود وللملك وكلها  
مواد له والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من الشريعة وهي لسان العرب لما  
ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى اللسان العربي من الاليس في جميع  
مالها واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه عن بطانة الاعاجم وقال انها خب اي مكر  
وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية وكان لسان الفأين بالدولة الاسلامية عربياً  
هجرت كلها في جميع مالها لان الناس تبع للسلطان وعلى ديد فصار استعمال اللسان العربي  
من شعائر الاسلام وطاعة العرب وهر الامم لغاتهم والسنتم في جميع الامصار والمالك  
وصار اللسان العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنه  
العجمية دخيلة فيها وغربية ثم فسد اللسان العربي بمخالطها في بعض احكامه وتغير  
واخره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمي لساناً حضرياً في جميع امصار الاسلام



وأيضاً فأكثر أهل الأمصار في الملة لهذا العهد من اعتقاد العرب المالكين لها المالكين في  
 ترفها بما أكثر والعجم الذين كانوا بها وورثوا أوصافهم وديارهم واللغات متوارثة فقيت  
 لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجم شيئاً فشيئاً وسميت  
 لغتهم حضرية منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار بخلاف لغة البدو من العرب فإنها  
 كانت أعرق في العروبة ولما تملك العجم من الديلم والسجوقية بعدهم بالمشرق وزانته  
 والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان  
 العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين  
 بهما حفظ الدين وسار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة العربية المصرية من الشعر والكلام إلا  
 قليلاً بالأمصار فلما ملك التتر والمغل بالمشرق ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك  
 المرجح وفسدت اللغة العربية على الإطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق  
 وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم  
 وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام إلا قليلاً يقع تعليمه صناعياً بالقوانين  
 المتداولة من كلام العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك وربما بقيت اللغة  
 العربية المصرية بمصر والشام والاندلس والمغرب لقاء الدين طلباً لها فأنحفظت ببعض  
 الشيء وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له أثر ولا عين حتى أن كتب العلوم صارت  
 تكتب باللسان العجمي وكذا تدرسه في المجالس والله أعلم بالصواب

## الفصل الخامس

### من الكتاب الأول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الأحوال وفيه مسائل

### الفصل الأول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحها وإن الكسب هو قيمة الأعمال الشرعية \*  
 أعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويموته في حالته وإطواره من لدن نشوه  
 إلى أشده إلى كرهه والله الغني وأنتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان  
 وأمن به عليه في غير ما أبت من كتابه فقال خلق لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً  
 منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الأنعام وكثير من شواهد ويد الإنسان

مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وبيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الاخر الا بعوض فالاسان متى اقتدر على نفسه ونجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما اناه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعراض عنها قال الله تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالطير المصلح للراعي وامثاله الا انها انما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما ياتي فتكون له تلك المكاسب معاشاً ان كانت بمقدار الضرورة والحاجة ورياشاً ومتمولاً ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل او المقتنى ان عادت منفعة على العبد وحصلت له ثمرته من افاقه في مصالحه وحاجاته سي ذلك رزقاً قال صلى الله عليه وسلم انما لك من مالك ما اكلت فافيت او لست فابليت او تصدقت فامصبت وان لم ينتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسي بالنسبة الى المالك رزقاً والمتملك منه حينئذ سعي العبد وقدرته يسي كسباً وهذا مثل التراث فانه يسي بالنسبة الى الهالك كسباً ولا يسي رزقاً اذ لم يحصل به منتفع وبالنسبة الى الوارثين متى اتمتعوا به يسي رزقاً هذا حقيقة مسمى الرزق عند اهل السنة وقد اشترط المعتزل في تسميته رزقاً ان يكون بحيث يصح تملكه وما لا تملك عدمه لا يسي رزقاً واخرجوا الغصوبات والحرام كله عن ان يسي شي منها رزقاً والله تعالى يرزق الغاصب والظالم والمومن والكافر ويخص برحمته وهدايته من يشاء ولم في ذلك حرج ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد الى التحصيل فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناول له واتغائه من وحوه قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون باقدار الله تعالى والهامه فالكل من عند الله فلا بد من الاعمال الانسانية في كل مكسوب ومتمول لانه ان كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهروا ان كان مقتنى من الحيوان والنبات والمعدن فلا بد فيه من العمل الانساني كما تراه والا لم يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله تعالى خلق الحجرين المعدنيين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول وها الذخيرة والفنية لاهل العالم في الغالب وان اقتنى سواها في بعض الاحيان فانما هو لنقص تحصيلها بما يقع في غيرها من حوالة الاسواق التي ها عنها بمعزل فها اصل المكاسب والفنية والذخيرة واذا تقرر هذا كله فاعلم ان ما يفيد الانسان ويقننيه من المتمولات ان كان من الصنائع فلما نادى المقتنى منة قيمة عمله وهو القصد بالفنية اذ ليس هناك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للفنية وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرها مثل التجارة والحياكة معها الحشب والغزل الا ان العمل فيها اكثر فقيمتها

أكثر وإن كان من غير الصنائع فلا بد في قيمة ذلك المفاد والقيمة من دخول قيمة العمل الذي حصلت به إذ لولا العمل لم تحصل قيمتها وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصة من القيمة عظمت أو صغرت وقد تحي ملاحظة العمل كافي أسعار الأقوات بين الناس فإن اعنار الأعمال والنفقات فيها ملاحظ في أسعار الحبوب كما قدمناه لك في خفي في الاقنار التي علاج الفلح فيها وموته بسيرة فلا يستعربه إلا القليل من أهل الفلح فقد تبين أن المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية وتبين مسمى الرزق وأنه الممتع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مساهما وأعلم أنه إذا فقدت الأعمال أو قلت ما تنفص العمران تاذن الله برفع الكسب الأتري إلى الأمصار القليلة الساكن كيف يقل الرق والكسب فيها أو يفقد أئلة الأعمال الإنسانية وكذلك الأمصار التي يكون عمرانها أكثر يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشد رفاهية كما قدمناه قبل ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد إذا تناقص عمرانها إنما تذهب رزقها حتى أن الأنهار والعيون يقطع جريها في القفر لما ان فور العيون إنما يكون بالأساط والامتراء الذي هو العمل الإنساني كالحمال في صروع الأنعام فما لم يكن أساط ولا امتراء نضت وغارت بالجبهة كما يجف الصرع إذا ترك امتراءه وانظره في البلاد التي تعهد فيها العيون لآيام عمرانها ثم ياتي عليها الحراب كيف تغور مياهها حاملة كائنها لم تكن والله مدد الليل والنهار

## الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

اعلم أن المعاش هو عمارة عن انتغاء الرق والسعي في تحصيله وهو مفعل من العيش كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جعلت موضعاً له على طريق المبالغة ثم ان تحصيل الرق وكسبه إنما ان يكون ناخذه من يد الغير وانزاعه بالافتقار عليه على قانون متعارف ويسمى معروماً وجاريةً وإنما ان يكون من الحيوان الوحشي ما فتراه و اخذه برمييه من البر أو البحر ويسمى اضطياداً وإنما ان يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المصروفة بين الناس في منافعهم كاللبن من الأنعام والحزير من دوده والعسل من نخله أو يكون من السات في الررع والشجر بالقيام عليه واعداده لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فلحاً وإنما ان يكون الكسب من الأعمال الإنسانية إما في مواد معينة ونسب الصنائع من كثانة ونجارة وخباطة وحقاكة وروسية وامثال ذلك أو في مواد غير معينة وهي جميع

الامتهانات والتصرفات واما ان يكون الكسب من الضائع واعدادها للاعواض اما بالتقلب بها في الملاد وابتكارها وارنقاب حوالة الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فبذو وجوه المعاش واصافه وهي معنى ما ذكره المحققون من اهل الادب والحكمة كالحريبي وغيره فانهم قالوا المعاش اماره وتجارة وفلاحة وصناعه فاما الامارة فليست بمذهب طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدمت من احوال الجبايات السلطانية واهلها في الفصل الثاني واما الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش اما الفلاحة فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة وطبيعية فطرية لا تحتاج الى نظر ولا علم ولهذا تسبب في الخليفة الى ادم الى الشروانه معلمها والقائم عليها اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش واسمها الى الطبيعة واما الصنائع فهي تاينتها ومتاخرة عنها لانها مركبة وعلمية تصرف فيها الافكار والابصار ولهذا لا يوجد عالمًا الا في اهل المحصر الذي هو متاخر عن الدو وثان عنه ومن هذا المعنى نسبت الى ادريس الاب الثاني للخليفة فانه مستنطقها لمن بعده من الشرب بالوحي من الله تعالى واما التجارة وان كانت طبيعية في الكسب فالاكثرو من طرقها ومذاهبها اتمها في تجيلات في الحصول على ما بين القيمتين في الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك النصلة ولذلك اناح الشرع فيه المكاسبه لما انه من باب المقامرة الا انه ليس اخذًا للمال الغير محامًا فلهدا اخنص بالمشروعية

### الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

اعلم ان السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر ابواب الامارة والملك الذي هو بسيله من الخدي والشرطي والكانت ويستكفي في كل باب من يعلم غناه فيدو يتكفل بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج في الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والملك الاعظم هو يسوع جدا ولم واما ما دون ذلك من الخدمة فسميها ان اكثر المترفين يتروغ عن مباشرة حاجاتها و يكون عاجراً عنها لما ربي عليه من خلق التعم والترغ فيتعد من يتولى ذلك له ويتطعمه عليه احراً من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرحولية الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولا نها تريد في الوظائف والخرج وتدل على العجز والحمى الذي ينبغي في مداهب الرجولية التزه عنها الا ان العوائد تقلب طماع الانسان الى ما لوفها فهو اس عوائده لا اس نسه ومع ذلك فالخدم الذي يستكفي

به ويوثق بغنائيه كالمفقود اذا الخدم القائم بذلك لا يعدو اربع حالات اما مضطلع بامر  
ولا موثوق فيما يحصل بيده واما بالعكس فيها وهو ان يكون غير مضطلع بامر ولا موثوق  
فيما يحصل بيده واما بالعكس في احدهما فقط مثل ان يكون مضطلعاً غير موثوق ان  
موثوقاً غير مضطلع فاما الاول وهو المضطلع الموثوق فلا يمكن احد استعماله بوجه اذا  
هو باضطلاع وثقته غني عن اهل الرتب الدنياة ومختر لمثال الاجر من الخدمة لاقتداره  
على اكثر من ذلك فلا يستعمله الا الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه  
واما الصنف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثوق فلا ينبغي لعاقل استعماله لانه  
يخيف بمخدومه في الامرين معاً فيضيع عليه لعدم الاصطناع نارة ويذهب ماله بالخيانة  
اخرى فهو على كل حال كل على مولاة فهذان الصنفان لا يطبع احد في استعمالهما ولم  
يبق الا استعمال الصنفين الاخرين موثوق غير مضطلع ومضطلع غير موثوق وللناس في  
الترجيح بينهما مذهبان ولكل من الترجيحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير موثوق ارجح  
لانه يوس من نصيبه ويحاول على التحرز من خيانتة جهد الاستطاعة واما المضيع ولو  
كان ماموناً فصرره بالنصيب اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذ قابوناً في الاستكفاء  
بالخدمة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يحاء

### الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بمعاش طبيعي

اعلم ان كثيراً من ضعفاء العقول في الامصار يحرصون على استخراج الاموال من  
تحت الارض ويتغنون الكسب من ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة محتزنة كلها  
تحت الارض مخنوم عليها كلها بطلام سحرية لا يفيض ختامها ذلك الا من عثر على علمه  
واستحضر ما يحمله من الجور والدعا والفرمان فاهل الامصار بافرريقية يرون ان الافرنجة  
الذين كانوا قبل الاسلام بها دفنوا اموالهم كذلك واودعوها في الصحف بالكتاب الى  
ان يجدوا السبيل الى استخراجها واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في ام القبط  
والروم والفرس ويتناقلون في ذلك احاديث تشبه حديث خرافة من انتهاء بعض الطالبين  
لذلك الى حفر موضع المثل من لم يعرف طلسمه ولا خبره فيجدونه خالياً او معبور  
بالديدان او يشاهد الاموال والجواهر موضوعة والحرس دونها متضين سيوفهم او تميد  
به الارض حتى يظنه خسفاً او مثل ذلك من الهذر ونجد كثيراً من طلبة البربر بالمغرب

العاجزين عن المعاش الطبيعي واسبابه يتفرون الى اهل الدنيا بالاوراق المتخزئة  
 الحواشي اما بخطوط عجيبة او بما ترجم بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن باعطاء  
 الامارات عليها في اماكنها يتفنون بذلك الرزق منهم بما يعثونه على الحفر والطلب  
 ويموهون عليهم بانهم انما حملهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل هذا من منال الحكام  
 والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة او غريبة من الاعمال السحرية يموه بها على  
 تصديق ما بقي من دعواه وهو بمنزل عن السحر وطرقه فتولع كثير من ضعفاء العقول  
 يجمع الايدي على الاحتمار والتسترفيه بظلمات الليل مخافة الرقاء وعيون اهل الدول  
 فاذا لم يعثروا على شيء ردوا ذلك الى الجهل بالطمس الذي ختم به على ذلك المال  
 يحادعون به انفسهم عن اخناق مطامعهم والذي يحمل على ذلك في الغالب ريادة على  
 ضعف العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجه الطبيعية للكسب من التجاره والبيع  
 والصناعة فيظلمونه بالوجه المخرفه وعلى غير المجري الطبيعي من هذا وامثاله عجزاً عن  
 السعي في المكاسب وركوباً الى تناول الرزق من غير تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه  
 ولا يعلمون انهم يوقعون انفسهم بانتفاء ذلك من غير وجهه في نصب ومتاعب وجهه  
 شديد اشد من الاول ويعرضون انفسهم مع ذلك لمال العقوبات وربما يحمل على ذلك  
 في الاكثر زيادة الترف وعوائده وخروجها عن حد النهاية حتى يقصر عنها وجه الكسب  
 ومذاهقه ولا تفي بمطالبها فاذا عجز عن الكسب بالمجري الطبيعي لم يجد وليحه في نفسه الا  
 التمني لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة ليني له ذلك بالعوائد التي حصل في اسرها  
 فيحرص على انتفاء ذلك ويسعى فيه جهده ولهذا فاكثرت تراهم يحرصون على ذلك هم  
 المترفون من اهل الدولة ومن سكان الامصار الكثرية الترف المتسعة الاحوال مثل مصر  
 وما في معناها فيجحد الكثير منهم مغرمين بانتفاء ذلك وتحصيله ومساءلة الركبان عن شواذه  
 كما يحرصون على الكيمياء هكذا بلغني عن اهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبه المغاربة  
 لعلمهم يعثرون منه على دفين او كنز ويزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه لما يرون  
 ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجاري النيل وانه اعظم ما يسترد فينا او مختزناً في  
 تلك الافاق ويمه عليهم اصحاب تلك الدفاتر المنفتحة في الاعتذار عن الوصول اليها  
 بجرية النيل تستراً بذلك من الكذب حتى يحصل على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على  
 نضوب الماء بالاعمال السحرية لتحصيل متغاه من هذه كلفاً بشان السحر متوارثاً في ذلك  
 القطر عن اوليه فلعومهم السحرية واتارها باقية بارضهم في البراري وغيرها وقصة سحرة

فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل اهل المغرب قصيدة ينسونها الى حكام

المشرق تعطى فيها كيفية العمل بالتغوير بصناعة سحرية حسما تراه فيها وهي هذه

باطالبا للسرِّ في التغويرِ	اسمع كلام الصدق من خيرِ
دع عنك ما قد صنفتوا في كتبهم	من قول بهتانٍ ولفظِ غرورِ
واسمع لصدق مقالتي وصيحتي	ان كنت ممن لا يرى بالزورِ
فاذا اردت تغور البئر التي	حارت له الاوهام في التدبيرِ
صور كصورتك التي اوقفتها	والراس راس الشل في التغويرِ
وبداه ماسكتان للمحل الذي	في الدلو ينشل من قرار اليرِ
وصدره هاء كما عاينتها	عددا لطلاق احذر من التكريه
ويطا على الطآآت غير ملاسي	مشي اللبيب الكيس الغريرِ
ويكون حول الكل خط دائرِ	تربعه اولى من التكويرِ
واذبح عليه الطير والطحه به	واقصده عقب الذبح بالتجويرِ
بالسندروس وباللنان ومبعه	والقسطر والسسه شوب حريرِ
من احمر او اصفر لا ازرق	لا اخضر فيه ولا تكديرِ
ويستده خيطان صوف ابيض	او احمر من خالص التخميرِ
والطالع الاسد الذي قد بينوا	ويكون بدء الشهر غير منيرِ
والدر متصل بسعد عطارد	في يوم سبت ساعة التدبيرِ

ببني ان تكون الطآآت بين قدميه كانه يمشي عليها وعندني ان هذه القصيده من تمويهات

المخرفين فلم في ذلك احوال غريبة واصطلاحات عجيبه وتنتهي الخرفة والكذب بهم

الى ان يسكوا الممارل المشهوره والدور المعروفة لمثل هذه ويختمرون الحفرون يصعون

المطابق فيها والشواهد التي يكتبونها في صحائف كذبهم ثم يقصدون صنعاء العقول بامثال

هذه الصحائف ويعثون على كبراء ذلك المنزل وسكناه ويوهمون ان به دقيبا من

المال لا يعر عن كثرتيه ويظالمون بالمال لا اشتراء العقاقير والبحجرات لمحل الطلاسم

ويعدونه نظهور الشواهد التي قد اعدوها هنالك بانسهم ومن فعلهم فينبعث لما يراه من

ذلك وهو قد خدع ولس عليه من حيث لا يتسرعو بينهم في ذلك اصطلاح في كلامهم

يلبسون به عليهم ليخني عد محاورتهم فيما يتلونه من حبر وبحور وذبح حيوان وامثال ذلك

واما الكلام في ذلك على الحقيقه فلا اصل له في علم ولا خبر واعلم ان الكسوز وان كانت

توجد لكنها في حكم النادر على وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس ذلك بامر نعم  
 به البلوى حتى يدخر الناس اموالهم تحت الارض ويختمون عليها بالطلاسم لافي القدم ولا  
 في الحديث والركاز الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفين الجاهلية انما يوجد  
 بالعثور والاتفاق لا بالقصد والطلب وايضاً فمن اختزن ماله وختم عليه بالاعمال السحرية  
 فقد بالغ في اخفائه فكيف ينصب عليه الادلة والامارات لمن يبتغيه ويكتب ذلك في  
 الصحائف حتى يطلع على ذخيره اهل الامصار والآفاق هذا ينافى قصد الاخفاء وايضاً  
 فافعال العقلاء لا بد وان تكون لغرض مقصود في الاستفاد ومن اختزن المال فانه  
 يخترنه لولده او قريبه او من يوثقه واما ان يقصد اخفاءه بالكلية عن كل احد وانما  
 هو اللبلاء واهلاك اول من لا يعرفه بالكلية من سباتي من الامم فهذا ليس من مقاصد العقلاء  
 بوجه واما قولهم ابن اموال الامم من قلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم ان  
 الاموال من الذهب والفضة والجواهر والامتنعة انما هي معادن ومكاسب مثل الحديد  
 والنحاس والرصاص وسائر العقارات والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الاساسية  
 ويزيد فيها او ينقصها وما يوجد منها بايدي الناس فهو متناقل متوارث وربما انتقل من  
 قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى بحسب اغراضه والعمران الذي يستدعي له فان نقص  
 المال في المغرب وافريقية فلم ينقص ببلاد الصقالبة والافرنج وان نقص في مصر والشم  
 فلم ينقص في الهند والصين وانما هي الآلات والمكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع ان  
 المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ والجوهر اعظم ما  
 يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والفضة ينالها من  
 البلاء والفناء ما يذهب باعيانها لا قرب وقت واما ما وقع في مصر من امر المطالب  
 والكنوز فسببه ان مصر في ملكة القبط منذ آلاف ويزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون  
 بوجودهم من الذهب والفضة والجوهر والآلئ على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما  
 انقضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم تفر على ذلك في قبورهم وكشعوا عنه فاخذوا  
 من قبورهم ما لا يوصف كالا هرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم  
 وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعتبر على الدفين فيها كثير من الاوقات  
 اما ما يدفنونه من اموالهم او ما يكرمون به موتاهم في الدفن من اوعية وتوايت من الذهب  
 والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها  
 فلذلك عنى اهل مصر بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى انهم



حين ضربت المكوس على الاصناف اخر الدولة ضربت على اهل المطالب وصدرت  
ضريبة على من يشتغل بذلك من الحنفى والمهوسين فوجد ذلك المتعاطون من اهل  
الاطاع الذريعة الى الكنف عنه والدرع باستخراجه وما حصلوا الا على الخيبة في جميع  
مساعيمهم نعوذ بالله من الحسران فيحتاج من وقع له شيء من هذا الوسواس وابتلى به ان  
يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه كما نعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
ذلك وينصرف عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات والمكاذب من  
الحكايات والله برزق من يشاء بغير حساب

### الفصل الخامس

في ان الجاه مفيد للمال

وذلك اننا نجد صاحب المال والحظوة في جميع اصناف المعاش اكثر يساراً وثروةً  
من فاقد الجاه . والسبب في ذلك ان صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه في  
سبيل التزلف والحاجة الى جاهه فالناس معينون له باعمالهم في جميع حاجاته من ضروري  
او حاجي او كالي فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ماشاته ان تنذل فيه  
الاعراض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض فتتوفر تلك قيم الاعمال عليه فهو  
بين قيم للاعمال يكتسبها وقيم اخرى تدعو الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه والاعمال  
لصاحب الجاه كثيرة فتفيد الغنى لا قرب وقت ويزداد مع الايام يساراً وثروةً ولهذا  
المعنى كانت الامارة احد اسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب  
مال فلا يكون يساراً الا بمقدار ماله وعلي نسبة سعيه وهؤلاء هم اكثر التجار ولهذا تجد  
اهل الجاه منهم يكونون ايسر بكثير وما يشهد لذلك اننا نجد كثيراً من الفقهاء واهل الدين  
والعبادة اذا اشتهر بحسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملته الله في ارفادهم فاخلص الناس  
في اعانتهم على احوال ديارهم والاعتقال في مصالحتهم اسرعت اليهم الثروة واصبحوا مياسير  
من غير مال مفتنى الا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم  
رأبنا من ذلك اعداداً في الامصار والمدن وفي البدو يسعي لهم الناس في الفلح والتجر  
وكل هو قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتأثر الغني من غير سعي  
ويجب من لا يفتن لهذا السر في حال ثروته واسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى  
برزق من يشاء بغير حساب

## الفصل السادس

في ان السعادة والكسب مما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتلق وان هذا المخلوق من اسباب السعادة قد سلف لنا فيما سبق ان الكسب الذي يستفيدة الشرائع هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عطل عن العمل جملة لكان فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى نسبة ذلك نمو كسبه او نقصانه وقد بينا انما ان الجاه يفيد المال لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه باعمالهم واموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون به من عمل او مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجاه من الاغراض في صالح او طالح وتصير تلك الاعمال في كسبه وقيمه احوال وثرولة فيستفيد الغنى واليسار لا قرب وقت ثم ان الجاه متوزع في الناس ومرتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو الى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية وفي السفلى الى من لا يملك ضميراً ولا نفعاً بين ابناء جنسه وبين ذلك طبقات متعددة حكمة الله في خلقه بما ينظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاؤهم لان النوع الانساني لا يتم وجوده الا بالتعاون وانه وان ندر فقد ذلك في صورة مفروضة لا يصح نقاؤه ثم ان هذا التعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولما جعل لهم من الاختيار وان افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع وقد يتمتع من المعاونة فيتعين حملة عليها فلا ند من حامل يكره ابناء النوع على مصالحهم لتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليخذل بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون فقد تبين ان الجاه هو القدرة الحاملة للشر على التصرف في من تحت ايديهم من ابناء جنسهم بالاذن والمنع والتسلط بالقهر والغلبة ليجعلهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل باحكام الشرائع والسياسة وعلى اغراضه فيما سوى ذلك ولكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الالهي لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل المواد فلا يهتوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليفة فنتم ثم ان كل طبقة من طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباقي وكل واحد من الطبقة السعلى يستمد بذي الجاه من اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع

ابواب المعاش و يتسع و يضيق بحسب الطبقة و الطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه  
 متسعاً كان الكسب الناشيء عنه كذلك وان كان ضيقاً قليلاً فمثله و فاقد الجاه وان كان له  
 مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله او ماله و نسبة سعيه ذاهباً و اياً في تنهيه كما كثير  
 التجار و اهل الفلاحة في الغالب و اهل الصنائع كذلك اذا فقدوا الجاه و اقتصر و ا على  
 فوائد صنائعهم فانهم يصيرون الى الفقر و الخصاصه في الاكثر و لا تسرع اليهم ثروة و انما  
 يرمقون العيش ترميقاً و يدافعون ضرورة الفقر مدافعة و اذا تقرر ذلك و ان الجاه متفرع  
 و ان السعادة و الخير مقتربان بحصوله علمت ان بذله و افادته من اعظم النعم و اجلها و ان  
 بذله من اجل المعيين و انما يبذله لمن تحت يده فيكون بذله بيد عالية و عزة فيحتاج طالبه  
 و مستغيبه الى خضوع و تلقى كما يسال اهل العز و الملوك و الا فيتعذر حصوله فلذلك قلنا  
 ان الخضوع و التلقى من اسباب حصول هذا الجاه المحصل للسعادة و الكسب و ان اكثر  
 اهل الثروة و السعادة بهذا التلقى و لهذا نجد الكثير من يتخلق بالترفع و الشتم ليجعل لهم  
 غرض الجاه فيقتصرون في التكسب على اعمالهم و يصيرون الى الفقر و الخصاصه . و اعلم ان  
 هذا الكبر و الترفع من الاخلاق المذمومة انما يحصل من توهم الكمال و ان الناس يحتاجون  
 الى بضاعه من علم او صناعة كالعالم المتبحر في علمه و الكاتب المجيد في كتابته او الشاعر  
 البليغ في شعره و كل محسن في صناعته يتوهم ان الناس يحتاجون لما بيده فيحدث له ترفع  
 عليهم بذلك و كذا يتوهم اهل الاسباب ممن كان في ابائهم ملك او عالم مشهور او كامل في  
 طور يعبرون به بما راوه او سمعوه من حال ابائهم في المدينة و يتوهمون انهم استحقوا مثل  
 ذلك بقرابتهم اليهم و وراثتهم عنهم فهم مستمسكون في الحاضر بالامر المعدوم و كذلك  
 اهل الحيلة و البصر و التجارب بالامور قد يتوهم بعضهم كالأتي نفسه بذلك و احتياجاً اليه  
 و تجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب الجاه و لا يتملقون لمن هو اعلى  
 منهم و يستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستنكف احدهم عن الخضوع  
 ولو كان للملك و يعده مذلة و هو انما و سفهاً و يحاسب الناس في معاملتهم اياه بمقدار ما يتوهم  
 في نفسه و يتحدث على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك و ربما يدخل على نفسه الهوم  
 و الاحزان من تصيرهم فيه و يستهري عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه او اباية الناس  
 له من ذلك و يحصل له المقت من الناس لما في طماع البشر من التاله و قل ان يسلم احد  
 منهم لاحد في الكمال و الترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من الفهر و الغلبة و الاستطالة  
 و هذا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه و هو مفقود له كما تبين لك

مقتة الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم وقد الجاه لذلك من اهل الطبقة التي هي اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من التعود عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقى في خصاصة وفقر او فوق ذلك بقليل واما الثروة فلا تحصل له اصلاً ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكامل في المعرفة محروم من الحظ وانه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشيء يسر له والله المقدّر لارب سواه ولقد يقع في الدول اضراب في المراتب من اهل هذا الحلق ويرتفع فيها كثير من السفلة وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت بهابتها من التغلب والاستيلاء انفرد منها منبت الملك بملكهم وسلطانهم وبتس من سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم خول له فاذا استمرت الدولة وشيخ الملك تساوى حيثئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرب اليه بنصيحة واصطنعه السلطان لغنائيه في كثير من مهماته فوجد كثيراً من السوقة يسعى في التقرب من السلطان بمجده ونصحه ويتزلف اليه بوجوه خدمته ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع والتملق له ولحاشيته واهل نسبه حتى يربح قدمه معهم وينظمه السلطان في جملة فيحصل له بذلك حظ عظيم من السعادة ويتنظم في عدد اهل الدولة وناشئة الدولة حيثئذ من ابناء قومها الذين ذلوا اضغانهم ومهدوا آكفانهم مغترون بما كان لانائم في ذلك من الاثار لم تسج به نفوسهم على السلطان ويعتدون بانثاره ويجرون في مضار الدولة بسببه فيمقتهم السلطان لذلك ويباعدهم ويميل الى هولاء المصطنعين الذين لا يعتدون بتقديم ولا يذهبون الى دالة ولا ترفع انما دابهم الخضوع له والتملق والاعتمال في غرضه متى ذهب اليه فيتسع جاههم وتعلو منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواطر بما يحصل لهم من قبل السلطان والملكة عنده وبقى ناشئة الدولة فيما هم فيه من الترفع والاعتماد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بعداً من السلطان ومقتاً واثاراً لهؤلاء المصطنعين عليهم الى ان تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدولة ومنه جاء شان المصطنعين في الغالب والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

### الفصل السابع

في ان القايمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والمحظابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب لذلك ان الكسب كما قدمناه قيمة الاعمال وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى به كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها اشد واهل هذه البضائع الدبية لانضطر اليهم عامة الخلق وانما يجناح الى ما عندهم الخواص ممن اقبل على دينه وان احتجج الى الفتيا والقضاء في الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء عن هولاء في الاكثر وانما يهتم باقامة مراسمهم صاحب الدولة بما ناله من النظر في المصالح فيقسم لهم حظاً من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي قررناه لا يساوهم باهل الشوكة ولا باهل الصنائع من حيث الدين والمراسم الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل العمران فلا يصح في قسمهم الا القليل وهم ايضاً لشرف بصائهم أعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظاً يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البصايع الشريفة المشتملة على اعمال الفكر والبدن بل ولا يسعمهم ابتذال انفسهم لاهل الدنيا لشرف بصائهم فهم بمعزل عن ذلك فلذلك لاتعظم ثروتهم في الغالب ولقد باحثت بعض الفصلاء فنكر ذلك علي فوقع بيدي اوراق مخروقة من حسابات الدواوين ندار المامون تشتمل على كثير من الدخل والمخرج وكان فيما طالعت فيه ارزاق النضاة والائمة والمودين فوقفت عليه وعلمت منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا العجب من اسرار الله في خلقه وحكمته في عوالمه والله الخالق القادر لارب سواه

## الفصل الثامن

في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو

وذلك لانه اصيل في الطبيعة وسيط في منجاء ولذلك لاتجده يتخلة احد من اهل الحصر في الغالب ولا من المترفين ويخص متخلة بالمدلة قال صلى الله عليه وسلم وقد رأى السكة ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل وحملة البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه ناب ما يجذر من عواقب الاشتغال بالة الزرع او تجاوز الحد الذي امر به والسبب فيه والله اعلم ما يتبعها من المغرم المفضي الى التحكم واليد العالية فيكون الغارم ذليلاً نائساً بما تتناوله ايدي الفهر والاستطالة قال صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغرمًا اشارة الى الملك الضوض الفاهر للناس الذي معه التسلط والجور ونسيان حقوق الله تعالى في التمولات واعتبار الحقوق كلها مغرم للملوك

والدول والله قادر على ما يشاء والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

اعلم ان التجارة محاولة الكسب بتسوية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء ايام كانت السلعة من رقيق او زرع او حيوان او قماش وذلك القدر النامي يسمى ربحاً فالمحاولة لذلك الربح اما ان يحتزن السلعة ويخيب بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله الى بلد اخر تنفق فيه تلك السلعة اكثر من بلده الذي اشتراها فيه فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة انا اعلمها لك في كلمتين اشتراء الرخيص وبيع الغالي فقد حصلت التجارة اشارة بذلك الى المعنى الذي قررناه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

## الفصل العاشر

في اي اصناف الناس يجترف بالتجارة واهم ينبغي له اجتناب حرفها

قد قدمنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها باغلى من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة الاسواق او نقلها الى بلده فيوافق واطغى او بيعها بالغلاء على الاجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال يسيرا ان المال اذا كان كثيراً عظم الربح لان القليل في الكثير كبير ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في نقاضي اثمانها واهل النصفة قليل فلا بد من العش والتطفيف المحجف بالبضائع ومن المطل في الاثمان المحجف بالربح كتعطيل المحاولة في تلك المدة وبها نمارة ومن المحجود والانكار المسعته لراس المال ان لم يتقيد بالكتاب والتهادة وغناء الحكام في ذلك قليل لان الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك احوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك النافه من الربح الا عظم العناء والمشقة او لا يحصل او يتلاشى راس ماله فان كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد الماحكة مقداماً على الحكام كان ذلك اقرب له الى النصفة مجراً به منهم وما حكنه والافلا بد له من جاه يدرع به يوقع له الهبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني واما من كان فاقداً للجرأة والاقدام من نفسه فاقد الجاه من الحكام فينبغي له ان يجنب الاحتراف بالتجارة

لانه يعرض ماله للضياع والذهاب و يصير ما كلة للباعة ولا يكاد يتصف منهم لان  
الغالب في الناس وخصوصاً الرعاى والباعة شرمون الى ما في ايدي الناس سواء متوثبون  
عليه ولولا وازع الاحكام لاصبحت اموال الناس نهياً ولولا دفع الله الناس بعضهم بعض  
لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين

### الفصل المحادي عشر

في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك

وذلك ان التجار في عالم احوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من المكايسة  
ضرورة فان اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي اعني خلق المكايسة بعيدة عن المروءة  
التي تخلق بها الملوك والاشراف واما ان استرذل خلقه بما يتبع ذلك في اهل الطبقة السفلى  
منهم من المماحكة والغش والخلاية وتعاهد الايمان الكاذبة على الاثمان رداً وقبولاً فاجدر  
بذلك المخلق ان يكون في غاية المذلة لما هو معروف ولذلك تجرد اهل الرياسة يتعامون  
الاحتراف بهذه الحرفة لاجل ما يكسب من هذا المخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا  
المخلق ويتعاماه لشرف نفسه وكرم جلاله الا انه في النادر بين الوجود والله يهدي من يشاء  
بفضله وكرمه وهورب الاولين والاخرين

### الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر للسلع

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الا ما نعم الحاجة اليه من الغني والفقير  
والسلطان والسوقة اذ في ذلك نفاق سلعة واما اذا اخنص نقله بما يحتاج اليه البعض  
فقط فقد يتعذر نفاق سلعة حينئذ باعواز الشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض  
فتكسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من  
صنفها فان العالي من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم  
الاقل واما يكون الناس اسوة في الحاجة الى الوسط من كل صنف فليتغير ذلك جهده  
ففيه نفاق سلعة او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او في شدة الخطر  
في الطرقات يكون اكثر فائدة للتجار واعظم ارباحاً واكمل بمجولة الاسواق لان السلعة  
المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها مكانها او شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها  
ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت اثمانها واما اذا كان البلد قريب المسافة والطريق

سابل بالامن فانه حينئذ يكتر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها ولهذا تجد التجار الذين يولعون بالدخول الى بلاد السودان أرفه الناس وأكثرهم اموالاً لبعدهم طريقهم ومشقتهم واعتراض المفازة الصعبة المحظرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن معلومة يهتدي اليها ادلاء الركبان فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده الا الاقل من الناس فيجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فنخص بالغلاء وكذلك سلعا لديهم فتعظم بضائع التجار من تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك المسافرون من بلادنا الى المشرق لعد الشقة ايضاً واما المترددون في افق واحد ما بين امصاره وبلدانه ففائدتهم قليلة وارباحهم نافية لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله هو الرزاق ذو القوة المتين

### الفصل الثالث عشر

#### في الاحتمار

وما اشهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحين اوقات الغلاء مشوم وانه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لحاجتهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطراراً فتبقى النفوس متعلقة به وفي تعلق النفوس بما لها سر كبير في و بالله على من ياخذةً مجاناً ولعله الذي اعتبره الشارع في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن مجاناً فالنفوس متعلقة به لا عطاء ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس اليها وانما يعتمهم عليها التفتن في الشهوات فلا يبذلون اموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما اعطوه فلها يكون من عرف بالاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعتها لما ياخذة من اموالهم فيفسد رجحة والله تعالى اعلم . وسمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الالبي قال حضرت عند القاضي بناس لعهد السلطان ابي سعيد وهو النقيب ابو الحسن المليبي وقد عرض عليه ان يبخار بعض الالقب الخزنية لجرايته قال فاطرق ملياً ثم قال لهم من مكس الخمر فاستضحك المحاضرون من اصحابه وعجبوا وسالوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجبايات كلها حراماً فاختر منها ما لا تنالعه نفس معطيه والخمر قل ان يبذل فيها احد ماله الا وهو طرب مسرور بوجوده غير أسف عليه ولا متعلقة به نفسه وهذه ملاحظة غريبة والله سبحانه وتعالى يعلم ما تكن الصدور



## الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمخترفين بالرخص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدمناه انما هو بالصنائع او التجارة والتجارة هي شراء البصائع والسلع وادخارها بتعين بها حوالة الاسواق بالزيادة في اثمانها ويسى ربحاً ويحصل منه الكسب والمعاش للمخترفين بالتجارة دائماً فاذا استديم الرخص في سلعة او عرض من مأكول او ملبوس او ممول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فسد الربح والغناء بطول تلك المدة وكسدت سوق ذلك الصنف ففقد التجار عن السعي فيها وفسدت رؤوس اموالهم واعتبر ذلك اولاً بالزرع فانه اذا استديم رخصه يفسد به حال المخترفين سائر اطواره من الملح والزراعة لقلته الربح فيه وتدارته او فقده فيفقدون النماء في اموالهم او يجذونه على قلة ويعودون بالانفاق على روس اموالهم وفسد احوالهم ويصبرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المخترفين ايضاً بالطحن والخبز وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرث الى صيرورته مأكولاً وكذا يفسد حال الجند اذا كانت ارزاقهم من السلطان على اهل الملح زرعاً فانها نقل جبايتهم من ذلك ويعجزون عن اقامة الجندية التي هي سببها ومطالبون بها ومنقطعون لها فتمسد احوالهم وكذا اذا استديم الرخص في السكر والعسل فسد جميع ما يتعلق به وقعد المخترفون عن التجارة فيه وكذا الملبوسات اذا استديم فيها الرخص فاذا الرخص المفرط يحجب بمعاش المخترفين بذلك الصنف الرخيص وكذا الغلاء المفرط ايضاً وانما معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة الاسواق وعلم ذلك يرجع الى العوائد المتفرقة بين اهل العمران وانما يحمى الرخص في الررع من بين المبيعات لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين الغني والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر في العمران فيعم الرفق بذلك ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين والله سبحانه وتعالى رب العرش العظيم

## الفصل الخامس عشر

في ان خلق التجارة نارلة عن خلق الروساء وبعيدة من المروءة

قد قدمنا في الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع والشراء وجلب العوائد والارباح ولا بد في ذلك من المكايسة والمحاكمة والتخلف وممارسة الخصومات واللجاج

وهي عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف نقص من الذكاء والمرورة وتخرج فيها لان  
الافعال لا بد من عود آثارها على النفس فافعال الخير تعود بآثار الخير والركاء وافعال  
الشر والسفسفة تعود بصد ذلك فتتمكن وترسخ ان سفت وتكررت وتنقص خلال الخير  
ان تاخرت عنها بما ينقطع من اثارها المذمومة في النفس شأن الملكات الناشئة عن الافعال  
وتتفاوت هذه الاثار بتفاوت اصناف التجار في اطوارهم من كان منهم سافل الطور محالفاً  
لاشرار الباعة اهل الغش والخلافة والتجور في الاثمان اقراراً وانكاراً كانت رداة تلك  
المخلق عنه اشد وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المرورة واكتسابها بالجملة والا فلا بد له  
من تاثير المكايسة والمماحكة في مروته وفقدان ذلك منهم في الجملة ووجود الصف الثاني  
منهم الذي قدمناه في الفصل قبله انهم يدرعون بالجاه ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم  
بادر واقل من النادر وذلك ان يكون المال قد يوجد عنده دفعة سوع غريب او ورثة  
عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على الاتصال باهل الدولة وتكسبه طهوراً  
وتشهره بين اهل عصره فيرتفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به من  
وكلائه وحشمه ويسهل له الحكماء الصفه في حقوقهم بما يؤسونه من ربه واتخافه فيبعدونه  
عن تلك الخلق بالبعد عن معاناه الافعال المنتصية لها كما مر فتكون مروتهم ارسخ واعد  
عن تلك الحاجة الا ما يسري من آثار تلك الافعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون  
الى مشاركة احوال اولئك الوكلاء ووافقهم او خلاصهم فيما ياتون او يذرون من ذلك الا  
انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعملون

### الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم

اعلم ان الصناعة هي ملكة في امر عملي فكري وكونه عملياً هو جسماني محسوس والاحوال  
الجسمانية المحسوسة تنقلها بالمباشرة اوعب لها واكمل لان المباشرة في الاحوال الجسمانية  
المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة  
بعد اخرى حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل المعاينة اوعب واتم من  
نقل الخبر والعلم فالملكة الحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر وعلى قدر  
جودة التعليم وملكة المتعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع  
منها البسيط ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات والمركب هو الذي

يكون للكليات والمتقدم منها في التعليم هو البسيط لبطافته أولاً ولأنه مخصص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصاً ولا يزال الفكر يخرج اصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنطاق شيئاً فشيئاً على التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في ازمان واجيال اذ خروج الاشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة لاسيما في الامور الصاعية فلا بد له اذن من زمان ولهذا تجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة ولا يوجد منها الا السيط فاذا تزايدت حضارتها ودعت امور الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى الفعل وتنقسم الصنائع ايضاً الى ما يختص بامر المعاش ضرورياً كان او غير ضروري والى ما يختص بالفكر التي هي خاصة الانسان من العلوم والصنائع والسياسة ومن الاول الحياكة والحجارة والنجارة والحداة وامثالها ومن الثاني الوراقة وهي معاينة الكتب بالانتساخ والتجليد والغناء والشعر وتعليم العلم وامثال ذلك ومن الثالث الجندية وامثالها والله اعلم

### الفصل السابع عشر

في ان الصنائع انما تكمل بكامل العمران الحضري وكثرته والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوفوا العمران الحضري وتمتد المدينة انما هم في الضروري من المعاش وهو تحصيل الاقوات من المحنطة وغيرها فاذا تمتد المدينة وتزايدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف الرائد حينئذ الى الكمالات من المعاش تمام الصنائع والعلوم انما هي للاسنان من حيث فكره الذي يميز به عن الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو مقدم لضرورته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأق فيها حينئذ واستجابة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة واما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا السيط خاصة المستعمل في الضروريات من نجار او حداد او خياط او حائك او جزار واذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجابة وانما يوجد منها بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غيرها وليست مقصودة لذاتها واذا زخر بحر العمران وطلت فيه الكمالات كان من جملتها التأق في الصنائع واستجابتها فكملت بجميع متماتها وتزايدت صنائع اخرى معها ما تدعو اليه عوائد الترف واحواله من جزار ودباغ وخرار وصنائع وامثال ذلك وقد تنهت هذه الاصناف اذا استبحر العمران الى ان

يوجد منها كثير من الكمالات والتأنيق فيها في الغاية وتكون من وجوه المعاش في المصر لمنقلها بل تكون فائدتها من اعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف في المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطلاخ والسفاح والهراش ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعو اليها الترف في المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجاً عن الحد كما بلغنا عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الطيور العجم والمحبر الاسية وتخييل اشياء من العجائب بايهاهم قلب الاعيان وتعليم الحداء والرقص والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الاثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة اُدام الله عمرانها بالمسلمين

### الفصل الثامن عشر

في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو رسوخ المحاصرة وطول امده والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد للعمران والاوان والعوائد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحکم صبغة ذلك وترسخ في الاجيال واذا استحكمت الصبغة عسر بزورها ولهذا نجد في الامصار التي كانت استجرت في المحاصرة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الامصار المستعذبة العمران ولو بلغت مسالغها في الوفور والكثرة وما ذاك الا لان احوال تلك القديمة العمران مستحكمة راسخة بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية بعد وهذا كالحال في الابدلس لهذا العهد فانما نجد فيها رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو اليه عوائد امصارها كالمناهي والظنج واصاف الغناء واللهو من الالات والاوتار والرقص وتصيد الفرش في القصور وحسن الترتيب والاوزاع في البناء وصوغ الآبة من المعادن والحرف وجميع المواعين واقامة اللوائم والاعراس وسائر الصنائع التي يدعو اليها الترف وعوائده فنجدهم اقوم عليها وانصر بها ونجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على حصة موفورة من ذلك وحظ متميز بين جميع الامصار وان كان عمرانها قد تناقص والكتير منه لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدو وما ذاك الا لما قدمناه من رسوخ المحاصرة فيهم برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدها من دولة الطوائف وهلم

جرّاً فبلغت الحاضرة فيها مبلغاً لم تبلغه في قطر الا ما ينقل عن العراق والشام ومصر ايضاً  
 لطول امداد الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع وكملت جميع اصنافها على الاستجمادة  
 والتنميق وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران لاتفارقة الى ان ينتفض بالكليّة حال الصنع  
 اذا رشح في الثوب وكذا ايضاً حال نوس فيما حصل فيها بالحاضرة من الدول الصنهاجية  
 والموحدين من بعدهم وما استكمل لها في ذلك من الصنائع في سائر الاحوال وان كان ذلك  
 دون الاندلس الا انه متضاعف برسوم منها تنقل اليها من مصر لقرب المسافة بينها وتردد  
 المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة ووربما سكن اهلها هناك عصوراً فينقلون من عوائد  
 ترفهم ومحكم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت احوالها في ذلك متشابهة من  
 احوال مصر لما ذكرناه ومن احوال الاندلس لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس حين  
 الجلاء لعهد المائة الساعة ورسخ فيها من ذلك احوال وان كان عمرانها ليس بما سبب لذلك  
 لهذا العهد الا ان الصنعة اذا استحكمت قليلاً ما تحول الازوال محلها وكذا نجد بالتدريج وان  
 ومراكش وقلعة من حماد اثراً باقياً من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خراباً او في حكم  
 الحراب ولا يتفطن لها الا الصير من الناس فيعد من هذه الصنائع اثاراً تدل على ما كان  
 بها كأثر الخط المحموي في الكتاب والله المخلّاق العليم

### الفصل التاسع عشر

في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالها

والسبب في ذلك ظاهر وهو ان الانسان لا يسمع بعمله ان يقع مجاناً لانه كسبه ومنه  
 معاشه اذا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه فلا يصرّفه الا فيما له قيمة في مصر  
 ليعود عليه بالنفع وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق كانت حينئذ الصناعة  
 بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع فتحثد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون  
 منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها فاخصت  
 بالترك وفقدت للاهال ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه قيمة كل امرء ما يحسن بمعنى ان  
 صناعته هي قيمته اي قيمة عمله الذي هو معاشه وايضاً فهنا سراً وهو ان الصنائع واجادتها  
 انما تطلبها الدولة فهي التي تنفق سوقها وتوجه الطلبات اليها وما لم تطلبها الدولة وانما يطلبها  
 غيرها من اهل المصرف ليس على نسبتها لان الدولة هي السوق الاعظم وفيها نفاق كل شيء  
 والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فما نفق منها كان اكثرياً ضرورة والسوق وان طلما

الصناعة فليس طلبهم نعاماً ولا سوقهم منافقة والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

### الفصل العشرون

في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع

وذلك لما بينا ان الصنائع انما تستجد اذا احتيج اليها وكثر طلبها واذا ضعفت احوال المصر واخذ في الهرم بانتقاض عمراه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا الى الاقتصار على الصرورى من احوالهم فتقل الصنائع التي كانت من تواع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه فينفرد الى غيرها او يموت ولا يكون خلف منه فيذهب رسم تلك الصنائع جملة كما يذهب النقاشون والصواع والكتاب والنساخ وامثالهم من الصنائع لحاجات الترف ولا تزال الصاعات في التناقص ما رال المصر في التناقص الى ان تصحل والله المخلق العليم وسبحانه وتعالى

### الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب اعد الناس عن الصنائع

والسبب في ذلك انهم اعرق في الدوا واعد عن العمران الحضري وما بدعوا اليه من الصنائع وغيرها والعجم من اهل المشرق وامم النصرانية عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها لانهم اعرق في العمران الحضري واعد عن الدوا وعمراه حتى ان الابل التي اعادت العرب على التوحش في الفجر والاعراق في الدوا مفنودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها والرهال الهينة لتاجها ولهذا نجد اوطان العرب وما ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب اليه من قطر اخر وانظر ملاد العجم من الصين والهد وارص الترك وامم النصرانية كيف استكثر فيهم الصنائع واستجد بها الامم من عندهم وعجم المغرب من الررم مثل العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ احقاب من السنين وبتهد لك بذلك قلة الامصار قطره كما قدمناه فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحسنة الا ما كس من صاعة الصوف من سبيج والجلد في خرز ودينه فانهم لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون هذين اغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال البداوة واما المشرق فقد رسخ الصنائع فيه منذ ملك الامم الاقدمين من العرس والنبط والقبط وني اسرائيل ويونان والروم احقاباً متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن جعلتها الصنائع كما قدمناه فلم يحجر رسمها واما اليمن والبحرين وعمان والبحرين وان ملكه العرب الا

انهم تداولوا ملكة الافأ من السنين في ام كثيرين منهم واخطوا امصاره ومدنه وبلغوا  
الغاية من الحضارة والترف مثل عاد وثمود والعمالة وحير من بعدهم والتباعة والاذواء  
فضال امد الملك والحضارة واستحكمت صنعها وتوفرت الصنائع ورسمت فلم تلبى الدولة  
كما قدمناه فبقيت مستعدة حتى الان واخصت بذلك الوطن كصناعة الوشي والعصب وما  
يستجد من حوك الثياب والحرب فيها والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

### الفصل الثاني والعشرون

فبين حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد ملكة في اخرى

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها ورسمت في نفسه فلا يجيد من  
بعدها ملكة النجارة او البناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صنعها والسبب  
في ذلك ان الملكات صفات للنفس واللون فلا تردحم دفعة ومن كان على الفطرة كان  
اسهل لقبول الملكات واحسن استعداد لحصولها فاذا تلوت النفس بالملكة الاخرى  
وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة فكان  
قوتها للملكة الاخرى اضعف وهذا بين بشهادة الواحد فقل ان تجد صاحب صناعة  
يحكمها تم يحكم من بعدها اخرى ويكون فيها معاً على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان اهل  
العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم واجادها  
في الغاية فقل ان يجيد ملكة علم اخر على سببه بل يكون مقصراً فيه ان طلبه الا في الاقل  
النادر من الاحوال ومبني سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلوينه بلون الملكة  
الحاصلة في النفس والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لا رب سواه

### الفصل الثالث والعشرون

في الاشارة الى امهات الصنائع

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال المتداولة في العمران فهي  
بحيث تشذ عن الحصر ولا ياخذها العد الا ان منها ما هو ضروري في العمران او شريف  
بالموضع فتحضها بالذكر وتترك ما سواها فاما الضروري فالنساء والخياطة والنجارة  
والحياكة واما الشريفة بالموضع فكالنوليد والكتابة والوراقة والغناء والطب فاما التوليد  
فانها ضرورية في العمران وعامة النولى اذ بها يحصل حياة المولود ويتم غالباً وموضوعها  
مع ذلك المولودون وامهاتهم واما الطب فهو حفظ الصحة للاسنان ودفع المرض عنه

ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من الوراثة فهي حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان ومبلغة ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج الافكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود المعاني واما الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع وكل هذه الصنائع الثلاثة داع الى مخالطة الملوك الاعاظم في خلواتهم ومجالس انسهم فلها بذلك شرف ليس لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتاعة وممنهنة في الغالب وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله اعلم بالصواب

## الفصل الرابع والعشرون

### في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة تمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على اتارة الارض لها واردراعها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنبيه الى بلوغ غايته ثم حصاد سنله واستخراج حبه من غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسمايه ودواعيه وهي اقدم الصنائع لما انها محصلة للقوت المكمل لحياة الانسان غالباً اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء من دون القوت ولهذا اخصت هذه الصناعة بالدواذ قدمنا انه اقدم من المحصر وسابق عليه فكانت هذه الصناعة لذلك بدوية لا يقوم عليها المحصر ولا يعرفونها لان احوالهم كلها تانية على الدواذ فصنائعهم تانية عن صنائعها وتابعة لها والله سبحانه وتعالى مقيم العاد فيما اراد

## الفصل الخامس والعشرون

### في صناعة البناء

هذه الصناعة اول صنائع العمران المحصري واقدمها وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للكس والماوى للاندان في المدن وذلك ان الانسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لاندان يفكر فيما يدفع عنه الاذى من الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها والبشر مخلف في هذه الجملة الفكرية ففهم المعتدلون فيها فيتخذون ذلك باعندال اهالي الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس واما اهل الدواذ فيبعدون عن اتخاذ ذلك لقصور افكارهم من ادراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير علاج ثم المعتدلون المتخذون للماوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيحتسون طرق



بعضهم بعضاً فيحتاجون الى حفظ مجدهم بادارة ماء او اسوار تحوطهم و يصير جميعاً مدينة واحدة ومصراً واحداً ويحوطهم المحكام من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الانتصاف ويتخذون المعامل والمحصون لهم ولمن تحت ايديهم مثل الملوك ومن في معانم من الامراء وكبار القنائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصطلحون عليه ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الغنى والفقر وكذا حال اهل المدينة الواحدة فمنهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المستتملة على عدة الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولده وحشيه وعياله وتناعه ويوسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكلس ويعالي عليها بالاصغة والجص ويبالغ في ذلك بالتجديد والتسقي اظهاراً للسلطة بالعناية في شان الماوى وتبيء مع ذلك الاسراب والمطامير للاختزان لاقواته والاسطلات لربط مقراته اذا كان من اهل الجنود وكثرة التناع والحاشية كالامراء ومن في معانم ومهم من بني الدويبة والبيوت لنفسه وسكبه وولده لا يتغي ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقتصاره على الكس الطبيعي للشر وبين ذلك مراتب غير مخصصة وقد يحتاج هذه الصناعة ايضاً لتأسيس الملوك واهل الدول المدن العظيمة والهيكل المرتفعة وبالغون في انقاس الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك واكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما حواليه اذ الاقاليم المتحرفة لاسناء فيها ولما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين ولما يوجد في الاقاليم المعتدلة اهل هذه الصناعة القائمون عليها متعاونون فمهم الصير الماهر ومنهم الفاضل هي تتنوع انواعاً كثيرة فمنها البناء بالحجارة المجدة يقام بها الجدران ماصفاً بعضها الى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كانهما جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير واوسطه اربعة اذرع في ذراعين فيصان على اساس وقد بوعد ما بينهما بما يراه صاحب البناء في عرض الاساس ويوصل بينها باذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينها بلوحيين اخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب محلطاً بالكلس ويركز بالمراكر المعدة حتى ينعم ركزاً ويختلط اجراؤه ثم يزداد التراب ثانياً وثالثاً الى ان يمتلي ذلك الخلاء بين اللوحيين وقد تداخلت اجراء الكلس والتراب وصارت جسماً واحداً ثم يعاد نصب اللوحيين على صورة ويركز كذلك الى ان يتم وينظم الالواح كلها سطر من فوق سطر الى ان ينتظم الحائط كله ملتصقاً كأنه

قطعة واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب ومن صنائع البناء ايضاً ان تجلج الحيطان  
 بالكلس بعد ان يجلب بالماء ويخمر اسبوعاً او اسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن  
 افراط النارية المفسدة للحام فاذا تم له ما يرصده من ذلك علاه من فوق الحائط  
 وذلك الى ان يلغم ومن صنائع البناء عمل السقف بان يمد الخشب المحكمة لنجارة او الساذجة  
 على حائطي البيت ومن فوقها الالواح كذلك موصولة بالدايات ويصب عليها التراب  
 والكلس ويسط بالمراكر حتى تتداخل اجزاؤها وتلغم ويغلى عليها الكلس كما يغلى على  
 الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التنيق والتزين كما يصنع من فوق الحيطان  
 الاشكال المجسمة من الحصى يخمر بالماء ثم يرجع جسداً وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب  
 تخريماً بمناقب الحديد الى ان يبقى له رونق ورواء وربما عولي على الحيطان ايضاً تقطع  
 الرخام والاجر والحرف او بالصدف او السبع يفصل اجزاء متجانسة او مختلفة وتوضع في  
 الكلس على سبب واطراف مفتردة عندهم يدويه الحائط للعيان كانه قطع الرياض المتممة  
 الى غير ذلك من بناء الجباب والصهاريج لسفح الماء بعد ان تعد في البيوت قصاع الرخام  
 القوراء المحكمة الخراط بالفوهات في وسطها لنوع الماء الجاري الى الصهرج يجلب اليه من  
 خارج في القنوات المنضبة الى البيوت وامثال ذلك من انواع البناء وتختلف الصناعات في  
 جميع ذلك باختلاف الحدق والبصر ويعظم عمران المدينة ويتسع فيكثر ون وربما  
 يرجع الحكم الى نظر هولاء فيما هم ابصر به من احوال البناء وذلك ان الناس في المدن  
 لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء الاعلى والاسفل ومن الانتفاع  
 بظواهر البناء ما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيجمع جاره من ذلك الاماكان  
 له فيه حتى ويخلفون ايضاً في استحقاق الطرق والمنازل للمياه الجارية والفصالات المسربة  
 في القنوات وربما يدعي بعضهم حتى بعض في حائطه او علوه او قناته لتصايق الجوار او  
 يدعي بعضهم على جاره اختلال حائطه خشيبة سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع  
 ضرره عن جاره عند من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين شريكين بحيث لا يقع  
 معها فساد في الدار ولا اهمال لمنعتها وامثال ذلك ويخفي جميع ذلك الاعلى اهل البصر  
 العارفين بالبناء وحواله المستدلين عليها بالمعاقد والتمط ومراكر الخشب وميل الحيطان  
 واعندالها وقسم المساكن على سبب اوضاعها ومافعها وتسريب المياه في القنوات مجلوبة  
 ومرفوعة بحيث لا تنصبها مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلم بهذا كله البصر  
 والخبرة التي ليست لغهرهم وهم مع ذلك يخلفون بالجودة والقصور في الاجيال باعتبار

الدول وقوتها فانا قدمنا ان الصنائع وكالها انما هو بكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لها فلذلك عندما تكون الدولة بدوية في اول امرها تنفق في امر البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد ابن عبد الملك حين اجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى ملك الروم بالتسطنطينية في الفعلة المهرة في البناء فبعث اليه منهم من حصل له غرضه من تلك المساجد وقد يعرف صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل نسوية الحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك فيحتاج الى الصبر بشيء من مسائله وكذلك في جرات ائثال لاهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة الكبيرة يعجز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها من الحائط فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله في المعانيق من انقاب مقدره على سب هندسية تصير الثقل عند معاناة الرفع خفيفاً فيتم المراد من ذلك غير كلفة وهذا انما يتم باصول هندسية معروفة متداولة بين الشرور وبمثالها كان بناء الهياكل الماثلة لهذا العهد التي يحسب انها من بناء الجاهلية وان ابدانهم كانت على نسبتها في العظم الجسماني وليس كذلك واسما تم لهم ذلك بالحيل الهندسية كما ذكرناه فنتم ذلك والله يخلق ما يشاء سبحانه

## الفصل السادس والعشرون

### في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للادمي في كل مكوّن من المكوّنات منافع تكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها الشجر فان له فيهِ من المنافع ما لا ينحصر ما هو معروف لكل احد ومن منافعها اتخاذها خشباً اذا يست واول منافعها ان يكون وقوداً للديران في معاشهم وعصياً للاتكاء والدود وغيرها من ضرورياتهم ودعائم لما يخشى ميله من اتقالم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل الدو فيتخذون منها العمود والاوراد لحيامهم والحروج لظعائهم والرماح والسي والسهام لسلاحهم واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاغلاق لابوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشبة مادة لها ولا تصير الى الصورة الخاصة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المهضلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب اولاً اما بخشب اصغر منه او الواح ثم تركيب تلك النصال بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعتوه

اعداد تلك الفضائل بالانتظام الى ان تصير اعضاء لذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت المحاصرة وجاء الترف وتائق الناس فيها يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي او ماعون حدث التائق في صناعة ذلك واستجداته بغرائب من الصناعة كمالية ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل تهئية القطع من الخشب بصناعة الخراط بحكم برئها ونشكيلها تم تولف على سب مقدرة وتعلم بالداستار فندو لراي العين ملتخمة وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجى اتق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الالات المتخذة من الخشب من اي نوع كان وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في انشاء المراكب البحرية ذات الالواح والدسروي اجرام هندسية صنعت على قالب المحوت واعتبار سبجه في الماء فتوادمه وكلكله ليكون ذلك الشكل اعون لها في مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسبك تحريك الرياح وربما اعينت بحركة المفاذيف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى اصل كبير من الهندسة في جميع اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير اما عموماً او خصوصاً وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع الى المهندس ولهذا كان ائمة الهندسة اليونانيون كلهم ائمة في هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول في الهندسة نجاراً وبها كان يعرف وكذلك المويوس صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الخليفة هو سوح عليه السلام وبها انشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزة عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكناً اعني كونه نجاراً الا ان كونه اول من علمها او تعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لعد الاماد وانما معناه والله اعلم الاشارة الى قدم النجارة لانه لم يصح حكاية عنها قبل خبر سوح عليه السلام فجعل كانه اول من تعلمها فتمم اسرار الصنائع في الخليفة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل السابع والعشرون

في صناعة الحياكة والخياطة

هاتان الصناعتان ضرورتان في العمران لما يحتاج اليه البشر من الرفه فالاولى لنسج الغزل من الصوف والكتان والقطن سداً في الطول والحماماً في العرض لذلك النسج

بالالتعام الشديد فيتم منها قطع مفدرة فمنها الأكسية من الصوف للاشتال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس والصناعة النائية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد تنصل او بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلجم تلك القطع بالخياطة الحكمة وصللاً او تنبيتاً او نفضحاً على حسب نوع الصناعة وهذه الصناعة مخصصة بالعمران الحضري لما ان اهل البدو يستغنون عنها وإنما يستملون الاثواب اشتالاً وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها ونفهم هذه في سر تحرير المحيط في المحج لما ان مشروعية المحج مشتملة على سد العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول مرة حتى لا يعلق الصد قلبه بشيء من عوائد ترفوه لا طيباً ولا نساءً ولا مخيطاً ولا خماً ولا تعرض لصيد ولا لشيء من عوائده التي تلونت بها نفسه وخلفه مع انه يتقدها بالموت ضرورة وإنما يجي كانه وارد الى المحشر ضارعاً قلبه محلصاً لربه وكان جزاءه ان تم له اخلاصة في ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه سبحانه ما ارفك عبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم اليك . وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة لما ان الدف ضروري للشر في العمران المعتدل واما المنخرف الى الحر فلا يحتاج اهله الى دف وهذا يلغنا عن اهل الاقليم الاول من السودان انهم عراة في الغالب ولقد تم هذه الصنائع ينسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو اقدم الانبياء وربما يسونها الى هرمس وقد يقال ان هرمس هو ادريس والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم

## الفصل الثامن والعشرون

### في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود الادمي من بطن أمه من الرفق في اخراجه من رحمها وتميئة اسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج على ما نذكر وهي مخصصة بالنساء في غالب الامر لما انهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض وتسمى القائمة على ذلك من هن القائمة استعير فيها معنى الاعطاء والقول كان النساء تعطيهن الجبين وكانها تقبله وذلك ان الجبين اذا استكمل خلقه في الرحم وطواره وبلغ الى غايته والمدة التي قدرها الله لمكته وهي تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله في المولود من النزوع لذلك ويضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مزق بعض جوارب الفرج بالضغط وربما انقطع بعض ما كان من الاغشية من الالتصاق والتعام بالرحم وهذه كلها الام يشتد

لها الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك بعض الشيء بغض الظهر والوركين  
 وما يجاذي الرحم من الاسافل تساقو بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين وتسهيل ما  
 يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهندي الى معرفة عسرة ثم ان اخراج الجنين بقيت بينة  
 وبين الرحم الوصلة حيث كان يتغذى منها متصلة من سرتيه بمعاه وتلك الوصلة عضو  
 فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة من حيث لا يتعدى مكان الفضلة ولا تصر  
 بمعاه ولا رحم أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكي او بما تراه من وجوه الابدمال ثم ان  
 الجنين عند خروجه في ذلك المنفذ الصيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والاشناء  
 فرما تتغير اشكال اعصائه وواضعها لقرب التكوين ورطوبة المواد فتتناوله القابلة  
 بالغز والاصلاح حتى يرجع كل عصب الى شكله الطبيعي ووضعه المقدرة ويرتد خلفه سوياً  
 ثم بعد ذلك تراجع النساء وتحاديها بالغز والملاينة لخروج اغشية الجنين لانها ربما  
 تتأخر عن خروجه قليلاً ويختن عند ذلك ان تراجع الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال  
 خروج الاغشية وهي فضلات فتعمن ويسري عنقها الى الرحم فيقع الهلاك فتجاوز القابلة  
 هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج تلك الاغشية التي كانت قد تأخرت ثم ترجع  
 الى المولود فتمرّخ اعضاءه بالادهاش والذرورات القابضة لتشدّه وتجفف رطوبات الرحم  
 وتحنكه لرفع لهاته وتسعطه لاستفراغ بطون دماغه وتغرغره باللحوق لدفع السدد  
 من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تداوي النساء بعد ذلك من الوهن الذي اصابها  
 بالطلق وما لحق رحمها من ألم الانفصال اذ المولود ان لم يكن عضواً طبيعياً فحالة  
 التكوين في الرحم صيرته بالالتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في اتصاله الم يقرب من  
 الم القطع وتداوي مع ذلك ما يلحق الفرج من الم من جراحة التمزيق عند الضغط في  
 الخروج وهذه كلها ادوية نجد هولاء القوائل ابصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود  
 مدة الرضاع من ادوية في بدنه الى حين الفصال نجد ههنا انصرها من الطبيب الماهر  
 وما ذاك الا لان بدن الانسان في تلك الحالة اما هو بدن اسابي بالقوة فقط فاذا جاوز  
 النصال صار دنًا اسائياً بالهمل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب اشد فبهذا الصناعة  
 كما تراه ضرورية في العمران للنوع الاسابي لا يتم كون اشخاصه في الغالب دونها وقد  
 يعرض لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلق الله ذلك لهم معجزة  
 وخرقاً للعادة كما في حق الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم او بالهام وهداية بلهم لها المولود  
 ويفطر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة فاما شان المعجزة من ذلك فقد وقع

كثيراً ومنه ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد مسروراً مخنوناً واضعاً يديه على الارض شاخصاً ببصره الى السماء وكذلك شان عيسى في المهد وغير ذلك واما شان الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تخصص من بغرائب الالهامات كالنحل وغيرها فما ظنك بالانسان المنصل عليها وخصوصاً بمن اخنص بكرامة الله . ثم الالهام العام للمولودين في الاقبال على الثدي اوضح شاهد على وجود الالهام العام لهم فشان العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا يفهم بطلان راي الفارابي وحكماء الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات وخصوصاً في النوع الانساني وقالوا لو انقطعت اختصاصاً لاستحالة وجودها بعد ذلك لتوقفه على هذه الصناعة التي لا يتم كون الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولوداً دون هذه الصناعة وكفالتها الى حين الفصل لم يتم بقاؤه اصلاً ووجود الصنائع دون الفكر ممنوع لانها ثمرته وتابعة له وتكلف ابن سينتا في الرد على هذا الراي لخالفته اياه وذهاه الى امكان انقطاع الانواع وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانياً لاقتضاءات فلكية واوضاع غريبة تندرج في الاحقاب بزعمه فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه بجمرة مناسبة فيتم كونه انساناً ثم يقبض له حيوان يخلق فيه الهام لتربيته والحنوع عليه الى ان يتم وجوده وفصائله واطيب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة حي بن يقظان وهذا الاستدلال غير صحيح وان كنا نوافقه على انقطاع الانواع لكن من غير ما استدلل به فان دليلاً مني على اسناد الافعال الى العلة الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقدرة القديمة ولا حاجة الى هذا التكلف . ثم لو سلمناه جدلاً فغاية ما ينسب عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الالهام لترتيبه في الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان الالهام يخلق في الحيوان الاعجم فما المانع من خلقه للمولود نفسه كما قررناه اولاً وخلق الالهام في تخصص لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكلا المذهبين شاهدان على انفسهما بالاطلان في منحهما لما قررنه لك والله تعالى اعلم

### الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في المحاضر والامصار دون البادية  
 هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدها فان ثمرتها حفظ  
 الصحة للاصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرء من امراضهم واعلم

ان اصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية راس الداء واصل كل داء البردة فاما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر واما قوله الحمية راس الداء فالحمية الجوع وهو الاحتماله من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم الذي هو اصل الادوية واما قوله اصل كل داء البردة فعنى البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم الاول وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الاسنان وحفظ حيائه بالغذاء يستعمله بالاكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى ان يصير دماً مائلاً لاجراء البدن من اللحم والعظم ثم ناخذه النامية فيقلب لحمًا وعظامًا ومعنى المهضم طبع الغذاء بالحرارة الغريزية طوراً بعد طور حتى يصير حريراً بالفعل من البدن ونفسيره ان الغذاء اذا حصل في الم ولاكنة الاشداق اثرت فيه حرارة الم طبعاً يسيراً وقلت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاماً ثم اجدها مضغاً فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخ حرارة المعدة الى ان يصير كيموساً وهو صنف ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل ما رسب منه في المعائناتاً ينفذ الى المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان يصير دماً عبيطاً وتطفو عليه رغوة من الطبخ في الصراء وترسب منه اجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبع الغليظ منه فهو اللغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول وياخذها طبع الحال الغريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار يطب بمد الروح الحيواني وناخذ النامية ماخذها في الدم فيكون لحمياً ثم غليظه عظاماً ثم يرسل البدن ما يفصل عن حاجاته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللغاب والحاط والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لحمياً ثم ان اصل الامراض ومعظمها هي الحميات وسببها ان الحار الغريزي قد يصعب عن تمام النضج في طبخه في كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضج وسببه غالباً كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون اغلب على الحار الغريزي او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان تستوفي طبع الاول فيستقل به الحار الغريزي ويترك الاول بحالة او يوزع عليها فينصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك الى الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضاً على انضاجه وربما بقي في الكبد من الغذاء الاول فضلة غير ناضجة وترسل الكبد جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق والدمع واللغاب ان اقتدر على ذلك وربما يعجز عن الكثير منه فيبقى في العروق



والكبد والمعدة وتتزايد مع الايام وكل ذي رطوبة من המתزجات اذا لم ياخذ الطبخ والنضج يعفن فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى بالخلط وكل متعفن ففيه حرارة غريبة وتلك هي المساءة في بدن الانسان بالحصى واختبر ذلك بالطعام اذا ترك حتى يتعفن وفي الربل اذا تعفن ايضاً كيف تنبعث فيه الحرارة وتأخذ ماخذها فذا معنى الحميات في الايدان وهي راس الامراض واصلها كما وقع في الحديث وهذه الحميات علاجها نضج الغذاء عن المريض اسابيع معلومة ثم يتناول الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وذلك في حال الصحة علاج في النخبط من هذا المرض واصلة كما وقع في الحديث وقد يكون ذلك العفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في ذلك العضو ويحدث جراحات في البدن اما في الاعضاء الرئيسية او في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث عنه مرض القوى الموجودة له هذه كلها حجاج الامراض واصلها في الغالب من الاغذية وهذا كله مرفوع الى الطبيب ووقوع هذه الامراض في اهل المحصر والامصار اكثر لحصص عيبتهم وكثرة ما كلهم وقلة اقتصارهم على نوع واحد من الاغذية وعدم توقيتهم لتناولها وكثيراً ما يخاطلون بالاغذية من التوابل والتول والعواكه رطماً وباساً في سبيل العلاج بالظن ولا يقتصرون في ذلك على نوع او انواع فربما عددينا في اليوم الواحد من الوان الطبخ اربعين نوعاً من النبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون غريباً عن ملائمة البدن واجزائه ثم ان الاهوية في الامصار تفسد بمخالطة الابجرة العفنة من كثرة الاتصالات والاهوية منشطة للارواح ومقوية نشطاتها الاثر الحار العريزي في الهضم ثم الرياضة مفقودة لاهل الامصار اذ هم في الغالب وادعون ساكنون لا تأخذ منهم الرياضة شيئاً ولا تؤثر فيهم اثرًا فكان وقوع الامراض كثيراً في المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعات واما اهل البدو فاما كونهم قليل في الغالب والجوع اغلب عليهم لقلة الحبوب حتى صار لهم ذلك عادة وربما يضل اهلها جبلة لاستمرارها ثم ادم قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والتواكه انما يدعو الى ترف الحصار الذين هم بمعزل عنه فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخاطلها ويقرب مزاجها من ملائمة البدن واما اهويتهم فقليلة العس لقلة الرطوبات والعفونات ان كانوا اهلين او لاختلاف الاهوية ان كانوا ظوا عن ثم ان الرياضة موجودة فيهم لكثرة الحركة في ركض الحيل او الصيد او طلب الحاجات لمهنة انفسهم في حاجاتهم فيحس بذلك كله الهضم ويجود ويقدر ادخال الطعام على الطعام فتكون امرجهم اصلح وابتعد من الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في

البادية بوجه وما ذاك الا للاستغناء عنه اذ لو احتج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعوهم الي سكناه سنة الله في عباده ولو تجد لسنة الله تديلاً

## الفصل الثلاثون

في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية

وهو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس فهى ثاني رتبة من الدلالة اللغوية وهو صناعة شريفة اد الكتابة من خواص الاسان التي يميز بها عن الحيوان وايضاً فهي تطلع على ما في الضمائر وتنادى بها الاغراض الى اللادالبعيد فتقضي الحاجات وقد دفعت مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الاولين وما كتسوه من علومهم واخبارهم فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع وخروجها في الاسان من القوة الى العمل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناهي في الكلمات والطلب لذلك تكون جودة الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا ان هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اكثر البدو اميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصراً وقراءته غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد النفع واحسن واسهل طريقاً لاستحكام الصنعة فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد وان بها معلمين مستصين لتعليم الخط يلقون على المتعلم قوايين واحكاماً في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه فتعتصد لديه رتبة العلم والحس في التعليم وتاتي ملكته على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانبساط الاعمال وقد كان الخط العربي بالغاً ما بلغه من الاحكام والانتان والجودة في دولة النمامقة لما بلغت من الحصار والترن وهو المسمى بالخط المحميري وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نساء النمامقة في العصبية والمجديدين لملك العرب بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند النمامقة لقصور ما بين الدولتين وكانت الحصاره وقوايعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة لفته اهل الطائف وقرينس فيما ذكر يقال ان الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية ويقال حرب بن أمية واخذها من اسلم بن سدره وهو قول ممكن واقرب ممن ذهب الى انهم تعلموها من ابياد اهل العراق لقول شاعرهم قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعاً والخط والتم

وهو قول بعيد لان ابادا وان نزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على شانهم من البداوة والخط من الصنائع المحصرية واسما معنى قول الشاعر انهم اقرب الى الخط والقلم من غيرهم من العرب لقربهم من ساحة الامصار وصواحيبها فالقول بان اهل الحجاز اسما لقبوها من الحيرة ولفظها الحيرة من التباينة وحير هو الايق من الاقوال وكان الحبير كناية تسمى المسند حروفا منها منصلة وكانوا يمنعون من تعلمها الا باذنهم ومن حير تعلمت مصر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها شان الصنائع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة الى الانقاف والتميق لكون ما بين البدو والصناعة واستغناء البدو عنها في الاكثر وكانت كناية العرب بدوية مثل او قريبا من كتابتهم لهذا العهد او نقول ان كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة لان هؤلاء اقرب الى المحاصرة ومحاطة الامصار والدول واما مصر فكانوا اعرق في البدو وابتعد عن المحصر من اهل اليمن واهل العراق واهل الشام ومصر فكان الخط العربي لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام والانقاف والاجادة ولا الى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظروا ما وقع لاجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عدا اهلها ما اتقى التابعون من السلف رسمهم فيها تتركبا بما رسمه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير الخلق من بعده المثلثون لوجوبه من كتاب الله وكلامه كما يقتضى لهذا العهد خط ولي او عالم تتركوا ويتبع رسمه خطأ او صوابا وابن نسة ذلك من الصحابة فيما كتبه فانتع ذلك وانت رسموا به العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفت في ذلك الى ما يرعمه بعض المعلمين من انهم كانوا محكمين لصناعة الخط وان ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه ويقولون في مثل زيادة الالف في لا اذبحنه انه تبيه على ان الذبح لم يقع وفي زيادة الياء في ما يبد انه تبيه على كمال القدرة الربانية وامثال ذلك مما لا اصل له الا التعمق المحض وما حملهم على ذلك الا اعتقادهم ان في ذلك تزجيرا للصحابة عن توهم النقص في قلته اجادة الخط وحسوا ان الخط كمال فنزهوه عن نقصه وسوا اليهم الكمال باجادته وطلبوا تعليل ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بالصحيح. واعلم ان الخط ليس بكمال في حقهم اذ الخط من حملة الصنائع المدنية المعاشية كما رايته فيما مر والكمال في الصنائع اضافي في كمال مطلق اذ لا يعود نقصة على الذات في الدين ولا في احوال واسما يعود على اسباب المعاش وبحسب العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النوس. وقد كان صلى الله عليه وسلم اميا وكان

ذلك كلاً في حقه وبالنسبة الى مقامه لشرفه وتنزهه عن الصنائع العملية التي هي اسباب المعاش والعمران كلها وليست الامية كلاً في حقنا نحن اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا شان الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان الكمال في حقه هو تنزهه عنها جملة بخلافنا ثم لما جاء الملك للعرب وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة واحتاجت الدولة الى الكتابة استعمالوا الخط وطلبا صناعته وتعلمه وتداولوه فترقت الاجادة فيه واستحكم وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية والخط الكوفي معروف للرسم لهذا العهد ثم تشر العرب في الاقطار والممالك وافتتحو افرقية والاندلس واخط بنو العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لما استجرت في العمران وكات دار الاسلام ومركز الدولة العربية وكان الخط البغدادي معروف للرسم وتبعه الافريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد ويقرب من اوضاع الخط المشرقي وتميز ملك الاندلس بالامويين وتميزوا باحوالهم من الحصار والصنائع والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف للرسم لهذا العهد وطلبا بجزر العمران والحصارة في الدول الاسلامية في كل قطر وعظم الملك وبقت اسواق العلوم واستحمت الكتب واجيد كتبها وتجليدها وملئت بها الفصور والحرائر الملوكية بما لا كفاءة وتنافس اهل الاقطار في ذلك وتناغوا فيه ثم لما انحل نظام الدولة الاسلامية وتناقضت تناقض ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافه فانتقل شابهها من الخط والكتابة بل والعلم الى مصر والقاهرة فلم ترل اسواقها بها نافقه لهذا العهد وله بها معلمون يرسمون لتعليم الحروف بقواين في وضعها واشكالها متعارفة بينهم فلا يلك المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف على تلك الاوضاع وقد لفتها حسناً وخذق فيها درنة وكناناً واخذها قواين علمية فبحي احس ما يكون واما اهل الاندلس فافترقوا في الاقطار عند ثلاثي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلست عليهم ام النصرانية فانتشروا في عدى المغرب وافريقية من لدن الدولة الممتوية الى هذا العهد وشاركوا اهل العمران بالدينهم من الصنائع وتعلقوا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط الافريقي وعنى عليه ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عواندهما وصنائعها وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم الاندلسي بتونس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها عند الجالية من شرق الاندلس وبقي منه رسم بلاد الجريد الذين لم يخاطوا كتاب الاندلس ولا ترمسوا بجوارهم اما كان يغدون على دار الملك تونس فصار خط اهل افريقية من احس خطوط اهل

الاندلس حتى اذا تقلص ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع امر الحضارة والترقي  
بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه التعليم بفساد  
الحضارة وتناقص العمران وقيمت فيه اتار الخط الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما  
قدمناه من ان الصنائع اذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها وحصل في دولة بني مرين من  
بعد ذلك بالمغرب الاقصى لون من الخط الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج  
منهم الى فارس قريباً واستعمالهم ايام سائر الدولة وسي عهد الخط فيما بعد عن سدة  
الملك وداره كانه لم يعرف فصارت الخطوط نافرقة والمغربيين مائلة الى الرداء بعيدة  
عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمنصفها منها الا العناء والمشقة  
لكثرة ما يقع فيها من الساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد  
تقرأ الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله اعلم

## الفصل المحادي والثلاثون

في صناعة الوراقة

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيحها  
بالرواية والوسط وكان سبب ذلك ما وقع من ضحامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب  
ذلك لهذا العهد نذهب الدولة وتناقص العمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بحر  
زاخر بالعراق والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة وبقا اسواق  
ذلك لديهما فكثرت التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الافاق  
والاعصار فانتمت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعايين للاتساع والتصحيح  
والتجليد وسائر الامور الكتبية والدواوين واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت  
السجلات اولاً لاتساع العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في  
الرقوق المهمة بالصناعة من الجلد لكثرة الرفه وقلة التأليف صدر الملة كما نذكره وقلة  
الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقصر واعلى الكتاب في الرق تشريراً للكتوبات  
وميلاً بها الى الصحة والاتقان ثم ظم بحر التأليف والتدوين وكثير ترسيل السلطان وصكوكه  
وضاق الرق عن ذلك فانشار الفصل س بجي بصناعة الكاغد وصنعة وكتب فيه رسائل  
السلطان وصكوكه واتخذها الناس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت  
الاجادة في صناعتها ماشاءت ثم وقفت عناية اهل العلوم وهم اهل الدول على ضبط الدواوين

العلمية وتصحيحها بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها لانه الشان الاهم من التصحيح والصبط فذلك تسند الاقوال الى قائلها والفتيا الى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها وما لم يكن تصحيح المتن باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قول لم ولا فتيا وهكذا كان شان اهل العلم وحملته في العصور والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة الحديثية في الرواية على هذه فقط اذ ثمرتها الكبرى من معرفة صحيح الاحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت ونحست زدة في ذلك الامهات المتلقاة بالقبول عند الامه وصار القصد الى ذلك لغواً من العمل ولم تنق ثمره الرواية والاستغناء بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتأليف العلمية واتصال سدها بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق والاندلس لمعددة الطرق واضحة المسالك ولهذا نجد الدواوين المستسخة لذلك العهد في اقطارهم على عاية من الانفاق والاحكام والصحة ومنها لهذا العهد بايدي الناس في العالم اصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك واهل الافاق يتناقلونها الى الان ويشدون عليها يد الصناعة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب واهله لانقطاع صناعة الخط والصبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداءة اهله وصارت الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط البدوية تنسخها طلبة الدرر صحائف مستعجبة برداءة الخط وكثرة السواد والتصحيف فتستغلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر وايضاً فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن ائمة المذهب وانما تلتقى من تلك الدواوين على ما هي عليه ونوع ذلك ايضاً ما يتصدى اليه بعض ائمتهم من التأليف لقله بصرفهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالاحياء وهي على الاصحاحلال فقد كاد العلم ينقطع بالكلية من المغرب والله غالب على امره وبلغنا لهذا العهد ان صناعة الرواية قائمة بالمشرق وتصحيح الدواوين لمن يرومه بذلك سهل على متبعيه لنفاق اسواق العلوم والصنائع كما تذكره بعد الا ان الخط الذي بقي من الاجادة في الاتساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم واما النسخ بصر ففسد كما فسد بالمغرب واشد والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل الثاني والثلاثون

### في صناعة الغناء

هذه الصناعة هي تلحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات على نسب منتظمة معروفة بوقع كل صوت منها توقيتاً عند قطعه فيكون نغمة تم تولف تلك النغم بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات تنتاسب فيكون صوت نصف صوت وربع اخر وخمس اخر وجزء من احد عشر من اخر واخلاف هذه السبب عند ناديتها الى السمع بخروجها من الساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذاً عند السماع بل تراكيب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو المذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى من الجادات اما بالقرع او بالنخ في الآلات تتخذ لذلك فترى لها لذة عند السماع فمنها لهذا العهد اصناف منها ما يسمونه التسبنة وهي قصة جوفاء بانجاش في جواربها معدودة ينفع فيها فتصوت فيخرج الصوت من جوفها على سداده من تلك الانجاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليمين جميعاً على تلك الانجاش وضعاً متعارفاً حتى تحدث السبب بين الاصوات فيه وتصل كذلك متناسية فيلذ السمع نادراً كما للتناسب الذي ذكرناه ومن حنس هذه الالة المرمار الذي يسمى الرلامي وهو شكل القصة منجوتة الجاسين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اثلاها من قطعتين مفردتين كذلك بانجاش معدودة ينفع فيها بقصة صغيرة توصل فيسند النخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة يجري فيها من تقطيع الاصوات من تلك الانجاش بالاصابع مثل ما يجري في التسبنة ومن احسن الات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار الذراع يتسع الى ان يكون ابراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل يري النظم وينفع فيه بقصة صغيرة تودي الريح من النظم اليه فيخرج الصوت تخيناً دويماً وفيه انجاش ايضاً معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذوذاً ومنها الات الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من الكرة مثل المربط والرباب او على شكل مربع كالفانون توضع الاوتار على بساطها مشدودة في راسها الى دساتر جائلة لياتي شد الاوتار ورخوها عند الحاجة اليه بادارتها ثم تفرع الاوتار اما بعود اخر او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر

عليها بعد ان يطلّى بالشمع والكندز ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امراره او نقله من  
 وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع الات الاوتار توقع باصابعها على اطراف  
 الاوتار فيما يقرع او يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملندودة وقد يكون القرع في  
 الطسوت بالنضبان او في الاعواد بعضها بعض على توقيع مناسب يحدث عنه التذاذ  
 بالسموع ولنين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك ان اللذة كما نقرر في  
 موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة  
 كانت ملندودة واذا كانت منافية له مافرة كانت مولة فالملائم من الطعوم ما ناسب  
 كقيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملموسات وفي الروائح ما ناسب مزاج  
 الروح القلبي البحاري لانه المدرك واليه تؤدي الحاسة ولهذا كانت الرياحين والارهار  
 العطريات احسن رائحة واشد ملائمة للروح لعللة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح  
 القلبي واما المرئيات والسموعات فالملائم فيها تناسب الاوضاع في اشكالها وقيمتها فهو  
 انسب عند العس واشد ملائمة لها فاذا كان المرئي متناساً في اشكاله وتخطيطه التي  
 له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك  
 هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حيثئذ مناسباً للنفس المدركة فتلذذ  
 بادراك ملائمتها ولهذا نجد العاشقين المستهترين في المحبة يعبرون عن عاية محبتهم وعشقتهم  
 بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب وفي هذا سرّ تنبهه ان كنت من اهله وهو اتحاد المدا  
 وان كان ما سواك اذا نظرته وتاملته رأيت بينك وبينه اتحاداً في البداية يشهد لك به  
 اتحاد كما في الكون ومعناه من وجه اخر ان الوجود يشرك بين الموجودات كما نقوله  
 الحكماء فتمود ان تبرز بمشاهدات فيه الكمال لتحد به بل تروم النفس حيثئذ الخروح عن  
 الوهم الى الحقيقة التي هي اتحاد المدا والكون ولما كان انسب الاشياء الى الاسان واقربها  
 الى ان يدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكلة الانساني فكان ادراكه للجمال والحسن  
 في تخطيطه واصواته من المدارك التي هي اقرب الى فطرته فيلح كل اسان بالحسن من  
 المرئي او المسموع بمقتضى الفطرة والحسن في المسموع ان تكون الاصوات متناسبة لامتنافرة  
 وذلك ان الاصوات لها كفيات من الهمس والمجهر والرخاوة والشدة والقلقة والضغط  
 وغير ذلك والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن فاولاً ان لا يخرج من الصوت  
 الى مده دفعة بل تدرج ثم يرجع كذلك وهكذا الى المثل بل لا بد من توسط المغاير  
 بين الصوتين وتامل هذا من افتتاح اهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة او



المقارنة المخارج فانه من باه وثانياً تناسبها في الاجزاء كما مرّ اول الباب فيخرج من الصوت الى نصفه او ثلثه او جزء من كدامه على حسب ما يكون التنقل متناسباً على ما حصره اهل الصناعة فاذا كانت الاصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره اهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة ومن هذا التناسب ما يكون بسيطاً ويكون الكثير من الناس مطوعاً عليه لا يجناحون فيه الى تعليم ولا صناعة كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وامثال ذلك ونسى العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من القراء بهذه المثابة يقرؤون القرآن فيجدون في تلاحين اصواتهم كأنها المزمار فيطربون بحسن مساقم وتناسب نغماتهم ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطباع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد عند ذكر العلوم وقد انكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين واجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي فانه لا ينبغي ان يخلف في حظره اذ صناعة الغناء مابينة للقرآن بكل وجه لان القراءة والاداء تحتاج الى مقدار من الصوت لتعين اداء الحروف لا من حيث اتباع الحركات في موضعها ومقدار المد عند من يطلفه او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضاً يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين واعتبار احدهما قد يخل بالآخر اذا تعارضا وتقدم الرواية متعين من تغيير الرواية المنقولة في القرآن فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المعترف في القرآن بوجه وانما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدي اليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فيردد اصواته ترديداً على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القرآن عن هذا كله كما ذهب اليه الامام رحمه الله تعالى لان القرآن محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التناذير بادراك الحسن من الاصوات وهكذا كانت قراءة الصحابة رضي الله عنهم كما في اخبارهم واما قوله صلى الله عليه وسلم لقد اوتي مزماراً من مزمار آل داود فليس المراد به التردد والتلحين انما معناه حسن الصوت واداء القراءة والابانة في مخارج الحروف واللطف بها واذ قد ذكرنا معنى الغناء فاعلم انه يحدث في العبران اذا توفرت وتجاوز حد الضرورية الى الحاجي ثم الى الكمال وتفتنوا فحدث هذه الصناعة لانه لا يستدعيها الا من فرغ من جميع حاجاته الضرورية والمهمة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها الا الفارغون عن سائر احوالهم

تفتناً في مذاهب الملذذات وكان في سلطان العجم قبل الملة منها بحر زاخر في امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك و يولعون به حتى لقد كان الملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة ولم يكن في دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم ويفنون فيها وهذا شان العجم لهذا العهد في كل افق من افاقهم ومملكة من ممالكهم واما العرب فكان لهم اولاً فن الشعر يولنون فيه الكلام اجراء متساوية على تناسب بينها في عدة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام في تلك الاجزاء تفصيلاً يكون كل جزء منها مستقلاً بالافادة لا يعطف على الاخر ويسمونه البيت فتلائم الطبع بالجزية اولاً ثم بتناسب الاجزاء في المقاطع والمادي ثم بتادية المعنى المتصود وتطبيق الكلام عليها فلهجوا به فممتاز من بين كلامهم يحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا التناسب وجعلوه ديواناً لاخبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكاً لقرائهم في اصابة المعاني واجادة الاساليب واستمروا على ذلك وهذا التناسب الذي من اجل الاجزاء والتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من تناسب الاصوات كما هو معروف في كتب الموسيقى الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم يتخلوا علماً ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة اغلب نحلهم ثم تغنى الحداء منهم في حذاء الابل والفتيان في فضاء خلواتهم فرجعوا الاصوات وترنوا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غناءً وادا كان بالنهليل او نوع القراءة تغييراً بالغين المعجمة والباء الموحدة وعللها او اسحق الزجاج بانها تذكر بالغار وهو الباقي اي باحوال الاخرة وربما ناسوا في غنائهم بين النغمات مناسبة بسيطة كما ذكره ابن رشيق اخر كتاب العمدة وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون منهم في الخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيضطرب ويستخف الحلووم وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله من التلاحين هو من اوائلها ولا يعد ان تنظن له الطماع من غير تعليم شان السائط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شان العرب في بداوتهم وجاهليتهم فلما جاء الاسلام واستولوا على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلبهم عليه وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غصارة الدين وشده في ترك احوال الفراغ وما ليس سنافع في دين ولا معاش فهجروا ذلك شيئاً ما ولم يكن الملذوذ عندهم الا ترجيع القراءة والترنم بالشعر الذي هو دينهم ومذهبهم فلما جاءهم الترف وغلب عليهم الرفه بما حصل لهم من غنائم الامم صاروا الى نصارة العيس ورقة الحاشية واستحلاء الفراغ وافتراق المغنون من الفرس والروم فوقعوا الى الحجاز وصاروا موالي للعرب وغنوا جميعاً

بالعيان والطناير والمعارف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للاصوات فلحنوا عليها اشعارهم  
وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب حائز مولى عبيد الله ابن جعفر فسمعوا شعر  
العرب وحنوه وجادوا فيه وطار لهم ذكرتم اخذ عنهم معبد وطقته وان سرج وانظاره  
وما زالت صناعة الغناء تندرج الى ان كملت ايام بني العباس عند ابراهيم بن المهدي  
واراهيم الموصلي وابنه اسحاق وابنه حماد وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ما تعة الحديث  
بعده به وبمجالسه لهذا العهد وامعنا في اللهو واللعب واتخذت الآت الرقص في الملبس  
والنضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صمًا وحده واتخذت الآت اخرى للرقص  
تسمى بالكرج وهي تماثيل خيل مسرحة من الخشب معلقة باطراف اقية يلبسها النسوان  
ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكرونها ويعرون ويناقون وامثال ذلك من اللعب المعد  
للولائم والاعراس وایام الاعیاد ومجالس الفراغ واللهو وكثير ذلك ببغداد وامصار  
العراق وانتشر منها الى غيرها وكان للموصلين غلام اسمه زرباب اخذ عنهم الغناء فاجاد  
فصرفوه الى المغرب غيبة منه فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل امير الاندلس  
فبالغ في تكريمه وركب للفناء واثني له الجوائز والاقطاعات والجزايات واحله من دولته  
وبدماؤه بمكان فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف  
وطا منها ناشييلة بجزاخر وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدو بافريقية  
والمغرب وانقسم على امصارها وبها الان منها صباية على تراجع عمرانها وتناقص دولها  
وهذه الصناعة اخر ما يحصل في العمران من الصنائع لانها كالية في غير وظيفة من  
الوظائف الا وظيفة الفراغ والفرح وهو ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله  
وتراجعوه والله اعلم

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب

قد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للاسان انما توجد فيه بالقوة وان خروجها  
من القوة الى الفعل انما هو بتجدد العلوم والادراكات عن المحسوسات اولاً ثم ما يكتسب  
بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكاً بالفعل وعقلاً محضاً فتكون ذاتاً روحانية  
ويستكمل حينئذ وجودها فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها  
عقلاً فريداً والصنائع ابداً يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة

فهذا كانت الحنكة في التجربة نفيد عقلاً والملكات الصناعية نفيد عقلاً والمحاضرة الكاملة نفيد عقلاً لأنها مجتمعة من صنائع في شان تدير المنزل ومعاشرة ابناء الجنس وتحصيل الاداب في محالطتهم ثم القيام بامور الدين واعبا اداها وشراطينها وهذه كلها قوانين تنتظم علوماً فيحصل منها زيادة عقل والكتانة من بين الصنائع اكثر اعادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار بخلاف الصنائع وبيانه ان في الكتابة انتقالاً من الحروف المخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ذلك دائماً فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة فيكسب بذلك ملكة من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور لما تعودوه من ذلك الانتقال ولذلك قال كسرى في كتابه لما راها بتلك الفطنة والاكيس فقال دبوانه اي شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشتقاق الديوان لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتعريف يحتاج فيه الى استدلال كثير فيبقى متعوداً للاستدلال والنظر وهو معنى العقل والله اعلم

## الفصل السادس

### من الكتاب الاول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

### الفصل الاول

في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري وذلك ان الاسان قد شاركنه جميع الحيوانات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك وانما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء جنسه والاجتماع المهيء لذلك التعاون وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتناع صلاح اخراؤه فهو مفكر في ذلك كله دائماً لا يفتقر عن الفكر فيو طرفه عين بل اختلاجه الفكر اسرع من لمح البصر وعن هذا الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل ما استدعيه

الطباع فيكون الفكر راعماً في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه  
 بعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك او اخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن  
 تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلوه ثم ان فكره ونظرة يتوجه الى واحد واحد  
 من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحداً بعض اخر ويتمرن على ذلك حتى يصير  
 الحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له فيكون حينئذ علة بما يعرض لتلك الحقيقة علماً  
 مخصوصاً ونشوف موس اهل الجيل الناشي الى تحصيل ذلك فيزعون الى اهل معرفته  
 ويحيي التعليم من هذا فقد تبين بذلك ان العلم والتعليم طبيعي في البشر

## الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك ان الحذق في العلم والتميز فيه والاستيلاء عليه انما هو بمحصول ملكة في  
 الاحاطة بمبادئ وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل  
 هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلًا وهذه الملكة هي في غير النهم والوعي  
 لا يانجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيا مشتركا بين من شدا في ذلك الفن  
 وبين من هو متدري فيه وبين العامي الذي لم يحصل علماً وبين العالم النحرير والملكة  
 انما هي للعالم او الشادي في الفنون دون من سواها فدل على ان هذه الملكة غير النهم  
 والوعي والملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره  
 كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل  
 علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل اهل افق وجيل و يدل ايضاً على  
 ان تعليم العلم صاعداً اختلاف الاصطلاحات فيه فلكل امام من الائمة المشاهير اصطلاح  
 في التعليم يختص به شان الصنائع كلها فدل على ان ذلك الاصطلاح ليس من العلم والا  
 لكان واحداً عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تختلف في تعليقه اصطلاح المتقدمين  
 والمتأخرين وكذا اصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه الى مطالعته تجدد  
 الاصطلاحات في تعليقه متخلفة فدل على انها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه  
 واذا نقرر ذلك فاعلم ان سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ان ينقطع عن اهل المغرب  
 باختلال عمرائه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها  
 كما مرّ وذلك ان الفيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والا ندلس واستنجر عمرائهما

وكان فيها للعلوم والصنائع اسواق نافقة وبحور زاخرة ورسخ فيها التعليم لامتداد عصورها  
 وما كان فيها من الحضارة فلما خربت انتطع التعليم من المغرب الا قليلاً كان في دولة  
 الموحدين بمراكش مستفاداً منها ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداية الدولة الموحدية في اولها  
 وقرب عهد انقراضها ببديتها فلم تنصل احوال الحضارة فيها الا في الاقل وبعد انقراض  
 الدولة بمراكش ارتحل الى المشرق من افريقية القاضي ابو القاسم بن زيتون لعهد واسط  
 المائة السابعة فادرك تلميذ الامام ابن الخطيب فاخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق في العقليات  
 والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على اثره من المشرق ابو عبد  
 الله بن شعيب الدكالي كان ارتحل اليه من المغرب فاخذ عن مشيخة مصر ورجع الى تونس  
 واستقر بها وكان تعليمه مفيداً فاخذ عنها اهل تونس واتصل سند تعليمها في تلاميذها  
 جيلاً بعد جيل حتى انتهى الى القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه  
 وانتقل من تونس الى تلمسان في ابن الامام وتلميذه فانه قرأ مع ابن عبد السلام على  
 مشيخة واحدة وفي مجالس باعياها وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام تلمسان  
 لهذا العهد الا انهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم ثم ارتحل من زاوية في اخر المائة  
 السابعة ابو علي ناصر الدين المشدالي وادرك تلميذ ابن عمرون الحاجب واخذ عنهم  
 ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين الفرافي في مجالس واحدة وحذق في العقليات  
 والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل ببجاية واتصل سند تعليمه في  
 طلنتها ورما انتقل الى تلمسان عمران المشدالي من تلميذه واوطها وث طريقتة فيها  
 وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فاس وسائر اقطار  
 المغرب خلواً من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند  
 التعليم فيهم ففسر عليهم حصول الملكة والمحدث في العلوم وايسر طرق هذه الملكة فتق  
 اللسان بالحوارة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فيجد  
 طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتاً لا ينطقون  
 ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف  
 في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم انه قد حصل تجرد ملكته قاصرة في علمه ان  
 فاوض او ناظر او علم وما اتاهم النصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والا فحفظهم  
 ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك  
 وما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة

سنة وهي بنونس خمس سنين وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية او اليأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لاجل عسرهما من قلة الجودة في التعليم خاصة لا مما سوى ذلك واما اهل الاندلس فذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم فيهم الا فن العربية والادب اقتصروا عليه وانحفظ سد تعليمه بينهم فانحفظ بحفظه واما الفقه بينهم فرسم خلوه واثره بعد عين واما العقليات فلا اثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها الا قليلاً بسيف البحر شغلهم بمعاشهم أكثر من شغلهم بما بعدها والله غالب على امره . واما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل اسواقه نافقة ومجورة زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة التي كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة الا ان الله تعالى قد ادال منها نامصار اعظم من تلك وانتقل العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها متصلاً وسند التعليم بها قائماً فاهل المشرق على الجملة اربح في صناعة تعليم العلم بل وفي سائر الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى المشرق في طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل من عقول اهل المغرب وانهم اشد نباهة واعظم كياساً بنظرهم الاولى وان نفوسهم الناطقة اكمل بنظرها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الانسانية ويشيرون لذلك ويولعون به لما يرون من كسبهم في العلوم والصنائع وليس كذلك وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفس على نسبتها كما مروا بما الذي فضل به اهل المشرق اهل المغرب هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيدي كما تقدم في الصنائع وزيد الان تحقيقاً وذلك ان الحضرة اداب في احوالهم في المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذا سائر اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلم في ذلك كله اداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانت حدود لاتتعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلاً جيداً تستعد به لقبول صناعة اخرى يتميها بها

العقل لسرعة الادراك للمعارف ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن اهل مصر غايات لا تدرك مثل انهم يعلمون الحجر الانسية والحوانات العجم من الماتني والطائر مفردات من الكلام والافعال يستغرب بدورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الاسان ذكاء في عقله وإضائة في فكره بكثرة الملكات المحاصلة للنفس اذ قدمنا ان النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك كيساً لما يرجع الى النفس من الآثار العلمية فيظنه العامي تفاوتاً في الحقيقة الانسانية وليس كذلك الا ترى الى اهل المحصر مع اهل البدو كيف تجدد الحضري متخلياً بالذكاء ممثلاً من الكيس حتى ان الدوي ليظنه انه قد فانه في حقيقة اسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته في ملكات الصنائع والاداب في العوائد والاحوال الحضرية ما لا يعرفه الدوي فلما امتلأ المحصري من الصنائع وملكاتها وحسن تعليمها ظن كل من قصر عن تلك الملكات انها لكالم في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بنظرها وجلبتها عن فطريته وليس كذلك فانما نجد من اهل البدو من هو في اعلى رتبة من الفهم والكالم في عقله وفطريته انما الذي ظهر على اهل المحصر من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم فان لها اثاراً ترجع الى النفس كما قدمناه وكذا اهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع ارفع رتبة واعلى قدماً وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة لما قدمناه في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادي الرأي انه لكالم في حقيقة الانسية اخنصوا به عن اهل المغرب وليس ذلك بصحيح فنفهمه والله يزيد في الخلق ما يشاء وهو الة السموات والارض

### الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران ونعظم الحصاره والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى سسة عمرانها في الكثرة والقلة والحصاره والترف تكون نسبة الصنائع في الجوده والكثرة لانه امر زائد على المعاش فمتى فصلت اعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع ومن تشوف بفطريته الى العلم ممن نشأ في القرى والامصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بد له من الرحله في طلبه الى الامصار المستجمره شان الصنائع كلها واعتبر ما قررناه بحال بغداد



وقرطبة والقبروان والحصرة والكوفة لما أكثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحجار العلم وتفننوا في اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين ولما تناقص عمرانها وابدع سكانها انطوى ذلك الساط بما عليه جملة وقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام ونحن لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستحجر وحصارها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفننت ومن حملتها تعليم العلم واكد ذلك فيها وحمطه ما وقع لهذه العصور بها منذ ما مئتين من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جراً وذلك ان امراء الترك في دولتهم يحنون عادية سلطانهم على من يتعلمونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق او الولاء ولما يحنى من معاطب الملك ونكاته فاستكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة يجعلون فيها شركا لولدهم ينظر عليها او نصيب منها مع ما فيهم غا لئلا ينجوح الى الخير والناس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والنفقات وكثر طالب العلم ومعلمه وكثرت جرائنهم منها وانتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب وفتت بها اسواق العلوم وزخرت بحجارها والله يخلق ما يشاء

## الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم ان العلوم التي يخوض فيها السر وتداولونها في الامصار تحصيلاً وتعليماً هي على صنفين صنف طبيعي للاسان يهتدي اليه بفكره وصنف نقلي ياخذُه عن وضعه والاول هي العلوم الحكيمية الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الاسان بطبيعة فكهرو يهتدي بمداركه الشرعية الى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه<sup>(١)</sup> نظره ويبحثه على الصواب من الخطاء فيها من حيث هو انسان ذو فصر والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى الالتحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن المحرثات الحكم في الاصل وهو نقلي فرجع هذا القياس الى النقل ا قوله حتى يقفه نظره يستعمل وقف متعدباً فنقول وفتنه على كذا اي اطعمته عليه قاله نصر

لتفرعه عنه وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تمهئها للافادة ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعرف احكام الله تعالى المروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي ماخوذة من الكتاب والسنة بالنص او بالاجماع او بالالحاق فلا بد من النظر في الكتاب بيان العاطف اولاً وهذا هو علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات ثم باسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم لعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث ثم لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو اصول الفقه وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين وهذا هو الفقه ثم ان التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المخصص بالايمان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الالمانية في الذات والصفات وامور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالادلة العقلية هو علم الكلام ثم النظر في القرآن والحديث لابدان تقدم العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي اصناف فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم البيان وعلم الاداب حسبما تكلم عليها كلها وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها وان كانت كل ملة على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث انها العلوم الشرعية المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها واما على الخصوص فمما ينبه لجميع الملل لانها ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمهمجرة والظرف فيها محظور فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم لانصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آما بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد وراى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضي الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم انكم بها بيضاء نفية والله لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي ثم ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت اسواقها في هذه الملة بالامزيد عليه وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية التي لافوقها وهذبت الاصطلاحات وربت الفنون مجاهدة من وراء الغاية في الحسن والتنميق وكان لكل فن رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد

منها التعليم واخص المشرق من ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبما نذكره الان عند تعدد هذه الفنون وقد كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند العلم والتعليم كما قدمناه في الفصل قبله وما ادري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه وانصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكمالية لكثرة عمرانها والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالمجربة من الاوقاف التي اتسعت بها اراضيهم والله سبحانه وتعالى هو الفعال لما يريد ويده التوفيق والاعانة

### الفصل الخامس

في علوم القرآن من التفسير والقراءات

القرآن هو كلام الله المنزل على سببه المكتوب بين دفتي المصحف وهو متواتر بين الامة الا ان الصحابة روه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طرق مختلفة في بعض الفاظه وكميات الحروف في ادائها وتنوّل ذلك واشتهر الى ان استقرت منها سبع طرق معينة تواترت قبلها ايضاً ناداءها واختصت بالانتساب الى من اشتهر برويتها من الجهم الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولاً للقراءة وربما زيد بعد ذلك قراءات اخر لحقت بالسبع الا انها عند ائمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لانها عندهم كميات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك عندهم بقادح في تواتر القرآن واما الاكثر فالواحد تواترها وقال اخرون تواتر غير الاداء منها كالمذ والتسهيل لعدم الوقوف على كميته بالسمع وهو الصحيح ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلوم ودونت فكثرت فيما كتب من العلوم وصارت صناعة مخصوصة وعلماً منفرداً وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جيل بعد جيل الى ان ملك شرق الاندلس مجاهد من موالي العامريين وكان معنياً بهذا الفن من بين فنون القرآن لما اخذته به مولاة المنصور ابى العامر واجتهد في تعليمه وعرضه على من كان من ائمة القراء بمحضته فكان سهمته في ذلك وافر واخص مجاهد بعد ذلك امامة دامية والجزائر الشرقية فنفتت بها سوق القراءة لما كان هو من ائمتها وبما كان له من العناية بتسائر العلوم عموماً وبالقراءات خصوصاً فظهر لعهد ابوعمر والداني وبلغ الغاية فيها ووقفت عليه معرفتها وانتهت الى روايتها اسابغها وتعددت تاليفه فيها وعول الناس عليها وعللوا عن غيرها واعتمدوا من بينها كتاب

التيسيرة ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والاجيال ابو القاسم ابن فيره من اهل شاطبة فعمد الى تهذيب ما دونه ابو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز فيها اسماء الفراء بحروف ابجح ترتيباً احكمه لتيسر عليه ما قصده من الاختصار وليكون اسهل للمخفف لاجل نظنها فاستوعب فيها الفن استيعاباً حسناً وعنى الناس بحفظها ونقلتها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في امصار المغرب والانديلس وربما اضيف الى فن الفراءات فن الرسم ايضاً وهي اوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية لان فيه حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط كزيادة الباء في بايد وزيادة الالف في لا انجنه ولا اوضعوا والواو في جزاء والظالمين وحذف الالفات في مواضع دون اخرى وما رسم فيه من الناءات ممدوداً والاصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير ذلك وقد مر تعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط فلما جاءت هذه المخالفة لاوضاع الخط وقانونه احتج الى حصرها فكتب الناس فيها ايضاً عند كتبهم في العلوم وانتهت بالمغرب الى ابي عمر الداني المذكور فكتب فيها كتباً من اشهرها كتاب المنفع واخذ به الناس وعولوا عليه ونظمه ابو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روي الراء وولع الناس بحفظها ثم كثرت الخلاف في الرسم في كلمات وحروف اخرى ذكرها ابو داود سليمان بن نجاح من موالي مجاهد في كتبه وهو من تلاميذ ابي عمرو الداني والمشتهر بمجمل علومه ورواية كتبه ثم نقل بعده خلاف اخر فظم الحرار من المتأخرين بالمغرب ارجوزة اخرى زاد فيها على المنفع خلافاً كثيراً وعزاد لنا قليه واشتهرت بالمغرب واقتصر الناس على حفظها وهجرها بها كتب ابي داود وابي عمرو والشاطبي في الرسم .

(واما التفسير) . فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان ينزل حملاً حملاً وايات وايات ليبان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الایمانية ومنها ما هو في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما يتاخر ويكون ناسخاً له وكان النبي صلى الله عليه وسلم بين الجميل ويميز الناسخ من المسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الايات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه كما علم من قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح انها لعى النبي صلى الله عليه وسلم وامثال ذلك ونقل ذلك عن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الاول والسلف حتى صارت المعارف علوماً ودونت الكتب

فكتب الكثير من ذلك ونقلت الاثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وامثال ذلك من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان يكتبوه من الاثار ثم صارت علوم اللسان صاعية من الكلام في موضوعات اللغة واحكام الاعراب والبلاغة في التراكيب فوضعت الداووين في ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب ففتنوا بذلك وصارت تنقل من كتب اهل اللسان فاحتجج الى ذلك في تفسير القرآن لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على صعيص تفسير نفلي مسند الى الاثار المقولة عن السلف وهي معرفة النسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الآي وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد جمع المتقدمون في ذلك واوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية واذا تشوقوا الى معرفة شي ما تشوق اليه النفوس الشترية في اسباب المكونات وبدء الخليفة واسرار الوجود فانما يسألون عنه اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم اهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى واهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم من حمير الدين اخذوا بدين اليهودية فلما اسلموا نقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التي يجناطون لها مثل اخبار بدء الخليفة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وامثالهم فامتلات التفاسير من المنقولات عندهم في امثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام فتخري في الصحة التي يجب بها العمل ويتساهل المنسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات واصلها كما قلنا عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك الا انهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقول من يومئذ فلما رجع الناس الى التحقيق والتعمييض وجاء ابو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو اقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين اهل المغرب والاندلس حسن المنحى وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب اخر مشهور بالمشرق وهو الصنف الاخر من التفسير وهو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تادية

المعنى بحسب المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل ان ينعرد عن الاول  
اذ الاول هو المقصود بالذات وانما جاء هذا بعد ان صار اللسان وعلومه صناعة نعم قد  
يكون في بعض التفاسير غالباً ومن احسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفاسير كتاب  
الكشاف للمخشي من اهل خوارزم العراق الا ان مولفه من اهل الاعتزال في العقائد  
فياتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسده حيث تعرض في آي القرآن من طرق البلاغة  
فصار ذلك للمحققين من اهل السنة اعتراف عنه وتحذير للجمهور من مكانه مع اقرارهم  
برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والملاغة واذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب  
السنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم انه مامون من غوائله فلتنغم مطالعته لغرابة فنونه في  
اللسان ولقد وصل اليها في هذه العصور تأليف لعص العراقيين وهو شرف الدين  
الطبي من اهل نوري من عراق العمم شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتبع الفاظه  
وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بادلة تريفها وبين ان الملاغة اما تقع في الاية على ما براه  
اهل السنة لا على ما براه المعتزلة فاحسن في ذلك ما شاء مع امتاعه في سائر فنون البلاغة  
وفوق كل ذي علم عليم

## الفصل السادس

### في علوم الحديث

واما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لان منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما  
ثبت في شريعتنا من حواض النسخ ووقوعه لظن من الله بعباده وتحبباً لهم باعذارهم  
التي تكفل لهم بها قال تعالى ما ننسخ من اية او ننسها نأت بخير منها او مثلها فاذا تعارض  
الحيران بالنبي والاتات وتعذر الجمع بينهما بعض التاويل وعلم تقدم احدهما تعين ان  
المتاخر ناسخ ومعرفة النسخ والمنسوخ من اهم علوم الحديث واصعبها قال الرهري اعيان  
الفقهاء واعلمهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه وكان  
للساقي رضي الله عنه فيه قدم رائحة ومن علوم الاحاديث النظر في الاسانيد ومعرفة ما  
يجب العمل به من الاحاديث ووقوعه على السند الكاهل الشروط لان العمل اما  
وجب بما يغلب على الظن صدقه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتعهد في  
الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو معرفة رواية الحديث بالعدالة والضبط وانما  
يثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعديلهم وبرائتهم من المحرج والغفلة ويكون لنا

ذلك دليلاً على القبول أو الترك وكذلك مراتب هؤلاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك ويميزهم فيه واحداً واحداً وكذلك الأسانيد تفاوتت بانصالها وانقطاعها بان يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه وبسلامتها من العلل الموهنة لها وتنتهي بالتفاوت الى طرفين تحكم بقبول الأعلى ورد الأسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن أئمة الشاف ولم في ذلك الفاظ اصطلاحاً على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعصل والشاذ والغريب وغير ذلك من الفايه المتداوله بينهم ويؤبى على كل واحد منها ونقلوا ما فيهم من الخلاف لائمة اللسان أو الوفاق ثم النظر في كيفية اخذ الرواية بعضهم عن بعض بقراءة أو كتابة أو مناولة أو اجازة وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والردم اتبعوا ذلك بكلام في الفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق منها أو مختلف وما ياسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وغالبه وكانت احوال نقله الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة عند اهل بلده فتمهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر بالجميع معروفون مشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في الاسانيد اعلى ممن سواهم وامن في الصحة لاستبداهم في شروط النقل من العدالة والوسط وتحافهم عن قبول الجهول الحال في ذلك وسند الطريقة الحجازية بعد السلف الامام مالك عالم المدينة رضي الله تعالى عنه ثم صحابه مثل الامام محمد بن ادريس الشافعي والامام احمد بن حنبل وامثالهم وكان علم الشريعة في مدا هذا الامر نقلاً صرفاً شمر لها السلف ونحروا الصحيح حتى اكملوها وكتب مالك رحمه الله كتاب الموطأ اودعه اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب الفقه ثم عني الحافظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيدها المختلفة وربما يقع اسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين وقد يقع الحديث ايضاً في ابواب متعددة باختلاف المعاني التي اشتمل عليها وجاء محمد بن اسماعيل البخاري امام المحدثين في عصره فخرج احاديث السنة على ابوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجاز بين والعراقيين والشاميين واعتمدوا منها ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرر الاحاديث يسوقها في كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكررت لذلك احاديثه حتى يقال انه اشتمل على تسعة<sup>(١)</sup> الاف حديث ومائتين منها ثلاثة

الاف متكررة وفرق الطرق والاسانيد عليها مختلفة في كل باب ثم جاء الامام مشلم ابن  
 الحجاج التشييري رحمه الله تعالى فألف مسنده الصحيح هذا فيه حدو البخاري في نقل  
 الجمع عليه وحذف المتكرر منها وجمع الطرق والاسانيد وبوئه على ابواب الفقه وتراجمه  
 ومع ذلك فلم يستوعم الصحيح كله وقد استدرك الناس عليها في ذلك ثم كتب ابو داود  
 السجستاني وابو عيسى الترمذي وابو عبد الرحمن النسائي في السنن باوسع من الصحيح  
 وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة العالية في الاسانيد وهو الصحيح كما  
 هو معروف واما من الذي دونه من الحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنن والعمل وهذه  
 هي المسانيد المشهورة في الملة وهي امهات كتب الحديث في السنة فانها وان تعددت ترجع  
 الى هذه في الاعلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربما  
 يفرد عنها الناسخ والمنسوخ فيجعل فنا راسو وكذا الغريب وللناس فيه تأليف مشهورة ثم  
 المؤلف والمخلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثرها ومن فحول علمائه واثمهم  
 ابو عبد الله المحاكم وتأليفه فيه مشهورة وهو الذي هذه واطهر محاسنه واتهر كتاب  
 للمتأخرين فيه كتاب ابي عمرو بن الصلاح كان لعهد اوائل المائة السابعة وتلاه محي الدين  
 السوي بمثل ذلك والفن شريف في مغراه لانه معرفة ما يحفظ به السنن المقولة عن  
 صاحب الشريعة وقد قطع لهذا العهد تخرج تبي من الاحاديث واستدراكها على المتقدمين  
 اذ العادة تشهد بان هؤلاء الائمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفائهم واجتهادهم لم  
 يكونوا ليغفلوا شيئا من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وانما تصرف  
 العناية لهذا العهد الى تصحيح الامهات المكتونة وضبطها بالرؤية عن مصنفها والنظر في  
 اسانيدها الى مولفها وعرض ذلك على ما نقرر في علم الحديث من الشروط والاحكام  
 لتنصل الاسانيد محكمة الى منبهاها ولم يزيدوا في ذلك على العناية باكثر من هذه الامهات  
 الخمس الا في القليل. فاما البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغفلوا  
 من اجل ما يجتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من اهل الحجاز والشام  
 والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم ولذلك يحتاج الى امعان النظر في التنقه  
 في تراجمه لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم اخرى ويورد  
 فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة  
 وترجمة الى ان يتكرر الحديث في ابواب كثيرة مجسب معانيه واختلافها ومن شرحه ولم  
 يستوف هذا فيه فلم يوف حق الشرح كان نطال وابن المهلب وابن التين ونحوهم ولقد



سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون ان احداً من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار . واما الصحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به واكبوا عليه واجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري من غير الصحيح مما لم يكن على شرطه واكثر ما وقع له في التراجم واملى الامام المازري من فقهاء المالكية عليه شرحاً وسماه المعلم بفوائد مسلم اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه ثم اكمله القاضي عياض من بعده وتممه وسماه اكمال المعلم وتلاها محي الدين النووي شرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليها فحماً شرحاً وافياً . واما كتب السنن الاخرى وفيها معظم ماخذ الفقهاء فاكثر شرحها في كتب الفقه الا ما يختص بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك ما يحتاج اليه من علم الحديث وموضوعاتها والاسانيد التي اشتملت على الاحاديث المعمول بها من السنة . واعلم ان الاحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح وحسن وضعيف ومعلول وغيرها تنزلها ائمة الحديث وجهانذمة وعرفوها ولم يبق طريق في الصحيح ما يصح من قبله ولقد كان الائمة في الحديث يعرفون الاحاديث بطرقها واسانيدها بحيث لو روي حديث بغير سنده وطريقه يفظون الى انه قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد وقصد المحدثون امتحانه فسأله عن احاديث قلوا اسانيدنا فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجمع تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل متن الى سنده واقروا له بالائمة . واعلم ايضاً ان الائمة المجتهدين تناوتوا في الاكتفاء من هذه الصناعة والاقبال فابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقال بلغت روايته الى سبعة عشر حديثاً او نحوها وما لك رحمه الله اما صح عنده ما في كتاب الموطأ<sup>(١)</sup> وعائنها ثلثمائة حديث او نحوها . واحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون الف حديث ولكل ما اداه اليه اجتهاده في ذلك وقد تقول بعض المعصين المتعسفين الى ان منهم من كان قليل الصاعة في الحديث فلماذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في كبار الائمة لان الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن كان قليل الصاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته والجد والتشهير في ذلك لياخذ الدين عن اصول صحيحة ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها وانما قلل مهم من قلل الرواية لاجل المطاعن التي تعترض فيها

١ الذي في شرح الزرقاني على الموطأ حكاية افعال حسنة في عدة احاديثه اولها ٥٠٠ ثانياً ٧٠٠ ثالثها الف وبالف رابعها ١٢ احاسنها ٦٦٦ وليس فيه قول بما في هذه الصفحة قاله بصر الهوري

والعلل التي تعرض في طرقها سيما والجرح مقدم عند الأكثر فيوديه الاجتهاد الى ترك  
الاخذ بما تعرض مثل ذلك فيو من الاحاديث وطرق الاسايد ويكثر ذلك فنقل  
روايته لضعف في الطرق هذا مع ان اهل الحجاز أكثر رواية للحديث من اهل العراق  
لان المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد  
أكثر والامام ابوحنيفة انما نقلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف رواية  
الحديث اليقيني اذا عارضها الفعل النفسي وقلت من اجلها رواية فقل حديثه لانه ترك رواية  
الحديث متعمداً فحاشاه من ذلك ويدل على انه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد  
مذهبه بينهم والتعويل عليه واعنباره ردّاً وقولاً واما غيره من الحديث وهم الجمهور  
فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد وقد توسع اصحابه من بعده في  
الشروط وكثرت روايتهم وروى الطحاوي فاكثروا كتب مسنده وهو جليل القدر  
الا انه لا يعدل الصحيحين لان الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما جميع  
عليها بين الامة كما قاله وشروط الطحاوي غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال  
وغيره ولهذا قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة عليه لتاخر شرطه عن شروطهم  
ومن اجل هذا قيل في الصحيحين بالاجماع على قبولها من جهة الاجماع على صحة ما فيها  
من الشروط المتفق عليها فلا تاخذك ريبه في ذلك فالقوم احق الناس بالنظر الجميل  
بهم والتماس الخارج الصحيحة لم والله سبحانه وتعالى اعلم بما في حقائق الامور

## الفصل السابع

في علم النقه وما يتبعه من الفرائض

الفقه معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة  
والا ناحة وهي متلقاه من الكتاب والسنة وما بصة الشارع لمعرفة من الادلة فاذا استخرجت  
الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على  
اختلاف فيها بينهم ولا بد من وقوعه ضرورة ان الادلة غالبها من النصوص وهي ناعمة  
العرب وفي اقتضاءات العاظمها لكثير من معانيها اختلاف بينهم معروف وايضاً فالسنة  
مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الاكثر احكامها فتمتاج الى الترجيح وهو مختلف  
ايضاً فالادلة من غير النصوص مختلف فيها وايضاً فالوقائع المتجددة لانوفي بها النصوص  
وما كان منها غير ظاهر في المنصوص فيحمل على المنصوص لمشابهة بينها وهذا كلها

اشارات للخلاف ضرورية الوقوع ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والائمة من بعدهم  
 ثم ان الصحابة كلهم لم يكونوا اهل فتيا ولا كان الدين يوخذ عن جميعهم وإنما كان ذلك  
 مختصاً بالحمالين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلائله بما تلقوه  
 من النبي صلى الله عليه وسلم او من سمعه منهم من عليتهم وكانوا يسمون لذلك القراء ابي  
 الذين يقرءون الكتاب لان العرب كانوا امة امية فاخص من كان منهم قارئاً للكتاب  
 بهذا الاسم لغرائه يومئذ وبقي الامر كذلك صدر الملة ثم عظمت امصار الاسلام وذهبت  
 الامية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنساخ وكمل الفقه واصبح صناعة وعلماً  
 فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء وانقسم الفقه فيهم الى طريقتين طريقة اهل الراي  
 والقياس وهم اهل العراق وطريقة اهل الحديث وهم اهل الحجاز وكان الحديث قليلاً في  
 اهل العراق لما قدمناه فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فذلك قيل اهل الراي  
 ومقدم حجاجهم الذي استقر المذهب فيه وفي اصحابه ابو حنيفة وامام اهل الحجاز مالك  
 ابن اسس والشافعي من بعده ثم انكر القياس طائفة من العلماء واطلوا العمل به وهم  
 الظاهرية وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع وردوا القياس الجلي والعلّة  
 المنصوصة الى النص لان النص على العلة نص على الحكم في جميع محالها وكان امام هذا المذهب  
 داود بن علي واسن واصحابها وكانت هذه المذاهب الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة  
 بين الامّة وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفرادي به وبنوه على مذهبهم في  
 تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الائمة ورفع الخلاف عن اقوالهم وهي كلها  
 اصول واهية وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يجنفل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوها جانب  
 الانكار والقدح فلا تعرف شيئاً من مذاهبهم ولا يروي كتبهم ولا اثر لشيء منها الا في  
 مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن  
 والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتآليف واراى في الفقه غريبة ثم درس مذهب اهل  
 الظاهر اليوم بدروس اثبتوا وانكار الجمهور على منقلبه ولم يبق الا في الكتب المجلدة وربما  
 يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بانفعال مذهبهم على تلك الكتب بروم اخذ  
 ففهم منها ومذهبهم فلا يحلو بطائل ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه وربما عد  
 بهذه النحلة من اهل الدع بنقله العلم من الكتب من غير مفتاح المعلمين وقد فعل ذلك  
 ابن حزم بالاندلس على علورنته في حفظ الحديث وصار الى مذهب اهل الظاهر ومهر  
 فيو باجتهاد زعمو في اقوالهم وخالف امامهم داود وتعرض للكثير من الائمة المسلمين فقم

الناس ذلك عليه واوسعوا مذهبه استهجاناً وانكاراً وتلقوا كتبه بالاغفال والتعرك حتى  
انما يمحصر بيعها بالاسواق وربما تمزق في بعض الاحيان ولم يبق الا مذهب اهل  
الراي من العراق واهل الحديث من الحجاز . فاما اهل العراق فامامهم الذي استقرت  
عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت ومقامه في الفقه لا يلحق شهدة ذلك اهل  
جلدته وخصوصاً مالك والشافعي . واما اهل الحجاز فكان امامهم مالك بن انس الاصمعي  
امام دار الهجرة رحمه الله تعالى واخص بزيادة مدرك اخر للاحكام غير المدارك المعتبرة  
عند غيره وهو عمل اهل المدينة لانه راي انهم فيما ينتمون عليه من فعل او ترك متابعون  
لمن قبلهم ضرورة لدينهم واقتدائهم وهكذا الى الجيل المباشر لفعل النبي صلى الله عليه  
وسلم الاخذين ذلك عنه وصار ذلك عنده من اصول الادلة الشرعية وظن كثير ان  
ذلك من مسائل الاجماع فانكره لان دليل الاجماع لا يخص اهل المدينة من سواهم بل  
هو شامل للامة . واعلم ان الاجماع انما هو الاتفاق على الامر الديني عن اجتهاد ومالك  
رحمة الله تعالى لم يعتبر عمل اهل المدينة من هذا المعنى وانما اغنبره من حيث اتناع  
الجيل بالمشاهدة للجيل الى ان ينهي الى الشارع صلوات الله وسلامه عليه وضرورة  
اقتدائهم بعين ذلك يعم الملة ذكرت في باب الاجماع والابواب بها من حيث ما فيها من  
الاتفاق الجامع بينها وبين الاجماع الا ان اتفاق اهل الاجماع عن نظر واجتهاد في الادلة  
واتفاق هولاء في فعل او ترك مستندين الى مشاهدة من قبلهم ولو ذكرت المسئلة في باب  
فعل النبي صلى الله عليه وسلم ونقيره او مع الادلة المخلف فيها مثل مذهب الصحابي  
وشرع من قبلنا والاستصحاب لكان اليق ثم كان من بعد مالك بن انس محمد بن ادريس  
المطليبي الشافعي رحمهما الله تعالى رحل الى العراق من بعد مالك ولقي اصحاب الامام ابي  
حنيفة واخذ عنهم ومزج طريقة اهل الحجاز بطريقة اهل العراق واخص بمذهب وخالف  
مالكا رحمه الله تعالى في كثير من مذهبه وجاء من بعدها احمد بن حنبل رحمه الله وكان  
من علية الحديثين وقرا اصحابه على اصحاب الامام ابي حنيفة مع وفور بصاعتهم من الحديث  
فاختصوا بمذهب اخر ووقف التقليد في الامصار عند هولاء الاربعة ودرس المقلدون  
لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما  
عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد ولما خشى من اسناد ذلك الى غير اهله ومن لا يوثق  
برايه ولا بدنيه فصرحوا بالهجر والاغواز وردوا الناس الى تقليد هولاء كل من اخص  
بمن المقلدين وحظروا ان يتداول تقايدهم لما فيه من التلاعب ولم يبق الا نقل مذاهبهم

وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الاصول وانصال سندها بالرواية  
لا محصول اليوم للفقهاء غير هذا ومدعي الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبيه مهجور نقله  
وقد صار اهل الاسلام اليوم على تقليد هؤلاء الائمة الاربعة فاما احمد بن حنبل فقلده  
قليل لبعد مذهبه عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية وللأخبار بعضها ببعض  
واكثرهم بالشام والعراق من بغداد ونواحيها وهم اكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث  
واما ابو حنيفة فقلده اليوم اهل العراق ومسلمة الهند والصين وما وراء الهر وبلاد العجم  
كأهل ما كان مذهبهم اخص بالعراق ودار السلام وكان تلميذه صحابة الخلفاء من بني  
العباس فكثرت تاليمهم ومناظراتهم مع الشافعية وحسنت مباحثهم في الخلافات وجاءوا  
منها تعلم مستطرف وانظار غريبة وهي بين ايدي الناس وبالمغرب منها شيء قليل نقله  
اليه القاضي ابن العربي وابو الوليد الباجي في رحلتها واما الشافعي فمقلدوه بمصر اكثر مما  
سواها وقد كان انتشر مذهبهم بالعراق وخراسان وما وراء النهر وقاسموا الحنيفة في  
الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشجنت كتب  
الخلافات بانواع استدلالهم ثم درس ذلك كله بدرس المشرق واقطاره وكان الامام  
محمد بن ادريس الشافعي لما نزل على بني عبد الحكم بمصر اخذ عنه جماعة من بني عبد  
الحكم واشهب وان القاسم وان المواز وغيرهم ثم الحارس بن مسكين وسوه ثم انقرض فقه  
اهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة وتداول بها فقه اهل البيت وتلاشي من سواهم  
الى ان ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن ايوب ورجع  
اليهم فقه الشافعي واصحابه من اهل العراق والشام فعادوا الى احسن ما كان وبنق سوقة  
واتشهر منهم محيي الدين النووي من الحلة التي ربيت في ظل الدولة الابوية بالشام  
وعز الدين بن عبد السلام ايضاً ثم ابن الرقعة بمصر ونفي الدين بن دقيق العيد ثم نفي الدين  
السكيتي بعدها الى ان انتهى ذلك الى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد وهو سراج الدين البلقيني  
فهو اليوم اكبر الشافعية بمصر كبير العلماء بل اكبر العلماء من اهل العصر. واما مالك  
رحمة الله تعالى فاخص بمذهبه اهل المغرب والاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم  
لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة  
بومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ولم يكن العراق في طريقهم فاقصروا عن الاخذ  
عن علماء المدينة وشيخهم بومئذ وامامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذه من بعده فرجع  
اليه اهل المغرب والاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته وايضاً

فالبداوة كانت غالبية على اهل المغرب والاندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي  
لاهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسة البداوة ولهذا لم يزل المذهب المالكي  
غضاً عندهم ولم ياخذته تنفج الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب ولما صار  
مذهب كل امام عالماً مخصوصاً عند اهل مذهبه ولم يكن لهم سبيل الى الاجتهاد والقياس  
فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الاحقاق وتفريقها عند الاشتباه بعد الاستناد الى الاصول  
المقررة من مذاهب امامهم وصار ذلك كله يحنج الى ملكة راسخة يقتدر بها على ذلك  
الوع من التنظير او التفرقة واتباع مذهب امامهم فيها ما استطاعوا وهذه الملكة هي علم  
الفقه لهذا العهد واهل المغرب جميعاً مقلدون لمالك رحمه الله وقد كان تلميذه افتروا  
بمصر والعراق فكان بالعراق منهم القاضي اسماعيل وطبقته مثل ابن خويزمندان وابن  
اللبان والقاضي ابو بكر الابهري والقاضي ابو حسين بن النصار والقاضي عبد الوهاب  
ومن بعدهم وكان بمصر ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطبقته  
ورحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فاخذ عن اس القاسم وطبقته وبت مذهب  
مالك في الاندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلامذته كتاب العتبية  
ورحل من افريقية اسد بن الفرات فكتب عن اصحاب ابي حنيفة اولاً ثم انتقل الى  
مذهب مالك وكتب على اس القاسم في سائر ابواب الفقه وجاء الى القيروان بكتابه  
وسمي الاسدية نسبة الى اسد بن الفرات فقرأ بها سحنون على اسد ثم ارتحل الى المشرق  
ولقي ابن القاسم واخذ عنه وعارضة بمسائل الاسدية فرجع عن كثير منها وكتب سحنون  
مسائلها ودونها واثبت ما رجع عنه وكتب لاسد ان ياخذ بكتاب سحنون فانف من ذلك  
فترك الناس كتابه واتبعوا مدونه سحنون على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الابواب  
فكانت تسمى المدونة والمختلطة وعكف اهل القيروان على هذه المدونة واهل الاندلس  
على الواضحة والعتبية ثم اخضر اس ابي ريد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى بالخصر  
والخصر ايضاً ابو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده  
المشيع من اهل افريقية واخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد اهل الاندلس كتاب  
العتبية وهجروا الواضحة وما سواها ولم نزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الامهات  
بالشرح والايضاح والجمع فكتب اهل افريقية على المدونة ما شاء الله ان يكتبوا مثل  
ابن يونس والحمي وابن محرز التونسي وابن شير وامثالهم وكتب اهل الاندلس على العتبية  
ما شاء الله ان يكتبوا مثل ابن رشد وامثاله وجمع ابن ابي زيد جميع ما في الامهات من

المسائل والخلاف والأقوال في كتاب النوادر فاشتمل على جميع أقوال المذاهب وفرع  
الامهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن بوس معظمه في كتابه على المدونة وزخرت بحار  
المذهب المالكي في الاقنين الى انقراض دولة قرطبة والقيروان ثم تمسك بها اهل المغرب  
بعد ذلك الى ان جاء كتاب ابي عمرو بن الحاجب لخص فيه طرق اهل المذهب في  
ككل باب وتعدد اقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للذهب وكانت الطريقة المالكية  
بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن المبشر وابن الليث وابن الرشيق وابن  
شاس وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني سند وابن عطاء الله ولم ادر عن اخذها  
او عمرو بن الحاجب لكنه جاء بعد انقراض دولة العبيديين وذهب فقه اهل البيت  
وظهور فقهاء السنة من الشافعية والمالكية ولما جاء كتابه الى المغرب اخر المائة السابعة  
عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصاً اهل بجاية لما كان كبير مشيخهم ابو علي  
ناصر الدين الزواوي هو الذي جله الى المغرب فانه كان قرأ على اصحابه بمصر ونسخ  
مختصره ذلك فجاء به وانتشر بقرطبة بجاية في تلميذه ومنهم انتقل الى سائر الامصار المغربية  
وظلته الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونها لما يوثر عن الشيخ ناصر  
الدين من الترغيب فيه وقد شرحه جماعة من شيوخهم كان عبد السلام وابن رشد وابن  
هارون وكلهم من مستيخة اهل تونس وسائق حلبنهم في الاجادة في ذلك ابن عبد السلام وم  
مع ذلك يتعاهدون كتاب التهذيب في دروسهم والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم

## الفصل الثامن

### في علم الفرائض

وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة ما تصح باعتماد فروضها الاصول  
او مناسبتها وذلك اذا هلك احد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته فانه حينئذ  
يحتاج الى حسب تصحيح الفريضة الاولى حتى يصل اهل الفروض جميعاً في الفريضتين  
الى فروضهم من غير تجزئة وقد تكون هذه المناسبات اكثر من واحد واثنين وتعدد  
لذلك بعدد اكثر وقد تعدد تحتاج الى الحسبان وكذلك اذا كانت فريضة ذات  
وجهين مثل ان يقر بعض الورثة بوارث وينكره الاخر فتصحح على الوجهين حينئذ وينظر  
مبلغ السهام ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من اصل الفريضة وكل ذلك يحتاج  
الى الحسبان وكان غالباً فيه وجعلوه فناً مفرداً للناس فيه تاليف كثيرة اشهر ما عند

المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الخوفي ثم الجعدي ومن متأخري إفريقية ابن النمر الطرابلسي وأمثالهم وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلم فيه تأليف كثيرة وأعمال عظيمة صعبة شاهدة لهم بانساع الباع في الفقه والحساب وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثلة من أهل المذاهب وهو من شريف الجمع بين المعقول والمنقول والوصول به إلى المحتق في الوراثة بوجه صحيحة يقينية عند ما تجهل المحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الأمصار بها عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج إلى استخراج المجهولات من فنون الحساب كالبحر والمقابلة والتصرف في الجذور وأمثال ذلك فيما لا يلبسها تأليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما يتداولونه من وراثتهم لغرائب وقلة وقوعه فهو يفيد المراتم وتحصيل الملكة في المتداول على أكمل الوجوه وقد يخرج الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث المعقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وإنما أول ما ينسى وفي رواية نصف العلم خرجه أبو نعيم المحافظ واحتج به أهل الفرائض بناء على أن المراد بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا المحل بعيد وإن المراد بالفرائض إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعبادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى يصح فيها النصبة والثنية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عومه مشتقاً من الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع الفروض كما قلناه وهي حقيقة الشرعية فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل في عصرهم فهو الباق بمراحم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

## الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والمخلافات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وإجلها قدراً وأكثرها فائدةً وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبنية له فعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانت



الاحكام تتلقى منه بما يوحى اليه من القرآن وبيئته بقوله وفعله بخطاب شفاهي لا يجناح الى نقل ولا الى نظر وقياس ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل اليها منها قولاً او فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظن صدقة وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم ينزل الاجماع منزلتها لاجماع الصحابة على التكبير على مخالفينهم ولا يكون ذلك الا عن مستند لان مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظراً في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيسون الاشياء بالاشياء مهملها وينظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فان كثيراً من الواقعات بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تدرج في النصوص الثابتة ففاسوها بما ثبت وحقوها بما نص عليه بشروط في ذلك اللاحق تصحح تلك المساواة بين الشبهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيها واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه وهو القياس وهو رابع الادلة واتفق جمهور العلماء على ان هذه هي اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس الا انه شدوذ والحق بعضهم بهذه الاربعة ادلة اخرى لاحاجة سا الى ذكرها لضعف مداركها وشدوذ القول فيها فكان اول ما بحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلة فاما الكتاب فدليله المعجزة القاطعة في متنها والتواتر في نقله فلم يبق فيه مجال للاحتمال واما السنة وما نقل اليها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناه معتصداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات الله وسلامه عليه من اعاذ الكتب والرسل الى الواحي بالاحكام والشرائع آمراً وناهياً واما الاجماع فلانفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثالثة للامة واما القياس فاجماع الصحابة رضي الله عنهم عليه كما قدمناه هذه اصول الادلة ثم ان المنقول من السنة محتاج الى تصحح الخبر بالنظر في طرق النقل وعدالة الناقلين لتتميز الحالة المحصلة للظن بصدق الذي هو مساط وجوب العمل وهذه ايضاً من قواعد الفن وبلحق بذلك عند التعارض بين المحبرين وطلب المتقدم منها معرفة الناسخ والمنسوخ وهي من فصوله ايضاً وابوابه ثم بعد ذلك يتعين النظر في دلالة الالفاظ وذلك ان استفادة المعاني على الاطلاق من تركيب الكلام على الاطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والتواتر اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان وحين كان

الكلام ملكة لاهله لم تكن هذه علوماً ولا قوانين ولم يكن الفقه حينئذٍ يحتاج اليها لانها  
جلية وملكة فلما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها المجهاذة المتجردون لذلك بنقل  
صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوماً يحتاج اليها الفقيه في معرفة احكام الله تعالى  
ثم ان هناك استفادات اخرى خاصة من تراكيب الكلام وهي استفادة الاحكام الشرعية  
بين المعاني من ادلتها الخاصة من تراكيب الكلام وهو الفقه ولا يكفي فيه معرفة الدلالات  
الوضعية على الاطلاق بل لابد من معرفة امور اخرى تتوقف عليها تلك الدلالات  
الخاصة وبها نستفاد الاحكام بحسب ما اصل اهل الشرع وجهانذة العلم من ذلك وحملوه  
قوانين لهذه الاستفادة مثل ان اللغة لا تثبت قياساً والمشتراك لا يراد به معناه معاً والواو  
لا يقتضي الترتيب والعام اذا اخرحت افراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها والامر  
للاجوب او الدب وللور او التراخي والسبي يقتضي الفساد او الصحة والمطلق هل يجعل  
على المفيد والوص على العلة كافي في التعدد ام لا وامثال هذه فكانت كلها من قواعد  
هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية ثم ان النظر في القياس من اعظم  
قواعد هذا الفن لان فيه تحقيق الاصل والفرع فيما يقاس وبماثل من الاحكام وينفتح  
الوصف الذي يغلب على الظن ان الحكم علق به في الاصل من تبيين اوصاف ذلك  
المحل او وجود ذلك الوصف والفرع من معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه في مسائل  
اخرى من نواع ذلك كلها قواعد لهذا الفن . (واعلم) ان هذا الفن من الفنون المستحدثة  
في الملة وكان السلف في غيبة عنه بما اس استفادة المعاني من الاماظ لا يحتاج فيها الى ازيد  
ما عدتهم من الملكة اللسانية واما القوانين التي يحتاج اليها في استفادة الاحكام خصوصاً  
فمنهم اخذ بعضها واما الاسانيد فلم يكونوا يحتاجون الى النظر فيها لقرب العصر وممارسة  
النقلة وخبرتهم بهم فلما اقرض السلف وذهب الصدر الاول واقبلت العلوم كلها صناعه  
كما قررناه من قبل احتاج الفقهاء والمجتهدون الى تحصيل هذه القوانين والقواعد  
لاستفادة الاحكام من الادلة فكتبوها فاقاماً راسمه اصول الفقه وكان اول من  
كتب فيه الشافعي رضي الله تعالى عنه امل في رسالته المشهورة تكلم فيها في الاوامر والنواهي  
والبيان والمحرم والنسخ وحكم العلة المنصوصة من القياس ثم كتب فقهاء الحنفية فيه وحققوا  
تلك القواعد واوسعوا القول فيها وكتب المتكلمون ايضاً كذلك الا ان كثرة الفقهاء  
فيها امس بالفقه واليق بالفرع لكثرة الامثلة منها والشواهد وساء المسائل فيها على  
النكت الفقهية والمتكلمون مجردون صور تلك المسائل على الفقه ويميلون الى الاستدلال

العقلي ما أمكن لانه غالب فنونهم ومقتضى طريقتهم فكان لفقهاء الحنفية فيها اليد الطولى من الغوص على النكت الفقهية والتقاط هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن وجاء ابو زيد الدبوسي من ائمتهم فكتب في القياس باوسع من جميعهم وتم الاجاث والشروط التي يحتاج اليها فيه وكملت صناعة اصول الفقه بكامله وتهدبت مسائله وتهدت قواعده وعنى الناس بطريقة المتكلمين فيه وكان من احسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لامام الحرمين والمستنصر للغزالي وهامان الاشعرية وكتاب العهد لعبد الجبار وشرحه المعتمد لابي الحسين البصري وهما من المعتزلة وكات الاربعة قواعد هذا الفن واركائه ثم لخص هذه الكتب الاربعة فحلان من المتكلمين المتأخرين وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في كتاب الحصول وسيف الدين الامدي في كتاب الاحكام واختلفت طرائقها في الفن بين التحقيق والحجاج فان الخطيب اميل الى الاستكثار من الادلة والاحتجاج والامدي مولع بتحقيق المذاهب وتفريع المسائل واما كتاب الحصول فاخصره تلميذ الامام سراج الدين الارموي في كتاب التحصيل وتاج الدين الارموي في كتاب الحاصل واقتطف شهاب الدين القرافي منها مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التفتيحات وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج وعنى المتدثرون بهذين الكتابين وشرحهما كثير من الناس . واما كتاب الاحكام للامدي وهو اكثر تحقيقاً في المسائل فلخصه ابن عمرو بن الحاجب في كتابه المعروف بالخصر الكبير ثم اخصره في كتاب اخر تناوله طلبة العلم وعنى اهل المشرق والمغرب به وبمطالعته وشرحه وحصلت زبدة طريقة المتكلمين في هذا الفن في هذه المختصرات . واما طريقة الحنفية فكتبوا فيها كثيراً وكان من احسن كتابة فيها للمتقدمين تاليف ابي زيد الدبوسي واحسن كتابة المتأخرين فيها تاليف سيف الاسلام البزدوي من ائمتهم وهو مستوعب وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الاحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين وسي كتابه بالبدائع فحاء من احسن الاوضاع وابدعها وائمة العلماء لهذا العهد يتداولونه قراءة وبحثاً وولع كثير من علماء العجم بشرحه والحال على ذلك لهذا العهد هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعدد التاليف المشهورة لهذا العهد فيو والله ينفعنا بالعلم ويجعلنا من اهله ببنو وكرمواة على كل شي قدبر . ( واما الخلافات ) . فاعلم ان هذا الفقه المستنبط من الادلة الشرعية كثير فيو الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم وانظارهم خلافاً لا بد من وقوعه لما قدمناه وانسع ذلك في الملة اتساعاً عظيماً وكان للمقلدين ان يقلدوا من

شابهوا منهم ثم لما انتهى ذلك الى الائمة الاربعة من علماء الامصار وكانوا بمكان من حسن  
 الظن بهم اقتصر الناس على تقليدهم ومنعوا من تقليد سواهم لذهاب الاجتهاد لصعوبته  
 وتشعب العلوم التي هي موادها بانصال الزمان وافتقار من يقوم على سوى هذه المذاهب  
 الاربعة فاقيمت هذه المذاهب الاربعة اصول الملة واجري الخلاف بين المتمسكين بها  
 والخاذين باحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والاصول الفقهية وجرت بينهم  
 المناظرات في تصحيح كل مهم مذهب امامه تجري على اصول صحيحة وطرائق قومية بمخجها  
 كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به واجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب  
 من ابواب الفقه فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك وابوحنيفة يوافق احدها وتارة  
 بين مالك وابي حنيفة والشافعي يوافق احدها وتارة بين الشافعي وابي حنيفة ومالك  
 يوافق احدها وكان في هذه المناظرات بيان ماخذ هؤلاء الائمة ومنازات اختلافهم  
 ومواقع اجتهادهم كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافيات ولا بد لصاحبه من معرفة  
 القواعد التي يتوصل بها الى استنباط الاحكام كما يحتاج اليها المجتهد الا ان المجتهد يحتاج اليها  
 للاستساط وصاحب الخلافيات يحتاج اليها لمحض تلك المسائل المستنبطة من ان يهدمها  
 الخالف نادلوه وهو لعمرى علم جليل الفائدة في معرفة ماخذ الائمة وادلتهم ومران المطالعين  
 له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه وتاليف الحنفية والشافعية فيه اكثر من  
 تاليف المالكية لان القياس عند الحنفية اصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت فهم  
 لذلك اهل النظر والبحث. واما المالكية فالاثار اكثر معتد بهم وليسوا باهل نظر وايضاً  
 فاكثرهم اهل الغرب وهم بادية غفل من الصنائع الا في الاقل وللغزالي رحمه الله تعالى فيه  
 كتاب الماخذولابي زيد الدبوسي كتاب التعليقة ولان القصار من شيوخ المالكية عيون  
 الادلة وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في اصول الفقه جميع ما ينسب اليها من الفقه الخلافية  
 مدرجاً في كل مسألة ما ينسب اليها من الخلافيات. (واما المجدال) وهو معرفة اداب  
 المناظرة التي تجري بين اهل المذاهب الفقهية وغيرهم فانه لما كان باب المناظرة في الرد  
 والقبول متسعاً وكل واحد من المناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في  
 الاحتجاج ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ فاحتاج الائمة الى ان يضعوا اداباً  
 واحكاماً يقف المناظران عند حدودها في الرد والقول وكيف يكون حال المستدل  
 والمجيب وحيث يسوغ له ان يكون مستدلاً وكيف يكون مخصوصاً مقطوعاً ومحل اعتراضه  
 او معارضته واين يجب عليه السكوت ونخصه الكلام والاستدلال ولذلك قيل فيه انة

معرفة بالتواعد من الحدود والاداب في الاستدلال التي يتوصل بها الى حفظ راي  
وهدمه كان ذلك الراي من الفقه او غيره وهي طريقتان طريقة البردوي وهي خاصة  
بالادلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال وطريقة العميدي وهي عامة في كل  
دليل يستدل به من اي علم كان واكثره استدلال وهو من المناحي الحسنة والمغالطات  
فيه في نفس الامر كثيرة واذا اعتدنا النظر المنطقي كان في الغالب اشبه بالقياس المغالطي  
والسوفسطائي الا ان صور الادلة والاقيسة فيه محفوظة مراعاة تخفى فيها طرق الاستدلال  
كما ينبغي وهذا العميدي هو اول من كتب فيها ونسبت الطريقة اليه وضع الكتاب المسبي  
بالارشاد مختصراً وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره جاءوا على اثره وسلكوا  
مسلكه وكثرت في الطريقة التأليف وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الامصار  
الاسلامية وهي مع ذلك كالية وليست ضرورية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل العاشر

### في علم الكلام

هو علم يتضمن التحاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المتدعة المخرفين  
في الاعتقادات عن مذاهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد  
فلنقدم هنا لطيفة في رهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على اقرب الطرق والمآخذ ثم  
يرجع الى تحقيق علمه وفيما ينظر ويتبر الى حدوده في الملة وما دعا الى وضعه فنقول ان  
الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات او من الافعال السرية او الحيوانية  
فلا بد لها من اسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة وعنها يتم كونه وكل واحد من  
هذه الاسباب حادث ايضاً فلا بد له من اسباب اخرى لا تزال تلك الاسباب مرتبة  
حتى تنتهي الى مسبب الاسباب وموجدها وخالقها سبحانه لا اله الا هو وتلك الاسباب  
في ارتفاعها تنفتح وتتسع طولاً وعرضاً وبحار العقل في ادراكها وتعيدها فاذا الا  
بمصرها الا العلم المحيط سيما الافعال البشرية والحيوانية فان من جملة اسبابها في الشاهد  
القصد والارادات اذ لا يتم كون الفعل الا بارادته والقصد اليه والقصد والارادات  
امور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة يتلو بعضها بعضاً وتلك التصورات  
هي اسباب قصد الفعل وقد تكون اسباب تلك التصورات اخرى وكل ما يقع  
في النفس من التصورات مجهول سببه اذ لا يطلع احد على مادي الامور النفسانية ولا على

ترتيبها انما هي اشياء يلغىها الله في الفكر يتبع بعضها بعضاً والانسان عاجز عن معرفة مبادئها  
ورغايها وانما يحيط علماً في الغالب بالاسباب التي هي طبيعة ظاهره ويقع في مداركها على  
نظام وترتيب لان الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها واما التصورات فنطاقها اوسع  
من النفس لانها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلاً عن الاحاطة  
وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر الى الاسباب والوقوف معها فانه واد  
بهم فيه الفكر ولا يجلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وربما  
انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه واصبح من الضالين الهالكين نعوذ  
بالله من الحرمان والخسران المبين ولا نحسبن ان هذا الوقوف او الرجوع عنه في قدرتك  
واختيارك بل هولون يحصل للنفس وصبغة تستحکم من الخوض في الاسباب على نسبة لا  
نعلمها اذ لو علمناها لتحزنا منها فلتنحز من ذلك بقطع النظر عنها جملة وايضاً فوجه تائير  
هذه الاسباب في الكثير من مسياتها مجهول لانها انما يوقف عليها بالعادة لا قران الشاهد  
بالاستناد الى الظاهر وحقيقة التأثير وكيثته مجهولة وما اوتيتم من العلم الا قليلاً فلذلك  
امرنا بقطع النظر عنها والغائها جملة والتوجه الى مسبب الاسباب كلها وفاعلها وموجدتها  
لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا ان الشارع الذي هو اعرف بمصالح ديننا وطرق  
سعادتنا لا اطلاع على ما وراء الحس قال صلى الله عليه وسلم من مات يشهد ان لا اله الا  
الله دخل الجنة فان وقف عند تلك الاسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر وان  
سبح في بحر النظر والبحث عنها وعن اسبابها وتأثيراتها واحداً بعد واحد فانا الضامن لئان  
لا يعود الا بالخيبة فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الاسباب وامرنا بالتوحيد المطلق  
قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد ولا تنفن بما يزعم لك الفكر  
من انه مقتدر على الاحاطة بالكائنات واسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله وسفه  
رايه في ذلك واعلم ان الوجود عند كل مدرك في بادي عرايه منحصر في مداركه لا يعدوها  
والامر في نسبه بخلاف ذلك والحق من ورائه الا ترى الاصم كيف ينحصر الوجود عنده  
في المحسوسات الاربع والمعقولات ويسقط من الوجود عنده صنف السموات وكذلك  
الاعمى ايضاً يسقط عنده صنف المرئيات ولولا ما يردم الى ذلك تقليد الاباء والمشجعة  
من اهل عصرهم والكافة لما اقرؤوا به لکنهم يتبعون الكافة في اثبات هذه الاصناف لا بمقتضى  
فطرتهم وطبيعة ادراكهم ولو سئل الحيوان الاعمى ونطق لوجدناه منكرًا للمعقولات  
وساقطة لديه بالكلية فاذا علمت هذا فاعلم هناك ضرباً من الادراك غير مدركانت الان

ادراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس والمحصر مجهول والوجود اوسع نطاقاً من ذلك والله من ورائهم محيط فانهم ادراكك ومدركاتك في المحصر واتبع ما امرك الشارع به من اعتقادك وعملك فهو احرص على سعادتك واعلم بما ينفعك لانه من طور فوق ادراكك ومن نطاق اوسع من نطاق عقلك وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فاحكامه يقينية لا كذب فيها غير انك لانطبع ان تزن به امور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصمات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طمع في محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب قطع ان يزن به الجبال وهذا لا يدرك على ان الميزان في احكامه غير صادق لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له ان يحيط بالله ووصافيه فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه وتنظف في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في امثال هذه النضايا وقصورهم واضمحلال رايه فقد تبين لك الحق من ذلك واذ تبين ذلك فاعل الاسباب اذا تجاوزت في الارتقاء نطاق ادراكها ووجودها خرجت عن ان تكون مدركة فيفضل العقل في بقاء الاوهام وبجوار ينقطع فاذا التوحيد هو العجز عن ادراك الاسباب وكيفيات تأثيرها وتوحيض ذلك الى خالفها المحيط بها اذ لفاعل غيره وكلها ترتقي اليه وترجع الى قدرته وعلتنا به انها هو من حيث صدورنا عنه وهذا معنى ما نقل عن بعض الصديقين العجز عن الادراك ادراكك ثم المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الايمان فقط الذي هو تصديق حكيم فان ذلك من حديث النفس وانها الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس كما ان المطلوب من الاعمال والعبادات ايضاً حصول ملكة الطاعة والاعتقاد وتبريق القلب عن شواغل ما سوى المعمود حتى يقلب المرید السالك ربايياً والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والانصاف وشرحه ان كثيراً من الناس يعلم ان رحمة اليتيم والمسكين قرينة الى الله تعالى مندوب اليها ويقول بذلك ويعترف به ويذكر ماخذه من الشريعة وهو لو رأى يتيماً او مسكيناً من ابناء المستضعفين لفر عنه واستكف ان يباشره فضلاً عن التمسح عليه للرحمة وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة فهذا انما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والانصاف ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بان رحمة المسكين قرينة الى الله تعالى مقام اخر اعلى من الاول وهو الانصاف بالرحمة وحصول ملكتها فتمنى رأى يتيماً او مسكيناً بادر اليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه لا يكاد يبصر عن

ذلك ولو دفع عنه ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده وكذا علمك بالتوحيد مع  
 انصافك به والعلم حاصل عن الانصاف ضرورة وهو اوثق مبنى من العلم المحاصل قبل  
 الانصاف وليس الانصاف بجاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مراراً غير  
 منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الانصاف والتحقيق ويجيء العلم الثاني النافع في الاخرة فان  
 العلم الاول المجرد عن الانصاف قليل المجدوى والنفع وهذا علم اكثر النظار والمطلوب  
 انما هو العلم الحالي الناشئ عن العادة واعلم ان الكمال عند الشارع في كل ما كلف به انما  
 هو في هذا فما طالب باعتقاده فالكمال فيه في العلم الثاني المحاصل عن الانصاف وما طلب  
 عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الانصاف والتحقيق بها ثم ان الاقبال على  
 العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة الشريفة قال صلى الله عليه وسلم في راس  
 العبادات جعلت قرعة عيني في الصلاة فان الصلاة صارت له صفة وحالاً يجذب فيها منتهى  
 لذاته وقرعة عينه وبين هذا من صلاة الناس ومن لم يها فويل له الصلوات الذين هم عن صلاتهم  
 ساهون اللهم وفقنا واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب  
 عليهم ولا الضالين فقد نبه لك من جميع ما قررناه ان المطلوب في التكليف كلها  
 حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس هو التوحيد وهو العقيدة  
 الايمانية وهو الذي تحصل به السعادة وان ذلك سواء في التكليف القلبية والبديعية وينتفهم  
 منه ان الايمان الذي هو اصل التكليف وينوعها هو بهذه المراتب او لها  
 التصديق القايي الموافق للسان واعلاها حصول كيفية من ذلك الاعتقاد التليبي وما يتبعه  
 من العمل مستولية على القلب فيستمتع الجوارح وتندرج في طاعتها جميع التصرفات حتى  
 تغرط الافعال كلها في طاعة ذلك التصديق الايماني وهذا ارفع مراتب الايمان وهو  
 الايمان الكامل الذي لا يقارف المؤمن معه صغيرة ولا كبيرة اذ حصول الملكة ورسوخها  
 مانع من الانحراف عن منهاجه طرفة عين قال صلى الله عليه وسلم لا يرني الراني حين يرني  
 وهو مومن وفي حديث هرقل لما سأل انا سفيان ابن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 واحواله فقال في اصحابه هل يرتد احد منهم سخطة لدينه قال لا قال وكذلك الايمان  
 حين تخالط نشاشته القلوب ومعناه ان ملكة الايمان اذا استقرت عسر على النفس ما لفتها  
 شان الملكات اذا استقرت فانها تحصل بمثابة الحيلة والفتنة وهذه هي المرتبة العالية من  
 الايمان وهي في المرتبة الثانية من العصمة لان العصمة واجبة للانبياء وجوباً سابقاً وهذه  
 حاصلة المومنية حصولاً تابعاً لاعمالهم وتصديقهم وبهذه الملكة ورسوخها يقع التفاوت في



الايمان كالدي يتلى عليك من اقاويل السلف وفي تراجم البخاري رضي الله عنه في باب  
 الايمان كثير منه مثل ان الايمان قول وعمل ويريد وينقص وان الصلاة والصيام من  
 الايمان وان تطوع رمضان من الايمان والحياة من الايمان والمراد بهذا كله الايمان  
 الكامل الذي اشرا اليه والى ملكته وهو فعلي<sup>١</sup> واما التصديق الذي هو اول مراتبه فلا  
 تفاوت فيه فمن اعتبر اوائل الاسماء وحمله على التصديق منع من التفاوت كما قال ائمة  
 المتكلمين ومن اعتبر اواخر الاسماء وحمله على هذه الملكة التي هي الايمان الكامل ظهر له  
 التفاوت وليس ذلك نقادح في اتحاد حقيقته الاولى التي هي التصديق اذ التصديق موجود  
 في جميع رتبته لانه اقل ما يطلق عليه اسم الايمان وهو المخلص من عبادة الكفر واليصل بين  
 الكافر والمسلم فلا يجري اقل منه وهو في نفسه حقيقة واحدة لا تتفاوت واما التفاوت في  
 الحال الحاصلة عن الاعمال كما قلناه فانهم واعلم ان الشارع وصف لنا هذا الايمان الذي  
 في المرتبة الاولى الذي هو تصديق وعين اموراً مخصوصة كلهما التصديق بها بنحو ما اعتقادها  
 في اسمها مع الاقرار بالسنتما وهي العقائد التي ندرت في الدين قال صلى الله عليه وسلم  
 حين سئل عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن  
 بالقدر خيره وشره وهذه هي العقائد الايمانية المقررة في علم الكلام ولستر اليها محملة  
 لتبين لك حقيقة هذا الفن وكيفية حدوده فنقول اعلم ان الشارع لما امرنا بالايمان بهذا  
 الخلق الذي رد الافعال كلها اليه وافرده به كما قدمناه وعرفنا ان في هذا الايمان بجانبنا  
 عند الموت اذا حصرنا لم يعرفنا نكته حقيقة هذا الخلق المعهود اذ ذلك متعذر على  
 ادراكنا ومن فوق طوراً فكلمنا اولاً اعتقاد تزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين والا لما  
 صح انه خالق لهم لعدم المارق على هذا التقدير ثم تزيهه عن صفات النقص والشابه  
 المخلوقين ثم توحيد بالاتحاد والالم يتم الخلق للتمتع ثم اعتقاد انه عالم قادر فذلك ثم  
 الافعال شاهد قصيته لكمال الاتحاد والخلق ومريد والالم يخصص شي<sup>٢</sup> من المخلوقات  
 ومقدر لكل كائن والا فالارادة حادثه وانه يعيدنا بعد الموت تكبيراً لعبادته بالاتحاد وان  
 كان لامر فان كان عتياً فهو للبقاء السرمدى بعد الموت ثم اعتقاد بعثة الرسل للنجاة من  
 شقاء هذا المعاد لاختلاف احواله بالتقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك وتمام لطفه  
 بنا في الايتاء بذلك وبيان الطريقين وان الجنة للنعيم والجهنم للعذاب هذه امهات العقائد  
 الايمانية معللة بادلتها العقلية وادلتها من الكتاب والسنة كثير وعن تلك الادلة اخذها  
 السلف وارتد اليها العلماء وحققها الائمة الا انه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل

هذه العقائد أكثر مثارها من الآي المتشابهة فدعا ذلك الى الخصام والتناظر والاستدلال  
 بالعقل وزيادة الى النقل فحدث بذلك علم الكلام ولنين لك تفصيل هذا الجمل وذلك  
 ان القران ورد فيه وصف المعبود بالتنزيه المطلق الظاهر للدلالة من غير تاويل في آي  
 كثيرة وهي سلوب كلها وصرحة في بابها فوجب الايمان بها ووقع في كلام الشارع صلوات  
 الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القران آي اخرى  
 قليلة توهم التشبيه مرة في الدات واخرى في الصفات فاما السلف فغلبوا ادلة التنزيه لكثيرتها  
 ووضوح دلالتها وعلوها استحالة التشبيه وقصوا بان الآيات من كلام الله فامتنوا بها ولم  
 يتعرضوا لمعاها يبحث ولا تاويل وهذا معنى قول الكثير منهم اقرأوها كما جاءت اي امسوا  
 بابها من عند الله ولا تعرضوا لتاويلها ولا تفسيرها لجواز ان تكون ابتلاء فيجب الوقف  
 والاذعان له وشذ لعصرهم متدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه ففريق  
 اشبهوا في الدات باعتقاد اليد والقدم والوجه عملاً بظواهر وردت بذلك فوقوا في  
 التخصيم الصريح ومحاله آي التنزيه المطلق التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة لان معقولة  
 الجسم تقتضي النقص والافتقار وتغلب آيات السلوب في التنزيه المطلق التي هي أكثر  
 موارد وأوضح دلالة اولى من التعلق بظواهر هذه التي لداعتها غنية وجمع بين الدليلين تاويلهم  
 ثم يعرفون من سعاة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام وليس ذلك بدافع عنهم لانه قول  
 متناقض وجمع بين بي واثبات ان كان بالمعقولة واحدة من الجسم وان خالفوا بينهما وبعول  
 المعقولة المتعارفة فقد وافقوا في التنزيه ولم يبق الا جعلهم لنظ الجسم اسماً من اسائه  
 ويتوقف مثله على الادن ورفيق مهم ذهبوا الى التشبيه في الصفات كاتات الجهة والاستواء  
 والنزول والصوت والحرف وامثال ذلك وآل قولهم الى التخصيم فنزعوا مثل الاولين الى  
 قولهم صوت لا كالأصوات جهة لا كالحجات رول لا كالنزول يعنون من الاحسام  
 واندفع ذلك بما اندفع به الاول ولم يبق في هذه الظواهر الا اعتقادات السلف ومذاهبهم  
 والايمان بها كما هي لثلاً بكر الذي على معانيها سبها مع انها صحيحة تاتت من القران ولهذا  
 تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لاس اني ريد وكتاب المختصرة وفي كتاب المحافظان  
 عند البر وغيرهم فانهم يحومون على هذا المعنى ولا تعص عيبك عن القرائن الدالة على  
 ذلك في غصون كلامهم ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والجمت في  
 سائر الانحاء والفت المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه في اي  
 السلوب فقصوا سبى صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة رائدة على احكامها

لما يلزم على ذلك من تعدد القديم برعهم وهو مردود بان الصفات ليست عين الذات  
 ولا غيرها وقصوا سبي السمع والنصر لكونهما من عوارض الاجسام وهو مردود لعدم اشتراط  
 الندية في مدلول هذا اللفظ وانما هو ادراك المسموع او المصروع وقصوا سبي الكلام لشبه ما  
 في السمع والنصر ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس وقصوا بان القرآن مخلوق بدعة  
 صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ولقنها بعض الحلفاء عن ائمتهم فحمل الناس  
 عليها وخالفهم ائمة السلف فاستحل لخلافهم ايسار كثير منهم ودماءهم وكان ذلك سبباً  
 لانهاض اهل السنة بالادلة العقلية على هذه العقائد دفعاً في صدور هذه الدعوى وقام  
 بذلك الشيخ ابو الحسن الاسعري امام المتكلمين فتوسط بين الطرق وبني التشبيه وانت  
 الصفات المعنوية وقصر التزبيح على ما قصره عليه السلف وتهدت له الادلة المحصنة  
 لعمومها وانت الصفات الاربع المعنوية والسمع والنصر والكلام القائم بالنفس نظرياً بالنقل  
 والعقل ورداً على المنتدعة في ذلك كلوه وتكلم معهم فيما هذبوه هذه الدعوى من القول بالصلاح  
 والاصح والتحسين والتفخيخ وكمال العقائد في المعنة واحوال الجنة والار والتواب والعقاب  
 والحق بذلك الكلام في الامامة لما ظهر حينئذ من بدعة الامامية من قولهم انها من عقائد  
 الايمان وانه يجب على النبي تعييبها والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له وكذلك على  
 الامة وقصارى امر الامامة انها قضية مصلحة اجماعية ولا تلحق بالعقائد فلذلك الحقوها  
 بمسائل هذا الفن وسما مجموعته علم الكلام اما لما فيه من المماطلة على الدعوى وهي كلام  
 صرف وليست راجعة الى عمل واما لان سبب وضعه والخوض فيه هو تارعه في اثبات  
 الكلام النسبي وكثير اتناع الشيخ الى الحسن الاسعري واقتنى طريقته من بعده تلميذه  
 كاس مجاهد وغيره واخذ عنهم القاضي ابو بكر الباقلاني فتصدّر للامامة في طريقتهم وهذبها  
 ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الادلة والاطار وذلك مثل اثبات الجوهر  
 المراد والحلاء وان العرص لا يقوم بالعرص وانه لا يبقى رمايين وامثال ذلك مما تتوقف  
 عليه ادلتهم وحمل هذه القواعد تبعاً للعقائد الايمانية في وحب اعنفاها لتوقف تلك  
 الادلة عليها وان بطلان الدليل يوزن بطلان المدلول وحملت هذه الطريقة وجاءت  
 من احسن النور النظرية والعلوم الدينية الا ان صور الادلة تعتبر بها الاقيسة ولم تكن  
 حينئذ ظاهرة في الملة ولو ظهر منها بعض الشيء فلم يأخذ به المتكلمون للاستسها للعلوم  
 الفلسفية الماينة للعقائد الشرعية بالحملة فكانت مهجورة عندهم لذلك تم جاء بعد القاضي  
 ابي بكر الباقلاني امام الحرمين ابو المعالي فامل في الطريقة كتاب التامل واوسع القول

فيه تم لخصه في كتاب الارشاد واتخذته الناس اماماً لعقائدهم ثم انتشرت من بعد ذلك علوم المنطق في الملة وقرأه الناس وفرقوا بينه وبين العلوم الفلسفية بانه قانون ومعيار للادلة فقط يسر به الادلة منها كما يسر من سواها ثم نظروا في تلك القواعد المقدمات في الكلام للاقدمين فخالقوا الكثير منها بالبراهين التي أدلت الى ذلك وربما ان كثيراً منها مقتبس من كلام الفلاسفة في الطبيعيات والاهليات فلما سرورها بمعيار المنطق ردهم الى ذلك فيها ولم يعتقدوا بطلان الدلول من بطلان دليله كما صار اليه القاضي فصارت هذه الطريقة من مصطلحهم مائة للطريقة الاولى ونسبوا طريقة المتأخرين وربما ادخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية وجعلوهم من خصوم العقائد لتناسب الكثير من مذاهب المتدعة ومذاهبهم واول من كتب في طريقة الكلام على هذا المعنى العراقي رحمه الله وتبعه الامام ابن الحطيب وجماعة فنوا اثرهم واعتمدوا تقليدهم ثم توغل المتأخرون من بعدهم في محالطة كتب الفلسفة والنس عليهم شان الموضوع في العلمين فحسبوه فيها واحداً من اشتماء المسائل فيها . واعلم ان المتكلمين لما كانوا يستدلون في اكثر احوالهم بالكائنات واحوالها على وجود الداري وصفاته وهو نوع استدلالهم عالمياً والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها محال لظن المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الاهليات اما هو ينظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ونظر المتكلم في الوجود من حيث انه يدل على الموجد وبالجملة فموضوع علم الكلام عند اهلنا هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن ان يستدل عليها بالادلة العقلية فترفع الدع وتزول الشكوك والتشديد عن تلك العقائد واذا نامت حال الفن في حدوده وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرًا بعد صدر وكلهم يرض العقائد صحيحة ويستنهض الحجج والادلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع النس وانه لا بعده . ولقد اختلفت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين والنس مسائل الكلام بمسائل الفلاسفة بحيث لا يتميز احد العيين من الآخر ولا يحصل عليه طائفة من كتبهم كما فعله البيضاوي في الطوالع ومن جاء بعده من علماء العمم في جميع ناليهم الا ان هذه الطريقة قد يعي بها بعض طلبة العلم للاطلاع على المذاهب والاغراق في معرفة الحجاج لو فور ذلك فيها وامحاذاة طريقة السلف عقائد علم الكلام فانما هو للطريقة القديمة للمتكلمين واصلا كتاب الارشاد وما حدا حده . ومن اراد ادخال الرد على الفلاسفة

في عقائده فعليه نكتب الغرالي والامام اس الخطيب فانها وان وقع فيها مخالفة للاصلاح  
 القديم فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس في الموضوع ما في طريقة هولاء  
 المتأخرين من بعدهم وعلى الجملة فيندعي ان يعلم ان هذا العلم الذي هو علم الكلام غير  
 ضروري لهذا العهد على طالب العلم اذ المصلحة والمنتفعة قد افرصوا والائمة من اهله  
 الستة كفروا شانهم فيما كتبوا ودونوا والادلة العقلية اما احتاجوا اليها حين دافعوا وبصروا  
 واما الان فلم يبقَ منها الا كلام تنزه الناري عن كثير ايها ماته واطلاقه ولقد سئل الجنيد  
 رحمه الله عن قومٍ مرَّ بهم من المتكلمين يبيصون فيه فقال ما هو هؤلاء فقيل قوم يزهون  
 الله بالادلة عن صفات الحدوث وسات النقص فقال في العيب حيث يستحيل العيب  
 عيب لكن فائدته في احاد الناس وطلبة العلم فائدة معتبرة لا يحسن بحامل السنة الجهل  
 بالتحجج الظيرية على عقائدها والله وليُّ المومنين

## الفصل الحادي عشر

### في علم التصوف

هذا العلم من العلوم الشرعية المحادثة في الملة واصلة ان طريقة هولاء القوم لم ترل  
 عند سلف الامة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية واصحابها  
 العكوف على العبادة والانتفاع الى الله تعالى والاعراض عن زحرف الدنيا ورينها والزهد  
 فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والاعراض عن الحلق في الحلق للعبادة وكان  
 ذلك عاماً في الصحابة والسلف فلما امتسا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده  
 وحنج الناس الى محاطة الدنيا احص المقتبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة وقال  
 القشيري رحمه الله ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس والظاهرة  
 لقب ومن قال اشتقاقه من الصما او من الصفة فمعيد من جهة القياس اللغوي قال  
 وكذلك من الصوف لانهم لم يمتصوا لئسوا . قلت والظاهر ان قيل بالاشتقاق انه من  
 الصوف وهم في العالب محضون لئسوا كما كانوا عليه من مخالفة الناس في لس فاخر الثياب  
 الى لس الصوف فلما اخص هولاء بمذهب الزهد والاعراض عن الحلق والاقبال على  
 العبادة اخصوا بما خد مدركة لهم وذلك ان الانسان بما هو اسان اما يتميز عن سائر  
 الحيوان بالادراك وادراكه بوعا ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك  
 والوهم والادراك للاحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضى والغضب

والصبر والشكر وامثال ذلك فالروح العاقل والمتصرف في البدن تشبهاً من ادراكات  
 وارادات واحوال وهي التي يميزها الاساس وبعضها يشبهاً من بعض كما يشبها العلم من  
 الادلة والمرح والحزن عن ادراك المولم او المتلذذ به والشياط عن الحمام والكسل عن  
 الاعياء وكذلك المرید في مجاهدته وعبادته لا بد وان يشبهاً له عن كل مجاهدة حال  
 نتيجة تلك المجاهدة وتلك الحال اما ان تكون نوع عمادة فترسخ وتصير مقاماً للمرید واما  
 ان لا تكون عمادة واما تكون صفة حاصلة للنفس من حزن او سرور او نشاط او كسل  
 او غير ذلك من المقامات ولا يزال المرید يترقى من مقام الى مقام الى ان ينتهي الى التوحيد  
 والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة قال صلى الله عليه وسلم من مات يتهد ان لا اله  
 الا الله دخل الجنة فالمرید لا بد له من الترتيقي في هذه الاطوار واصلها كلها الطاعة والاخلاص  
 ويتقدمها الايمان ويصاحبها وتشبهاً عنها الاحوال والصفات نتائج وثمرات ثم تشبهاً عنها  
 اخرى واخرى الى مقام التوحيد والعراف واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فعمل انه  
 اما اني من قبل التقصير في الذي قبله وكذلك في الخواطر النسائية والواردات القلبية  
 فهذا يحتاج المرید الى محاسبة نفسه في سائر اعماله ويطرف في حقائقها لان حصول النتائج  
 عن الاعمال ضروري وقصورها من الحال فيها كذلك والمرید يجد ذلك بذوقه وبجانب  
 نفسه على اسبابه ولا يشاركهم في ذلك الا القليل من الناس لان العنلة عن هذا كانتها  
 شاملة وغاية اهل العبادات اذا لم ينتهوا الى هذا النوع انهم ياتون بالطاعات محلصة من  
 نظر الفقه في الاحراء والامثال وهؤلاء يجتنبون عن نتائجها بالادواق والمواجد ليطالعوا  
 على انها خالصة من التقصير ولا فظهر ان اصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الافعال  
 والتروك والكلام في هذه الادواق والمواجد التي تحصل عن المجاهدات ثم تستقر للمرید  
 مقاماً يترقى منها الى غيرها ثم لم مع ذلك اداب مخصوصة بهم واصطلاحات في المناظ  
 تدور بينهم اذ الاوضاع اللغوية اما هي المعاني المتعارفة فاذا عرض من المعاني ما هو  
 غير متعارف اصطلاحاً عن التعبير عنه لفظاً يتيسر فهمه منه فهذا اختصاص هؤلاء بهذا النوع  
 من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من اهل الشريعة الكلام فيه وصار علم الشريعة على  
 صنفين صنف مخصوص الفقهاء واهل الفتيا وهي الاحكام العامة في العبادات والعبادات  
 والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها والكلام  
 في الادواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترتيقي منها من ذوق الى ذوق وشرح  
 الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك فلما كتبت العلوم ودوت والفقهاء في الفقه

واصوله والكلام والتفسير وغير ذلك كتب رجال من اهل هذه الطريقة في طريقهم فهم  
 من كتب في الورع ومحاسنة النفس على الاقتداء في الاخذ والتترك كما فعله القشيري في  
 كتاب الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وامثالهم وجمع الغرالي رحمه الله  
 بين الامرين في كتاب الاحياء فدون فيه احكام الورع والاقتداء ثم بين اداب القوم  
 وسبهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد ان  
 كانت الطريقة عادة فقط وكانت احكامها اما تلتقى من صدور الرجال كما وقع في سائر  
 العلوم التي دوست بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والاصول وغير ذلك . ثم ان  
 هذه المجاهدة والحلوة والذكر يتبعها غالباً كنف حجاب المحس والاطلاع على عوالم من  
 امر الله ليس اصاحب المحس ادراك شيء منها والروح من تلك العوالم وسبب هذا  
 الكشف ان الروح اذا رجع عن المحس الظاهر الى الباطن ضعفت احوال المحس وقويت  
 احوال الروح وغلب سلطانه وتجدد سنوه واعان على ذلك الذكر فانه كالغذاء لتسمية  
 الروح ولا يزال في موتر يدا الى ان يصير شهوداً بعد ان كان علماً ويكشف حجاب  
 المحس ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الادراك فيتعرض حينئذ للهوالب  
 الرائية والعلوم اللدنية والفتح الالهي وتقرب ذاته في تحققي حقيقتها من الافق الاعلى افق  
 الملائكة وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لاهل المجاهدة فيدركون من حقائق الوجود  
 ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيراً من الواقعات قبل وقوعها ويتصرفون بهمهم  
 وقوى شوسهم في الموجودات السلبية وتصير طوع ارادتهم فالعظمة مهم لا يعنرون  
 هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يجسرون عن حقيقة شيء لم يومروا بالتكلم فيه بل يعدون  
 ما يقع لهم من ذلك محنة ويتعودون منه اذا هاجمهم وقد كان الصحابة رضي الله عنهم  
 على مثل هذه المجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات اوفر المحطوظ لكرمهم لم يقع لهم بها  
 عنابة وفي فضائل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها وتعمهم في ذلك  
 اهل الطريقة ممن استتمت رسالة القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقهم من بعدهم ثم  
 ان قوماً من المتأخرين انصرفت عنابهم الى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه  
 واختلعت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في امانة القوى الحسية وتعدية  
 الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها تمام نشوتها وتغديتها  
 فاذا حصل ذلك رعموا ان الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم كشفوا ذوات  
 الوجود ونصروا حقائقها كلها من العرش الى الطنن هكذا قال الغرالي رحمه الله في

كتاب الاحياء بعد ان ذكر صورة الرياضة . ثم ان هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً  
 عندهم الا اذا كان امثلاً عن الاستقامة لان الكشف قد يحصل لصاحب الخوع والحلوة  
 وان لم يكن هناك استقامة كالسحرة والصارى وغيرهم من المتراضين وليس مرادنا الا  
 الكشف اللاحق عن الاستقامة ومثاله ان المرأة الصقيلة اذا كانت محمّدة او مقعّرة وحوذي  
 بها حبة المرئي فانه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته وان كانت مسطحة تشكل فيها  
 المرئي صحيحاً فالاستقامة للنس كالاساط للمرأة فيما يطبع فيها من الاحوال ولما عني  
 المتأخرون بهذا النوع من الكشف تكلموا في حقائق الموحودات العلوية والسلبية وحقائق  
 الملك والروح والعرش والكرسي وامثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقة  
 عن فهم ادواتهم ومواجههم في ذلك واهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس الدرهم  
 والدليل سافع في هذا الطريق رداً وقبولاً اذ هي من قبيل الوجدانيات وربما قصد  
 بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فاتي بالاعراض فالاعراض  
 بالنسبة الى اهل النظر والاصطلاحات والعلوم كما فعل اليرغاني شارح قصيدتان النارض  
 في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح فانه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل  
 وترتيبه ان الوجود كله صادر عن صفة الوجدانية التي هي مظهر الاحدية وهامعاً صادراً  
 عن الذات الكريمة التي هي عين الوحدة لاغير ويسمون هذا الصدور بالتخلي واول  
 مراتب التخليلات عندهم تخلي الذات على نفسه وهو يتضمن الكمال باضافة الابدان والظهور  
 لقوله في الحديث الذي يتناقلونه كت كزاً محمبياً فاحسب ان اعرف فخلق الحق ليعرفوني  
 وهذا الكمال في الابدان المنتزلة في الوجود وتفصيل الحقائق وهو عندهم عالم المعاني  
 والمحصرة الكمالية والحقيقة المحمدية وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الاسباء  
 والرسائل اجمعين والكل من اهل الملة المحمدية وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية ويصدر  
 عن هذه الحقائق حقائق اخرى في المحصرة الهائية وهي مرتبة المثال ثم عنها العرش ثم  
 الكرسي ثم الافلاك ثم عالم العناصر ثم عالم التركيب هذا في عالم الرتق فاذا تجملت فهي في  
 عالم التنق ويسمى هذا المذهب مذهب اهل التخلي والمظاهر والمحصرات وهو كلام  
 لا يقتدر اهل النظر الى تحصيل مقتضاه لغرضه واعلانيه وبعد ما بين كلام صاحب  
 المشاهدة والوجدان وصاحب الدليل وربما انكر نفاذ الشرع هذا الترتيب وكذلك  
 ذهب اخرون منهم الى القول بالوحدة المطلقة وهو رأي اغرب من الاول في تعقله  
 وتعارفه برعمون فيه ان الوجود له قوى في تفاصيلها كانت حقائق الموحودات وصورها



وموادها والعناصر اما كانت بما فيها من القوى وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها ثم ان المركبات فيها تلك القوى متضمنة في القوة التي كان بها التركيب كالقوة المعدنية فيها قوى العناصر بهيولها وزيادة القوة المعدنية ثم القوة الحيوانية تتضمن القوة المعدنية وزيادة قوتها في نفسها وكذا القوة الانسانية مع الحيوانية ثم الفلك يتضمن القوة الانسانية ورادة وكذا الدوات الروحانية والقوة الجامعة للكامل من غير تفصيل هي القوة الالهية التي استمت في جميع الموجودات كلية وجبرئية وجمعتها واحاحت بها من كل وجه لا من جهة الظهور ولا من جهة الخفاء ولا من جهة الصورة ولا من جهة المادة فالكل واحد وهو نفس الذات الالهية وهي في الحقيقة واحدة بسيطة والاعنار هو المصل لها كالانسانية مع الحيوانية الا ترى انها مدرجة فيها وكائنة نكوتها فتارة يمتلونها بالجنس مع النوع في كل موجود كما ذكرناه وتارة بالكل مع الجزء على غريفة المثال وهم في هذا كله يبرون من التركيب والكثره بوجه من الوجوه وانما اوجها عندهم الوهم والخيال والذي يظهر من كلام اس دهقان في تقرير هذا المذهب ان حقيقة ما يقولونه في الوحدة شبيه بما تقوله الحكماء في الالوان من ان وجودها مشروط بالصوت فاذا عدم الصوت لم تكن الالوان موحدة بوجه وكذا عندهم الموجودات المحسوسة كلها مشروطة بوجود المدرك الحسي بل والموجودات المعقولة والمتوهمه ايضا مشروطة بوجود المدرك العقلي فاذا الوجود المفضل كله مشروط بوجود المدرك الشري فلو فرضنا عدم المدرك الشري حتملة لم يكن هناك تفصيل الوجود بل هو بسيط واحد فالحر والبرد والصلابة واللين بل والارض والماء والبار والسياء والكواكب انما وجدت لوجود الحواس المدركة لها لما جعل في المدرك من التفصيل الذي ليس في الموجود وانما هو في المدرك فقط فاذا فقدت المدرك المنفصله فلا تفصيل انما هو ادراك واحد وهو ان لا غيره ويعتبرون ذلك بحال النائم فانه اذا نام وفقد الحس الظاهر فقد كل محسوس وهو في تلك الحالة الا ما بهصلة له الخيال قالوا فكذا البقطان انما يعتبر تلك المدركات كلها على التفصيل بسوع مدركه الشري ولو قدر فقد مدركه فقد التفصيل وهذا هو معنى قولهم الموهوم لا الوهم الذي هو من حتملة المدرك الشري فانه هذا الملخص راجعهم على ما بينهم من كلام اس دهقان وهو في غاية السقوط لانا نقطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون عنه واليه يقياً مع عينه عن اعيننا ووجود السياء المظلمة والكواكب وسائر الاشياء العائنة عما والانساق قاطع بذلك ولا يكاد احد يسه في اليقين مع ان المحققين من المتصوفة المتأخرين يقولون ان المراد عند

الكشف ربما يعرض له توهم هذه الوحدة ويسمى ذلك عدمهم مقام الجمع ثم يترقى عنه الى التمييز بين الموحودات ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق وهو مقام العارف المحقق ولا بد للريد عدمهم من عقمة الجمع وهي عقمة صعدة لانه يجتشى على المرید من وقوفه عندها فتمحسب عقمة فقد تبيت مراتب اهل هذه الطريقة ثم ان هولاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس نوعلوا في ذلك فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة كما اشربا اليونان والصحف من مثل الهروى في كتاب المقامات له وغيره وتعمهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذها ابن العفيف وابن الناصر والشمع الاسرائيلي في قصائدهم وكان سائرهم محالطين للاسما عيلية المتأخرين من الراوضة الدائمين ايضاً بالحلول والهيبة الائمة مدهاً لم يعرف لا ولم فاشرب كل واحد من الذين يقين مذهب الاخر واخناط كلامهم ونشابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالنقطب ومعناه راس العارفين يرعون الله لا يمكن ان يساويه احد في مقامه في المعرفة حتى يقصده الله ثم يورث مقامه لآخر من اهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في وصول التصوف منها فقال حل حبات الحق ان يكون تبرعة لكل وارد او يصلح عليه الا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي وانما هو من انواع الخصانة وهو بعينه ما نقوله الراوضة وداعوا يوم قالوا بترتيب وحود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في القماء حتى انهم لما اسدوا لباس حرفة التصوف ليحعلوه اصلاً لظرفتهم وتغلبهم رفعوه الى علي رضي الله عنه وهو من هذا المعنى ايضاً والافعلي رضي الله عنه لم يخص من بين الصحابة تغلبية ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان انوبكر وعمر رضي الله عنهما ارهد لباس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثرهم عبادة ولم يخص احد منهم في الدين سني بوتر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم اسوة في الدين والرهدة والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هولاء المتصوفة في امر الناظمي وما تحموا كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام سني واثنات وانما هو ماخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق ثم ان كثيراً من الفقهاء واهل النتميا ابتدوا للرد على هولاء المتأخرين في هذه المقالات وامثالها وشملوا بالكبير سائر ما وقع لهم في الطريقة والحق ان كلامهم معهم فيه تفصيل فان كلامهم في اربعة مواضع احدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الاذواق والمواجد ومحاسبة النفس على الاعمال لتحصل تلك الاذواق التي تصير مقاماً و يترقى منه الى غيره كما قلناه وتايها الكلام في الكشف

والحقيقة المدركة من عالم العيب مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة  
والوحي والسوة والروح وحقائق كل موجود غائب او شاهد وتركيب الاكوان في صدورها  
عن موحدها وتكونها كما مروايتها التصرفات في العوالم والاكوان باواع الكرامات  
ورابعها الفاظ موهمة الظاهر صدرت من الكثير من ائمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم  
بالشطح تستشكل ظواهرها فمسكر ومحسن ومتاويل فاما الكلام في المجاهدات والمقامات  
وما يحصل من الاذواق والمواحد في نتائجها ومحاسبة النفس على التفسير في اسماها فامر  
لامدفع فيه لاحد وادواقيهم فيه صحيحة والتحقق بها هو عين السعادة واما الكلام في كرامات  
القوم واخبارهم بالمعيبات ونصرفهم في الكائنات فامر صحيح غير مسكر وان مال بعض العلماء  
الى انكارها فليس ذلك من الحق وما احتج به الاستاذ ابو اسحاق الاسهرايي من ائمة  
الاشعرية على انكارها بالانسائها بالمعجزة فقد فرق المحققون من اهل السنة بينهما بالتعدي  
وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به قالوا نعم ان وقوعها على وفق دعوى الكاذب  
غير مقدور لان دلالة المعجزة على الصدق عقلية فان صفة نسبها التصديق فلو وقعت مع  
الكاذب لتبدلت صفة نسبها وهو محال هذا مع ان الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه  
الكرامات وانكارها نوع مكابرة وقد وقع للمصحة واکار السلف كثير من ذلك وهن  
معلوم مشهور واما الكلام في الكشف واعطاء حقائق العلويات وترتيب صدور الكائنات  
فاكثر كلامهم فيه نوع من المشابهة لما انه وحده في عدمهم وفاقدهم الوجودان عدمهم معرل  
عن ادواقيهم وفيه واللغات لانعطفى للدلالة على مرادهم منه لانها لم توضع للمعارف واكثره  
من المحسوسات فيسعي ان لا تعرض لكلامهم في ذلك وسركه في تركاها من المشابهة  
ومن ررقه الله فهم تبي من هذه الكلمات على الوجه الموافق للظاهر الشرعية فاما كرم بها  
سعادة واما الانباط الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات وواحد من اهل الشرع فاعلم  
ان الانصاف في شأن القوم انهم اهل غيبة عن الحس والواردات تمكهم عن بطلانها عنها  
بما لا يتبادر في وصاحب الغيبة غير مما طلب والمحجور بعددور من علم هم وصالة واقتداوه  
حمل على القدر المحجل من هدايا العارضة عن الواحد صفة لئلا ان الوضع لها كواقع  
لا يبريد وامناله ومن لم يعلم فصله ولا اشبهه فهو احد ما صدر عنه من ذلك اذا لم يتبين  
لما ما يجها ما على تاويل كلامه واما من تكلم بمثلا وهو حاضر في حسه ولم يملكه الحال  
فواحد ابدأ ولهذا افتى الفقهاء واکار المتصوفة بقتل الخلاج لانه تكلم من حضور وهو  
مالك الخالي والله اعلم وسلف المتصوفة من اهل الرسالة اعلام الملة الذين اشربنا اليهم

من قبل لم يكن لهم حرص على كشف المحجبات ولا هذا النوع من الادراك انما همم الاتباع والافتداء ما استطاعوا ومن عرض له شيء من ذلك اعرض عنه ولم يجفل به بل يهرون منه ويرون انه من العوائق والحسن وانه ادراك من ادراكات النفس مخلوق حادث وان الموجودات لا تنحصر في مدارك الانسان وعلم الله اوسع وخلقه اكبر وشريعته بالهداية املك فلا يظنون بشيء مما يدركون بل حطروا الحوض في ذلك ومسعوا من يكشف له المحجبات من اصحابهم من الحوض فيه والوقوف عنده بل يلتزمون طريقهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والافتداء ويا مرون اصحابهم بالتزامها وهكذا بسغي ان يكون حال المرید والله الموفق للصواب

## الفصل الثاني عشر

### في علم تعبير الرويا

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عند ما صارت العلوم صنائع وكتب الناس فيها واما الرويا والتعبير لها فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف وربما كان في الملوك والامم من قبل الاله لم يصل اليه الاكتفاء فيه بكلام المعبرين من اهل الاسلام والاروبا وموحدة في صنف الشر على الاطلاق ولا بد من تعبيرها فلقد كان يوسف الدينق صلوات الله عليه يعبر الرويا كما وقع في القرآن وكذلك نتجت عن الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي كرزبي الله عنه والرويا مدرك من مدارك العرب وقال صلى الله عليه وسلم الرويا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءاً من النبوة وقال لم يبق من المشرات الا الرويا الصالحة براها الرجل الصالح او ترى الاول ما يابى به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا فكان لا يرى روي الا اجاءت ممل فلق الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا استبل من صلاة العداة يقول لاصحابه هل رى احدكم اليانة روي يا سالم عن ذلك ليس بشيء وما وقع من ذلك ما فيه ظهور الدين واعراره واما السبب في كون الرويا مدركاً للغيب فهو ان الروح القلبي وهو البخار اللطيف المسبب من تحويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن ويكهل افعال القوى الحيوانية واحساسها فاذا ادركه الملائكة كتيرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس وتضرب القوى الطاهرة وغشي سطح البدن ما يعشاه من مرد الليل انحس الروح من سائر اقطار البدن الى مركزه القلبي فيستجمع بذلك المعاودة

فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها وذلك هو معنى النوم كما تقدم في اول الكتاب ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الاسنان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الامر بذاته اذ حقيقته وداته غير الادراك وإنما يمنع من تعلقه للمدارك الغيبية ما هو فيه من حجاب الاستغفال بالبدن وقواه وحواسه فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه لرجع الى حقيقته وهو عين الادراك فيعقل كل مدرك فاذا تجرد عن بعضها خبت شواعله فلا بد له من ادراك لمحة من عالمه بقدر ما تجرد له وهو في هذه الحالة قد خبت شواعل الحس الظاهر كلها وهي الشاعل الاعظم فاستعد لقبول ما هالك من المدارك الثلاثة من عالمه واذا ادرك ما يدرك من عوالم يرجع الى بدنه اذ هو ما دام في بدنه حساسي لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الحسائية والمدارك الحسائية للعلم انما هي الدماغية والمتصرف منها هو الخيال فانه يتربع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ثم يدورها الى المحافظة تحصيلها الى وقت الحاجة اليها عند الضرر والاستدلال وكذلك تجرد النفس منها صوراً اخرى حسائية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى المعقول والخيال واسطة بينهما ولذلك اذا ادركت النفس من عالمها ما تدركه الفنة الى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ويدفعه الى الحس المشترك فيراى المنام كأنه محسوس فيتنزل المدرك من الروح العقلي الى الحسي والخيال أيضاً واسطة هذه حقيقة الرويا ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرويا والصاححة واضعاث الاحلام الكادنة فانها كلها صور في الخيال حالة النوم ولكن ان كانت تلك الصور متبرلة من الروح العقلي المدرك فهو رويان وان كانت مأخوذة من الصور التي في المحافظة التي كان الخيال اودعها اياها مد اليفظة فهي اضغاث احلام واما معني التعبير فاعلم ان الروح العقلي اذا ادرك مدركة والقاد الى الخيال فيصوره فانما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء كما يدرك معنى السلطان الاعظم فيصوره الخيال بصورة البحر او يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية فاذا استيقظ وهو لم يعلم من امره الا انه راى البحر او الحية فينظر المعبر بقوة التشبيه بعد ان يتيقن ان البحر صورة محسوسة وان المدرك وراها وهو يتهدى بقرائن اخرى تعين له المدرك فيقول مثلاً هو السلطان لان البحر خلق عظيم يناسب ان يشبه به السلطان وكذلك الحية يناسب ان تشبه بالعدو لعظم ضررها وكذا الاواني تشبه بالسقاء لانهن اوعية ومثال ذلك ومن المرئي ما يكون صريحاً لا يفتقر الى تعبير لجلالها ووصوحها او لقرب الشبه فيها بين المدرك وشبهه ولهذا وقع في الصحيح الرويا ثلاث رويان من الله ورويان من الملك

ورؤيا من الشيطان فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تنتقل الى تاويل والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تنقل الى التعبير والرؤيا التي من الشيطان هي الاضغاث واعلم ايضاً ان الحيال اذا التقى اليه الروح مدركة فاما يصوره في القوالب المعتادة للحس وما لم يكن الحس ادركة قط فلا يصور فيه فلا يمكن من ولد اعنى ان يصور له السلطان بالبحر ولا العدو بالحية ولا النساء بالاوالي لانه لم يدرك شيئاً من هذه واما يصور له الحيال امثال هذه في شبهها ومناسبتها من حسن مداركه التي هي المسموعات والمشهورات وليتخبط المعبر من مثل هذا فربما اخلط به التعبير وفسد قابونه ثم ان علم التعبير علم تقايين كلية يسي عليها المعبر عبارة ما يقص عليه وناويلة كما يقولون البحر يدل على السلطان وفي موضع اخر يقولون البحر يدل على الغيظ وفي موضع اخر يقولون البحر يدل على الهم والامر بالمادح ومثل ما يقولون الحية تدل على العدو وفي موضع اخر يقولون هي كاتم سر وفي موضع اخر يقولون تدل على الحياة وامثال ذلك فيحفظ المعبر هذه القوالب الكلية ويعبر في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوالب ما هو اليق والرؤيا وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ومنها ما يقدر في نفس المعبر بالخاصية التي حلت فيه وكل ميسر لما خلق له ولم يرل هذا العلم متساقلاً بين السلف وكان محمد بن سيرين فيه من اشتهر العلماء وكتب عنه في ذلك القوالب وتناقلها الناس لهذا العهد والى الكرماني فيه من بعده ثم الف المتكلمون المتأخرون واكثرها والمتداول بين اهل المغرب لهذا العهد كتب ابن ابي طالب القيراني من علماء القيران مثل المتع وغيره وكتاب الانتارة للساجي وهو نام مصي سور النبوة لهاسة التي بينها كما وقع في الصحيح والله علام الغيوب

### الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

واما العلوم العقلية التي هي طبيعية للانسان من حيث انه ذو فكر فهي غير مخصصة بملة بل بوجه النظر فيها الى اهل الملل كلهم ويستوون في مداركها وساحتها وهي موحودة في النوع الاساسي منذ كان عمران الخليفة وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة وهي مستهله على اربعة علوم الاول علم المنطق وهو علم يعصم الذهن عن الخطا في اقتناص المطالب المجهولة من الامور الحاصلة المعلومة وفائدته تمييز الخطاء من الصواب فيما ينسب الى الناظر في الموجودات وعوارضها ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره

ثم النظر بعد ذلك عديم اما في المحسوسات من الاجسام العنصرية والمكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والاجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التي تنبعث عنها الحركات وغير ذلك ويسمى هذا العلم الطبيعي وهو الثاني منها واما ان يكون النظر في الامور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ويسمونه العلم الالهي وهو الثالث منها والعلم الرابع وهو الناظر في المقادير ويستعمل على اربعة علوم وتسمى التعاليم اوها علم الهندسة وهو النظر في المقادير على الاطلاق اما المنفصلة من حيث كونها معدودة او المتصلة وهي اما ذو بعد واحد وهو الخط او ذو بعدين وهو السطح او ذو ابعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي ينظر في هذه المقادير وما يعرض لها اما من حيث ذاتها او من حيث نسبة بعضها الي بعض وتاثيرها علم الارتماطيقي وهو معرفة ما يعرض للكلم المنفصل الذي هو العدد ويؤخذ له من الخواص والعوارض اللاحقة وثالثها علم الموسيقى وهو معرفة نسب الاصوات والنغم بعضها من بعض وتقدرها بالعدد وثمرته معرفة تلاحين الغناء ورابعها علم الهيئة وهو تعيين الاشكال للافلاك وحصر اوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارة والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية المتشاهدة الموحدة لكل واحد منها ومن رجوعها واستقامتها واقبالها وادبارها وهذه اصول العلوم التأسيسية وهي سعة المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم فالارتماطيقي اولاً ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ثم الطبيعيات ثم الالهيات ولكل واحد منها فروع تنفرع عنها من فروع الطبيعيات الطب ومن فروع علم العدد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الازياج وهي قوايين لحسابات حركات الكواكب وتعدديها للوقوف على مواضعها متى قصد ذلك ومن فروع النظر في النجوم علم الاحكام النجومية ونحو تتكلم عليها واحداً بعد واحد الى اخرها واعلم ان اكثر من عى بها في الاحيال الذين عرفنا اخبارهم الامتان العظيمتان في الدولة قبل الاسلام وهما فارس والروم فكانت اسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفوراً فيهم والدولة والسلطان قبل الاسلام وعصردهم فكان لهذه العلوم محور راخرة في افاقهم وادبارهم وكان الكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصروهم من النبط عناية بالسير في السماء وما يتبعها من الالاسم واخذ ذلك عنهم الامم من فارس ويونان فاخص بها النبط وطبى مجرهما فيهم كما وقع في المثلث من خباروت وماروت وشان السحرة وما نقله اهل العلم من شان البرابي بصعد مصر ثم تناعت الملل بمحظر ذلك وتخريبه فد رست علومه وبطلت كان لم تكن الا بقايا يتناقلها متخلو هذه الصنائع والله

اعلم بصحتها مع ان سيوف الشرع قائمة على ظهورها مانعة من اخبارها واما الفرس فكان  
 شان هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ونطاقها متسعاً لما كانت عليه دولتهم من الصنامة  
 واتصال الملك ولقد يقال ان هذه العلوم اما وصلت الى يونان منهم حين قتل الاسكندر  
 دارا وغلب على مملكة الكينية فاستولى على كتبهم وعلومهم مما لا ياخذها الحصر ولما فتحت  
 ارض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتب سعدس ابى وقاص الى عمر اس الخطاب  
 ليستاذنه في شأنها وتنقلها للمسلمين فكتب اليه عمران اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها  
 هدى فقد هدا الله ما هدى منه وان يكن ضلالاً فقد كهانا الله فطرحوها في الماء او في  
 النار وذهبت علوم الفرس فيها عن ان تصل الينا . واما الروم فكانت الدولة منهم ليونان  
 اولاً وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب وحملها مشاهير من رجالهم مثل اساطين الحكمة  
 وغيرهم واخص فيها المشاءون منهم اصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم كما يقرأون  
 في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما رعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما يرعمون  
 من لدن لقمان الحكيم في تلميذه نقرات الدر ثم الى تلميذه افلاطون ثم الى تلميذه ارسطو ثم الى  
 تلميذه الاسكندر الافروديسي ونامسطيون وغيرهم وكان ارسطو معلماً للاسكندر ملكهم  
 انذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع الملك من ايديهم وكان ارسطو في هذه العلوم قدماً  
 وابعدهم فيها صيتاً وكان يسمى المعلم الاول فطار له في العالم ذكر . ولما انقرض امر  
 اليونان وصار الامر للقيصره واخذوا يدين الصراية هجر واتك العلوم كما تقتضيه الملل  
 والشرائع فيها ونقبت في صحبها ودواو بينها مخلدة باقية في خزائهم ثم ملكوا الشام وكتب  
 هذه العلوم باقية فيهم ثم جاء الله بالاسلام وكان لاهله الظهور الذي لا كفاء له وانتزوا  
 الروم ملكهم فيما انتزوه للامم وابتداء امرهم بالسداجة والغفلة عن الصنائع حتى اذا تبعج  
 من السلطان والدولة واخذوا الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفتنوا في  
 الصنائع والعلوم تسوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمية كما سمعوا من الاساقفة  
 والاقسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما تسمى اليه افكار الاسان فيها فعث ابو جعفر  
 المنصور الى ملك الروم ان يعث اليه بكتب التعاليم مترجمة دعيت اليه بكتابات  
 اوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيها وارادوا حرصاً  
 على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان يتقله  
 فانبعث لهذه العلوم حرصاً واورد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين  
 واتساخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك فاورع منه واستوعب وعكف عليها



النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا كثيراً من اراء المعلم الاول واخصوه بالرد والقبول لوقوف الشهرة عنده ودونوا في ذلك الدواوين واربعوا على من تقدمهم في هذه العلوم وكان من اكابرهم في الملة ابو نصر الفارابي وابو علي بن سينا بالمشرق والقاضي ابو الوليد بن رشد والوزير ابو بكر بن الصائغ بالاندلس الى اخرين بلغوا الغاية في هذه العلوم واخص هولاء بالشهرة والذكر واقتصر كثير على اتحال التعاليم وما ينضاف اليها من علوم النخامة والسحر والطلسمات ووقفت الشهرة في هذا المتخل على مسلمة بن احمد الجربطي من اهل الاندلس وتلميذه ودخل على الملة من هذه العلوم واهلها داخله واستهوت الكثير من الناس بما جنحوا اليها وقلدوا اراءها والذنب في ذلك لمن ارتكبه ولو شاء الله ما فعلوه. ثم ان المغرب والاندلس لما ركبت ريح العمران بهما وتناقضت العلوم تناقضاً اصحح ذلك منها الا قليلاً من رسومه تجدها في نفاريق من اللباس وتحت رقعة من علماء السنو وبلغنا عن اهل المشرق ان يصانع هذه العلوم لم ترل عندهم موفورة وخصوصاً في عراق العجم وما بعده فيما وراء الهر واهم على حج من العلوم العقلية لتوفر عمرانهم واستحكام الحصار فيهم ولقد وقعت بمصر على تاليف متعددة لرجل من عظام هراة من بلاد خراسان يشهر سعد الدين التفتازاني سها في علم الكلام واصول الفقه والبيان تشهد بان له ملكة راسخة في هذه العلوم وفي اتائها ما يدل على ان له اطلاعاً على العلوم الحكيمية وقدماً عالية في سائر الفنون العقلية والله يويد بنصره من يشاء كذلك بلغنا هذا العهد ان هذه العلوم الفلسفية بلاد الافرنجة من ارض رومة وما اليها من العدة الشمالية نافقة الاسواق وان رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة متوفرة وطلبتها متكثرة والله اعلم بما هنالك وهو يخفى ما يشاء ويختار

## الفصل الرابع عشر

### في العلوم العددية

واولها الارتماطيقية وهو معرفة خواص الاعداد من حيث التاليف اما على التوالي او بالتصنيف مثل ان الاعداد اذا توالفت متفاضلة بعدد واحد فان جمع الطرفين منها مساوي لجمع كل عددين بعدها من الطرفين بعد واحد ومثل ضعف الواسطة ان كانت عدة تلك الاعداد فرداً مثل الافراد على تواليها والازواج على تواليها ومثل ان الاعداد

اذا توالفت على نسبة واحدة يكون اولها نصف ثانيها وثانيها نصف ثالثها الخ او يكون  
 اولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ فان ضرب الطرفين احدهما في الاخر كضرب كل  
 عدد من بعدهما من الطرفين بعد واحد احدهما في الاخر ومثل مربع الواسطة ان كانت  
 العدة فرداً وذلك مثل اعداد زوج الزوج المتواليه من اثنين فارعة فثمانية فستة عشر  
 ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع المثلثات العددية والمربعات والخمسات  
 والمسدسات اذا وضعت متتالية في سطورها بان يجمع من الواحد الى العدد الاخير  
 فتكون مثلثة وتوالي المثلثات هكذا في سطر تحت الاضلاع ثم تزيد على كل مثلث  
 ثلث الضلع الذي قبله فتكون مربعة وتزيد على كل مربع مثلث الضلع الذي قبله فتكون  
 مخمسة وهله حراً وتوالي الاشكال على توالي الاضلاع ويحدث جدول ذو طول وعرض  
 ففي عرضه الاعداد على تواليها ثم المثلثات على تواليها ثم المربعات ثم الخمسات الخ وفي  
 طوله كل عدد واشكاله بالعاما بلغ وتحدث في جمعها وقسمتها بعضها على بعض طولاً  
 وعرضاً خواص غريبة استقرت منها وتقررت في دواوينهم مسائلها وكذلك ما يحدث  
 للزوج والمرد وزوج الزوج والزوج الفرد وزوج الزوج والمرد فان لكل منها خواص  
 مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره وهذا الفن اول احراء التعاليم واتتمها ويدخل  
 في براهين الحساب والحكماء المتقدمين والمتأخرين فيه تاليف واكثرهم بدرجته في التعاليم  
 ولا يعرفونه بالتاليف فعل ذلك ابن سينا في كتاب الشفا والنجا وغيره من المتقدمين  
 واما المتأخرون فهو يتقدم مهجور اذ هو غير متداول ومنعته في البراهين لا في الحساب  
 فجهوه لذلك بعد ان استخلصوا ربدته في البراهين الحسابية كما فعله ابن الساني في كتاب  
 رفع المحاب والله سبحانه وتعالى اعلم . ( ومن فروع علم العدد صناعة الحساب ) . وهي  
 صناعة علمية في حساب الاعداد بالضم والتفريق فالضم يكون في الاعداد بالافراد وهو  
 الجمع وبالتصعيف تصاعف عدداً باحاد عدد اخر وهذا هو الضرب والتفريق ايضاً  
 يكون في الاعداد اما بالافراد مثل ازالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح او  
 تفصيل عدد باحراء متساوية تكون عدتها محصلة وهو القسمة وسواء كان هذا الضم  
 والتفريق في الصحيح من العدد او الكسر ومعنى الكسر ستة عدد الى عدد وتلك النسبة  
 تسمى كسراً وكذلك يكون بالضم والتفريق في الجذور ومعناها العدد الذي ي ضرب في  
 مثله فيكون منه العدد المربع فان تلك الجذور ايضاً يدخلها الضم والتفريق وهذه  
 الصناعة حادثة احدثت اليها للحساب في المعاملات والنف الناس فيها كثيراً وتداولوها في

الامصار بالتعليم للولدان ومن احسن التعليم عددهم الاتداء بها لانها معارف متضحة  
 و براهين منتظمة فيسأ عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب وقد يقال  
 من اخذ نفسه بتعليم الحساب اول امره انه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة  
 المباني ومناقشة النفس فيصير ذلك خلقاً و يعود الصدق و يلازمه مذهباً ومن احسن  
 التأليف المسوطة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير ولا بن البناء المراكشي  
 فيه تلخيص ضابط لقوانين اعماله مفيد ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على  
 المتندي بما فيه من البراهين الوتيقة المماي وهو كتاب جليل القدر ادركنا المشيخة تعظمه  
 وهو كتاب جدير بذلك وانما جاءه الاستغلاق من طريق البرهان ببيان علوم التعاليم  
 لان مسائلها واعمالها واصحة كلها و اذا قصد شرحها فانما هو اعطاء العليل في تلك الاعمال  
 وفي ذلك من العسر على النهم ما لا يوجد في اعمال المسائل فتامله والله يهدي نوره من  
 يشاء وهو القوي المتين . (ومن فروعه الجبر والمقابلة) وهي صناعة يستخرج بها العدد  
 المجهول من قتل المعلوم المفروض اذا كان بينها ستة نقتضي ذلك فاصطلحوا فيها على ان  
 جعلوا للمجهولات مراتب من طريق التضعيف بال ضرب او لها العدد لان به يتعين  
 المطلوب المجهول باستخراجه من ستة المجهول اليه وثانيها الشيء لان كل مجهول فهو من  
 جهة ابهامه شيء وهو ايضاً جذر لما يلزم من تضعيفه في المرتبة الثانية وثالثها المال وهو  
 امر مبهم وما بعد ذلك فعلي نسبة الاس في المضروبين ثم يقع العمل المفروض في المسألة  
 فتخرج الى معادلة بين مختلفين او اكثر من هذه الاجناس فيقالون بعضها بعض ويجبرون  
 ما فيها من الكسر حتى يصير صحيحاً و يحطون المراتب الى اقل الاسوس ان امكن حتى  
 يصير الى الثلاثة التي عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشيء والمال فان كانت المعادلة  
 بين واحد واحد نعين فالمال والجذر يزول ابهامه بمعادلة العدد ويتعين والمال وان  
 عادل الجذور فيتعين عدتها وان كانت المعادلة بين واحد واثنين اخرج العمل الهندسي  
 من طريق تفصيل الصرب في الاثنين وهي مهبة فيعينها ذلك الصرب المنفصل ولا يمكن  
 المعادلة بين اثنين واثنين واكثر ما انتهت المعادلة بينهم الى ست مسائل لان المعادلة  
 بين عدد وجذر ومال مفردة او مركبة تحي ستة واول من كتب في هذا الفن ابو عبد الله  
 الخوارزمي وسعده او كامل شجاع اسلم وجاءه الناس على اثره فيه وكتابه في مسائله  
 الست من احسن الكتب الموضوععة فيه وشرحه كثير من اهل الاندلس فاجادوا ومن  
 احسن شروحاته كتاب القرشي وقد بلغنا ان بعض ائمة التعاليم من اهل المشرق انهى

المعاملات الى أكثر من هذه الستة اجناس وبلغها الى فوق العشرين واستخرج لها كلها  
اعمالاً واتعة براهين هندسية والله يريد في الخلق ما يشاء سبحانه وتعالى . (ومن فروعوه  
ايضاً المعاملات) . وهو تعريف الحساب في معاملات المدن في البياعات والمساحات  
والزكوات وسائر ما يعرض فيه العدد من المعاملات يصرف في ذلك صاعنا الحساب  
في المجهول والمعلوم والكسر والصحيح والجذور وغيرها والغرض من تكثير المسائل المروضة  
فيها حصول المزان والدريية تكرر العمل حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب ولاهل  
الصناعة الحسابية من اهل الاندلس تأليف فيها متعددة من اشتهرها معاملات الزهراوي  
وابن السمع وابي مسلم بن خلدون من تلميذ مسلمة الجريطي وامثالهم . (ومن فروعوه  
ايضاً الفرائض) . وهي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات اذا  
تعددت وهدك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورتسه او زادت الفروض عند  
اجتماعها وتراحمها على المال كله او كان في الفريضة اقرار وانكار من بعض الوراثه  
فيحتاج في ذلك كله الى عمل يعين به سهام الفريضة من كم نصع وسهام الورثه من كل بطن  
مصححاً حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على سبه سهامهم من جمله سهام الفريضة  
فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسره وجذره ومعلومه ومجهوله وترتب  
على ترتيب ابواب الفرائض الفقهية ومسائلها فتستعمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من  
الفقه وهو احكام الوراثه من الفروض والعول والاقرار والانكار والوصايا والتدبير وغير  
ذلك من مسائلها وعلى جزء من الحساب وهو تصحيح السهام باعتبار الحكم الفقهي وهي  
من اجل العلوم وقد يورد اهلها احاديث سوية تشهد بفضلها مثل الفرائض ثلث العلم  
وانها اول ما يرفع من العلوم وغير ذلك وعندني ان ظواهر تلك الاحاديث كلها انما هي  
في الفرائض العينية كما تقدم لافرائض الوراثات فانها اقل من ان تكون في كميتها ثلث  
العلم واما الفرائض العينية فكثيرة وقد الف الناس في هذا الفن قديماً وحديثاً واوعبوا  
ومن احسن التاليف فيه على مذهب مالك رحمه الله كتاب اس ثابت ومختصر القاضي  
ابي القاسم الحوفي وكتاب ابن المنر والجعدي والصددي وغيرهم لكن النصل الحوفي فكثارة  
مقدم على جميعها وقد شرحه من شيوخنا ابو عبد الله سليمان الشطي كبير مشيخة فاس  
فاوضح واوعب ولامام الحرمين فيها تأليف على مذهب الشافعي تشهد باتساع ناعه في  
العلوم ورسوخ قدمه وكذا للحنفية والحنابلة ومقامات الناس في العلوم مختلفة والله يهدي  
من يشاء بنيه وكرمه لارب سواه

## الفصل الخامس عشر

### في العلوم الهندسية

هذا العلم هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالاعداد وفيما يعرض لها من العوارض الذاتية مثل ان كل مثلث فزوياًه مثل قائمتين ومثل ان كل خطين متوازيين لا يلتقيان في وجه ولو خرجا الى غير نهاية ومثل ان كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منها متساويتان ومثل ان الاربعة مقادير المناسبة ضرب الاول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع وامثال ذلك والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصنعة كتاب اوقليدس ويسمى كتاب الاصول وكتاب الاركان وهو اسطما وضع فيها للمعلمين واول ما ترجم من كتاب اليونانيين في الملة ايام ابي جعفر المصور وسعة محتلفة باختلاف المترجمين فمنها لحسين اس اسحاق ولثابت بن قرة وليوسف س المحاجو يشتمل على خمس عشرة مقالة اربعة في السطوح وواحدة في الاقدار المناسبة واخرى في سب السطوح بعضها الى بعض وثلاث في العدد والعاشر في المنطقات والقوى على المنطقات ومعناه الجذور وخمس في المجهنات وقد اختصره الناس اختصارات كثيرة كما فعله ابن سينائي في تعاليم الشفاء افرد له جزءاً منها اخصه به وكذلك ابن الصلت في كتاب الاختصار وغيرهم وشرحه اخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق واعلم ان الهندسة تبتد صاحبها اضاءة في عقله واستقامة في فكره لان براهيتها كلها بينة الا نظام جليلة الترتيب لا يكاد الغلط يدخل اقيستها لترتيبها وانتظامها فيبعد الفكر بممارستها عن الخطا ويشأ لصاحبها عقل على ذلك المبيع وقد زعموا انه كان مكتوباً على باب اولاطون من لم يكن مهندساً فلا يدخل منزلاً وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون ممارسة علم الهندسة للفكر بمثابة الصابون للثوب الذي يغسل منه الاقدار وينقيه من الاوصار والادراس واما ذلك لما اشرنا اليه من ترتيبه وانتظامه . (ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالاشكال الكرية والمخروطات) . اما الاشكال الكرية ففيها كتابان من كتب اليونانيين لثاودوسيوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها وكتاب ثاودوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش لتوقف كثير من براهينه عليه ولا ند منها لمن يريد الخوض في علم الهيئة لان براهينها متوقفة عليهما فالكلام في الهيئة كلة كالكلام في الكرات السماوية وما يعرض فيها من القطوع والدوائر باسباب الحركات كما نذكره فقد يتوقف على معرفة

احكام الاشكال الكريمة سطوحها وقطوعها واما المخروطات فهو من فروع الهندسة ايضاً وهو علم ينظر فيما يقع في الاجسام المخروطة من الاشكال والقطوع ويبرهن على ما يعرض لذلك من العوارض براهين هندسية متوقفة على التعليم الاول وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الاجسام مثل التجارة والبناء وكيف تصنع التماثيل الغربية والهياكل النادرة وكيف يتجمل على جراتها ونقل الهياكل بالهدام والمخال وامثال ذلك وقد افرده بعض المؤلفين في هذا الفن كتاباً في الحيل العلمية يتضمن من الصناعات الغربية والحيل المستظرفة كل عجيبة وربما لستعلق على الهموم لصعوبة راهيه الهندسية وهو موجود بايدي الناس ينسونه الى سي شاكر والله تعالى اعلم (ومن فروع الهندسة المساحة) وهو فن يحتاج اليه في مسح الارض ومعناه استخراج مقدار الارض المعلومة بنسبة شراو ذراع او غيرها ونسبة ارض من ارض اذ قويت بمثل ذلك ويحتاج الى ذلك في توظيف الخراج على المزارع والحدس وسانين الغراسة وفي قسمة الحوائط والاراضي بين الشركا او الورثة وامثال ذلك وللناس فيها موضوعات حسنة وكثيرة والله الموفق للصواب بمنه وكرمه (المناظرة من فروع الهندسة) وهو علم يتبين به اسباب الغلط في الادراك البصري بمعرفة كيفية وقوعها بناء على ان ادراك البصر يكون بخروج شعاع من راسه يقطعه الناصر وقاعدته المرئي ثم يقع الغلط كثيراً في روية القريب كثيراً والبعيد صغيراً وكذا روية الاشباح الصغيرة تحت الماء ووراء الاجسام الشفافة كبيرة ورؤية القطه النازلة من المطر خطأ مستقيماً والسلسلة دائرة وامثال ذلك فيتبين في هذا العلم اسباب ذلك وكيفية انزالها من الهندسية ويتبين به ايضاً اختلاف المظفر في القمر باختلاف العروض الذي يستني عليه معرفة روية الالهة وحصول الكسوفات وكثير من امثال هذا وقد الف في هذا الفن كثير من اليونانيين واشهر من الف فيه من الاسلاميين ابن الهيثم وغيره فيه ايضاً تأليف وهو من هذه الرياضة وتعار يعها

## الفصل السادس عشر

في علم الهيئة

وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثلاثة والمخروطة والمختزفة ويستدل بكيميات تلك الحركات على اشكال واصواع للافلاك لزمتم عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية كما يبرهن على ان مركز الارض ما بين لمركز فلك الشمس بوجود حركة الاقبال

والادبار وكما يستدل بالرجوع والاستقامة للكواكب على وجود افلاك صغيرة حاملة لها  
منحركة داخل فلكها الاعظم وكما يبرهن على وجود الفلك الثامن بحركة الكواكب الثابتة  
وكما يبرهن على تعدد الافلاك للكوكب الواحد بتعداد الميول له وامثال ذلك وادراك  
الموجود من الحركات وكيمياتها واحناسها انما هو بالرصد فانما علمنا حركة الاقبال  
والادبار به وكذا تركيب الافلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وامثال ذلك  
وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيراً ويخذون له الآلات التي توضع ليرصد بها حركة  
الكوكب المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلق وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة  
حركتها بحركة الفلك مفعول بأيدي الناس واما في الاسلام فلم تقع به عناية الا في القليل  
وكان في ايام المأمون تبي منه وضع الآلة المعروفة للرصد المسماة ذات الحلق وشرع  
في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه واغفل واعتمد من بعده على الارصاد القديمة وليست  
بمغنية لاختلاف الحركات بانصال الاحقاب وان مطابقة حركة الآلة للرصد بحركة  
الافلاك والكواكب انما هو بالتقريب ولا يعطى التحقيق فاذا طال الرمان ظهر تفاوت  
ذلك بالتقريب وهذه الهيئة صناعة شريفة وليست على ما بهم في المشهور انما تعطي  
صورة السماوات وترتيب الافلاك والكواكب بالحقيقة بل انما تعطي ان هذه الصور والهيئات  
للالفلاك لزمت عن هذه الحركات وانت تعلم انه لا يبعد ان يكون الشيء الواحد لازماً  
لثلاثة وان قلنا ان الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطى  
الحقيقة بوجه على انه علم جليل وهو احد اركان التعاليم ومن احسن التأليف فيه كتاب  
المجسطي مسسوب لطليموس وليس من ملوك اليونان الذين اسماهم بطليموس على ما  
حقيقه شرايح الكتاب وقد اختصره الائمة من حكماء الاسلام كما فعله اس سيبا وادرجه في  
تعاليم السماء ولخصه ابن رشد ايضاً من حكماء الاندلس واس السمع وابن الصلت في  
كتاب الاختصار ولان الفرغاني هيئة ملخصة قريبها وحذف براهينها الهندسية والله علم  
الانسان ما لم يعلم سبحانه لا اله الا هورب العالمين . (ومن فروعه علم الازياج) وهي  
صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما ادى اليه  
برهان الهيئة في وضعه من سرعة ونطاء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع  
الكواكب في افلاكها لاي وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين  
المستخرجة من كتب الهيئة وهذه الصناعة قوانين كالمفدمات والاصول لها في معرفة الشهور  
والايام والتواريخ الماضية واصول متفرقة من معرفة الاوج والحضيض والميول واصناف

الحركات واستخراج بعضها من بعض بصعونها في جداول مرتبة تسهيلاً على المتعلمين ونسى الازياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المروض لهذه الصناعة تعديلاً ونقوياً وللناس فيه تآليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين مثل التتائي<sup>(١)</sup> وابن الكماد وقد عوّل المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيج مسوب لاس اسحاق من منجي تونس في اول المائة الساعة ويزعمون ان ابن اسحاق عوّل فيه على الرصد وان يهودياً كان بصقلية ماهراً في الهيئة والتعاليم وكان قد عسى بالرصد وكان يعث اليه بما يقع في ذلك من احوال الكواكب وحركاتها فكان اهل المغرب لذلك عنوا به لوثاقه سنه على ما يزعمون ولخصه ابن السا في اخر سماء المنهاج فوّل به الناس لما سهل من الاعمال فيه وإنما يجتاج الى مواضع الكواكب من الفلك لتسي عليها الاحكام الفجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها ما وصاعها في عالم الاسان من الملك والدول والموايد التشريعية كما سبته بعد ونوضح فيه ادلتهم ان شاء الله تعالى والله الموفق لما يجهه وبرضاه لا معبود سواه

### الفصل السابع عشر

#### في علم المنطق

وهو قوايين يعرف بها الصحيح من الناسد في الحدود المعرفة للماهيات والمجمج المنفيدة للتصديقات وذلك ان الاصل في الادراك انما هو المحسوسات بالحواس الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الادراك من الناطق وغيره وإنما يتميز الاسان عنها بادراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بان يحصل في الخيال من الاشخاص المنفقة صورة مطبقة على جميع تلك الاشخاص المحسوسة وهي الكلّي تم ينظر الذهن بين تلك الاشخاص المنفقة واشخاص اخرى توافقها في بعض فيحصل له صورة تنطق ايضاً عليها باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في التجريد الى الكل الذي لا يوجد كلياتاً اخر معه يوافقه فيكون لاجل ذلك بسيطاً وهذا مثل ما مجرد من اشخاص الاسان صورة النوع المطبقة عليها تم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرد صورة الجنس المطبقة عليها تم بينهما وبين النسات الى ان ينتهي الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يوجد كلياتاً يوافقه في تبيء فيقف العقل هنالك عن التجريد تم ان الاسان لما خلق الله له الفكر الذي به يدرك العلوم والصنائع وكان العلم اما تصور للماهيات ويعي به ادراك ساذج من غير حكم معه واما تصديقاً اي حكماً بشوت امر لامر فصار سعي الفكر في تحصيل المطلوبات اما بان تجمع تلك الكليات بعضها الى

١ قوله الثاني يفتح الموحدة وتشدب المثناة كما صبطة ابن حلكان في ترجمته قيل اخر المحمدين



بعض على جهة التأليف فتحصل صورة في الدهن كلية منطقة على افراد في الخارج فتكون تلك الصورة الذهبية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الاشخاص واما بان يحكم بامر على امر فيثبت له ويكون ذلك تصديقاً وعائنه في المحققة راجعة الى التصور لان فائدة ذلك اذا حصل انما هي معرفة حقائق الاشياء التي هي مقتضى العلم وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد فاقضى ذلك تمييز الطريق الذي يسعى به الفكر في تحصيل المطالب العلمية لتمييز فيها الصحيح من الفاسد فكان ذلك قانون المنطق وتكلم فيه المتقدمون اول ما تكلموا به حملاً جملاً ومعتقاً ولم تهذب طرفه ولم تجمع مسائله حتى ظهر في يونان ارسطو فهذب مباحثه ورتب مسائله وفصوله وجعله اول العلوم الحكمية وفتحها ولذلك يسمى بالمعلم الاول وكتابه المخصوص بالمنطق يسمى النص وهو يستعمل على ثمانية كتب اربعة منها في صورة القياس واربعة في مادته وذلك ان المطالب التصديقية على انحاء . فمنها ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن وهو على مراتب فينظر في القياس من حيث المطلوب الذي يبيده وما ينبغي ان تكون مقدماته ذلك الاعترار ومن اي جنس يكون من العلم او من الظن وقد ينظر في القياس لا باعتبار مطلوب مخصوص بل من جهة اتاحه خاصة ويقال للنظر الاول انه من حيث المادة ونعمي به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين او ظن ويقال للنظر الثاني انه من حيث الصورة ونتاج القياس على الاطلاق فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية الاول في الاحساس العالية التي ينتهي اليها تحريد المحسوسات وهي التي ليس فوقها جس وبسمى كتاب المقولات والثاني في النصابا التصديقية واصنافها وبسمى كتاب العبارة . والثالث في القياس وصورة اتاجه على الاطلاق وبسمى كتاب القياس وهذا اخر النظر من حيث الصورة . ثم الرابع كتاب الدهان وهو النظر في القياس المتبع لليقين وكيف يجب ان تكون مقدماته يقينية ويخص شروط اخرى لافادة اليقين مذكرة فيه مثل كونها ذاتية واولية وغير ذلك وفي هذا الكتاب الكلام في العرفات والمحدود اد المطلوب فيها انما هو اليقين لوحوب المطابقة بين الحد والمحدود لا تخمّل غيرها فلذلك اخصت عند المتقدمين بهذا الكتاب . والخامس كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المتناغم والفحام الحضم وما يجب ان يستعمل فيه من المشهورات ويخص ايضاً من حجة افادته لهذا الغرض بشرط اخرى من حيث افادته لهذا الغرض وهي مذكرة هناك وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستند منها صاحب القياس

قياسه وفيه عكوس القضايا . والسادس كتاب السفسطة وهو القياس الذي يعيد خلاف الحق ويغالط به المناظر صاحبه وهو فاسد وهذا اما كتب ليعرف به القياس المغالطي فيحذر منه . والسابع كتاب المحطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور وحلمهم على المراد منهم وما يجب ان يستعمل في ذلك من المقالات . والثامن كتاب الشعر وهو القياس الذي يعيد التمثيل والتنسيب خاصة للاقتال على النبي او الفرة عمه وما يجب ان يستعمل فيه من القضايا التخيلية هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين ثم ان حكماء اليونانيين بعد ان تهديت الصناعة وربت راولا انه لا بد من الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور فاستدركوا فيها مقالة تختص بها مقدمة بين يدي الس فصار ت تسعاً وترجمت كلها في الملة الاسلامية وكتبها وتداولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعله الفارابي واس سيبا ثم اس رتد من فلاسفة الاندلس ولاسن سيبا كتاب الشفاء استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة كلها ثم جاء المتأخرون بغيرها اصطلاح المطلق والمحتول بالظرف في الكليات الخمس ثمرته هي الكلام في الحدود والرسوم نقلوها من كتاب البرهان وحدقوا كتاب المقولات لان نظر المنطقي فيه بالعرض لا بالذات والمحتول في كتاب العبارة الكلام في العكس لانه من توابع الكلام في القضايا بعض الوجوه ثم تكلموا في القياس من حيث اتناجه للمطالب على العموم لا بحسب مادة وحدقوا النظر فيه بحسب المادة وهي الكتب الخمسة البرهان والحدل والحطابة والشعر والسفسطة ورما يلم بعضهم باليسير منها الماما واغفلوها كان لم تكن هي المهم المعتمد في الفن ثم تكلموا فيما وضعت من ذلك كلاماً مستبجراً ونظروا فيه من حيث انه في راسه لا من حيث انه آلة للعلوم فطال الكلام فيه واتسع واول من فعل ذلك الامام فخر الدين بن الخطيب ومن بعده افضل الدين الحوججي وعلى كنهه معتمد المشاركة لهذا العهد وله في هذه الصناعة كتاب كنف الاسرار وهو طويل واخصر فيها مختصر الموجه وهو حسن في التعليم ثم مختصر الجمل في قدر اربعة اوراق اخذ بجماع الس واصوله فتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتعون به وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كان لم تكن وهي مماثلة من ثمره المنطق وفائدته كما قلناه والله الهادي للصواب

## الفصل الثامن عشر

### في الطبيعيات

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون فيظفر في الاجسام

الساوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان واسنان ونبات ومعدن وما يتكون في الارض من العيون والرازل وفي المجوس السحاب والبخار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك وفي مدا الحركة للاجسام وهو المنس على تنوعها في الاسان والمحيوان والنبات وكتب ارسطو فيه موجودة بين ايدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة ايام المامون والفس الناس على حدودها واوعب من الف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفا جمع فيه العلوم السبعة للفلسفة كما قدمنا ثم لخصه في كتاب النجا وفي كتاب الاشارات وكاثة يخالف ارسطو في الكثير من مسائلها ويقول براه فيها واما اس ايشد فليخص كتب ارسطو وشرحها متعاً له غير مخالف والفس الناس في ذلك كثير لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعترية في الصاعمة ولاهل المشرق عناية بكتاب الاشارات لاس سيبا ولل امام ابن الحطيب عليه شرح حس وكذا الامدي وشرحه ايضاً بصير الدين الطوسي المعروف بجواحه من اهل المشرق وبجت مع الامام في كثير من مسائله واو في على اطاره وبجوته وفوق كل ذي علم علم والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### الفصل التاسع عشر في علم الطب

ومن فروع الطبيعيات صاعمة الطب وهي صاعمة تطرف في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح فيحاول صاحبها حفظ الصحة وسرء المرض بالادوية والاعدية بعد ان يتبين المرض الذي يخص كل عضو من اعضاء البدن واسباب تلك الامراض التي تنشأ عنها وما لكل مرض من الادوية مستدلين على ذلك بامرجة الادوية وقواها وعلى المرض بالعلامات المؤذنة صحه وقبوله الدواء اولاً في السجينة والصلات والذض محاذين لذلك قوة الطبيعة فانها المدبرة في حالتي الصحة والمرض واما الطبيب يحاذيها ويعيها بعض الشيء بحسب ما يتمصيه طبيعة المادة والفضل والس ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الدار وربما افردوا بعض الاعداء بالكلام وحملوه علماء خاصاً كالعين وعالها ما كمالها وكذلك اهل المشرق من مباح الاعضاء ودهاها المنفعة التي لاجها خاني كل عضو من اعضاء البدن الحيواني وان لم يكن ذلك من موضوع علم الطب الا انهم جعلوه من لواحقه وتواضعه واما هذه الصاعمة التي ترجمت كسمة فيها من الاقدمين جاليسوس يقال انه كان معاصراً العيسى عليه السلام ويقال انه مات تصفية في سبيل



وعلاجه وما يعرض له في ذلك وحذفوا الكلام في الفن الاخر منه جملة واخصر اس  
العوام كتاب الفلاحة النطية على هذا المنهاج وفي الفن الاخر منه مغفلاً نقل منه مسلمة  
في كتبه البحرية امهات من مسائله كما ذكره عند الكلام على السحر ان شاء الله تعالى  
وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة ولا يعدون فيها الكلام في الغراس والعلاج وحمض  
النبات من جوائحه وعوائقه وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة

## الفصل الحادي والعشرون

### في علم الالهيات

وهو علم يظفر في الوجود المطلق فاولاً في الامور العامة للجسائيات والروحانيات  
من الماهيات والوحدة والكثرة والوحد والامكان وغير ذلك ثم يظفر في مادي  
الموجودات وانها روحانيات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها ثم في احوال  
النفس بعد مفارقة الاحسام وعودها الى المدا وهو عندهم علم شريف برعون انه يوقهم  
على معرفة الوجود على ما هو عليه وان ذلك عين السعادة في رعبهم وسياتي الرد عليهم  
وهو نال للطبيعات في تربيتهم ولذلك يسوونه علم ما وراء الطبيعة وكتب المعلم الاول  
فيه موحودة بين ايدي الناس ولخصه ابن سينا في كتاب الشفاء والنجا وكذلك لخصها  
اس رشد من حكاية الاندلس ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودونوا فيها ورد عليهم  
الغزالي ما رد مها تم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة  
لعروضها في مباحثهم ونشابه موضوع علم الكلام بموضوع الالهيات ومسائله مسائلها فصارت  
كاتها فن واحد ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعات والالهيات وخطبوها فناً  
واحداً قدموا الكلام في الامور العامة ثم اتبعوه بالجسائيات وتوابعها ثم بالروحانيات  
وتوابعها الى اخر العلم كما فعلاه الامام اس الخطيب في المباحث المشرقية وجميع من بعده  
من علماء الكلام وصار علم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة وكتبه محشوة بها كان الغرض  
من موضوعها ومسائلها واحد والتبس ذلك على الناس وهو غير صواب لان مسائل علم  
الكلام انما هي عقائد متلقاة من الشريعة كما نقلها السلف من غير رجوع فيها الى العقل ولا  
تعويل عليه بمعنى انها لا تثبت الا به فان العقل معروف عن الشرع وانظاره وما تحدث  
فيه المتكلمون من اقامة الحجج فليس بحثاً عن الحق فيها فالتعليل بالدليل بعد ان لم يكن  
معلوماً هو شان الفلسفة بل انما هو التماس حجة عقلية تعصد عقائد الايمان ومذهب السلف

فيها وتدفع شبه اهل البدع عنها الذين رعموا ان مداركهم فيها عقلية وذلك بعد ان  
تعرض صحيحة بالادلة العقلية كما تلقاها السلف واعتمدوها وكثيرا ما بين المقامين وذلك  
ان مدارك صاحب الشريعة اوسع لانساع نطاقها عن مدارك الاظار العقلية هي فوقها  
ومحيطة بها الاستمدادها من الابار الالهية فلا تدخل تحت قامون الطر الصعيف والمدارك  
المحاط بها فاذا هداها الشارع الى مدرك فيسفي ان بقدمه على مداركنا وثق به دونها ولا  
سظرفي تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه بل نعتمد ما امرنا به اعتقاداً وعلماً وسكت عمالم  
نهم من ذلك وبهوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه والمتكلمون امداد عام الى ذلك كلام اهل  
الاحاد في معارضات العقائد السلفية بالدع النظرية فاحناجوا الى الرد عليهم من حسن  
معارضاتهم واستدعى ذلك الحجج النظرية ومحاذاة العقائد السلفية بها واما النظري مسائل  
الطبيعات والالهيات بالتصحيح والاطلال فليس من موضوع علم الكلام ولا من جس  
انظار المتكلمين فاعلم ذلك لغيره بين الفنين فانها مختلطان عند المتأخرين في الوضع  
والتأليف والحقى معايرة كل مهبا لصاحبه بالموضوع والمسائل واما جاء الالتناس من  
اتحاد المطالب عند الاستدلال وصار احتجاج اهل الكلام كانه استاء لطلب الاعنداد  
بالدليل وليس كذلك بل انما هورذ على المحندن والمطلوب مبروص الصدق معلومة  
وكذا جاء المتأخرون من علاة المتصوفة المتكلمين بالمواجد ايضاً لمخاطوا مسائل الفنين  
نهم وجعلوا الكلام واحداً فيها كنها مثل كلامهم في السوات والاتحاد والحلول والوحدة  
وغير ذلك والمدارك في هذه النون الثلاثة متعايرة مختلفة واعدها من حسن النون  
والعلوم مدارك المتصوفة لانهم يدعون فيها الوجدان وينرون عن الدليل والوجدان  
يعيد عن المدارك العلمية وابعانها وتوانعها كما سباه وسببه والله يهدي من يشاء الى  
صراط مستقيم والله اعلم بالصواب

## الفصل الثاني والعشرون

### في علوم السحر والطلسمات

وهي علوم تكيفية استعدادات تقدر النوس البشرية بها على التأثيرات في عالم  
العناصر اذ تغير معين او معين من الامور السماوية والاول هو السحر والثاني هو الطلسمات  
ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة  
الى غير الله من كوكب او غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس الا ما وجد في كتب

الامم الاقدمين فيما قبل نبوة موسى عليه السلام مثل النبط والكلدانيين فان جميع من  
 تقدمه من الاسباء لم يشرعوا السرائع ولا جاءوا بالاحكام انما كانت كتبهم مواعظ وتوحيد  
 الله وتذكيراً بالجنة والنار وكانت هذه العلوم في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين  
 وفي اهل مصر من النبط وغيرهم وكان لهم فيها التاليف والاثار ولم يترجم لنا من كتبهم  
 فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم  
 ونسوا فيه ووضعت بعد ذلك الاوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طهمط  
 الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في  
 هذه الملة فتصح كتب القوم واستخرج الصاعقة وعاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها  
 غيرها من التاليف واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيميا لانها من نواحيها لان احالة  
 الاجسام النوعية من صورة الى اخرى انما يكون بالقوة النسيية لا بالصاعقة العملية فهو من  
 قبيل السحر كما تذكره في موضعه . ثم جاء مسلمة بن احمد الجريطي امام اهل الاندلس  
 في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الكتب وهدبها وجمع طرفها في كتابه الذي سماه  
 غاية الحكيم ولم يكتب احد في هذا العلم بعده . ولتقدم هنا مقدمة يتبين بها حقيقة السحر  
 وذلك ان النفوس البشرية وان كانت واحدة بالسوء فهي مختلفة بالخواص وهي اصناف  
 كل صنف مخنض بخاصية واحدة بالسوء لا توجد في الصنف الاخر وصارت تلك الخواص  
 فطرة وجلة لصنفها فنفوس الاسباء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة  
 الربانية ومحاطة بالملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مروا يتسع ذلك من  
 التأثير في الاكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتاثير بقوة نفسانية او  
 شيطانية فاما تاثير الاسباء فمدد الهل وخاصية ربانية ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع  
 على المغيبات قوى شيطانية وهكذا كل صنف مخنض بخاصية لا توجد في الاخر والنفوس  
 الساحرة على مراتب ثلاث ياتي شرحها فاولها المؤثرة بالهمة فقط من غير اله ولا معين  
 وهذا هو الذي تسميه الملازمة السحر والثاني بمعين من مراج الافلاك او العاصرا او  
 خواص الاعداد وبسموه الطلسمات وهو اضعف رتبة من الاول والثالث تاثير في  
 القوى التخيلية بعد صاحب هذا التاثير الى القوى التخيلية فيتنصرف فيها بنوع من التصرف  
 ويلقي فيها انواعاً من الخيالات والمحاكاة وصور ما يقصده من ذلك ثم ينزلها الى المحس من  
 الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراؤن كأنها في الخارج وليس هناك شيء من ذلك  
 كما يحكى عن بعضهم انه يرى البساتين والانهار والقصور وليس هناك شيء من ذلك ويسمى

هذا عند الملاسفة الشعوذة او الشعبة. هذا تفصيل مراتب هذه الخاصية تكون في الساحر  
 بالقوة شان القوى الشرعية كلها وإنما تخرج الى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها إنما  
 تكون بالتوجه الى الافلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين انواع التعظيم والعبادة  
 والمخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة الى غير الله وسجود له والوجهة الى غير الله كفر فلها  
 كان السحر كفرةً والكفر من مواده وإسائه كما رايت ولها اختلف الفقهاء في قتل  
 الساحر هل لكفره السابق على فعله او لتصرفه بالافساد وما يستأ عنه من الفساد في  
 الأكوام والكل حاصل منه ولما كانت المرتبتان الاوليان من السحر لها حقيقة في الخارج  
 والمرتبة الاخيرة الثالثة لاحقيقة لها اختلف العلماء في السحر هل هو حقيقة او انما هو  
 تخييل فالقائلون بان له حقيقة نظروا الى المرتبتين الاوليين والقائلون بان لاحقيقة له  
 نظروا الى المرتبة الثالثة الاخيرة فليس يسهم اختلاف في نفس الامر بل انما جاء من قبل  
 اشتباه هذه المراتب والله اعلم واعلم ان وجود السحر لامرية فيه بين العقلاء من اجل  
 التأثير الذي ذكرناه وقد نطق به القرآن قال الله تعالى ولكن الشياطين كسروا يعلمون  
 الناس السحر وما ابرل على الملكين بابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولوا  
 انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من  
 احد الا باذن الله وسحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يجبل اليه الله يفعل الشيء  
 ولا يفعلهُ وجعل سحرهُ في مشط ومشاقة وجف طلعة ودفن في شذر وان فارل الله عزَّ  
 وجل عليه في المعوذتين ومن شر النعانات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها كان  
 لا يقرأ على عقدة من تلك العقد التي سحر فيها الا انحلت واما وجود السحر في اهل نابل  
 وهم الكلدانيون من النبط والسريانيين فكثير ونطق به القرآن وجاءت به الاخبار وكان  
 السحر في نابل ومصر ازمان بعثة موسى عليه السلام اسواق نافقة ولهذا كانت معجزة موسى  
 من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وفي من اتار ذلك في الدراري بصعيد مصر شواهد  
 دالة على ذلك وراينا بالعيان من بصور صورة الشخص المسحور بحواص اشياء مقالة لما  
 نواه وحاوله موجودة بالمسحور وامثال تلك المعاني من اسماء وصفات في التاليف والتفريق  
 ثم يتكلم على تلك الصورة التي اقامها مقام الشخص المسحور عيماً او معنى تم يمت من ربه  
 بعد اجتماعه في فيه بتكرير بخارج تلك الحروف من الكلام السوء ويعقد على ذلك المعنى  
 في سبب اعدهُ لذلك تماؤلاً بالعقد والزام واخذ العهد على من اشرك به من الجن في  
 نفيه في فعله ذلك استشعاراً للعزيزية بالعزم ولتلك البنية والاسماء السيئة روح خبيثة تخرج



منه مع النخ متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفث فتنزّل عنها ارواح خبيثة ويقع عن  
 ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر وشاهدنا ايضاً من المتخيلين للسحر وعمله من يشير الى كساء  
 او جلد ويتكلم عليه في سره فاذا هو مقطوع متفروق ويشير الى بطون الغنم كذلك في مراعيها  
 بالبعج فاذا امعأها ساقطة من بطونها الى الارض وسمعنا ان بارض الهند لهذا العهد من  
 يشير الى اسنان فيختت قلبه ويقع ميتاً ويقلب عن قلبه فلا يوجد في حشاؤه ويشير الى  
 الرمانة وتقع فلا يوجد من حوبها شيء وكذلك سمعنا ان بارض السودان وارض الترك  
 من يسحر السحاب فيمطر الارض المخصوصة وكذلك راينا من عمل الظلميات عجائب في  
 الاعداد المتخانة وهي ركز فدا حد العدد بين مائتان وعشرون والآخر مائتان واربعه  
 وثمانون ومعنى المتخانة ان اجراء كل واحد التي فيه من نصف وتلك وربع وسدس  
 وخمس واماها اذا جمع كان مساوياً للعدد الاخر صاحبه فتسمى لاجل ذلك المتخانة  
 ونقل اصحاب الطلسمات ان لتلك الاعداد اثراً في الالفة بين المتخمين واجتماعها اذا وضع  
 لها مثالان احدهما يطالع الزهرة وهي في بينها او شرفها ناظرة الى القمر نظر مودة وقبول  
 ويجعل طالع الثاني سابع الاول ويضع على احد التمثالين احد العددين والاخر على  
 الاخر ويقصد بالاكتر الذي يراد اثلافة اعني المحبوب ما ادري الاكتر كمية او الاكتر  
 احزاء فيكون لذلك من التالف العظيم بين المتخمين ما لا يكاد يترك احدهما عن الاخر  
 قاله صاحب الغاية وغيره من ائمة هذا الشأن وشهدت له التجربة وكنا طابع الاسد  
 ويسمى ايضاً طابع الحصى وهو ان يرسم في قالب هند اصع صورة اسد شائلاً ذسه عاضاً  
 على حصة قد قسمها بنصين وبين يديه صورة حية مناسبة من رجليه الى قبالة وجهه  
 فاغرة فاها الى فيه وعلى ظهره صورة عقرب تدب ويخمين برسمه حلول الشمس بالوجه  
 الاول او الثالث من الاسد بشرط صلاح النيرين وسلامتها من الخوس فاذا وجد  
 ذلك وعثر عليه طبع في ذلك الوقت في مقدار المئتان فما دونه من الذهب وغمس بعد  
 في الرعمران محمولاً بماء الورد ورفع في خرقة حرير صفرا فانهم يرجعون ان لمسكه من العر  
 على السلاطين في مآثرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه وكذلك للسلاطين فيه  
 من القوة والعراى من تحت ايديهم ذكر ذلك ايضاً اهل هذا الشأن في الغاية وغيرها  
 وشهدت له التجربة وكذلك وفق المسدس الخنص بالشمس ذكر وانما يوضع عند حلول  
 الشمس في شرفها وسلامتها من الخوس وسلامة القمر بطالع ملوكي يعتبر فيه نظر صاحب  
 العاشر لصاحب الطالع نظر مودة وقبول ويصلح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الادلة

الشريفة ويرفع في خرقة حرير صفراء بعد ان يغمس في الطيب فرغموا ان له اثر في صحابة  
 الملوك وخدمتهم ومعاشرتهم وامثال ذلك كثير وكتاب الغاية لمسلمة بن احمد الجربطي  
 هو مدونة هذه الصاعقة وفيه استيفاء وهاو كمال مسائلها وذكر لنا ان الامام الفخر من الخطيب  
 وضع كتاباً في ذلك وسماه بالسرا المكتوم وانه بالمشرق يتداوله اهله ونحن لم نقف عليه  
 والامام لم يكن من ائمة هذا الشأن فيما نظن ولعل الامر بخلاف ذلك وبالمغرب صف من  
 هولاء المنتقلين لهذه الاعمال السحرية يعرفون بالعاجين وهم الذين ذكرت اولاً انهم  
 يستيرون الى الكساء او المجلد فيخترق ويستيرون الى بطون الغم بالبعج فتنبع ويسبي  
 احدهم لهذا العهد باسم العاج لان اكثر ما ينتقل من السحريج الاعام يهرب بذلك  
 اهلها ليعطوه من فصلها وهم مستترون بذلك في الغاية خوفاً على انفسهم من الحكام لقيت  
 منهم جماعة وشاهدت من افعالهم هذه بذلك واخبروني ان لهم وجهة ورياضة خاصة  
 بدعوات كهرية وشارك الروحانيات الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عددهم تسمى  
 الحزيرية يتدارسونها وان بهذه الرياضة والوجهة يصلون الى حصول هذه الافعال لهم  
 وان التأثير الذي لهم انما هو فيما سوى الانسان الحر من المناع والحجون والرفيق ويعبرون  
 عن ذلك بقولهم انما نعمل فيما تمشي فيه الدراهم اي ما يملك ويبيع ويشترى من سائر  
 الممتلكات هذا ما زعموه وسالت بعضهم فاخبرني به واما افعالهم فظاهرة موجودة وقفا  
 على الكثير منها وعابيتها من غير ريب في ذلك هذا شان السحر والطلسمات واثارها في العالم  
 فاما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلسمات بعد ان اتبوا انها جميعاً اثر للنفس الانسانية  
 واستدلوا على وجود الاثر للنفس الانسانية بان لها اثاراً في بدنها على غير المجري الطبيعي  
 واسبابه الجسمانية بل اثار عارضة من كفيات الارواح تارة كالسحونة الحادثة عن الريح  
 والسرور ومن جهة التصورات النفسانية اخرى كالذي يقع من قتل التوهم فان الماتى  
 على حرف حائط او على جبل منتصب اذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا شك ولهذا  
 تجد كثيراً من الناس يعودون انفسهم ذلك حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون  
 على حرف الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون السقوط فثبت ان ذلك من اثار النفس  
 الانسانية وتصورها للسقوط من اجل الوهم واذا كان ذلك اثراً للنفس في بدنها من غير  
 الاسباب الجسمانية الطبيعية فحاجت ان يكون لها مثل هذا الاثر في غير بدنها اذ نسبتها الى  
 الابدان في ذلك النوع من التأثير واحدة لانها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه فثبت  
 انها موثرة في سائر الاجسام واما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات فهو ان السحر

لا يحتاج الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب واسرار  
 الاعداد وخواص الموجودات واطراف الفلك الموثرة في عالم العناصر كما يقوله المنجمون  
 ويقولون السحر اتحاد روح والطلسم اتحاد روح بجسم ومعناه عندهم ربط الطبائع  
 العلوية السماوية بالطبائع السفلية والطبائع العلوية هي روحانيات الكواكب ولذلك يستعين  
 صاحبه في غالب الامر بالنجامة والساحر عندهم غير مكتسب لسحره بل هو مفتور عندهم  
 على تلك الجملة المختصة بذلك النوع من التأثير والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ان  
 المعجزة قوة الهية تعث على المس ذلك التأثير فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر  
 انما يفعل ذلك من لدن نسه وقوته النفسانية وبامداد الشياطين في بعض الاحوال  
 فيبينها الفرق في المعقولة والحقيقة والذات في نفس الامر وانما استدل نحن على التعرقة  
 بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخيرة في مقاصد الخير وللنفوس المتحضرة  
 للخير والتعدي بها على دعوى النبوة والسحر انما يوجد لصاحب الشر وفي افعال الشر في  
 الغالب من التريق بين الزوجين وضرر الاعداء وامثال ذلك وللنفوس المتحضرة للشر.  
 هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الالهيين وقد يوجد لبعض المتصوفة واصحاب الكرامات  
 تأثير ايضاً في احوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر وانما هو بالامداد الالهي لان  
 طريقتهم ونحلتهم من اثار النبوة وتوابعها ولم في المدد الالهي حمط على قدر حالهم وقيامتهم  
 وتمسكهم بكلمة الله واذا اقتدر احد منهم على افعال الشرف فلا ياتنها لانه متقيد فيما ياتيه  
 ويذره للامر الالهي فالما يقع لهم فيه الاذن لا ياتونه بوجه ومن اتاه منهم فقد عدل عن  
 طريق الحق وربما سلب حاله ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الالهية فلذلك  
 لا يعارضها شيء من السحر وانظر شان سمرة فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلفت  
 ما كانوا يافكون وذهب سحرهم واضمحل كان لم يكن وكذلك لما انزل على النبي صلى الله  
 عليه وسلم في المعوذتين ومن شر النفاثات في العقد قالت عائشة رضي الله عنها فكان  
 لا يقرؤها على عقدة من العقد التي سحر فيها الا انحلت فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره  
 وقد نقل المورخون ان زركش كاويان وهي راية كسرى كان فيها الوفق المثنوي العددي  
 منسوجاً بالذهب في اوضاع فلكية رصدت لذلك الوفق ووجدت الراية يوم قتل رستم  
 بالقادسية واقعة على الارض بعد انهزام اهل فارس وشتانهم وهو فيما تزعم اهل الطلسمات  
 والافاق مخصوص بالغلب في الحروب وان الراية التي يكون فيها او معها لا تنتم  
 اصلاً الا ان هذه عارضها المدد الالهي من ايمان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتسكم بكلمة الله فأنحل معها كل عقد سحري ولم يثبت و نطل ما كانوا يعملون وأما  
 الشريعة فلم تفرق بين السحر والطلسمات وجعلته كله نأماً واحداً محظوراً لأن الأفعال  
 إنما أباح لنا الشارع منها ما يهيم في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا أو في معاشنا الذي فيه  
 صلاح دنيانا وما لا يهيمنا في شيء منها فإن كان فيه ضرر أو بوع ضرر كالسحر المحاصل  
 ضرره بالوقوع ويلحق به الطلسمات لأن أثرها واحد وكالتنجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد  
 التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظوراً  
 على نسبه في الضرر وإن لم يكن مهماً علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قربة إلى الله  
 فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات  
 والشعوذة نأماً واحداً لما فيها من الضرر وخصته بالتحريم والتحریم وأما النرق عندهم بين  
 المعجزة والسحر فالذي ذكره المتكلمون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى وقوعها على وفق  
 ما ادعاه قائلها والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه وقوع المعجزة على  
 وفق دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها  
 التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذباً وهو محال فإذا لانفع المعجزة مع  
 الكاذب باطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه فرق ما بين الخير والشر  
 في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل في أسباب الخير وصاحب  
 المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر وكانها على طرفي النقيض في أصل  
 فطرتهما والله يهدي من يشاء وهو القوي العزيز لا رب سواه ومن قبيل هذه التأثيرات  
 النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدرگاً من  
 الذوات أو الأحوال ويهبط في استخسائه وينتسا عن ذلك الاستخسان حينئذ أنه يروم  
 معه سلب ذلك الشيء عن انصف به فيؤثر فساداً وهو جملة فطرية أعني هذه الإصابة  
 بالعين والفرق بينها وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكتسب فصدورها راجع إلى  
 اختيار فاعلها والفطري منها قوة صدورها لأنفس صدورها ولهذا قالوا القائل بالسحرا  
 بالكرامة يقتل والقائل بالعين لا يقتل وما ذلك إلا أنه ليس مما يريد ويقصده أو يتركه  
 وإنما هو مجبور في صدره عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

## الفصل الثالث والعشرون

### في علم اسرار الحروف

وهو المسمى لهذا العهد بالسيما نقل وضعه من الطلسمات اليه في اصطلاح اهل التصرف من المتصوفة فاستعمل استعمال العام في الخاص وحدث هذا العلم في الملة يعد ان صدر منها وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم الى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على ايديهم والتصرفات في عالم العناصر وتدوين الكتب والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزل الوحود عن الواحد وترتيب وزعموا ان الكمال الاسمي مظاهره ارواح الافلاك والكواكب وان طبائع الحروف<sup>(١)</sup> واسرارها سارية في الاسماء فهي سارية في الأكوان على هذا النظام والأكوان من لدن الابداع الاول تنتقل في اطواره وتعرب عن اسرارها فحدث لذلك علم اسرار الحروف وهو من تفاريع علم السيميا لا يوقف على موضوع ولا تحاط بالعدد مسائله تعددت فيه تاليف السوفي وان العربي وغيرها ممن اتبع اثارها وحاصله عندهم وثمرة تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالاسماء الحسنی والكلمات الالهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالاسرار السارية في الأكوان ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف بما هو فنهم من جعله للزحاح الذي فيه وقسم الحروف بقسمة الطبائع الى اربعة اصناف كما للعناصر واخصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلاً وانفعلاً بذلك الصنف فتنوعت الحروف بقانون صاعبي يسمونه التفسير الى بارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر فالالف للبار والباء للهواء والجيم للماء والدال للتراب ثم ترجع كذلك على الترابي من الحروف والعناصر الى ان تعد فتعين لعصر النار حروف سبعة الالف والهاء والطاء والميم والماء والسين والدال وتعين لعصر الهواء سبعة ايضاً الباء والواو والياء واليون والصاد والتاء والظاء وتعين لعصر الماء ايضاً سبعة الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والتاء والغين وتعين لعصر التراب ايضاً سبعة الدال والحاء واللام والعين والراء والحاء والشين والحروف النارية لدفع الامراض الباردة ولمضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها اما حساً او حكماً كما في تصعيف قوى المربخ في الحروب والقتل والفتك والمائة ايضاً لدفع الامراض الحارة من حميات وغيرها ولتصعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها حساً وحكماً

ارتيب طبائع الحروف عند الممارسة عبر ترتيب الممارسة ومنهم العربي كما ان الحمل عدم محال في سنة احرف فان الصاد عندم تسين والصاد تصعيب والسين المهلة ثلثمائة والطاء ثلثمائة والعين تسعمائة والسين ثمانمائة تصعيب

كتضعيف قوى القمر وامثال ذلك ومنهم من جعل سر التصرف الذي في الحروف  
 للنسبة العددية فان حروف ايجاد دالة على اعدادها المتعارفة وضعاً وطبعاً فبينها من  
 اجل تناسب الاعداد تناسب في نفسها ايضاً كما بين الماء والكاف والراء لدلالاتها كلها على  
 الاثني عشر كل في مرتبة فالراء على اثنين في مرتبة الاحاد والكاف على اثنين في مرتبة  
 العشرات والراء على اثنين في مرتبة المئين وكالذي بينها وبين الدال والميم والتالداليتها  
 على الاربعة وبين الاربعة والاثني عشر والضعف وخرج للاسما اوافق كما للاعداد يختص  
 كل صنف من الحروف بصنف من الاوافق الذي يناسبه من حيث عدد الشكل او  
 عدد الحروف وامتزج التصرف من السر الحرفي والسر العددي لاجل التناسب الذي  
 بينها فاما سر التناسب الذي بين هذه الحروف وامزجة الطوائع او بين الحروف والاعداد  
 فامر عسر على المهم اذ ليس من قبيل العلوم والقياسات وانما مستندهم فيه الذوق والكشف  
 قال الونسي ولا تظن ان سر الحروف ما يتوصل اليه بالقياس العقلي وانما هو بطريق  
 المشاهدة والتوفيق الالهي واما التصرف في عالم الطبيعة بهذه الحروف والاسماء المركبة فيها  
 وتأثير الاكوان عن ذلك فامر لا ينكر لثبوته عن كثير منهم تواتراً وقد يظن ان تصرف  
 هؤلاء وتصرف اصحاب الطلسمات واحد وليس كذلك فان حقيقة الطلسم وتأثيره على ما  
 حققه اهله انه قوى روحانية من جواهر النهر تعمل فيما ركب له فعل علمته وقهر باسرار  
 فلكية ونسب عديدة وبخورات جالبات لروحانية ذلك الطلسم مشدودة فيه بالهمة  
 فائدها ربط الطوائع العلوية بالطوائع السفلية وهو عدم كالحبيرة المركبة من هوائية  
 وارضية ومائية وبارية حاصلة في جملتها تحمّل وتصرف ما حصلت فيه الى ذاتها ونقلته الى  
 صورتها وكذلك الاكسير للاجسام المعدنية كالحبيرة نقلت المعدن الذي تسري فيه الى  
 نفسها بالاحالة ولذلك يقولون موضوع الكيمياء جسد في جسد لان الاكسير اجزائه كلها  
 جسدانية ويقولون موضوع الطلسم روح في جسد لانه ربط الطوائع العلوية بالطوائع  
 السفلية والطوائع السفلية جسد والطوائع العلوية روحانية وتحقق الفرق بين تصرف  
 اهل الطلسمات واهل الاسماء بعد ان تعلم ان التصرف في عالم الطبيعة كله انما هو للنفوس  
 الانسانية والهم البشرية لان النفس الانسانية محيطة بالطبيعة وحاكمة عليها بالذات الا  
 ان تصرف اهل الطلسمات انما هو في استنزال روحانية الافلاك وربطها بالصور او بالسبب  
 العددية حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الاحالة والقلب بطبيعته فعل الحبيرة فيما  
 حصلت فيه وتصرف اصحاب الاسماء انما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور

الالهي والامداد الرباني فيسخر الطبيعة لذلك طائفة غير مستعصبة ولا يحتاج الى مدد من  
 القوى الفلكية ولا غيرها لان مدده اعلى منها ويحتاج اهل الطلسمات الى قليل من الرياضة  
 تفيد النفس قوة على استنزال روحانية الافلاك واهون بها وجهة ورياضة بخلاف اهل  
 الاسماء فان رياضتهم هي الرياضة الكبرى وليست لقصده التصرف في الاكوان اذ هو حجاب  
 وانما التصرف حاصل لم بالعرض كرامة من كرامات الله لم فان خلا صاحب الاسماء عن  
 معرفة اسرار الله وحقائق الملكوت الذي هو نتيجة المشاهدة والكشف واقتصر على مناسبات  
 الاسماء وطبائع الحروف والكلمات وتصرف بها من هذه الحثيثة وهؤلاء هم اهل السيمياء في  
 المشهور كان اذا افرق بينه وبين صاحب الطلسمات بل صاحب الطلسمات اوثق منه  
 لانه يرجع الى اصول طبيعية علمية وقوانين مرتبة واما صاحب اسرار الاسماء اذا فاته  
 الكشف الذي يطلع به على حقائق الكلمات واثار المناسبات نفوات المخلوص في الوجهة  
 وليس له في العلوم الاصطلاحية قانون برهاني يعول عليه فيكون حالة اضعف رتبة وقد  
 يمزج صاحب الاسماء قوى الكلمات والاسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الاسماء الحسنى  
 او ما يرسم من اوقافها بل ولسائر الاسماء اوقافاً تكون من حظوظ الكواكب الذي يناسب  
 ذلك الاسم كما فعله البوني في كتابه الذي سماه الانماط وهذه المناسبة عديم هي من لدن  
 الحضرة العمائية وهي برزخية الكمال الاسمائي وانما تنزل تفصيلها في الحقائق على ما هي عليه  
 من المناسبة واثبات هذه المناسبة عندهم انما هو بحكم المشاهدة فاذا خلا صاحب الاسماء  
 عن تلك المشاهدة وتلقى تلك المناسبة تقليداً كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم بل هو  
 اوثق منه كما قلناه وكذلك قد يمزج ايضاً صاحب الطلسمات عملة وقوى كواكب بقوى  
 الدعوات المولفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب الا ان مناسبة  
 الكلمات عندهم ليس كما هي عند اصحاب الاسماء من الاطلاع في حال المشاهدة وانما يرجع  
 الى ما اقتضته اصول طريقهم السحرية من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم الميكنات  
 من جواهر واعراض وذوات ومعان والحروف والاسماء من جملة ما فيه فلكل واحد من  
 الكواكب قسم منها بخصه وينون على ذلك مباني غريبة منكورة من تقسيم سور القرآن  
 وآية على هذا النحو كما فعله مسلمة الجريطي في الغاية والظاهر من حال البوني في انماطه  
 انه اعتبر طريقهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها ونصفت الدعوات التي تضمنتها ونقسمها  
 على ساعات الكواكب السبعة ثم قسمت على الغاية ونصفت قيامات الكواكب التي فيها  
 وهي الدعوات التي تخص بكل كوكب يسمونها قيامات الكواكب اي الدعوة التي يقام

له بها شهده ذلك اما بانه من مادتها اوبان المناسب الذي كان في اصل الابداع وبرزخ العلم قضي بذلك كله وما اوتيتم من العلم الا قليلاً وليس كل ما حرمة الشارع من العلوم بمنكر الثبوت فقد ثبت ان السحر حق مع حظره لكن حسينا من العلم ما علمنا . (ومن فروع علم السيميا عندهم استخراج الاجوبة من الاسئلة) . بارتباطات بين الكلمات حرفية يوهمون انها اصل في معرفة ما يحاولون علمه من الكائنات الاستقبالية وانما هي شبه المعاينة والمسائل السائلة ولم في ذلك كلام كثير من ادعية واعجبه زايرة العالم السني وقد تقدم ذكرها وبين هنا ما ذكره في كيفية العمل بتلك الزايرة بدائرتها وجدولها المكتوب حولها تم نكشف عن الحق فيها وانها ليست من الغيب وانما هي مطابقة بين مسألة وجوابها في الافادة فقط وقد اشربا الى ذلك من قبل وليس عندنا رواية يعول عليها في صحة هذه القصيدة الا اننا تحررنا اصح النسخ منها في ظاهر الامر والله الموفق بمنه وهي هذه

يقول سني ومحمد رنة	مصل على هادي الناس ارسلا
محمد المبعوث خاتم الانبيا	ويرضى عن الصحب ومن لم تلا
الا هذه زايرة العالم الذي	تراه يجيئك وبالعقل قد حلا
فمن احكم الوضع فيحك جسمه	ويدرك احكاماً تدبرها العلا
ومن احكم الربط فيدرك قوة	ويدرك للتقوى وللكل حصلا
ومن احكم التصريف يحكم سره	ويعقل حوياه وصح له الولا
وفي عالم الامر تراه محققاً	وهذا مقام من بالاذكار كمالا
فهذي سرائر عليكم بكتبتها	اقمها دوائر او للحاء عدلا
فطالها عرش وفيه نقوشنا	بنظم ونتر قد تراه مجدولا
ونسب دوائر كنسنة فلكها	وارسم كواكباً لادراجها العلا
واخرج لاونار وارسم حروفها	وكور بمثلها على حد من خلا
اقم شكل زبرهم وسو بيوته	وحقق بهامهم ونورهم جلا
وحصل علوماً للطباع مهندساً	وعلماً لموسيقى والارباع مثلا
وسو لموسيقى وعلم حروفهم	وعلم بالات فحقق وحصلا
وسو دوائر وأوسب حروفها	وعالمها اطلق والاقليم جدولا
اميرلنا فهو نهاية دولة	زنانية آبت وحكم لها خلا
وقطر لاندلس فابن لهودهم	وجاء بنو نصر وظفرهم تلا



ملوك وفرسان واهل المحكمة  
ومهدي توحيد بتونس حكمهم  
واقسم على الفطروكن متفقدًا  
ففتش ورسنون الراء حرفهم  
ملوك كناوة دلوا لقاظم  
فهند حباتي وسند فهرس  
فقبصرهم حاء ويزدجردم  
وعباس كلهم شريف معظم  
فان شئت تدقيق الملوك وكلهم  
علي حكم قاون الحروف وعلمها  
فمن علم العلوم تعلم علمنا  
فيرسخ علمه ويعرف ربه  
وحيث اتى اسم العروض يشقه  
وتاتيك احرف فسو لضربها  
فمن تشكير وقابل وعوض  
وفي العندوالمجدور يعرف غالبًا  
واختر لمطاع وسويه رنية  
ويدركها المرء فيبلغ قصده  
اذا كان سعدوا الكواكب اسعدت  
وايقاع دالم برموز ثمة  
واوتار زبرهم فلحاء بهم  
وادخل بافلاك وعدل بجدول  
وجوز شدوذ النجوم بجز ومثله  
فاصل لدينا واصل لفقها  
فادخل لفسطاط على الوفق جذره  
فخرج ابياتا وفي كنف مطلب  
وتفتي بحصرها كذا حكم عدّهم

فان شئت نصهم وقطرم حلا  
ملوك الشرق بالاوفاق نزلا  
فان شئت للروم فياخرشكلا  
وافرنسهم دال وبالطاء كمالا  
واعراب قومنا بترقيق اعمالا  
وفرس ططاري وما نعدهم طلا  
لكاف وقبطيهم بلامه طولا  
ولكن تركي نذا الفعل عطلا  
فختم يونانًا ثم نسب وجدولا  
وعلم طنائها وكلة مثالا  
ويعلم اسرار الوجود واكملها  
وعلم ملاحيم بحماميم فصلا  
فحكم الحكيم فيه قطعًا ليقنلا  
واحرف سيويه تانيك فيصلا  
بتريسيك الغالي للاجزاء خلخلا  
وزد لم وصفيو في العقل فعلا  
واعكس بجزريه وبالذور عدلا  
وتعطي حروفها وفي نظها انجلا  
فحسبك في الملك ونيل اسمو العلا  
فنسب دنادينا تجد فيه منها  
ومشنام المثلث بحيمه قد جلا  
وارسم اباجاد وباقيو جملا  
التي في عروض الشعر عن جملة ملا  
وعلم لحنونا فاحفظ وحصلا  
وسمع باسمه وكبر وهلا  
بنظم طبيعي وسر من العلا  
فعلم النوايخ ترى فيه منها

فخرج أبحاثاً وعشرون ضعفت من الألف طبعياً فياصح جدولا  
 تركيب صنائعا من الصرب أكملت فصيح لك المني وضح لك العلا  
 وجمع بزيرهم واثني نفرة اقها دوائر الزير وحصلا  
 اقها باوفاق واصل لعدھا من اسرار حرفهم فعذيه سلسلا  
 ك٤٢ كاك وكح واه عم له رلاسع كطال من ح ع ف ول منافرة  
 فصل في الكلام على استخراج نسبة الاوزان وكيفياتها ومقادير المقابل منها وقوة الدرجة  
 المتميزة بالنسبة الى موضع المطلق من امتزاج طبائع وعلم طب او صناعة الكيميا  
 ايا طائلاً للطب مع علم جابر وعالم مقدار المقادير بالاولا  
 اذا شئت علم الطب لاند نسبة لاحكام ميزان تصادف منها  
 فيشفي عليكم والاكسير محكم وامراج وضعكم تصحيح انجلا  
 الطب الروحاني  
 وشئت ايلالوش ٢٥٦٥ وذهنه نجلا  
 لمهرار برجيس وسعة اكلا  
 لتحليل اوجاع النوارد صحوا كذلك والتركيب حيث تنقلا  
 كد مع مهم ٢٥٥ و٦ صح لهاي ولح الآ و٦ وي سكره لال ح مهبت مهم ع ع مي مرج  
 ٢٢٢٤٢٢ ك ع اعر

مطاريح الشعاعات في مواليد الملوك وسبهم  
 وعلم مطاريح الشعاعات مشكل وصلع قسيها بمطقة جلا  
 ولكن في حج مقام اماما ويدوا اذا عرض الكواكب عدلا  
 ندال مراكزين طول وعرضها من ادركه تم قوضلا  
 مواقع تربع وسه مسقط لتسدسهم تنليت بيت الذي تلا  
 يزداد لتربع وهذا قياسه يقسا وحذره وبالعين اعلا  
 ومن نسبة الرعين ركب شعاعك تصاد وضعه وتربعه انجلا  
 اخنص صح صعد سع وى هذا العمل هنا للملوك والقانون مطرد عمله ولم ير اعجب منه  
 مقامات الملوك المقام الاول - المقام الثاني - في مهمه - صع عر المقام الثالث ع ع  
 والمقام الرابع للحم المقام الخامس لاي المقام السادس ع بير المقام السابع عه  
 خط الانصال والانفصال  
 ع ٥١٤ طس مع نبح

خط الانصال ١١٠٨١ ح

خط الانصال

خط الانصال ٥٠٤ ح

خط الانصال

١٧٧٧٧ - ١١ ح

الوتر للجميع وتابع الجرد العام

٤ ح

الاتصال والاتصال

٥ ح

الواجب العام في الاتصالات

اقامة الانوار ٤ ح

٥٠٤ ح

الجزر الهيب في العمل

٥٠١ ح

اقامة السؤال عن الملوك

مقام الا ولا نور عمه بمقام بها ٥ ح

الانفعال الروحاني والانتقاد الرباني

ايا طالب السرّ لتنهليل ربه لدى اسمائه الحسى تصادف منها  
 تطيعك اخبار الانام بقلهم كذلك ريسهم وفي الشمس اعمالا  
 ترى عامة الناس اليك تقيدوا وما قلته حقاً وفي الغير اهملا  
 طريقك هذا السبل والسبل الذي اقوله غيركم وبصركم اجنلا  
 اذا شئت تحبي في الوجود مع النقي وديناً متيناً او تكن متوصلا  
 كذي السون والجنيذ مع سر صنة وفي سر بسطام اراك مسربلا  
 وفي العالم العلوي تكون محدثاً كذا قالت الهند وصوفية الملا  
 طريق رسول الله بالحق ساطع وما حكم صنع مثل جبريل انزلا  
 فبطشك تنهليل وقوسك مطلع وبوم الخميس البدو والاحداثجلا  
 وفي جمعة ايضاً بالاسماء مثله وفي اثنين للحسنى تكون مكمل  
 وفي طائو سرّ وفي هائو اذا اراك بها مع نسبة الكل اعطلا  
 وساعة سعد شرطهم في نقوشها وعود ومصطكي بخور تحصلا  
 وتتلو عليها اخر الحشر دعوة والاخلاص والسبع المثاني مرتلا  
 اتصال انوار الكواكب) . بلعاني لاهي لا طاعش لدسع ق صحه في وي  
 وفي يدك البني حديد وخاتم وكل براسك وفي دعوة فلا  
 وآية حشر فاجعل القلب وجهها واتلوا اذا نام الانام ورتلا  
 هي السرّ في الاكوان لاشي غيرها هي الاية العظمية فحقيق وحصلا

تكون بها قطباً اذا جدت خضمة وتدرک اسراراً من العالم العلا  
 سري بها ناجي ومعروف قبلة وناح بها الحلاج جهراً فاعقلا  
 وكان بها الشبلي يداً دائماً الى ان رقى فوق المرادين واعقلا  
 فصف من الاناس قلبك جاهداً ولازم لاذكار وسم وتنقلا  
 فما سال سر القوم الا محقق علم باسرار العلوم محصلا  
 ع صح صح وسلم يـ لـ لـ = سماع 88 ح ا ح هـ ك صرح اـ رـ  
 مقامات المحبة وميل النفوس والمجاهدة والطاعة والعبادة وحب  
 وتعشق وفناء الفنا وتوجه ومراقبة وخلة دائمة

### الاعمال الطبيعي

البرجيس في المحبة الوفق صرفوا بقزدير او نحاس الخلط اكهلا  
 وقيل ببصة صحياً رابته فجعلك طالماً خطوطة ما علا  
 توخ به زيادة النور للتمر وجعلك للقول شمساً اصلا  
 ويومه والنخور عود لهدم ووقت لساعة ودعونه الا  
 ودعونه بغاية فهم اعملت وعن طسيان دعوة ولها جلا  
 وقيل بدعوة حروف لوضعها بجزر هواه او مطالب اهلا  
 فنفس احرفاً ندال ولاهما وذلك وفق للمرعب حصلا  
 اذا لم يكن بهوى هواك دلاهما فidal ليبدووا وزينب معظلا  
 فحسن لبائهم ولئامهم اذا هواك وناقهم قليلة جملا  
 ونفس مشاكل بشرط لوضعهم وما زدت انسه لعملك عدلاً  
 ومفتاح مرهم ففعلها سوءه فيوري وسطامي سورنبا تلا  
 وجعلك بالنفسد وكن متفقداً ادلة وحشي لفضة ميلا  
 فاعكس بيوتها بالف ونيف فاطنبا سر وفي سرها انجلا

### فصل في المقامات للنهاية

لك الغيب صورة من العالم العلا وتوجدها دار او ملبسها الخلا  
 ويوسف في الحسن وهذا شبيهة بنثر وترقى حقيقه انزلا  
 وفي يده طول وفي الغيب ناطق فيحكي الى عود يجاوب لبلا  
 وقد جن بهلول بعشق جماها وعند نجابها لبسطام اخذلا

ومات اجليو واشرب حبها جنيد وبصري والجسم اهملا  
 فتطلب في التهليل غايته ومن باسمائه الحسنى بلا نسبة خلا  
 ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمى ويسم بالزلفى لدى جيرة العلا  
 وتخبر بالغيب اذا جدت خدمة تربك عجائماً بمن كان موثلاً  
 فهذا هو الفور وحسن تناله ومنها زيادات لتفسيرها تلا  
 الوصية والتخم والايمان والاسلام والتحرير والاهلية

فهذا قصيدنا وتسعون عدده وما زاد خطبة وختماً وجدولا  
 عجت لايات وتسعون عدها تولد اياتاً وما حصرها انجلا  
 فمن فهم السر فيهم نفسه ويفهم تفسيراً مشاه اشكلا  
 حرام وشرعي لاظهار سرنا لناس وان خصوا وكان التأهلا  
 فان شئت اهليه فغلظ بينهم وتهم برحلة ودين تطولا  
 لعلك ان تنجو وسامع سرهم من القطع والافشا فترأس بالعلا  
 فجل لعناس لسره كاتم فنال سعادات وناعة علا  
 وقام رسول الله في الناس خاطماً من برأس عرشاً فذلك اكتملا  
 وقدركب الارواح احساد مظهر فالت لقتلهم بدق تطولا  
 الى العالم العلوي يني فاوليا ويلس اتواب الوجود على الولا  
 فقد تم نظماً وصلّى الهنا على خاتم الرسل صلاة بها العلا  
 وصلى الة العرش ذوالجد والعلا على سيد ساد الابرار وكهلا  
 محمد الهادى الشفيح اماما واصحابه اهل المكارم والعلا

مرتبة ناسه عن الحله سرح اسع ص ١٢٨ ع وطع ١١١ ٥٥٥ تصحيح النيرين وتعديل  
 الكواكب عند كل تاريخ مطلوب ب سر كل وو ٨١٥ لوطرح الاوتار الكلية  
 ٢٢١ عم عم ال ٥ ح الاول تم ٨ عم ٥ عم ٥ عوه عوه ٨ عو ح ح ا ح عوه عوه عوه

كملت الزايرجة

كيفية العمل في استخراج اجونة المسائل من زايرة العالم بحول الله مقولاً  
 عن لقياه من الفائين عليها

السؤال له ثلاثائة وستون حواً عدة الدرج وتختلف الاجونة عن سؤال واحد  
 في طالع مخصوص باختلاف الاسئلة المضافة الى حروف الاوتار وتناسب العمل من

استخراج الاحرف من بيت القصيد . ( تنبيهه ) . تركيب حروف الاوتار والجداول على ثلاثة اصول حروف عربية تنقل على هيئتها وحروف برسم الغبار وهذه تبدل فتمها ما ينقل على هيئته متى لم تزد الا دوار عن اربعة فان زادت عن اربعة نقلت الى المرتبة الثانية من مرتبة العشرات وكذلك لمرتبة المئين على حسب العمل كما سنبينه ومنها حروف برسم الزمام كذلك غير ان رسم الرمام يعطي نسبة ثمانية في بمنزلة واحد الف وبمنزلة عشرة ولها نسبة من خمسة بالعربي فاستحق البيت من الجدول ان توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم فاخصروا من الجدول بيوتاً خالية فتمت كانت اصول الادوار زائدة على اربعة حسب في العدد في طول الجدول وان لم تزد على اربعة لم يحسب الا العامر منها . ( والعمل في السؤال يقتصر الى سبعة اصول ) . عدة حروف الاوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها اثني عشر اثنى عشر وهي ثمانية ادوار في الكامل وستة في الناقص ابدأ ومعرفة درج الطالع وسلطان البرج والدور الاكبر الاصلي وهو واحد ابدأ وما يخرج من اضافة الطالع للدور الاصلي وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج و اضافة سلطان الدرج للطالع والعمل جميعه ينتج عن ثلاثة ادوار مضروبة في اربعة تكون اثني عشر دوراً وستة هذه الثلاثة الادوار التي هي كل دور من اربعة نشأة ثلاثية كل نشأة لها ابتداء تم انهما نصرب ادواراً رباعية ايضاً ثلاثية تم انهما من ضرب ستة في اثنين فكان لها نشأة يظهر ذلك في العمل ويتبع هذه الادوار اثني عشر نتائج وهي في الادوار اما ان تكون نتيجة او اكثر الى ستة فاول ذلك يفرض سؤالا عن الزايرة هل هي علم قديم او محدث يطالع اول درجة من القوس اثناء حروف الاوتار ثم حروف السؤال فوضعنا حروف وتر رأس القوس ونظيرة من رأس الجوزاء وثالثة وتر رأس الدلو الى حد المركز و اضعنا اليه حروف السؤال ونظرا عدتها واقل ما تكون ثمانية وثمانين واكثر ما تكون ستة وتسعين وهي جملة الدور الصحيح فكانت في سوالنا ثلاثة وتسعين ويختصر السؤال ان زاد عن ستة وتسعين بان يسقط جميع ادوار الاتاعشيرية ويحفظ ما خرج منها وما بقي فكانت في سوالنا سبعة ادوار الباقية تسعة اتمتها في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثني عشرة درجة فان بلغها لم تثبت لها عدة ولا دور تم تثبت اعدادها ايضاً ان زاد الطالع عن اربعة وعشرين في الوجه الثالث تم تثبت الطالع وهو واحد وسلطان الطالع وهو اربعة والدور الاكبر وهو واحد واجمع ما بين الطالع والدور وهي اثنان في هذا السؤال واضرب ما خرج منها في سلطان الدرج يبلغ ثمانية واصف السلطان

للطالع فيكون خمسة هذه سبعة اصول فما خرج من ضرب الطالع والدور الاكبر في  
 سلطان القوس ما لم يبلغ اثني عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من اسفل الجدول صاعداً  
 وان زاد على اثني عشرة طرح ادواراً وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية وتعلم على منتهى العدد  
 والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع يكون الطالع في ضلع السطح المبسوط الاعلى من  
 الجدول وتعد متواليًا خمس ادواراً ونحفظها الى ان يقف العدد على حرف من اربعة  
 وهي الف او باء او جيم او زاي فوقع العددي في عملا على حرف الالف وخلف ثلاثة  
 ادوار فحسباً ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة وهو عدد الدور الاول فائتبه واجمع ما بين  
 الصلعيں الفاعم والمبسوط يكن في بيت ثمانية في مقابلة البيوت العامرة بالعدد من الجدول  
 وان وقف في مقابلة الحالي من البيوت الجدول على احدها فلا يعنر وتستمر على ادوارك  
 وادخل بعدد ما في الدور الاول وذلك تسعة في صدر الجدول ما يلي البيت الذي  
 اجتمع فيه وهي ثمانية ماراً الى جهة اليسار فوقع على حرف لام الف ولا يخرج منها ابداً  
 حرف مركب وانما هو اذن حرف تاء اربعة رسم الزمام فعمل عليها بعد نقلها من بيت  
 الفصيد واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ادخل بها في حروف الاوتار واثبت  
 ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت الفصيد ومن هذا القانون تدري كم تدور الحروف  
 في النظم الطبيعي وذلك ان تجمع حروف الدور الاول وهو تسعة لسلطان البرج وهو  
 اربعة تبلغ ثلاثة عشر اضعها بمثلها تكون ستة وعشرين اسقط منها درج الطالع وهو  
 واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون فعلى ذلك يكون نظم الحروف الاول ثم  
 ثلاثة وعشرون مرتين ثم اثنان وعشرون مرتين على حسب هذا الطرح الى ان ينتهي  
 للواحد من اخر البيت المنظوم ولا تقف على اربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد  
 اولاً ثم ضع الدور الثاني واضف حروف الدور الاول الى ثمانية الخارجة من  
 ضرب الطالع والدور في السلطان تكن تسعة عشر الباقي خمسة فاصعد في ضلع ثمانية  
 بخمسة من حيث انتهيت في الدور الاول وعلم عليه وادخل في صدر الجدول بسبعة عشر  
 ثم بخمسة ولا تعد الحالي والدور عشرين فوجدنا حرف تاء خمسمائة وانما هونون لان  
 دورنا في مرتبة العشرات فكانت الخمسمائة بخمسين لان دورها تسعة عشر فلولم تكن  
 تسعة عشر لكانت مئتين فائتبه نون ثم ادخل بخمسة ايضاً من اوله وانظر ما حاذى ذلك  
 من السطح تجد واحداً فتهجر العدد واحداً يقع على خمسة اضف لها واحداً السطح تكون  
 ستة اثبت واحداً وعلم عليها من بيت الفصيد اربعة واضفها للثمانية الخارجة من ضرب الطالع

مع الدور في السلطان تبلغ اثني عشر اضعف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر وهو ما للدور الثاني فدخلنا بسبعة عشر في حروف الاوتار فوق العدد على واحد اثبت الالف وعلم عليها من بيت الفصيد واسقط من حروف الاوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور الثاني وضع الدور الثالث واضف خمسة الى ثمانية تكن ثلاثة عشر الباقي واحد انقل الدور في ضلع ثمانية لواحد وادخل في بيت الفصيد ثلاثة عشر وخذ ما وقع عليه العدد وهوق وعلم عليه وادخل بثلاثة عشر في حروف الاوتار واثبت ما خرج وهو سين وعلم عليه من بيت الفصيد ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد فخذ ما يلي حرف سين من الاوتار فكان ب اثنتا عشر وعلم عليها من بيت الفصيد وهذا يقال له الدور المعطوف ومبراهة صحيح وهو ان تضعف ثلاثة عشر بمثلها ونضيف اليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين وهو حرف باء المستخرج من الاوتار من بيت الفصيد وادخل في صدر الجدول ثلاثة عشر وانظر ما قابلته من السطح واضعفه بمثله وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر فكان حرف جيم وكانت الجملة سبعة فذلك حرف زاي فاتنناه وعلمنا عليه من بيت الفصيد وميزانه ان تضعف السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر وهو الخامس عشر من بيت الفصيد وهذا اخر ادوار الثلاثيات وضع الدور الرابع وله من العدد تسعة باضافة الباقي من الدور السابق فاضرب الطالع مع الدور في السلطان وهذا الدور اخر العمل في البيت الاول من الرباعيات فاضرب على حرفين من الاوتار واصعد تسعة في ضلع ثمانية وادخل تسعة من دور الحرف الذي اخذته اخرًا من بيت الفصيد فالناسع حرف راء فاتبتة وعلم عليه وادخل في صدر الجدول تسعة وانظر ما قابلها من السطح يكون ح قهقر العدد واحداً يكون الف وهو الثاني من حرف الراء من بيت الفصيد فاتبتة وعلم عليه وعد ما يلي الثاني تسعة يكون الفاً ايضاً اثبتة وعلم عليه واضرب على حرف من الاوتار واضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر وادخل بها في حروف الاوتار ثقف على حرف راء اثنتا عشر وعلم عليها من بيت الفصيد ثمانية واربعين وادخل ثمانية عشر في حروف الاوتار ثقف على س اثنتا عشر وعلم عليها اثنتين واضف اثنتين الى تسعة تكن احد عشر وادخل في صدر الجدول باحد عشر ثقفها من السطح الف اثنتا عشر وعلم عليها ستة وضع الدور الخامس وعدته تسعة عشر الباقي خمسة اصعد بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على حرفين من الاوتار واضعف خمسة بمثلها واضفها الى سبعة عشر عدد دورها الجملة سبعة وعشرون وادخل بها في حروف



الاوتار تقع على ب اثنتا وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في  
 أس اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر ادخل بها في حروف الاوتار تقف على ق اثنتا وعلم  
 عليها ستة وعشرين وادخل في صدر الجدول ست وعشرين تقف على اثنين بالغمار  
 وذلك حرف ب اثنتا وعلم عليه اربعة وخمسين واضرب على حرفين من الاوتار وضع  
 الدور السادس وعدته ثلاثة عشر الباقي منه واحد فتبين اذ ذاك ان دور النظم من خمسة  
 وعشرين فان الادوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد فاضرب  
 خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين وهو الدور في نظم البيت فانقل الدور في ضلع ثمانية  
 بواحد ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه لانه دور ثان من نشأة تركيبة  
 ثانية بل اضفنا الاربعة التي من اربعة وخمسين الخارجة على حروف ب من بيت القصيد  
 الى الواحد تكون خمسة نصف خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ادخل بها  
 في صدر الجدول وخذ ما قالها من السطح وهو الف اثنتا وعلم عليه من بيت القصيد اثني  
 عشر واضرب على حرفين من الاوتار ومن هذا الجدول تنظر احرف السؤال وما خرج  
 منها زده مع بيت القصيد من اخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون داخلاً في العدد  
 في بيت القصيد وكذلك تفعل بكل حرف حرف بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال  
 فاخرج منها زده الى بيت القصيد من اخره وعلم عليها ثم اضف الى ثمانية عشر ما علمته على  
 حرف الالف من الاحاد فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين ادخل بها في حروف الاوتار  
 تقف على حرف راء اثنتا وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين وهو نهاية الدور في  
 الحرف الوترى فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع وهو ابتداء المخترع ثان  
 ينشأ من الاختراعين ولهذا الدور من العدد تسعة نصف لها واحداً تكون عشرة للنشأة  
 الثانية وهذا الواحد تزيد بعد الى اثني عشر دوراً اذا كان من هذه النسبة او تنقصه  
 من الاصل تبلغ الجملة خمسة عشر فاضرب في ضلع ثمانية وتسعين وادخل في صدر الجدول  
 بعشرة تقف على خمسين واما هي خمسون نون مصاعفة يمثلها وتلك ق اثنتا وعلم عليها من  
 بيت القصيد اثنين وخمسين واسقط من اثنين وخمسين اثنين واسقط تسعة التي للدور  
 الباقي واحد واربعون وادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد اثنتا وكذلك ادخل  
 بها في بيت القصيد متحد واحداً مهده ميزان هده النشأة الثانية فعلم عليه من بيت القصيد  
 علامتين علامة على الالف الاخير الميزاني واخرى على الالف الاولى فقط والثانية اربعة  
 وعشرون واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثامن وعدته تسعة عشر الباقي

خمسة ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقف على عين بسبعين اثنتيها وعلم عليها وادخل في الجدول بخمسة وخذ ما قابلها من السطح وذلك واحد اثنتيها وعلم عليه من البيت ثمانية واربعين واسقط واحداً من ثمانية واربعين للأس الثاني واطرف اليها خمسة الدور المجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف غبارية وهي مرتبة مئينية لتزايد العدد فتكون مائتين وهي حرف راء اثنتيها وعلم عليها من القصيد اربعة وعشرين فانقل الامر من ستة وتسعين الى الابتداء وهو اربعة وعشرون فاضف الى اربعة وعشرين خمسة الدور واسقط واحداً تكن المجملة ثمانية وعشرين ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية اثنتيها ٢ وعلم عليها وضع الدور التاسع وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد من ضلع ثمانية بواحد اصعد في ثمانية بواحد وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد ولانه من النشأة الثانية ولانه اول الثلث الثالث من مرات البروج واخر الستة الرابعة من المثلثات فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في اربعة التي هي مثلثات البروج السابقة المجملة اثنان وخمسون ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنتين غبارية وانما هي مئينية لتجاوزها في العدد عن مرتبة الاحاد والعشرات فائنته مائتين راء وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين واطرف الى ثلاثة عشر الدور واحد الاس وادخل باربعة عشر في بيت القصيد تلغ ثمانية فعلم عليها ثمانية وعشرين واطرح من اربعة عشر سبعة بقى سبعة اضرب على حرفين من الاوثار وادخل بسبعة تقف على حرف لام اثنتيها وعلم عليه من البيت وضع الدور العاشر وعدده تسعة وهذا ابتداء المثلثة الرابعة واصعد في ضلع ثمانية بتسعة تكون خلا فاضعد بتسعة ثانية تصير في السابع من الابتداء اضرب تسعة في اربعة لصعودنا بتسعتين وانما كانت تضرب في اثنتين وادخل في الجدول بستة وثلاثين تقف على اربعة زمامية وهي عشريه فاخذناها احادية لقله الادوار فاثبت حرف دال وان اخضت الى ستة وثلاثين واحد الاس كان حدها من بيت القصيد فعلم عليها ولو دخلت بالتسعة لاغير من غير ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية فاطرح من ثمانية اربعة الباقي اربعة وهو المقصود ولو دخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنتين لوقف على واحد زمامي وهو عشري فاطرح منه اثنتين تكرر التسعة الباقي ثمانية نصفها المطلوب ولو تدخل في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضر بها في ثلاثة لوقعت على عشرة زمامية والعمل واحد ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد واثبت ما خرج وهو الف ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة

الماضية واسقط واحدًا وادخل في صدر الجدول ستة وعشرين وإثبت ما خرج وهو مائتان بحرف راء وعلم عليه من بيت الفصيد ستة وتسعين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الحادي عشرولة سعة عشر الباقي خمسة اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرر عليه المشي في الدور الاول وادخل في صدر الجدول بخمسة نفق على خال فخذ ما قابله من السطح وهو واحد فادخل بواحد في بيت الفصيد تكن سين اثبتة وعلم عليها ربعة ولو يكون الوقف في الجدول على بيت عامر لا تبنتا الواحد ثلاثة واضعف سعة عشر بمثلها واسقط واحد واصعبها بمثلها وزدها ربعة تبلغ سبعة وثلاثين ادخل بها في الاوتار نفق على ستة اثنتها وعلم عليها واضعف خمسة بمثلها وادخل في البيت نفق على لام اثنتها وعلم عليها عشرين واضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور الثاني عشرولة ثلاثة عشر الباقي واحد اصعد في ضلع ثمانية بواحد وهذا الدور اخر الادوار واخر الاختراعين واخر المرعات الثلاثية واخر المثلثات الرباعية والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية وانما هي احاد ثمانية وليس معتلن من الادوار الا واحد فلوزاد عن اربعة من مربعات اثني عشر او ثلاثة من مثلثات اثني عشر لكانت ح وانما هي د فاثنتها وعلم عليها من بيت الفصيد اربعة وسعين تم انظر ما ناسبها من السطح تكن خمسة اضعبها بمثلها للاس تبلغ عشرة اثنتي وعلم عليها وانظر في اي المراتب وقعت وجدناها في الرابعة دخلنا سبعة في حروف الاوتار وهذا المدخل يسمى التوليد الحرفي فكانت ف اثنتها واضف الى سبعة واحد الدور المحملة ثمانية ادخل بها في الاوتار تبلغ س اثنتها وعلم عليها ثمانية واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور فانها اخر مرعات الادوار بالمثلثات تبلغ اربعة وعشرين ادخل بها في بيت الفصيد وعلم على ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون وهو نهاية الدور الثاني في الادوار الحرفية واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة وهذا العدد يناسب ابدأ الباقي من حروف الاوتار بعد طرحها ادوارًا وذلك تسعة فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائد على تسعين من حروف الاوتار واضف لها واحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين فادخل بها في حروف الاوتار تبلغ الف اثنته وعلم عليه ستة وتسعين وان ضربت سعة التي هي ادوار الحروف التسعينية في اربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين والواحد الباقي من الدور الثاني عشر كان كذلك واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنتين زمامية واضرب تسعة فيما ناسب من السطح وذلك ثلاثة واضف لذلك سبعة عدد الاوتار

الحرفية وإطرح واحداً الباقي من دور اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ادخل بها في البيت تبلغ خمسة فائتها واضف تسعة بمثلها وادخل في صدور الجدول ثمانية عشر وخذ ما في السطح وهو واحد ادخل به في حروف الاوتار تبلغ م اثبته وعلم عليه واضرب على حرفين من الاوتار وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة فأصعد في ضلع ثمانية بمخسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر اضف لها واحد الباقي من الدور الثاني عشر تكن تسعة وادخل ستة عشر في بيت القصيد تبلغ اثبته وعلم عليه اربعة وستين واضف الى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين وزد واحداً الباقي من الدور الثاني عشر يكن تسعة ادخل بها في صدر الجدول تبلغ ثلاثين زمامية وانظر في السطح نجد واحداً اثبته وعلم عليه من بيت القصيد وهو التاسع ايضاً من البيت وادخل تسعة في صدر الجدول نقف على ثلاثة وهي عشرات فائت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد فانقل في ضلع ثمانية بواحد واضف الى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين وواحد الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ تسعة عشر وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ادخل بها في حروف الاوتار تكن لهما اثنتان فهذا اخر العمل (والمثال في هذا السؤال السابق اردنا ان تعلم ان هذه الزابرجة علم محدث او قديم بمطالع اول درجة من القوس اثنتان حروف الاوتار ثم حروف السؤال ثم الاصول وهي عدة الحروف ثلاثة وتسعون ادوارها سعة الباقي منها تسعة الطالع واحد سلطان القوس اربعة الدور الاكبر واحد درج الطالع مع الدور اتان ضرب الطالع مع الدور في السلطان ثمانية اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد<sup>(١)</sup>

سؤال عظيم المخلق حزت فصن اذن غرائب شك ضبطه المجد مثلا

حروف الاوتار ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ر ب ه س ا ل م ن ص ع ف ص  
 رس كل م ن س ع ف ض ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش ط ي ع ح ص ر و ج ر و  
 ج ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي

حروف السؤال ال ز ا ي ر ج ع ل م م ح د ث ا م ق د ي م

الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث ١٤ الباقي ١  
 الدور الرابع ٩ الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس ١٤ الباقي ١  
 الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع ١٤ الباقي ١  
 الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور الثاني عشر ١٤ الباقي ١  
 النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي ٥ النتيجة الثالثة ١٤ الباقي ١

## وَعَجَّوَعَاءُ

١.....	س
٢.....	و
٣.....	ا
٤.....	ل
٥.....	ع
٦.....	ط
٧.....	ي
٨.....	م
٩.....	ا
١٠.....	ل
١١.....	ح
١٢.....	ل
١٣.....	ق
١٤.....	ح
١٥.....	ر
١٦.....	ت
١٧.....	ف
١٨.....	ص
١٩.....	ن
٢٠.....	ا
٢١.....	د
٢٢.....	ن
٢٣.....	ع
٢٤.....	ر
٢٥.....	ا
٢٦.....	ي
٢٧.....	ب
٢٨.....	ش
٢٩.....	ك
٣٠.....	ص
٣١.....	ب
٣٢.....	ط
٣٣.....	ه
٣٤.....	ا
٣٥.....	ل
٣٦.....	ح
٣٧.....	د
٣٨.....	م
٣٩.....	ث
٤٠.....	ل
٤١.....	ا

ف وزاوس رر اس اب ارقاع ارض حرجل دارس ال دى وس رادمن ال  
دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرين ثم على واحد وعشرين مرتين  
الى ان تنتهي الى الواحد من اخر البيت وتنقل الحروف جميعاً والله اعلم ن ف روح روح  
ال ودس ادرس ره ال درى س وان س دروا ب لا ام رب وال ع ل ل  
هذا اخر الكلام في استخراج الاجوبة من زايرة العالم منظومة وللقوم طرائق اخرى  
مر غير الزايرة يستخرجون بها اجوبة المسائل غير منظومة وعندهم ان السر في استخراج  
الجواب منظوماً من الزايرة انما هو مزجهم بيت مالك بن وهيب وهو سوال عظيم الخلق  
البيت ولذلك يخرج الجواب على رويده واما الطرق الاخرى فيخرج الجواب غير منظوم  
فمن طرائقهم في استخراج الاجوبة ما تنقله قال بعض المحققين منهم

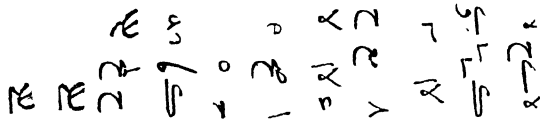
فصل في الاطلاع على الاسرار الخفية من جهة الارتباطات الحرفية

اعلم ارشداً الله واياك ان هذه الحروف اصل الاسئلة في كل قصبة وانما نستخرج  
الاجوبة على تجزئته بالكيفية وهي ثلاثة واربعون حرفاً كما ترى والله علام الغيوب اول اع  
ظس ال م خ ي دل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ك ي ب م ض ب ح ط ل ج  
ه د ن ل ث ا

وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشدد حرفين وسماه القطب فقال  
سوال عظيم الخلق حزت فصن اذن غرايب شك ضبطه الجد مثلا  
فاذا اردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر من حروفها واثبت ما فضل منه ثم  
احذف من الاصل وهو القطب لكل حرف فصل من المسئلة حرفاً بمانلة واثبت ما فضل  
منه ثم امزج الفصلين في سطر واحد تبداً بالاول من فضله والثاني من فضل المسئلة وهكذا  
الى ان يتم الفضلان او ينفذ احدهما قبل الاخر فتضع البقية على ترتيبها فاذا كان عدد  
الحروف الخارجة بعد المزج موافقاً لعدد حروف الاصل قبل الحذف فالعمل صحيح  
فحيثما تضيف اليها خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل الحروف ثمانية  
واربعين حرفاً فتعبر بها جدولاً مرتباً يكون اخرها في السطر الاول اول ما في السطر  
الثاني وتنقل البقية على حالها وهكذا الى ان يتم عمارة الجدول ويعود السطر الاول بعينه  
وتنوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتركل حرف بقسمة مرعبة على  
اعظم جزء يوجد له وتضع الوتر مقابلاً لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية  
وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغزائرها النفسانية واسوسها الاصاوية من

المجدول الموضوع لذلك وهذه صورته

الموازين الاصلي	الموازين	و	الاسوس	الفرائز	الموازين	القوى	ا
			ح	ح	ح	ح	ب
الاصلي	ط	التفصيلي	ح	ح	ح	ح	ج
			ح	ح	ح	ح	د
القوى	ط	التفصيلي	ح	ح	ح	ح	هـ
			ح	ح	ح	ح	و
ك	ط	التفصيلي	ح	ح	ح	ح	ز
			ح	ح	ح	ح	ح



تم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه في اسوس اوتاد الفلك الاربعة واحذر ما يلي  
 الاوتاد وكذلك السواقي لان نسبتها مضطربة وهذا الخارج هو اول رتب السريان  
 ثم تاخذ مجموع العاصر وتحط منها اسوس المولدات يبقى اس عالم الحلق بعد عروضة  
 للمدد الكونية فتحمل عليه بعض المجرادات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج افق  
 النفس الاوسط وتطرح اول رتب السريان من مجموع العاصر يبقى عالم التوسط وهذا  
 مخصوص بعوالم الاكوان السبيطة لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط  
 يخرج الافق الاعلى فتحمل عليه اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عاصر  
 الامداد الاصلي يبقى ثالث رتبة السريان فنضرب مجموع اجراء العناصر الاربعة ابدأ  
 في رابع مرتبة السريان يخرج اول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل  
 والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل  
 فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى  
 يخرج الجزء الاول ويقسم المنكسر على الافق الاوسط يخرج الجزء الثاني وما انكسر فهو  
 الثالث ويتعين الرابع هذا في الرباعي وان شئت اكثر من الرباعي فنستكثر من عوالم  
 التفصيل ومن رتب السريان ومن الاوافق بعد الحروف والله يرشدنا وياك وكذلك

اذا قسم عالم العجريد على اول رتب السريان خرج الجزء الاول من عالم التركيب وكذلك  
 الى نهاية الرتبة الاخيره من عالم الكون فافهم وتدبر والله المرشد المعين . ومن طريقهم  
 ايضاً في استخراج الجواب قال بعض المحققين منهم اعلم ايدينا الله وايك . روح منه ان علم  
 الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم والعمل  
 به شرائط تلتزم وقد يستخرج العالم اسرار الخليفة وسرائر الطبيعة فيطلع بذلك على نتيجتي  
 الفلسفة اعني السيميا واختها ويرفع له حجاب المجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا  
 القلوب وقد شهدت جماعة بارض المغرب ممن اتصل بذلك فاطهر الغرائب وخرق  
 العوائد ونصرف في الوجود تايد الله واعلم ان ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكة  
 مع الصبر مفتاح كل خير كما ان الخرق والعجلة راس الحرمان فاقول اذا اردت ان تعلم  
 قوة كل حرف من حروف التابطوس اعني اجد الخ العدد وهذا اول مدخل من علم  
 الحروف فانظر ما لذلك الحرف من الاعداد فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي  
 قوته في جسمانيات تم اضرب العدد في مثله تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتة  
 وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم لغير المنقوطة لان المنقوطة منها مراتب المعان  
 يأتي عليها البيان فيما بعد واعلم ان لكل شكل من اشكال الحروف شكلاً في العالم العلوي  
 اعني الكرسي ومنها المتحرك والساكن والعلوي والسعلي كما هو مرقوم في اماكيد من الجداول  
 الموضوعه في الربارج واعلم ان قوى الحروف ثلاثة اقسام الاول وهو اقلها قوة تظهر بعد  
 كتابتها فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم فتمى خرج ذلك  
 الحرف بقوة نسائية وجمع همة كانت قوى الحروف موثرة في عالم الاجسام الثاني قوتها في  
 الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها فهي قوة في الروحانيات  
 العلويات وقوة شكلية في عالم الجسمانيات الثالث وهو ما يجمع الباطن اعني القوة  
 النسائية على تكوينه فتكون قبل النطق به صورة في النفس بعد النطق به صورة في  
 الحروف وقوة في النطق واما طنائعها فهي الطبيعيات المنسوبة للمتولدات في الحروف  
 وهي الحرارة واليبوسة والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة والرطوبة فهذا  
 سر العدد الباني والحرارة جامعة للهواء والنار وهما ا ه ط م ف ش ذ ج ز ك س ق ث ظ  
 والبرودة جامعة للهواء والماء ب و ي ن ص ت ض ذ ح ل ع ر خ غ واليبوسة جامعة  
 النار والارض ا ه م ط ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض <sup>(١)</sup> فهذه نسمة حروف الطبائع  
 لعل هذه عبارة بعض المشاركة لان هدا ترتيب المشاركة لا ترتيبا للمغاربة الذي قدمه في صفحه ٢٥٠ قاله انصر



وتداخل اجزاء بعضها في بعض وتداخل اجزاء العالم فيها علويات وسفليات باسباب  
الامهات الاول اعني الطبايع الاربع المنفردة هني اردت استخراج مجهول من مسئلة ما  
فتحقق طالع السائل او طالع مسئلته واستنطق حروف اوتادها الاربع الاول والرابع  
والسابع والعاشر مستوية مرتبة واستخرج اعداد القوي والوتاد كما سنبين واحمل وانسب  
واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب اما بصريح اللفظ او بالمعنى وكذلك في كل مسئلة  
تقع لك بيانه اذا اردت ان تستخرج قوى حروف الطالع مع اسم السائل والحاجة فاجمع  
اعدادها بالجمال الكبير فكان الطالع الحمل رابعة السرطان سابعة الميزان عاشره الجدي  
وهو اقوى هذه الوتاد فاسقط من كل برج حر في التعريف وانظر ما يخص كل برج  
من الاعداد المنطقه الموضوعه في دائرتها واحذف اجزاء الكسري في النسب الاستنطاقية  
كلها واثبت تحت كل حرف ما يخصه من ذلك ثم اعداد حروف العناصر الاربعه وما  
يخصها كالاول وارسم ذلك كلمة احرفاً ورتب الوتاد والقوى والفرائض سطر متمزجاً  
وكسرو واضرب ما يضرب لاستخراج الموازين واجمع واستنتج الجواب يخرج لك الضمير  
وجوابه مثاله افرض ان الطالع الحمل كما تقدم ترسم ح م ل فلحاء من العدد ثمانية لها  
النصف والرابع والثلث دب الميم لها من العدد اربعون لها النصف والرابع والثلث  
والعشر ونصف العشر اذا اردت التدقيق م ك ي ه دب اللام لها من العدد ثلاثون لها  
النصف والثلاثان والثلث والخميس والسدس والعشرون ك ي ه ج وهكذا تفعل بسائر  
حرف والمسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك واما استخراج الوتاد فهو ان تقسم مربع كل  
حرف على اعظم جزء يوجد له مثاله حرف دله من الاعداد اربعة مربعها ستة عشر  
اقسمها على اعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتر الدال ثمانية ثم تضع كل وتر مقابلاً  
لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية كما تقدم في شرح الاستنطاق ولها قاعدة تطرق في  
استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحمل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن  
عرف الاصطلاح والله اعلم

فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بالفوائين الحرفية

وذلك لو سأل سائل عن عليل لم يعرف مرضه ما علته وما الموافق لبرئه منه فمر  
السائل ان يسي ما شاء من الاشياء على اسم العلة المجهولة لتجعل ذلك الاسم قاعدة لك  
ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة ان اردت التدقيق  
في المسئلة والاقتصر على الاسم الذي سماه السائل وعلت به كما نبين فاقول مثلاً سمي

السائل فرساً فثبت الحروف الثلاثة مع اعدادها المنطقية بيانه ان للفاء من العدد ثمانين  
 ولها مكي ح ب ثم الراء لها من العدد مائتان ق ن ك كي ثم السين لها من العدد  
 ستون ولها م ل ك فالواو عدد تام لة دجب والسين مثله ولها م ل ك فاذا بسطت  
 حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين فاحكم لاكثرها حروفاً بالغلبة على الاخر  
 ثم احمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون سطر وكذلك اسم الطالب  
 واحكم للاكثر والاقوى بالغلبة

### وصفة قوى استخراج العناصر

(بياض الخ) فتكون الغلبة هنا للتراب وطبقة البرودة واليوسفة طبع السوداء فتحكم على  
 المريض بالسوداء فاذا الت من حروف الاستنطاق كلاً ما على نسبة تقريبية خرج موضع  
 الوجع في الخلق ويوافق من الادوية حقنة ومن الاشرية شراب الليمون هذا ما خرج من  
 قوى اعداد حروف اسم فرس وهو مثال تقريبي مختصر واما استخراج قوى العناصر من  
 الاسماء العلمية فهو ان نسي مثلاً محمد فترسم احرفه مقطعة ثم تضع اسماء العناصر الاربعة  
 على ترتيب الملك يخرج لك ما في كل عنصر من الحروف والعدد ومثاله

باري	تري	هوائي	مائي
١١١	ببب	جججججج	دديديدي
ووو	ززرزرز	حححححح	طططططط
ييي	كككككك	صصصصصص	ففففففف
ننن	قققققق	ثثثثثث	سسسسس
ضضضض	طططططط	غغغغغغ	شششششش

فتجد اقوى هذه العناصر من هذا الاسم المذكور عنصر الماء لان عدد حروفه  
 عشرون حرفاً فجعلت له الغلبة على بقية عناصر الاسم المذكور وهكذا يجعل بجميع الاسماء  
 حينئذ تصاف الى اوتارها او للوتر المنسوب للظالم في الرابحة او لوتر البيت المنسوب  
 للمالك س وهيب الذي جعله قاعدة لمرج الاسئلة وهو هذا

سؤال عظيم الخلق حرت فص اذن غرايب شك صطة الحمد مثلاً  
 وهو وتر مجهول لاستخراج المجهولات وعليه كان يعتمد اس الرقام واصحابه وهو

عمل تام قائم بنفسه في المثالات الوضعية وصفة العمل بهذا الوتر المذكور ان ترسمه مقطوعاً  
ممتزجاً بالهاما السوال عن قانون صنعة التكسير وعدة حروف الوتر اعني البيت  
ثلاثة واربعون حرفاً لان كل حرف مستدد من حرفين ثم تحذف ما تكرر عند المزج من  
الحروف ومن الاصل لكل حرف فضل من المسئلة حرفاً بماثلة وثبتت الفصلين سطرأ  
ممتزجاً بعضه بعض الحروف الاول من فضلة القطب والثاني من فضلة السوال حتى  
يتم الصلتان جميعاً فتكون ثلاثة واربعين فتضيف اليها خمس نونات ليكون ثمانية واربعين  
لتعدل بها الموازين الموسيقية ثم تصع الفصلة على ترتيبها فان كان عدد الحروف الخارجة  
بعد المزج يوافق العدد الاصلي قبل الحذف فالعمل صحيح ثم عمر بما مزجت جدولاً  
مرعاً يكون اخرها في السطر الاول اول ما في السطر الثاني وعلى هذا النسق حتى يعود  
السطر الاول بعينه وتوالي الحروف في الفطر على نسبة الحركة ثم تخرج وتر كل حرف  
كما تقدم<sup>(١)</sup> وتضعه مقابلاً لحرفه ثم تستخرج النسب العنصرية للحروب الجدولية لتعرف  
قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغرائزها النفسانية واسوسها الاصلية من الجدول  
الموضوع لذلك وصفة استخراج النسب العنصرية هو ان تنظر الحرف الاول من الجدول  
ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه فان اتفتت فحمس والا فاستخرج بين الحرفين  
نسبة ويتسع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية وتحقيق ذلك سهل على من عرف  
قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية ثم تاخذ وتر كل حرف بعد ضربه في اسوس  
اوتاد الملك الاربعة كما تقدم واحدر ما يلي الاوتاد، وكذلك السواقط لان نسبتها  
مصرية وهذا الذي يخرج لك هو اول مراتب السريان ثم تاخذ مجموع العناصر وتخط  
مها اسوس المولدات يبقى اس عالم الخلق بعد عرضه للهدد الكونية فتحمل عليه بعض  
المجردات عن المواد وهي عناصر الامداد يخرج افق النفس الاوسط وتطرح اول رتب  
السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط وهذا مخصوص بعوالم الاكوان السبطة  
لا المركبة ثم تضرب عالم التوسط في افق النفس الاوسط يخرج الافق الاعلى فتحمل عليه  
اول رتب السريان ثم تطرح من الرابع اول عناصر الامداد الاصلي يبقى ثالث رتبة  
السريان ثم تضرب مجموع اجزاء العناصر الاربعة ابدأ في رابع رتب السريان يخرج  
اول عالم التفصيل والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل وكذلك الثالث والرابع  
فجميع عوالم التفصيل وتخط من عالم الكل تبقى العوالم المجردة فتقسم على الافق الاعلى  
١ قاله كما تقدم اي في اول الصفحة ٢٥٨ فان هذه العبارة تكرر لما تقدم هاك قاله نصر الهوريني

بمخرج الجزء الاول ومن هنا يطرد العمل في التامة وله مقامات في كتب ابن وحشية  
والبوني وغيرها وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي المحكي في هذا الفن وغيره من  
فنون الحكمة الالهية وعليه مدار وضع الزيارج الحرفية والصنعة الالهية والديرجات الفلسفية  
والله الملمم وبه المستعان وعليه التكلان وحسبنا الله ونعم الوكيل

## الفصل الرابع والعشرون

### في علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والنضة بالصناعة ويشرح العمل  
الذي يوصل الى ذلك فيتصنعون المكونات كلها بعد معرفة امزجتها وقواها لعلمهم بعثرون  
على المادة المستعدة لذلك حتى من المنفصلات الحيوانية كالعظام والريش والبيض  
والعذرات فصلاً عن المعادن ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة الى  
الفعل مثل حل الاجسام الى اجرائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجمد الذائب منها  
با لتكليس وامهاء الصاب والقهر والصلابة وامثال ذلك وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصاعات  
كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وانه يلتقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة  
الذهب او النضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس  
بعد ان يحسب بالار فيعود ذهباً اربزاً او يكون عن ذلك الاكسير اذا الغرنا اصطلاحاتهم  
بالروح وعن الجسم الذي يلتقي عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل  
الصناعي الذي يقرب هذه الاجساد المستعدة الى صورة الذهب والنضة هو علم الكيمياء  
وما زال الناس يولفون فيها قديماً وحديثاً وربما يعزى الكلام فيها الى من ليس من اهلها  
وامام المدوين فيها جابر بن حيان حتى انهم يخصونها به فيسمنونها علم جابر وله فيها سبعون  
رسالة كلها شبيهة بالالغاز وزعموا انه لا يفتح مقلها الا من احاط علماً بجميع ما فيها  
والطغراءي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من  
الحكماء وكتب فيها مسلمة الجريطي من حكماء الاندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم وجعله  
قريباً لكتابه الاخر في السحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم ان هاتين الصناعتين  
هاتين هما الحكمة والعلوم ومن لم يقف عليها فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة اجمع وكلامه  
في ذلك الكتاب وكلامهم اجمع في تأليفهم هي الغاز يتعذر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم  
في ذلك . ونحن نذكر سبب عدولهم الى هذه الرموز والالغاز ولان المغربي من ائمة هذا

الشان كلمات شعرية على حروف المعجم من ابداع ما يجيء في الشعر ملغوزة كلها لغز  
الاحاجي والمعابة فلا تكاد تفهم وقد ينسبون للغزالي رحمه الله بعض التأليف فيها وليس  
بصحيح لان الرجل لم تكن مداركه العالية لتقف عن خطأ ما يذهبون اليه حتى ينتحله  
وربما لسبوا بعض المذاهب والاقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن  
الحكم ومن المعلوم البين ان خالداً من الجيل العربي والباوة اليه اقرب فهو بعيد عن  
العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المحي مبنية على معرفة طبائع المركبات  
وامزجتها وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم اللهم  
الا ان يكون خالداً بن يزيد اخر من اهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فيمكن . وانا  
انقل لك هارسالة ابي بكر بن بشرون لابي السمع في هذه الصناعة وكلاهما من تلميذ  
مسلمة فيستدل من كلامه فيها على ما ذهب اليه في شانها اذا اعطيت حقه من التامل  
قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الغرض والمقدمات التي لهذه  
الصناعة الكريمة قد ذكرها الاولون واقتص جميعها اهل الفلسفة من معرفة تكوين المعادن  
وتخليق الاحجار والجواهر وطباع الفواع والاماكن فمنعنا اشهارها من ذكرها ولكن ايبين  
لك من هذه الصنعة ما يحتاج اليه فتبدأ بمعرفته فقد قالوا ينبغي لطلاب هذا العلم ان  
يعلموا اولاً ثلاث خصال اولها هل تكون والثانية من اي تكون والثالثة من اي كيف  
تكون فاذا عرف هذه الثلاثة واحكمها فقد ظفر بمطلوبه وبلغ نهايته من هذا العلم واما  
البحث عن وجودها والاستدلال عن تكوينها فقد كفتيناك بما اعتنا به اليك من الاكسير  
واما من اي شي تكون فانما يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي يمكنه العمل وان كان  
العمل موجوداً من كل شيء بالقوة لانها من الطوائع الاربع منها تركت ابتداء واليهما  
ترجع انتهاء ولكن من الاشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالعمل وذلك ان منها ما  
يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها فالتي يمكن تفصيلها تعالج وتدر وهي التي تخرج من  
القوة الى الفعل والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدر لانها فيها بالقوة فقط وانما لم يمكن  
تفصيلها لاستغراق بعض طبائعها في بعض وفضل قوة الكبير منها على الصغير وينبغي لك  
وفتك الله ان تعرف اوفق الاحجار المنفصلة التي يمكن فيها العمل وحنسة وقوته وعملة  
وما يدر من الحبل والعقد والتنقية والتكليس والتشيف والتقليب فان من لم يعرف هذه  
الاصول التي هي عماد هذه الصنعة لم ينفع ولم يظفر بحجر ابداء وينبغي لك ان تعلم هل يمكن  
ان يستعان عليه بغيره او يكتمى به وحده وهل هو واحد في الابداء او شاركة غيره

فصار في التدبير واحداً فسي حجراً وبنغي لك ان تعلم كيفية عمله وكيفية اوزانه وازمايه  
وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه وهل تقدر النار على تفصيلها منه بعد  
تركيبها فان لم تقدر فلاي علة وما السبب الموجب لذلك فان هذا هو المطلوب فافهم  
واعلم ان الفلاسفة كلها مدحت النفس وزعمت انها المدرة للجسد والحاملة له والدافعة  
عنه والماعلة فيه وذلك ان الجسد اذا خرجت النفس منه مات وبرد فلم يقدر على الحركة  
والامتناع من غيره لانه لا حياة فيه ولا نور وإنما ذكرت الجسد والنفس لان هذه الصفات  
شبيهة بجسد الانسان الذي تركيبه على الغذاء والعشاء وقوامه ونماه بالنفس الحية النورية  
التي بها يفعل العظام والاشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها  
وانما افعل الانسان لاختلاف تركيب طبائعه ولو اتفقت طبائعه لسلمت من الاعراض  
والنضاد ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ولكن خالداً باقياً فسبحان مدر الاشياء  
تعالى . واعلم ان الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الانتداء فيضية  
محنة الى الانتهاء وليس لها اذا صارت في هذا الحد ان تستحيل الى مامنه تركت كما  
قلاءً انما في الاسان لان طبائع هذا الجوهر قد لرم بعضها بعضاً وصارت شيئاً واحداً  
شبيهاً بالنفس في قوتها وفعلها وبالجسد في تركيبه ومحسسته بعد ان كانت طبائع مفردة  
باعيانها فياعجباً من افاعيل الطبائع ان القوي للضعيف الذي يقوى على تفصيل الاشياء  
وتركيبها ونماها فلذلك قلت قوي وضعيف وإنما وقع التغيير والفناء في التركيب الاول  
للاختلاف وعدم ذلك في الثاني للاتفاق . وقد قال بعض الاولين التفصيل والتقطيع  
في هذا العمل حياة وبقاء والتركيب موت وفناء وهذا الكلام دقيق المعنى لان الحكميم  
اراد بقوله حياة وبقا خروجه من العدم الى الوجود لانه ما دام على تركيبه الاول فهو  
فان لا محالة فاذا ركب التركيب الثاني عدم الفناء والتركيب الثاني لا يكون الا بعد  
التفصيل والتقطيع فاذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة فاذا بقي الجسد المحلول  
انسط فيه لعدم الصورة لانه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها وذلك انه  
لا وزن له فيه وسترى ذلك ان شاء الله تعالى وقد ينبغي لك ان تعلم ان اختلاط  
اللطيف باللطيف اهون من اختلاط الغليظ بالغليظ وإنما اريد بذلك التناكُل في  
الارواح والاجساد لان الاشياء تتصل باشكالها وذكرت لك ذلك لتعلم ان العمل اوفق  
وايسر من الطبايع اللطائف الروحانية منها من الغليظة الجسمية وقد يتصور في العقل  
ان الاحجار اقوى واصبر على النار من الارواح كما ترى الذهب والحديد والنحاس اصبر

على النار من الكبريت والرثن وغيرهما من الارواح فاقول ان الاجساد قد كاست  
 ارواحاً في بدنها فلما اصابتها حر الكيان قلبها اجساداً لرجة غليظة فلم تقدر النار على اكلها  
 لا فراط غلظها وتلزوجها فاذا افترطت النار عليها صيرتها ارواحاً كما كانت اول خلقها وان  
 تلك الارواح اللطيفة اذا اصابتها النار امنت ولم تقدر على القاء عليها فينبغي لك ان  
 تعلم ما صير الاجساد في هذه الحالة وصير الارواح في هذا الحال فهو اجل ما تعرفه .  
 اقول انما امنت تلك الارواح لاشتغالها ولطافتها ولما اشتعلت لكثرة قوتها ولان النار  
 اذا احست بالرطوبة تعلقت بها لانهما هوائية تشاكل النار ولا تزال تغتذي بها الى ان  
 تفتى وكذلك الاجساد اذا احست بوصول النار اليها لقلتها تلزوجها وغلظها ولما صارت  
 تلك الاجساد لا تستعل لانها مركبة من ارض وماء صار على النار فلطيفة متخذة كشيء  
 لطول الطبع ليس المارج للاشياء وذلك ان كل متلاش اما يتلاشى بالنار لمفارقة لطيفه  
 من كشيء ودخول بعصه في بعض على غير التحليل والموافقة فصار ذلك الانضمام  
 والتداخل مجاورة لا مازحة فسهل بذلك افتراقها كالماء والدهن وما اشبهها ولما وصفت  
 ذلك لتستدل به على تركيب الطبايع ونقائلها فاذا علمت ذلك علماً شافياً فقد اخذت  
 حظك منها وينبغي لك ان تعلم ان الاخلاط التي هي طبايع هذه الصناعة موافقة بعضها  
 لبعض مصلة من جوهر واحد يجمعها نظام واحد تدير واحد لا يدخل عليه غريب في  
 الحرة منه ولا في الاكل كما قال الفيلسوف انك اذا احكمت تدير الطبايع وتأكيها ولم  
 تدخل عليها غريباً فقد احكمت ما اردت احكامه وقوامه اذ الطبيعة واحدة لا غريب  
 فيها فمن ادخل عليها غريباً فقد راغ عنها ووقع في الخطاء . واعلم ان هذه الطبيعة اذا  
 حل لها حسد من قرائنها على ما يسغى في الحل حتى يساكلها في الرقة واللطافة اسسطن  
 فيه وجرت معه حيثما جرى لان الاجساد ما دامت غليظة جافية لا تنسبط ولا تتراوح  
 وحل الاجساد لا يكون بغير الارواح فانهم هداك الله هذا القول واعلم هداك الله ان  
 هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يصحح ولا ينقض وهو الذي يقرب  
 الطبايع ويمسكها ويظهرها الواجبة وازهاراً عجمية وليس كل جسد يبل خلاف هذا هو  
 الحل التام لانه محال للحياة ولما حله بما يوافقته ويدفع عنه حرق النار حتى يبرول عن  
 الغلظ وتقلب الطبايع عن حالها الى ما لها ان تغلب من اللطافة والعلظ فاذا بلغت  
 الاجساد نهايتها من التحليل والتلطيف ظهرت لها هالك قوة تمسك وتغوص وتقلب  
 وتنهذ وكل عمل لا يرى له مصداق في اوله فلا خير فيه . واعلم ان البارء من الطبايع

هو بيس الاشياء و يعقد رطوبتها والحار منها يظهر رطوبتها و يعقد بيسها وانما افردت  
الحر والبرد لانهما فاعلان والرطوبة واليبس منفعلان وعلى افعال كل واحد منها  
لصاحبه تحدث الاجسام وتتكون وان كان الحرا اكثر فعلاً في ذلك من البرد لان البرد  
ليس له قلة الاشياء ولا تحركها والحار هو علة الحركة ومتى ضعفت علة الكون وهو الحرارة  
لم يتم منها شيء ابدأ كما انه اذا افرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد احرقته واهلكته  
فمن اجل هذه العلة احتجج الى اللارد في هذه الاعمال ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع  
عنه حر النار ولم يجذر الفلاسفة اكثر شيء الا من النيران المحرقة وامرت بتطهير الطوائع  
والانفاس واخراج دسها ورطوبتها ونفي آفاتها واوساخها عنها على ذلك استقام رايهم  
وتدبيرهم فانما علمهم انما هو مع النار اولاً واليهما يصير اخيراً فلذلك قالوا اياكم والنيران  
المحرقات وانما ارادوا بذلك نفي الآفات التي معها فتجمع على الجسد اذ فتكون اسرع  
هلاكيه وكذلك كل شيء انما يتلاشى ويفسد من ذاته لتضاد طوائعه واختلافه في توسط  
بين شيئين فلم يجد ما يقويه ويعينه الا قهرته الآفة واهلكته واعلم ان الحكماء كلها ذكرت  
ترداد الارواح على الاحساد مراراً ليكون الزم اليها واقوسه على قتال النار اذا هي  
ناشرتها عند الالفه اعني بدلك النار العنصرية فاعلمه . ولقل الان على الحجر الذي  
يمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه ففهم من زعم انه في الحيوان ومنهم  
من زعم انه في النبات ومنهم من زعم انه في المعادن ومنهم من زعم انه في الجميع وهذه  
الدعاوى ليست با حاجة الى استقصائها ومساظرة اهلهما لان الكلام يطول جداً  
وقد قلت فيما تقدم ان العمل يكون في كل شيء بالقوة لان الطوائع موجودة في كل شيء  
فهو كذلك فتريد ان تعلم من اي شيء يكون العمل بالقوة والفعل فنقص الى ما قاله  
الحارثي ان الصنع كله احد صنعين اما صنع جسد كالرعرعان في الثوب الايض حتى  
يجول فيه وهو مصحح منتقص التركيب والصنع الثاني نقليب الجوهر من جوهر نفسه الى  
جوهر غيره ولويه كتقليب الشجر بل التراب الى نفسه وقلب الحيوان والنبات الى نفسه  
حتى يصير التراب سائلاً والنبات حيواناً ولا يكون الا بالروح المحي والكيان الماعل الذي  
له توليد الاجرام وقلب الاعيان فاذا كان هذا هكذا فنقول ان العمل لا بد ان يكون  
اما في الحيوان واما في النبات وبرهان ذلك انها مطسوعان على الغذاء وبه قوامها وتتمامها  
فاما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض الحكماء فيه  
واما الحيوان فهو اخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك ان المعدس يستحيل نباتاً والنبات



يستحيل حيواناً والحيوان لا يستحيل الى شيء هو الطف منه الا ان يعكس راجعاً الى الغلط  
وانه ايضاً لا يوجد في العالم شيء لا يتعلق به الروح المحية غيره والروح الطف ما في العالم ولم  
تتعلق الروح بالحيوان الا بمشاكلته اياها فاما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلظ  
وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة كامنة فيه لغلظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة  
لغلظها وغلظ روحه والروح المتحركة الطف من الروح الكامنة كثيراً وذلك ان المتحركة  
لها قبول الغذاء والتنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري اذا  
قيست بالروح المحية الا كالارض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في  
الحيوان اعلى وارفع واهون وايسر فينبغي للعاقل اذا عرف ذلك ان يجرب ما كان سهلاً  
ويترك ما يخشى فيه عسراً. واعلم ان الحيوان عند الحكماء ينقسم اقساماً من الامهات التي  
هي الطنائع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر انهم فلذلك قسمت الحكماء  
العناصر والمواليد اقساماً حية واقساماً ميتة فجعلوا كل متحرك فاعلاً حياً وكل ساكن  
مفعولاً ميتاً وقسموا ذلك في جميع الاشياء وفي الاجساد الذائفة وفي العقاقير المعدية  
فسموا كل شيء يذوب في النار ويطير ويشتل حياً وما كان على خلاف ذلك سموه  
ميتاً فاما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طبائع اربعاً حياً وما لم ينفصل سموه  
ميتاً ثم انهم طلبوا جميع الاقسام الحية فلم يجدوا لوفق هذه الصناعة ما ينفصل فصولاً  
اربعة ظاهرة للعيان ولم يجدوه غير الحجر الذي في الحيوان فجمعوا عن جنسه حتى عرفوه  
واخذوه ودرسوه فتكيف لهم منه الذي ارادوا وقد يتكيف مثل هذا في المعادن والنبات  
بعد جمع العقاقير وخلطها ثم تفصل بعد ذلك فاما النبات فسموه ما ينفصل بعض هذه  
الفصول مثل الاشنان واما المعادن فسموها اجساد وارواح وانفاس اذا مزجت ودبرت  
كان منها ما له تاثير وقد دبرنا كل ذلك فكان الحيوان منها اعلى وارفع وتديره اسهل  
وايسر فينبغي لك ان تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان وطريق وجوده انا بينا ان  
الحيوان ارفع المواليد وكذا ما نركب منه فهو الطف منه كالنبات من الارض وانما كان  
النبات الطف من الارض لانه انما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف فوجب  
له بذلك اللطافة والرفقة وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب وبالجملة فانه  
ليس في الحيوان شيء ينفصل طبائع اربعاً غيره فافهم هذا القول فانه لا يكاد يخفى الا على  
جاهل بين الجهالة ومن لا عقل له فقد اخبرتك ماهية هذا الحجر واعلمتك جنسه وانا  
اين لك وجوه تدبيره حتى يكمل الذي شرطناه على انفسنا من الانصاف ان شاء الله سبحانه

(التدبير على سرية الله) خذ الحجر الكريم فاودعه القرعة والانيق وفصل طبائعه الاربع التي هي النار والهواء والارض والماء وهي الجسد والروح والنفس والصغ فاذا عزلت الماء عن التراب والهواء عن النار فارفع كل واحد في انائه على حدة وخذ الهابط اسفل الاناء وهو الثفل فاغسله بالنار الحارة حتى تذهب النار عنه سواده ويزول غلظه وجماره وبيضة تبيصاً محكماً وطبر عنه فضول الرطوبات المستعينة فيه فانه يصير عند ذلك ماء ابيض لا ظلمة فيه ولا سخ ولا تضاد تم اعمد الى تلك الطبائع الاول الصاعدة منه فطهرها ايضاً من السواد والتضاد وكرر عليها الغسل والتصعيد حتى تلتف وتترق وتصفو فاذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل وذلك ان التركيب لا يكون الا بالتزويج والتعفين فاما التزويج فهو اخلاط اللطيف بالغليظ واما التعفين فهو التسمية والسحق حتى يختلط بعضه ببعض و يصير شيئاً واحداً لا اختلاف فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء فعند ذلك يقوى الغليظ على امسك اللطيف وتقوى الروح على مقاومة النار وتصب عليها وتقوى النفس على الغوص في الاحساد والديب فيها وانما وجد ذلك بعد التركيب لان الجسد المحلول لما ازدوج بالروح مازجه بجميع اجرائه ودخل بعضها في بعض لنشاكلها فصار شيئاً واحداً ووجب من ذلك ان يعرض للروح من الصلاح والفساد والبقاء والثبوت ما يعرض للجسد لموضع الامتزاج وكذلك النفس اذا امتزجت معها ودخلت فيها بمجدة التدبير اختلطت اجزاؤها بجميع اجزاء الاخرين اعني الروح والجسد وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلاف فيه بمنزلة الجزء الكلي الذي سلمت طبائعه وانفتحت اجرائه فاذا اتى هذا المركب الجسد المحلول والح عليه النار واظهر ما فيه من الرطوبة على وجهه ذاب في الجسد المحلول ومن شأن الرطوبة الاشتعال وتعلق النار بها فاذا ارادت النار التعلق بها منعها من الاتحاد بالنفس مازجة الماء لها فان النار لا تتحد بالدهن حتى يكون خالصاً وكذلك الماء من شأنه النفور من النار فاذا احت على النار و ارادت تطيره حبسه الجسد اليابس الممزج له في جوفه فنعته من الطيران فكان الجسد علة لامسك الماء والماء علة لبقاء الدهن والدهن علة لثبات الصغ والصغ علة لظهور الدهن واظهار الدهنية في الاشياء المظلمة التي لا نور لها ولا حياة فيها فهذا هو الجسد المستقيم وهكذا يكون العمل وهذه التصفية التي سألت عنها وهي التي سمتها الحكمة بيضة واياها يعنون لا بيضة الدجاج واعلم ان الحكمة لم تسمها بهذا الاسم لغير معنى بل اشبهتها ولقد سألت مسلمة عن ذلك يوماً وليس عنده

غيري فقلت له ايها الحكيم الفاضل اخبرني لاي شيء سميت الحكماء مركب الحيوان بيضة  
اختياراً منهم لذلك ام لمعنى دعاهم اليه فقال بل لمعنى غامض فقلت ايها الحكيم وما ظهر  
لهم من ذلك من المنفعة والاستدلال على الصناعة حتى شبهوها وسموها بيضة فقال لشبهها  
وقربتها من المركب ففكر فيه فانه سيمظهر لك معناه فبقيت بين يديه مفكراً الا اقدر على  
الوصول الى معناه فلما راي ما بي من الفكروان نفسي قد مصت فيها اخذ بعضدي  
وهزني هزة خفيفة وقال لي يا ابا بكر ذلك للنسبة التي بينهما في كمية الالوان عند امتزاج  
الطبايع وتاليها فلما قال ذلك انجلت عني الظلمة واطاء لي نور قلبي وقوى عقلي على فهمه  
فنهضت شاكرآ الله عليه الى منزلي واقمت على ذلك شكلاً هندسياً يبرهن به على صحة ما قاله  
مسلمة وانا واصعه لك في هذا الكتاب . مثال ذلك ان المركب اذا تم وكمل كان نسبة ما  
فيه من طبيعة الهواء الى ما في البيضة من طبيعة الهواء كنسبة ما في المركب من طبيعة النار  
الى ما في البيضة من طبيعة النار وكذلك الطبيعتان الاخريان الارض والماء فاقول ان  
كل شيئين متناسبين على هذه الصفة هما متشابهان ومثال ذلك ان تجعل سطح البيضة هزوح  
فاذا اردنا ذلك فانا نأخذ اقل طبائع المركب وهي طبيعة اليبوسة ونضيف اليها مثلها من  
طبيعة الرطوبة ونديرها حتى تشف طبيعة اليبوسة طبيعة الرطوبة وتقبل قوتها وكان في  
هذا الكلام رمزاً ولكنه لا يخفى عليك ثم تحمل عليها جميعاً مثلها من الروح وهو الماء فيكون  
الجميع ستة امثال ثم تحمل على الجميع بعد التدبير مثلاً من طبيعة الهواء التي هي النفس وذلك  
ثلاثة اجزاء فيكون الجميع تسعة امثال اليبوسة بالقوة وتجعل تحت كل ضلعين من المركب  
الذي طبيعته محبطة سطح المركب طبيعتين فتجعل اولاً الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة  
الماء وطبيعة الهواء وها ضلعا اح د و سطح ابجد وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة  
اللذان هما الماء والهواء ضلعا ه ز و فاقول ان سطح ابجد يشبه سطح ه ز و طبيعة الهواء التي  
نسى نفساً وكذلك ب ج من سطح المركب والحكماء لم نسم شيئاً باسم شيء الا لشبهه بواكلمات  
التي سالت عن ترشحها الارض المقدسة وهي المنعقدة من الطبايع العلوية والسفلية والنحاس  
هو الذي اخرج سواده وقطع حتى صار هباءً ثم حمر بالزجاج حتى صار نحاسياً والمغنيسيا  
حجره الذي تجمد فيه الارواح وتخرجه الطبيعة العلوية التي تسخن فيها الارواح لتقابل  
عليها النار والفرفرة لون احمر فان بجدته الكيان والرصاص حجره ثلاث قوى مختلفة  
الشخص ولكنهما متشاكلتان ومجاسة فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة والثانية  
نفسانية وهي متحركة حساسة غير انها اغلظ من الاولى ومركزها دون مركز الاولى والثالثة

قوة ارضية حاسدة قابضة منعكسة الى مركز الارض لثقلها وهي الماسكة الروحانية والمسامية جميعاً والمحيطية بها واما سائر الباقيات فمبتدعة ومختصرة الباساً على الجاهل ومن عرف المقدمات استغنى عن غيرها . فهذا جميع ما سالتني عنه وقد نعتت به اليك مفسراً ورجو توفيق الله ان تبلغ املك والسلام انتهى كلام ابن شرون وهو من كبار تلاميذ مسلمة الجريطي شيخ الاندلس في علوم الكيمياء والسيما والسحر في القرن الثالث وما بعده وانت ترى كيف صرف الفاظهم كلها في الصناعة الى الرمز والالغاز التي لا تكاد تبين ولا تعرف وذلك دليل على انها ليست بصناعة طبيعية . والذي يجب ان يعتقد في امر الكيمياء وهو الحق الذي يعصده الواقع انها من جنس اثار النفوس الروحانية وتصرفها في عالم الطبيعة اما من نوع الكرامة ان كانت النفوس خيرة او من نوع السحر ان كانت النفوس شريرة ماجرة فاما الكرامة فظاهرة واما السحر فلان الساحر كما ثبت في مكان تخفيه يقلب الاعيان المادية بقوة السحرية ولا بد له مع ذلك عندهم من مادة يقع فعله السحري فيها كتحريك بعض الحيوانات من مادة التراب او الشجر والنبات وبالجملة من غير مادتها المخصوصة بها كما وقع لسحرة فرعون في الحمال والعصي وكما ينقل عن سحرة السودان والهود في قاصية الجنوب والترك في قاصية الشمال انهم يسحرون الجول للمطار وغير ذلك . ولما كانت هذه تحليفاً للذهب في غير مادته الخاصة به كان من قبيل السحر والمتكلمون فيه من اعلام الحكماء مثل جابر ومسلمة ومن كان قلمهم من حكماء الامم انما انحوا هذا المنحى ولهذا كان كلامهم فيه الغازاً احذراً عليها من انكار الشرائع على السحر وانواعها ان ذلك يرجع الى الصناعة بها كما هو رأي من لم يذهب الى التحقيق في ذلك وانظر كيف سمي مسلمة كتابه فيها رتبة الحكيم وسي كتابة في السحر والطلسمات غاية الحكيم اشارة الى عموم موضوع الغاية وخصوص موضوع هذه لان الغاية اعلى من الرتبة فكأن مسائل الرتبة بعض من مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات ومن كلامه في الفنين يتبين ما قلناه ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم ان مدارك هذا الامر بالصناعة الطبيعية والله العليم الخبير

## الفصل الخامس والعشرون

في ابطال الفاسفة وفساد منتحلها

هذا الفصل وما بعده مهم لان هذه العلوم عارضة في العمران كثيرة في المدن وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدع بشانها ويكشف عن المعتقد الحق فيها وذلك

ان قوماً من عقلاء النوع الانساني زعموا ان الوجود كله الحسي منه وما وراء الحسي تدرك  
دواته واحواله باسبابها وعللها بالانظار الفكرية والاقيسة العقلية وان تصحیح العقائد  
الايمانية من قبل النظر لا من جهة السمع فانها بعض من مدارك العقل وهؤلاء يسمون  
فلاسفة جمع فيلسوف وهو باللسان اليوناني محب الحكمة فنجنوا عن ذلك وشمروا له  
وحوموا على اصابة الغرض منه ووضعوا قانوناً بهتدي به العقل في نظره الى التمييز بين  
الحق والباطل وسوءه بالمنطق ومحصل ذلك ان النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل  
انما هو للذهن في المعاني المتترعة من الموجودات الشخصية فيجرد منها اولاً صور منطبقة  
على جميع الاشخاص كما ينطبق الطابع على جميع النفوس التي ترسبها في طين او شمع وهذه  
مجردة من المحسوسات تسمى المعقولات الاوائل ثم تجرد من تلك المعاني الكلية اذا كانت  
مشتركة مع معان اخرى وقد تميزت عنها في الذهن فتجرد منها معان اخرى وهي التي  
اشتركت بها ثم تجرد تالياً ان شاركتها غيرها ونالنا الى ان ينتهي التجريد الى المعاني السبطة  
الكلية المنطقية على جميع المعاني والاشخاص ولا يكون منها تجريد بعد هذا وهي الاجناس  
العالية وهذه المجرّدات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تاليف بعضها مع بعض  
لتحصيل العلوم منها تسمى المعقولات الثواني فاذا نظر الفكر في هذه المعقولات المجرّدات وطلب  
تصور الوجود كما هو فلا بد للذهن من اضافة بعضها الى بعض ونفي بعضها عن بعض  
بالبرهان العقلي اليقيني ليحصل تصور الوجود تصوراً صحيحاً مطابفاً اذا كان ذلك بقانون  
صحيح كما مر وصدق التصديق الذي هو تلك الاضافة والحكم متقدم عندهم على صف  
التصور في النهاية والتصور متقدم عليه في البداية والتعليم لان التصور التام عندهم هو غاية  
الطلب الادراكي واما التصديق وسيلة له وما تسبعت في كتب المنطقيين من تقدم التصور  
وتوقف التصديق عليه فمعنى الشعور لا بمعنى العلم التام وهذا هو مذهب كبيرهم ارسطو  
تم يزعمون ان السعادة في ادراك الموجودات كلها ما في المحس وما وراء المحس بهذا  
النظر وتلك البراهين . وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة وما آلت اليه وهو الذي  
فرعوا عليه قصايا اناظرهم انهم عثروا اولاً على الجسم السفلي بحكم الشهود والمحس ثم ترقى  
ادراكهم قليلاً فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة والمحس في الحيوانات ثم احسوا من  
قوى النفس بسطان العقل ووقف ادراكهم ففضوا على الجسم العالي السماوي بنحو من  
القضاء على امر الذات الانسانية ووجب عندهم ان يكون للفلك نفس وعقل كما للانسان  
ثم انهبوا ذلك نهاية عدد الاحاد وهي العشر تسع مفصلة ذواتها جمل واحد اول مفرد

وهو العاشر ويزعمون ان السعادة في ادراك الوجود على هذا الغمون القضاء مع مهذيب النفس وتخليها بالفنائل وان ذلك ممكن للانسان ولو لم يرد شرع لتمييزه بين الفضيلة والرذيلة من الافعال بمتنضي عقله ونظره وميله الى المحمود منها واجتنابه للمذموم غطرته وان ذلك اذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة وان الجهل بذلك هو الشقاء السرمدى وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الاخرة الى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من كلماتهم وامام هذه المذاهب الذي حصل مسائلها ودون عليها وسطر تحججها فيما بلغنا في هذه الاحقاب هو ارسطو المقدوني من اهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ افلاطون وهو معلم الاسكندر ويسمونه المعلم الاول على الاطلاق يعنون معلم صناعة المنطق اذ لم تكن قلة مهذبة وهو اول من رتب قانونها واستوفى مسائلها واحسن بسطها ولقد احسن في ذلك القانون ما شاء لو تكفل له بقصدهم في الاهليات ثم كان من بعده في الاسلام من اخذ تلك المذاهب واتبع فيها رأية حذو النعل بالنعل الا في القليل وذلك ان كتب اولئك المتقدمين لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني الى اللسان العربي تصفحها كثير من اهل الملّة واخذ من مذاهبهم من اضلة الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها وكان من اشهرهم اونصر الفارابي في المائة الرابعة لعهد سيف الدولة وابوعلي بن سينا في المائة الخامسة لعهد نظام الملك من بني بويه باصبهان وغيرها. واعلم ان هذا الراي الذين ذهبوا اليه باطل بجميع وجوهه فاما اسنادهم الموجودات كلها الى العقل الاول واكتفوا بهم به في الترفي الى الواجب فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله فالوجود اوسع نطاقاً من ذلك ويخلق ما لا تعلمون وكانهم في اقتصارهم على اثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين المقتصرين على اثبات الاجسام خاصة المعرضين عن النقل والعقل المعتقدين انه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء وما الراهبين التي يزعمونها على مدعياتهم في الموجودات ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه فهي قاصرة وغير وافية بالغرض اما ما كان منها في الموجودات الجسمية ويسمونه العلم الطبيعي فوجه قصوره ان المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والاقيسة كما في زعمهم وبين ما في الخارج غير يقيني لان تلك احكام ذهنية كلية عامة والموجودات الخارجة مشخصة بموادها ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي اللهم الا ما لا يشهد له الحس من ذلك فدليلة شهوده لا تلك الراهبين فاين اليقين الذي يجدونه فيها وربما يكون نصرف الدهن ايضاً

في المعقولات الاول المطابقة للشخصيات بالصور الخيالية لا في المعقولات التواني التي تجردها في الرتبة الثانية فيكون الحكم حينئذ يقينياً بمثابة المحسوسات اذ المعقولات الاول اقرب الى مطابقة الخارج لكمال الانطباق فيها فنسلم لم حينئذ دعاوهم في ذلك الا انه ينبغي لنا الاعراض عن النظر فيها اذ هو من ترك المسلم للمالا يعنيه فان مسائل الطبيعيات لا تمهنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها . واما ما كان منها في الموجودات التي وراء الحس وهي الروحانيات ويسهونه العلم الالهي وعلم ما بعد الطبيعة فان ذواتها مجهولة راساً ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها لان تجريد المعقولات من الموجودات الخارجية الشخصية انما هو ممكن فيما هو مدرك لنا ونحن لا ندرك الذات الروحانية حتى تجرد منها ماهيات أخرى بحجاب الحس بيننا وبينها فلا يتأتى لنا برهان عليها ولا مدرك لنا في اثبات وجودها على المجملة الا ما نجد بين جنيننا من امر النفس الانسانية واحوال مداركها وخصوصاً في الرؤيا التي هي وجدانية لكل احد وما وراء ذلك من حقيقتها وصماتها فامر غامض لا سبيل الى الوقوف عليه وقد صرح بذلك محققوه حيث ذهبوا الى ان مالا مادة له لا يمكن البرهان عليه لان مقدمات البرهان من شرطها ان تكون ذاتية وقال كبيرهم افلاطون ان الالهيات لا يوصل فيها الى بين واما يقال فيها بالاخلق والاولى يعني الظن واذا كنا انما نحصل بعد التعب والنصب على الظن فقط فيكفيها الظن الذي كان اولاً فاي فائدة لهذه العلوم والاشتغال بها ونحن انما عنايتنا بتحصيل اليقين فيما وراء الحس من الموجودات وهذه هي غاية الافكار الانسانية عندهم واما قولهم ان السعادة في ادراك الموجودات على ما هي عليه بتلك البراهين فقول مزيف مردود وتنسيه ان الانسان مركب من جزأين احدها جسماني والاخر روحاني صمترج به ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة به والمدرك فيها واحد وهو الجزء الروحاني يدرك نارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية الا ان المدارك الروحانية يدركها بذاتو غير واسطة والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه واعتره مجال الصبي في اول مداركو الجسمانية التي هي بواسطة كيف يتبع بما يبصره من الضوء وبما يسمعه من الاصوات فلا شك ان الابتهاج بالادراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون اشد والذ فالنفس الروحانية اذا شعرت بادراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة حصل لها ابتهاج ولذلة لا يعبر عنها وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم وانما يحصل بكشف حجاب الحس ونسيان المدارك الجسمانية بالمجملة والمتصوفة

كثيراً ما يعنون بمحصول هذا الادراك للنفس بمحصول هذه البهجة فيحاولون بالرياضة امانة القوى الجسمية ومداركها حتى الفكر من الدماغ ليحصل للنفس ادراكها الذي لها من ذاتها عند زوال الشواغب والمواهب الجسمية فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبر عنها وهذا الذي زعموه بتقدير صحتهم مسلم لهم وهو مع ذلك غير واف بمقصودهم فاما قولهم ان البراهين والادلة العقلية محصلة لهذا النوع من الادراك والابتهاج عنه فباطل كما رايت ان البراهين والادلة من جملة المدارك الجسمية لانها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر ونحن اول شيء نعني به في تحصيل هذا الادراك امانة هذه القوى الدماغية كلها لانها مازعة له فادحة فيه وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والاشارات والنجاء وتلاخيص ابن رشد للقصص من تاليف ارسطو وغيره يعثر اوراقها ويتوتق من براهينها ويلتبس هذا القسط من السعادة فيها ولا يعلم انه يستكثر بذلك من المواهب عنها ومستندهم في ذلك ما يقولونه عن ارسطو والماراني وابن سينا ان من حصل له ادراك العقل الفعال واتصل به في حياته فقد حصل حظه من هذه السعادة والعقل الفعال عندهم عبارة عن اول رتبة يتكشف عنها الحس من رتب الروحانيات ويحملون الاتصال بالعقل الفعال على الادراك العلمي وقد رايت فساده وانما يعني ارسطو واصحابه بذلك الاتصال والادراك ادراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة وهو لا يحصل الا بكشف حجاب الحس واما قولهم ان البهجة الناشئة عن هذا الادراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل ايضاً لانا انما ندين لبا ما قررناه ان وراء الحس مدركاً اخر للنفس من غير واسطة وانها تبتهج نادراً كما ذلك ابتهاجاً شديداً وذلك لا يعين لنا انه عين السعادة الاخرية ولا يدل بل هي جملة الملائكة التي لتلك السعادة واما قولهم ان السعادة في ادراك هذه الموجودات على ما هي عليه فقول باطل مبني على ما كما قدمناه في اصل التوحيد من الاوهام والاعلاط في ان الوجود عند كل مدرك منحصر في مداركه وبيننا فساد ذلك وان الوجود اوسع من ان يحاط به او يستوفى ادراكه بمجملته روحانياً او جسمانياً والذي يحصل من جميع ما قررناه من مذاهيم ان الجزء الروحاني اذا فارق القوى الجسمية ادرك ادراكاً ذاتياً له مختصاً بنصف من المدارك وهي الموجودات التي احاط بها علمنا وليس نعام الادراك في الموجودات كلها اذ لم نخصر وانه يتبع بذلك النحو من الادراك ابتهاجاً شديداً كما يتبع الصبي بمدركه الحسية في اول نشوه ومن لنا بعد ذلك نادرك جميع الموجودات او بمحصول السعادة التي وعدنا بها الشارع ان لم نعمل لها هيات هيات لما توعدون. واما قولهم ان الانسان مستقل



بتهذيب نفسه وإصلاحها بملاسمة المحمود من الخلق ومجانبة المذموم فامر مبني على ان  
 ابتهاج النفس بأدراكها الذي لها من ذاتها هو عين السعادة الموعود بها لان الرذائل عاقبة  
 للنفس عن تمام ادراكها ذلك بما يحصل لها من الملكات الجسمانية والوانها وقد بينا ان اثر  
 السعادة والشقاوة من وراء الادراكات الجسمانية والروحانية فهذا التهذيب الذي توصلوا  
 الى معرفته اما نفعه في البهجة الناشئة عن الادراك الروحاني فقط الذي هو على مقابيس  
 وقوانين واما ما وراء ذلك من السعادة التي وعدنا بها الشارع على امثال ما امر به من  
 الاعمال والاخلاق فامر لا يحيط به مدارك المدركين وقد تنبه لذلك زعيمهم ابو علي ابن  
 سينا فقال في كتاب المدا والمعاد ما معناه ان المعاد الروحاني واحواله هو ما يتوصل  
 اليه بالبراهين العقلية والمقابيس لانه على ستة طبيعية محفوظة ووثيرة واحدة فلنا في البراهين  
 عليه سعة واما المعاد الجسماني واحواله فلا يمكن ادراكه بالبرهان لانه ليس على سبعة واحدة  
 وقد سظتة لنا الشريعة الحقة المحمدية فليتنظر فيها ولترجع في احواله اليها فهذا العلم كما  
 رأيت غير واف بمقاصدهم التي حوموا عليها مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها وليس  
 له فيما علمنا الاثرة واحدة وهي تحذد الدهن في ترتيب الادلة والمجج لتحصيل ملكة  
 المجودة والصواب في البراهين وذلك ان نظم المقابيس وتركيبها على وجه الاحكام والاتقان  
 هو كما شرطوه في صناعتهم المنطقية وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية وهم كثير ما يستعملونها  
 في علومهم المحكمية من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال  
 البراهين تسر وطها على ملكة الاتقان والصواب في المجج والاستدلالات لانها وان كانت  
 غير وافية بمقصودهم فهي اصح ما علمناه من قوانين الاظفار هذه هي ثرة هذه الصناعة مع  
 الاطلاع على مذاهب اهل العلم وارانهم ومضارها ما علمت فليكن الناظر فيها متحرزا بجهده  
 من معاطبها وليكن ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات والاطلاع على التفسير  
 والفقه ولا يكس احد عليها وهو خلو من علوم الملة فقل ان يسلم لذلك من معاطبها والله  
 الموفق للصواب وللحق والهادي اليه وما كنا لنتهدي لولا ان هدا ما الله

## الفصل السادس والعشرون

في ابطال صناعة النجوم وضعف مداركها وفساد غايتها

هذه الصناعة يزعم اصحابها انهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها  
 من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجمعة فتكون

لذلك اوضاع الافلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من انواع الكائنات الكلية والشخصية فالمتقدمون منهم يرون ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها بالتجربة وهو امر نقصر الاعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله اذ التجربة انما تحصل في المرات المتعددة بالتكرار ليحصل عنها العلم او الظن وادوار الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرره الى آماذ واحقاب متطاولة يتقاصر عنها ما هو طويل من اعمار العالم وربما ذهب ضعفاء منهم الى ان معرفة قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو راي فائل وقد كنهوا مونة ابطاله ومن اوضح الادلة فيه ان تعلم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اعد الناس عن الصنائع وانهم لا يتعرضون للاخبار عن الغيب الا ان يكون عن الله فكيف يدعون استنطاقه بالصناعة وشيرون بذلك لتابعهم من الخلق واما تظلمهم ومن نعه من المتأخرين فيرون ان دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعية من قبل مزاج يحصل للكواكب في الكائنات العنصرية قال لان فعل الديرين واطرها في العنصرينات ظاهر لا يسع احداً اجمده مثل فعل الشمس في تدل الفصول وامزحتها ونصح التمار والزرع وغير ذلك وفعل القمر في الرطوبات والماء واصح المواد المنعمنة وفواكه الفناء وسائر افعالهم قال ولنا فيما بعدها من الكواكب طريقان الاولى التقليد لمن نقل ذلك عنه من أمة الصناعة الا انه غير مقنع للنفس الثانية الحدس والتحرمة بقياس كل واحد منها الى النير الاعظم الذي عرفنا طبيعته وانثرة معرفة ظاهرة فنظهره ليزيد ذلك الكوكب عند القران في قوته ومراحه فتعرف موافقته له في الطبيعة او يقص عنها فتعرف مصادته ثم اذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركبة وذلك عد تناظرها باشكال التثليث والتربع وغيرها ومعرفة ذلك من قبل طنائع الروج بالقياس ايضاً الى الدير الاعظم واذا عرفنا قوى الكواكب كلها فهي مؤثرة في الهواء وذلك ظاهر والمرج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تحتها من الموادات وتخلق به الطف والزرر فتصير حلالاً للندن المتكون عنها وللنفس المتعلقة به الفائدة عليه المكتسبة لما لها منه ولما يتبع النفس والبدن من الاحوال لان كيمييات البزرة والنظمة كيمييات لما يتولد عنها وينشأ منها قال وهو مع ذلك ظني وليس من اليقين في شيء وليس هو ايضاً من القصاص الالهي يعني القدر انما هو من جملة الاسباب الطبيعية للكائن والقصاص الالهي سابق على كل شيء وهذا يحصل كلام بظلمهم واصحابه وهو منصوص في كتابه الاربع وغيره ومنه يتبين ضعف مدرك هذه الصناعة وذلك ان العلم الكائن او الظن به انما يحصل عن العلم بجملة اسبابه من الفاعل والقابل والصورة

والغاية على ما تبين في موضعه والقوى النجومية على ما قرره إنما هي فاعلة فقط والجزء  
العنصري هو القابل ثم ان القوى النجومية ليست هي الفاعل بجهلها بل هناك قوى اخرى  
فاعلة معها في الجزء المادي مثل قوة التوليد للاب والنوع التي في النطفة وقوى الخاصة  
التي تميز بها صنف من النوع وغير ذلك فالقوى النجومية اذا حصل كماها وحصل  
العلم فيها انما هي فاعل واحد من جملة الاسباب الفاعلة للكائن ثم انما يشترط مع العلم بقوى  
النجوم وتأثيراتها مزيد حدس وتخمين وحينئذ يحصل عنده الظن بوقوع الكائن  
والحدس والتخمين قوى للناظر في فكره وليس من عال الكائن ولا من اصول الصناعة  
فاذا فقد هذا الحدس والتخمين رجعت ادراجها عن الظن الى الشك هذا اذا حصل  
العلم بالقوى النجومية على سداد ولم تعترضه آفة وهذا معوز لما فيه من معرفة حسانات  
الكواكب في سيرها لتعرف به اوضاعها ولما ان اختصاص كل كوكب بقوة لا دليل عليه  
ومدرك تظلموس في اثبات القوى للكواكب المحسنة بقياسها الى الشمس مدرك ضعيف  
لان قوة الشمس غالبة لجميع القوى من الكواكب ومستولية عليها فقل ان يتسر بالزيادة  
فيها او نقصانها عند المقارنة كما قال وهذه كلها قاذحة في تعريف الكائنات الواقعة  
في عالم العناصر بهذه الصناعة ثم ان تأثير الكواكب فيما تحتها باطل اذ قد تبين في باب  
التوحيد ان لا فاعل الا الله بطريق استدلال كما رايته واحتج له اهل علم الكلام بما  
هو غني عن البيان من ان اسباب الاسباب الى المسببات مجهول الكيفية والعقل منهم على  
ما يقضى به فيما يظهر بادي الرأي من التأثير فلعل استاده على غير صورة التأثير المتعارف  
والقدرة الالهية راضية بينهما كما رطت جميع الكائنات علواً وسفلاً سيما والشرع يرد الحوادث  
كلها الى قدرة الله تعالى ويرامها سوى ذلك والسوات ايضاً مكفرة لشان النجوم وتأثيراتها  
واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله ان الشمس والقمر لا يجسمان لموت احد  
ولا لحياته وفي قوله اصبح من عبادي مومن بي وكافري فاما من قال مطرباً فصل الله  
ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب واما من قال مطرباً بنوء كذا فذلك كافر بي  
مومن بالكواكب الحديث الصحيح فقد بان لك بطلان هذه الصناعة من طريق الشرع  
وضعف مداركها مع ذلك من طريق العقل مع ما لها من المصارف في العمران الانساني بما  
تبعث في عقائد العوام من المساد اذا اتفق الصدق من احكامها في بعض الاحايين  
اتفاقاً لا يرجع الى تعليل ولا تحقيق فيلحق بذلك من لا معرفة له ويزن اطراد الصدق في  
سائر احكامها وليس كذلك فيقع في رد الاشياء الى غير خالفها تم ما ينشأ عنها كثيراً في

الدول من توقع الفواعل وما يعكث عليه ذلك التوقع من تطاول الاعداء والمترصين بالدولة الى التفتك والثورة وقد شاهدنا من ذلك كثيراً فينبغي ان تخطر هذه الصناعة على جميع اهل العمران لما ينشأ عنها من المصارف في الدين والدول ولا يقدح في ذلك كون وجودها طبيعياً للبشر بمقتضى مداركهم وعلومهم والخير والشر طبيعتان موجودتان في العالم لا يمكن نزعها وإنما يتعلق التكليف باسباب حصولها فيتعين السعي في اكتساب الخير باسبابه ودفع اسباب الشر والمصارف هذا هو الواجب على من عرف مفاسد هذا العلم ومصاره وليعلم من ذلك انها وان كانت صحيحة في نفسها فلا يمكن احداً من اهل الملة تحصيل علمها ولا ملكها بل ان نظر فيها ناظر وظن الاحاطة بها فهو في غاية القصور في نفس الامر فان الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماع من اهل العمران لقراءتها والتخليق لتعليمها وصار المولع بها من الناس وهم الاقل واقل من الاقل اما يطالع كتبها ومقالاتها في كسر بيته مستتراً عن الناس وتحت رثة الجمهور مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعنياصها على انهم فكيف يحصل منها على طائل ونحن نجد الفقه الذي عم نعمة ديناً وديناً وسهلت ماخذه من الكتاب والسنة وعكف الجمهور على قراءته وتعليمه ثم بعد التحقيق والتعميق وطول المدارس وكثرة المجالس وتعددتها انما يحدق فيه الواحد بعد الواحد في الاعصار والاحيال فكيف يعلم مهجور للشريعة مصروب دونه سد الخطر والتحرير مكتوم عن الجمهور صعب الماخذ مخمناج بعد الممارسة والتحصيل لاصوله وفروعه الى مزيد حدث وتخمين يكتمان به من الناظر فابن التحصيل والحدق فيه مع هذه كلها ومدعى ذلك من الناس مردود على عقبيه ولا شاهد له يقوم بذلك لغرابة الفن بين اهل الملة وقلة حملته فاعندر ذلك يتبين لك صحة ما ذهبا اليه والله اعلم بالغيب فلا يظهر على غيبه احداً . وما وقع في هذا المعنى لبعض اصحابنا من اهل العصر عندما غلب العرب عساكر السلطان ابي المحسن وحاصروه بالقيروان وكثر ارجاف الفريقين الاولياء والاعداء وقال في ذلك ابو القاسم الروحي من شعراء اهل تونس

استغفر الله كل حين	قد ذهب العيش والهباء
اصبح في تونس وامسي	والصبح لله والمساء
الحوف والجوع والمنابيا	بجدتها الهرج والوانابيا
والناس في مرية وحرب	وما عسى ينفع المرء
فاحدي تری علياً	حل به الهلك والنابيا

واخر قال سوف ياتي  
 والله من فوق ذا وهذا  
 بارا صدام الحنسن الجوارى  
 مطلتمونا وقد زعمتم  
 مر خميس على خميس  
 ونصف شهر وعشرتان  
 ولا نرى غير زور قول  
 انا الى الله قد علما  
 رضيت بالله لي الها  
 ما هذه الانجم السوارى  
 يقضى عليها وليس نقضى  
 صلت عقول ترى قديماً  
 وحكمت في الوجود طعماً  
 لم ترَ حالوا ازاء مر  
 الله ربي ولست ادري  
 ولا الهوى التي تنادي  
 ولا وجود ولا اعدام  
 ولست ادري ما الكسب الا  
 واما مذهبي وديني  
 اذ لا فصول ولا اصول  
 مانع الصدر واقتنيسا  
 كانوا كما يعلمون منهم  
 يا اشعري الزمان اتى  
 انا اجزي بالشر شراً  
 واني ان اكن مطيعاً  
 واني تحت حكم بار  
 وليس باستطاركم ولكن  
 به اليكم صبارخاء  
 يقضى لعبد به ما يشاء  
 ما فعلت هذه السماء  
 انك اليوم املياء  
 وجاء سبت واربعاء  
 وثالث ضمة القضاء  
 اذك جهل امر ازدراء  
 ان ليس يستدفع القضاء  
 حاكم الدر او دكاء  
 الا عباديد او اماء  
 وما لها في الورى اقتضاء  
 ما شانه الجرم والفساء  
 يحدثه الماء والهواء  
 تغدوهو تربة وماء  
 ما الجوهر الفرد والخلاء  
 ما لي عن صورة عراء  
 ولا ثبوت ولا انقفاء  
 ما جلب البيع والشراء  
 ما كان للناس اولياء  
 ولا جدال ولا ارتياء  
 يا حبذا كان الاقتناء  
 ولم يكن ذلك الهذاء  
 اشعري الصيف والشتاء  
 والخير عن مثله جزاء  
 فرب اعصى ولي رجاء  
 اطاعة العرش والثناء  
 اتاحة الحكم والقضاء

لو حدث الاشعري عن له الى رايه اتمامه  
لقال اخبرهم باني مما يقولونه سراء

### الفصل السابع والعشرون

في انكار ثمة الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المعاسد عن انحلالها

اعلم ان كثيراً من العاجزين عن معاشهم تحملهم المطامع على انحلال هذه الصنائع  
وبرون انها احد مذاهب المعاش ووجوهه وان اقتناء المال منها ايسر واسهل على  
متبعيه فيرتكبن فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف الحكام وخسارة  
الاموال في النفقات زيادة على النيل من غرضه والعطب اخراً اذا ظهر على خيبة وهم  
يحبسون انهم يحسنون صنغاً وانما اطعمهم في ذلك روية ان المعادن تستحيل وينقلب بعضها  
الى بعض للمادة المشتركة فيحاولون بالعلاج صيرورة النضة ذهباً والنحاس والفضة  
فضة ويحسبون انها من ممكات عالم الطبيعة ولم في علاج ذلك طرق مختلفة لاخلاف  
مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعة عندهم للعلاج المسماة عندهم بالمحجر المكرم  
هل هي العذرة او الدم او الشعر او البيض او كذا او كذا مما سوت ذلك وجملة التدبير  
عندهم بعد تعين المادة ان تمهي بالنهر على حجر صلد املس وتسقى اثناء امائها بالماء وبعد  
ان يضاف اليها من العقاقير والادوية ما يناسب القصد منها ويؤثر في انقلابها الى المعدن  
المطلوب تم تجفيف بالشمس من بعد السقي او تظيخ بالنار او تصعد او تنكس لاستخراج  
ماؤها او ترابها فاذا رضي بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته اصول صنعة  
حصل من ذلك كله تراب او مائع يسمونه الاكسير ويزعمون انه اذا لقي على النضة المحمأة  
بالنار عادت ذهباً او النحاس المحمى بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله وبرغم  
المحققون منهم ان ذلك الاكسير مادة مركبة من العناصر الاربعه حصل فيها بذلك العلاج  
النحاس والتدبير مزاج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه اليها وتقلبه الى صورتها  
ومزاجها وتنت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى كالتخمير للغنز قلب العين الى  
ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانشاش والهشاشة ليحسن هضمة في المعدة ويستحيل  
سريعاً الى الغذاء وكذا اكسير الذهب والنضة فيما يحصل فيه من المعادن بصرفه اليها  
ويقلبه الى صورتها هذا محصل زعمهم على الجملة فنجدهم عاكفين على هذا العلاج يتغنون  
الرزق والمعاش فيه ويتناقلون احكامه وقواعده من كتب لائمة الصناعات من قلمهم

يتداولونها بينهم ويتناظرون في فهم لغوزها وكشف اسرارها اذ هي في الاكثر تشبه المعنى كتابيف جارس حيان في رسائله السبعين ومسلمة الجريبي في كتابه رتبة الحكيم والطغراني والمغبري في قصائده العريقة في اجادة النظم ومثالها ولا يحلون من بعد هذا كله بطائل منها . ففاوضت يوماً شيخنا ابا البركات التلغبي كبير مشيخة الاندلس في مثل ذلك ووقفته على بعض التآليف فيها فتصححه طويلاً ثم رده الي وقال لي وانا الصامن له ان لا يعود الي يتبد الا بالخبية ثم منهم من يقتصر في ذلك على الدلسة فقط اما الظاهرة كتمويه الفضة بالذهب او النحاس بالفضة او خلطها على نسبة جزء او جزءين او ثلاثة او الخفية كالقا التشه بين المعادن بالصناعة مثل تبيض النحاس وتليسه بالورق المصعد فيبيء حسماً معدنياً شبيهاً بالنصه ويخفي الاعلى القناد المهرة فيقدر اصحاب هذه الدلاس مع دلتهم هذه سكة يسربونها في الناس ويطعونها بطابع السلطان تمويهاً على الجمهور بالخلاص وهؤلاء اخس الناس حرفة واسوأهم عاقبة لتلسهم سرقة اموال الناس فان صاحب هذه الدلسة انما هو يدفع نحاساً في النصه وفضة في الذهب ليستخلصها لفسه فهو سارق او اشرف من السارق ومعظم هذا الصنف لدنيا بالمغرب من طلبة الدرر المتذنبين باطراف القناع ومساكن الاغمار ياوون الى مساجد النادية ويموهون على الاغنياء منهم بان يديهم صناعة الذهب والفضة والنفس مولعة بجمعها والاستهلاك في طلبها فيحصلون من ذلك على معاش ثم يبقى ذلك عندهم تحت الحوف والرقمة الى ان يظهر العجز وتقع الفضيحة فيمروا الى موضع اخر ويستجدون حالاً اخرى في استهوا بعض اهل الدنيا باطاعهم فيما لديهم ولا يرالون كذلك في استغناء معاشهم وهذا الصنف لا كلام معهم لانهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ولا حاسم لعنتهم الا اشتداد الاحكام عليهم وتناولهم من حيث كانوا وقطع ايديهم متى ظهروا على شانهم لان فيه افساداً للسكة التي تعمر بها البلوى وهي متمول الناس كافة والسلطان مكلف باصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها واما من اشغل هذه الصناعة ولم يرض بحال الدلسة بل استنكف عنها ومن نفسه عن افساد سكة المسلمين ونقودهم وانما يطلب احالة النصه للذهب والرصاص والنحاس والقصدير الى النصه بذلك النجومن العلاج وبالاكسير الحاصل عنده فلنا مع هؤلاء متكلم وبحث في مداركهم لذلك مع اننا لانعلم ان احداً من اهل العالم ثم له هذا الغرض او حصل منه على بغية انما تذهب اعمارهم في التدبير والنهر والصلابة والصعيد والتكليس واعتيام الاخطار بجمع العقاقير والبحث عنها ويتناقلون في ذلك

حكايات وقعت لغيرهم من تم له الغرض منها او وقف على الوصول يقنعون باستماعها  
 والمفاوضات فيها ولا يستربون في تصديقها شان الكلفين المغرمين بوساوس الاخبار فيما  
 يكلفون به فاذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمعاينة انكروا وقالوا انما سمعنا ولم نره هكذا  
 شانهم في كل عصر وجيل واعلم ان اتحال هذه الصعقة قديم في العالم وقد تكلم الناس  
 فيها من المتقدمين والمتأخرين فلتنقل مذاهم في ذلك ثم تلوه بما يظهر فيها من التحقيق  
 الذي عليه الامر في نفسه فنقول ان معنى الكلام في هذه الصناعة عد الحكماء على حال  
 المعادن السبعة المتطرفة وهي الذهب والنصه والرصاص والتصدير والنحاس والحديد  
 والمخارصيني هل هي مختلفات بالوصول وكلها انواع قائمة باسمها وانها مختلفة بخواص  
 من الكيمايات وهي كلها اصناف لسوع واحد فالذي ذهب اليه ابو النصر الفارابي وتابعة  
 عليه حكماه الا بدلس انها نوع واحد وان اخلافها انما هو بالكيمايات من الرطوبة واليوسه  
 واللين والصلابة والالوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها اصناف لذلك النوع  
 الواحد والذي ذهب اليه اس سينا وتابعة عليه حكماه المشرق انها مختلفة بالوصول وانها  
 انواع متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته له فصل وجنس شان سائر الانواع  
 وسي ابو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالسوع امكان انقلاب بعضها الى بعض  
 لامتان تدل الاعراض حيثذ وعلاجها بالصعقة فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمايا  
 عده ممكنة سهلة الماخذ وسي ابو علي اس سينا على مذهبه في اخلافها بالسوع انكار هذه  
 الصعقة واستحالة وجودها ساء على ان الفصل لاسبيل بالصناعة اليه وانما يحلقه خالق  
 الاشياء ومقدرها وهو الله عز وجل والفصول مجهولة الحقائق راساً بالتصور فكيف يحاول  
 انقلابها بالصعقة وغلطه الطغرائي من اكار اهل هذه الصناعة في هذا القول ورد  
 عليه بان التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل وابداعه وانما هو في اعداد المادة لتوليه  
 خاصة والفصل ياتي من بعد الاعداد من لدن خالقه وبارئه كما يبيض السور على الاحسام  
 بالصل والامهء ولا حاجة بنا في ذلك الى تصويره ومعرفته قال واذا كنا قد عتربا على  
 تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بصولها مثل العقرب من التراب والتين ومثل الحيات  
 المتكونة من الشعر ومثل ما ذكره اصحاب الفلاحة من تكوين النحل اذا فقدت من  
 عجاجيل القرون وتكوين القصب من قرون ذوات الظلف وتصيره سكرًا بحتو القرون  
 بالعسل بين يدي ذلك الفلح للقرون فما المانع اذاً من العثور على مثل ذلك في الذهب  
 والنصه فتتخذ مادة تصيها للتدبير بعد ان يكون فيها استعداد اول لقول صورة الذهب



والفضة ثم تحاولها بالعلاج الى ان يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام الطبرائي  
بمعناه وهو الذي ذكره في الرد على ابن سينا صحيح لكن لنا في الرد على اهل هذه الصناعة  
ماخذ اخر يتبين منه استحالة وجودها وبطلان مزعمهم اجمعين لا الطبرائي ولا ابن سينا  
وذلك ان حاصل علاجهم انهم بعد الوقوف على المادة المستعدة بالاستعداد الاول  
يجعلونها موضوعاً ومجاذون في تدبيرها وعلاجها تدبير الطبيعة في الجسم المعدني حتى  
احالته ذهباً او فضة ويضاعفون القوى الفاعلة والمنفصلة ليم في زمان اقصر لانه تيسر في  
موضوعه ان مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله وتبين ان الذهب انما يتم كونه في  
معدنه بعد الف وثمانين من السنين دورة الشمس الكبرى فاذا تصاعمت القوى والكيفيات  
في العلاج كان زمن كونه اقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه او يخرون بعلاجهم ذلك  
حصول صورة مراحبة لتلك المادة تصيرها كالحبيرة فتعمل في الجسم المعالج الافاعيل  
المطلوبة في حالته وذلك هو الاكسير على ما تقدم . واعلم ان كل متكون من المولدات  
العنصرية فلا بد فيه من اجتماع العناصر الاربعة على نسبة متفاوتة اذ لو كانت متكافئة  
في النسبة لما تم امتزاجها فلا بد من الجزء الغالب على الكل ولا بد في كل ممتزج من  
المولدات من حرارة غريزية هي الفاعلة لكونه الحافظة لصورته ثم كل متكون في زمان  
فلا بد من اختلاف اطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور الى طور حتى ينتهي الى  
غايته وانظر شان الانسان في طور النطفة ثم العلقة ثم المضغة ثم النصور ثم الجبين ثم المولود  
ثم الرضيع ثم الى نهايته وسب الاجراء في كل طور مختلف في مقاديرها وكيمياتها والا  
لكان الطور عينه الاول هو الاخر وكذا الحرارة الغريزية في كل طور مخالفة لها في  
الطور الاخر فانظر الى الذهب ما يكون له في معدنه من الاطوار منذ الف ستة وثمانين  
وما ينتقل فيه من الاحوال فيحتاج صاحب الكيمياء الى ان يساوق فعل الطبيعة في المعدن  
ومجاذبه بتدبيره وعلاجه الى ان يتم ومن شرط الصناعة ابدأ تصور ما يقصد اليه بالصعقة  
فمن الامثال السائرة للحكام اول العمل اخر الفكرة واخر الفكرة اول العمل فلا بد من  
تصور هذه الحالات للذهب في احواله المتعددة ونسبها المتفاوتة في كل طور واختلاف  
الحار الغريزي عند اختلافها ومقدار الرمان في كل طور وما ينوب عنه من مقدار القوى  
المضاعفة ويقوم مقامه حتى يجاذي بذلك كله فعل الطبيعة في المعدن او تعد لبعض  
المواد صورة مزاجية تكون كصورة الحبيرة للخبز وتعمل في هذه المادة بالمناسبة لقواها  
ومقاديرها وهذه كلها انما يحصرها العلم المحيط والعلوم الشريفة قاصرة عن ذلك وبما حال

من يدعي حصوله على الذهب بهذه الصنعة بمثابة من يدعي بالصنعة تخليق اسنان من  
 المني ونحن اذا سلمنا له الاحاطة باجزائه ونسبته واطواره وكيفية تخليقه في رحمة وعلم  
 ذلك عالماً محصلاً بتفاصيله حتى لا يشذ منه شيء عن علمه سلمنا له تخليق هذا الانسان  
 واني له ذلك ولتقرب هذا البرهان بالاختصار ليسهل فهمه فنقول حاصل صناعة الكيمياء  
 وما يدعونه بهذا التدبير انه مساوقة الطبيعة المعدنية بالفعل الصناعي ومحاذاتها به الى  
 ان يتم كون الجسم المعدني او تخليق مادة بقوى وافعال وصورة مزاجية تعمل في الجسم  
 فعلاً طبيعياً فتصيره وتقبله الى صورتها والفعل الصناعي مسوق بتصورات احوال  
 الطبيعة المعدنية التي يقصد مساوقتها او محاذاتها او فعل المادة ذات القوى فيها تصوراً  
 منفصلاً واحدة بعد اخرى وتلك الاحوال لانهاية لها والعلم الشري عاجز عن الاحاطة  
 بما دونها وهو بمثابة من يقصد تخليق انسان او حيوان او نبات هذا محصل هذا البرهان  
 وهو اوتى ما علمته وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رايت ولا من الطبيعة انما  
 هو من تعذر الاحاطة وقصور البشر عنها وما ذكره ابن سينا بمعزل عن ذلك وله وجه  
 اخري الاستحالة من جهة غايته وذلك ان حكمة الله في المحجرين وندورها انها قيم لمكاسب  
 الناس ومتمولاتهم فلو حصل عليها بالصنعة لطلت حكمة الله في ذلك وكثر وجودها  
 حتى لا يحصل احد من اقتنائها على شيء وله وجه اخر من الاستحالة ايضاً وهو ان الطبيعة  
 لا تترك اقرب الطرق في افعالها وترتكب الاعوص والا بعد فلو كان هذا الطريق  
 الصناعي الذي يزعمون انه صحيح وانه اقرب من طريق الطبيعة في معدنها او اقل زماناً  
 لما تركته الطبيعة الى طريقها الذي سلكته في كون النضة والذهب وتخليقها واما تشبيه  
 الطغرائي هذا التدبير بما عثر عليه من مفردات لامثاله في الطبيعة كالعقرب والنحل  
 والحية وتخليقها فامر صحيح في هذه ادى اليه العنور كما زعم . واما الكيمياء فلم ينقل عن احد  
 من اهل العالم انه عثر عليها ولا على طريقها وما زال منتحلوها يخبطون فيها عشواء الى هلم  
 جرا ولا يظنرون الا بالحكايات الكاذبة ولو صح ذلك لاحد منهم لحفظه عنه اولاده ان  
 تلميذه واصحابه وتنوقل في الاصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده الى ان ينتشر  
 و يبلغ الينا او الى غيرنا واما قولهم ان الاكسير بمثابة الخميرة وانه مركب بجمل ما يحصل  
 فيه ويقبله الى ذلك فاعلم ان الخميرة انما تنقلب العجين وتعد لهضم وهو فساد والفساد  
 في المواد سهل يقع بايسر شيء من الافعال والطبائع والمطلوب بالاكسير قلب المعدن الى  
 ما هو اشرف منه واعلى فهو تكوين وصلاح والتكوين اصعب من الفساد فلا يقاس

الأكسير بالخبيرة وتحقيق الامر في ذلك ان الكيمياء ان صح وجودها كما تزعم الحكماء  
 المتكلمون فيها مثل جابر بن حيان ومسلمة بن احمد الجريطي وامثالهم فليست من باب  
 الصنائع الطبيعية ولا تتم بامر صناعي وليس كلامهم فيها من منعي الطبيعيات انما هو من  
 منعي كلامهم في الامور السحرية وسائر الخوارق وما كان من ذلك للعلاج وغيره وقد ذكر  
 مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكميم من هذا المنعي وهذا  
 كلام جابر في رسائله ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا الى شرحه وبالجمله فامرها  
 عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع فكما لا يتدر ما مة الخشب والحيوان  
 في يوم او شهر خستاً او حيواناً فيما عدا مجرى تخليقه كذلك لا يتدر ذهب من مادة الذهب  
 في يوم ولا شهر ولا بتغير طريق عاداته الا ابرفاد ما وراء عالم الطنائع وعمل الصنائع  
 فكذلك من طلب الكيمياء طلباً صاعياً ضيع ماله وعمله ويقال لهذا التدبير الصناعي  
 التدبير العقيم لان يلهما ان كان صحيحاً فهو واقع مما وراء الطنائع والصنائع فهو كالمشي على  
 الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كنانف الاحساد ونحو ذلك من كرامات الاولياء الخارقة  
 للعادة او مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الالسياء قال تعالى واذتخلق من الطين  
 كهينة الطير باذي فتفتح فيه فتكون طيراً باذي وعلى ذلك فسبيل تيسيرها مختلف بحسب  
 حال من يونها فرما اوتيتها الصالح وبوتيتها غيره فتكون عدو معارة وربما اوتيتها الصالح  
 ولا يملك ابناءها فلا تتم في يد غيره ومن هذا الباب يكون عملها سحرياً فقد تبين انها انما  
 تقع بتاثيرات النفوس وخوارق العادة اما معجزة او سحرراً ولهذا كان كلام الحكماء  
 كلهم فيها العازراً لا يظفر بحقيته الا من خاض لجة من علم السحر واطلع على تصرفات  
 النفس في عالم الطبيعة وامور خرق العادة غير منحصرة ولا يقصد احد الى تحصيلها والله  
 بما يعملون محيط واكثر ما يحبل على التماس هذه الصناعة واتحاليها هو كما قلناه العجز عن  
 الطرق الطبيعية للمعاش واتغاض من غير وجوه الطبيعية كالتلاحة والتجارة والصناعة  
 فيستعصب العاجرات تغاض من هذه وبروم الحصول على الكثير من المال دفعة بوجوه  
 غير طبيعية من الكيمياء وغيرها واكثر من يعني بذلك الفقراء من اهل العمران حتى في  
 الحكماء المتكلمين في انكارها واستحالتها فان ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء  
 فكان من اهل الغنى والثروة والفارابي القائل بإمكانها كان من اهل الفقر الذين يعوزهم  
 ادنى بلغة من المعاش واسايبه وهذه تهمة ظاهرة في انظار النفوس المولعة بطرقها واتحاليها  
 والله الرزاق ذو القوة المتين لا رب سواه

## الفصل الثامن والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عاقبة عن التحصيل

اعلم انه ما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غايته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم وتعدد طرقها ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك وحينئذ يسلم له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومراعاة طرقها ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها فيقع القصور ولا بد دون رتبة التحصيل ويمثل ذلك من شان الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلاً وما كتب عليهم السجرات الفقهية مثل كتاب اس يوس والحمي وابن سببر والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتبية وكذلك كتاب اس الحاجب وما كتب عليه ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة الغير وايه من الفرطية والغدادية والمصرية وطرق المتأخرين عنهم والاحاطة بذلك كله وحينئذ يسلم له منصب الفتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد والمتعلم مطالب باستحضار جميعها وتمييز ما بينها والعمر يقضي في واحد منها ولو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الامر بدون ذلك بكثير وكان التعليم سهلاً وماخذة قريباً ولكنه دال لا يرفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها ويمثل ايضاً علم العربية من كتاب سبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب واس مالك وجميع ما كتب في ذلك كيف يطالب به المتعلم وينبغي عمره دونة ولا يطلع احد في الغاية منه الا في القليل النادر مثل ما وصل اليها بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بان هاتم ظهر من كلامه فيها انه استولى على عاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل الا لسبويه واس حتى واهل طبقتها لعظم ملكته وما احاط به من اصول ذلك الفن ونفاذ بعد وحسن تصرفه فيه ودل ذلك على ان الفصل ليس مفصلاً في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله يؤتية من يشاء وهذا نادر من نادر الوجود والا فالظاهر ان المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

## الفصل التاسع والعشرون

في ان كثرة الاختصارات المولفة في العلوم مخلة بالتعليم

ذهب كثير من المتأخرين الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم بولعون بها ويدونون منها رنائجاً مختصرة في كل علم يشتمل على حصر مسائله وادلتها باختصار في الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسراً على الفهم وربما عمدوا الى الكتب الامهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاخصروها تقريباً للحفظ كما فعله ابن الحاجب في الفقه واصول الفقه وابن مالك في العربية والحونجي في المنطق وامثالهم وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل وذلك لان فيه تخطيطاً على المتبدي بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سباني ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم يتنوع الفاظ الاختصار العويصة للفهم تتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها لان الفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة فينقطع في فهمها حظ صالح عن الوقت ثم بعد ذلك فالملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات اذا تم على سداده ولم تعمق آفة في ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والاحالة المفيد من حصول الملكة التامة واذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلوبه كشان هذه الموضوعات المختصرة ففقدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركوه صعباً يقطعم عن تحصيل الملكات النافعة وتمكنها ومن يهدا لله فلا يصل له ومن يصلل فلا هادي له والله سبحانه وتعالى اعلم

## الفصل الثلاثون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعلم ان تلقين العلوم للمتعلمين انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلاً يلقى عليه اولاً مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ويقرب له في شرحها على سبيل الاحمال وبراغي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى اخر الفن وعند ذلك يحصل له ملصقة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاحمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى اخر الفن فتجود ملكته ثم يرجع به وقد شد فلا يترك

عربياً ولا مهماً ولا متعلقاً الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته  
هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رايت انما يحصل في ثلاث تكرارات وقد يحصل للبعض  
في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد  
الذي ادركنا يجهلون طرق التعليم وافاداته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المغفلة  
من العلم ويطلبونه باحضر ذهنه في حلها ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه  
ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في ماديها وقبل  
ان يستعد لهنها فان قبول العلم والاستعدادات لهنها تنشأ تدريجاً ويكون المتعلم اول  
الامر عاجزاً عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب والاجمال وبالامثال  
الحسية ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها  
عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد  
ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن واذا القيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ  
عاجز عن الفهم والوعي ويعد عن الاستعداد له كل ذمه عنها وحسب ذلك من صعوبة  
العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادي في هجره وانما اتى ذلك من سوء  
التعليم ولا ينبغي للمعلم ان يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي اكب على التعليم منه بحسب  
طاقته وعلى نسبة قوله للتعليم متدنئاً كان او منتهباً ولا يخلط مسائل الكتاب غيرها حتى  
يعيه من اوله الى اخره ويحصل اغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره لان  
المتعلم اذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقول ما بقي وحصل له نشاط  
في طلب المزيد والهوض الى ما فوق حتى يستولي على غايات العلم واذا خلط عليه  
الامر عجز عن الفهم وادركة الكلال والطمس فكره ويثس من التحصيل وهجر العلم  
والتعليم والله يهدي من يشاء وكذلك ينبغي لك ان لا تطول على المتعلم في الفن الواحد  
بتفريق المحالس ونقطيع ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من  
بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها واذا كانت اوائل العلم واواخره حاضرة عند الفكرة  
مجانبة للنسيان كانت الملكة ايسر حصولاً واحكم ارتباطاً واقرب صفة لان الملكات انما  
تحصل بتتابع الفعل وتكراره واذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله علمك مالم  
تكونوا تعلمون ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم ان لا يخلط على المتعلم  
علمان معاً فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منها لما فيه من تقسيم البال وانصافه عن كل  
واحد منها الى تفهم الاخر فيستغلان معاً ويستصعبان ويعود منها بالحنجة واذا تفرغ

الفكر لتعليم ما هو سبيله مقتصرًا عليه فر بما كان ذلك اجدر لتحصيله والله سبحانه وتعالى  
الموفق للصواب . واعلم ايها المتعلم اني اتخفك بفائدة في تعلمك فان تلقيتها بالقبول  
وامسكتها بيد الصناعة ظفرت بكنز عظيم وذخيرة شريفة واقدم لك مقدمة تعيسك في  
فهمها وذلك ان الفكر الاساسي طبيعة مخصوصة فطرها الله كما فطر سائر مستدعاته وهى  
وجدان حركة النفس في البطن الاوسط من الدماغ تارة يكون مداء للافعال الانسانية  
على نظام وترتيب وتارة يكون مداء لعلم ما لم يكن حاصلًا بان يتوجه الى المطلوب وقد  
بصور طرفيه ويروم نية او اثباته فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما اسرع من لمح الصر  
ان كان واحدًا او يستقل الى تحصيل اخر ان كان متعددًا ويصير الى الظفر بطلوبه هذا  
شان هذه الطبيعة الفكرية التي تميزها السرم من بين سائر الحيوانات ثم الصناعة المنطقية  
هي كيميية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية نضجه لتعلم سداده من خطائه لانها وان  
كان الصواب لها ذاتيًا الا انه قد يعرض لها الخطاء في الاقل من تصور الطرفين على  
غير صورتها من اشتباه الهيئات في نظم القضايا وترتيبها للتاج فمعين المنطق للتخلص  
من ورطة هذا السداد اذا عرض فالمطلق اذا امر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية  
ومنطق على صورة فعلها ولكونه امرًا صاعياً استغني عنه في الاكثر ولذلك تحد كثيرا  
من فحول الطارفي الخليفة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة المنطق ولا سيما  
مع صدق النية والتعرض لرحمة الله فان ذلك اعظم معنى ويسلكون بالطبيعة الفكرية  
على سدادها فينضي ما اضع الى حصول الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه ثم من  
دون هذا الامر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة اخرى من التعلم وهي معرفة الالفاظ  
ودلائها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان  
بالمخاطب فلا بد ايها المتعلم من مجاوزتك هذه المحجب كلها الى الفكر في مطلوبك فاولاً  
دلالة الكتابة المرسومة على الالفاظ المقولة وهي اخنها ثم دلالة الالفاظ المقولة على المعاني  
المطلوبة ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قولها المعروفة في صناعة المنطق  
ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراطاً يقننص بها المطلوب بالطبيعة الفكرية بالتعرض  
لرحمة الله ومواهبه وليس كل احد يتجاوز هذه المراتب بسرعة ولا يقطع هذه المحجب في  
التعلم بسهولة بل ربما وقف الذهن في حجب الالفاظ بالمناقشات او عثر في اشتراك  
الادلة نشغب الجدل والشبهات وقعد عن تحصيل المطلوب ولم يكد يتخلص من تلك  
الغمرة الا قليلاً من هداة الله فاذا اتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك في فهمك او

تشغيب بالشبهات في ذهنك فاطرح ذلك واتخذ حجب الالفاظ وعوائق الشبهات واترك الامر الصناعي جملة واخلى الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه وسرح نظرك فيه وفرغ ذهنك فيه للغوص على مرامك منه واضعاً لها حيث وضعها آكار النظار قلبك مستعرضاً للمفتح من الله كما فتح عليهم من ذهنهم من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فاذا فعلت ذلك اشرفت عليك انوار الفتح من الله بالظفر بظلوبك وحصل الامام الوسط الذي جعله الله من مقتضيات هذا الفكر ونظره عليه كما قلناه وحيثما فارجع به الى قوالب الادلة وصورها فافره فيها ووفه حقه من القانون الصناعي ثم اكسه صور الالفاظ وبرزه الى عالم الخطاب والمتافهة وثيق العرى صحح النيان . واما ان وقفت عند المناقشة والشبهة في الادلة الصناعية ونحيص صوابها من خطائها وهذه امور صناعية وضعية تستوى جهاتها المتعددة وتنشاه لاجل الوضع والاصطلاح فلا تتميز جهة الحق منها اذ جهة الحق انما تستبين اذا كاست بالطبع فيستمر ما حصل من الشك والارتباب وتسدل المحجب على المطلوب وتقع بالناظر عن تحصيله وهذا شان الاكثريين من النظار والمتاخرين سيما من سقت له عجة في لسايه فرطت عن ذهنه ومن حصل له شغب بالقانون المنطقي تعصب له فاعتقد انه الذريعة الى ادراك الحق بالطبع فيقع في الحيرة بين شيه الادلة وشكوكها ولا يكاد يخلص منها والذريعة الى ادراك الحق بالطبع انما هو الفكر الطبيعي كما قلناه اذا جرد عن جميع الاوهام وتعرض الناظر فيه الى رحمة الله تعالى واما المطلق فاما هو واصف لهعل هذا الفكر فيساقه لذلك في الاكثر فاعتر ذلك واستطر رحمة الله تعالى متى اعوزك فهم المسائل تشرق عليك انواره بالا الهام الى الصواب والله الهادي الى رحمته وما العلم الا من عند الله

### الفصل الواحد والثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الا نظار ولا تفرع المسائل

اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العبران على صنفين علوم مقصودة بالذات كالشرعيات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والاطبيعات والاهليات من الفلسفة وعلوم هي آلية وسيلة لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها للشرعيات كالمطلق للفلسفة وربما كان آلة لعلم الكلام ولاصول الفقه على طريقة المتاخرين فاما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها وتفرع المسائل واستكشاف الادلة والا نظار



فان ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته وايضاحاً لمعانيها المنصودة واما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وامثالها فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك مخرج لها عن المقصود اذ المقصود منها ما هي آلة له لاغير فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار الاشتغال بها لغواً مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المنصودة بالذات لطول وسائلها مع ان شأنها اهم والعريقتصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاشتغال بهذه العلوم الالية تضييعاً للعمر وشغلاً بما لايعني وهذا كما فعل المتأخرون في صناعة النحو وصناعة المنطق واصول الفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام فيها واكثروا من التفاريع والاستدلالات بما اخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد وربما يقع فيها انظار لاحاجة بها في العلوم المنصودة فهي من نوع اللغو وهي ايضاً مضرّة بالمعلمين على الاطلاق لان المعلمين اهتمهم بالعلوم المنصودة اكثر من اهتمهم بوسائلها فاذا قطعوا العر في تحصيل الوسائل فمتي يظفرون بالمقاصد فلماذا يجب على المعلمين هذه العلوم الالية ان لا يستجروا في شأنها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فمن نزعت به همته بعد ذلك الى شي من التوغل فيلرق له ما شاء من المراتي صعباً او سهلاً وكل ميسر لما خلق له

## الفصل الثاني والثلاثون

في تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه

اعلم ان تعليم الولدان للقرآن شعار من شعار الدين اخذ به اهل الملة ودرجوا عليه في جميع امصارهم لما يسبق فيه الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الاحاديث وصار القرآن اصل التعليم الذي ينبغي عليه ما يحصل بعد من الملكات وسبب ذلك ان التعليم الصغراشد رسوخاً وهو اصل لما بعده لان السابق الاول للقلوب كالاساس للملكات وعلى حسب الاساس واساليبه يكون حال ما ينبغي عليه واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات فاما اهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط واخذهم اثناء المدارس بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان

يحدق فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة وهذا  
 مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر ام المغرب في ولدانهم الى ان  
 يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة وكذا في الكبير اذا رجع مدارس القرآن بعد طائفة من  
 عمره فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم واما اهل الاندلس فمذهبهم  
 تعليم القرآن والكتاب من حيث هو وهذا هو الذي يراعيه في التعليم الا انه لما كان  
 القرآن اصل ذلك واسه ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصلاً في التعليم فلا يقتصرون  
 لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذهم  
 بقوانين العربية وحفظها ونجويد الخط والكتاب ولا تخصص عنايتهم في التعليم بالقرآن  
 دون هذه بل عنايتهم فيه بالحظ اكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى  
 الشبيبة وقد شذا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بها ورز في الخط والكتاب  
 وتعلق باذيال العلم على الجملة لو كان فيها سند لتعليم العلوم لكنهم يقطعون عن ذلك  
 لاقطاع سد التعليم في افاقهم ولا يحصل بايديهم الا ما حصل من ذلك التعليم الاول  
 وفيه كفاية لمن ارشده الله تعالى واستعداد اذا وجد المعلم واما اهل افريقية فيخلطون في  
 تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها  
 الا ان عنايتهم بالقرآن واستنظار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقرآته  
 اكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تع لذلك وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن اقرب الى  
 طريقة اهل الاندلس لان سند طريقهم في ذلك متصل بمسئخة الاندلس الذين اجازوا  
 عند تغلب الصاري على شرق الاندلس واستقروا بتونس وعمهم اخذ ولدانهم بعد ذلك  
 واما اهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يلبغوا ولا ادري ما عنايتهم منها والذي  
 ينقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون  
 بتعليم الخط بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على افراده كما تعلم سائر الصنائع ولا  
 يتداولونها في مكاتب الصبيان واذا كتبوا لهم الالواح فخط قاصر عن الاجادة ومن اراد  
 تعلم الخط فعلى قدر ما يسغ له بعد ذلك من المهمة في طلبه ويتغيبه من اهل صنعته فاما  
 اهل افريقية والمغرب فافادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان بحملة  
 وذلك ان القرآن لا يتساع في الغالب ملكة لما ان الشمر مصر وفون عن الاتيان بمثل  
 فهم مصر وفون لذلك عن الاستعمال على اساليبه والاحذاء بها وليس لهم ملكة في غير  
 اساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي وحظلة الجهود في العمارات وقلة

التصرف في الكلام وربما كان اهل افريقية في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخلطون في تعليمهم القرآن بعبارة العلوم في قواينها كما قلناه فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل الا ان ملكهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر محفوظهم عبارات العلوم البازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله واما اهل الاندلس فافادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من اول العمر حصول ملكة صاروا بها اعرف في اللسان العربي وقصروا في سائر العلوم لبعدهم عن مدارسة القرآن والحديث الذي هو اصل العلوم واساسها فكانوا لذلك اهل حظ وادب بارع او مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبي ولقد ذهب القاضي ابو بكر ابن العربي في كتاب رحلته الى طريقة غريبة في وجه التعليم واعاد في ذلك وابدأ وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب اهل الاندلس قال لان الشعر ديوان العرب ويدعو على تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة ثم ينتقل منه الى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القواين ثم ينتقل الى درس القرآن فانه يتيسر عليك بهذه المقدمة ثم قال ويا غملة اهل بلادنا في ان يوخذ الصبي بكتاب الله في اوامره بقرأ ما لا يفهم ويصعب في امر غيره اهم عليه ثم قال يظن في اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ونهى مع ذلك ان يخلط في التعليم علمان الا ان يكون المتعلم قانلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط هذا ما اشار اليه القاضي ابو بكر رحمه الله وهو لعربي مذهب حسن الا ان العوائد لا تساعد عليه وهي املك بالاحوال ووجه ما اخضت به العوائد من تقدم دراسة القرآن ايثاراً للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبي من الافات والقواطع عن العلم فينوته القرآن لانه مادام في الحجر مفقداً للحكم فاذا تجاوز البلوغ والمحل من رقة الظهر فرمما عصفت به رياح التسيبه فالتفتة ساحل المطالعة فيغتمون في زمان المحرور بقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلواً منه ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقوله التعليم لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي اولي ما اخذ به اهل المغرب والمشرق ولكن الله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه سبحانه

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مصرة بهم

وذلك ان ارهاف الحد في بالتعليم مضر بالمتعلم سبياً في اصغر الولد لانه من سوء

الملكة ومن كان مراباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المالكين او الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انساظها وذهب نشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والحبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انساظ الايدي بالقهر عليه وعلمه المكر والحديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معاني الاسانية التي له من حيث الاجتماع والقهر وهي المحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عميلاً على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن اكتساب النصائل والخلق الجميل فانقصت عن عايتها ومدى اسانيتها فانركبها وعاد في اسفل السافلين وهكذا وقع لكل امة حصلت في قضية القهر وبال منها العسف واعنبره في كل من يملك امره عليه ولا تكون الملكة الكافلة له رفيقة به وتحد ذلك فيهم استقراء وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى انهم يوصون في كل ارض وعصر بالحرج ومعناه في الاصطلاح المشهور النخاث والكيده وسببه ما قلناه فيسغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده ان لا يستندوا عليهم في التاديب وقد قال محمد بن ابي زيد في كتابه الذي الفه في حكم المعلمين والمتعلمين لا يسغي لمودب الصبيان ان يريد في ضربهم اذا احناحوا اليه على ثلاثة اسواظ شيئاً ومن كلام عمر رضي الله عنه من لم يوده الشرع لا اده الله حرصاً على صون النفوس عن مذلة التاديب وعلماً بان المقدر الذي عينه الشرع لذلك املك له فانه اعلم بمصلحته ومن احسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده محمد الامين فقال يا احمران امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نسه وثمره قلته فصير يدك عليه مسوطة وطاعته لك واجبة فكر له بحيث وضعك امير المؤمنين اقرئه القرآن وعرفه الاخبار وروى الاشعار وعلمه السنن وصره بمواقع الكلام وشدته وامعه من الصلح الا في اوقاته وخذته تعظيم مشايخ بني هاشم اذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد اذا حصر ومجلسه ولا تمر بك ساعة الا وات مغتم فائدة فئده اياها من غير ان تحمره فتميت دهه ولا تمنع في مساحته فيستغلي الفراغ ويا لفته وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فان اباها فعليك بالشدة والعلطة انتهى

### الفصل الرابع والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مرید کمال في التعلم

والسبب في ذلك ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم وما يتخلون به من المذاهب والنصائل تارة علماً وتعليماً واللقاء وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة الا ان حصول الملكات عن

المباشرة والتلفين اشد استحكاماً واقوى رسوخاً فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والاصطلاحات ايضاً في تعليم العلوم مخبطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم انها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك الا مباشرة لاختلف الطرق فيها من المعلمين فلقاء اهل العلوم وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انحاء تعليم وطرق توصيل وتهض قواه الى الرسوخ والاستحكام في المكان ونصح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلفين وكثرتها من المشيخة عد تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بقاء المشايخ ومباشرة الرجال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### الفصل الخامس والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

والسبب في ذلك انهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الدهن اموراً كلية عامة ليحكم عليها بامرا لعموم لا بخصوص مادة ولا تخصص ولا جيل ولا امة ولا صنف من الناس ويطلقون من بعد ذلك الكلي على الحارجيات وايضاً يقيسون الامور على اشائها وامثالها بما اعنادوه من القياس الفقهي فلا ترال احكامهم وانظارهم كلها في الدهن ولا نصير الى المطابقة الا بعد الفراغ من البحث والنظر ولا نصير بالجملة الى مطابقة وانما يتفرع ما في الخارج عما في الدهن من ذلك كالاحكام الشرعية فانها فروع عما في المحبوظ من ادلة الكتاب والسنة فتطلب مطابقة ما في الخارج لها عكس الانظار في العلوم العقلية التي تطلب في صحتها مطابقتها لما في الخارج فم معتودون في سائر انظارهم الامور الذهنية والانظار الفكرية لا يعرفون سواها والسياسة يحتاج صاحبها الى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الاحوال ويتبعها فانها خفية ولعل ان يكون فيها ما يمنع من الحاقها بشبه او مثال وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليها ولا يقاس شيء من احوال العمران على الاخر كما اشتبه في امر واحد فعلها اختلفا في امور فنكون العلماء لاجل ما تعودوه من تعميم الاحكام وقياس الامور بعضها على بعض اذا نظروا في السياسة افرغوا ذلك في قالب انظارهم ونوع اسندالاتهم فيقعون في الغلط كثيراً ولا يؤمن عابهم ويلحق بهم اهل الذكاء والكيس من اهل العمران لانهم يتزعمون

بثقوب اذهانهم الى مثل شان الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة فيقعون في الغلط والعامي السليم الطبع المتوسط الكيس لتصور فكره عن ذلك وعدم اعنياده اياه يقتصر لكل مادة على حكمها وفي كل صنف من الاحوال والاشخاص على ما اخص به ولا يعدي الحكم بقياس ولا تعميم ولا يفارق في اكثر نظره المواد المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه كالسائح لا يفارق الرعد الموج قال الشاعر

فلا توغلن اذا ما سمجت فان السلامة في الساحل

فيكون ماهوناً من النظر في سياسته مستقيم النظر في معاملة ابناء جنسه فيحسن معاشه وتندفع آفاته ومضاره باستقامة نظره وفوق كل ذي علم علم ومن هنا يتبين ان صناعة المطلق غير مأمونة الغلط لكثرة ما فيها من الاتزاع وبعدها عن المحسوس فانها تنظر في المعقولات التواني ولعل المواد فيها ما يمانع تلك الاحكام وينافياها عند مراعاة التطبيق اليقيني واما النظر في المعقولات الاول وهي التي تجر يدها قريب فليس كذلك لانها خيالية وصور المحسوسات حافظة مودنة تصديق اطلاقه والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل السادس والثلاثون

في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم

من العرب الواقع ان حملة العلم في الملة الاسلامية اكثرهم العجم لا من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية الا في القليل النادر وان كان مهم العربي في نسبه فمن عجمي في لغته ومرناه ومشيخته مع ان الملة عربية وصاحب شرعها عربي والسبب في ذلك ان الملة في اولها لم يكن فيها علم ولا صناعة لمقتضى احوال السداجة والندارة واما احكام الشريعة التي هي اوامر الله وبواهيه كان الرجال ينقلونها في صدورهم وقد عرفوا ما اخذها من الكتاب والسنة بما تلقوه من صاحب الشرع واصحابه والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم والتأليف والتدوين ولا دفعوا اليه ولا دعتم اليه حاجة وحرى الامر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بجملة ذلك ونقله القراء اي الذين يقرأون الكتاب وليسوا اميين لان الامية يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عرباً فقيل لحملة القرآن يومئذ قراء اشارة الى هذا فهم قراء لكتاب الله والسنة الماثورة عن الله لانهم لم يعرفوا الاحكام الشرعية الا منه ومن الحديث الذي هو في غالب موارد تفسيره وشرح قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم امرين لئن نصلوا ما تمسك بهما كتاب الله وستني فلما

بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتيج الى وضع التفسير القرآنية وتقييد الحديث  
 مخافة ضياعه تم احتيج الى معرفة الاسانيد وتعديل الناقلين للتمييز بين الصحيح من الاسانيد  
 وما دونه تم كثير استخراج احكام الوقعات من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان  
 فاحتيج الى وضع القوايين النحوية وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباطات  
 والاستخراج والتنظير والقياس واحتاجت الى علوم اخرى وهي الوسائل لها من معرفة قوانين  
 العربية وقوايين ذلك الاستنطاق والقياس والذنب عن العقائد الايمانية بالادلة لكثرة  
 البدع والاتحاد فصارت هذه العلوم كلها علومًا ذات ملكات محتاجة الى التعليم فاندرجت  
 في حملة الصنائع وقد كنا قدما ان الصنائع من متخيل الحصر وان العرب ابعد الناس  
 عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعدها العربية وعن سوقها والحصر لذلك العهد  
 هم العجم او من في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذٍ تبع للعجم في الحصاره  
 واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحصاره الراستخه فيهم مند دولة الارس  
 فكان صاحب صناعة النخوسيبويه والفارسي من بعده والرجاج من بعدهما وكلمهم عجمي في  
 انسابهم وانما روى في اللسان العربي فاكتسبه بالمرى ومخالطة العرب وصيره قوايين  
 وفتاً لمن بعدهم وكذا حملة الحديث الذين حفظوه عن اهل الاسلام اكثرهم عجمي او  
 مستعجمون باللغة والمرى وكان علماء اصول الفقه كلهم عجم كما يعرف وكذا حملة علم  
 الكلام وكذا اكثر المعسرين ولم يقم بجنظ العلم وتدوينه الا الاعاجير وظهر مصداق قوله  
 صلى الله عليه وسلم لوتعلق العلم باكاف السماء لانه قوم من اهل فارس واما العرب  
 الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرحوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة  
 العباسية وما دفعوا اليه من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيه فانهم كانوا اهل  
 الدولة وحامينها واولي سياستها مع ما يلغتهم من الافة عن اتحال العلم حينئذٍ بما صار من  
 جملة الصنائع والروساء ابدأ يستكفون عن الصنائع والمهن وما يجر اليها ودفعوا ذلك الى  
 من قام به من العجم والمولدين وما زالوا يرون لهم حتى القيام به فانه ديهم وعلومهم ولا  
 يحنقون حملتها كل الاحتقار حتى اذا خرج الامر من العرب جملة وصار للعجم صارت  
 العلوم الشرعية غريبة النسبة عند اهل الملك بما هم عليه من البعد عن نسبتها وامتنع  
 حملتها بما يرون انهم بعداء عنهم مشتغلين بما لا يعني ولا يجدي عنهم في الملك والسياسة  
 كما ذكرناه في نقل المراتب الدينية فهذا الذي قررناه هو السبب في ان حملة الشر يعقوان  
 عامتهم من العجم واما العلوم العقلية ايضاً فلم تظهر في الملة الا بعد ان تميز حملة العلم ومولفوه

واستقر العلم كلة صاعة فاخصت بالعمم وتركبها العرب وانصروا عن انتمالها فلم يجعلها الا المعربون من العمم شان الصنائع كما قلناه اولاً فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت المحاصرة في العمم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر فلما خربت تلك الامصار وذهبت منها المحاصرة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العمم جملة لما شملهم من الداوة واخص العلم بالامصار الموقورة المحاصرة ولا اوفر اليوم في المحاصرة من مصرفي ام العالم وابوان الاسلام ويسوع العلم والصنائع وبقي بعض المحاصرة في ما وراء النهر لما هناك من المحاصرة بالدولة التي فيها فلم بذلك حصه من العلوم والصنائع لاتكرو وقد دلنا على ذلك كلام بعض علماءهم في تأليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهن سعد الدين التنتاراني واما غيره من العمم فلم ير لهم من بعد الامام بن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاماً يعول على نهايته في الاصابة فاعند ذلك وتامله تر عمماً في احوال الحليقة والله يخلق ما يشاء لا اله الا هو وحده لا شريك له لة الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله

## الفصل السابع والثلاثون

في علوم اللسان العربي

اركانه اربعة وهي اللغة والنحو والبيان والادب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة اذ ماخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلها من الصحابة والتابعين عرب وشرح مشكلاتها من لغاتهم فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن اراد علم الشريعة وتعمق في التاكيد تتفاوت مراتبها في التوفيق بمقصود الكلام حسبما يتبين في الكلام عليها فافاً والذي يتحصل ان الهم المقدم منها هو النحو اذ به يتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمتمدا من الخبر ولولاه لجهل اصل الافادة وكان من حق علم اللغة التقدم لولا ان اكثر الاوضاع باقية في موضوعاتها لم تغير بخلاف الاعراب الدال على الاساد والمسند والمسند اليه فانه تغير بالجملة ولم يبق له اثر فلذلك كان علم النحوم من اللغة اذ في جهله الاخلال بالتفاهم جملة وليست كذلك اللغة والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

علم النحو

اعلم ان اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني



فلا بد ان تصير ملكة متفرقة في العضو الفاعل لها وهو اللسان وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من الجور اعني المصاف ومثل الحروف التي تنفي بالافعال الى الذوات من غير تكلف الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا في لغة العرب واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم من مخاطباتهم اطول مما نقره بكلام العرب وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختر لي الكلام اختصاراً فصار للحروف في لغتهم والحركات ولهيات اي الاوضاع اعنار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستعيدون ذلك منها اما هي ملكة في السنتم باخذها الاخر عن الاول كما تاخذ صبيانا لهذا العهد لغاتنا فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في ايدي الامم والدول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة مما التي اليها السمع من المخالفات التي للمتغربين والسمع انوا الملكات اللسانية ففسدت بما التي اليها ما يغيرها الجوحها اليه باعنياد السمع وخشي اهل العلوم منهم ان تفسد تلك الملكة راساً ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنطوا من مجاري كلامهم قوايين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر انواع الكلام ويلحقون الاشياء بالاشياء مثل ان الفاعل مرفوع والمنعول منصوب والمبتدا مرفوع ثم راي تغيير الدلالة بتغيير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته اعراضاً وتسمية الموجب لذلك التغيير عاملاً وامثال ذلك وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو واول من كتب فيها ابو الاسود الدؤلي من بني كنانة ويقال ناشارة علي رضي الله عنه لانه راي تغيير الملكة فاشار عليه بجهه فانه فزع الى ضمها بالقوايين المحاصرة المستقرأة ثم كتب فيها الناس من بعده الى ان انتهت الى الخليل بن احمد الفراهيدي ايام الرتيدي احوج ما كان الناس اليها لذهاب تلك الملكة من العرب فذهب الصناعة وكل اوابها واخذها عنه سيبويه فكمل تماريعها واستكثر من ادلتها وشواهدا ووضع فيها كتابة المشهور الذي صار اماماً لكل ما كتب فيها من بعده ثم وضع ابو علي الفارسي وابو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين يحدون فيها حذو الامام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين اهلها في الكوفة والبصرة المصريين النديمين العرب وكثرت الادلة والحجاج بينهم وتباينت

الطرق في التعليم وكثير الاختلاف في اعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار فاخصروا كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وإمثاله واقتصارهم على المبادي للمتعلمين كما فعله الزمخشري في المنصل وابن الحاجب في المقدمة له وربما نظمو ذلك نظماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى وابن معطي في الأرجوزة الالفيه وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من ان تحصى ويحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والكوفيون والبصريون والبغداديون والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة ان توذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصناعات تتناقص العمران ووصل اليها بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه احكام الاعراب مجتمعة ومصلة وتكلم على الحروف والمفردات والمجمل وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر احوالها واسماه بالمعني في الاعراب وأشار الى نكت اعراب القرآن كلها وضبطها بابواب وفصول وقواعد انتظمت سائرهما فوقنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها وكأنه ينمو في طريقته منحاة اهل الموصل الذين اقتنوا اثر ابن جنى واتبعوا مصطلح تعليمه فاتى من ذلك بشئ عجيبي دال على قوة ملكته وإطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء

### علم اللغة

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك انه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند اهل النحو بالاعراب واستنطبت القوايين لحفظها كما قلناه ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى نادى الفساد الى موضوعات الالفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه عددهم ميلاً مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصرح العربية فاحتجج الى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقران والحديث فشر كثير من ائمة اللسان لذلك واملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبة في ذلك الخليل بن احمد الفراهيدي الف فيها كتاب العين فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها من الثنائي والثلاثي والرابعي والخماسي وهو غاية ما ينهي اليه التركيب في اللسان العربي وتأتى له حصر ذلك بوجوه عديدة حاضرة وذلك ان جملة الكلمات الثنائية تخرج من جميع الاعداد على التوالي من

واحد الى سبعة وعشرين وهو دون نهاية حروف المعجم بواحد لان الحرف الواحد منها  
يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني  
مع الستة والعشرين كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن  
والعشرين فيكون واحداً فتكون كلها اعداداً على التوالي العدد من واحد الى سبعة وعشرين  
فتجمع كما هي بالعمل المعروف عند اهل الحساب ثم تضاعف لاجل قلب الثنائي لان  
التقديم والتاخير بين الحروف معتد في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات وتخرج  
الثنائيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من واحد الى ستة وعشرين لان كل ثنائية  
يزيد عليها حرفاً فتكون ثلاثية فتكون الثنائية بمزلة الحرف الواحد مع كل واحد من  
الحروف اللاحقة وهي ستة وعشرون حرفاً بعد الثنائية فتجمع من واحد الى ستة وعشرين  
على التوالي العدد ويضرب فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات  
الكلمة الثلاثية فيخرج مجموع تراكيبيها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي  
فاتحصرت له التراكيبي بهذا الوجه ورتب ابوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف  
واعتمد فيه ترتيب الخارج فدا بحروف الحاق ثم بعده من حروف الحنك ثم الاصراس ثم  
الشفة وجعل حروف العلة اخراً وهي الحروف الهوائية وبدا من حروف الخلق بالعين  
لانه الاقصر منها فذلك سمي كتاباً بالعين لان المتقدمين كانوا يدهون في تسمية دواوينهم  
الى مثل هذا وهو تسميته ناول ما يقع فيه من الكلمات والالفاظ ثم بين المهمل منها من  
المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي اكثر لقلته استعمال العرب لانه ثقيل ولحق به الثنائي  
لقلة دورائه وكان الاستعمال في الثلاثي اغلب فكانت اوضاعه اكثر لدورائه وضمن الخليل  
ذلك كله في كتاب العين واستوعبه احسن استيعاب واوعاه وجاء ابو بكر الريدي وكتب  
لهشام المؤيد بالاندلس في المائة الرابعة فاخصرته مع المحافظة على الاستيعاب وحذف  
مئة المهمل كله وكتبها من شواهد المستعمل ولخصه للفظ احسن تلخيص والفي الجوهري  
من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف لحروف المعجم فجعل الداء منها  
بالهزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الاخير من الكلمة لاضطرار الناس في الاكثر  
الى اواخر الكلم وحصر اللغة اقتداءً بمحصر الخليل ثم الف فيها من الاندلسيين ابن سيده  
من اهل دانية في دولة على بن محاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب وعلى  
نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم ونصارى فيها فجاء من احسن  
الدواوين ولخصه محمد بن ابي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الخنصية

تونس وقلب ترتيبه الى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار او اواخر الكلم و بناء التراجم عليها فكانا نواحي رحم وسليبي انوة هذه اصول كتب اللغة فيما علمناه وهناك مختصرات اخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الابواب او لكلمها الا ان وجه المحصر فيها خفي ووجه المحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رايت ومن الكتب الموضوعه ايضاً في اللغة كتاب الرمحشري في المجاز بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الالفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الافادة ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العومر ثم تستعمل في الامور الخاصة الالفاظ اخرى خاصة بها فوق ذلك عندما بين الوضع والاستعمال واحتاج الى فقه في اللغة عزيز الماخذ كما وضع الابيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اخنص ما فيه بياض من الخيل بالاشهب ومن الاسان بالاهر ومن الغنم بالاملح حتى صار استعمال الابيض في هذه كلها لحناً وخروجاً عن لسان العرب واخص بالتايليف في هذا المنحى الثعالي وافرده في كتاب له سماه فقه اللغة وهو من اكد ما ياخذ به اللغوي نفسه ان يحرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الاول بكاف في الترتيب حتى يشهد له استعمال العرب لذلك واكثر ما يحتاج الى ذلك الاديبي في فني نظمه وثره حذراً من ان يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها وهواشد من اللحن في الاعراب والفحش وكذلك الف بعض المتأخرين في الالفاظ المشتركة وتكفل بحصرها وان لم تبلغ الى النهاية في ذلك فهو مستوعب للاكثر واما المختصرات الموجودة في هذا الفن المخصوصة بالمتداول من اللغة الكثير الاستعمال تسهيلاً لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الالفاظ لاس السكيت والفصيح اشعلب وغيرها وبعضها اقل لغة من بعض لاختلاف نظرهم في الهم على الطالب للحفظ والله المخلق العليم لارب سواه

### علم البيان

هذا العلم حادث في الملة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم اللسانية لانه متعلق بالالفاظ وما تنبده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك ان الامور التي يقصد المتكلم بها افادة السامع من كلامه هي اما تصور مفردات تسند ويسند اليها ويقضي بعضها الى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الاسماء والافعال والحروف واما تمييز المسندات من المسند اليها والازمنة وبدل عليها بتغير الحركات من الاعراب وانبية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو وبقى من الامور المكتتفة بالواقعات المحتاجة للدلالة احوال المخاطبين او الفاعلين وما يقتضيه حال المعمل وهو محتاج الى الدلالة عليه لانه من تمام الافادة واذا

حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الافادة في كلامه واذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس  
 كلام العرب فان كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يخص به بعد كمال الاعراب  
 والامانة الا ترى ان قولهم زيد جاءني مغاير لقولهم جاءني زيد من قول ان المتقدم منها هو  
 الاثم عند المتكلم من قال جاءني زيد افاد ان اهتمامه بالهجي قبل الشخص المسند اليه  
 ومن قال زيد جاءني افاد ان اهتمامه بالشخص قبل الهجي المسند وكذا التعبير عن اجراء  
 الجملة بما يناسب المقام من موصول او مبهم او معرفة وكذا تأكيد الاسناد على الجملة  
 كقولهم زيد قائم وان زيدا قائم وان زيدا قائم متغايرة كلها في الدلالة وان استوت من طريق  
 الاعراب فان الاول العاري عن التأكيد انما يفيد الخالي الذهن والثاني المؤكد بان يفيد  
 المتردد والثالث يفيد المنكر فهي مختلفة وكذلك تقول جاءني الرجل ثم نقول مكانه عينه جاءني  
 رجل اذا قصدت بذلك التنكير تعظيمه وانه رجل لا يعادله احد من الرجال ثم الجملة الاسنادية  
 تكون خبرية وهي التي لها خارج تطاقت اولاً ونسائية وهي التي لا خارج لها كالطلب  
 وانواعه ثم قد يتعين ترك العاطف بين الجملتين اذا كان للثانية محل من الاعراب  
 فيشرك بذلك منزلة التابع المفرد بعثاً وتوكيداً وبدلاً بلا عطف او يتعين العطف اذا لم  
 يكن للثانية محل من الاعراب ثم يقتضي المحل الاطناب والايجاز فيورد الكلام عليهما ثم قد  
 يدل باللفظ ولا يريد منطوقه ويريد بالضرورة ان كان مفرداً كما بقول زيد اسد فلا تريد حقيقة  
 الاسد المنطوقه وانما تريد شجاعته اللازمة وتسندها الى زيد وتسمى هذه استعارة وقد تريد باللفظ  
 المركب الدلالة على ملزومه كما تقول زيد كثير الرماد وتريد به ما لزم ذلك عنه من  
 الجود وقرى الضيف لان كثرة الرماد ناشئة عنها فهي دالة عليها وهذه كلها دلالة زائدة  
 على دلالة الالفاظ المفرد والمركب وانما هي هيات واحوال الواقعة جعلت للدلالة عليها  
 احوال وهيات في الالفاظ كلياً بحسب ما يقتضيه مقامه فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان  
 على البحث عن هذه الدلالة التي لهيات والاحوال والمقامات وجعل على ثلاثة اصناف  
 الصنف الاول يبحث فيه عن هذه الهيات والاحوال التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات  
 الحال ويسمى علم البلاغة والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه  
 وهي الاستعارة والكتابة كما قلناه ويسمى علم البيان والمحفل بهما صنف اخر وهو النظري  
 تربين الكلام وتحسينه بنوع من التتميق اما بسبع بفضلة او تجنيس يشابه بين الفاظه او  
 ترصيع يقطع اوزانه او تورية عن المعنى المنصود بايهام معني اخفى منه لاشترك اللفظ بينهما  
 وامثال ذلك ويسمى عندهم علم البديع واطلق على الاصناف الثلاثة عند المحدثين اسم

البيان وهو اسم الصنف الثاني لان الاقدمين اول ما تكلموا فيه ثم تلاحت مسائل الفن  
 واحدة بعد اخرى وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم املاءات غير وافية  
 فيها ثم تنزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً الى ان محص السكاكي زبدته وهذب مسائله  
 ورتب ابوابه على نحو ما ذكرناه انفاً من الترتيب والى كتابه المسمى بالمتاح في النحو  
 والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من بعض اجزائه واخذ المتأخرون من كتابه ولحصول  
 منه امهات هي المتداوله لهذا العهد كما فعله السكاكي في كتاب التبيان وابن مالك في كتاب  
 المصباح وجلال الدين القزويني في كتاب الايضاح والتلخيص وهو اصغر حجماً من  
 الايضاح والعناية به لهذا العهد عند اهل المشرق في الشرح والتعليم منه اكثر من غيره  
 وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن اقوم من المغاربة وسببه والله اعلم انه كالمي في العلوم  
 اللسانية والصنائع الكالمية توجد في العمران والمشرق او فرعوناً من المغرب كما ذكرناه او  
 نقول لعناية العجم وهم معظم اهل المشرق كتفسير الزمخشري وهو كله مبني على هذا الفن  
 وهو اصله واما اختصاص باهل المغرب من اصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم  
 الادب الشعرية وفرعوا له الفاناً واعدوا ابواباً ونوعوا ابواباً وزعموا انهم احصوها من  
 لسان العرب واما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وان علم البديع سهل المآخذ  
 وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة انظارها وغموض معانيها فنجافوا عنها ومن  
 الف في البديع من اهل افريقية ابن رشيق وكتاب العمدة له مشهور وجري كثير من  
 اهل افريقية والاندلس على مناه واعم ان ثمره هذا الفن انما هي في فهم الاعجاز من القرآن  
 لان اعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الاحوال منطوقة ومفهومة وهي اعلى مراتب  
 الكلام مع الكمال فيما يختص بالالفاظ في انتقائها ووحدة رصنها وتركيبها وهذا هو الاعجاز  
 الذي نقصر الافهام عن دركه واما يدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بخالطة اللسان  
 العربي وحصول ملكته فيدرك من اعجازه على قدر ذوقه فلماذا كانت مدارك العرب  
 الذين سمعوه من مبلغه اعلى مقاماً في ذلك لانهم فرسان الكلام وجهانته والذوق عندهم  
 موجود باوفر ما يكون واصحها واحوج ما يكون الى هذا الفن المنسرون واكثر تفاسير  
 المتقدمين غفل عنه حتى ظهر جارا الله الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتبع آي القرآن  
 باحكام هذا الفن بما يدي البعض من اعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير لولا  
 انه بويد عقائد اهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجوه البلاغة ولاجل هذا يتحماه  
 كثير من اهل السنة مع وفور بضاعه من البلاغة فمن احكم عقائد السنة وشارك في هذا

الفن بعض المشاركة حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه او يعلم انه بدعة فيعرض عنها ولا نصر في معتقده فانه يتعين عليه النظر في هذا الكتاب للظفر بشي من الاعجاز مع السلامة من البدع والاهواء والله الهادي من يشاء الى سواء السبيل

### علم الادب

هذا العلم لا موصوع له يظفر في اثبات عوارضه او فيها وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته وهي الاجادة في فني المظوم والمثور على اساليب العرب ومناحيهم فيجربون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالى الطمقة وسجع متساو وفي الاجادة ومساائل من اللغة والنحو مشوثة اتناء ذلك متفرقة يستفري منها الناظر في الغالب معظم قوايس العربية مع ذكر بعض من ايام العرب بهم به ما يقع في اشعارهم منها وكذلك ذكر المهم من الاسباب الشهيرة والاخبار العامة والمقصود بذلك كله ان لا يخفى على الناظر فيو تسي من كلام العرب واساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصحها لانه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه ثم انهم اذا ارادوا احد هذا الفن قالوا الادب هو حفظ اشعار العرب واخبارها والاخذ من كل علم يظرف يريدون من علوم اللسان او العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث اذا لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب الا ما ذهب اليه المتأخرون عند كلهم بصناعة البدع من التورية في اشعارهم وترسلهم بالاصطلاحات العلمية فاحتاج صاحب هذا الفن حينئذ الى معرفة اصطلاحات العلوم ليكون قائماً على فهمها وسمعتها من شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي ادب الكاتب لان قتيبة وكتاب الكامل المبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القاسمي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع عنها وكتب المحدثين في ذلك كثيرة وكان الغناء في الصدر الاول من اجراء هذا الفن لما هو تاع للشعر اذ الغناء انما هو تلحينه وكان الكتاب والفضلاء من الخواص في الدولة العباسية ياخذون انفسهم به حرصاً على تحصيل اساليب الشعر وفنونه فلم يكن انحالة قادحاً في العدالة والمرؤة وقد الف القاضي ابوالفرج الاصبهاني وهو ما هو كتابة في الاغانى جمع فيه اخبار العرب واشعارهم وانسابهم وابامهم ودولهم وجعل مناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد فاستوعب فيه ذلك اتم استيعاب ووفاء ولعمري انديوان العرب وجامع استنات المحاسن التي سلنت لهم في كل فن من فنون الشعر والنارنج والغناء وسائر الاحوال ولا

يعدل به كتاب في ذلك فيما تعلمه وهو الغاية التي يسمو اليها الاديب ويقف عندها وان لم يله بها ونحن الان نرجع بالتحقيق على الاجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان والله الهادي للصواب

## الفصل الثامن والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

اعلم ان اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة اذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة او نقصانها وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب فاذا حصلت الملكة النامة في تركيب الالفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التاليف الذي يطبق الكلام على مفضى الحال بلغ المتكلم حينئذ الغاية من افادة مقصوده للسامع وهذا هو معنى البلاغة والملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال لان الفعل يقع اولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً ومعنى الحال انها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فنكون ملكة اي صفة راسخة فالتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام اهل جيلها واسا ليهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معابها فيلقنها اولاً ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال ساعهم لذلك فيجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر الى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كاحدهم هكذا نصيرت الالسن واللغات من جيل الى جيل وتعلمها العجم والاطفال وهذا هو معنى ما نقوله العامة من ان اللغة للعرب بالطبع اي بالملكة الاولى التي اخذت عنهم ولم ياخذوها عن غيرهم ثم انه لما فسدت هذه الملكة لمصر بمخالطتهم الاعاجم وسبب فسادها ان الناسي من الجليل صار يسمع في العبارة عن المقاصد كيفيات اخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب فيعبر بها عن مقصوده لكثرة المحالطين للعرب من غيرهم ويسمع كيفيات العرب ايضاً فاخيل على الامر واخذ من هذه وهذه فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الاولى وهذا معنى فساد اللسان العربي ولهذا كانت لغة قريش افصح اللغات العربية واصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم من اكتنفتهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وني كمانه وغطفان وني اسد وني نيم واما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وباد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لامم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم نامة الملكة بمخالطة الاعاجم وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم



في الصحة والفساد عند اهل الصناعة العربية والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق

## الفصل التاسع والثلاثون

في ان لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغايرة للغة مضر وحمير

وذلك انا نجدها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سنن اللسان المضري ولم يفقد منها الا دلالة الحركات على تعيين الفاعل من المنفعل فاعناضاً منها بالتقديم والتأخير وبقراءات تدل على خصوصيات المقاصد الا ان البيان والبلاغة في اللسان المضري اكثر واعرف لان الالفاظ باعياها دالة على المعاني باعياها وبقي ما تقتضيه الاحوال ويسمى بساط الحال محتاجاً الى ما يدل عليه وكل معنى لا بد وان تكنفه احوال تخصه فيجب ان تعتبر تلك الاحوال في تادية المقصود لانها صفاته وتلك الاحوال في جميع الالسن اكثر ما يدل عليها بالفاظ تخصها بالوضع واما في اللسان العربي فانما يدل عليها باحوال وكيفيات في تراكيب الالفاظ وتاليها من تقديم او تأخير او حذف او حركة اعراب وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة ولذلك تفاوتت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك الكيفيات كما قدمناه فكان الكلام العربي لذلك اوجز واقل الفاظاً وعبارة من جميع الالسن وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واخصر لي الكلام اخضراراً واعتبر ذلك بما يحكي عن عيسى بن عمر وقد قال لهُ بعض النحاة ابي اجد في كلام العرب تكراراً في قولهم زيد قائم وان زيداً قائم وان زيداً قائم والمعنى واحد فقال لهُ ان معانيها مختلفة فالاول لافادة الخالي الذهن من قيام زيد والثاني لمن سمعه فانكره والثالث لمن عرف بالاصرار على انكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الاحوال وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد ولا تلتفتن في ذلك الى خرفشة النحاة اهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت وان اللسان العربي فسد اعتباراً بما وقع واخر الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم والقاهها القصور في افئدتهم والافئتن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تنزل في موضوعاتها الاولى والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الابانة موجود في كلامهم لهذا العهد واساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم وفهم الخطيب المصنع في محافلهم ومجامعهم والشاعر المقل على اساليب لغتهم والذوق الصحيح والطبع السليم

شاهدان بذلك ولم يفقد من احوال اللسان المدون الاحركات الاعراب في اواخر  
الكلم فقط الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة ومهيبة معروفاً وهو الاعراب وهو بعض  
من احكام اللسان وانما وقعت العناية بلسان مصر لما فسد بمخالطتهم الاعاجم حين استولوا  
على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب وصارت ملكته على غير الصورة التي كانت  
اولاً فانقلب لغة اخرى وكان القرآن منتزلاً به والحديث النبوي مقولاً بلغته وهما اصلا  
الدين والملة فحشي تناسبها وانغلاق الافهام عنها بفقدان اللسان الذي تنزلا به فاحتجج الى  
تدوين احكامه ووضع مقايسه واستنطاق قوايينه وصار علماً ذا فصول وابواب ومقدمات  
ومسائل ساء اهله تعلم النحو وصناعة العربية فاصبح فناً محفوظاً وعلماً مكتوناً وسماً الى فهم  
كتاب الله وسنة رسوله وافياً وعلماً لو اعدينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقر بنا  
احكامه نعمناض عن الحركات الاعرابية في دلالتها بامور اخرى موجودة فيه تكون لها  
قوايين تخصها ولعلها تكون في اواخره على غير المنهاج الاول في لغة مضر فليست اللغات  
وملكاتها محاناً ولقد كان اللسان المصري مع اللسان الحميري بهذه المثابة وتغيرت عند  
مصر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف كلماته تشهد بذلك الاقال الموجودة  
لدينا خلافاً لمن يحمله الفصور على انها لغة واحدة وبتنيس اجراء اللغة الحميرية على  
مقاييس اللغة المصرية وقوايينها كما يزعم بعضهم في اشتقاق القيل في اللسان الحميري انه  
من القول وكثير من اشباه هذا وليس ذلك بالصحيح ولغة حمير لغة اخرى مغايرة للغة مصر  
في الكثير من اوضاعها وتصاريفها وحركات اعرابها كما هي لغة العرب العهدنا مع لغة مصر  
الا ان العناية بلسان مصر من اجل الشريعة كما قلناه حمل ذلك على الاستنباط والاستقراء  
وليس عهدنا لهذا العهد ما يحملنا على مثل ذلك ويدعوننا اليه وما وقع في لغة هذا الجيل  
العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شانهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون  
بها من مخرج القاف عند اهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انه من اقصى  
اللسان وما فوقه من المحك الاعلى وما ينطقون بها ايضاً من مخرج الكاف وان كان  
اسهل من موضع القاف وما يليه من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين  
الكاف والقاف وهو موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق حتى صار ذلك  
علامة عليهم من بين الامم والاجيال محضاً بهم لا يتساركون فيها غيرهم حتى ان من يريد  
التعرب والاتساب الى الجيل والدخول فيه يحاكيهم في النطق بها وعدمه انه انما يتميز  
العربي الصريح من الدخيل في العروبية والحصري بالنطق بهذه القاف ويظهر بذلك

انها لغة مصر بعينها فان هذا الجيل الباقيين معظمهم وروسائهم شرقاً وغرباً في ولد منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن سليمة بن منصور ومن بني عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور وهم لهذا العهد اكثر الامم في المعمور واعلمهم وهم من اعقاب مضر وسائر الجيل منهم في النطق بهذه القاف اسوة وهذه اللغة لم يتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر من ذلك انها لغة مصر الاولين ولعلها لغة النبي صلى الله عليه وسلم بعينها قد ادعى ذلك فقهاء اهل البيت وزعموا ان من قرأ في ام القرآن اهدانا الصراط المستقيم غير القاف التي لهذا الجيل فقد لحن وافسد صلاته ولم ادر من اين جاء هذا فان لغة اهل الامصار ايضاً لم يستحدثوها وانما تناقلوها من لدن سلفهم وكان اكثرهم من مضر لما نزلوا الامصار من لدن الفتح واهل الجيل ايضاً لم يستحدثوها الا انهم اعدوا مخالطة الاعاجم من اهل الامصار فهذا يرجح فيما يوجد من اللغة لديهم انه من لغة سلفهم هذا مع اتفاق اهل الجيل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها وانها المحاصية التي يتميز بها العربي من العجمي والحضري فتنهم ذلك والله الهادي المبين

### الفصل الرابعون

في ان لغة اهل الحضر والامصار لغة قائمة بنفسها للغة مصر

اعلم ان عرف التخاطب في الامصار وبين الحضري لغة مضر القديمة ولا بلغة اهل الجيل بل هي لغة اخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مصر وعن لغة هذا الجيل العربي الذي لعهدنا وهي عن لغة مصر اعد فاما انها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر يشهد له ما فيها من التغاير الذي يعد عند ساعة اهل النحولحاً وهي مع ذلك تختلف باختلاف الامصار في اصطلاحاتهم فالغة اهل المشرق ماينة بعض الشيء للغة اهل المغرب وكذا اهل الاندلس معها وكل مهم متوصل بلغته الى تادية مقصوده والابانة عما في نفسه وهذا معنى اللسان واللغة وفقدان الاعراب ليس بصائرهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد واما انها اعد عن اللسان الاول من لغة هذا الجيل فلان البعد عن اللسان اما هو بمخالطة العجمية فمن خالط العجم اكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الاصلي ابعد لان الملكة اما تحصل بالتعليم كما قلناه وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الاولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم فعلى مقدار ما يسمعون من العجم ويرنون عليه يعدون عن الملكة الاولى واعتبر ذلك في امصار افريقية والمغرب والاندلس والمشرق اما افريقية والمغرب

فخالطت العرب فيها العرارة من العجم بوفور عمرانها بهم ولم يكذب مخلوعهم مصر ولا  
 جيل فغلبيت العمجة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم وصارت لغة اخرى ممتزجة  
 والعمجة فيها اغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الاول اعد وكذا المشرق لما غلب العرب  
 على اعمه من فارس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم في الاكرة والنلاحين والسبي  
 الذين اتخذوهم خولاً ودايات واظناراً ومراضع ففسدت لغتهم نفساد الملكة حتى انقلبت  
 لغة اخرى وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلالفة والافرنجة وصار اهل الامصار كلهم من  
 هذه الاقاليم اهل لغة اخرى مخصوصة بهم تحالف لغة مصر ويخالف ايضاً بعضهم بعضاً  
 كما ذكره وكأنة لغة اخرى لاستحكام ملكتها في اجيالهم والله يخلق ما يشاء ويقدر

### الفصل الحادي والاربعون

في تعليم اللسان المصري

اعلم ان ملكة اللسان المصري لهذا العهد قد ذهبت وفسدت ولغة اهل الجبل كلهم  
 مغايرة للغة مصر التي برل بها القران وانما هي لغة اخرى من امتزاج العمجة بها كما قدمناه  
 الا ان اللغات لما كانت ملكات كما مر كان تعلمها ممكناً شان سائر الملكات ووجه التعليم  
 لمن ينبغي هذه الملكة ويروم تحصيلها ان ياخذ بنسبة يحفظ كلامهم القديم الجاري على  
 اساليبهم من القران والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اصباحهم واشعارهم  
 وكلمات المولدين ايضاً في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمثور  
 منزلة من نشأ بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في  
 ضميره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من اساليبهم وترتيب  
 الفاظهم فحصل له هذه الملكة بهذا المحفظ والاستعمال ويزداد بكثرتهما رسوخاً وقوة  
 ويحتاج مع ذلك الى سلامة الطبع والتفهم الحسن لمنازع العرب واساليبهم في التراكيب  
 ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الاحوال والذوق يشهد بذلك وهو ينشأ ما بين  
 هذه الملكة والطبع السليم فيها كما نذكر وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون حودة  
 المقول المصنوع نظماً ونثراً ومن حصل على هذه الملكات فقد حصل على لغه مصر وهو الناقد  
 الصيرر بالبلادة فيها وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها والله يهدي من يشاء يوصله وكرمه

### الفصل الثاني والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفية لانفس كيفية فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ولا يحكمها عملاً مثل ان يقول بصير بالخياطة غير محكم لملكته في التعبير عن بعض انواعها الخياطة هي ان يدخل الخيط في خرت الابرة ثم يغرزها في لثقي الثوب مجنمين ويخرجها من الجانب الاخر بمقدار كذا ثم يردها الى حيث ابتدأت ويخرجها قدام منفذها الاول به طرح ما بين الثقبين الاولين ثم يتأدى على ذلك الى اخر العمل ويعطي صورة الحبك والتنبيت والتفتيح وسائر انواع الخياطة واعمالها وهو اذا طوب ان يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً وكذا لو سئل عالم بالتجارة عن تفصيل الخشب فيقول هو ان تصع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه واخر قبالتك ممسك بطرفه الاخر وتعاقبه بيكاً وإطرافه المرسسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائبة الى ان ينتهي الى اخر الخشبة وهو لو طوب بهذا العمل او شي منه لم يحكمه وهكذا العلم بقوانين الاعراب مع هذه الملكة في نفسها فان العلم بقوانين الاعراب انما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل ولذلك نجد كثيراً من جهانذة النخاة والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين اذا سئل في كتابه سطرين الى اخيه او ذي مودته او شكوى ظلامته او قصد من قصوده اخطأ فيها عن الصواب وأكثر من اللبس ولم يجد تاليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود على اساليب اللسان العربي وكذا نجد كثيراً ممن يحس هذه الملكة ويحيد الفنين من المظوم والمشور وهو لا يحس اعراب الفاعل من المفعول ولا المرفوع عن المجرور ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية من هذا تعلم ان تلك الملكة هي غير صناعة العربية وإنما مستغنية عنها بالجملة وقد نجد بعض المهرة في صناعة الاعراب بصيراً بحال هذه الملكة وهو قليل واتقاني وأكثر ما يقع المخالطين لكتاب سيبويه فإنه لم يقتصر على قوانين الاعراب فقط بل ملأ كتابه من امثال العرب وشواهد اشعارهم وعباراتهم فكان فيه حراء صالح من تعليم هذه الملكة فتعد العاكف عليه والمحصل لة قد حصل على حظ من كلام العرب واندرج في محموله في اما كره ومماصل حاجاته وتنبه به لسان الملكة واستوفى تعليلها فكان ابلغ في الافادة ومن هولاء المخالطين لكتاب سيبويه من يغفل عن التفتن لهذا فيحصل على علم اللسان صناعة ولا يحصل عليه ملكة واما المخالطون لكتاب المتأخرين العارفة عن ذلك الا من القوانين النحوية محردة عن اشعار العرب وكلامهم فقل ما يشعرون لذلك بامر هذه الملكة او ينتبهون لسانها فنجدهم

يحسبون انهم قد حصلوا على رتبة في لسان العرب وهم ابعد الناس عن اهل صناعة العربية بالاندلس ومعلومها اقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم لقيامهم فيها على شواهد العرب وامثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم فيسبق الى المبتدى كثير من الملكة اثناء التعليم فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها واما من سواهم من اهل المغرب وافريقية وغيرهم فاجروا صناعة العربية بمجرى العلوم مجتأ وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب الا ان اعرابوا شاهداً او رجحوا مذهباً من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه فاصبحت صناعة العربية كماها من جملة قوايين المطلق العقلية او الجدل وبعدت عن ساحي اللسان وملكتها وما ذلك الا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز اساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم فهو احسن ما تفيده الملكة في اللسان ونلك القوايين انما هي وسائل للتعليم لكنهم اجروها على غير ما قصد بها واصاروها علماً مجتأ وبعدوا عن ثمرتها ونعلم ما قررناه في هذا الباب ان حصول ملكة اللسان العربي انما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرسم في خياله الموالم الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسخ هو عليه ويتزل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم حتى حصلت له الملكة المستقرة في العارة عن المقاصد على نحو كلامهم والله مقدر الامور كلها والله اعلم بالغيب

### الفصل الثالث والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل عالة المستعربين من العم اعلم ان لفظه الذوق يتداولها المعتنون بنون البيان ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان وقد مر تفسير البلاغة وانها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه بخواص تقع للتراكيب في افادة ذلك فالمتكلم بلسان العرب والذليغ فيه يتجوى الهية الميدة لذلك على اساليب العرب وانحاء مخاطباتهم ويظم الكلام على ذلك الوجه جهده فاذا اتصلت مقاماته بمخالطة كلام العرب حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه وسهل عليه امر التركيب حتى لا يكاد يخوفه غير معنى البلاغة التي للعرب وان سمع تركيباً غير جار على ذلك المخي مجه وباعنة سمعه بادنى فكر بل وغير فكر الا بما استناد من حصول هذه الملكة فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلت لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغنلين ممن لم يعرف شان الملكات ان الصواب للعرب في

لغتهم اعرافاً و بلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسمت فظهرت في بادي الرأي انها جبلية وطبع وهذه المملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنتجها اهل صناعة اللسان فان هذه القوانين انما تنفيذ علمياً بذلك اللسان ولا تنفيذ حصول المملكة بالفعل في محلها وقد مر ذلك وإذا تقرر ذلك فملكه البلاغة في اللسان تهدي البليغ الى وجود النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم ولورام صاحب هذه المملكة جيداً عن هذه السبل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه ولا وافقه عليه لسانه لانه لا يعتاده ولا تهديه اليه ملكته الراسخة عنده وإذا عرض عليه الكلام حائداً عن اسلوب العرب و بلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه ومجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك كما تصع اهل القوانين النحوية والسانية فان ذلك استدلال بما حصل من القوانين المفاداة بالاستقراء وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم ومثاله لو فرضنا صياً من صيائهم نشأ وربي في جيلهم فانه يتعلم لغتهم ويحكم شان الاعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها وليس من العلم القانوني في شيء وإنما هو محصول هذه المملكة في لسانه ونطقه وكذلك تحصل هذه المملكة لمن بعد ذلك الجيل بمجرد كلامهم واشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك بحيث يحصل المملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وربي بين اجيالهم والقوانين بمعزل عن هذا واستعير لهذه المملكة عند ما ترسخ وتستقر اسم الذوق الذي اصطلح عليه اهل صناعة البيان وإنما هو موضوع لادراك الطعوم لكن لما كان محل هذه المملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لادراك الطعوم استعير لها اسمها وايضاً فهو وجداني اللسان كما ان الطعوم محسوسة له فليل له ذوق وإذا تبين لك ذلك علمت منه ان الاعاجم الداخلين في اللسان العربي الطارئين عليه المضطربين الى النطق به لخالطة اهلهم كالفرس والروم والترك بالمشرق والبربر بالمغرب فانه لا يحصل لهم هذا الذوق لقصور حظهم في هذه المملكة التي قررنا امرها لان قصارهم بعد طائفة من العروسق ملكة اخرى الى اللسان وهي لغاتهم ان يعتوا بما يتداوله اهل مصر بينهم في المحاورة من مهرد ومركب لما يضطرون اليه من ذلك وهذه المملكة قد ذهبت لاهل الامصار وبعدها عنها كما تقدم وانما لم في ذلك ملكة اخرى وليست هي ملكة اللسان المطلوبة ومن عرف تلك المملكة

من القوانين المسطرة في الكتب فليس من تحصيل الملكة في شيء انما حصل احكامها كما  
عرفت وانما تحصل هذه الملكة بالممارسة والاعتياد والتكرار لكلام العرب فان عرض لك  
ما تسمعه من ان سيبويه والفارسي والزمخشري وامثالهم من فرسان الكلام كانوا اعجاباً مع  
حصول هذه الملكة لهم فاعلم ان اولئك القوم الذين تسمع عنهم انما كانوا عجباً في نسبهم فقط  
واما المرابي والشاة فكانت بين اهل هذه الملكة من العرب ومن تعلمها منهم فاستولوا بذلك  
من الكلام على غاية لا وراءها وكانهم في اول نشأتهم من العرب الذين نشأوا في اجيالهم  
حتى ادركوا. كنه اللغة وصاروا من اهلها فهم وان كانوا عجباً في النسب فليسوا باعجاب في  
اللغة والكلام لانهم ادركوا الملة في عنفوانها واللغة في شبابها ولم تذهب اثار الملكة ولا  
من اهل الامصار ثم عكفوا على الممارسة والمداينة لكلام العرب حتى استولوا على غايته  
واليوم الواحد من العم اذا خالط اهل اللسان العربي بالامصار فاول ما يجد تلك  
الملكة المقصودة من اللسان العربي معجبة الانار ويجد ملكتهم الخاصة بهم ملكة اخرى  
مخالفة لملكة اللسان العربي ثم اذا فرضنا انه اقبل على الممارسة لكلام العرب واشعارهم  
بالمداينة والحفظ يستفيد تحصيلها فقل ان يحصل له ما قدمناه من ان الملكة اذا سبقتها  
ملكه اخرى في المحل فلا تحصل الا ناقصة مخدوشة وان فرضنا عجباً في النسب سلم من  
مخالطة اللسان العجمي بالكلية وذهب الى تعلم هذه الملكة بالمداينة فر بما يحصل له ذلك  
لكنه من التدور بحيث لا يخفى عليك بما تقرر وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين  
البيانية حصول هذا الدوق له بها وهو غلط او مغالطة وانما حصلت له الملكة ان حصلت في  
تلك القوانين البيانية وليست من ملكة العبارة في شيء والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

### الفصل الرابع والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية التي تستعاد  
بالتعليم ومن كان منهم اعد عن اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر  
والسبب في ذلك ما يسبق الى المتعلم من حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة بما  
سبق اليه من اللسان الحضري الذي افادته العجبة حتى نزل اهلها اللسان عن ملكته الاولى  
الى ملكة اخرى هي لغة المحصر لهذا العهد ولهذا نجد المعلمين يذهبون الى المسابقة بتعليم  
اللسان للولدان وتعتقد النخاة ان هذه المسابقة بصناعتهم وليس كذلك وانما هي تعليم هذه  
الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب نعم صناعة النحواقرب الى مخالطة ذلك وما كان



من لغات اهل الامصار اعرق في العجمة وابتعد عن لسان مضر قصر بصاحبه عن تعلم  
اللغة المضرية وحصول ملكتها لتمكن المنافاة حينئذٍ واعتد ذلك في اهل الامصار فاهل  
افريقية والمغرب لما كانوا اعرق في العجمة وابتعد عن اللسان الاول كان لهم قصور تام  
في تحصيل ملكته بالتعليم ولقد نقل ابن الرقيق ان بعض كتاب القيروان كتب الى  
صاحب له ياخي ومن لا عدت ففده اعلمني ابو سعيد كلاماً انك كنت ذكرت انك  
تكون مع الذين تاتي وعاقنا اليوم فلم يتهبا لنا الخروج واما اهل المنزل الكلاب من امر  
الشيئ فقد كذبوا هذا باطلاً ليس من هذا حرفاً واحداً وكتاني اليك وانا مستاق اليك  
ان شاء الله وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري شبيه ما ذكرنا وكذلك اشعارهم كانت  
بعيدة عن الملكة نازلة عن الطنقة ولم تزل كذلك لهذا العهد ولهذا ما كان نافرقة من  
مشاهير الشعراء الا ابن رشيق وابن شرف واكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها  
ولم تزل طفتهم في البلاغة حتى الان مائلة الى القصور واهل الاندلس اقرب منهم الى  
تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماً وثرّاً وكان  
فيهم ابن حبان المورخ امام اهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الراية لم فيها وابن عدريه  
والقسطلي وامثالهم من شعراء ملوك الطوائف لما رخرت فيها بحار اللسان والادب  
وتداول ذلك فيهم مئين من السنين حتى كان الانقراض والجللاء ايام تغلب النصرانية  
وشغلوا عن تعلم ذلك وتناقص العمران فنناقص ذلك شان الصنائع كلها فقصرت الملكة  
فيهم عن شأها حتى بلغت الحضيض وكان من اخرهم صالح بن شريف ومالك بن مرحل  
من تليد الطنقة الاشيبين بسبته وكتاب دولة ابن الاحمر في اولها والقت الاندلس  
افلاذ كدها من اهل تلك الملكة بالجللاء الى العدو لعدوة الاشيبية الى سبته ومن  
شرق الاندلس الى افريقية ولم يلبثوا الى ان انقرضوا وانقطع سند تعليمهم في هذه الصناعة  
لعسر قبول العدو لها وصعوبتها عليهم يعوج السنتم ورسوخهم في العجمة البربرية وهي  
منافية لما قناه تم عادت الملكة من بعد ذلك الى الاندلس كما كانت ونجم بها ابن بشرين  
وابن جاسروان الجباب وطبقتم ثم ابراهيم الساحلي الطريحي وطبقته وقناه ابن الخطيب  
من بعدهم الهالك لهذا العهد شهيداً بسعاية اعدائهم وكان له في اللسان ملكة لا تدرك  
واتع اثره تليده وبالجمله فشان هذه الملكة بالاندلس اكثر وتعليمها ايسر واسهل  
بما هم عليه لهذا العهد كما قدمناه من معانة علوم اللسان ومحافظتهم عليها وعلى علوم الادب  
وسند تعليمها ولان اهل اللسان العجمي الذين تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست

عجمتهم اصلاً للغة اهل الاندلس والبربر في هذه العدة وهم اهلها ولسانهم لسانها الا في  
 الامصار فقط وهم فيها منغمسون في بحر عجمتهم ورسالتهم البربرية فيصعب عليهم تحصيل  
 الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف اهل الاندلس واعند ذلك مجال اهل المشرق لعهد  
 الدولة الاموية والعباسية فكان شأنهم شأن اهل الاندلس في تمام هذه الملكة واجادتها  
 لعدم ذلك العهد عن الاعاجم ومخالطتهم الا في القليل فكان امر هذه الملكة في ذلك  
 العهد اقوم وكان فحول الشعراء والكتاب او فرلتوفر العرب وابنائهم بالمشرق وانظروا  
 اشتمل عليهم كتاب الاعاجي من نظهم وبنهم فان ذلك الكتاب هو كتاب العرب  
 وديوانهم وفيه لغتهم واخبارهم وابانهم وملتهم العربية وسيرتهم واثار خلفائهم وملوكهم  
 واشعارهم وغناؤهم وسائر مغايبهم له فلا كتاب اوعب منه لاحوال العرب وفي امر هذه  
 الملكة مستحكما في المشرق والدولتين وربما كانت فيهم المبلغ من سواهم من كان في  
 الجاهلية كما ذكره بعد حتى تلاتى امر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى امرهم  
 ودولتهم وصار الامر للاعاجم والملك في ايديهم والتغلب لهم وذلك في دولة الديلم والسجوقية  
 وخالطوا اهل الامصار والحواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكته وصار متعلمها  
 منهم مقصراً عن تحصيلها وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور وان  
 كانوا مكثرين منه والله يخلق ما يشاء ويختار والله سبحانه وتعالى اعلم وبه التوفيق لارب سواه

### الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر

اعلم ان لسان العرب وكلامهم على فنين في الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المفنى  
 ومعناه الذي تكون اوزانه كلها على روي واحد وهو القافية وفي النثر وهو الكلام غير  
 الموزون وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام فاما الشعر فنمته  
 المدخ والهجاء والرتاء واما النثر فمته السجع الذي يوتى به قطعاً ويلتزم في كل كلمتين  
 منه قافية واحدة يسمى سجعاً ومنه المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقاً ولا يقطع  
 اجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها ويستعمل في المخطب والدعاء  
 وترغيب الجمهور وترهيبهم واما القرآن وان كان من المنثور الا انه خارج عن الوصفين  
 وليس يسمى مرسلًا مطلقاً ولا مسجعاً بل تفصيل ايات ينتمى الى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء  
 الكلام عندها ثم يعاد الكلام في الاية الاخرى بعدها ويثني من غير التزام حرف يكون

سجعاً ولا قافية وهو معنى قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر  
منه جلود الذين يخشون ربهم وقال قد فصلنا الايات وبسبب اخر الايات منها فواصل اذ  
ليست اسجاعاً ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ولا هي ايضاً قوافٍ واطلق اسم المثاني على  
ايات القرآن كلها على العموم لما ذكرناه واخصت بام القرآن للغلبة فيها كالنجم للثريا  
ولهذا سميت السع المثاني وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني  
يشهد لك الحق مرجحان ما قلناه . واعلم ان لكل واحد من هذه الفنون اساليب تخص به  
عند اهلها ولا تصلح للفن الاخر ولا تستعمل فيه مثل النسب المختص بالشعر والحمد  
والدعاء المختص بالخطب والدعاء المختص بالمخاطبات وامثال ذلك وقد استعملت  
المتاخرون اساليب الشعر وموازينها في المشور من كثرة الاسجاع والتزام التقيفة وتقديم  
السبب بين يدي الاغراض وصار هذا المشور اذا تاملته من باب الشعر وفنه ولم يفتقرا  
الا في الوزن واستمر المتاخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات  
السلطانية وقصوا الاستعمال في المشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخططوا الاساليب  
فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً اهل المشرق وصارت المخاطبات السلطانية لهذا  
العهد عند الكتاب الغمل جارية على هذا الاسلوب الذي اشرنا اليه وهو غير صواب  
من جهة البلاغة لما يلاحظ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال من احوال المخاطب  
والمخاطب وهذا الفن المشور المقتضى ادخل المتاخرون فيه اساليب الشعر فوجب ان  
تنزه المخاطبات السلطانية عنه اذا ساليب الشعر تنافيتها للوذية وخط الجذ بالهزل  
والاطناب في الاوصاف وضرب الامثال وكثرة التشبيهات والاستعارات حيث لا تدعو  
ضرورة الى ذلك في الخطاب والتزام التقيفة ايضاً من اللوذية والترين وجلال الملك  
والسلطان وخطاب الجمهور عن الملوك بالترغيب والترهيب ينافي ذلك ويمانية  
والمجود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو اطلاق الكلام وارساله من غير تسجيع الا  
في الاقل النادر وحيث ترسله الملكة ارسالاً من غير تكلف له ثم اعطاء الكلام حقه في  
مطابقته لمقتضى الحال فان المقامات مختلفة ولكل مقام اسلوب يخصه من اطناب او اجاز  
او حذف او اثبات او تصريح او اشارة او كناية واستعارة وما اجراء المخاطبات السلطانية  
على هذا النحو الذي هو على اساليب الشعر فمذموم وما حمل عليه اهل العصر الاستيلاء  
العجبة على السننهم وقصورهم لذلك عن اعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال  
فعبثوا عن الكلام المرسل لبعده في البلاغة وانفساح خطوبه وولعوا بهذا السجع

يلتقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود ومقتضى الحال فيه ويجرونه بذلك  
 القدر من التزيين بالاسجاع والالقاء الدعيعة ويفعلون عما سوى ذلك وأكثر من اخذ  
 بهذا الفن وبالغ فيه في سائر انحاء كلامهم كتاب المشرق وشعراؤه لهذا العهد حتى انهم  
 يخلون بالاعراب في الكلمات والتصرف اذا دخلت لهم في تجنيس او مطابقة لا يجنبان  
 معها فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس ويدعون الاعراب ويفسدون بنية الكلمة  
 عساها تصادف التجنيس فتامل ذلك بما قدمناه لك تنف على صحة ما ذكرناه والله الموفق  
 للصواب بهن وكرمه والله تعالى اعلم

### الفصل السادس والاربعون

في انه لا تنفق الاجادة في في المظوم والمنثور معاً الا للاقل  
 والسبب في ذلك انه كما بيناه ملكة في اللسان فاذا تسقت الى محله ملكة اخرى قصرت  
 بالحل عن تمام الملكة اللاحقة لان تمام الملكات وحصولها للطوائع التي على النطرة الاولى  
 اسهل وايسر واذا تقدمتها ملكة اخرى كانت منازعة لها في المادة القابلة وعاقبة عن  
 سرعة القبول فوقعت المنافاة وتعذر التام في الملكة وهذا موجود في الملكات الصناعية  
 كلها على الاطلاق وقد برهننا عليه في موضعه نحو من هذا البرهان فاعندر مثله في اللغات  
 فانها ملكات اللسان وهي بمنزلة الصناعة وانظر من تقدم له شيء من العجبة كيف يكون  
 قاصراً في اللسان العربي ابداً فالعجمي الذي سبق له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة  
 اللسان العربي ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلمه وعلمه وكذا الليري والرومي والافرنجي  
 قل ان تجد احداً منهم محكماً لملكة اللسان العربي وما ذلك الا لما سقى الى السنتم من  
 ملكة اللسان الاخر حتى ان طالب العلم من اهل هذه الالسن اذا طلمه بين اهل اللسان  
 العربي جاء مقصراً في معارفه عن الغاية والتحصيل وما اوتي الا من قبل اللسان وقد  
 تقدم لك من قبل ان الالسن واللغات شبيهة بالصنائع وقد تقدم لك ان الصنائع  
 وملكاتها لا تردح وان من سقت له اجادة في صناعة فقل ان يجيد اخرى او يستولي  
 فيها على الغاية والله خلقكم وما تعملون

### الفصل السابع والاربعون

في صناعة الشعر ووجه تعلمه

هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم ويوجد في سائر اللغات

الا ان الان انما تتكلم في الشعر الذي للعرب فان امكن ان نجد فيه اهل الالسن الاخرى  
 مقصودهم من كلامهم والا فلكل لسان احكام في البلاغة فمحصه وهو في لسان العرب غريب  
 النزعة عزيز المنحى اذ هو كلام مفصل قطعاً قطعاً متساوية في الوزن متحدة في الحرف  
 الاخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً ويسمى الحرف  
 الاخير الذي تنفق فيه رويًا وقافية ويسمى جملة الكلام الى اخره قصيدة وكلمة وينفرد  
 كل بيت منه بافادته في تراكيبه حتى كانه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده واذا  
 افرد كان تاماً في نايه في مدح او تشبيب اورثاء فيعرض الشاعر على اعطائه ذلك البيت  
 ما يستقل في افادته ثم يستأنف في البيت الاخر كلاماً اخر كذلك ويستطرد للخروج  
 من فن الى فن ومن مقصود الى مقصود فان يوطي المقصود الاول ومعانيه الى ان تناسب  
 المقصود الثاني وبعد الكلام عن التنافر كما يستطرد من التشبيب الى المدح ومن وصف  
 البيداء والظلول الى وصف الركاب او الخيل او الطيف ومن وصف المدوح الى وصف  
 قومه وعساكره ومن التفتيح والعراء في الرثاء الى التائثر وامثال ذلك ويراعي فيه انفاق  
 القصيدة كلها في الوزن الواحد حذراً من ان يتساهل الطبع في الخروج من وزن الى  
 وزن يقاربه فقد يخفى ذلك من اجل المفارقة على كثير من الناس ولهذا الموازين شروط  
 واحكام تصنها علم العروض وليس كل وزن يتفق في الطبع استعماله العرب في هذا  
 الفن وانما هي اوزان مخصوصة تسميها اهل تلك الصناعة البحور وقد حصروها في خمسة  
 عشر بجزاً بمعنى انهم لم يجدوا للعرب في غيرها من الموازين الطبيعية نظماً. واعلم ان فن  
 الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب ولذلك جعلوه ديوان علومهم واخبارهم  
 وشاهد صوابهم وخطائهم واصلاً يرجعون اليه في الكثير من علومهم وحكمهم وكانت  
 ملكة مستحكمة فيهم شان الملكات كلها والملكات اللسانية كلها انما تكتسب بالصناعة  
 والارتياض في كلامهم حتى يحصل شبه في تلك الملكة والشعر من بين الكلام صعب الماخذ  
 على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين لاستقلال كل بيت منه بانه كلام  
 تام في مقصوده ويصلح ان يعرود دون ما سواه فيحتاج من اجل ذلك الى نوع تल्प في  
 تلك الملكة حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر  
 العرب ويبرزه مستقلاً بنفسه ثم يأتي بيت اخر كذلك ثم يبيت ويستكمل الفن الوافية  
 بمقصوده ثم يناسب بين البيوت في موالاته بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي  
 في القصيدة ولصعوبة مخاه وغرابه فهو كان محكاً للفرايح في استجداء اساليبه وشخذ الافكار

في تنزيل الكلام في قواله ولا يكفي فيه ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج  
 بخصوصه الى تلطف ومحاوله في رعاية الاساليب التي اخصتها العرب بها واستعمالها ولندكر  
 هنا سلوك الاسلوب عند اهل هذه الصناعة وما يريدون بها في اطلاقهم فاعلم انها عمارة  
 عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب والقالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع الى الكلام  
 باعتبار افادته اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادته كمال المعنى من  
 خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب  
 فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وانما  
 يرجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطاقها على تركيب خاص وتلك  
 الصورة ينتزعها الذهن من اعيان التراكيب واتخاذها وبصيرها في الخيال كالقالب  
 او المنوال ثم يتقن التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الاعراب والبيان فيرصها فيه  
 رصاً كما يفعل الباء في القالب او النساج في المنوال حتى يتسع القالب بمحصل التراكيب  
 المرغوبة بمنصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فان  
 لكل فن من الكلام اساليب تختص به وتوجد فيه على انحاء مختلفة فسؤال الطلوع في الشعر  
 يكون بخطاب الطلوع كقولوه يادارمية بالعلياء فالسندو يكون باستدعاء الصبح للوقوف  
 والسؤال كقولوه . قفا نسال الدار التي خف اهلها . او باستنكاه الصبح على الطلل كقولوه .  
 قفا نك من ذكرى حبيب ومنزل . او بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقولوه .  
 الم نسال فتخبرك الرسوم . ومثل تحية الطلوع بالامر لمخاطب غير معين بتخيئها كقولوه .  
 حي الديار بجانب الغزل . او بالدعاء لها بالسقيا كقولوه

اسقي طلوعهم أجش هذيم وعدت عليهم نصرة وبعيم

او سؤالا السقيا لها من البرق كقولوه

بارق طالع منزلاً بالارق واخذ السحاب لها حذاء الايق

او مثل التفعج في الجزع باستدعاء البكاء كقولوه

كذا فليجل الخطب وليفدح الامر وليس لعين لم يفض ماء هوها عذراً

او باستعظام الحادث كقولوه . ارايت من حملوا على الاعواد . او بالتسجيل على الاكوان  
 بالمصيبة لفنقه كقولوه

منابت العشب لاخام ولا راع مضي الردى تطويل الرمح والباع

او بالانكار على من لم يتفجع له من الجمادات كقول الخارجية

اياشجر الخابور مالك مورقاً كانك لم تجزع على ابن طريف

او بنهشة فريقه بالراحة من ثقل وطائمه كقولوه

التي الرماخ ربيعة بن نزار اودى الردى بفريقك المغوار

وامثال ذلك كثير في سائر فنون الكلام ومذاهبه وتتنظم التراكيب فيه بالجميل وغير

الجميل انشائية وخبرية اسمية وفعلية متفقة وغير متفقة مفصلة وموصولة على ما هو شان

التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الاخرى يعرفك فيه ما تستفيدة

بالارتياض في اشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن من التراكيب المعينة التي

ينطبق ذلك القالب على جميعها فان مولف الكلام هو كالبناء او النساج والصورة

الذهنية المنطقية كالقالب الذي يبني فيه او المنوال الذي ينبج عليه فان خرج عن

القالب في بنائه او عن المنوال في نسجه كان فاسداً ولا نقول ان معرفة قوانين البلاغة

كافية في ذلك لا بنا نقول قوانين البلاغة انما هي قواعد علمية قياسية تنيد جواز استعمال

التراكيب على هيئتها الخاصة بالقياس وهو قياس علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين

الاعرابية وهذه الاساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء انما هي هيئة ترسخ

في النفس من نتيج التراكيب في شعر العرب لجر بانها على اللسان حتى تستحکم صورتها

فيستفيد بها العمل على مثالها والاحذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في

الكلام باطلاق وان القوانين العلمية من العربية والبيان لا نئيد تعليمه بوجه وليس كل

ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعملوه وانما المستعمل عندهم من ذلك

انحاء معروفة يطلع عليها المحافظون لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية

فاذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الاساليب الذهنية التي تصير كالتقالب

كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا ان المحصل لهذه

التقالب في الذهن انما هو حفظ اشعار العرب وكلامهم وهذه التقالب كما تكون في المنظوم

تكون في المنثور فان العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين وجاءوا به مصلاً في النورعين

ففي الشعر بالقطع الموزونة والقوافي المقيدة واستقلال الكلام في كل قطعة وفي المنثور

يعتبرون الموازنة والتشابه بين القطع غالباً وقد يقيدونه بالاسجاع وقد يرسلونه وكل

واحدة من هذه معروفة في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذي يبني مولف

الكلام عليه تاليته ولا يعرفه الا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه من التقالب المعينة

الشخصية قالب كلي مطلق بجذو حذوه في التاليف كما يجذو البناء على القالب والنساج

على المتوال فهذا كان من تأليف الكلام منفرداً عن نظر النحوي والبياني والعروضي نعم  
ان مراعاة قوانين هذه العلوم شرط فيه لا يتم بدونها فاذا تحصلت هذه الصفات كلها في  
الكلام اخنص بنوع من النظر لطيف في هذه القوالب التي يستعملها اساليب ولا يفيد  
الا حفظ كلام العرب نظماً ونثراً واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعده حذراً او  
رسماً للشعر به تنهم حقيقته على صعوبة هذا الغرض فاننا لم ننف عليه لاحد من المتقدمين  
فيما رايناه وقول العروضيين في حده انه الكلام الموزون المقفى ليس بمجد لهذا الشعر الذي  
نحن بصده ولا رسم له وصناعتهما انما ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الاعراب والملاغة  
والوزن والقوالب الخاصة فلا جرم ان حدهم ذلك لا يصلح له عندنا فلا بد من تعريف  
يعطينا حقيقته من هذه الحثيثة فنقول الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة  
والاوصاف المتصل باجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه  
ومقصده عما قبله وبعده الجاري على اساليب العرب المخصوصة به فقولنا الكلام البليغ  
جنس وقولنا المبني على الاستعارة والاوصاف فصل عما يخلو من هذه فانه في الغالب ليس  
بشعر وقولنا المنفصل باجزاء متفقة الورد والروي فصل له عن الكلام المشور الذي ليس  
بشعر عند الكل وقولنا مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيان  
الحقيقة لان الشعر لا تكون ابيانه الا كذلك ولم يفصل به شيء وقولنا الجاري على الاساليب  
المخصوصة به فصل له عما لم يجز منه على اساليب العرب المعروفة فانه حينئذ لا يكون  
شعراً انما هو كلام منظوم لان الشعر له اساليب تخصه لا تكون للمشور وكذا اساليب  
المشور لا تكون للشعر فما كان من الكلام منظوماً وليس على تلك الاساليب فلا يكون  
شعراً وبهذا الاعتبار كان الكثير من لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الادبية برون  
ان نظم المتنبي والمعري ليس هو من الشعر في شيء لانها لم يجريا على اساليب العرب من  
الامم عندما يرى ان الشعر يوجد للعرب وغيرهم ومن يرى انه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج  
الى ذلك ويقول مكانه الجاري على الاساليب المخصوصة واذ قد فرغنا من الكلام على  
حقيقة الشعر فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول اعلم ان لعمل الشعر واحكام صناعته  
شروطاً اولها الحفظ من جنسها اي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة  
ينسج على منوالها ويختبر المحفوظ من الحرّ النقي الكثير الاساليب وهذا المحفوظ المختار اقل  
ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الاسلاميين مثل ابن ابي ربيعة وكثير وذو الرمة  
وجرير واي نواس وحبيب والبحتري والرضي واي فراس واكثره شعر كتاب الاغاني لانه



جمع شعر اهل الطبقة الاسلامية كلة والمختار من شعر الجاهلية ومن كان خالياً من المحفوظ  
 فنظمه فاصرردي ولا يعطيه الرونق والحلاوة الاكثره المحفوظ فمن قل حفظه او عدم  
 لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط واجناب الشعر اولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء  
 من الحفظ وشخذ التريجة للنسخ على المنوال يقبل على النظم وبالاكثر منه تستحکم ملكته  
 وترسخ وربما يقال ان من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتعجي رسومه الحرفية الظاهرة اذ  
 هي صادة عن استعمالها عينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الاسلوب فيها  
 كانه منوال ياخذ بالنسخ عليه بامثالها من كلمات اخرى ضرورة ثم لا بد له من الخلو  
 واستجداء المكان المنظور فيه من المياه والازهار وكذا المسموع لاستنارة التريجة باستجماعها  
 وتنشيطها بملاذ السرور ثم مع هذا كله فشرطه ان يكون على حجام ونشاط فذلك اجمع  
 له وانشط للتريجة ان تاتي بمثل ذلك المنوال الذي في حفظه قالوا وخير الاوقات لذلك  
 اوقات النكر عند الهبوب من النوم وفراغ المعدة ونشاط الفكر وفي هولاء الحجام وربما  
 قالوا ان من بواعث العشق والاشتهاء ذكر ذلك ان رشيق في كتاب العمدة وهو الكتاب  
 الذي امرد بهذه الصناعة واعطاء حنفا ولم يكتب فيها احد قبله ولا بعده مثله قالوا  
 فان استصعب عليه بعد هذا كله فليتركه الى وقت اخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء  
 البيت على القافية من اول صوغه وسجه بعضها وبيني الكلام عليها الى اخره لانه ان غفل  
 عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها فربما تعجى نافرقة قلقة واذا سمح  
 الحاضر بالبيت ولم ياسب الذي عنده فليتركه الى موضعه الاليق به فان كل بيت مستقل  
 بنفسه ولم تنق الا المناسبة فليختر فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح  
 والنقد ولا يصن به على الترك اذا لم يبلغ الاجادة فان الانسان مفتون بشعره اذ هوبات  
 فكره واخترع قريحه ولا يستعمل فيه من الكلام الا الافصح من التراكيب والخالص  
 من الصرورات اللسانية فليجهرها فانها تنزل بالكلام عن طبقة البلاغة وقد حظرت  
 اللسان عن المولد ارتكاب الضرورة اذ هو في سعة منها بالعدول عنها الى الطريقة المثلى  
 من الملكة ويجنب ايضاً المعقد من التراكيب جهده وإنما يقصد منها ما كانت معانيه  
 نسانق الفاظه الى الفهم وكذلك كثرة المعاني في البيت الواحد فان فيه نوع تعقيد على  
 الفهم وإنما المختار منه ما كانت الفاظه طبقاً على معانيه او وفي فان كانت المعاني كثيرة كان  
 حشواً واستعمل الدهن بالفوص عليها فنع الذوق عن استيفاء مدركه من البلاغة ولا  
 يكون الشعر سهلاً الا اذا كانت معانيه تسابق الناظرة الى الدهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم

الله يعيبون شعراي بكر<sup>(١)</sup> بن خفاجة شاعر شرق الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يعيبون شعر المنبي والمعري بعدم النسخ على الاساليب العربية كما مر فكان شعرها كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر والحاكم بذلك هو الذوق ولينحسب الشعراء أيضاً الحوشى من الالفاظ والمقصر وكذلك السوقي المبتذل بالتداول بالاستعمال فانه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة ايضاً فيصير متدلاً ويقرب من عدم الافادة كقولهم النار حارة والسماء فوقنا ومقدار ما يقرب من طبقة عدم الافادة يعد عن رتبة البلاغة اذها طرفان ولهذا كان الشعر في الرمايات والنويات قليل الاجادة في الغالب ولا يجذب فيه الا الفحول وفي القليل على العشرلان معانيها متداولة بين الجمهور فتصير مبتذلة لذلك واذا تعذر الشعر بعد هذا كله فليراوضة ويعاوده فان القرحة مثل الضرع يدر بالامراء ويجف بالترك والاهمال وبالجملة فهذه الصناعة وتعلمها مستوفى في كتاب العمدة لان رشتيق وقد ذكرنا منها ما حصراً بحسب الجهد ومن اراد استيفاء ذلك فعليه بذلك الكتاب ففيه الغية من ذلك وهذه بذة كافية والله المعين وقد نظم الناس في امر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها ومن احس ما قيل في ذلك واظنه لان رشتيق

لعل الله صنعة الشعر ماذا	من صنوف الجهال منه لفينا
يوثرون الغريب منه على ما	كان سهلاً للسامعين ميبا
ويرون المحال معنى صحيحاً	وخسيس الكلام شيئاً ثميناً
يجهلون الصواب منه ولا يد	رون للجهل اهمهم يجهلونا
فهم عد من سوانا يلامو	ن وفي الحق عندنا بعذرونا
انما الشعر ما ياسب في النظم	وان كان في الصفات فنونا
فاتي بعضه يشاكل بعضاً	واقامت له الصدور المتونا
كل معنى اناك منه على ما	نسى ولم يكن او يكونا
فتساهى من البيان الى ان	كاد حسناً بين الناظرينا
فكان الالفاظ منه وجوه	والمعاني ركن فيها عيونا
انما في المرام حسب الاماني	يتجلى بحسنه المنشدونا
فاذا ما مدحت بالشعر حراً	رمت فيه مذاهب المشتمينا
فجعلت النسيب سهلاً قريباً	وجعلت المدح صدقاً مبيناً

وتعلبت ما يهجن في السبع      وإن كان لفظه موزوناً  
 وإذا ما عرضته بهجاء      عنت فيه مذاهب المرقبينا  
 فجعلت التصريح منه دواءً      وجعلت التعريض داءً دفيناً  
 وإذا ما بكبت فيه على العا      دين يوماً للبين والظاعينا  
 حلت دون الأسي وذللت ما كا      ن من الدمع في العيون مصوناً  
 ثم إن كنت عاتناً جئت بالوعد      وعيداً بالصعوبة بينا  
 فترك الذي عنت عليه      حدراً آمناً عزيزاً مهيناً  
 واضح القريض ما قارب النظم      وإن كان واضحاً مستبيناً  
 فاذا قيل اطع الناس طراً      وإذا ريم العجز المعجزينا  
 ومن ذلك أيضاً قول بعضهم

الشعر ما قومت ربح صدوره      وشدت بالتهذيب اس متوبه  
 ورايت بالاطناب شعب صدوره      وفتحت بالانجاز عور عيوبه  
 وجمعت بين قريبه وبعيده      وجمعت بين محبه ومعيبه  
 وإذا مدحت به جواداً ماجداً      وقضيت بالشكر حق ديوبه  
 اصفيت بتفتش ورضيته      وخصصته بمخيطه وثميبه  
 فيكون جزلاً في مساق صوفه      ويكون سهلاً في اتناق فنوبه  
 وإذا نكبت به الديار واهلها      اجريت للمحرون ماء شؤوبه  
 وإذا اردت كناية عن ريبه      باينت بين ظهوره وبطوبه  
 فجعلت سامعه يشوب شكوبه      بشوبه وظنوبه بيقينيه

### الفصل الثامن والأربعون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني  
 اعلم ان صناعة الكلام نظماً ونثراً انما هي في الالفاظ لا في المعاني واما المعاني تبع لها  
 وهي اصل فالصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر انما يحاولها في الالفاظ بحفظ  
 امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريته على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان  
 مضر ويخلص من العجة التي ربي عليها في جيله ويفرض نفسه امثله وليد نشأ في جيل  
 العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك انما قدمنا

ان للسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل  
والذي في اللسان والنطق انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الضمائر وايضاً فالمعاني موجودة  
عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة وتاليف  
الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القوالب للمعاني فكما ان الالواني  
التي يعترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء  
واحد في نفسه وتختلف الجودة في الالواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء  
كذلك جودة اللغة و بلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تاليفه  
باغتناب تطبيقه على المقاصد والمعاني واحدة في نفسها وانما الحامل بتاليف الكلام واساليبه  
على مقتضى ملكة اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحس بمثابة المقعد الذي يروم  
النهوض ولا يستطيعه لفقدان القدرة عليه والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

### الفصل التاسع والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قد قدمنا انه لا بد من كثرة الحفظ لمن يروم تعلم اللسان العربي وعلى قدر جودة  
المحفوظ وطبقته في جسده وكثرتيه من قلته تكون جودة الملكة المحاصلة عنه للمحافظ من كان  
محموظة شعر حبيب او العتايي او ابن المعتز او ابن هاني او الشريف الرضي او رسائل  
ابن المقفع او سهل ابن هارون او اس الزيات او البديع او الصائي تكون ملكته اجود  
واعلى مقاماً ورتبة في البلاغه مما يحفظ شعر اس سهل من المتأخرين او ابن الديب او ترسل  
البيساني او العماد الاصبهاني لنزول طبقة هؤلاء عن اولئك يظهر ذلك للبصير الناقد  
صاحب الذوق وعلى مقدار جودة المحفوظ او المسموع تكون جودة الاستعمال من بعده ثم  
اجادة الملكة من بعدها فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الملكة المحاصلة لان  
الطبع انما يشبع على منالها ونمو قوى الملكة تغذيها وذلك ان النفس وان كانت في جلتها  
واحدة بالنوع فهي تختلف في الشرب بالقوة والضعف في الادراكات واختلافها انما هو  
باختلاف ما يرد عليها من الادراكات والملكات والالوان التي تكييفها من خارج فيها بنم  
وجودها وتخرج من القوة الى الفعل صورتها والملكات التي تحصل لها انما تحصل على التدرج  
كما قدمناه للملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر وملكة الكنانة بحفظ الاسماع والترسيل والعلمية  
بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار والفقهية بمخالطة الفقه وتنظير المسائل

ونفرعها ونخرج النزوع على الاصول والتصوفية الربانية بالعبادات والاذكار وتعطيل  
 الحواس الظاهرة بالحلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع حتى تحصل له ملكة الرجوع الى  
 حسه الباطن وروحو وينقله رايها وكذا سائرهما وللنفس في كل واحد منها لون تتكيف  
 به وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة اورداة تكون تلك الملكة في نفسها فملكة  
 البلاغة العالية الطبقة في جنسها انما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام ولهذا كان  
 الفقهاء واهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة وما ذلك الا لما يسبق الى محفوظهم ويمتلي به  
 من القوانين العلمية والعبارات الفهية الخارجة عن اسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة  
 لان العبارات عن القوانين والعلوم لاحظ لها في البلاغة فاذا سبق ذلك المحفوظ الى الفكر  
 وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن  
 اساليب العرب في كلامهم وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والظار وغيرهم من  
 لم يمتلي من حفظ النبي الحر من كلام العرب . اخبرني صاحبنا الفاضل ابو القاسم بن  
 رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال ذكرت يوماً صاحبنا ابا العباس بن شعيب  
 كاتب السلطان ابي الحسن وكان المتقدم في مصر باللسان لعهد فاشدته مطلع قصيدة  
 ابن النحوي ولم اسبها له وهو هذا

لم ادر حين وقفت بالاطلال ما الفرق بين جديدها واليالي

فقال لي على البديهة هذا شعر فنيه فقلت له ومن اين لك ذلك قال من قوله ما  
 الفرق اذ هي من عبارات الفقهاء وليست من اساليب كلام العرب فقلت له لله اموك انه  
 ابن النحوي . واما الكتاب والشعراء فليسوا كذلك لتغيرهم في محفوظهم ومخالطهم كلام  
 العرب واساليبهم في الترسل واتقائهم له المجيد من الكلام . ذكرت يوماً صاحبنا ابا  
 عبد الله بن الخطيب وزير الملوك بالاندلس من بني الاحمر وكان الصدر المقدم في الشعر  
 والكتابة فقلت له اجد استصعاباً علي في نظم الشعر متى رمته مع بصري به وحفظي للجيد من  
 الكلام من القرآن والحديث وفتون من كلام العرب وان كان محفوظي قليلاً وانما اتيت  
 والله اعلم من قبل ما حصل في حفظي من الاشعار العلمية والقوانين التأليفية فاني حفظت  
 قصيدتي الشاطبي الكبرى والصغرى في الفراءات وندارست كتابي ابن الحاجب في الفقه  
 والاصول وجمال الخوجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل وكثيراً من قوانين التعليم في  
 المجالس فامتلا محفوظي من ذلك وخذش وجه الملكة التي استعددت لها بالمحفوظ المجيد  
 من القرآن والحديث وكلام العرب تعاقق القرية عن بلوغها فنظر الي ساعة معجباً ثم قال

لله انت وهل يقول هذا الامثلك . ويظهر لك من هذا الفصل وما تقر فيه سرا آخر  
وهو اعطاء السبب في ان كلام الاسلاميين من العرب اعلى طبقة في البلاغة واذواقها من  
كلام الجاهلية في منشورهم ومنظومهم فاننا نجد شعر حسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة  
والخطيب وجرير والفرزدق ونصيب وغيلان ذي الرمة والاحوص وشار ثم كلام السلف  
من العرب في الدولة الاموية وصدرًا من الدولة العباسية في خطبهم وترسيهم ومحاوراتهم  
للملوك ارفع طبقة في البلاغة من شعر الباغية وعنترة وابن كلثوم وزهير وعلقمة بن عبدة  
وطرفة بن العبد ومن كلام الجاهلية في منشورهم ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح  
شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب في ذلك ان هؤلاء الذين ادركوا الاسلام  
سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث اللذين عجز المشر عن الاتيان بمثلها  
لكونها ولجت في قلوبهم ورسات على اساليبها نفوسهم فنهضت طباعهم وارنقت ملكاتهم في  
البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية ممن لم يسع هذه الطبقة ولا نشأ عليها فكان  
كلامهم في نظمهم ونثرهم احسن دياجة واصفى رونقًا من اولئك وارصف منى واعدل  
تثقيفًا مما استمدوا من الكلام العالي الطبقة وتامل ذلك يشهد لك به ذوقك ان كنت  
من اهل الذوق والتبصر بالبلاغة . ولقد سالت يوماً شيخنا الشريف ابا القاسم قاضي  
غزناطة لعهدنا وكان شيخ هذه الصاعه اخذ سببته عن جماعة من متيخنها من تلاميذ  
الشلوبين واستعجب في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه فسالتهُ يوماً ما بال العرب  
الاسلاميين اعلى طبقة في البلاغة من الجاهليين ولم يكن ليستكر ذلك بذوقه فسكت  
طويلاً ثم قال لي والله ما ادري فقلت اعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك ولعله السبب فيه  
وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت معجباً ثم قال لي يا فقيه هذا كلام من حق ان يكتب  
بالذهب وكان من بعدها يؤثر محلي ويصيح في مجالس التعليم الى قولي ويشهد لي بالنباهة  
في العلوم والله خلق الاسان وعلمه البيان

## الفصل الخمسون

في ترفع اهل المراتب عن اتحال الشعر

اعلم ان الشعر كان ديبلاً للعرب فيه علومهم واخبارهم وحكمهم وكان رواساء العرب  
منافسين فيه وكانوا يقفون سوق عكاظ لانشاده وعرض كل واحد منهم دباحته على فحول  
الشان واهل البصر لتمييز حوله حتى انتهوا الى المناغاة في تعليق اشعارهم باركان البيت

المحرام موضع حجهم وبيت ابراهيم كما فعل امرؤ القيس بن حجر والناطقة الذي ياتي وزهير بن ابي سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة والاعشى وغيرهم من اصحاب المعلقات السبع فانه انما كان يتوصل الى تعليق الشعر بها من كان له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلقات ثم انصرف العرب عن ذلك اول الاسلام بما شغلهم من امر الدين والنبوة والوحي وما ادهشهم من اسلوب القران ونظمه فاخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في النظم والنثر زماناً ثم اشتق ذلك واونس الرشد من الملة ولم ينزل الوحي في تحريم الشعر وحظره وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم واثاب عليه فرجعوا حينئذ الى دينهم منه وكان لعمر بن ابي ربيعة كبير قريش لذلك العهد مقامات فيه عالية وطبقة مرتفعة وكان كثيراً ما يعرض شعرة على ابن عباس فيقف لاستماعه معجاً به ثم جاء من بعد ذلك الملك والدولة العزيزة وتقرّب اليهم العرب باشعارهم يمدحونهم بها ويبيحونهم الخلفاء باعظم الجوائز على نسبة الجودة في اشعارهم ومكانهم من قومهم ويحرصون على استهداء اشعارهم يطلعون منها على الآثار والاخبار واللغة وشرف اللسان والعرب يطالون وليدهم بحفظها ولم يزل هذا الشأن ايام بني امية وصدراً من دولة بني العباس وانظر ما نقله صاحب العقد في مسامرة الرشيد للاصمعي في باب الشعر والشعراء تجد ما كان عليه الرشيد من المعرفة بذلك والرسوخ فيه والعناية بانتماله والتصرّح بجيد الكلام ورديته وكثرة محنوظه منه ثم جاء خلق من بعدهم لم يكن اللسان لسانهم من اجل العجبة ونقصيرها باللسان وانما تعلموه صناعة ثم مدحوا ناشعارهم امراء العجم الذين ليس اللسان لهم طالين معروفهم فقط لاسوي ذلك من الاغراض كما فعله حبيب والبحتري والمنتبي وابن هاني ومن بعدهم وهلمّ جرّاً فصار غرض الشعري في الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التي كانت فيه للاولين كما ذكرناه انفاً وانف منه لذلك اهل الهم والمراتب من المتأخرين وتغير الحال واصبح تعاطيو هجبة في الرئاسة ومذمة لاهل المناصب الكبيرة والله مقلب الليل والنهار

## الفصل الحادي والخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يخصص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكر منهم ارسطو في كتاب

المنطق او ميروس الشاعر واثني عليه وكان في حمير ايضاً شعراء متقدمون ولما فسد لسان  
مضر ولغتهم التي دونت مقاييسها وقوانين اعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب ما  
خالطها ومازجها من العجمة فكانت تحيل العرب بانفسهم لغة خالفت لغة سلفهم من مضر  
في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وناء الكلمات وكذلك الحضرة اهل  
الامصار نشأت فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب واكثر الاوضاع  
والتصريف وخالفت ايضاً لغة الجيل من العرب لهذا العهد واختلفت هي في نفسها بحسب  
اصطلاحات اهل الافاق فلاهل الشرق وامصاره لغة غير لغة اهل المغرب وامصاره  
وتخالفتها ايضاً لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في اهل كل  
لسان لان الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحركات والسواكن وتقابلها موجودة في  
طباع البشر فلم يهجر الشعر بفقده لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا فحولاً وفرسان  
ميدانهم حسبما اشتهر بين اهل الخليفة بل كل جيل واهل كل لغة من العرب المستعجبين  
والحضر اهل الامصار يتعاطون منه ما يظاوعهم في اتخاله ورفض نائمه على مبيع كلامهم  
فاما العرب اهل هذا الجيل المستعجبون عن لغة سلفهم من مضر فيقرصون الشعر لهذا  
العهد في سائر الاعراض على ما كان عليه سلفهم المستعربون ويانون منه بالمطولات مستغلة  
على مذاهب الشعر واغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون في الخروج  
من فن الى فن في الكلام وربما يجهمو على المقصود لاول كلامهم واكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم  
الشاعر ثم بعد ذلك يسمون فاهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات  
نسبة الى الاصمعي راوية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من  
الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه الحاناً بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم يغنون  
به ويسمون الغناء به باسم الحوراني نسبة الى حوران من اطراف العراق والشام وهي من  
منازل العرب البادية ومساكنهم الى هذا العهد . ولم فن اخر كثير التداول في نظمهم  
يجيئون به معصياً على اربعة اجزاء يخالف اخرها الثلاثة في رويه و يلتزمون القافية الرابعة  
في كل بيت الى اخر القصيدة شبيهاً بالمربع والخمس الذي احده المتأخرون من المولدين  
ولهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول والمتأخرون والكثير من المتخلين  
للعلم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان يستنكر هذه الفنون التي لم اذا سمعها ويحج نظمهم  
اذا اشد ويعتقد ان ذوقه انما نبا عنها لاستهجانها و فقدان الاعراب منها وهذا انما اتى من  
فقدان الملكة في لغتهم فلو حصلت له ملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها ان



كان سلباً من الافات في فطرتي ونظيره والافلاعراب لمدخله في البلاغة انما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالاً على الفاعل والنصب دالاً على المفعول او بالعكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هولغتهم هذه فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه اهل الملكة فاذا عرف اصطلاح في ملكة واشتهر صحة الدلالة واذا طبقت تلك الدلالة للمقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك واساليب الشعر وفنونه موجودة في اشعارهم هذه ما عدا حركات الاعراب في اواخر الكلم فان غالب كلماتهم موقوفة الاخر ويتميز عندهم الفاعل من المفعول والمتندا من الخبر قرائن الكلام لا بحركات الاعراب فمن اشعارهم على لسان الشريف ابن هاتم يكي الجازية نت سرحان ويذكر ظعنهما مع قومها الى المغرب

قال الشريف اس هاتم علي	تري كدي حراً شكت من زفيرها
يعز للاعلام ابن مارات خاطري	برد اعلام الدو يلقي عصيرها
وماذا شكات الروح ما طرا لها	عذاب ودايع تلف الله خيرها
بحس قطاع عامري صيرها	طوت وهدجا في ذكيرها
وعادت كما خوارية في يد غاسل	على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها
تجا بدوها انيس والزرع ينهم	على شول لعه والمعاني حريرها
وانت دموع العين ذارفات لسانها	شبيه دوار السواني يدبرها
تدارك منها الحجر حدرًا ورادها	مروان يحي متراكماً من صيرها
لصب من القيعان من جاسب الصفا	عيون ولحمان البرق في عدبرها
ها ايفتي مني سنابلت غدوة	نغداد ناحت مني حتى فقيرها
ونادي المنادي بالرحيل وشددولي	وعرج غاربها على مستعيرها
وشد لها الادم دياب س غانم	على يد ماضي وليد مقرب مسيرها
وقال لهم حسن بن سرحان غربول	وسوقوا النجوع ان كان ناهو ميرها
ويدلص وسده سها بالتسامح	وباليمين لا يحدول في صغيرها
غدرني زمان السمع من عابس الوغى	وما كان يرمي من حمير وميرها
غدرني وهو زعماً صديقي وصاحي	وباليد ما من درمي ما يدبرها
ورجع يقول لهم بلاد ابن هاتم	لخير البلاد المعطشة ما يخيبرها
حرام علي باب نغداد وارصها	داخل ولا عائد له من بعيرها

فصدق درمي من بلاد ابن هاشم  
وبانت نيران العذارى قوادح  
ومن قولهم في رثاء امير زمانة ابي سعدي البقري مفارعمهم باوريقية وارض الزراب  
ورثاؤهم له على جهة التهكم

نقول فتاة الحبي سعدى وهاصها  
ايا سائلي عن قبر الزناتي خليفه  
تراه للعالي الواردات وفوقه  
وله يميل المور من سائر القفا  
ايا لهف كبدي على الرماتي خليفه  
قتيل فتى الهيجا دياب بن غانم  
يا جارنا مات الرماتي خليفه  
وبالامس رحلك ثلاثين مرة  
ومن قولهم على لسان الشريف ابن هاشم يذكر عناباً وقع بينه وبين ماضي بن مقرب

تدي لي ماضي الجياد وقال لي  
ايا شكرأ عدي ما بقي ود بيننا  
نحن عدينا فصادفوا ما قضى لنا  
باعدنا يا شكر عدي لرسلامه  
ان كانت بست سيدهم بارضهم  
ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى الغرب وغلبهم زنانه عليه

واي جميل ضاع لي في الشريف ابن هاشم  
انا كنت انا واباه في زهو بيتنا  
وعدت كالي شارب من مدامة  
او مثل شبطا مات مضيون كبدها  
اناها زمان السوء حتى ادوخت  
كذلك انا ما لحاني من الوحى  
وامرت قومي بالرحيل وبكروا  
فعدنا سبعة ايام محبوس نجعنا

واي جميل ضاع قبلي جميلها  
عناني لمحجه ما عناني دليلها  
من الخمر فهوة ما قدر من يميلها  
غريباً وهي مدوخة عن قبيلها  
وهي بين عرب غافلاً عن نزيلها  
شاكى بكيد بادياً من عليها  
وقولا وشداد الحوايا جميلها  
والبدو ما نرفع عموداً يقيلها

نظل على احدث الثنايا سوري يظن المحر فوق التصاوي نصيها  
 ومن شعر سلطان بن مظفر بن يحيى من الزواودة احد بطون رباح واهل الرياسة فيهم  
 يقول وهو معتقل بالمديفة في سجن الاميرابي زكريان ابي حنص اول ملوك افرريقية من الموحدين  
 يقول وفي نوح الدجا بعد ذهبة حرام على اجنان عيني مناها  
 ايامن لقي حال الوجد والاسى وروحاً هيابي طلال ما في سقامها  
 حجازية بدوية عربية عداوية ولها بعيداً مرامها  
 مولعة بالبدولا تالف القرى سواً بل الوعسا بوالى خيامها  
 عمان ومشتبهها بها كل سرية معهونة بها ولها صحبح غرامها  
 ومر ناعها عشب الاراضي من الحيا لواني من الحور الحلايا حسامها  
 تسوق تسوق العين ما تداركت عليها من السحب السوراي غمامها  
 وماذا نكت بالما وماذا نبلحطت عيون عذارى المزن عذاباً جمامها  
 كأن عروس البكر لاحت ثيابها عابها ومن نور الاقاحي حزامها  
 فلاة ودهنا واتساع ومنه ومرعى سوى ما في مراعي نعامها  
 ومشروبهام من مخض البان شوها عليهم ومن لحم الحوراي طعامها  
 تعاتب على الابواب والموقف الذي يشيب الفتى ما يقاسي زحامها  
 سقى الله ذا الوادي المشجر بالحيا وبلا ويحي ما يلي من رمامها  
 فكافاتها بالودى مني وليتني ظفرت بايام مضت في ركامها  
 ليالي اقواس الصبا في سواعدي اذا نمت لا نخطى من ايدي سهامها  
 وفرسى عديداً نحت سرحي مسافة زمان الصبا سرجاو بيدي لجامها  
 وكم من رداح اسهرتني ولم ارى من الخلق ايهى من نظاما بتسامها  
 وكم غيرها من كاعب مرجحة مطرزة الاجفان باهي وشامها  
 وصفقت من وجدتي عليها طريحة بكفي ولم ينس جدها ذمامها  
 ونار يخطب الوجد توهج في الحشا وتوهج لا يظننا من الما ضرامها  
 ايامن وعدني الوعد هذا الى متى فني العر في دار عماني ظلامها  
 ولكن رايت الشمس تكسف ساعة وبغى عليها ثم يبر غمامها  
 بنود ورايات من السعد اقبلت الينا بعون الله يهفو علامها  
 ارى في الفلا بالعين اظعان عزوتي ورمحي على كفي وسيري امامها

مجردا عناق النوق من غير شامس      احب بلاد الله عندي حشامها  
 الى منزل بالجعفرية للذي      مقيم بها ما لذ عندي مقامها  
 وتلقي سراة من هلال بن عامر      يزيل الصدى والغل عن سلامها  
 بهم تضرب الامثال شرقاً ومغرباً      اذا قاتلوا قوماً سريع انهماها  
 عليهم ومن هو في حماهم تحية      من الدهر ما غنى بقية حماها  
 فدع ذاولا تأسف على سالف مضي      ترى الدنيا ما دام لاحد دواها  
 ومن اشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عمر شيخ الكعوب من اولاد ابي الليل  
 يعاتب اقتالهم اولاد مهلهل ويحيب شاعرهم شبل بن مسكينة بن مهلهل عن ابيات فخر عليهم  
 فيها بقومه

يقول وذاقول المصاب الذي نشأ      قوارع قيعان يعاني صعاها  
 بريح بها حادي المصاب اذا انتفى      فنونا من انشاد القوافي عرابها  
 محبرة مخنارة من نشادنا      تحدي بها تام الوشا ملتهاها  
 مغرلة عن ناقد في عضونها      محكمة القيعان داي وداهها  
 وهيض بتذكارها ياذوي الندى      قوارع من شبل وهذي جواها  
 اشبل جنينا من حباك طرائف      فراح بريح الموجعين الغناها  
 فخرت ولم تقصر ولا انت عادم      سوى قلت في جمهورها ما عابها  
 لقولك في ام الملتين بن حمزة      وحامي حماها عادياً في حرابها  
 اما تعلم انه قامها بعد مالتى      رصاص بنى بجي وعلاق دابها  
 شهاباً من اهل الامر ياشل خارق      وهل ربت من جاللوغى واصطلى بها  
 شواهد طفاهها واضربت بعد طفيوه      واثنا طفاهها حاسر الاهاها  
 واضرم بعد الطنبتين التي صحت      نعاماً الى بيت المنا يقندي بها  
 كما كان هو يطلب على داتجبت      رجال بنى كعب الذي يتقى بها

ومنها في العتاب

وليداً تعاتبوا انا اغنى لاني      غنيت بعلاق الثنا وخنصاها  
 عليّ ونا ندفع بها كل مبضع      بالاسياف نتناش العدى من رقاها  
 فان كانت الاملاك نغت عرايس      علينا باطراف القنا اخنصاها  
 ولا نفرها الارهاف ودبل      وزرق السبايا والمطايا ركاها

بني عمنا ما يرتضي الذل علة      تسير كالسنة الحناش انسلامها  
وهي عالمًا بان المنايا ثقيلها      بلا شك والدنيا سريع انقلابها  
ومنها في وصف الطعائن

بطعن قطوع البيد لا تخشي العدا      فتوق بجونات مخوف جنابها  
تري العين فيها قل لشبل عرائف      وكل مهاة محنظيها ربابها  
تري اهلها غض الصباح ان يقلها      نكل حلوب الجوف ما سد بابها  
لها كل يوم في الارامي فتائل      ورا التاجر المزوج عنفوا صابها  
ومن قولهم في الامثال الحكيمية

وطلبك في الموسع منك سماهة      وصدك عن صدك صواب  
اذا رايت ناسًا يغلقوا عنك بابهم      ظهور المطايا يفتح الله باب  
ومن قول شبل يذكر انتساب الكعوب الى رجم

فتنايب وشباب من اولاد برجم      جميع الرايا تشتكي من ضهادها

ومن قوله يعاتب اخوانه في موالاة شيخ الموحدين ابي محمد بن نافر اكين المستبد بحماية  
السلطان بتوس على سلطانها مكسولة ابي اسحاق ابن السلطان ابي مجي وذلك فيما قرب  
من عصرنا

يقول بلا جهل فتى الجود خالد      مقالة حيران بذهن ولم يكن  
مقالة حيران بذهن ولم يكن      تهجست معانا بها لا حاجة  
وليت بها كبدي وهي نعم صاحبه      حزينة فكر والحزين يصاب  
تفوهت بادي شرحها عن مارب      جرت من رجال في القبيل قراب  
بني كعب ادنى الاقربين لدمنا      بني عمّ منهم شايب وشاب  
جرى عد فح الوطن منا لبعضهم      مصافاه ودّ وانساع جناب  
وبعضهم ملنا له عن خصيمه      كما يعلموا قولي يقينه صاب  
وبعضهم هروب من بعض ملكنا      ضرانًا وفي حرا الظهير كتاب  
وبعضهم وجانا جريماً نسحت      خواطرنا للتزبل وهاب  
وبعضهم نظار فينا سوة      نقهنا حتى ما عنا يوساب  
رجع ينهي مما سفهنا فيحده      مرارًا وفي بعض المرار يهاب

وبعضهم شاكى من اوغاد قادر  
 فصمناهُ عنه واقترضى منه مورد  
 ونحن على دافى المداطلب العلاء  
 وحزنناحى وطن ترشيش بعد ما  
 ومهد من الاملاك ما كان خارج  
 ردع قروم من قروم قبيلنا  
 جريعا بهم عن كل تاليف في العدا  
 الى ان عاد من لا كان فيهم مهمة  
 وركبوا السبايا المتمنات من اهلها  
 وساقوا المطايا بالشرال نسولة  
 وكسبوا من اصناف السعاباذخائر  
 وعادوا نظير البرمكين قبل دا  
 وكانوا لنا درعا لكل مهمة  
 خلوا الدار في حبح الظلام ولا انقوا  
 كسوا الحى جلباب البهيم لستره  
 لذلك منهم حابس ما درى القنا  
 يظن ظنونا ليس نحن باهلها  
 خطا هو ومن وانه في سوظنيه  
 قوا عزوتى ان النبي بو محمد  
 وبرحت الاوغاد منه ويحسوا  
 جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع  
 وهو لو عطى ما كان للراى عارف  
 وان نحن ما نستاملوا عنه راحة  
 وان ما وطا ترشيش بضياع وسعها  
 وانه منها عن قريب مفاصل  
 وعن فانتات الطرف بيض غوانج  
 يتيه اذا تاهوا ويصبوا اذا صبوا

غلق عنه في احكام السفائف باب  
 على كرد مولى البالقي ودياب  
 لهم ما حططنا للفجور نقاب  
 نفقنا عليها سقا ورقاب  
 على احكام والى امرها له ناب  
 نبي كعب لا واهها الغريم وطاب  
 وقمنا لهم عن كل قيد مناب  
 ربيها وخيراته عليه نصاب  
 ولسوا من انواع الحرير ثياب  
 جماهير ما يغلو بها بجلاب  
 ضخام لحزات الزمان نصاب  
 والا هلالا في زمان دياب  
 الى ان بان من نار العدو وشهاب  
 ملامه ولا دار الكرام عناب  
 وهم لودروا لسوا قبيح جباب  
 ذهل حلبي ان كان عقله غاب  
 تمنى يكن له في السماح شعاب  
 بالاثبات من ظن الفنايح عاب  
 وهوب لا آف بغير حساب  
 بروحه ما يجيى روح سحاب  
 لقوا كل ما يستاملوه سراب  
 ولا كان في قلة عطاء صواب  
 وانه ناسهام التلاف مصاب  
 عليه ويمشي بالفرزوع لزاب  
 خنوج عناز هوها وقاب  
 ربوا خلف استار وخلف حجاب  
 بحسن قوانين وصوت رباب

بضلوه من عدم اليقين وربما  
 بهم حازلة زمه وطوع اوامر  
 حرام على ابن تافراكين ما مضى  
 وان كان له عقل رجح وفطنة  
 واما البدا لابدها من فياعل  
 ويحيي بها سوق علينا سلاعه  
 ويمسي غلام طالب ربح ملكنا  
 ايا واكلين الخبز نغول ادامة.  
 ومن شعر علي بن عمر بن ابراهيم من روساء بني  
 بني عمومتنا وابن الى رياسته

محبرة كالدر في يد صانع  
 اباحها منها فيه اسباب ما مضى  
 غذا منه لام الحي حيين وانشطت  
 ولكن ضميري يوم بان هم الينا  
 والا كابرص التهامي قوادح  
 والالكان القلب في يد قابض  
 لما قلت سما من شقا البين زارني  
 الا ياربوع كان بالامس عامر  
 وغيد تداني للخطا في ملاعب  
 ونعم يشوف الناظرين التهامها  
 وعود باسمها ليدعو لسرها  
 واليوم ما فيها سوى النوم حوها  
 وقفنا بها طوراً طويلاً نساها  
 ولاصح لي منها سوى وحش خاطري  
 ومن بعد ذا تدي لمنصور بو علي  
 وقولوا له يا ابو الوفا كلح را بكم  
 زواخر ما تنفاس بالعود انما

اذا كان في سلك الحرير نظام  
 وشاء نبارك والضعون تسام  
 عصاها ولا صننا عليه حكام  
 تهرم على شوك القتاد برام  
 وبين عواج الكانفان ضرام  
 اتاهم بمنشار القطيع غشام  
 اذا كان بنادي بالفراق وخامر  
 يحيي وحلة والقطين لمار  
 دجى الليل فيهم ساهر ونيام  
 لنا ما بدا من مهرق وكظام  
 واطلاق من شرب الماهو انعام  
 ينوح على اطلالها وخيام  
 بعين سخيلاً والدموع سجام  
 وسقي من اسباب ان عرفت او هام  
 سلام ومن بعد السلام سلام  
 دخلتم بحور غامقات دهام  
 لها سيلات على الفضا واكام

ولا قسم فيها قياساً يدلصم  
 وعانوا على هلكاكنم في ورودها  
 ايا عزوة ركبوا الضلالة ولا لهم  
 الا عناهم لو ترى كيف راىهم  
 خلوا القنا وبقوا في مرقب العلا  
 وحق النبي والبيت واركانه الذي  
 لبر اليعالي فيه ان طالت الحيا  
 ولا يرها تبقى البرادي عواكف  
 وكل مسافة كالسد اياه عابر  
 وكل كميته يكتنعص عض نابه  
 وتحمل بنا الارض العقيمة مدة  
 بالانطال والقودا الهجان وياقنا  
 اتجحدني وانا عقيد نفودها  
 ونحن كاضراس الموا في بنجكم  
 متى كان يوم القحط يا مير ابو علي  
 كذلك بو حمو الى اليسر ابعته  
 وخلي رجالاتي لا يرى الضيم جارهم  
 الا يقيسوها وعقد بؤوسهم  
 وكم نار طعنها على البدو سابق  
 فتى نار قطار الصوى يومنا على  
 وكم ذا يجيبوا اثرها من غنيمته  
 وان جافاً جنوه الملوك ووسعوا  
 عليكم سلام الله من لسن فاهم  
 ومن شعر عرب نمر بنواحي حوران لامرأة قتل زوجها فبعثت الى احلافه من قيس  
 تغريهم بطلب ثاره نقول

نقول فتات المحي ام سلامة  
 تبنت بطول الليل ماتالف الكرى  
 بعين اراع الله من لارثي لها  
 موجعة كان الشقا في مجالها



على ما جرى في دارها وبوعياها بلحظة عين البين غير حالها  
فقد تاوي شهاب الدين يا قيس كلهم وبتوا عن اخذ النار ما ذاقها  
انا قلت اذا ورد الكتاب يسرني ويبرد من يران قلبي ذباها  
ايا حين نسرج الذوائب واللمحي وبيض العذارى ما حبتوا جمالها  
(الموشحات والازجال للاندلس)

واما اهل الاندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهدبت مناخيه وفتونه وبلغ التمني في  
الغاية استحدث المتأخرون منهم فنامته سموه بالموشح ينظمونه اسماطا اسماطا اغصاناً اغصاناً  
يكثرون منها ومن اعار يرضها المختلفة ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً او يلتزمون عند قوافي  
تلك الاغصان واوزانها متتاليا فيما بعد الى اخر القطعة واكثر ما تنتهي عندهم الى سبعة  
ايات ويشتمل كل بيت على اغصان عددها بحسب الاغراس والمذاهب وينسون فيها  
ويمدحون كما يفعل في القصائد ونجاروا في ذلك الى الغاية واستظرفه الناس جملة الخاصة  
والكافة لسهولة تناوله وقرب طريقه وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر  
الفريري من شعراء الامير عبدالله بن محمد المرابي واخذ ذلك عنه ابو عبدالله احمد بن  
عبد ربه صاحب كتاب العقود ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر وكسدت موشحاتها فكان  
اول من برع في هذا الشأن عبادة الفزاز شاعر المعتصم بن صامح صاحب المرية وقد  
ذكر الاعلام البطليوسي انه سمع ابا بكر بن زهير يقول كل الوشاحين عيال على عبادة  
الفزاز فيما اتفق له من قوله

بدر تم . شمس ضحا غصن نقا . مسك تم

ما اتم ما اوضحا ما اورقا . ما اتم

لاجرم . من لحا قد عشقا . قد حرم

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف . وجاء  
مصلياً خلفه منهم ابن ارفع راسه شاعر المامون بن ذي النون صاحب طليطلة قالوا وقد  
احسن في ابتدائه في موشحته التي طارت له حيث يقول

العود قد ترنم . بابدع تلحين وسقت المذانب رياض البساتين

وفي انتهائه حيث يقول

نحظر ولا نسلم . عساك المامون مروع الكئاب . يحبي بن ذي النون

ثم جاءت المحلبة التي كانت في دولة المثلثين فظهرت لهم البدائع وسابق فرسان حلبهم

الاعشى الطليطلي ثم يحيى بن بقی وللطليطلي من الموشحات المهذبة قوله  
 كيف السبيل الى . صديري وفي المعالم اشجان والركب في وسط الفلا . بالخرىد النواعم قد بان  
 وذكر غير واحد من المشايخ ان اهل هذا الشان بالاندلس يذكرون ان جماعة من  
 الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلة وكان كل واحد منهم اصطنع موشحة وتائق فيها فتقدم  
 الاعشى الطليطلي للاستاذ فلما افتتح موشحة المشهورة بقوله \*

ضاحك عن جمان . سافر عن در ضاق عنه الزمان . وحواء صديري  
 صرف ابن بقي موشحة وتبعه الباكون وذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابن زهير يقول ما  
 حسدت قط وشاحاً على قول الاس بنى حين وقع له

اما ترى احمد . في مجد العالى لا يلحق اطلعه الغرب . فارنا مثله يامسرق  
 وكان في عصرها من الموشحين المطوعين ابو بكر الايصى وكان في عصرها ايضاً الحكيم  
 ابو بكر ابن باجه صاحب التلاحين المعروفة ومن الحكايات المشهورة انه حصر مجلس  
 مخدومه اس تيلوبت صاحب سر قسطة فالتقى على بعض قيناته موشحة

جرر الذيل ايما جبر وصل السكر منك بالسكر  
 فطرب المبدوح لذلك لما ختمها بقوله

عقد الله راية النصر لامير العلابي بكر

فلما طرق ذلك التلحين سمع اس تيلوبت صاح واطرناه وشق تيانه وقال ما احسن ما  
 بدأت وما ختمت وحلف بالايمان المغلطة لا يمشي ابن ناهه الى داره الاعلى الذهب  
 فخاف الحكيم سوء العاقبة فاحتال بان جعل ذهباً في بعله ومشى عليه وذكر ابو الخطاب  
 بن زهرانه جرى في مجلس ابى بكر بن زهير ذكر ابى بكر الايصى الوشاح المتقدم الذكر  
 فغص منه بعض المحاصرين فقال كيف تغص ممن يقول

مالد لي شراب راح " على رياض الاقح لولا هصيم الوشاح , اذا اسى في الصاح  
 او في الاصيل " اصحى يقول ما للشهول " لطمت خديه  
 وللشمال " هت فالى غصن اعتدال " ضمه رديه  
 ما اباد القلوبا " يمشي لنا مسترباً بالحظة رديوناً " وبالماه الشنبا  
 رد عليل " صب عليل لا يستحيل " فيه عن عهديه  
 ولا يزال " في كل حال يرجو الوصال " وهو في الصد  
 واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحد بن محمد بن ابى النصل بن سرف قال الحسن بن

دويذة رايت حاتم بن سعيد على هذا الافتتاح

شمس قاربت بدرًا راح وندم

وابن بهرودس الذي له ياليلة الوصل والسعود بالله عودي

وابن موهل الذي له مال العبد في حلة وطاق . وتم وطيب . وإنما العيد في التلاقي . مع الحبيب

وابو اسحاق الروي قال ابن سعيد سمعت ابا الحسن سهل بن مالك يقول انه دخل

على ابن زهير وقد أسن وعليه زي البادية اذ كان يسكن بمحصن استبه فلم يعرفه فجلس

حيث انتهى به المجلس وجرت المحاضرة فانشد لنفسه موشحة وقع فيها .

كحل الدجي بجري " من مقلة الفجر " على الصباح

ومعصم النهر " في حليل خضر " من البطاح

فتحرك ابن زهير وقال انت تقول هذا قال اخبر قال ومن تكون فعرفة فقال ارتفع فوالله

ما عرفتك قال اس سعيد وسابق الحلبة التي ادركت هولاء ابو بكر بن زهير وقد شرقت

موشعائه وغرقت قال وسمعت انا الحسن سهل بن مالك يقول قيل لابن زهير لو قيل

لك ما ابداع وارفع ما وقع لك في التوشيح قال كنت اقول

مالموله . من سكره لا يفتي . ياله سكران . من غير خمر مال الكتيب المشوق . يندب الاوطان

هل تستعاد . ايامنا بالخليج . وليالينا

او نستفاد . من النسيم الارجح . مسك دارينا

واديكاد . حسن المكان البهيج . ان يجيينا

نهر ظله . دوح عليه اتيق . مورق فينان . والمالمجري . وعام وغريق . من جنى الربحان

واشهر بعده ابن حيون الذي له من الرجل المشهور قوله

نفوق بينهم كل حين بما سبب من يد وعين

وينشد في التصيد

علفت مليحًا علمت راوي فليس يخل ساع من قتال

ويعمل بذئ العينين مناعي ما يعمل فينا بذئ النبال

واشهر معها يومئذ بغرناطة المهر بن الفرس قال ابن سعيد ولما سمع ابن زهير قوله

لله ما كان من يوم بهيج بنهر حمص على تلك المروج

ثم انعطفتنا على فم المخلج نفص في حانه مسك الخنمام

عن عسجد زانة صاتي والمدم ورد الاصيل ضمة كف الظلام

قال ابن زهير كنا نحن عند هذا الرداء وكان معه في بلده مطرف . اخبر بن سعيد  
عن والده ان مطرفاً هذا دخل على ابن الفرس فقام له واكرمه فقال لا تفعل فقال ابن  
الفرس كيف لا أقوم لمن يقول

قلوب مصائب . بالحاظ نصيب . فقل كيف يبقى بلا وجد

وبعد هذا ان جرمون برسية . ذكر ان الراسين ان يجي المخزرجي دخل عليه في مجلسه  
موشحة لنفسه فقال له ان جرمون لا يكون الموشح بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف قال  
علي مثل ماذا قال علي مثل قولي

ياهاجري هل الى الوصال منك سيل  
او هل ترى عن هواك سالي قلب العليل

وابو الحسن سهل بن مالك نغرناطة . قال ابن سعيد كان والذي يعجب بقوله  
ان سهيل الصاح في الشرق عاد بجرأ في اجمع الافق فنداعت بوادب الورق  
اتراها خافت من الغرق فكنت سمحة على الورق

واشتهر باشبيلية لذلك العهد ابو الحسن بن الفضل قال اس سعيد عن والده سمعت سهل  
ابن مالك يقول يا ابن الفضل لك على الوشاحين الفضل قولك

واحسرتنا لزمان مضى عشية بان الهوى وانفضى  
وافردت بالرغم لا نارضى وبت على جمرات الغضى  
اعانق بالكرتلك الطلول والتم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت ابا بكر بن الصابوني ينشد الاستاذ ابا الحسن الزجاج موشحانه غير ما مرة فما  
سمعته يقول له لله درك الا في قوله

قسماً بالهوى لذي حجر ما لليل المشوق من فجر  
حداً الصبح ليس يطرد ما لليلي فيما اظن غد صح باليل انك الابد  
او قطعت قوادم النسر فنجوم السماء لا تسري

ومن موشحات ابن الصابوني قوله

ما حل صب ذي ضني واكتئاب امرضه وبلتاه الطيب  
عاملة محبوبة باجناب تم اقتدى فيه الكري بالحبيب  
جما جنوني النوم لكنني لم ابك الا لفقده الخيال  
واذا الوصال اليوم قد غرني منه كما شاء وساء الوصال

فلست باللائم من صدي بصورة الحق ولا بالمثال  
 واشتهر بين اهل العدة ابن خلف الجزائري صاحب الموشحة المشهورة  
 يد الصالح قد قدحت زناد الاموار في مجامر الزهر  
 وابن هزر الجبائي وله من موشحة

نغر الرمان موافق حياك منه بابتسام  
 ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته من بعدها فتمها قوله  
 هل درى طي الحوار قدحى قلب صب حلة عن مكس  
 فهو في نار وضيق مثل ما لعبت ربح الصبا بالقس  
 وقد نسج على مزاله فيها صاحبها الورير ابو عبد الله بن الخطيب شاعر الاندلس والمغرب  
 لعصره وقد مر ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيت ها يارمان الوصل بالاندلس  
 لم يكن وصلك الا حلما في الكرى او خلصة الخنلس  
 اذ يقول الدهر اسباب المنى نقل الخطو على ما ترسم  
 زمراً بين فرادى وتنى مثل ما يدعو الوفود الموسم  
 والحيا قد جلت الروص سا فسا الارهار فيه تبسم  
 وروي النعمان عن ماء السما كيف يروي مالك عن اس  
 فكساه الحسن توناً معلما يزدي منه باهى ملبس  
 في لبال كتبت سر الهوى بالدجى لولا تموس القدر  
 مال نجم الكاس فيها وهوى مستقيم السير سعد الاثر  
 وطر ما فيه من عيب سوى انه مر كلع الصر  
 حين لذ النوم منا او كما هجم الصبح نعوم الحرس  
 غارت الشهب بنا اوربا اثرت فينا عيون النرجس  
 اي شيء لامرى قد خلاصا فيكون الروض قد كتن فيه  
 تنهب الارهار فيه الفرصا امننت من مكره ما تنقيه  
 فاذا الماء تناحي والحصا وخلا كل خليل ناخيه  
 تبصر الورد غبوراً بدما يكتسى من غيظه ما يكتسى  
 وترى الآس ليباً فيها يسرق الدمع بادني فرس

يا أهيل الحي من وادي الغضا      وبقلي مسكن انتم بو  
 ضاق عن وجدتي بكم رحب الغضا      لا ابالي شرقه من غريه  
 فاعيدوا عهد اس قد مضى      تفقدوا عائدكم من كربيه  
 واتقوا الله واحبوا مغرمًا      بتلاشي نفساً في نفسـ  
 حبس القلب عليكم كرمًا      افترضون خراب الحبسـ  
 وبقلي فيكمو مقرب      باحاديث المي وهو بعيد  
 قهراً يطلع منه المغرب      شقوة المغرے به وهو سعيد  
 قد نساوے محسن أو مذنب      في هواه بين وعدٍ ووعيد  
 ساحر المقلته معسور اللي      جال في الناس مجال النفسـ  
 سدّ السهم وسمى ورمي      فوادى بهمة المترسـ  
 ان يكن جارٍ وخاب الاملُ      وفواد الصب بالشوق يدوب  
 فهو للنس حبيب اولُ      ليس في الحب المحبوب ذنوب  
 امره معتملٌ ممتثل      في ضلوعٍ قد سراها وقلوب  
 حكم اللخط بها فاحنكما      لم يراقب في ضعاف الانسـ  
 ينصف المظلوم من ظلمها      ويجازي الدر منها والمسي  
 ما لقلبي كلما همت صا      عادة عيد من الشوق جديد  
 كان في اللوح له مكننا      قوله ان عدائي لشديد  
 جلب الهم له والوصا      فهو للاشجان في جهدٍ جهيد  
 لا عجز في اضلعي قد اضرما      فهي نارٌ في هشيم اليبسـ  
 لم تدع من مهجتي الا الدما      كفاء الصبح بعد الغاسـ  
 سلمى يانس في حكم الفضا      واعمري الوقت رجعي ومتاب  
 واتركي ذكرى زمانٍ قد مضى      بين عني قد نقضت وعتاب  
 واصرفي القول الى المولى الرضى      ملهم التوفيق في ام الكتاب  
 الكرم المنتمى والمنتمى      اسد السرح وبدر المجلس  
 ينزل النصر عليه مثل ما      ينزل الوحي روح القدس

واما المشاركة فالتكلف ظاهر على ما عابوه من الموشحات ومن احسن ما وقع لهم في ذلك  
 موشحة ابن سنا الملك المصري اشتهرت شرقاً وغرباً واولها

ياحيبي ارفع حجاب النور عن العذارِ نظرمسك على الكافور في جلتار  
كللي ياسحب نيمان الرنى بالخلي واجعلي سوارها من عطف الجدول  
ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته وتتميق كلامه وترصيع  
اجزائه سمحت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا في طريقته لغتهم الحضريّة من  
غير ان يلتزموا فيها اعراباً واستحدثوه فنّاً سموه بالرجل والتزموا النظم فيه على مناحبهم الى  
هذا العهد فجاءوا فيه بالغرائب واتسع فيه للبلاغة مجال بحسب لغتهم المستعجبة واول من  
ابدع في هذه الطريقة الزجلية ابو بكر بن قرمان وان كانت قيلت قبله بالاندلس لكن لم  
يظهر حلاها ولا اسسكت معانيها واشهرت رشاقتها الا في زمانه كان العهد المثلثين وهو امام  
الرجالين على الاطلاق قال اس سعيد ورايت ازجاله مروية سغداد اكثر ما رايتها بجواضر  
المغرب قال وسمعت بالبحسن ابن حيدر الاشيلي امام الزجالين في عصره يقول ما وقع لاحد من  
ايمة هذا الشأن مثل ما وقع لابن قرمان شيخ الصاعقة وقد خرج الى متزعم بعض اصحابه فجلسوا  
تحت عريش وامامهم تمثال اسد من رخام بصب الماء من فيه على صفايح من الحجر مدرجة فقال  
وعريش قد قام على دكار بحال رواق واسد قد اتلع ثعبان في غلظاساق  
وفخ فيه بحال اسان فيه النواق واطلق بجري على الصفايح ولقي الصاح  
وكان اس قرمان مع انه قرطبي الدار كثيراً ما يتردد الى اشبيلية ويبيت بنهرها  
فانق ان اجتمع ذات يوم جماعة من اعلام هذا الشأن وقد ركوا في المهر للترهة ومعهم  
غلام جميل الصورة من سروات اهل البلد ويوتهم وكانوا مجتمعين في زورق للصيد  
فنظموا في وصف الحال وبدأ منهم عيسى البليدي فقال

يطمع بالخلاص قلبي وقد فانتو وقد ضبو عشقو بسهماتو  
تراه قد حصل مسكين حملاتو فقلق ولذلك امر عظيم صاباتو  
نوحش الجفون الكحل اذا عاتو وذلك الجفون الكحل ابلاتو

ثم قال ابو عمرو بن الراهر الاشيلي

نشب والهوى من لح فيه ينشب ترى اش كان دعاه يشقى ويتعذب  
مع العشق قام في ما لويلعب وخلق كثير من ذا اللعاب ماتو

ثم قال ابو الحسن المقرئ الداني

نهار مليح تعجبي اوصافو شراب وملاح من حولي طافو  
ومعلمين يقولوا بصفصافو والنوري احرى بمقلاتو

ثم قال ابو بكر بن مرتين

المحق يريد حديث تعالى عاد في الواد لحبير والمنزه والصاد  
تنسبه حيثان ذلك الذي يصطاد قلوب الورى هي في شبيكانو

ثم قال ابو بكر بن قرمان

اذا شعر كما هو يرميها ترى النور يرشق لذيك الجيها  
وليس مرادو وان يقع فيها الا ان يقبل يدبذاتو  
وكان في عصرهم بشرق الاندلس محلف الاسود وله محاسن من الزجل منها قوله  
قد كنت مشوب واختشيت الشيب وردني ذا العشق لامر صعب  
يقول فيه

حين تنظر الخد الشريف البهي تنتهي في الحمرة الى ما تنتهي  
باطالب الكيمياء في عيني هي تنظرها الهضة ترجع ذهب  
وجاءت بعدهم حلبة كان سابقها مدغيس وقعت لة العجائب في هذه الطريقة فمن  
قوله في زجله المشهور

ور دا ذدق ينزل وشعاع الشمس بصرب  
فترى الواحد يفضض وترى الاخر يذهب  
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب  
وتريد تعني الينا ثم تستحي وتهرب

ومن محاسن ازجاله قوله

لاح الصبا والنجوم حيارى فقم بنا نزع الكسل  
شرست ممزوحا من قراعا احلى هي عندي من العسل  
يامن يلمني كما تقلد قللك الله بما تقول  
يقول بان الذنوب مولد وانه يفسد العقول  
لارض الحجاز يكون لك ارشد اش ما ساقك لذ النضول  
مرانت للحج والزيارا ودعني في الشرب منهمل  
من ليس لوقدره ولا استطاعا النية ابلغ من العمل

وظهر بعد هؤلاء باشيلية ابن مجدر الذي فضل على الزجالين في فتح مبرقة بالزجل  
الذي اوله هذا



من عائد التوحيد بالسيف يحق انا بري ممن يعاند الحق  
 قال ابن سعيد لقيتك ولقيت تلميذه المعيع صاحب الزجل المشهور الذي اوله  
 باليتني ان رايت حبيبي اقبل اذنوب الرسيلا  
 ليش اخذ عنك الغريل واسرق فم الحجيللا

ثم جاء من بعدهم ابو الحسن سهل بن مالك امام الادب ثم من بعدهم هذه العصور  
 صاحبنا الوزير ابو عبد الله بن الخطيب امام النظم والنثر في الملة الاسلامية غير مدافع فمن  
 محاسنه في هذه الطريقة

امزج الاكواس واملالي تجدد ما خلق المال الا ان بيدد  
 ومن قوله على طريقة الصوفية ونحو مني الششتري منهم  
 بين طلوع ونزول . اخلطت بالغرول . ومضى من من لم يكن . وبقي من لم يزول  
 ومن محاسنه ايضا قوله في ذلك المعنى

البعد عنك ياني اعظم مصابي وحين حصل لي فربك نسيت قرابي  
 وكان لعصر الوزير ابن الخطيب بالاندلس محمد بن عبد العظيم من اهل وادي اش وكان  
 اماما في هذه الطريقة وله من زجل يعارض به مدغيس في قوله لاح الضيا والنجوم حيارى بقوله

حل المحون باهل الشطارا مذ حلت شمس بالحمل  
 جددوا كل يوم خلاعا لاتجعلوا اسمها ميل  
 اليها يتخلعوا في سبيل على خضورة ذاك النبات  
 وصل بغدادواحتاز النيل احسن عندي في ذيك الجهات  
 وطافتها اصلح من اربعين ميل ان مرت الريح عليه وجات  
 لم يلتق الغيار امارا ولا بمقدار ما يتخلل  
 وكيف ولا فيه موضع رفعا الا ويسرح فيه النخل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالاندلس من الشعر وفيها نظمهم حتى انهم لينظرون  
 بها في سائر البحور الخمسة عشر لكن بلغتهم العامة ويسمونه الشعر الزجلي مثل قول شاعرهم

لي دهر بعشق جنونك وسنين و انت لا شفقة ولا قلب يلين  
 حني ترى قلبي من اجلك كيف يرجع صنعة السكة ما بين الحدادين  
 الدموع نرشرش وال نار تلتهب والمطارق من شمال ومن يمين  
 خلق الله التصارى للغزو و انت تغزو في قلوب العاشقين

وكان من المجيدين لهذه الطريقة لاول هذه المائة الاديب ابو عبد الله الالوسي وله من قصيده يدح فيها السلطان ابن الاحمر

طل الصباح ثم يانديني نشربو  
سبيكة الفجر احلت شفقتاً  
تري غماراً خالص ابيض نقي  
وسقوا سكتوا عند البشر  
فهو النهار يا صاحبي للمعاش  
والليل نصا للقبيل والعناق  
جاد الزمان من بعدما كان بخيل  
كما جرع مرو فيما قد مضى  
قال الرقيب يا ادبا لاش ذا  
وتعجبوا عدالي من ذا الخبر  
يعشق ملح الا رقيق الطماخ  
ليس يرحم المحسن الا شاعر ادب  
اما الكاس فحرام نعم هو حرام  
ويد الذي يحسن حسا ولم  
واهل العقل والفكر والمجون  
ظبي بهي فيها بطني الجمر  
غزال بهي ينظر قلوب الاسود  
ثم يحبيهم اذا ابتسم يفحكوا  
قوم كالحاتم وثغر نقي  
جوهر ومرجان اي عند يا فلان  
وشارب اخضر يريد لاش يريد  
يسبل دلال مثل جناح الغراب  
على بدن ابيض بلون الحليب  
وزوج هندات ما علمت قبلها  
تحت العكاك من هنا خصر رقيق

ونفحكوا من بعدما نظرو  
في ميلق الليل وقوم قامو  
فضة هو لكن الشفق ذهبو  
نور الجفون من نورها تكسو  
عيش الفتى فيه بالله ما اطيبو  
على سرير الوصل يتقلبو  
واش كه قلتيه من برية عقربو  
بشرب سواه وياكل طيبو  
في الشرب والعشق ترى تفحبو  
قلت يا قوم ما تتعجبوا  
علاش نكفروا بالله او تكتبو  
يفض نكرو ويضع ثيبو  
على الذي ما يدري كيف يشربو  
يقدر يحسن الفاظ ان يحلمو  
يفغردونهم لهذا ان اذنبو  
وقلبي في جمر الغضا يلهبو  
وما لهم قبل النظر يذهبو  
وبفرحوا من بعد ما يندبو  
خطيب الامة للقبيل يخطبو  
قد صفة الناظم ولم يثقبو  
من شبهو بالمسك قد عيبو  
ليالي هجري منه يستغربو  
ما قط راعي للغنم يحلمو  
ديك الصلا يا رب ما اصلبو  
من رقتو يخفي اذا تطلبو

ارق هو من ديتي فيما نقول  
 اي دين نقالي معاك واي عقل  
 تحمل ارداف ثقال كالرقيب  
 ان لم ينفس غدر او يفتشع  
 يصير ليك المكان حين تجي  
 محاسنك مثل خصال الامير  
 عماد الامصار وفضيح العرب  
 بجمل العلم انفراد والعمل  
 ففي الصدور بالريح ما اطعنو  
 من السما بحسد في اربع صفات  
 الشمس نور والشمس همتو  
 يركب جوادا الجودو يطلق عنان  
 من خلعتو يلس كل يوم بطيب  
 نعمتو نظهر على كل من يحبه  
 قد اظهر الحق وكان في حجاب  
 وقد نبى بالسر ركن النفي  
 تخاف حين تلقاه كما ترنجبه  
 يلتقي الحروب ضاحكا وهي عاسه  
 اذا جد سيفه ما بين الردود  
 وهو سمي المصطفى والاله  
 نراه خليفة امير المومنين  
 لذي الامارة تخضع الروس  
 بيته بقي بدور الزمان  
 وفي المعالي والشرف يبعده  
 والله يقيمهم ما دار الفلك  
 وما يعني ذا القصيد في عروض

ثم استحدث اهل الامصار بالمغرب فناخر من الشعر في اعاريض مزدوجة كالموشع نظمو فيه

بلغتهم الحضرية أيضاً وسموه عروض البلد وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل الأندلس نزل  
بفاس يعرف بان عمير فنظم قطعة على طريقة الموشح ولم يخرج فيها عن مذاهب الأعراب مطلعها

ابكاني بشاطي النهر نوح الحمام	على الغصن في البستان قريب الصباح
وكف الشعر بمحموداد الظلام	وما الندى يجري شغراً الأفاق
باكرت الرياض والطل فيها افتراق	سر الجواهر في نحر الجوار
ودمع النواغر ينهرق انهرق	يحاكي ثعابين حلقت بالثمار
لووا بالغصون خنخال على كل ساق	ودار الجميع بالروض دور السوار
وايدي الندى تخزق جيوب الكمام	ويحمل نسيم المسك عنهارياح
وعاج الصا يطلى بمسك الغمام	وجر النسيم ذبلو عليها وفاخ
رايت الحمام بين الورق في القصب	قد اتلت ارباشو تقطر النداء
تنوح مثل ذاك المستهام الغريب	قد التفت من توسو الجديد في ردا
ولكن بما احمر وساقو خصيب	ينظم سلوك جوهر ويتقلدا
جالس بين الاغصان جلسة المستهام	جناحاً توسد والتوى في جناح
وصار يشتكي ما في الفواد من غرام	منها ضم منقاره لصدرة وصاح
فقلت يا حمام احرمت عيني الهجوع	اراك ما تزال تنكي بدمع سهوع
قال لي نكيت حتى صفت لي الدموع	بلا دمع بقی طول حياتي سوح
على فرخ طار لي لم يكن لورجوع	الفت البكا والحزن من عهد نوح
كذا هو الوفا كذا هو الزمام	انظر جنون صارت بحال الجراح
وانتم من اتلى منكم اذا ثم عام	يقول عناني ذا الكا والنواح
قلت يا حمام لو خضت بجر الصنا	كنت تبكي وترقي لي بدمع هتون
ولو كان نقلابك ما بقلبي انا	ما كان يصير تحنك فروع الغصون
اليوم نقاسي الهجرم من سنا	حتى لا سبيل جملة تراني العيون
وما كسا جسسي النحول والسقام	اخفاني نحو لي عن عيون اللواح
لوجني المنايا كان يموت في المقام	ومن مات بعد يا قوم لقد استراح
قال لي لورقدت لا وراق الرياض	من خوفي عليوود النفوس للفواد
ونخضت من دمعي وذاك البياض	طوق العهد في عنفي ليوم التناد
واماطرف متفاري حدبثواستفاض	باطراف البلد والحجم صار رماد

فاستحسنه أهل فاس ورلعوا به ونظموه على طريقته وتركوا الأعراب الذي ليس من شأنهم  
 وكثر سماعه بينهم واستفحل فيه كثير منهم ونوعوه اصنافاً إلى المزروج والكارى والملمبة  
 والغزل واختلفت اسماءها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها فمن المزروج ما يقال ابن  
 شجاع من فحولم وهو من أهل تازا

المال زينت الدنيا وعز النفوس	بيهي وجوها ليس هي باهيا
فها كل من هو كثير الفلوس	ولو الكلام والرثة العاليا
يكبر من كثرة ما لو ولو كان صغير	ويصغر عزيز القوم اذا يفتقر
من ذا ينطبق صدري ومن ذا يصير	يكاد ينفقع لولا الرجوع للقدر
حتى يلتجئ من هو في قومه كبير	لمن لا اصل عندو ولا لو خطر
لذا ينبغي يحزن على ذي العكوس	و يصيغ عليه توب فراش صافيا
اللي صارت الاذنان امام الروس	وصار يستفيد الواد من الساقيا
ضعف الناس على ذا وفسد الزمان	ما يدروا على من يكثروا ذا العناب
اللي صار فلان يصيح بو فلان	ولو رأيت كيف يرد الجواب
عشنا والسلام حتى راينا عيان	انفاس السلاطين في جلود الكلاب
كبار النفوس جد اضعاف الاسوس	هم ناحيا والمجد في ناحيا
يروا انهم والناس يروهم تيوس	وجوه البلد والعمدة الراسيا
ومن مذاهيم قول ابن شجاع منهم في بعض مزدوجاته	

تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان	اهل يا فلان لا يلعب الحسن فيك
ما منهم ملج عاهد الا وخان	قليل من عليه تحس وبحس عليك
يهبوا على العشاق ويتمنعوا	ويستعبدوا تقطيع قلوب الرجال
وان واصلوا من حينهم يقطعوا	وان عاهدوا خانوا على كل حال
ملج كان هويتو وشتت قلبي معو	وصيرت من خدي لقدمو نعال
ومهدت لو من وسط قلبي مكان	وقلت لقلبي اكرم من حل فيك
وهون عليك ما يعتريك من هوان	فلا بد من هول الهوى يعتريك
حكمتو علي وارفضيت بو امير	فلو كان برى حالي اذا يبصروا
يرجع مثل درحولي بوجه الغدير	مرديه ويتعطس بحال انصروا
وتعلمت من ساعا بسبق الضمير	وبهم مرادو قبل ان يذكروا

ويحمل في مطلوبو ولوان كان      عصر في الربيع او في الليالي بريك  
 ويمشي بسوق كان ولو باصبيان      وايش ما يقل بمحناج يقل لو يجيك  
 حتى اتى على اخرها . وكان منهم علي بن المودن سلمان وكان لهذه العصور القريبة من  
 فحولهم بزهرهون بن ضواحي مكناسة رجل يعرف بالكفيف ابدع في مذاهب هذا الفن ومن  
 احسن ما علق له محفوظي قوله في رحلة السلطان ابي الحسن وبني مرين الى افريقية  
 يصف هزيمهم بالقيروان ويعزبهم عنما وبونسهم بما وقع لغيرهم بعد ان عيهم على غزاتهم  
 الى افريقية في ملعة من فنون هذه الطريقة يقول في مفتحتها وهو من ابدع مذاهب  
 البلاغة في الاشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال  
 سبحان مالك خواطر الامرا      ونواصبها في كل حين وزمان  
 ان طعناه عطفهم لنا قسرا      وان عصيناه عاقب بكل هوان  
 الى ان يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التلخص  
 كس مرعي قل ولا تكن راعي      فالراعي عن رعيتيه مسئول  
 واستفتح بالصلاة على الداعي      الاسلام والرضي السنن الكمول  
 على الخلفاء الراشدين والانتاع      واذكر بعدهم اذا تحب وقول  
 اجماحا تحللو الصحرا      ودوا سرح البلاد مع سكان  
 عسكر فاس الميرة الغراء      وين سارت بوغزائم السلطان  
 اجماج بالنبي الذي زرم      وقطعتم لو كلاكل اليدا  
 عن جيش الغرب حين يسالكم      المتلوف في افريقيا السودا  
 ومن كان بالعطايا بزودكم      ويدع برية المحجاز رغدا  
 قام قل للسد صادف الجزرا      ويعجز شوط بعد ما بمخنان  
 ويزف كردوم وتهب في الغرا      ايه ما زاد غزالهم سبحان  
 لو كان ما بين تونس الغربا      وبلاد الغرب سد السكندر  
 مبي من شرقها الى غربا      طبقا بجديد او ثانيا بصفر  
 لا بد الطير ان تجيب لنا      اوياتي الريح عنهم بفرد خبر  
 ما اعوصها من امور وما ترى      لو تقرأ كل يوم على الديوان  
 لجرت بالدم وانصدع حجرا      وهوت الخراب وخافت الغزلان  
 ادري بعقلك الفخاص      وتنكر لي بخاطرك جمعا

ان كان تعلم حمام ولا رفاص  
 تظهر عند المهيمن القصاص  
 الا قوم عارفين فلا ستر  
 ما يدربوا كيف بصوروا كسرا  
 امولاي ابو الحسن خطينا الباب  
 ففنا كنا على الجريد والزاب  
 ما بلغك عن معرفتي الخطاب  
 ملك الشام والحجاز وتاج كسرى  
 رد ولدت لو كره ذكرى  
 هذا الفاروق مردي الاعوان  
 وبقت حتى الى زمن عثمان  
 لمن دخلت غنائها الديوان  
 وافترق الناس على ثلاثة امرا  
 اذا كان ذا في مدة المرارا  
 واصحاب الحضري مكناسه  
 تذكر في صحتها ابيانا  
 ان مريم اذا تكف برايانا  
 قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا  
 قال لي رايت وانا بنا ادري  
 ويقول لك ما دهى المرينيا  
 اراد المولى بموت ابن يحيى  
 عن السلطان شهر وقبله سبعا  
 وعلامات تنشر على الصبعا  
 مجهولين لا مكان ولا امكان  
 وكيف دخلوا مدينة القيروان  
 قضية سيرنا الى تونس  
 واش لك في اعراب افريقيا القنوس  
 الفاروق فاتح القرى المولس  
 وفتح من افريقيا وكان  
 ونقل فيها تفرق الاخوان  
 صرح في افريقيا هذا التصريح  
 وفتحها ابن الزبير عن تصحيح  
 مات عثمان وانقلب علينا الرج  
 وبقي ما هو للسكوت عنوان  
 اش يعمل في اواخر الازمان  
 وفي نارنج كائنا وكيوانا  
 شق وسطح وان مرانا  
 لجدا وتونس قد سقط بنيانا  
 عيسى بن الحسن الرفيع الشان  
 لكن اذا جاء القدر عيت لاعيان  
 من حضرة فاس الى عرب فاس  
 سلطان تونس وصاحب الابواب

ثم اخذ في ترحيل السلطان وجوشه الى اخر رحله ومنتهى امره مع اعراب افريقيا واتي  
 فيها بكل غريبة من الابداع واما اهل تونس فاستخدموا في الملعة ايضا على لغتهم الحضرية  
 الا ان اكثره ردي ولم يعلق بمحفوظي منه شيء لرداته وكان لعامة بغداد ايضا فن من الشعر  
 بسمونة المواليا وتحته فنون كثيرة بسمون منها القوما وكان ومنه مردد ومنه في بيتين  
 و بسمونة دو بيت على الاختلافات المعنيرة عندهم في كل واحد منها وغالبها مزدوجة من  
 اربعة اغصان وتبعهم في ذلك اهل مصر القاهرة واتوا فيها بالغرائب وتجر وافها في اساليب

البلغة بمقتضى لغتهم الحضرية فجاءوا بالعجائب ومن اعجب ما علق بمقتضى منه قول شاعرهم  
 هذه جراحي طريا والدماء ينضح وقائلني يا اخيا في الفلايمرح  
 قالوا وناخذ بشارك قلت ذا اقبج

ولغيره

طرقت باب الحبا قالت من الطارق فقلت منتون لا ناهب ولا سارق  
 تبسمت لاح لي من ثغرها بارق رجعت حيران في محرادمعي غارق

ولغيره

عهدي بها وهي لا تامس عليّ اليبس وان شكوت الهوى قالت فدتك العين  
 لمن تعني لها غيري غلام زين ذكرتها العهد قالت لك عليّ دين

ولغيره في وصف الحشيش

دي خمر صرف التي عهدي بها باقي تغني عن الخمر والخمار والساقبي  
 فحبا ومن محبها تعمل على احراقني خسينها في الحشيش طلت من احداقي

ولغيره

يامن وصالو لاطفال الهمة بح كم توجع القلب بالهجران اوّاح  
 اودعت قلبي حوحو والتصبر بح كل الوري كح في عيني وشخصك دح

ولغيره

بادبتها ومشيبي قد طولاني طي جودي عليّ قبله في الهوى يامي  
 قالت وقد كوت داخل فوادكي ما هكذا النطن بحشيشي فم من هوحي

ولغيره

راني انتم سقت سمح ادمعي برقو ماط اللثام تبدي بدر في شرقو  
 اسل دحي الشعر تاه القلب في طرفو رجع هدانا بنحيط الصبح من فرقو

ولغيره

ياحادي العيس ازجرنا المطايا زجر وقف على منزل احبائي قبيل الفجر  
 وصبح في حبهام يامن بريد الاجر بنهض يصلي على ميت قبيل الهجر

ولغيره

عيني التي كنت اراكم بها بانث ترعى النجوم وبالتسبيد اقتانث  
 واسم اليبس صابنتي ولا فانث وسلوتي عظم الله اجركم مانث



## ولغيره

هويت في قنطرتكم باملاح المحكر غزال يبلي الاسود الضاريا بالفكر  
غص اذا ما اتى بسى البنات البكر وان تهلل فما للدر عندو ذكر

ومن الذي يسمونه دويست

قد اقسام من احبه بالباري ان بيعت طيفه مع الاسحار  
يانار شوبقي يو فانقدي ليلاً عساه بهتدي بالنار

واعلم ان الاذواق في معرفة البلاغة كالماتماحصل لمن خالط تلك اللغة وكثراستعماله لها  
لها ومخاطبته بين اجيالها حتى يحصل ملكتها كما قلناه في اللغة العربية فلا الاندلسي بالبلاغة  
التي في شعراهل المغرب ولا المغربي بالبلاغة التي في شعراهل الاندلس والمشرق ولا  
المشريقي بالبلاغة التي في شعر الاندلس والمغرب لان اللسان المحصري وتراكيبه  
مختلفة فيهم ولكل واحد منهم مدرك لبلاغة لغته وذائق محاسن الشعر من اهل جلدته وفي  
خلق السماوات والارض واختلاف الستمك والواكم ايات وقد كدنا ان نخرج عن  
الغرض وعرما ان نقبض العنان عن القول في هذا الكتاب الاول الذي هو طبيعة العبران  
وما يعرض فيه وقد استوفينا من مسائله ما حسنناه كناية ولعل من ياتي بعدنا من يويده  
الله بمكر صحيح وعلم ميبين يغوص من مسائله على اكثر ما كتبنا فليس على مستنبط الفن  
احصاء مسائله وانما عليه تعيين موضع العلم وتنويع فصوله وما يتكلم فيه والمتاخرون يلحقون  
المسائل من بعده شيئاً فشيئاً الى ان يكمل والله يعلم وانتم لاتعلمون

قال مولف الكتاب عنى الله عه اتممت هذا الجزء الاول بالوضع والتاليف قبل التنقيح والتهذيب  
في مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسعمائة ثم نختنه بعد ذلك وهذبتة  
والحقت به نوارنج الامم كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الا من عند الله العزيز الحكيم



قد تم طبعه بالمطبعة الادبية في عاية عام ١٨٧٩ فاطهرناه في عرة عام ١٨٨٠ هدية وشحنة كريمة احرحت من كتوز  
المتقدمين بهدي المتاحرين مثالاً بقندون يو وسوالاً بقندون علو ذلك من حملة الاسباب التي حملنا على طبعه وشغيفض  
تمنو فعلى من داق لذة المعارف والاداب مقنناه بهي حمة التاليف عنى عن كل تاليف

وطبع ثانيةً بالمطبعة المذكورة وعلى نفقتها في تشرين الاول سنة ١٨٨٦



















